سلسلة كتب السنة والاعتقاد (١٢)

كتاب الشريعة

تصنيف

الإمام الحافظ أبي بكر محمد بن الحسين الآجري

المتوفى سنة ٣٦٠ رحمه الله تعالى

تحقيق وتعليق

أبي عبد الله عادل بن عبد الله آل حمدان

عفا الله عنه

المجلد الأول

منشورات دار اللؤلؤة

(١٣٢)

نسخة متوفرة مجانا - ليست للبيع

كتاب

الشريعة

(١)

ٱلطَّبعَةُ ٱلأُولَىٰ

١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

شركة دار اللؤلؤة للطباعة والنشر

لبنان - بيروت

@daralloloaa

Daralloloaa@hotmail.com

٠٠٩٦١٧٠٦٥٤٤٦٠

سلسلة كتب السنة والاعتقاد (١٢)

كتاب الشريعة

تصنيف

الإمام الحافظ أبي بكر محمد بن الحسين الآجري

المتوفى سنة ٣٦٠ رحمه الله تعالى

تحقيق وتعليق

أبي عبد الله عادل بن عبد الله آل حمدان

عفا الله عنه

المجلد الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

[redacted] للإبداع والتميز عنوان

تم التنضيد والإخراج بدار اللؤلؤة للطباعة والنشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إن الحمدَ لله نَحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذُ بالله من شُرورِ أنفُسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يَهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهدُ أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن مُحمدًا عبده ورسوله.

أما بعد،

فبين يديك ـ أخي القارئ ـ (المجموعة الثانية) من كتاب **«الجامع لكتب الإمام الآجري** رَحِمَهُ اللَّهُ**»**[1].

وهو كتابُ **«الشريعة»** لأبي بكر محمد بن الحُسين بن عبد الله الآجري المتوفى سَنة: (٣٦٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ.

ويُعدُّ هذا السِّفر المُبارك أصلًا مِن أصول كتبِ أهل السُّنةِ والآثار المُسندة المُطوَّلة في تقرير عقيدة السلف الصالح أهل الحديث والأثر.

فقد جرَّد الإمامُ الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ فيه قلمه لنصرة دين الله تعالى، وإعلاء شرعه، وتقرير عقيدة السلف، والردِّ على مَن خالفها مِن أهل

---

(١) المجموعة الأولى هي (١٣) كتابًا للمصنف في شتَّى الفنون، مع ملحق اشتمل على نقولات من (١٣) كتابًا مفقودًا للمُصنِّف.
مع مقدمة اشتملت على ترجمة للإمام الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ وما قيل فيه، وفي آثاره العلمية، وقد اكتفيت بها عن تكرارها هاهنا.
ونشر هذا «الجامع» عن (دار اللؤلؤة) عام (١٤٤٠هـ).

البدع والضلال، فهو شجًى في حلق كل مُخالفٍ وضالٍّ إلى يوم الدين.

فلا تزال أقلام أئمة السُّنة في كل عصرٍ ومصر تقمع أهل الزيغ والضلال الخارجين عن الصراط، السالكين مسالك الفُرقة والاختلاف، كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ وهو يُعدِّد مراتب الأقلام: (القلَمُ الجامع، وهو قَلمُ الرَّدِّ على المُبطلين، ورَفْعِ سُنَّةِ المُحِقِّين، وكشفِ أباطيل المُبطِلِين على اختلاف أنواعها وأجناسها، وبيانِ تناقُضِهم، وتهافُتِهم، وخروجِهم عن الحقِّ، ودخولهم في الباطل.

وهذا القَلَمُ في الأقلام نظيرُ الملوك في الأنام، وأصحابُه أهلُ الحُجَّةِ الناصِرون لما جاءت به الرُّسُل، المُحارِبون لأعدائهم، وهم الداعون إلى الله بالحِكمة والموعظة الحسنة، المجادلون لمن خرج عن سبيله بأنواع الجِدال. وأصحابُ هذا القلم حربٌ لكلِّ مُبْطِل، عَدُوٌّ لكلِّ مُخالفٍ للرُّسُل، فهُم في شأنٍ، وغيرُهم من أصحاب الأقلام في شأنٍ)[1].اهـ.

* منهج المصنف في الرد على المخالفين:

وقد سلك المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه هذا مسلك من سبقه من الأئمة في ردِّ الباطل بالوحي والآثار، مُجتنبًا طرق أهل الكلام المُحدث المُعقَّد والجدال والمراء والخصومات والقيل والقال، فكثيرًا ما يُقرِّر هذا بقوله: (هذه حُجّتنا: كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، وسنة رسوله ﷺ، وسنة أصحابه، والتابعين لهم بإحسان، وقول أئمة المسلمين، مع تركنا للجدل والمراء).

ويقول لمن خالفه: (اعلم يا شقيّ، أنا لسنا أصحاب كلام، والكلام على غير أصلٍ لا تثبت به حُجَّة، وحُجَّتنا: كتاب الله تعالى، وسُنة رسول الله ﷺ).

---

(١) «التبيان في أيمان القرآن» (ص٣١٠).

وهذه وصية الأئمة الكبار لمن أراد الرد على المخالفين من أهل الكلام، فهذا أبو الحارث يسأل إمام هذا الشأن إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ، فيقول له: إن هاهنا رجلًا يُناظر الجهمية، ويُبيِّن خطأهم، ويُدقِّق عليهم المسائل فما ترى؟

قال: لست أرى الكلام في شيءٍ من هذه الأهواء، ولا أرى لأحدٍ أن يُناظرهم، أليس قال معاوية بن قُرَّة: الخصومة تُحبطُ الأعمال.

والكلام الرَّديء لا يدعو إلى خيرٍ، لا يُفلح صاحب كلامٍ، تَجَنَّبُوا أصحاب الجدال والكلام، عليكم بالسُّنن، وما كان عليه أهل العلم قبلكم، فإنهم كانوا يكرهون الكلام، والخوض مع أهل البدع، والجلوس معهم، وإنما السَّلامة في ترك هذا، لم نؤمر بالجدال والخصومات مع أهل الضلالة، فإنه سلامة له منه[(١)].

ـ وقال محمد بن يحيى بن منده: سمعت رُسْتَه يقول: قيل لعبدالرحمن بن مهدي: إن فلانًا قد صنَّفَ كتابًا في السُّنة ردًّا على فلان.

فقال عبد الرحمن: ردًّا بكتاب الله، وسُنة نبيه ﷺ؟

قيل: بكلام. قال: ردَّ باطلًا بباطِلٍ[(٢)].

فهذا هو (الدين) الذي أُمرنا به، وأُمرنا بنصره والذبِّ عنه، وهو الذي قال فيه الإمام حرب الكرماني رَحِمَهُ اللَّهُ في عقيدته التي أدرك عليها علماء عصره ونقلوا إجماع من قبلهم من الأئمة عليها: (كتابُ الله عَزَّ وَجَلَّ، وآثارٌ، وسُننٌ، وروايات صحاحٌ عن الثقاتِ بالأخبارِ الصحيحة القويةِ المعروفةِ المشهورة، يرويها الثِّقةُ الأولُ المعروف، عن الثاني الثقة المعروف، يصدِّق

---

(١) «الإبانة الكبرى» (٧٠٤).

(٢) «الحلية» (٩/ ١٠ ـ ١١).

بعضُهم بعضًا، حتى ينتهي ذلك إلى النبي ﷺ، أو أصحابِ النبيِّ، أو التابعين، أو تابعِ التابعين، أو مَن بعدهم مِن الأئمةِ المعروفين المُقتدى بهم، المُتمسِّكين بالسُّنةِ، والمُتعلِّقين بالأثرِ، الذين لا يُعرَفون ببدعةٍ، ولا يُطعنُ عليهم بكذِبٍ، ولا يُرمون بخلافٍ، وليسوا أصحاب قياسٍ، ولا رأيٍ؛ لأن القياسَ في الدِّينِ باطلٌ، والرَّأي كذلك وأبطل منه.اهـ.

فلما كانت هذه طريقتهم، وهذا سبيلهم؛ صاروا مُتَّفقين غير مُختلفين، متوافقين غير متباينين، وهذا من أدلِّ الدلائل وأوضح البراهين على صدقهم وصحَّة عقيدتهم ومذاهبهم، كما قال السمعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: ومما يدلُّ على أن أهل الحديث هم على الحقِّ، أنك لو طالعت جميع كتبهم المُصنَّفة من أولهم إلى آخرهم، قديمهم وحديثهم، مع اختلاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كل واحد منهم قطرًا من الأقطار؛ وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرةٍ واحدة، ونمطٍ واحدٍ، يجرون فيه على طريقة لا يحيدون عنها، ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد، ونقلهم واحد، لا ترى بينهم اختلافًا، ولا تفرُّقًا في شيء ما وإن قلَّ، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم، ونقلوه عن سلفهم، وجدته كأنه جاء من قلبٍ واحد، وجرى على لسان واحد، وهل على الحقِّ دليل أبين من هذا؟ قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء].

ولهذا أبى الله أن لا يكون الحقُّ والصوابُ إلَّا معهم ومع من سلك طريقهم، واقتفى آثارهم؛ لأنهم أخذوا دينهم وعقائدهم خلفًا عن سلفٍ، وقرنًا عن قرنٍ، بإسنادٍ مُتَّصلٍ إلى أن انتهوا إلى التابعين، وأخذ التابعون من أصحاب النبي ﷺ، ولا طريق إلى معرفة ما دعا إليه رسول الله ﷺ الناس من الدين المستقيم، والصراط القويم إلَّا هذا الطريق الذي سلكه

أهل الاتباع للأثر[١].

فلهذا قال المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: (علامة من أراد الله به خيرًا سلوك هذا الطريق: كتاب الله، وسُنن رسول الله ﷺ، وسُنن أصحابه رضي الله عنهم، ومن تبعهم بإحسان، وما كان عليه أئمة المسلمين في كل بلدٍ إلى آخر ما كان من العلماء، مثل: الأوزاعي، وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، والشافعي، وأحمد بن حنبل، والقاسم بن سلَّام، ومن كان على مثل طريقتهم، ومجانبة كل مذهبٍ يذُمه هؤلاء العلماء، وسنُبيِّن ما يرضونه إن شاء الله تعالى).

فبيَّن في كتابه هذا عقيدة علماء السنة وأئمة الدين ليسلكها الخلف فيسعدوا ويفوزوا وينجوا في الدنيا والآخرة.

* منهج المُصنِّف في كتابه:

• المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ قسَّم كتاب «الشريعة» إلى أبوابٍ كبيرةٍ جامعة في (الأسماء والأحكام، والقرآن، والصفات، والقدر، والإيمان، والسيرة، والصحابة رضي الله عنهم) وغيرها.

• يبتدئ كل كتاب من هذه الكتب بمُقدِّمة خاصّة به، وكأنَّه كتابٌ مُفرد، يُجمل فيه عقيدة أهل السنة والجماعة، ويُحذِّر ممن خالفهم من الفرق الضالة.

• ثم يُقسِّم هذا الكتب إلى أبوابٍ كثيرة، يُورد تحت كل بابٍ منها الأدلة عليه من الكتاب، والسُّنة، وآثار سلف الأُمَّة، مع التعليق والشرح والبيان بعباراتٍ مختصرة سهلة متينة تُفيد العالم، وتُبصِّر الجاهل، وبهذا الشرح امتاز كتاب «الشريعة» عن سائر كتب السنة المُتقدِّمة التي اقتصرت على ذكر الأسانيد والمتون من غير تعليق.

---

(١) انظر كتابه «الانتصار لأهل الحديث».

* ولقد حذا حذوه تلميذُه أبو عبد الله عُبيد الله ابن بَطَّة العُكبري المتوفى سَنة: (٣٨٧هـ) رَحِمَهُ اللهُ في كتابه «**الإبانة عن شريعةِ الفِرقةِ الناجيةِ ومُجانبة الفِرَقِ المذمومة**»، وهو المعروف بكتاب «**الإبانة الكُبرى**»، فقد ألَّف هذا الكتاب كالمستخرج على كتاب «الشريعة»، مع توسُّعٍ وتشعُّبٍ في الأبواب وما يورده من الآيات والأحاديث والآثار، مع حسن تعليقٍ وبيانٍ، ولقد ذكرتُ تحت كل بابٍ من أبواب «الشريعة» ما يشابهه من كتاب «**الإبانة**» حتى يظهر مدى التوافق والاختلاف بينهما.

* منهج المُصنِّف في الاحتجاج بالأحاديث والآثار:

* اعلم أن طريقة مُتقدِّمي علماء السُّنة في كتبهم: إيراد الأحاديث والآثار الصحيحة والضعيفة والتي في إسنادها مقال، وذلك من باب الاعتضاد، وذكر الشواهد والمتابعات للأصل الثابت المُتفق عليه بينهم، لا أنهم يحتجُّون بالأحاديث الضعيفة والواهية في إثبات العقيدة كما توهَّمه من تطاول عليهم حالًا أو مقالًا ممن تصدَّى لنشر كتبهم وتحقيقها.

فالآجري رَحِمَهُ اللهُ سار على هذه الطريقة ونهج هذا المنهج كغيره من أئمة السُّنة، فقد أورد تحت كل بابٍ ما سمعه من الأحاديث والآثار والأخبار والأشعار والمنامات والإسرائيليات التي يُستأنس بها في تقرير ما أجمع عليه سلف الأُمَّة في عقائدهم.

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في «الصفدية» (١/ ٢٨٧): والأئمة كانوا يروون ما في الباب من الأحاديث التي لم يُعْلم أنها كذب من المرفوع والمسند والموقوف وآثار الصحابة والتابعين؛ لأن ذلك يقوي بعضه بعضًا، كما تذكر المسألة من أصول الدين ويذكر فيها مذاهب الأئمة والسلف، فثَمَّ أمورٌ تُذكر للاعتماد، وأمورٌ تُذكر للاعتضاد، وأمورٌ تذكر لأنها لم يُعلم أنها من نوع الفساد.اهـ.

- وقال في «الانتصار لأهل الآثار» (١/ ٣٩): وأهل الحديث لا يستدلون بحديث ضعيف في نقض أصل عظيم من أصول الشريعة، بل إمَّا في تأييده، وإمَّا في فرعٍ من فروعه.اهـ.

- وقال في «بيان تلبيس الجهمية» (٧/ ٣٥٦): فإن ضعف إسناد الحديث لا يمنع أن يكون متنه ومعناه حقًّا، ولا يمنع أيضًا أن يكون له مِن الشَّواهد والمتابعات ما يُبيّن صحته.اهـ.

• ثم اعلم أن المُتقدِّمين من أئمة السُّنة والحديث كانوا يتساهلون في الحكم على الآثار المروية عن السلف صحَّةً وضعفًا، ولم يكونوا يتعاملون معها مُعاملة الأحاديث المرفوعة عن نبينا ﷺ، فكانوا يغتفرون يسير الضعف إذا لم يكن في الأثر ما يُنكر، وكان له ما يعضده من النصوص الثابتة.

ولقد سار على هذا المنهج كثيرٌ من مُتأخِّري أهل السُّنة في نقلهم لهذه الآثار في كتبهم في الاعتقاد دون ذكر ما فيها من الضعف اليسير، فتراهم ينقلونها ويستدلون بها على أهل البدع ولا يُبيِّنون حكمها صحةً وضعفًا ما لم تُخالف نصوص الكتاب والسنة أو ما أجمعوا عليه.

• وقد تساهل المُصنف رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب (فضائل الصحابة رضي الله عنهم) فأورد فيه كثيرًا من الأحاديث الضعيفة بل شديدة الضعف، ولعلَّ عُذره في ذلك ـ والعلم عند الله ـ أنها في أبواب الفضائل التي كان كثير من الأئمة المُتقدِّمين يتساهلون في إيراد هذه الأحاديث فيها.

- ففي «الجامع لأخلاق الراوي» (١٢٦٦) عن سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ قال: خذوا هذه الرغائب وهذه الفضائل من المشيخة، فأما الحلال والحرام فلا تأخذوه إلَّا عمن يعرف الزيادة فيه من النقص.

- وفيه أيضًا (١٢٦٧) عن عبد الرحمن بن مهدي رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: إذا روينا في الثواب والعقاب وفضائل الأعمال تساهلنا في الأسانيد

والرجال، وإذا روينا في الحلال والحرام والأحكام تشددنا في الرجال.

ـ وفي «تاريخ ابن معين» رواية الدوري (٢٣١) قال العباس: سمعت أحمد بن حنبل وسُئل وهو على باب أبي النضر هاشم بن القاسم، فقيل له: يا أبا عبد الله، ما تقول في موسى بن عبيدة الربذي، وفي محمد بن إسحاق؟

فقال: أما محمد بن إسحاق فهو رجل تُكتبُ عنه هذه الأحاديث، كأنه يعني: المغازي ونحوها.

وأما موسى بن عبيدة فلم يكن به بأس؛ ولكنه حدَّث بأحاديث مناكير عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ.

فأما إذا جاء الحلال والحرام أردنا قومًا هكذا. وقبض أبو الفضل على أصابع يديه الأربع من كل يد، ولم يضم الإبهام.اهـ.

ـ وعقد ابن أبي حاتم رحمه الله في «الجرح والتعديل» (٢/ ٣٠) بابًا في ذلك فقال: (باب في الأدب والمواعظ أنها تحتمل الرواية عن الضعاف).

ـ وقال الخطيب في «الكفاية» (ص١٣٣): (باب التشدد في أحاديث الأحكام، والتجوز في فضائل الأعمال)، قد ورد عن غير واحدٍ من السلف أنه لا يجوز حمل الأحاديث المُتعلّقة بالتحليل والتحريم إلَّا عمن كان بريئًا من التهمة، بعيدًا من الظنَّة، وأما أحاديث الترغيب والمواعظ ونحو ذلك فإنه يجوز كتبها عن سائر المشايخ.

قال ابن عيينة: لا تسمعوا من بقية ما كان في سُنةٍ، واسمعوا منه ما كان في ثواب وغيره.اهـ.

ـ وقال في «الجامع» (٢/ ١٢٢): وينبغي للمُحدِّث أن يتشدّد في أحاديث الأحكام التي يفصل بها بين الحلال والحرام، فلا يرويها إلَّا عن أهل المعرفة والحفظ، وذوي الإتقان والضبط، وأما الأحاديث التي تتعلق

بفضائل الأعمال وما في معناها فيحتمل روايتها عن عامة الشيوخ. اهـ.

ومنهم من توسَّع جدًّا في هذا الباب حتى روى أحاديث المتروكين والمُتَّهمين من الرواة في أبواب الفضائل، كحال ابن عبد البر.

ـ فقد قال في «جامع بيان العلم وفضله» (٩٣): هذا الحديث ضعيف؛ لأن أبا معمر عباد بن عبد الصمد انفرد به، وهو متروك الحديث، وأهل العلم بجماعتهم يتساهلون في الفضائل، فيروونها عن كلٍّ، وإنما يتشددون في أحاديث الأحكام.اهـ.

ـ وقال (٢١٣): أحاديث الفضائل تسامح العلماء قديمًا في روايتها عن كُلٍّ، ولم ينتقدوا فيها كانتقادهم في أحاديث الأحكام.اهـ.

ـ وقال في «الاستيعاب» (٣/ ١٣٩٣) مُعلِّقًا على حديث: إسناد هذا الحديث ضعيف، ولو كان فيه حُكمٌ لم أذكره؛ لأن رواته مجهولون، وعمارة بن زيد مُتَّهم بوضع الحديث، ولكنه في معنى حسن من أعلام النبوة، والأصول في مثله لا تدفعه، بل تُصحِّحه وتشهد له، والحمد لله. اهـ.

والمقصود من هذا كله بيان السبب الذي من أجله أورد المُصنِّف تلك الأحاديث الضعيفة والواهية في أبواب الفضائل في كتابه هذا.

وبعد، فهذا كتابٌ جليل القدر، كثير النفع، سهل العبارة، لا يستغني عنه صاحب سُنة واتباع يريد الوقوف على ما كان عليه سلف الأُمَّة في أبواب الاعتقاد.

ولا يزال أهل العلم يقرؤونه ويتدارسونه، ويفيدون منه في مُصنَّفاتهم وردودهم على المخالفين، فهو غُصَّة في حلوق الخوارج والمُرجئة والمُعطلة والقدرية والرافضة وسائر أهل البدع والأهواء المُخالفين لأهل السنة والأثر، ولهذا يطعنون فيه، وفي مؤلِّفه كما فعل أبو

المعالي الجويني - المُلقَّب بإمام الحرمين - في بعض تآليفه، فقال بعد تصريحه بالآجري: (ونبغت ناشئة ضَروا بنقل المُشكلات، وتدوين المُتشابهات، وتبويب أبواب، ورسم تراجم، على ترتيب فطرة المخلوقات، ورسموا بابًا في ضحك الباري، وبابًا في نزوله وانتقاله وعروجه ودخوله وخروجه.. تعالى الله عن قول الزائغين..)، حتى قال: (وليس يتعمد جمع هذه الأبواب، وتمهيد هذه الأنساب إلّا مُشبّه على التحقيق، أو متلاعب زنديق)[1].

وهذه الفرية هي سيمى الجهمية في كل مكان وزمان: افتراؤهم على أئمة السنة بالتشبيه والتجسيم فليس هو بغريبٍ على المُعطلة وافترائهم على أهل السنة والأثر.

ولقد دافع ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ عن الإمام الآجرى رَحِمَهُ اللهُ في هذا الافتراء، فقال في «التسعينية» (٣/ ٩١٣): (فإن هذا الكلام لا يقوله إلّا من كان من أبعد الناس عن معرفة هؤلاء الأئمة، وما نقلوه وصنّفوه، وقوله رجم بالغيب مِنْ مكانٍ بعيدٍ، فإن نقل هؤلاء الأئمة وأمثالهم لهذه الأحاديث، مما يعرفه من له أدنى نصيب من معرفة هؤلاء الأئمة، وهذه الأحاديث من هؤلاء وأمثالهم أخذت، وهم الذين أدوها إلى الأمة، والكذب في هذا الكلام أظهر من أن يحتاج إلى بيان، لكن قائله... كان قليل المعرفة بحال هؤلاء، وظنَّ أن نقل هذه الأحاديث لا يفعله إلّا الجاهل، الذين يسميهم المشبهة أو الزنادقة، وهؤلاء برآء عنده من ذلك، فتركب من قلة علمه بالحقّ، ومن هذا الظن الناشئ عن الاعتقاد الفاسد هذا الكلام، الذي فيه من الفرية والجهل والضلال ما لا يخفى على أدنى الرجال). اهـ.

---

(١) نقلًا من كتاب «التسعينية» لابن تيمية (٣/ ٩٠١).

- وقال (٣/ ٩٢٢): (ومن العجب أن الآجري يروي كتاب «الشريعة» له من طريق مالك والثوري والليث وغيرهم، فلو تأمل أبو المعالي وذووه الكتاب الذي أنكروه لوجدوا فيه ما يَخصِمهم، ولكن أبو المعالي.. كان قليل المعرفة بالآثار النبوية...) إلخ.

وأخيرًا أختم بما ختم به الآجري رحمه الله كتابه هذا بقوله: (قد رسمت في هذا الكتاب - وهو كتاب «الشريعة» - من أوله إلى آخره ما أعلم أن جميع من شمله الإسلام محتاجٌ إلى عِلمه لفساد مذاهب كثير من الناس، ولِمَا قد ظهرَ كثير من الأهواءِ الضَّالَّة، والبدع المتواترة ما أعلم أن أهل الحقّ تقوى به نفوسهم، ومقمعة لأهل البدع والضلالة على حسب ما علَّمني الله عز وجل، فالحمد لله على ذلك).

وصلّى الله على نبينا وآله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا.

كتبه
أبو عبد الله
عادل بن عبد الله آل حمدان
عفا الله عنه
adelalhmdan@gmail.com

نسبة الكتاب لمؤلِّفه

لم يُشكك أحدٌ من أهل العلم ـ فيما أعلم ـ في صحَّة نسبة هذا الكتاب إلى مصنفه، ومما يزيد ذلك تأكيدًا:

١ ـ الإسناد المتصل إلى مُصنفه كما هو مدوّن في النسخ الخطية.

٢ ـ وجود السماعات الكثيرة في نُسَخه.

٣ ـ أغلب من ترجم له ذَكَرَ اسم هذا الكتاب مع قائمة مصنفاته.

٤ ـ كثرة نقل أهل العلم من هذا الكتاب في مصنفاتهم، ومنهم:

أ ـ العمراني في «الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار»، قال في مقدمته وهو يتكلم عن مصادره: (نقلها أئمة الحديث في أصولهم المشهورة كالبخاري، والترمذي، ومحمد بن الحسين الآجري، واللالكائي. .) إلخ.

ب ـ ابن تيمية، فلا يكاد يخلو كتاب من كتبه في الاعتقاد مِنْ نقلٍ من كتاب «الشريعة»، أو إحالة إليه، وقد تقدم قريبًا دفاعه عن الآجري وكتابه.

ج ـ ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية»، فقد قال (ص٣٧٣): قول الحافظ أبي بكر الآجُرِّي إمام عصره في الحديث والفقه، قال في كتابه «الشريعة» (باب التحذير من مذهب الحلولية).

د ـ الذهبي في «العلو»، قال: (صنَّف الحافظ الزاهد أبو بكر محمد بن الحسين الآجري المجاور بحرم الله كتاب «الشريعة» في السنة).اهـ.

هـ ـ ابن رجب في كتابه «لطائف المعارف» (ص٨٠)، قال: (خرَّجه أبو بكر الآجري في كتاب «الشريعة»).اهـ.

و ـ الشاطبي في «الاعتصام» (٢/ ٧٥)، قال: (ذكره الآجري في كتاب «الشريعة»).اهـ.

وصف المخطوط

لكتاب «الشريعة» عدة نسخ خطية، وقد اعتمدت في إخراج هذا الكتاب على:

١ ـ نسخة محفوظة في مكتبة (عاطف بتركيا) برقم (١٣٦٠/ ١)، وتقع في (١٨٥) لوحة.

ويرجع تاريخها إلى سنة (٦٢٠هـ) كما هو مثبت في آخرها، وهي أقدم وأجود وأكمل الأصول التي وصل إليها الباحثون على الإطلاق.

وهي نسخة: عمر بن إبراهيم الحداد كما هو مثبت في آخرها.

وهذه نسخة تامة جيدة الخط، ملونة، وقد خلت في كثير من كلماتها من النقط، وقد اعتنى بها ناسخها اعتناء فائقًا، فهي مقابلة على أكثر من أصل خطي، وقد أثبت رَحِمَهُ اللهُ تلك الفروق في هامش نُسخته، وأشار إليها بـ (خ)، ـ يعني: وفي نسخة أُخرى ـ، وقد حرصت على ذِكر هذه الفروق في الحاشية.

وكثيرًا ما يكتب في هامشها: (بلغ السماع)، و(بلغ القراءة)، مما يدلُّ أيضًا على عنايته وضبطه لها رَحِمَهُ اللهُ.

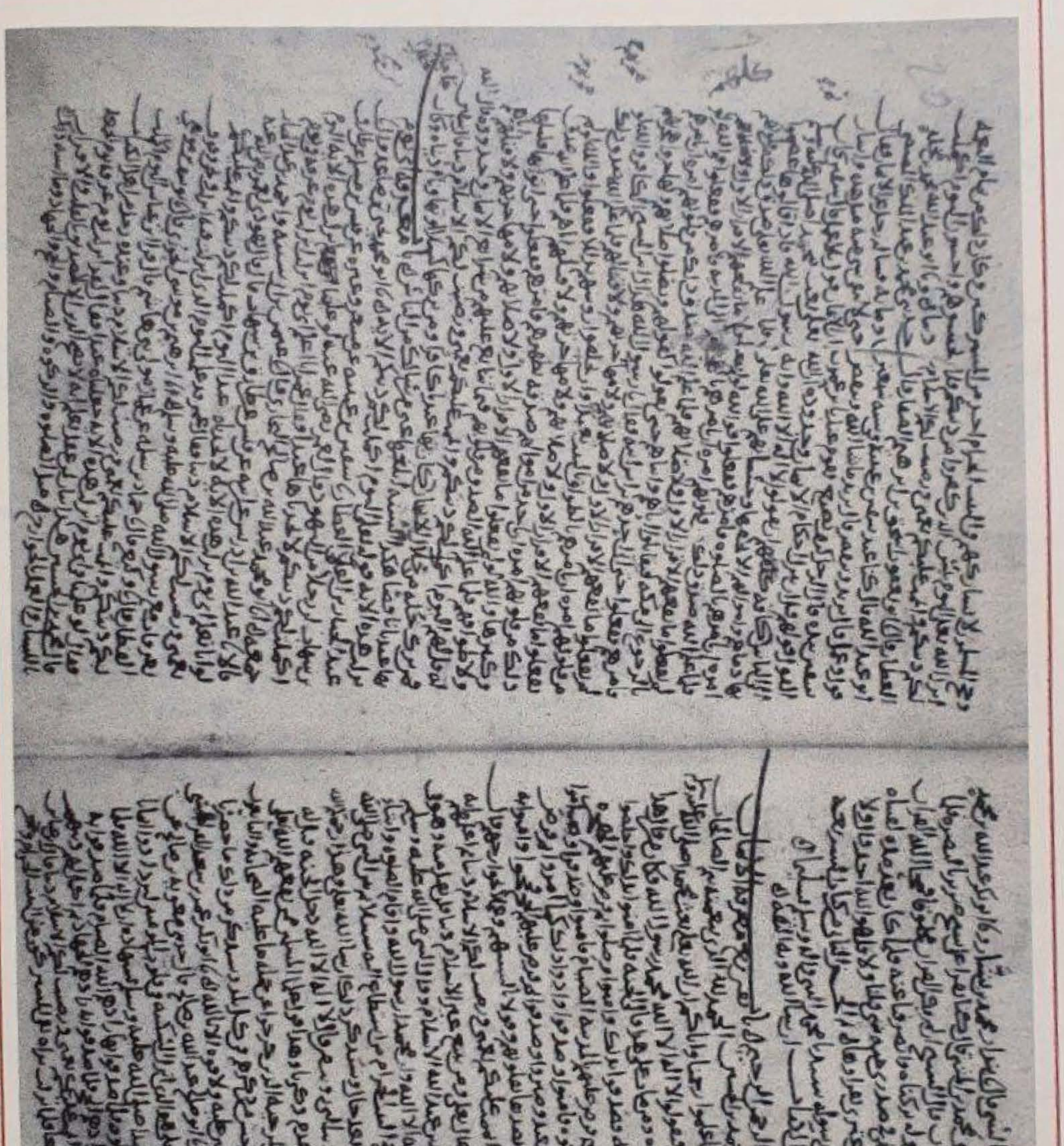
فلهذا حرصت أن أضبط الكتاب على هذه النسخة وأجعلها أصلًا في التحقيق.

٢ ـ نسخة بمكتبة (نور عثمان بتركيا) برقم (١١٩٦-١)، تقع في (٤٤٤) لوحة، وهي كاملة، قد كتبت بخط جميل جيد، وعليها تعليقات.

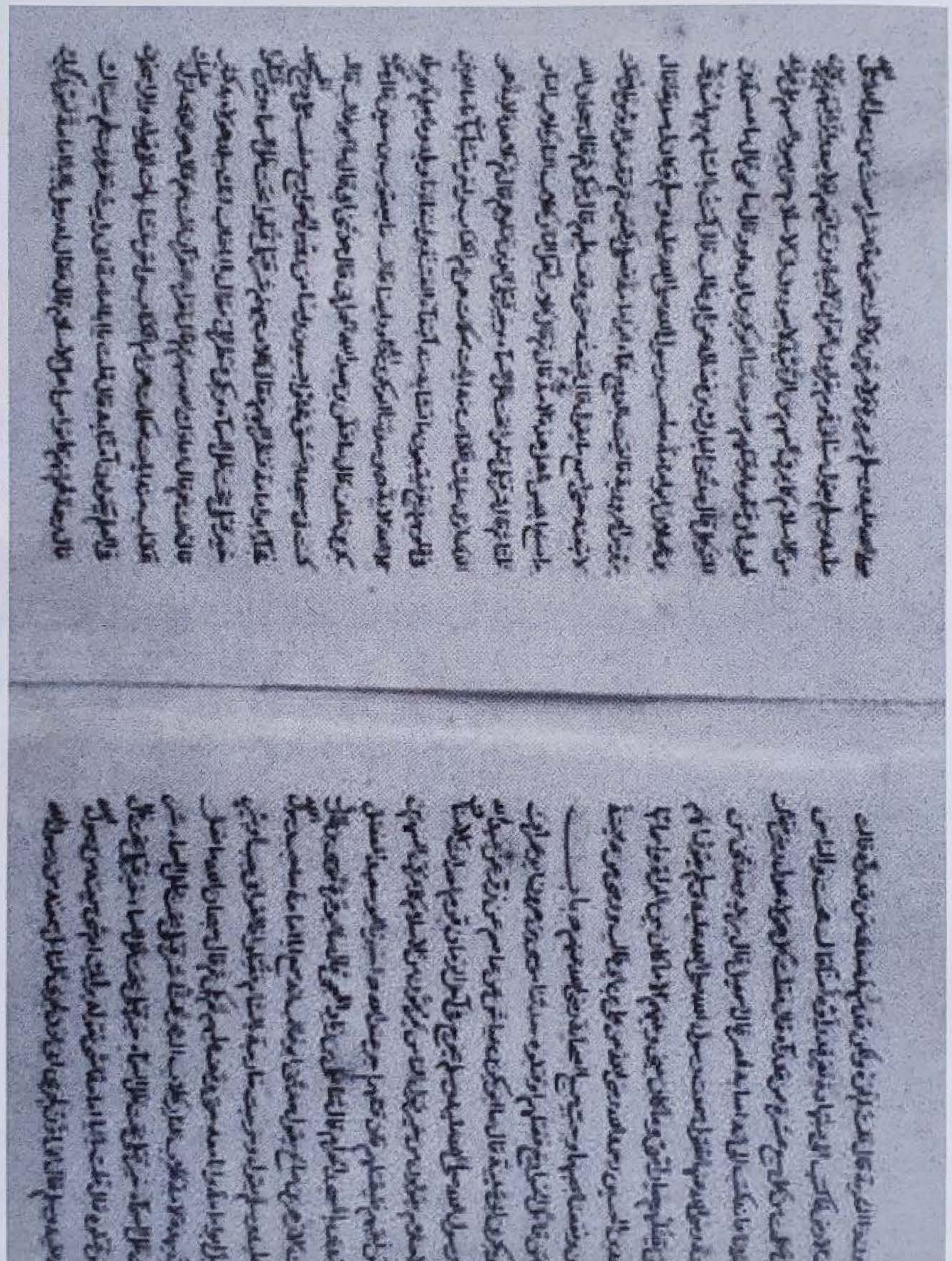
وقد كتب في نهايتها تاريخ نسخها: (١١٥٧هـ).

وهي منسوخة من الأولى، ومع ذلك وقع فيها بعض الفروق التي كان سببها عدم قراءة الناسخ لبعض الكلمات قراءة جيدة. ولهذا لم ألتزم ذكر هذه الفروق لظهور التصحيف فيها.

والكتاب قد نشر وحقق تحقيقات كثيرة، وهذا من نعمة الله تعالى على أهل السنة، وكل محققٍ قد امتاز على صاحبه بما يحسنه وبما وفقه الله إليه، وقد اطلعت عليها، وأفدت منها، فجزاهم الله خيرًا، ولا حرمهم الله أجر نشر السُّنة.



صورة المخطوط الأصل



صورة المخطوط (ب)

منهجي في التحقيق

١ - اقتصرت في ترجمة المصنف على ما في المجموعة الأولى.

٢ - ضبط المتن، وقد اجتهدت في ذلك قدر استطاعتي، فأثبتُّ النص كما هو إلَّا ما تَبيَّن لي أنه خطأ، وذلك لمخالفته للروايات الأخرى، فإذا تبين لي ذلك: فإني أثبت الصواب في الأصل، وأشير في الحاشية إلى ذلك.

٣ - خرَّجت الأحاديث تخريجًا مختصرًا، وأما الآثار فلم ألتزم تخريجها.

٤ - شرحت الغريب من الألفاظ.

٥ - أضفت الترضي على أصحاب النبي ﷺ، واستبدلت (كرم الله وجهه) بها، فإن هذا من عمل النُّسّاخ، ولم يكن معروفًا عند الأئمة الأوائل.

٦ - التعليق على بعض المسائل والآثار وما يحتاج إليه النص.

٧ - الفهارس:

أ - فهرس الآيات المفسرة.

ب - فهرس الأحاديث.

ج - فهرس أبواب السُّنة والاعتقاد.

د - فهرس الأبواب الفقهية والآداب.

هـ - فهرس الفرق والمذاهب.

و - فهرس الرجال المتكلم عليهم.

ز - فهرس أبواب الكتاب.

الجزء الأول

١ ـ باب ذكر الأمر بلزوم الجماعة والنهي عن الفُرقة بل الاتباع وترك الابتداع.

٢ ـ باب ذكر أمر النبي ﷺ أُمته بلزوم الجماعة وتحذيره إياهم الفُرقة.

٣ ـ باب ذكر افتراق الأُمم في دينهم، وعلى كم تفترق هذه الأُمة؟

٤ ـ باب ذكر خوف النبي ﷺ على أُمَّته وتحذيره إياهم سُنن من قبلهم من الأُمم

٥ ـ باب ذم الخوارج وسوءِ مذاهبهم، وإباحة قتالهم وثواب من قتلهم أو قتلوه

٦ ـ باب ذكر السُّنن والآثار فيما ذكرناه.

٧ ـ باب ذكر قتل علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه للخوارج مما أكرمه الله تعالى بقتالهم.

٨ ـ باب ذكر ثواب من قاتل الخوارج فقتلهم أو قتلوه.

٩ ـ باب في السمع والطاعة لمن ولي أمر المسلمين، والصبر عليهم وإن جاروا. وترك الخروج عليهم ما أقاموا الصلاة.

١٠ ـ باب فضل القعود في الفتنة عن الخوض فيها وتخوّف العُقلاءِ على قلوبهم أن تهوى حالًا يكرهه الله تعالى ولزوم البيوت والعبادة لله تعالى.

١١ ـ باب الحث على التمسُّكِ بكتابِ الله تعالى، وسُنة رسول الله ﷺ، وسُنة أصحابه ﷺ، وترك البدع، وترك النظر والجدال فيما يُخالَفُ فيه الكتابُ والسُّنةُ وقولُ الصحابة ﷺ.

١٢ ـ باب التحذير من طوائِف يُعارضون سُنن النبي ﷺ بكتاب الله تعالى وشِدَّة الإنكار على هذه الطبقة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد النبي، وعلى آله وصحبه وسلم.

[يقول]: عمر بن إبراهيم ـ عفا الله عنه ـ: أنا الفقيه الإمام أبو الحسن أحمد بن مُقبل ـ أيّده الله وسدَّده ـ، قال: [أنا] المفيد الإمام أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن مسعود البُرَيْهي رحمه الله، قال: أخبرني الفقيه الحافظ أبو الحسن علي بن أبي بكر بن حِمْيَر بن التُّبَّع بن فُضَيْل، قال: أنا الشيخ الفقيه أسعد بن خير بن يحيى بن عيسى بن مُلامس رضي الله عنه، عن أبيه خير بن يحيى، قال: ثنا أبو بكر أحمد بن محمد البزار المكي، عن محمد بن الحسين الآجري رحمة الله عليه.

قال محمد بن الحسين الآجري رحمه الله:

أحقُّ ما ابتدأتُ به الكلامَ: الحمدُ لله مولانا الكريم، وأجلُّ الحمدِ ما حَمِدَ به الكريمُ نفسَه، فأنا أحمده به: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة]، و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ [سبأ]، و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ [الأنعام]، و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ۝١١١﴾ [الإسراء].

أحمدُه شكرًا لما تفضَّل به علينا من نِعمه الدائِمة، وأياديه القديمة، حَمْدَ من يعلمُ أن مولاه الكريم يُحبُّ الحمد، فله الحمدُ على كل حال.

وصلى الله على البشير النذير، السراج المُنير، سيدِ ولدِ آدمَ ﷺ، المذكورِ نعتُه في التوراة والإنجيل، الخاتِمُ لجميع الأنبياء، ذلك محمد صلى الله عليه وعلى آله الطيبين، وعلى أصحابه المُنْتَخبين، وعلى أزواجه أُمهات المؤمنين، رزقنا الله وإياكم التمسُّك بطاعته، وبطاعة رسوله ﷺ، وبما كان عليه صحابتُه والتابعون لهم بإحسان، وبما كان عليه الأئمة من علماء المسلمين، وعصمنا وإياكم من الأهواء المُضلة، إنه سميع قريب.

١ ـ **حدثنا** أبو بكر جعفر بن محمد الفِرْيَابي، قال: ثنا قُتَيْبَةُ بن سعيد، [قال: ثنا سعيد[(١)] بن] عبد الجبار الحِمْصِي، قال: ثنا مُعاذ[(٢)] بن رِفاعة السُّلامي، قال: ثنا إبراهيم بن عبد الرحمن العُذْري: أن النبي ﷺ قال: «**يَحمِلُ هذا العلمَ من كلِّ خَلَفٍ**[(٣)] **عُدولُه، يَنفونَ عنه تحريفَ الغالين، وانتحالَ المُبطلين، وتأويلَ الجاهلين**»[(٤)].

(١) في الأصل لحق في الهامش ولكن لم أتبينه بسبب التصوير.
وفي (ب): (سعد). وما أثبته من ترجمته من «تاريخ الإسلام» (١٣٢).

(٢) كذا في الأصل و(ب)، وهو كذلك في بعض المصادر، والصواب: (معان) كما في كتب التراجم، وسيأتي كذلك زيادة بيان في التخريج.

(٣) في «النهاية» (٢/ ٦٥): الخَلَفُ بالتحريك والسُّكونِ: كلُّ مَن يجيءُ بعدَ مَن مضى، إلّا أنه بالتحريك في الخير، وبالتسكين في الشرّ. يقال: خَلَفُ صِدْقٍ، وخَلْفُ سوء. ومعناهما جميعًا القرن من الناس. والمراد في هذا الحديث المفتوح. اهـ.

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢/ ١٧)، والعُقيلي في «الضعفاء» (١/ ٣٤٣/ ط الرشد)، وابن عدي في «الكامل» (١/ ١٥٣)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٣٥).
وقد ذكر ابن القيم رحمه الله طرق هذا الحديث وألفاظه في «مفتاح دار السعادة» =

= (١/ ١٦٤)، ونقل عن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ تصحيحه.

- قال مُهنّا رَحِمَهُ اللَّهُ: سألت أحمد عن هذا الحديث.. فذكره، وقال له: كأنه موضوع؟

قال: لا، هو صحيح.

فقلت: ممن سمعته أنت؟ فقال: من غير واحدٍ.

- قال الأزهري رَحِمَهُ اللَّهُ في «تهذيب اللغة» (٧/ ١٧٨): قال شِمْرٌ: قال القَعنَبيُّ: سمعتُ رجلًا يُحدِّثُ مالك بن أنس بهذا الحديث فأعجَبَه. اهـ.

ومن أهل العلم من ضعف هذا الحديث ولم يقبله.

قال العُقيلي رَحِمَهُ اللَّهُ في «الضعفاء» في ترجمة معان: وسُئل ابن معين عن معان بن رفاعة، فقال: كان ضعيفًا. قال العُقيلي: ولا يُعرف إلَّا به، وقد رواه قومٌ مرفوعًا من جهة لا تثبت. اهـ.

* فائدة في ضابط العلماء الذين يُؤخذ عنهم العلم:

العلماء الذين يؤخذ عنهم العلم ويقتدى بهم، هم مَن كانوا على ما قاله حرب الكرماني رَحِمَهُ اللَّهُ في «اعتقاده» (٩١): كانوا أئمَّةً معروفين، ثقاتٍ، أهلَ صدقٍ وأمانةٍ، يُقتدى بهم، ويؤخذُ عنهم. ولم يكونوا أصحابَ بدعٍ، ولا خلافٍ، ولا تخليطٍ. اهـ.

فليس ضابط العلماء الربانيين المُقتدى بهم عند أهل السنة: كثرة التأليف ولا الحفظ، ولا كثرة الروايات والإجازات والمتون والمنظومات، وإنما هو الاتباع للكتاب والسُّنة وما كان عليه سلف الأمة، ولا يكون هذا إلَّا بتوفيق الله تعالى، ثم بطلب علم الكتاب والسُّنة والاقتداء بما كان عليه سلف الأمة في عقائدهم ومعاملاتهم.

- ففي «سير السلف الصالحين» (٣/ ١٣٢٥) قال إبراهيم الخوَّاص: ليس العلم بكثرة الرواية، إنما العلم لمن اتبع العلم واستعمله، واقتدى بالسُّنن وإن كان قليل العلم.

- وقال قوام السُّنة التيمي رَحِمَهُ اللَّهُ في «الحُجَّة في بيان المحجَّة» (٢/ ٥٠٤): قال أهل السنة: وليس العلم بكثرة الرواية، وإنما هو الاتباع والاستعمال، يقتدى بالصحابة والتابعين وإن كان قليل العلم، ومن خالف الصحابة والتابعين فهو ضالّ، وإن كان كثير العلم. اهـ. =

ـ وقال البربهاري رَحِمَهُ اللهُ: اعلم أن العلم ليس بكثرةِ الرِّوايةِ والكُتبِ؛ ولكن العالم: مَن اتبع الكتابَ والسُّنة، وإن كان قَليل العلمِ والكتبِ، ومن خالفَ الكتابَ والسُّنة فهو صَاحبُ بدعةٍ، وإن كان كثيرَ الرِّواية والكُتب. «طبقات الحنابلة» (٢/ ٣٠).

ـ وقال أيضًا في «شرح السُّنة» (١٤٤): فاللهَ اللهَ في نفسك، وعليك بالأثر، وأصحاب الأثر، والتقليدِ، فإن الدين إنما هو التقليد ـ يعني: للنبي ﷺ، وأصحابه ﷺ ـ، ومَنْ قَبْلَنا لم يَدَعونا في لَبسٍ، فقلِّدهم واسترح، ولا تُجاوِز الأثرَ وأهلَ الأثر. اهـ.

ـ وقال إسحاق بن راهويه رَحِمَهُ اللهُ: إنما نحن أصحاب اتباع وتقليد لأئمتنا وأسلافنا الماضين رحمهم الله، لا نُحْدِث حَدَثًا ليس في كتاب الله، ولا في سُنة رسول الله ﷺ، ولا قاله إمام. «السُّنة» للخلال (٢١٧٩).

ـ وعند اللالكائي (١٠٩) قال إبراهيم الحربي في قوله: (لا يزالون بخير ما أتاهم العلم من قبل كُبرائهم) معناه: أن الصغير إذا أخذ بقول رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين فهو كبير، والشيخ الكبير إن أخذ بقول أبي حنيفة وترك السُّنن فهو صغير. اهـ.

ـ وقال السِّجْزِيّ رَحِمَهُ اللهُ في «رسالته إلى أهل زبيد» (ص٣٤٠): فالمُتَّبِع للأثر يجب تقديمه وإكرامه، وإن كان صغيرَ السنِّ غيرَ نسيب، والمخالف له يلزم اجتنابه، وإن كان مُسنًّا شريفًا. اهـ.

ـ وفي «شرف أصحاب الحديث» (٦) قال الفضل بن زياد: سألت أبا عبد الله ـ يعني: أحمد بن حنبل ـ عن الكرابيسي، وما أظهر، فكلَّح وجهه، ثم قال: إنما جاء بلاؤهم من هذه الكتب التي وضعوها، تركوا آثار رسول الله ﷺ وأصحابه، وأقبلوا على هذه الكتب.

قلت: قد ضيّع كثير من المتأخرين هذا الضابط فأصبحوا يطلقون على أئمة القبورية والجهمية والمعطلة ومن خالف أهل السُّنة في عقائدهم ومناهجهم أوصاف المدح والثناء والإمامة في الدين لمجرد انتسابهم للعلم أو اشتهارهم بالعبادة! وهذا يخالف ما كان عليه أئمة السُّنة.

ـ ففي «طبقات الحنابلة» (٢/ ١٤٩) قال علي بن أبي خالد: قلت لأحمد ـ بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ ـ: إن هذا الشيخ ـ لشيخ حضر معنا ـ هو جاري، وقد نهيتُه =

عن رجل، ويحب أن يسمع قولك فيه: حارث القصير - يعني: حارثًا المحاسبي - وكنتَ رأيتني معه منذ سنين كثيرة، فقلتَ لي: لا تُجالسه، ولا تُكلمه. فلم أكلمه حتى الساعة، وهذا الشيخ يُجالسه، فما تقول فيه؟

فرأيت أحمد قد احمرَّ لونه، وانتفخت أوداجه وعيناه، وما رأيته هكذا قط، وجعل ينتفض ويقول: ذاك؟ فعلَ الله به وفعل، ليس يَعرِفُ ذاك إلَّا من خبره، وعرفه، أويه، أويه، أويه، ذاك لا يعرفه إلَّا من قد خبره وعرفه، ذاك جالسه: المغازلي، ويعقوب، وفلان، فأخرجهم إلى رأي جهم، هلكوا بسببه.

فقال له الشيخ: يا أبا عبد الله، يروي الحديث، ساكن خاشع، من قِصَّته، ومن قِصَّته!! فغضب أبو عبد الله، وجعل يقول: لا يغرَّك خشوعه ولينه، ويقول: لا تغترُّوا يُنكِّس رأسه، فإنه رجل سوء، ذاك لا يعرفه إلَّا من قد خبره، لا تكلمه، ولا كرامة له، كل من حدَّث بأحاديث رسول الله ﷺ وكان مبتدعًا تجلس إليه؟! لا، ولا كرامة، ولا نعمة عين، وجعل يقول: ذاك، ذاك.

- وفي «الحلية» (٣/ ١٦٧) عن عامر بن عبد الله بن الزبير، قال: جئت أبي، فقال: أين كنت؟ فقلت: وجدت أقوامًا ما رأيتُ خيرًا منهم، يذكرون الله تعالى، فيرعد أحدهم حتى يغشى عليه من خشية الله تعالى، فقعدت معهم.

قال: لا تقعد معهم بعدها. فرأى كأنه لم يأخذ ذلك فيَّ، فقال: رأيت رسول الله ﷺ يتلو القرآن، ورأيتُ أبا بكر وعمر يتلوان القرآن فلا يصيبهم هذا، أفتراهم أخشع لله تعالى من أبي بكر وعمر؟! فرأيتُ أن ذلك كذلك، فتركتهم.

- وفي «الضعفاء» للعُقيلي (٦/ ٢١) قال أبو بكر: كنا عند ابن عيينة، فجاءه منصور بن عمَّار، فسأله عن القرآن، فزبره، وأشار عليه بالعُكَّاز، وانتهره، فقيل له: يا أبا محمد، إنه رجل عابد وناسك. فقال: ما أراه إلَّا شيطانًا.

- وفي «الحلية» (٩/ ٨) عن عبد الرحمن بن عمر قال: ذُكر عند عبد الرحمن بن مهدي قوم من أهل البدع، واجتهادهم في العبادة، فقال: لا يقبل الله إلَّا ما كان على الأمر والسُّنة. ثم قرأ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد: ٢٧]، فلم يقبل ذلك منهم، ووبخهم عليه، ثم قال: الزم الطريق والسُّنة.

=

= - وفي «الحُجَّة على تارك المحجة» (٣٢٣) قال حميد الطويل: دخلنا على أبي العالية الرياحي ونحن شَبَبَةٌ، فقال: أرى عليكم من الإسلام سِيما خير، إن لم تكونوا حرورية أو من أصحاب الأهواء.

- وعند اللالكائي (٢٤٤) عن ابن شوذب قال: قلت لكثير بن زياد: ما أَحْسَنَ سَمْتَ فلان! قال: إن ذاك الذي ترى قلَّ ما كان إلَّا في ذي هوى.

قلت: وسبب ذلك أن الشيطان يحب منه أن يظهر تنسُّكه وعبادته وهو قائم على بدعته وضلاله ليغترَّ به العامة فيقتدوا به ويتبعوه على ضلاله وبدعته، كما قال بعض السلف: إذا أصاب الشيطان منه حاجته، جعله مصيدة يصطاد بها الخلق، إذا نظر الناس إليه وإلى عبادته وزهده وورعه وصبره قالوا: هذا المصيب حقًّا، هذا العالم حقًّا، هذا الصالح حقًّا؛ فيتبعونه.

- قال البربهاري رحمه الله في «شرح السنة» (١٥٤): إذا رأيت الرجل عابدًا مجتهدًا في العبادة - وإن بدا متقشفًا مُحترقًا بالعبادة - صاحب هوى فلا تُجالسْه، ولا تقعدْ معه، ولا تسمعْ كلامه ولا تمش معه في طريق، فإني لا آمن أن تَسْتَحلي طريقته فتهلك معه. اهـ.

قلت: وهذا عَمرو بن عُبيد إمام في الضلالة والاعتزال يذكرون من خشوعه وزهده وورعه الشيء الكثير، حتى قال سفيان رحمه الله: رأى الحسنُ أيوبَ، فقال: هذا سيد شباب أهل البصرة. قال: ورأى عَمروَ بن عُبيد يومًا، فقال: هذا سيد شباب أهل البصرة إن لم يُحدِث. «تاريخ بغداد» (١٤/ ٦٨).

وقد انخدع الكثير به حتى الخليفة المنصور، فقد كان يُعظِّمه لما يرى من عبادته وزهده ويقول فيه:

(كلكم يمشي رويد.. كلكم يطلب صيد.. غير عَمرو بن عُبيد).

وقد ذكروا من صلاته وعبادته وتنسكه الشيء الكثير، ومع ذلك لم يمنعهم ذلك من التحذير منه ومن بدعته لَمَّا خالف السُّنة وأفسد عقيدته.

- ففي «الكامل» لابن عدي (٥/ ٩٦) قال أيوب السختياني رحمه الله: لا تَعُدَّنَّ لصاحب بدعة عقلًا، ما عَددتُ عَمروَ بن عُبيد عاقلًا قطُّ.

- وفي «تاريخ بغداد» (١٦/ ٢٠٣) قال عاصم الأحول: جلست إلى قتادة، فذكر عَمرو بن عُبيد فوقع فيه، فقلت له: يا أبا الخطاب، ألا أرى العلماء يقع بعضهم في بعض؟! =

فقال: يا أحول، أولا تدري أن الرجل إذا ابتدع بدعة فينبغي لها أن تُذكر حتى تحذر؟

قال: فجئت من عند قتادة وأنا مُهتَمٌّ بقوله في عَمرو بن عُبيد، وما رأيت من نُسك عَمرو بن عبيد، فوضعت رأسي في نصف النهار، فإذا أنا بعمرو بن عبيد في النوم، والمصحف في حجره، وهو يحُك آية من كتاب اللَّه، فقلت: سبحان اللَّه! تحك آية من كتاب الله؟! فقال: إني سأعيدها. فتركته حتى حكَّها، فقلت له: أعِدْها، فقال: لا أستطيع.

- وفي «الضعفاء» (٣/ ٢٧٩) قال قريش بن أنس: وما تصنع بعَمرو بن عبيد، كَفٌّ من ترابٍ خيرٌ منه.

وهذا طَلْقُ بن حبيب كان مذكورًا بالعبادة والزهد والصلاح، حتى قال طاووس: كنت أطوف معه - فذكر وحلف -، ما رأيت أحدًا من الناس أحسن صوتًا بالقرآن من طلق بن حبيب، وكان ممن يخشى الله.

وكان يقول: أحسن الناس قراءة، الذي إذا سمعته يقرأ حسبت أنه يخشى الله، وكان طلق كذلك.

قلت: ثم لما أحدث وصار مرجئًا وداعية إلى الإرجاء حذر منه السلف ومن مماشاته.

- ففي «مسائل» حرب (٢٣٨٦) عن أيوب، قال: رآني سعيد بن جُبير مع طلق بن حبيب، فقال: لِمَ أراك مع طلق؟ لا تُجالسنه. وقال: ما أدركت بالبصرة رجلًا كان أبر بوالديه منه، ولا أعبد منه.

- وعند اللالكائي (١٦٦٢) قال أيوب السختياني: رآني سعيد بن جُبير وأنا جالس إلى طلق بن حبيب، - قال أيوب: وما أدركت بالبصرة أعبد منه، ولا أبرَّ بوالديه منه، يعني: من طلق -، وكان يرى رأي المرجئة.

فقال سعيد: ألم أرك جالسًا إليه! لا تُجالسه.

قال أيوب: وكان والله ناصحًا، وما استشرته.

- وفي «الضعفاء» (٢/ ٢٩٢) عن عبد العزيز بن محمد قال: كان صفوان بن سليم لا تمرُّ جنازة إلَّا ذهب فصلَّى عليها، فمرَّت به جنازة فاتكأ على يدي، فلما بلغ الباب سأل: من هي؟

قالوا: عبد الله بن أبي لبيد، فرجع ولم يُصلِّ عليه.

٢ ـ حدثنا أبو عبد الله أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي، قال: ثنا أبو الربيع الزَّهْرَانِيّ، قال: ثنا حماد بن زيد، عن بَقِيَّة بن الوليد، عن مُعاذ[1] بن رِفاعة، عن إبراهيم بن عبد الرحمٰن العذري، قال: قال رسول الله ﷺ: «يحملُ هذا

قال عبد العزيز: كان والله مجتهدًا في العبادة؛ ولكنه كان يُتّهم بالقدر.

قلت: وهؤلاء الخوارج مع ما وُصِفوا به من كثرة الاجتهاد في العبادة وقراءة القرآن حتى فاقوا أصحاب النبي ﷺ في ذلك، فليس ذلك بنافعٍ لهم، وهم كِلاب النار، وسيأتي قول المُصنف فيهم (٤٤): الخوارج قومُ سُوءٍ، عصاة لله تعالى ولرسوله ﷺ، وإن صَلَّوْا وصاموا، واجتهدوا في العبادة، فليس ذلك بنافعٍ لهم، نعم ويُظهرون الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وليس ذلك بنافعٍ لهم؛ لأنهم قومٌ يتأوَّلون القرآن على ما يَهْوَوْن، يُمَوِّهون على المسلمين. اهـ.

وأسند عن ابن عباس ﷺ أنه ذُكِرَ له اجتهادُ الخوارج في العبادة، فقال: ليس هم بأشدَّ اجتهادًا من اليهود والنصارى؛ وهم على ضلالة.

ـ وقال المُصنّف أيضًا (٥٨): فلا ينبغي لمن رأى اجتهاد خارجيٍّ.. أن يغترَّ بقراءته للقرآن، ولا بطولِ قيامه في الصلاة، ولا بدوام صومه، ولا بحُسن ألفاظه في العلم إذا كان مذهبه مذهبَ الخوارج. اهـ.

ـ قال الشيخ المجدد إمام الدعوة محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في «الدرر السنية» (٢/ ١٣): قال سبحانه في علماء أهل الكتاب وعُبَّادِهم وقُرَّائهم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف]، وقال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾﴾ [الغاشية]. وهذه الآيات ليست في أهل الكتاب خاصّة، بل كل من اجتهد في علمٍ أو عملٍ أو قراءةٍ وليس موافقًا لشريعة محمد ﷺ فهو من الأخسرين أعمالاً، الذين ذكرهم الله تعالى في محكم كتابه العزيز، وإن كان له ذكاء، وفطنة، وفيه زهد وأخلاق، فهذا العذر لا يوجب السعادة والنجاة من العذاب إلَّا باتباع الكتاب والسُّنة. اهـ.

وانظر التعليق على قول المُصنف، وكذلك التعليق على الأثرين التاليين ففيهما زيادة بيان.

(١) كذا في الأصل، و(ب). والصواب: (معان) كما تقدم.

العِلْمَ من كلِّ خَلَفٍ عُدولُه، يَنفُونَ عنه تحريفَ الغالين، وانتحالَ المُبطلين، وتأويلَ الجاهلين»[(١)].

٣ ـ حدثنا محمد بن بُكَيْر[(٢)]، عن جعفر بن سليمان، عن عبد الصمد بن مَعْقِل، عن وهب بن مُنبِّه، قال: الفقيه: العفيف، الزاهد، المتمسِّك [بالسُّنة]؛ أولئك أتباع الأنبياء في كلِّ زمان[(٣)].

---

(١) قال الخطيب البغدادي: وهذه شهادة من رسول الله ﷺ بأنهم أعلام الدين، وأئمة المسلمين، لحفظهم الشريعةَ من التحريف، والانتحالِ للباطل، ورد تأويل الأبله الجاهل، وأنه يجب الرجوع إليهم، والمعول في أمر الدين عليهم ﷺ. «تفسير القرطبي» (١/ ٣٦).

(٢) أشار الناسخ أن في أول الإسناد سقطًا، ولكنه لم يذكره!
ومحمد بن بُكير بن واصل البغدادي توفي سنة (٢٠٢هـ)، وعليه فإن المُصنف لم يدركه.
والأثر في «الإبانة الكبرى» (٤٠) من طريق عبد الله بن الوليد بن جرير، قال: ثنا عبد الوهاب الورَّاق، قال: ثنا محمد بن بُكير.. فذكره.
ثم قال ابن بطة رحمه الله: جعلنا الله وإياكم ممن أعزَّ أمر الله؛ فأعزَّه، واتقى الله؛ فكفاه، ولجأ إلى مولاه الكريم؛ فتوَّلاه. اهـ.

(٣) ليس الفقيه عند السلف الصالح مَنْ أكثر حفظ المتون والمنظومات من غير دليل ولا أثر ولا اتباع ولا عمل ولا خشية، كما تقدم في التعليق السابق.
وآثار السلف في بيان حقيقة (الفقيه) حقًّا وصدقًا كثيرة، ومن ذلك:
ـ ما رواه ابن بطة في «إبطال الحيل» (٥٨) عن مطر الورَّاق، قال: سألت الحسن البصري عن مسألة، فقال فيها.
فقلت: يا أبا سعيد، يأبى عليك الفقهاء.
فقال الحسن: ثَكِلَتْك أُمُّك يا مطر! وهل رأيت بعينيك فقيهًا قط؟!
وقال: أتدري ما الفقيه؟ (الفقيه): الورع، الزاهد، المقيم على سُنة رسول الله ﷺ، الذي لا يسخر بمن أسفل منه، ولا يهزأ بمن فوقه، ولا يأخذ على علم علَّمه الله إياه حُطامًا.
ـ وفي «الفقيه والمُتفقه» (٢/ ٣٤١) عن ابن عون، قال: سُئل الحسن عن رجلٍ، فقال رجل: يا أبا سعيد، الرجل الفقيه؟
=

قال: وهل رأيت بعينيك فقيهًا قط؟! إنما الفقيه الذي يخشى الله ﷻ.

- وفيه: عن الضحاك، قال: لقي ابنُ عمر ﷺ جابر بن زيد وهو يطوف بالكعبة، فقال: يا جابر، إنك من فقهاء البصرة، وإنك تُستفتى، فلا تفتين إلَّا بقرآن ناطق، أو سنة ماضية، فإنك إن فعلت ذلك، وإلَّا فقد هلكت وأهلكت.

- وعن أبي نضرة، قال: قدم أبو سلمة وهو ابن عبد الرحمٰن، فنزل دار أبي بشير، فأتيت الحسن، فقلت: إن أبا سلمة قَدِم وهو قاضي المدينة وفقيههم، انطلق بنا إليه، فأتيناه، فلما رأى الحسن، قال: من أنت؟

قال: أنا الحسن بن أبي الحسن.

قال: ما كان بهذا المِصْرِ أحدٌ أحبَّ إليَّ أن ألقاه منك، وذلك أنه بلغني أنك تفتي الناس، فاتق الله يا حسن! وأفت الناس بما أقول لك: أفتهم بشيء من القرآن قد علمته، أو سنةٍ ماضية قد سنها الصالحون والخلفاء، وانظر رأيك الذي هو رأيك فألقه.

قال الخطيب البغدادي: ولن يقدر المُفتي على هذا إلَّا أن يكون قد أكثر من كتاب الأثر، وسماع الحديث.

- قال المروذي رحمه الله في «الورع» (٤٠٠): قلت لأبي عبد الله [أحمد بن حنبل]: قد قيل لابن المبارك: كيف يُعرف العالمُ الصادق؟

فقال: الذي يزهد في الدنيا، ويقبل على أمر آخرته. فقال أبو عبد الله: نعم.

- وأسند عن الحسن بن إسماعيل، قال: قيل لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، وأنا أسمع: يا أبا عبد الله، كم يكفي الرجل من الحديث حتى يُمكنه أن يُفتي؟ يكفيه مائة ألف؟ قال: لا. قيل: مائتا ألف؟ قال: لا. قيل: ثلاثمائة ألف؟ قال: لا. قيل: أربعمائة ألف؟ قال: لا. قيل: خمسمائة ألف؟ قال: أرجو.

- وفي «ذم الكلام» (٢٣٤) عن محمد بن عبد الوهاب قال: قلت لعلي بن عثَّام: رجلٌ يقول: ليس في حديث رسول الله ﷺ فقهٌ!

فقال: هذا فاجر، فأين الفقه وأين الخير إلَّا فيه؟!.

قلت: فإذا كان هذا وصف الفقيه في أبواب الفقه الاجتهادية، فكيف سيكون حاله في أبواب العقائد والتوحيد التي لا يسوغ فيها الاجتهاد وإدخال =

قال محمد بن الحسين:

جعلنا الله وإياكم ممن تحيا بهم السُّنن، وتموت بهم البدع، وتقوى بهم قلوب أهل الحق، وتنقمع بهم [نفوس] أهل الأهواءِ، بمَنِّه وكرمه(١).

الرأي، وإنما هو الاتباع المحض لما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ومن تبعهم بإحسان من أئمة السنة والدين، فإذا رمت اللحاق بهم فسل ربك التوفيق والبصيرة والهداية، وأدم النظر في كتب السلف وأئمة السُّنة الأوائل المبنية على الكتاب والسنة والآثار، الخالية من علم الكلام والمنطق الذي فتح على الناس أبواب الزندقة والكفر والبدعة ومخالفة السُّنة.

ـ قال الشيخُ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن رَحِمَهُ اللَّهُ في «الدرر السنية» (٣/ ٢٨٨): فالواجب على من له نهمة في الخير، وطلب العلم: أن يبحث عن مذاهب السَّلف، وأقوالهم في هذا الأصل العظيم [يعني: التوحيد]، الذي قد يكفر الإنسان بالغلطِ فيه، ويعرف مذاهب الناس في مثل ذلك، وأن يطلب العلم من مَعدنه ومشكاته، وهو ما جاء به محمد ﷺ من الكتاب، والحِكمة، وما كان عليه سلف الأُمَّة... فإذا وُفِّقَ العبد لهذا، وبحث عن تفاسير السَّلف، وأئمة الهُدى، ورُزِقَ مع ذلك مُعلِّمًا من أهلِ السُّنة؛ فقد احتضنته السَّعادة، ونزلت به أسباب التوفيق والسِّيادة، وإن كان نَظرُ العبد وميله إلى كلام اليونان، وأهل المنطق والكلام، ومشايخه مِن أهلِ البدعة والجدل، فقد احتوشته أسباب الشّقاوة، ونزلت وحَلَّت قريبًا من دارِه موجبات الطرد عن مائدة الرَّبِّ وكتابه، ومن عدم العلم، فليبتهل إلى مُعلِّم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في أن يهديه صراطه المستقيم. اهـ.

(١) في «الإبانة الكبرى» (٤٤) عن سلمة بن سعيد قال: كان يقال: العلماء سرج الأزمنة، فكل عالم مصباح زمانه؛ فبه يستضيء أهل عصره.

قال: وكان يقال: العلماء تنسخ مكايد الشيطان.

قال ابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ: جعلنا الله وإياكم ممن يحيا به الحقّ والسُّنن، ويموت به الباطل والبدع، ويستضيء بنور علمه أهل زمانه، وتقوى به قلوب المؤمنين من إخوانه. اهـ.

ـ وفي «السير» (٨/ ٢٥٣) قال أبو زرعة: سمعت قُتيبة بن سعيد يقول: مات الثوري ومات الورع، ومات الشافعي وماتت السُّنن، ويموت أحمد بن حنبل وتظهر البدع.

١ ـ بَاب

ذكر الأمر بلزوم الجماعة
والنهي عن الفُرقة بل الاتباع وترك الابتداع(١)

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٤ ـ إن الله عَزَّ وَجَلَّ بمَنِّه وفضله أخبرنا في كتابه عمن تقدَّم من أهل الكتابين اليهود والنصارى: أنهم إنما هلكوا لما افترقوا [في دينـ]ـهم.

وأعلَمَنا مولانا الكريم: أن الذي حملهم على الفُرقة عن الجماعة، والميل إلى الباطل الذي نهوا [عنه، إنما هو: البغي(٢) و] الحسد، بعد أن قد علموا ما لم يعلم غيرهم، فحملهم شدَّةُ البغي [والحسد إلى أن صاروا] فِرَقًا فهلكوا(٣).

فحذَّرنا مولانا الكريم أن نكون مثلهم فنهلَكَ كما هلكوا، [٢/ب] بل أمرنا عَزَّ وَجَلَّ بلزوم الجماعة، ونهانا عن الفُرقة.

---

(١) عقد ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإبانة الكبرى» بابًا نحوه، فقال: (٤/باب ذكر ما نطق به الكتاب نصًّا في مُحكم التنزيل بلزوم الجماعة والنهي عن الفرقة).

(٢) وهو التعدِّي والظلم، وأصل البغي: مجاوزة الحد.

(٣) قال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإبانة الكبرى» (١١٥): أعلمنا تعالى أن السبب الذي أخرجهم إلى الفُرقة بعد الأُلفة، والاختلاف بعد الائتلاف: هو شِدَّة الحسد من بعضهم لبعض، وبغي بعضهم على بعضٍ. فأخرجهم ذلك إلى الجحود بالحقِّ بعد معرفته، وردُّهم البيان الواضح بعد صحَّته... ولقد رأينا ذلك في كثيرٍ من أهل عصرنا، وطوائف ممن يدَّعي أنه من أهل مِلتنا. اهـ.

قلت: فكيف لو أدرك أهل زماننا هذا؟! إذن لرأى العجب، فنسأل الله =

وكذلك حذَّرنا النبي ﷺ من الفُرقة، وأمرنا بالجماعة.

وكذلك حذَّرنا أئِمتُنا ممن سلف من علماء المسلمين؛ كلهم يأمرون بلزوم الجماعة، وينهون عن الفُرقة(١).

الهداية والتوفيق.

(١) قال الترمذي رحمه الله في «السُّنن» (٤/٤٦٦): وتفسير (الجماعة) عند أهل العلم هم: أهل الفقه، والعلم، والحديث. . اهـ.

وقد تقدم بيان ضابط أهل هذه الصفات في التعليق على الحديث الأول.

ـ وقال البربهاري رحمه الله في «شرح السُّنة» (٣): والأساسُ الذي تُبنى عليه الجماعة: هم أصحاب محمد ﷺ، ورحمهم أجمعين، وهم أهل السُّنة والجماعة، فمن لم يأخذ عنهم فقد ضلَّ وابتدع، وكل بدعة ضلالة، والضَّلال وأهله في النار. اهـ.

ـ وفي كتاب «الباعث على إنكار البدع والحوادث» (ص٩١): حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة، فالمراد به: لزومُ الحقِّ واتِّباعه، وإن كان المُتمسِّك به قليلًا، والمخالف كثيرًا؛ لأن الحقَّ هو الذي كانت عليه الجماعةُ الأولى من عَهدِ النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، ولا نظر إلى كثرةِ أهلِ البدعِ بعدهم. . . قال مُعاذ رضي الله عنه: . . الجماعةُ ما وافقَ الحق وإن كنتَ وحدكَ.

قال نُعيم بن حماد: يعني: إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تَفْسُدَ، وإن كنت وحدك فإنك أنت الجماعة حينئذ. اهـ.

ـ وفي «الحلية» (٩/ ٢٣٩) قال إسحاق بن راهويه: لو سألت الجُهَّال: مَن السَّواد الأعظم؟ قالوا: جماعة الناس، ولا يعلمون أن الجماعة عالم مُتمسك بأثر النبي ﷺ وطريقه، فمن كان معه وتبعه فهو الجماعة، ومن خالفه فيه ترك الجماعة.

ـ قال ابن القيم رحمه الله في «إعلام الموقعين» (٤/٣٩٧): واعلم أن الإجماع والحُجَّة والسواد الأعظم هو العالم صاحب الحق، وإن كان وحده، وإن خالفه أهل الأرض. قال عمرو بن ميمون الأَوْدِيُّ: صحبتُ معاذًا رضي الله عنه باليمن، فما فارقتُه حتى واريتُه في التُّراب بالشَّام، ثم صحبتُ مِن بعده أفقهَ الناس عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فسمعته يقول: عليكم بالجماعة، فإن يد الله على الجماعة. ثم سمعته يومًا من الأيام وهو يقول: سَيَلِي عليكم وُلاة يؤخِّرون الصلاة عن مواقيتها، فصلوا الصلاة لميقاتها فهي الفريضة، وصلُّوا =

معهم فإنها لكم نافلة. قال: قلت: يا أصحاب محمد، ما أدري ما تحدّثون! قال: وما ذاك؟ قلت: تأمرني بالجماعة، وتحضُّني عليها ثم تقول لي: صلِّ الصلاة وحدك وهي الفريضة، وصلِّ مع الجماعة وهي نافلة.

قال: يا عمرو بنَ ميمون، قد كنتُ أظنُّكَ من أفقه أهل هذه القرية، أتدري ما الجماعة؟ قلت: لا. قال: إن جمهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة، الجماعة ما وافق الحقَّ وإنْ كنتَ وحدَك.

وفي لفظ آخر: فضربَ على فخذي، وقال: ويحك! إنَّ جمهورَ الناس فارقوا الجماعة، وإن الجماعة ما وافق طاعة الله ﷻ.

وقال نُعيم بن حمَّاد: إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن يفسدوا، وإن كنت وحدَك، فإنك أنت الجماعة حينئذ. ذكرهما البيهقي وغيره.

وقال بعض أئمة الحديث وقد ذُكر له السواد الأعظم، فقال: أتدري ما السواد الأعظم؟ هو محمد بن أسلم الطوسي وأصحابه.

فمسخ المختلفون الذين جعلوا السواد الأعظم والحُجّة والجماعة هم الجمهور، وجعلوهم عيارًا على السُّنة، وجعلوا السنة بدعةً، والمعروف منكرًا؛ لقلة أهله وتفرُّدهم في الأعصار والأمصار، وقالوا: مَن شَذَّ شَذَّ الله به في النار. وما عرف المختلفون أنَّ الشَّاذَّ ما خالف الحق وإن كان الناس كلهم عليه إلَّا واحدًا منهم فهم الشاذُّون.

وقد شذَّ الناس كلهم زمنَ أحمد بن حنبل إلَّا نفرًا يسيرًا؛ فكانوا هم الجماعة، وكانت القضاة حينئذٍ، والمُفْتون، والخليفة، وأتباعه كلهم هم الشاذُّون، وكان الإمام أحمد وحده هو الجماعة. ولما لم يَحمِل هذا عقول الناس قالوا للخليفة: يا أمير المؤمنين، أتكون أنت وقضاتك، ووُلاتك، والفقهاء، والمفتون كلهم على الباطل، وأحمد وحده هو على الحق؟ فلم يتّسع علمه لذلك؛ فأخذه بالسياط والعقوبة بعد الحبس الطويل. فلا إله إلا الله، ما أشبه الليلة بالبارحة، وهي السبيل المَهْيَع لأهل السنة والجماعة حتى يَلقوا ربهم، مضى عليها سلفهم، وينتظرها خلفهم ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ۝٢٣﴾ [الأحزاب]، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. اهـ.

فإن قال قائل:

فاذكر لنا ذلك لنحذر ما تقوله، والله الموفق لنا إلى سبيل الرشاد.

قيل له: سأذكر من ذلك ما حضرني ذكره مَبْلَغَ علمي الذي علمني الله ﷻ، نصيحةً لإخواني من أهل القرآن، وأهل الحديث، وأهل الفقه وغيرهم من سائر المسلمين، والله الموفَّق لما قصدتُ له، والمعين عليه إن شاء الله.

٥ ـ قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾(١).

● وقال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة].

● وقال تعالى في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ

---

(١) في «خلق أفعال العباد» (٤/٤٦٦): قال أبي بن كَعب رضي الله عنه: ﴿بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٣]، بغيًا على الدنيا، وطلب مُلكها وزُخرُفِها وزينتها: أيُّهم يكونُ له المُلك والمهابة في الناس، فبغى بعضهم على بعض، وضرب بعضهم رقاب بعض، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، أقاموا على ما جاءت به الرسل، وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، واعتزلوا الاختلاف، وكانوا شهداء على الناس يوم القيامة: إن رسلهم قد بلغتهم، وأنهم كذبوا رسلهم.

وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾.

• وقال تعالى في سورة الأنعام: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾.

• وقال تعالى في سورة يونس: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

• وقال تعالى في سورة حم عسق: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾﴾ [الشورى].

• وقال تعالى في سورة: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ﴿١﴾﴾ قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة].

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ:

٦ ـ فأعلمنا مولانا الكريم أنهم أُوتوا عِلمًا، فبغى بعضهم على بعضٍ، وحسد بعضهم بعضًا، حتى أخرجهم ذلك إلى أن تفرَّقوا؛ فهلكوا[(١)].

---

(١) قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «منهاج السنة» (٥/ ٢٦٤): تبيَّن أن المختلفين ما اختلفوا حتى جاءهم العلم والبينات، فاختلفوا للبغي والظلم، لا لأجل اشتباه الحقّ بالباطل عليهم. وهذا حال أهل الاختلاف المذموم من أهل الأهواء كلهم، لا يختلفون إلَّا من بعد أن يظهر لهم الحق، ويجيئهم العلم، فيبغي بعضهم على بعض. ثم المختلفون المذمومون كل منهم يبغي على الآخر، فيُكذب بما معه من الحق، مع علمه أنه حق، ويصدق بما مع نفسه من الباطل، مع العلم =

فإن قال قائل:

٧ ـ فأين المواضع من القرآن التي فيها نهانا الله تعالى أن نكون مثلهم؛ حتى نحذر ما حذَّرنا مولانا [الكريم] من الفُرقةِ، بل نلزم الجماعة؟

قيل له:

• قال الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران].

• وقال تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾.

• وقال تعالى في سورة حم عسق: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورى].

أنه باطل. وهؤلاء كلهم مذمومون. ولهذا كان أهل الاختلاف المطلق كلهم مذمومين في الكتاب والسنة، فإنه ما منهم إلَّا من خالف حقًّا واتبع باطلًا. ولهذا أمر الله الرسل أن تدعو إلى دين واحد، وهو دين الإسلام، ولا يتفرقوا فيه، وهو دين الأولين والآخرين من الرسل وأتباعهم. قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورى: ١٣]. اهـ.

• وقال تعالى في سورة الروم: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

قال محمد [٣/أ] بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ:

فهل يكون من البيان أشفى من هذا عند من عقَلَ عن الله تعالى، وتدبَّر ما به حذَّره مولاه الكريم من الفُرقة.

٨ ـ ثم اعلموا ـ رحمنا الله وإياكم ـ أن الله تعالى قد أعلمنا وإياكم في كتابه أنه لا بُدَّ من أن يكون الاختلاف بين خلقه ليُضلَّ من يشاء، ويَهْدِيَ من يشاء، جعل ذلك عَزَّ وَجَلَّ موعظةً يتذكرُ بها المؤمنون، فيحذرون الفُرقة، ويلزمون الجماعة، ويَدَعون المِراء والخُصومات في الدين، ويتَّبعون ولا يبتدعون.

فإن قال قائل: أين هذا من كتاب الله تعالى؟

قيل له:

• قال الله تعالى في سورة هود: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾.

ثم إن الله تعالى أمر نبيه ﷺ أن يتَّبع ما أنزله إليه، ولا يتبع أهواء من تقدَّم من الأُمم فيما اختلفوا فيه؛ ففعل ﷺ، وحذَّر أُمَّته الاختلاف، والإعجاب، واتباع الهوى.

• قال الله تعالى في سورة حم الجاثية: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ

ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾، [ثم] قال الله تعالى: ﴿هَـٰذَا بَصَـٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

٩ - حدثنا أبو بكر عمر بن سعد[١] القراطيسي، قال: ثنا أحمد بن منصور الرمادي، قال: ثنا أبو صالح عبد الله بن صالح، قال: ثنا معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٥]، وقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٧]، وقوله: ﴿فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾، وقوله: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]، وقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وقوله: ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣] الآية.

قال ابن عباس: أمر الله المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والفُرقة، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمِراء والخصومات في دين الله تعالى[٢].

---

(١) في الأصل: (سعيد)، وما أثبته مما سيأتي برقم (٢٤٧ و..).
وانظر: «تاريخ بغداد» (٥٩٢٤).

(٢) فائدة فيما رواه علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما في التفسير.
- جاء في «الفتح» (٨/ ٤٣٩): أسند [أبو جعفر النحاس في كتاب «معاني القرآن»] عن أحمد بن حنبل، قال: بمصر صحيفة في التفسير رواها علي بن أبي طلحة؛ لو رحل رجلٌ فيها إلى مصر قاصدًا ما كان كثيرًا. انتهى.
وعلَّق عليه الشارح بقوله: وهذه النسخة كانت عند أبي صالح كاتب الليث، رواها عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهي عند البخاري عن أبي صالح، وقد اعتمد عليها في =

قال محمد بن الحسين:

هذا ما حضرني ذِكره مما أمر الله تعالى به أُمة محمد ﷺ أن يلزموا الجماعة ويحذروا الفُرقة.

فإن قال قائل:

فاذكر لنا من سُنن رسول الله ﷺ أنه حذَّر أُمَّته ذلك.

قيل له:

نعم، واجبٌ عليك أن تسمعه، وتحذر الفُرقة، وتلزم الجماعة، وتستعين بالله العظيم على ذلك.

«صحيحه» هذا كثيرًا على ما بيَّناه في أماكنه، وهي عند الطبري، وابن أبي حاتم، وابن المنذر بوسائط بينهم وبين أبي صالح. انتهى.

٢ - بَاب

ذكر أمر النبي ﷺ أُمته بلزوم الجماعة وتحذيره إياهم الفُرقة(١)

١٠ - حدثنا عبد الله بن العباس الطَّيَالِسِيّ، قال: ثنا سعيد بن يحيى الأُمَوِي، قال: ثنا أبو بكر بن عَيَّاش، عن عاصم، عن زِرٍّ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أراد بُحْبُوحَةَ(٢) الجنة؛ فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد»(٣).

١١ - وحدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد، قال: ثنا سعيد بن يحيى الأموي، قال: ثنا أبو بكر بن عياش، عن عاصم، عن زِرٍّ، قال: خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالشام، فقال: قام فينا رسول الله ﷺ مثل قيامي فيكم، فقال: «من أراد بُحْبُوحَةَ(٤) الجنة؛ فليلزم الجماعة، [٣/ب] فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد».

١٢ - وحدثنا أبو بكر جعفر بن محمد الفِريابي، قال: ثنا هُدبة بن خالد، قال: ثنا أَبَانُ بن يزيد، قال: ثنا يحيى بن أبي كثير، أن زيدًا حدَّثه، أن أبا سلَّام حدَّثه، أن الحارث

---

(١) عقد ابن بطة رحمه الله في «الإبانة الكبرى» بابًا نحوه، فقال: (٥/باب ذكر ما أمر به النبي ﷺ من لزوم الجماعة والتحذير من الفرقة).

(٢) قال أبو عبيد رحمه الله: يعني: وسط الجنة. وبحبوحة كل شيء وسطه وخياره. «غريب الحديث» (٢/ ٢٠٥).

(٣) رواه أحمد (١١٤ و١٧٧)، والترمذي (٢١٦٥)، وهو حديث صحيح.

(٤) في الهامش: (بحبحة) خ. يعني: في نسخة.

الأشعري رضي الله عنه حدَّثه: أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله تعالى أمر يحيى بن زكريا بخمس كلماتٍ يعمل بهنَّ، ويأمرُ بني إسرائِيل يعملون بهنَّ..**»، وذكر الحديث بطوله.

وقال رسول الله ﷺ: «**وأنا آمركم بخمسٍ، أمرني الله تعالى بهن: الجماعة، والسمع والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل الله، فمن فارق الجماعة شبرًا؛ فقد خلع رِبْقة**[1] **الإسلام من رأسه إلَّا أن يُراجِعَ**»[2].

١٣ ـ **وحدثنا** الفريابي، قال: ثنا عبيد الله بن عمر القواريري، قال: ثنا حماد بن زيد، قال: ثنا أيوب، عن غَيلان بن جرير، عن زياد بن رياح القيسي، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من خرجَ من الطاعة، وفارق الجماعة ومات**[3]**؛ فمِيْتَتُه جاهلية**»[4].

---

(١) الرِّبقة: ما يُجعل في عُنق الدَّابة كالطَّوق يمسكها لئلا تشرد. «مقاييس اللغة» (٢/ ٤٨١).

(٢) رواه أحمد (١٧١٧٠)، والترمذي (٢٨٦٣).
قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (١/ ١٩٧): هذا حديث حسن.
وكتب في هامش الأصل: (إلى أن يراجع).

(٣) كتب في هامش الأصل: (فمات).

(٤) حديث صحيح، وانظر ما بعده.
ـ قال ابن تيمية رحمه الله في «منهاج السُّنة» (١/ ٥٥٦): فجعل المحذور هو الخروج عن السلطان ومفارقة الجماعة، وأمر بالصبر على ما يكره من الأمير، لم يخصّ بذلك سُلطانًا مُعينًا، ولا أميرًا مُعينًا، ولا جماعة مُعينة.
وقال: فذمّ الخروج عن الطاعة ومفارقة الجماعة، وجعل ذلك ميتة جاهلية؛ لأن أهل الجاهلية لم يكن لهم رأسٌ يجمعهم. اهـ.
ـ وقال الخطابي في «العزلة» (ص٥٠): وذلك أن أهل الجاهلية لم يكن لهم إمام يجمعهم على دين، ويتألفهم على رأيٍ واحد، بل كانوا طوائف شتَّى، وفرقًا مختلفين، آراؤهم متناقضة، وأديانهم متباينة، وذلك الذي دعا كثيرًا منهم إلى عبادة الأصنام، وطاعة الأزلام، رأيًا فاسدًا اعتقدوه في أن =

١٤ ـ وأخبرنا أبو بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني، قال: ثنا محمد بن بشار، ومحمد بن المثنى، أن محمد بن جعفر حدثهم، عن شعبة، عن غيلان بن جرير، عن زياد بن رباح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول ﷺ:

«مَنْ فارقَ الجماعةَ، وخالفَ الطاعةَ؛ مات مِيتةً جاهلية.

ومن اعترض أُمتي برَّها وفاجرَها، لا يَحتَشِمُ[١] من مُؤْمِنِها، ولا يَفِي لذي عَهْدِها؛ فليس من أُمتي.

ومن قُتل تحت راية عِمِّيَّةٍ، يَغْضَبُ[٢] للعصبية، ويقاتلُ للعصبية، ويدعو للعُصبة ـ أو قال: لعصبة[٣] ـ؛

عندها خيرًا، وأنها تملك لهم نفعًا أو تدفع عنهم ضرًّا. اهـ.

ـ وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في «مسائل الجاهلية التي خالفهم النبي ﷺ فيها»، فذكر الشرك والتفرق، ثم قال: (الثالثة): أن مخالفة ولي الأمر، وعدم الانقياد له ـ عندهم ـ فضيلة، وبعضهم يجعله دينًا، فخالفهم النبي ﷺ في ذلك، وأمرهم بالصبر على جور الولاة، والسمع والطاعة والنصيحة لهم، وغلَّظ في ذلك، وأبدى وأعاد.

وهذه الثلاث هي التي ورد فيها ما في الصحيح عنه ﷺ: «يرضى لكم ثلاثًا: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم».

(١) أي: لا يستحي. «النهاية» (١/ ٣٩٢).

(٢) كتب في هامش الأصل وفي نسخة: (يغضب).

(٣) في (ب): «يعصب للعصبية، ويقاتل للعصبية، ويدعو للعُصبة له، ووالى لعُصبةٍ مات. . .».

(العِمِّيَّة): أي: في فتنة أو ضلالة، وهي فِعْيْلَة من العمى: الضلالة، كالقتال في العصبية والأهواء.

(والعصبية): وهو أن يدعو الرجل إلى نصرة عَصَبَتِه، والتألب معهم على من يناوئهم ظالمين كانوا أو مظلومين.

«تاج العروس» (٣/ ٣٨١)، و(٣٩/ ١٠٩).

ـ وفي «تهذيب اللغة» (٣/ ١٥٧) قال إسحاق بن منصور: سئل أحمد بن =

مات ميتة جاهلية»[(١)]. لفظ حديث أبي موسى[(٢)].

حنبل عمن (قتل في عمية)، قال: الأمر الأعمى العصبية لا يستبين ما وجهه.
وقال إسحاق: إنما معنى هذا: في تحارب القوم وقتل بعضهم بعضًا، يقول: من قتل فيها كان هالكًا.
وقال أبو زيد: (العِمِّيَّة): الدعوة العمياء فقتيلها في النار.
وقال شِمْر: قال أبو العلاء: (العَصَبة): بنو العم. و(العصبيَّة): أُخِذَتْ من العَصَبة. وقيل: (العمِّية): الفِتنة. وَقيل: الضَّلَالَة.اهـ.

(١) رواه أحمد (٧٩٤٤ و١٠٣٣٣)، ومسلم (١٨٤٨).

(٢) قال ابن تيمية رحمه الله في «منهاج السنة» (١/ ٢٥١): ذكر ﷺ في هذا الحديث الأقسام الثلاثة التي يعقد لها الفقهاء باب قتال أهل القبلة من البُغاة، والعداة، وأهل العصبية.
فالقسم الأول: الخارجون عن طاعة السلطان، فنهى عن نفس الخروج عن الطاعة والجماعة، وبيَّن أنه إن مات ولا طاعة عليه مات ميتة جاهلية، فإن أهل الجاهلية من العرب ونحوهم لم يكونوا يطيعون أميرًا عامًّا على ما هو معروف من سيرتهم.
ثم ذكر [القسم الثاني وهو] الذي يقاتل تعصُّبًا لقومه، أو أهل بلده ونحو ذلك، وسمى الراية عمية؛ لأنه الأمر الأعمى الذي لا يدرى وجهه، فكذلك قتال العصبية يكون عن غير علم بجواز قتال هذا. وجعل قِتْلَةَ المقتول قِتْلَةً جاهلية سواء غضب بقلبه، أو دعا بلسانه، أو ضرب بيده. وقد فُسِّر ذلك فيما رواه مسلم أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليأتين على الناس زمان لا يدري القاتل في أيِّ شيء قَتلَ، ولا يدري المقتول على أيِّ شيءٍ قُتِلَ».
فقيل: كيف يكون ذلك؟ قال: «الهرج، القاتل والمقتول في النار».
والقسم الثالث: الخوارج على الأمة إما من العُداة الذين غرضهم الأموال كقُطَّاع الطريق ونحوهم، أو غرضهم الرياسة كمن يقتل أهل المصر الذين هم تحت حُكم غيره مطلقًا، وإن لم يكونوا مُقاتِلَة، أو من الخارجين عن السُّنة الذين يستحلون دماء أهل القبلة مطلقًا كالحرورية الذين قتلهم علي رضي الله عنه.
ثم إنه ﷺ سمَّى المِيتة والقِتلة: (ميتة جاهلية)، و(قِتلة جاهلية)، على وجه الذم لها، والنهي عنها، وإلَّا لم يكن قد زجر عن ذلك.اهـ.

١٥ ـ حدثنا [أبو] محمد بن صاعد، قال: ثنا محمد بن سليمان لُوَين، قال: ثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن غيلان بن جرير، عن زياد بن رياح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من خرجَ مِن الطاعةِ، وفارقَ الجماعةَ؛ ماتَ مِيتةً جاهلية».

١٦ ـ وأخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، قال: ثنا أبو هشام الرفاعي، قال: ثنا أبو بكر بن عياش، قال: ثنا عاصم، عن زِرٍّ، عن عبد الله رضي الله عنه، قال: كنا جلوسًا عند النبي ﷺ، فقرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، فخطَّ خطًّا، فقال: «هذا الصراط»، ثم خطَّ حوله خُططًا، فقال: «وهذه السُّبل، فما منها سبيلٌ إلَّا وعليه شيطانٌ يدعو إليه».

١٧ ـ وأخبرنا ابن عبد الحميد أيضًا، قال: ثنا زُهير بن محمد المَرْوَزي، قال: أنا سليمان بن حرب، قال: ثنا حماد بن زيد، عن عاصم بن بَهْدَلة، عن أبي وائل، عن عبد الله رضي الله عنه، قال: خطَّ رسول الله ﷺ يومًا خطًّا، وقال بأصبعه على الأرض خطّة، قال: «هذا سبيل الله»، ثم خطَّ خطوطًا عن يمين الخط ويساره، وقال: «هذه سُبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه»، ثم تلا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ ﴿١٥٣﴾ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام]، الخطوط التي عن يمينه ويساره[(١)].

---

(١) رواه أحمد (٤١٤٢)، وابن أبي عاصم في «السُّنة» (١٧)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١٣٥)، وهو حديث صحيح.

ـ وفي «تفسير عبد الرزاق» (٨٨٢) عن أبان بن أبي عياش: أن رجلًا سأل ابن مسعود رضي الله عنه ما الصراط؟ قال: تركنا محمد ﷺ في أدناه، وطَرَفُه في الجنة، وعن يمينه جوادٌّ، وعن شماله جوادٌّ، وثَمَّ رجالٌ يدعون من مرَّ بهم، فمن أخذ على تلك الجوادِّ انتهت به إلى النار، ومن أخذ على الصراط انتهت به إلى الجنة، ثم قرأ ابن مسعود رضي الله عنه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام: ١٥٣]. =

١٨ ـ حدثنا أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن البُهْلُول القاضي، قال: ثنا أبو سعيد عبد الله بن سعيد الأشج، قال: ثنا أبو خالد الأحمر، عن مُجالد، عن الشعبي، عن جابر ﷺ، قال: كنا عند النبي ﷺ فخطَّ خطًّا، وخطَّ خطين عن يمينه، وخطَّ خطين عن يساره، ثم وضع يده في الخطِّ الأوسط، فقال: «هذا سبيل الله»، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا

ـ قال المعافى بن زكريا في «الجليس الصالح» (ص٢٤): وهذا القول من النبي ﷺ والتمثيل من أبين الأقوال البليغة وأفصحها، وأرصن الأمثال البليغة المضروبة الصحيحة وأوضحها، وذلك أنه خطَّ خطًّا جعله مثل الصراط في استقامته إذ لا زيغ فيه ولا ميل، ثم خطَّ خطوطًا يمنة وشأمة آخذة في غير سمته وجهته، تفرق بمن سلكها واتبعها عن السبيل التي هي سبيل الهدى والنجاة من مرديات الهوى، وبهذا جاء وحي الله وتنزيله في كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، قال: جل ذكره: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، فدلَّ هذا على مثل ما دلت عليه الآية التي تلاها رسول الله ﷺ في الخبر الذي رويناه، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وقال: ﴿فَتَقَطَّعُوٓا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝﴾ [المؤمنون] في كثير مما يضاهي هذا المعنى، و(السبيل): الطريق. اهـ.

ـ قال ابن القيم رحمه الله في «طريق الهجرتين» (ص١٧٧): والطريق إلى الله في الحقيقة واحد لا تعدَّد فيه، وهو صراطه المستقيم الذي نصبه موصلًا لمن سلكه إليه، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ﴾، فوحَّد سبيله لأنه في نفسه واحد لا تعدَّد فيه، وجمع السبل المخالفة لأنها كثيرة مُتعدِّدة، كما ثبت عن النبي ﷺ... فذكر الحديث.

ـ قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله في «التيسير» (ص٤١): وهذه السبل تعم اليهودية، والنصرانية، والمجوسية، وعباد القبور، وسائر أهل الملل والأوثان، والبدع والضلالات من أهل الشذوذ والأهواء، والتعمق في الجدل، والخوض في الكلام، فاتباع هذه من اتباع السُّبل التي تذهب بالإنسان عن الصراط المستقيم إلى موافقة أصحاب الجحيم، كما قال النبي ﷺ: «مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». اهـ.

ﭐلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣][(١)].

١٩ ـ وحدثنا الفريابي، قال: ثنا ميمون بن الأصبغ، وأبو مسعود أحمد بن الفُرات، قالا: ثنا عبد الله بن صالح أبو صالح، قال: ثنا معاوية بن صالح، أن عبد الرحمن بن جبير، حدثه عن أبيه، عن النواس بن سمعان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ضربَ اللهُ مثلًا صِراطًا مُستقيمًا[(٢)]، وعلى جَنبَتي الصراطِ سُوران، وأبوابٌ مُفتَّحةٌ [٤/أ]، وعلى الأبوابِ سُتُورٌ[(٣)] مُرْخاةٌ، وعلى بابِ الصراطِ داعٍ يقول: يا أيها الناسُ، ادخُلوا الصِّراطَ جميعًا، ولا تَتعوَّجوا، ودَاعٍ يَدعو مِنْ فوقِ الصراطِ، فإذا أرادَ إنسانٌ فتْحَ شيءٍ من تلك الأبواب، قال: وَيْحَكَ! لا تفتحْه؛ فإنك إن تفتحْهُ تلِجْهُ، فالصِّراطُ: الإسلامُ، والستورُ[(٤)]: حُدودُ الله، والأبوابُ المُفتَّحةُ: مَحارِمُ الله، وذلك الدَّاعي على رأسِ الصِّراطِ: كتابُ الله، والداعي من فوقِ الصِّراطِ: واعِظُ الله[(٥)] في قلبِ كلِّ مُسلمٍ»[(٦)].

---

(١) رواه أحمد (١٥٢٧٧)، وابن ماجه (١١)، ويشهد له ما قبله.

(٢) قال ابن رجب رحمه الله كما في «مجموع رسائله» (١/١٩٣): وإنما سُمي الصراط صراطًا؛ لأنه طريق واسع سهل، يوصل إلى المقصود، وهذا مثل دين الإسلام في سائر الأديان؛ فإنه يوصل إلى الله وإلى داره وجواره، مع سهولته وسعته. وبقية الطرق ـ وإن كانت كثيرة ـ فإنها كلها مع ضيقها وعُسرها لا توصل إلى الله، بل تقطع عنه وتوصل إلى دار سخطه وغضبه ومجاورة أعدائه، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾.اهـ.

(٣) كتب في الهامش: (أستار) خ ع.

(٤) كتب في هامش الأصل: (والسور) خ ع.

(٥) في «النهاية» (٥/٢٠٦): يعني: حُجَجَه التي تنهاه عن الدخول فيما مَنَعه الله منه وحَرَّمه عليه، والبصائر التي جَعلها فيه.اهـ.

(٦) رواه أحمد (١٧٦٣٤ و١٧٦٣٦)، والترمذي (٢٨٥٩).
صحَّحه: ابن تيمية في «جامع الرسائل» (٢/٩٧)، وابن كثير في «تفسيره» (١/١٣٩).

٢٠ - وأخبرنا أبو بكر بن أبي داود، قال: ثنا يزيد بن محمد بن عبد الصمد، قال: حدثنا آدم بن أبي إياس، قال: ثنا الليث بن سعد، عن معاوية بن صالح، عن عبد الرحمن بن جبير، عن أبيه، عن النواس بن سمعان الأنصاري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ضربَ اللهُ مَثَلًا صِراطًا مُستقيمًا، وعلى جَنْبَتي الصراطِ سُوران، بينهما أبوابٌ مُفتّحةٌ، وعلى الأبوابِ ستورٌ مُرخاةٌ، وعلى بابِ الصراطِ داعٍ، يقول: يا أيها الناس، ادخلوا الصِّراطَ جميعًا، ولا تتفرَّقوا، وداعٍ يدعو[1] فوق الصِّراط، فإذا أراد إنسانٌ فتحَ شيءٍ من تلك الأبواب، قال له: ويحكَ! لا تفتحْهُ؛ فإنك إن تفتحه تلجْه، فالصراطُ: الإسلامُ، والستورُ: حدودُ الله، والأبوابُ: محارِمُ الله تعالى، والداعي على رأسِ الصِّراطِ: كتابُ الله تعالى، والداعي من فوقِ الصِّراطِ: واعظُ الله في قلبِ كلِّ مُسلمٍ».

٢١ - وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا عثمان بن أبي شيبة، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن أبي وائل، قال: قال عبد الله رضي الله عنه: إن هذا الصِراطَ مُحتَضَرٌ، تحضره الشياطين، يُنادون: يا عبد الله، هلُّم هذا الصراط ليصدوا عن سبيل الله، فاعتصموا بحبل الله؛ فإن حبلَ الله هو كتاب الله[2].

٢٢ - حدثنا أبو شعيب عبد الله بن الحسن[3] الحَرَّانِيّ، قال: ثنا جدي، قال: ثنا موسى بن أعين، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن المُجالد بن سعيد، عن الشعبي، عن

---

(١) في الهامش: في نسخة: (من). فتصبح العبارة: (وداعٍ يدعو من فوقِ).

(٢) قال ابن تيمية رحمه الله في «منهاج السُّنة» (٥/ ١٣٤): وقد فُسِّر (حبله): بكتابه، وبدينه، وبالإسلام، وبالإخلاص، وبأمره، وبعهده، وبطاعته، وبالجماعة.

وهذه كلها منقولة عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وكلها صحيحة، فإن القرآن يأمر بدين الإسلام، وذلك هو عهده وأمره وطاعته، والاعتصام به جميعًا إنما يكون في الجماعة، ودين الإسلام حقيقته الإخلاص لله. اهـ.

(٣) في الأصل: (الحسين)، وقد تكرر كثيرًا على الصواب.

ثابت بن قُطْبَة: أن عبد الله بن مسعود ﷺ قال في خُطبته: أيها الناس، عليكم بالطاعة والجماعة، فإنها حبلُ الله الذي أمر به، وما تكرهون في الجماعة، خيرٌ مما تُحبّون في الفُرقة.

٢٣ ـ أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، قال: ثنا زُهير بن محمد المروزي، قال: ثنا عبيد الله[(١)] بن موسى، عن عيسى الحنّاط، عن الشعبي قال: كان يقال: من أراد بَحْبَحَة الجنة؛ فعليه بجماعة المسلمين.

٢٤ ـ وأخبرنا ابن عبد الحميد أيضًا، قال: ثنا زُهير بن محمد، قال: أنا سليمان بن حرب، قال: ثنا حماد بن زيد، عن عاصم الأحول، قال: قال أبو العالية: تعلَّموا الإسلامَ، فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام، ولا تُحرِّفوا الصراطَ يمينًا ولا شِمالًا، وعليكم بسُنة نبيكم ﷺ، والذي عليها أصحابه، فإنا قد قرأنا القرآن من قبل أن يفعلوا الذي فعلوه خمس عشرة سنة، وإياكم وهذه الأهواءَ التي تُلقي بين الناس العداوة والبغضاء.

قال: فحدَّثت به الحسن، فقال: صدق ونصح.

وحدَّثت به حفصة بنت سيرين، فقالت: بأبي[(٢)]، أحدَّثت بهذا محمدًا؟

قلت: لا.

قالت: فحدِّثه إذن[(٣)].

---

(١) في الأصل: (عبد الله). والتصويب من كتب التراجم، انظر: «تهذيب الكمال» (١٩/ ١٦٥).

(٢) في (أ): (أبي)، وكتب في الهامش في نسخة: (بني).
وفي (ب): (بأني)، وفي «البدع» لابن وضاح (١٧): (بأبي وأهلي).
وعند اللالكائي (٣١): (يا بأهلي أنت). و«السنة» للمروزي (١٨): (بأهلي أنت).

(٣) قال الشيخ محمد بن الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «فضل الإسلام»: تأمل كلام أبي العالية =

قال محمد بن الحسين:

٢٥ ـ علامة من أراد الله به خيرًا سلوك هذا الطريق: كتاب الله، وسُنن رسول الله ﷺ، وسُنن أصحابه ﷺ، ومن تبعهم بإحسان، وما كان عليه أئمة المسلمين في كل بلدٍ إلى آخر ما كان من العلماء، مثل: الأوزاعي، وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، والشافعي، وأحمد بن حنبل، والقاسم بن سلَّام، ومن كان على مثل طريقتهم، ومجانبة كل مذهبٍ يذُمه هؤلاء العلماء، وسنُبيِّن ما يرضونه إن شاء الله [تعالى][1].

هذا، ما أجلَّه، واعرف زمانه الذي يُحذِّر فيه من الأهواء التي من اتبعها فقد رغب عن الإسلام، وتفسير الإسلام بالسُّنة، وخَوْفَه على أعلام التابعين وعلمائهم من الخروج عن السُّنة والكتاب، يتبيّنْ لك معنى قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ﴾ [البقرة: ١٣١]. وقوله: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠]. وأشباه هذه الأصول الكبار التي هي أصل الأصول، والناس عنها في غفلة، وبمعرفته يتبيّن معنى الأحاديث في هذا الباب وأمثالها، وأمَّا الإنسان الذي يقرؤها وأشباهها وهو آمن مطمئن أنها لا تناله، ويظنُّه في قوم كانوا فبانوا، ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف]. اهـ.

ـ قال ابن بطة رَحِمَهُ اللهُ في «الإبانة الكبرى» (٢٩٨): أعاذنا الله وإياكم من الآراءِ المُخترعة، والأهواء المُتَّبعة، والمذاهب المُبتدعة، فإن أهلها خرجوا عن اجتماع إلى شتات، وعن نِظام إلى تفرُّقٍ، وعن أُنسٍ إلى وحشة، وعن ائتلاف إلى اختلاف، وعن محبَّةٍ إلى بِغْضةٍ، وعن نصيحةٍ وموالاةٍ إلى غشٍّ ومُعاداةٍ، وعصمنا وإياكم من الاعتزاء إلى كلِّ اسمٍ خالف الإسلام والسُّنة. اهـ.

(١) وعند اللالكائي (٧٢) قال قُتيبة بن سعيد: إذا رأيت الرجل يحب أهل الحديث مثل: يحيى بن سعيد، وعبد الرحمٰن بن مهدي، وأحمد بن محمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه ـ وذكر قومًا آخرين ـ فإنه على السُّنة، ومن خالف هؤلاء فاعلم أنه مبتدع.

٣ - بَاب

ذكر افتراق الأُمم في دينهم، وعلى كم تفترق هذه الأُمة؟(١)

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٦ - أخبر النبي ﷺ: عن أمة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: أنهم اختلفوا عليه على إحدى وسبعين مِلَّةً، كلها في النار إلَّا واحدة.

وأخبر عن أُمةِ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: أنهم اختلفوا عليه [٤/ب] على اثنتين

(١) عقد ابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ في «الإبانة الكبرى» بابًا نحوه، فقال: (٧/ باب ذكر افتراق الأمم في دينهم، وعلى كم تفترق هذه الأمة؟ وإخبار النبي ﷺ لنا بذلك).
وقد ذكر أثرًا فيه تسمية بعض الفرق والمذاهب التي ستفترق عليها هذه الأمة، ثم بيَّن أن حصرهم لا يمكن، ولكن ذكر ضابطًا حسنًا مهمًا في معرفة فِرَق الضلالة، فقال: (الإحاطة بهم لا يُقدر عليها، والتقصِّي للعلم بهم لا يُدركُ، وذلك بأن كلَّ من خالف الجادة، وعدل عن المَحجَّةِ، واعتمد من دينه على ما يستحسنه فيراه، ومن مذهبه على ما يختاره ويهواه: عَدِمَ الاتفاق والائتلاف، وكثُر عليه أهل المُباينة والاختلاف؛ لأن الذي خالف بين الناس في مناظرتِهم، وهيئاتهم، وأجسامهم، وألوانهم، ولغاتهم، وأصواتهم، وخُطوطهم، وحُظوظهم، كذلك خالف بينهم في عقولهم، وآرائهم، وأهوائهم، وإراداتهم، واختياراتهم، وشهواتهم، فإنك لا تكاد ترى رجلين مُتفقين اجتمعا جميعًا في الاختيار والإرادة، حتى يختار ما يختاره الآخر، ويُرَذِّلُ ما يُرَذِّله إلَّا مَن كان على طريق الاتباع، واقتفى الأثر، والانقياد للأحكام الشرعية، والطاعة الديانية، فإن أولئك من عينٍ واحدةٍ شربوا، فعليها يردون، وعنها يَصْدُرون، قد وافق الخلفُ الغَابِرُ للسَّلفِ الصَّادِرِ).اهـ.

وسبعين مِلَّةً، إحدى وسبعون في النار، وواحدة في الجنة.

قال ﷺ: «وتَعْلُو أُمتي الفريقين جميعًا، تزيد عليهم فرقةً واحدةً، ثنتان وسبعون منها في النار وواحدةٌ في الجنة»[1].

ثم إنه سُئل ﷺ: مَن الناجية؟

فقال في حديث: «ما أنا عليها وأصحابي».

وفي حديثٍ قال: «السَّواد الأعظم».

وفي حديثٍ قال: «واحدة في الجنة، وهي الجماعة».

قلت أنا: ومعانيها واحدة إن شاء الله تعالى[2].

---

(١) قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في «اقتضاء الصراط المستقم» (١/١٤٧): وهذا كله خرج منه مخرج الخبر عن وقوع ذلك، والذم لمن يفعله، كما كان يخبر عما يفعله الناس بين يدي الساعة من الأشراط والأمور المُحرمات. فعُلم أن مشابهتها اليهود والنصارى، ـ وفارس والروم، مما ذمه الله ورسوله، وهو المطلوب ـ ولا يقال: فإذا كان الكتاب والسُّنة قد دلَّا على وقوع ذلك، فما فائدة النهي عنه؟ لأن الكتاب والسُّنة أيضًا قد دلَّا على أنه لا يزال في هذه الأمة طائفة متمسِّكة بالحق الذي بُعِثَ به محمد ﷺ إلى قيام الساعة، وأنها لا تجتمع على ضلالة، ففي النهي عن ذلك تكثير لهذه الطائفة المنصورة، وتثبيتها، وزيادة إيمانها، فنسأل الله المجيب أن يجعلنا منها.

وأيضًا: لو فُرِضَ أن الناس لا يترك أحد منهم هذه المشابهة المنكرة؛ لكان في العلم بها معرفة القبيح، والإيمان بذلك؛ فإن نفس العلم والإيمان بما كرِهَه الله خير، وإن لم يعمل به، بل فائدة العلم والإيمان أعظم من فائدة مجرّد العمل الذي لم يقترن به علم، فإن الإنسان إذا عرف المعروف وأنكر المنكر كان خيرًا من أن يكون ميت القلب لا يعرف معروفًا، ولا يُنكر منكرًا. اهـ.

(٢) في «شرف أصحاب الحديث» (٣٦) عن إبراهيم بن محمد بن الحسن، قال: حُدِّثت عن أحمد بن حنبل وذكر حديث النبي ﷺ: «تفترق الأمة على نيف وسبعين فرقة، كلها في النار إلَّا فرقة»، فقال: إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم.

٢٧ ـ حدثنا أبو بكر بن أبي داود، قال: ثنا المسيب بن واضح، قال: سمعت يوسف بن أسباط، يقول: أصول البدع أربع: الروافض، والخوارج، والقدرية، والمُرجئة، ثم تتشعب كل فرقةٍ ثمانيَ عَشْرَةَ طائفة، فتلك اثنتان وسبعون فرقة، والثالثة والسبعون الجماعة التي قال النبي ﷺ: «إنها الناجية»[1].

(١) قال ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٥٠): أما تعيين الفرق الهالكة فأقدم من بلغنا أنه تكلم في تعيينهم: يوسف بن أسباط، ثم عبد الله بن المبارك ـ وهما إمامان جليلان من أجلاء أئمة المسلمين ـ قالا: أصول البدع أربعة: الروافض، والخوارج، والقدرية، والمرجئة. فقيل لابن المبارك: والجهمية؟ فأجاب: بأن أولئك ليسوا من أُمَّة محمد ﷺ. وكان يقول: إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية. اهـ.

ـ قال ابن بطة رحمه الله في «الإبانة الكبرى» (٢٩٢): قد صحَّ عندنا من كتاب ربنا، ومن قول نبينا ﷺ أن الأمم الماضية من أهل الكتاب تفرَّقوا واختلفوا، وكفَّر بعضهم بعضًا، ومِثلُ ذلك فقد حلَّ بهذه الأُمَّة حتى قد كثرت فيهم الأهواء، وأصحاب الآراء والمذاهب، وكل ذلك فقد رأيناه وشاهدناه، فنُريد أن نعرفَ هذه الفرق المذمومة لنجتنبها، ونسأل مولانا الكريم أن يعصمنا منها، ويُعيذنا مما حلَّ بأهلها الذين استهوتهم الشياطين فأصبحوا حيارى، عن طريق الحق صادفين.

ثم قال: فاعلم ـ رحمك الله ـ أن لهذه الفرق والمذاهب كلها أصولًا أربعةً، فكلها عن الحق حائدة، وللإسلام وأهله مُعاندة، وعن أربعة أصول يتفرَّقون، ومنها يتشعَّبون، وإليها يرجعون، ثم تتشعَّبُ بهم الطُرق، وتأخذهم الأهواء، وقبيح الآراء حتى يصيروا في التفرُّق إلى ما لا يحصى. فأما الأربعة الأصول التي بها يعرفون، وإليها يرجعون... إلخ.

ثم أسند قول يوسف بن أسباط رحمه الله الذي ساقه المصنف في الأصل.

قلت: والقول بأن أصول فرق الضلالة هم المذكورون هاهنا مروي عن غير واحد من الأئمة، وقد ذكرتهم في «الجامع لكتب الإيمان والرد على المرجئة» (١/ ٣٧٦).

وأما تعيين هذه الفرق وما وقع فيه من الخلط، فقد قال ابن تيمية رحمه الله في =

٢٨ ـ حدثنا أبو محمد عبد الله بن صالح البخاري، قال: ثنا عَبْدَة بن عبد الرحيم المروزي، قال: أنا النضر بن شُميل، قال: ثنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «تفرَّقَ اليهود والنصارى على إحدى واثنتين وسبعين فرقة، وتفترقُ أُمَّتي على ثلاثٍ وسبعين فِرقة».

٢٩ ـ حدثنا أبو بكر بن أبي داود، قال: ثنا علي بن خَشْرَم، قال: أنا الفضل بن

«مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٤٧): فكثير من الناس يُخبر عن هذه الفرق بحكم الظن والهوى، فيجعل طائفته والمنتسبة إلى متبوعه الموالية له هم أهل السُّنة والجماعة؛ ويجعل من خالفها أهل البدع وهذ ضلالٌ مُبين. فإن أهل الحق والسُّنة لا يكون متبوعهم إلَّا رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلَّا وحي يوحى، فهو الذي يجب تصديقه في كل ما أخبر، وطاعته في كل ما أمر، وليست هذه المنزلة لغيره من الأئمة، بل كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلَّا رسول الله ﷺ. فمن جعل شخصًا من الأشخاص غير رسول الله من أحبه ووافقه كان من أهل السُّنة والجماعة، ومن خالفه كان من أهل البدعة والفرقة... كان من أهل البدع والضلال والتفرق. وبهذا يتبين أن أحقَّ الناس بأن تكون هي الفرقة الناجية أهل الحديث والسُّنة؛ الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلَّا رسول الله ﷺ، وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله، وأعظمهم تمييزًا بين صحيحها وسقيمها، وأئمتهم فقهاء فيها، وأهل معرفة بمعانيها واتباعًا لها: تصديقًا وعملًا وحبًّا وموالاة لمن والاها ومعاداة لمن عاداها، الذين يردون المقالات المجملة إلى ما جاء به من الكتاب والحكمة؛ فلا ينصبون مقالة ويجعلونها من أصولِ دينهم، وجُمَلِ كلامهم إن لم تكن ثابتة فيما جاء به الرسول، بل يجعلون ما بعث به الرسول من الكتاب والحكمة هو الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه. وما تنازع فيه الناس من مسائل الصفات والقدر والوعيد والأسماء والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك يردونه إلى الله ورسوله ويفسرون الألفاظ المجملة التي تنازع فيها أهل التفرق والاختلاف؛ فما كان من معانيها موافقًا للكتاب والسنة أثبتوه؛ وما كان منها مخالفًا للكتاب والسُّنة أبطلوه؛ ولا يتبعون الظن وما تهوى الأنفس؛ فإن اتباع الظن: جهلٌ، واتباع هوى النفس بغير هدي من الله: ظُلمٌ. وجماع الشر: الجهل والظلم، قال الله تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾. اهـ.

موسى، عن محمد بن عَمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «تفرَّقت اليهودُ على إحدى أو اثنتينِ وسبعينَ فرقةً، واختلفت النصارى على إحدى أو اثنتينِ وسبعينَ فرقةً، وتفترقُ أُمتي على ثلاثٍ وسبعينَ فرقةً»(١).

٣٠ ـ وأخبرنا أبو عبد الله أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي، قال: ثنا الهيثم بن خارجة، قال: ثنا إسماعيل بن عياش، عن عبد الرحمن بن زياد بن أَنْعم، عن عبد الله بن يزيد، عن عبد الله بن عَمرو ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «ليأْتينَّ على أُمتي ما أتى على بني إسرائِيل: تفرَّقَ بنو إسرائِيلَ على اثنتين وسبعينَ مِلَّة، وستفترق أُمَّتي على ثلاث وسبعين، تزيد عليهم، كلها في النار إلَّا ملةً واحدة».

فقالوا: من هذه المِلة الواحدة؟

قال: «ما أنا عليها وأصحابي»(٢).

---

(١) رواه أحمد (٨٣٩٦)، والترمذي (٢٦٤٠)، وقال: حديث حسن صحيح.
ـ قال ابن تيمية ﷺ في «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/١١٦): وهذا الافتراق مشهور عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة، وسعد، ومعاوية، وعمرو بن عوف ﷺ وغيرهم.اهـ.

(٢) رواه الترمذي (٢٦٤١)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٢٦٢)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١)، وهو مروي عن غير واحدٍ من الصحابة ﷺ.
وهو حديث صحيح بمجموع طرقه وشواهده، وقد صحَّحه ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٤٥)، وابن القيم في «مختصر الصواعق» (٢/ ٤١٠).
ـ قال أبو الفتح نصر المقدسي في «مختصر الحُجة» (٥٧٧): وهذا يدل كل مسلم عاقل على أن من خالف ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه ﷺ فهو ضلالة مردودة، وبدعة ممنوعة، وأن هذه المسائل المشكلات، والآراء المضلات؛ لم تكن في ذلك الوقت، ولا تكلم فيها النبي ﷺ ولا أصحابه ﷺ إذ لو كانوا تلكموا فيها لنُقِل إلينا عنهم كما نُقل غيره، فلما لم يُنقل دلَّ على أنه لا أصل لشيءٍ من ذلك، إنما هو من إلقاء الشيطان في قلوب أوليائه،

٣١ ـ حدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد الصندلي، قال: ثنا أبو بكر بن زنجويه، قال: ثنا محمد بن يوسف الفريابي، قال: ثنا سفيان ـ يعني: الثوري ـ، عن عبد الرحمن بن زياد، عن عبد الله بن يزيد، عن عبد الله بن عَمرو ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «ليأتينَّ على أُمَّتي مثلُ ما أتى على بني إسرائيل مِثلًا بمِثلٍ، حَذوَ النَعْلِ بالنعل، وإن بني إسرائِيل تفرَّقوا على اثنتين وسبعين مِلَّة، وإن أُمتي ستفترق على ثلاث وسبعين مِلَّة، كلها في النار إلَّا مِلَّة واحدة».

قيل: من هي يا رسول الله؟

قال: «ما أنا عليه اليوم وأصحابي».

٣٢ ـ حدثنا أبو شُعيب عبد الله بن الحسن الحرَّاني، قال: ثنا عاصم بن علي، قال: ثنا أبو مَعْشَر.

وأخبرنا أبو عبد الله أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي، قال: ثنا ابن بكار[1]،

ليشوِّش على المسلمين أمرهم، فلا يجوز الكلام فيها، فمن فعل فإنما هو مُتَّبع هوى، ضالٌ مضلٌ، خارج عن شرعهم، وبائن عن سُنتهم، ومحجوج بهم؛ لأنهم حُجة الله على عباده، ونصحاؤه في أهل دينه، فما تكلموا فيه ساغ لغيرهم الكلام، وما سكتوا عنه فواجب تركه، والكلام فيه محرَّم. اهـ.

ـ قال ابن تيمية رحمه الله في «منهاج السنة» (٣/ ٤٥٦): فإذا كان وَصْفُ الفرقة الناجية اتباعَ الصحابة على عهد رسول الله ﷺ ـ وذلك شعار السنة والجماعة ـ كانت الفرقة الناجية هم: أهل السنة والجماعة، فالسنة ما كان ﷺ هو وأصحابه عليه في عهده، مما أمرهم به، أو أقرَّهم عليه، أو فعله هو، و(الجماعة) هم المجتمعون الذين ما فرقوا دينهم وكانوا شيعًا، فالذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا خارجون عن الجماعة، قد برأ الله نبيه منهم، فعلم بذلك... أن هذ الحديث وصف الفرقة الناجية باتباع سنته التي كان عليها هو وأصحابه، وبلزوم جماعة المسلمين. اهـ.

(١) أشار في الأصل فوق (بكار) بلحق في الهامش، ولكن لم يظهر في الطباعة.
كتب في هامش (ب): لعله محمد بن بكار بن الريان الهاشمي.. وذكر ترجمته.

قال: ثنا أبو مَعْشَر، عن يعقوب بن زيد بن طلحة، عن زيد بن أسلم، عن أنس بن مالك ﷺ ذكر حديثًا طويلًا[١]، قال فيه: وحدثهم رسول الله ﷺ عن الأمم، فقال: «تفرَّقت أُمَّةُ موسى ﷺ على إحدى وسبعين مِلَّةً، سبعون منها في النار وواحدة في الجنة، وتفرقت أُمة عيسى ﷺ على اثنتين وسبعين مِلَّةً، إحدى وسبعون منها في النار، وواحدةٌ في الجنة».

وقال رسول الله ﷺ: «وتعلو أُمتي على الفرقتين جميعًا بمِلَّةٍ واحدةٍ، ثنتانِ وسبعونَ منها في النار، وواحدةٌ في الجنة».

قالوا: من هم يا رسول الله؟

قال: «الجماعة».

قال يعقوب بن زيد: فكان علي بن أبي طالب ﷺ إذا حدَّث بهذا الحديث عن رسول الله ﷺ تلا فيه قرآنًا: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأعراف].

ثم ذكر أُمةَ عيسى ﷺ، فقرأ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [المائدة].

قال: ثم ذكر أُمَّتَنا [٥/أ]، فقرأ: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾﴾ [الأعراف][٢].

---

(١) سيأتي بتمامه برقم (٥٩).

(٢) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٣٦٦٨)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٢٨٥).
في إسناده: أبو مَعْشَر نجيح بن عبد الرحمن السندي، وقد ضعّفه غير واحد من الحفاظ كأحمد، والبخاري، وابن معين وغيرهم.
«تهذيب الكمال» (٢٩/ ٣٢٢).

٣٣ ـ وأخبرنا أبو عبيد علي بن الحسين بن حرب القاضي، قال: ثنا الحسن[(١)] بن محمد الصباح الزعفراني، قال: ثنا شَبابة ـ يعني: ابن سَوَّار ـ، قال: أنا سُليمان بن طَريف، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا ابن سَلَام، على كم تفرَّقت بنو إسرائيل؟**».

قال: على واحدةٍ وسبعين أو اثنتين وسبعين فرقةً، كلهم يشهدُ على بعض بالضلالة.

قالوا: أفلا تخبرنا لو قد خَرَجْتَ من الدنيا فتفرَّقُ أُمتك، على ما يصير أمرهم؟

قال نبيُّ الله ﷺ: «**بلى؛ إن بني إسرائِيل تفرَّقوا على ما قُلتَ، وستفترقُ أُمَّتي على ما افترقتْ عليه بنو إسرائِيل، وستزيدُ فرقةً واحدةً لم تكن في بني إسرائِيل..**»، وذكر الحديث[(٢)].

٣٤ ـ وحدثنا أبو عبد الله أحمد بن أبي عوف البُزُوري، قال: ثنا سويد بن سعيد، قال: ثنا مبارك بن سُحيم، عن عبد العزيز بن صُهيب، عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**افترقت بنو إسرائِيل على إحدى وسبعين فرقةً، وإن أُمتي ستفترق على ثلاثٍ وسبعين فرقة، كلها في النار إلَّا السوادَ الأعظم**»[(٣)].

٣٥ ـ وحدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، قال: ثنا زهير بن محمد المروزي، قال: ثنا أحمد بن عبد الله بن يونس، قال: ثنا أبو بكر بن عياش، عن موسى بن عُبيدة، عن ابنة سعد، عن أبيها سعد رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**افترقتْ بنو إسرائِيلَ على إحدى وسبعين ملَّةً، ولن**

---

(١) كتب في هامش الأصل: (الحسين) خ. والصواب ما أثبته.

(٢) رواه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٢٨٦).

(٣) رواه أبو يعلى الموصلي في «مسنده» (٣٩٣٨)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٢٨٧).

تذهب الأيام والليالي حتى تفترقَ أُمتي على مثلِها ـ أو قال: عن مثلِ ذلك ـ، وكل فرقةٍ منها في النار إلَّا واحدةً وهي الجماعة»(١).

٣٦ ـ أخبرنا إبراهيم بن موسى الجوزي، قال: ثنا محمد بن هارون أبو نشيط، وإبراهيم بن هانئ النيسابوري، قالا: ثنا أبو المغيرة، قال: ثنا صفوان، قال: حدثني أزهر بن عبد الله الحَرَازي، عن أبي عامر الهوزني، عن معاوية بن أبي سفيان ﷺ أنه قام حين صلى الظهر بالناس بمكة، فقال: ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا، فقال: «ألا إن مَن كان قبلَكم من أهلِ الكتابِ افترقوا على اثنتين وسبعين مِلَّة، وإن هذه الأُمةَ ستفترقُ على ثلاثٍ وسبعين، اثنتانِ وسبعونَ في النار وواحدةٌ في الجنةِ، وهي الجماعة»(٢).

---

(١) رواه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٢٨٣ و٢٨٤)، وزاد في إسناده: . . عن موسى بن عبيدة، عن عبد الله بن عبيدة، عن بنت سعد. . فذكره.

(٢) رواه أحمد (١٦٩٣٧)، وأبو داود (٤٥٩٧)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٢٨٤).

ـ قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٩/ ٣٨): إسناده حسن.

ـ قال ابن تيمية رحمه الله في «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ١١٨): هذا حديث محفوظ من حديث صفوان بن عمرو، عن الأزهر بن عبد الله الحرازي، عن أبي عامر عبد الله بن لحي، عن معاوية رضي الله عنه.

رواه عنه غير واحد، منهم: أبو اليمان، وبقية، وأبو المغيرة.

رواه أحمد، وأبو داود في «سُننه».

وقد روى ابن ماجه هذا المعنى من حديث صفوان بن عمرو، عن راشد بن سعد، عن عوف بن مالك الأشجعي، ويروى من وجوه أُخرى.

فقد أخبر النبي ﷺ بافتراق أُمته على ثلاث وسبعين فرقة، واثنتان وسبعون لا ريب أنهم الذين خاضوا كخوض الذين من قبلهم.

ثم هذا الاختلاف الذي أخبر به النبي ﷺ إما في الدين فقط، وإما في الدين والدنيا، ثم قد يؤول إلى الدماء، وقد يكون الاختلاف في الدنيا فقط.

وهذا الاختلاف الذي دلت عليه هذه الأحاديث، هو مما نهي عنه في قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾ [آل عمران: ١٠٥]. . وهذا المعنى =

قال محمد بن الحسين رحمه الله تعالى:

رَحِمَ الله عبدًا حَذِرَ هذه الفرق، وجانبَ البدع، واتبع ولم يبتدع، ولزِمَ الأثر، فطلبَ الطريقَ المُستقيم، واستعانَ بمولاه الكريم(١).

محفوظ عن النبي ﷺ من غير وجه، يشير إلى أن التفرقة والاختلاف لا بدَّ من وقوعهما في الأمة، وكان يُحذِّر أُمَّته؛ لينجو منه من شاء الله له السلامة..

والاختلاف على ما ذكره الله في القرآن قسمان:

أحدهما: يذمُ الطائفتين جميعًا، كما في قوله: ﴿...وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود]، فجعل أهل الرحمة مستثنين من الاختلاف... وكذلك النبي ﷺ لما وصف أن الأمة تفترق على ثلاث وسبعين فرقة؛ قال: «كلها في النار إلَّا واحدة، وهي الجماعة»، وفي الرواية الأُخرى: «من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي».

فبيَّن أن عامة المختلفين هالكون من الجانبين، إلَّا فرقة واحدة، وهم أهل السُّنة والجماعة.

وهذا الاختلاف المذموم من الطرفين يكون سببه تارة: فساد النية؛ لما في النفوس من البغي والحسد، وإرادة العلو في الأرض ونحو ذلك، فيحب لذلك ذم قول غيرها، أو فعله، أو غلبته ليتميَّز عليه، أو يحب قول من يوافقه في نسب، أو مذهب، أو بلد، أو صداقة، ونحو ذلك، لما في قيام قوله من حصول الشرف والرئاسة وما أكثر هذا من بني آدم، وهذا ظُلم.

ويكون سببه تارة: جهل المختلفين بحقيقة الأمر الذي يتنازعان فيه، أو الجهل بالدليل الذي يُرشد به أحدهما الآخر، أو جهل أحدهما بما مع الآخر من الحقِّ في الحكم، أو في الدليل، وإن كان عالمًا بما مع نفسه من الحق حكمًا ودليلًا.

والجهل والظلم: هما أصل كل شرٍّ، كما قال سبحانه: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب]... إلخ.

(١) قال الإمام محمد بن أسلم الطوسي رَحِمَهُ اللَّهُ: حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: خطَّ لنا رسول الله ـ ﷺ خطًا.. وحديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ: «إن بني إسرائيل افترقوا على اثنتين وسبعين ملة.. »، فرجع الحديث إلى واحد، والسبيل الذي قال في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والذي قال: «ما أنا =

٣٧ ـ حدثنا أبو بكر بن أبي داود، قال: ثنا محمد بن بشار، قال: ثنا معاذ، قال: ثنا ابن عون، عن محمد ـ يعني: ابن سيرين ـ، قال: كانوا يقولون: إذا كان الرجلُ على الأثرِ؛ فهو على الطريق[1].

عليه وأصحابي»، فدين الله في سبيل واحد، فكل عمل أعمله أعرضه على هذين الحديثين، فما وافقهما عملته، وما خالفهما تركته، ولو أن أهل العلم فعلوا لكانوا على أثر النبي ﷺ؛ ولكنهم فتنهم حب الدنيا وشهوة المال، ولو كان في حديث عبد الله بن عمرو الذي قال: «كلها في النار إلَّا واحدة»، قال: كلها في الجنة إلَّا واحدة، لكان ينبغي أن يكون قد تبين علينا في خشوعنا وهمومنا وجميع أمورنا خوفًا أن نكون من تلك الواحدة، فكيف وقد قال: «كلها في النار إلا واحدة». «الحلية» (٩/٢٤٣).

(١) في «الحُجَّة في بيان المحجة» (١٣٦) قال أبو حاتم: سمعت أحمد بن سنان وذكر حديث النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أُمَّتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى تقوم الساعة»: هم أهل العلم وأصحاب الآثار.

ـ وعند اللالكائي (١١٢) عن شاذ بن يحيى قال: ليس طريقٌ أقصدَ إلى الجنة مِنْ طريقِ مَنْ سلك الآثار.

ـ وفي «شرف أصحاب الحديث» (٥) قال سفيان الثوري: إنما الدين بالآثار ليس بالرأي، إنما الدين بالآثار ليس بالرأي، إنما الدين بالآثار ليس بالرأي.

ـ وفيه (٨) قال الأوزاعي: عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك ورأي الرجال، وإن زخرفوه بالقول، فإن الأمر ينجلي، وأنت على طريق مستقيم.

ـ وفي «ذم الكلام» (٣٣٧) عن العلاء بن المسيب، عن أبيه، قال: إنا نتبع ولا نبتدع، ونقتدي ولا نبتدي، ولن نضلَّ ما تمسكنا بالآثار.

ـ وفيه (٨٧٢) قال ابن وهب: كان عند مالك بن أنس فذُكِرَت السُّنةُ، فقال مالك: السُّنة سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلَّف عنها غرق.

ـ وفيه (٨٨٢) قال مالك: ما قلَّت الآثار في قومٍ إلَّا ظهرت فيهم الأهواء، ولا قلَّت العلماء إلَّا ظهر في الناس الجفاء.

ـ وفي «السنة» للمروزي (١٠١) عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: السُّننَ السُّننَ، فإن السُّنن قوام الدين.

٤ ـ بَاب

ذكر خوفِ النبي ﷺ على أُمَّته وتحذيرِه إياهم سُنَنَ مَنْ قَبْلَهم من الأُمم[(١)]

٣٨ ـ حدثنا أحمد بن يحيى الحلواني، قال: ثنا أحمد بن عبد الله بن يونس، قال: ثنا ابن أبي ذئب، عن سعيد المَقبُرِيّ، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لتأخُذَنَّ أُمَّتي بأخذ الأُمم والقرونِ قبلَها شِبرًا بشِبرٍ، وذِراعًا بذراعٍ».

قيل: يا رسول الله، كما فعلتْ فارسُ والرومُ؟

قال رسول الله ﷺ: «ومَنِ الناسُ إلَّا أُولئك؟»[(٢)].

٣٩ ـ حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، قال: ثنا زهير بن محمد المروزي، قال: أنا سُنيد بن داود، قال: حدثني حجاج، قال: قال ابن جريج: أخبرني

---

(١) عقد ابن بطة رحمه الله في «الإبانة الكبرى» بابًا نحوه، فقال: (١٢/باب إعلام النبي ﷺ لأمته ركوبَ طريقِ الأُمم قبلهم، وتحذيره إياهم ذلك).

(٢) رواه أحمد (٨٣٠٨)، والبخاري (٧٣١٩).

ـ قال ابن تيمية رحمه الله في «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٨١): فأخبر أنه سيكون في أُمَّته مضاهاة لليهود والنصارى، وهم أهل الكتاب، ومضاهاة لفارس والروم، وهم الأعاجم.

وقد كان ﷺ ينهى عن التشبه بهؤلاء وهؤلاء، وليس هذا إخبارًا عن جميع الأُمَّة، بل قد تواتر عنه أنه قال: «لا تزال طائفةٌ من أُمَّتي ظاهرةً على الحقِّ حتى تقوم الساعة». اهـ.

زياد بن سعد[1]، عن محمد بن زيد[2] بن المهاجر، عن أبي سعيد[3] المَقبُري، عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ[4] قال: «لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ الذين من قبلكم شِبرًا بشبرٍ، وذِراعًا بذراعٍ، وباعًا بباعٍ، حتى لو دخلوا جُحْرَ ضَبٍّ[5] لدخلتموه»[6].

٤٠ ـ وحدثنا ابن عبد الحميد ـ أيضًا ـ، قال: ثنا زهير بن محمد، قال: أنا إسماعيل بن أبي أُويس، قال: ثنا كثير بن عبد الله بن عَمرو بن عوف المُزني، عن أبيه، عن جده، قال: كنا قعودًا حول رسول الله ﷺ في مسجده بالمدينة، فجاءه جبريل عليه السلام بالوحي، فذكر حديثًا طويلًا، قال فيه: «جاءكم جبريلُ عليه السلام يتعاهدُ دينَكم، لتسلُكُنَّ سُنن الذين من قبلكم حَذْوَ النعلِ بالنعلِ، ولتأخُذُنَّ بمثل أخذهم، إنْ شِبرًا بشبرٍ، وإنْ ذِراعًا بذراعٍ، وإنْ باعًا بباعٍ، حتى لو دخلوا جُحْرَ ضَبٍّ لدخلتم فيه»[7].

---

(١) في الأصل: (سعيد)، وما أثبته هو الصواب كما في ترجمته في «تهذيب الكمال» (٩/ ٤٧٤).

(٢) في الأصل: (يزيد)، وفي الهامش: (زيد) خ، وهو الصواب كما في ترجمته في «تهذيب الكمال» (٢٥/ ٢٣٠).

(٣) كذا في الأصل. وفي «مسند أحمد»: (عن سعيد بن أبي سعيد، عن أبي هريرة ﷺ).

(٤) أشار في الأصل إلى لحق، وكتب فيه: (أنه قال)، خ.

(٥) الجُحر: كل شيء تحتفره الهوام والسباع لأنفسها. «لسان العرب» (٤/ ١١٧).

(٦) رواه أحمد (٨٣٤٠)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٢٨٣ و٢٨٤)، وهو حديث صحيح.

وروراه البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، قال: قال النبي ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم، شِبرًا بشِبرٍ، وذِراعًا بذِراعٍ، حتى لو دخلوا جُحر ضبٍّ تبعتموهم».

قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فمَن».

(٧) رواه ابن أبي عاصم في «السُّنة» (٤٥).

٤١ ـ أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، [٥/ب] قال: ثنا علي بن الجعد، قال: أنا عبد الحميد بن بَهرام، قال: ثنا شهر ـ يعني: ابن حوشب ـ، قال: ثنا عبد الرحمن بن غَنْم، أن[1] شداد بن أوس حدَّثه، عن رسول الله ﷺ قال: «لَيَحْمِلَنَّ شِرارُ هذه الأمة على سُنن الذين خلوا من قبلهم حذو القُذَّة بالقُذَّة»[2].

٤٢ ـ وحدثنا إسحاق بن أبي حسان الأنماطي، قال: ثنا هشام بن عمَّار الدمشقي، قال: ثنا عبد الحميد بن حبيب بن أبي العشرين، قال: ثنا الأوزاعي، قال: ثنا يونس بن يزيد، عن الزُّهري، عن الصُّنابحي، عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما، قال: لتتبعُنَّ أثرَ من كان قبلكم حذو النعل بالنعل، لا تخطئُون طريقهم، ولا تُخْطِئَنَّكم، ولتُنقَضَنَّ عُرى الإسلامِ عُروةً فعروةً[3]، ويكون أول نقضها الخشوع حتى

(١) كتب في هامش الأصل: (عن) خ.

(٢) رواه أحمد (١٧١٣٥)، والطيالسي (١٢١٧)، والبغوي في «الجعديات» (٣٤٥٩)، وفي إسناده: شهر بن حوشب فيه خلاف مشهور، ولكن متنه صحيح، وقد تقدم ما يشهد له.

و(القذذُ): ريش السهم. «الصحاح» (٢/ ٥٦٨).

وكُتِبَ في هامش (ب): يضرب مثلًا للشيئين يستويان ولا يتفاوتان، وقد تكرر ذكرها في الحديث مفردة ومجموعة. «النهاية». اهـ.

ـ وفي «السنة» للمروزي (٥٣) عن همام بن الحارث قال: كنا عند حذيفة رضي الله عنه فذكروا ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة]، فقال رجلٌ من القوم: إنما هذا في بني إسرائيل.

فقال حذيفة: نِعْم الإخوة لكم بنو إسرائيل، أن كان لكم الحلو ولهم المُرّ، كلَّا والذي نفسي بيده حتى تُحْذَى السنة بالسنة، حذو القُذَّة بالقُذَّة.

ـ وفيه (٥٤) وعن عمر بن الحكم أنه سمع عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، يقول: لتَرْكَبُنَّ سنةَ مَنْ قبلَكم حُلْوَها ومُرَّها.

ـ وفيه (٥٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لم يكن في بني إسرائيل شيء إلَّا كائن فيكم.

(٣) في «مقاييس اللغة» (٤/ ٢٩٦): (عُرى الإسلام): شرائعه التي يُتمسَّك بها، كل =

لا تَرى خاشعًا، وحتى يقول أقوام: ذهب النفاقُ من أُمة محمد ﷺ، فما بال الصلوات الخمس؟ لقد ضلَّ من كان قبلنا حتى ما يصلون بينهم، أولئِك المُكذِّبون بالقدر، وهم أسبابُ الدجَّال، وحَقٌّ على الله أن يُلْحِقَهم بالدجال(١).

❁ قال محمد بن الحسين:

٤٣ ـ من تصفَّحَ أمرَ هذه الأُمةِ من عالِمٍ عاقلٍ؛ علم أن أكثرهم العامّ منهم تجري أُمورُهم على سَنن أهل الكتابين كما قال النبي ﷺ، وعلى سَنن كِسرى وقيصر، وعلى سَنن أهل الجاهلية، وذلك مثل: السَّلطنة وأحكامهم، وأحكام العُمَّال والأُمراءِ وغيرهم، وأمر المصائب والأفراح، والمساكن واللباس والحِلية، والأكل والشرب والولائم، والمراكِب والخدم، والمجالس والمجالسة، والبيع والشِّراءِ، والمكاسب من جهات كثيرة، وأشباهٍ لما ذكرت يطول شرحها تجري بينهم على

شريعة عروة. قال الله تعالى عند ذكر الإيمان: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦].

(١) رواه أحمد في «الإيمان» (١٣٠) من طريق أبي عبد الله الفلسطينيّ، قال: حدثني عبد العزيز أخو حذيفة، عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: أوَّلُ ما تفقِدون مِن دينكم الخشوع، وآخِرُ ما تفقِدون مِن دينكم الصَّلاة، وليُصلِّينَّ النِّساءُ وهنَّ حُيَّضٌ، ولينتقضنَّ الإسلامِ عُروةً عُروة، ولتركبن طريق مَن كان قبلكم حذوَ النَّعلِ بالنَّعلِ، وحذوَ القذَّةِ بالقذَّةِ، ولا تُخطئون طريقَهم، ولا يُخطئُ بكم، حتى تبقى فرقتانِ مِن فِرقٍ كثيرةٍ، تقول إحداهما: ما بالُ الصَّلواتِ الخمس؟! لقد ضلَّ مَن كان قبلنا، إنما قال الله ﷻ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ [هود: ١١٤]، لا يُصلّون إلَّا صلاتينِ أو ثلاثةً.

وفرقة أُخرَى تقول: إنا لمؤمنون بالله كإيمان الملائكة، وما فينا كافِرٌ ولا منافِقٌ.

حقًّا على الله أن يحشُرَهم مع الدَّجَّالِ. وهو أثر صحيح.

خلاف الكتاب والسُّنة، وإنما تجري بينهم على سُنن من قبلنا كما قال النبي ﷺ، والله المستعان.

ما أقل من يتخلَّص من البلاءِ الذي قد عمَّ الناس، ولن يُميِّزَ هذا إلَّا عاقِلٌ، عالِمٌ، قد أدَّبه العلم، والله الموفق لكلِّ رشادٍ، والمُعين عليه[1].

---

(١) بنحو هذا الكلام ختم ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ الباب الذي عقده في «الإبانة الكبرى» (٦٧١)، وزاد: فمن طلب السَّلامة لدينه في وقتنا هذا مع الناس: عَدِمَها، ومن أحبَّ أن يلتمس معيشة على حكم الكتاب والسُّنة: فقدها؛ وكثُرَ خصماؤه، وأعداؤه، ومخالفوه، ومبغضوه فيها. الله المُستعان.

فما أشدَّ تعذُّرَ السلامةِ في الدين في هذا الزمان، فطرقات الحقِّ خالية مُقْفِرَة مُوْحِشَة قد عُدِم سالكوها، واندفنت مَحَاجُها، وتهدمت صَوَايِاها وأعلامها، وفُقِد أدِلّاؤها وهداتُها، قد وقفت شياطين الإنس والجن على فجاجها وسبلها تتخطَّف الناس عنها. الله المُستعان.

فليس يعرف هذا الأمر ويُهِمُّه إلَّا رجلٌ عاقل مُميز، قد أدَّبه العلم، وشرح الله صدره بالإيمان. ثم أسند:

- عن يزيد بن خُمير الرّحبي، قال: سألت عبد الله بن بُسر - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ صاحب النبي ﷺ: كيف حالنا مِنْ حالِ مَنْ كان قبلَنا؟

قال: سبحان الله! لو نُشِروا من القبور ما عرفوكم إلَّا أن يجدوكم قيامًا تُصلُّون.

- وعن ثابت، عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: ما من شيءٍ كنت أعرفه على عهد رسول الله ﷺ إلَّا قد أصبحت له مُنكِرًا، إلَّا أني أرى شهادتكم هذه ثابتة.

قال: فقيل: يا أبا حمزة، فالصلاة؟! قال: قد فُعل فيها ما رأيتم.

- وعن أمِّ الدرداء قالت: دخل أبو الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهو غضبان، قلت له: ما أغضبك؟

قال: والله ما أعرف فيهم من أمرِ محمدٍ ﷺ إلَّا أنهم يُصلُّون جميعًا.

- وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنه كان يتمثَّلُ بهذا البيت:

فما الناسُ بالناسِ الذين عهدتهم ولا الدَّارُ بالدَّارِ التي كُنتَ تَعرِفُ

قال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا يا إخواني رحمنا الله وإياكم قول أصحاب =

٥ ـ بَاب

ذم الخوارج وسوءِ مذاهبهم، وإباحة قتالهم وثواب من قتلهم أو قتلوه(١)

رسول الله ﷺ عبد الله بن بُسرٍ، وأنس بن مالك، وأبي الدرداء، وابن عباس ﵃، ومن تركت أكثر ممن ذكرت.

فيا ليت شعري كيف حال المؤمن في هذا الزمان؟! وأيُّ عيشٍ له مع أهله، وهو لو عادَ عليلًا لعاين عنده وفي منزله وما أعدَّه هو وأهله للعلَّة والمرض من صنوف البدع، ومخالفة السُّنن، والمضاهاة للفرس والروم وأهل الجاهلية ما لا يجوز له معه عيادة المرضى.

وكذلك إن شَهِدَ جنازة، وكذلك إن شَهِدَ إملاك رجلٍ مسلم، وكذلك إن شَهِدَ له وليمة، وكذلك إن خرج يريدُ الحجَّ عاين في هذه المواطن ما يُنكره ويُكربه ويسوؤه في نفسه وفي المسلمين ويغمّه.

فإذا كانت مَطالِب الحقِّ قد صارت بواطل، ومحاسن المسلمين قد صارت مقابح، فماذا عسى أن تكون أفعالهم في الأمور التي نطوي عن ذكرها؟!

إنا لله وإنا إليه راجعون، ما أعظم مصائب المسلمين في الدِّين، وأقلَّ في ذلك المُفكِّرين. اهـ.

(١) بدأ المُصنِّف ﵀ الكلام عن الخوارج وما روي في ذمهم من النصوص، وأهل العلم يختلفون في ترتيب الفرق والبدعِ بها كما قال ابن تيمية ﵀ «مجموع الفتاوى» (١٣/٤٩): إن الناس في ترتيب أهل الأهواء على أقسام: منهم من يرتبهم على زمان حدوثهم، فيبدأ بالخوارج.

ومنهم من يرتبهم بحسب خفَّة أمرهم وغلظه: فيبدأ بالمرجئة، ويختم بالجهمية كما فعله كثيرٌ من أصحاب أحمد ﵀؛ كعبد الله ابنه ونحوه، وكالخلال، =

وأبي عبد الله ابن بطَّة، وأمثالهما. . . وكلا الطائفتين تختم بالجهمية؛ لأنهم أغلظ البدع وكالبخاري في «صحيحه» فإنه بدأ بكتاب (الإيمان والرد على المرجئة)، وختمه بكتاب (التوحيد والرد على الزنادقة والجهمية). اهـ.

والكلام عن الخوارج والتعريف بهم يطول، وسيورد المُصنِّف كثيرًا من النصوص والآثار في ذمهم والتحذير منهم، ومما ذُكِر فيهم مما لم يذكره المصنف:

- ففي «السُّنة» للخلال (١١٠) قال الإمام أحمد رحمه الله: الخوارج قوم سُوء، لا أعلم في الأرض قومًا شرًّا منهم.

وقال: صحَّ الحديث فيهم عن النبي ﷺ من عشرة أوجه.

- وقال حرب الكرماني رحمه الله في «عقيدته» (١٠٦): وأما (الخوارج): فمرقوا مِن الدِّينِ، وفارقوا المِلَّةَ، وشرَدوا على الإسلام، وشذُّوا عن الجماعةِ، وضلُّوا عن سبيلِ الهدى، وخرجوا على السُّلطانِ والأئمَّةِ، وسلّوا السيف على الأُمَّةِ، واستحلُّوا دِماءهم وأموالهم، وأكفروا مَن خالفهم، إلَّا مَن قال بقولِهم، وكان على مثل رأيهم، وثبتَ معهم في دارِ ضلالتهم.

وهم يشتمون أصحاب محمدٍ ﷺ، وأصهارَه وأختانَه، ويتبرَّؤون منهم، ويرمونَهم بالكفرِ، والعظائِمِ، ويرون خِلافهم في شرائعِ الدِّينِ وسُننِ الإسلام.

ولا يؤمنون بعذابِ القبرِ، ولا الحوضِ، ولا الشفاعةِ، ولا يخرجون أحدًا مِن أهلِ النار.

وهم يقولون: مَن كذَبَ كِذبةً، أو أتى صغيرةً، أو كبيرةً مِن الذنوبِ فماتَ مِن غيرِ توبةٍ؛ فهو كافِرٌ، فهو في النارِ خالدًا مُخلَّدًا فيها أبدًا.

وهم يقولون بقولِ البكريةِ في الحبَّةِ والقيراطِ.

وهم قدريةٌ، جهميةٌ، مرجِئةٌ، رافضةٌ. ولا يرون جماعةً إلَّا خلفَ إمامِهم.

وهم يرون تأخيرَ الصلاةِ عن وقتها، ويرون الصومَ قبلَ رؤيتِه، والفطرَ قبلَ رؤيته. اهـ.

- وقال أيضًا (١١٧): وأما (الخوارجُ): فإنهم يُسمون أهلَ السُّنةِ والجماعةِ: (مُرجئة)، وكذبتِ الخوارجُ في قولهم، بل هم المُرجئةُ؛ يزعمون أنهم على إيمانٍ وحقٍّ دون الناسِ، ومَن خالفهم كفارٌ. اهـ.

- وقال ابن تيمية رحمه الله في «الإيمان الأوسط» (ص٣١٩): وهؤلاء الخوارج =

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٤ ـ لم يختلف العلماء قديمًا وحديثًا[1]: أن الخوارج قوم سُوء،

لهم أسماء، يقال لهم: (الحرورية)؛ لأنهم خرجوا بمكان يقال له: حروراء.

ويقال لهم: (أهل النهروان)؛ لأن عليًا رضي الله عنه قاتلهم هناك.

ومن أصنافهم: (الإباضية)؛ أتباع عبد الله بن إباض.

و(الأزارقة)؛ أتباع نافع بن الأزرق.

و(النجدات)؛ أصحاب نجدة الحروري... وهم أول من كفَّرَ أهل القبلة بالذنوب، واستحلُّوا دماء أهل القبلة بذلك، فكانوا كما نعتهم النبي ﷺ: «يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان»، وكفَّروا عليَّ بن أبي طالب، وعثمان بن عفان رضي الله عنهما ومن والاهما، وقتلوا عليَّ بن أبي طالب مُستحلِّين لقتله، قتله عبد الرحمٰن بن مُلجم المُرادي منهم، وكان هو وغيره من الخوارج مُجتهدين في العبادة؛ لكن كانوا جُهَّالًا فارقوا السُّنة والجماعة، فقال هؤلاء: ما الناس إلَّا مؤمن وكافر، والمؤمن من فعل جميع الواجبات، وترك جميع المحرمات، فمن لم يكن كذلك فهو كافر مخلَّد في النار. ثم جعلوا كل من خالف قولهم كذلك، فقالوا: إن عثمان وعليًا ونحوهما حكموا بغير ما أنزل الله، وظلموا فصاروا كفارًا. ومذهب هؤلاء باطل بدلائل كثيرة من الكتاب والسُّنة...اهـ. ثم ذكرها.

ـ وقال في «النبوات» (١/ ٥٧١): الخوارج ظهروا في الفتنة، وكفَّروا عثمان وعليًا رضي الله عنهما، ومن والاهما، وباينوا المسلمين في الدار، وسمّوا دارهم دار الهجرة، وكانوا كما وصفهم النبي ﷺ: «يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان»، وكانوا أعظم الناس صلاةً وصيامًا وقراءةً؛ كما قال النبي ﷺ: «يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم... يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية»، ومروقهم منه: خروجهم؛ باستحلالهم دماء المسلمين، وأموالهم... وهم بسطوا في المسلمين أيديهم وألسنتهم؛ فخرجوا منه.اهـ.

* وانظر: «السُّنة» لابن أبي عاصم في (٢/ ٦٢٢) (باب المارقة، والحرورية، والخوارج، السابق لها خذلان خالقها).

(١) المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ سيحكي إجماع الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من سلف الأمة على ذم الخوارج وذم مذهبهم الخبيث، وهذا الإجماع قد حكاه الكثير من أئمة =

عُصاة لله تعالى ولرسوله ﷺ، وإن صَلَّوْا وصاموا، واجتهدوا في العبادة، فليس ذلك بنافعٍ لهم[١]، نعم ويُظهرون الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وليس ذلك بنافعٍ لهم؛ لأنهم قومٌ يتأوَّلون القرآن على ما يَهْوَوْنَ، يُموِّهون على المسلمين[٢].

السُّنة في عقائدهم المطوَّلة والمختصرة كما مرَّ معك في التعليق السابق. وعليه فلا عِبرة بقول ابن حجر في ترجمة الحسن بن صالح الخارجي في «تهذيب التهذيب» (٢/ ٢٨٨) بأن الخروج على أئمة الجور مذهب للسلف قديم، قد استقرّ الأمر على تركه!

فليس الخروج على الأئمة مذهبًا من مذاهب السلف الصالح البتَّة، كيف وقد سماهم النبي ﷺ: (المارقة)، وأخبر أنهم (كلاب النار)، وأجمع السلف على ذمهم.

- قال ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٥١٨): فإن الأمة مُتفقون على ذم الخوارج، وتضليلهم، وإنما تنازعوا في تكفيرهم. اهـ.

- وقال في «المسائل والأجوبة» (ص١٢٧): فثبت بالنص، وإجماع الصحابة رضي الله عنهم أن الخوارج مارقون، ومبتدعون، مستحقون القتال. اهـ.

(١) سيأتي برقم (١٥٧) أن صاحب البدعة لا يقبل الله منه عملًا.

(٢) في «ذم الكلام» (٨٧) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أخوف ما أخاف على هذه الأمة: الذين يتأولون القرآن على غير تأويله.

- وفي «التمهيد» (٢٣/ ٣٣٥) عن بُكير بن عبد الله بن الأشج، أنه سأل نافعًا: كيف كان رأي ابن عمر رضي الله عنهما في الخوارج؟ فقال: كان يقول: هم شرارُ الخلق، انطلقوا إلى آيات أُنزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين.

- قال ابن تيمية رحمه الله في «درء التعارض» (١/ ١٧٦): معلوم أن الخوارج هم مبتدعة مارقون. . . وهم إنما تأوَّلوا آيات من القرآن على ما اعتقدوه، وجعلوا من خالف ذلك كافرًا، لاعتقادهم أنه خالف القرآن، فمن ابتدع أقوالًا ليس لها أصل في القرآن، وجعل من خالفها كافرًا كان قوله شرًّا من قول الخوارج. اهـ.

- وقال في «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٢١٠) وهو يتكلم عن الخوارج: صاروا يتتبعون المتشابه من القرآن فيتأولونه على غير تأويله من غير معرفة منهم =

وقد حذَّرنا الله تعالى منهم، وحذَّرنا النبي ﷺ، وحذَّرَنَاهم الخلفاءُ الراشدون بعده، وحذَّرَنَاهم الصحابةُ ﷺ ومن تبعهم بإحسان.

والخوارج هم الشُّراة الأنجاس الأرجاس[١]، ومن كان على مذهبهم من سائِر الخوارج، يتوارثون هذا المذهبَ قديمًا وحديثًا، ويَخرجون على الأئمة والأُمراءِ، ويستحلّون قتل المسلمين[٢].

= بمعناه، ولا رسوخ في العلم، ولا اتباع للسُّنة، ولا مراجعة لجماعة المسلمين الذين يفهمون القرآن. اهـ.

(١) كتب في هامش (ب): (الشُّراة): الخوارج، الواحد شارٍ، سموا بذلك لقولهم: إنا شرينا أنفسنا في طاعة الله، أي: بعناها بالجنة حين فارقنا الأئمة الجائرة. «الصحاح».

ويجوز أن يكون من المشارَّة: الملاجَّة. «النهاية». اهـ.

قلت: وسموا بالشُّراة نسبة إلى الشراء الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١].

و(النَّجس): بالفتح، الدَّنِسُ القذِرُ مِن الناس. «تاج العروس» (١٦/ ٥٣٧).

و(الرجس): القَذَرُ، وقد يعبر به عن الحرام والفعل القبيح، والعذاب، واللعنة، والكفر. «النهاية» (٢/ ٢٠٠).

(٢) قال ابن عبد البر في «التمهيد» (٢٣/ ٣٣٥): وأخبار الخوارج بالنهروان، وقتلهم للرجال والولدان، وتكفيرهم الناس، واستحلالهم الدماء والأموال مشهور معروف، ولأبي زيد عمر بن شَبَّة في أخبار النهروان وأخبار صفين ديوان كبير من تأمَّله اشتفى من تلك الأخبار، ولغيره في ذلك كتب حِسان، والله المستعان. اهـ.

- قال ابن تيمية ﷺ في «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٤٩٧): فهؤلاء أصل ضلالهم: اعتقادهم في أئمة الهُدى وجماعة المسلمين أنهم خارجون عن العدل، وأنهم ضالون، وهذا مأخذ الخارجين عن السُّنة من الرافضة ونحوهم، ثم يعدُّون ما يرون أنه ظلمٌ عندهم كفرًا. ثم يُرتِّبون على الكفر أحكامًا ابتدعوها. فهذه ثلاث مقامات للمارقين من الحرورية والرافضة ونحوهم، في =

فأولُ قرنٍ طلع منهم على عهد رسول الله ﷺ: وهو رجلٌ طَعَنَ على رسول الله ﷺ وهو يَقسمُ الغنائِم، فقال: اعدِل يا محمد، فما أَرَاكَ تَعْدِل! فقال: «وَيْلَكَ! فمن يعدِلُ إذا لم أكن أعدل؟!»(١).

كل مقام تركوا بعض أصول دين الإسلام حتى مرقوا منه كما مرق السهم من الرمية. وفي «الصحيحين» في حديث أبي سعيد رضي الله عنه: «يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان؛ لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»، وهذا نعت سائر الخارجين كالرافضة ونحوهم؛ فإنهم يستحلون دماء أهل القبلة لاعتقادهم أنهم مرتدون أكثر مما يستحلون من دماء الكفار الذين ليسوا مرتدين؛ لأن المرتد شرٌّ من غيره. اهـ.

ـ وقال أيضًا (١٣/ ٢٠٩): الخوارج دينهم المعظم: مُفارقة جماعة المسلمين، واستحلال دمائهم وأموالهم. اهـ.

(١) قال ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (١٩/ ٧١): أول البدع ظهورًا في الإسلام وأظهرها ذمًّا في السُّنة والآثار: بدعة الحرورية المارقة؛ فإن أولهم قال للنبي ﷺ في وجهه: (اعدل يا محمد فإنك لم تعدل).

وأمر النبي ﷺ بقتلهم وقتالهم، وقاتلهم أصحاب النبي ﷺ مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

والأحاديث عن النبي ﷺ مُستفيضة بوصفهم وذمهم والأمر بقتالهم...

ولهم خاصتان مشهورتان فارقوا بهما جماعة المسلمين وأئمتهم:

إحداهما: خروجهم عن السُّنة وجعلهم ما ليس بسيئةٍ سيئة، أو ما ليس بحسنةٍ حسنة، وهذا هو الذي أظهروه في وجه النبي ﷺ حيث قال له ذو الخويصرة التميمي: (اعدل فإنك لم تعدل)، حتى قال له النبي ﷺ: «ويلك! ومن يعدل إذا لم أعدل؟! لقد خبتُ وخسِرتُ إن لم أعدل».

فقوله: (فإنك لم تعدل)، جعلٌ منه لفعل النبي ﷺ سفهًا وتركَ عدل.

وقوله: (اعدل) أمرٌ له بما اعتقده هو حسنة من القسمة التي لا تصلح، وهذا الوصف تشترك فيه البدع المخالفة للسُّنة، فقائلها لا بد أن يُثبت ما نفته السُّنة، وينفي ما أثبتته السُّنة، ويُحسِّن ما قبَّحته السُّنة، أو يُقبِّح ما حسَّنت السُّنة، وإلَّا لم يكن بدعة...

والخوارج جوَّزوا على الرسول نفسه أن يَجور ويضلّ في سُنته، ولم يوجبوا =

طاعته ومتابعته، وإنما صدقوه فيما بلَّغه من القرآن دون ما شرعه من السُّنة التي تخالف ـ بزعمهم ـ ظاهر القرآن. وغالب أهل البدع غير الخوارج يتابعونهم في الحقيقة على هذا؛ فإنهم يرون أن الرسول ﷺ لو قال بخلاف مقالتهم لما اتبعوه، كما يُحكى عن عَمرو بن عُبيد في حديث الصادق المصدوق، وإنما يدفعون عن نفوسهم الحُجَّة: إما بردِّ النقل، وإما بتأويل المنقول. فيطعنون تارة في الإسناد، وتارة في المتن. وإلَّا فهم ليسوا مُتبعين ولا مؤتمين بحقيقة السُّنة التي جاء بها الرسول، بل ولا بحقيقة القرآن.

الفرق الثاني في الخوارج وأهل البدع: أنهم يُكفِّرون بالذنوب والسيئات.

ويترتب على تكفيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين وأموالهم، وأن دار الإسلام دار حرب ودارهم هي دار الإيمان... فهذا أصل البدع التي ثبت بنصِّ سنة رسول الله ﷺ وإجماع السلف أنها بدعة، وهو جعل العفو سيئة، وجعل السيئة كفرًا.

فينبغي للمسلم أن يحذر من هذين الأصلين الخبيثين وما يتولَّد عنهما من بغض المسلمين، وذمهم، ولعنهم، واستحلال دمائهم وأموالهم.

وهذان الأصلان هما خلاف السُّنة والجماعة، فمن خالف السُّنة فيما أتت به أو شرعته فهو مبتدع خارج عن السُّنة، ومن كفَّر المسلمين بما رآه ذنبًا سواء كان دينًا أو لم يكن دينًا وعاملهم معاملة الكفار فهو مفارق للجماعة. وعامة البدع والأهواء إنما تنشأ من هذين الأصلين.. إلخ.

ـ قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسيره» (٢/ ١٠):.. أول بدعة وقعت في الإسلام فتنة الخوارج، وكان مبدؤهم بسبب الدنيا حين قسم رسول الله ﷺ غنائم حُنين، فكأنهم رأوا في عقولهم الفاسدة أنه لم يعدل في القسمة، ففاجؤوه بهذه المقالة، فقال قائلهم ـ وهو ذو الخويصرة بقرَ الله خاصرته ـ: (اعدل فإنك لم تعدل). فقال له رسول الله ﷺ: «لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل، أيأمنني على أهل الأرض ولا تأمنوني». فلما قفَّا الرجل، استأذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه... رسول الله ﷺ في قتله، فقال: «دعه، فإنه يخرج من ضئضئ هذا ـ أي: من جنسه ـ قومٌ يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم..».

ثم كان ظهورهم أيام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وقتلهم بالنهروان، ثم تشعَّبت منهم شعوب وقبائل وآراء وأهواء ومقالات ونحل كثيرة منتشرة، ثم نبعت =

فأراد عمر ﷺ قتلَه، فمنعه النبي ﷺ من قتله، وأخبر: «أن هذا وأصحابًا له يَحقِرُ أحدُكم صلاتَه مع صلاتِه، وصيامَه مع صيامِه، يمرقون[١] من الدين».

وأمر في غير حديثٍ بقتالهم، وبيَّن فضل من قتلهم أو قتلوه[٢].

ثم إنهم خرجوا بعد ذلك من بُلدانٍ شتَّى، واجتمعوا وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر، حتى قدموا المدينة، فقتلوا عثمان بن عفان ﷺ، وقد اجتهد أصحابُ رسول الله ﷺ ممن كان بالمدينة في أن لا يُقتل عثمان، فما أطاقوا على ذلك ﷺ[٣].

ثم خرجوا بعد ذلك على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ،

القدرية، ثم المعتزلة، ثم الجهمية، وغير ذلك من البدع التي أخبر عنها الصادق المصدوق في قوله: «وستفترق هذه الأُمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلَّا واحدة». قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: «من كان على ما أنا عليه وأصحابي». اهـ.

(١) في «النهاية» (٤/ ٣٢٠): أي يَجُوزونه ويخرقونه ويتعدونه، كما يَخْرِق السهمُ الشيءَ المرمي به ويخرج منه.

وقال (٢/ ١٤٩): يريد أن دخولهم في الإسلام ثم خروجهم منه لم يتمسكوا منه بشيء، كالسهم الذي دخل في الرمية ثم نفذ فيها وخرج منها ولم يعلق به منها شيء. اهـ.

(٢) قال ابن تيمية ﷺ في «الفتاوى الكبرى» (٣/ ٥٣٦): وقد استفاض عن النبي ﷺ الأحاديث بقتال الخوارج، وهي متواترة عند أهل العلم بالحديث.

قال الإمام أحمد: صحَّ الحديث في الخوارج من عشرة أوجه.

وقد رواها مسلم في «صحيحه»، وروى البخاري منها ثلاثة أوجه: حديث علي، وأبي سعيد الخدري، وسهل بن حنيف ﷺ، وفي «السُّنن»، و«المسانيد» طُرقٌ أُخر مُتعدِّدة.. إلخ.

(٣) سيأتي كلام المُصنِّف عن دفاع الصحابة ﷺ عن عثمان ﷺ في زمن الفتنة في الأبواب المُتعلقة بالصحابة ﷺ تحت فقرة رقم (١٦٣٦).

ولم يرضوا لحُكمِه، وأظهروا قولهم، وقالوا: (لا حُكم إلَّا لله).

فقال علي رضي الله عنه: كلمة حقٍّ أرادوا بها الباطل.

فقاتلهم عليٌّ رضي الله عنه، فأكرمَه الله تعالى بقتلهم، وأخبر عن النبي ﷺ بفضل من قتلهم أو قتلوه، وقاتل معه الصحابة رضي الله عنهم، [٦/أ] فصار سيفُ عليٍّ رضي الله عنه في الخوارج سيفَ حقٍّ إلى أن تقوم الساعة(١).

---

(١) هذه أول فرقة من فرق الخوارج، وهم المُحكِّمة الأولى، وهم الذين أعلنوا شعار: (لا حُكم إلَّا لله)، قالوها بعد اتفاق الفريقين علي رضي الله عنه ومن معه، ومعاوية رضي الله عنه ومن معه على تحكيم رجلين منهما، فبعث علي رضي الله عنه: أبا موسى الأشعري رضي الله عنه، وبعث معاوية رضي الله عنه: عَمرو بن العاص رضي الله عنه، فأنكرت الخوارج على عليٍّ رضي الله عنه تحكيمه الرجال، وكفَّروه بذلك، وقالوا: (لا حُكم إلا لله)، وهذا الفرقة من أخبث الفرق وأضلها.

ـ قال المَلطي رحمه الله في «الرد على أهل الأهواء» (ص٦٢): فأما الفرقة الأولى من الخوارج: فهم (المُحكِّمة) الذين كانوا يخرجون بسيوفهم في الأسواق في جمع الناس على غفلة، فينادون: (لا حكم إلَّا لله)، ويضعون سيوفهم فيمن يلحقون من الناس، فلا يزالون يَقتلون حتى يُقتلوا، وكان الواحد منهم إذا خرج للتحكيم لا يرجع أو يُقتل، فكان الناس منهم على وجلٍ وفتنة، ولم يبق منهم اليوم أحدٌ على وجه الأرض بحمد الله. اهـ.

ـ وقال ابن تيمية رحمه الله في «الفتاوى الكبرى» (٣/ ٥٣٦): وهؤلاء قاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمَن معه من الصحابة، واتفق على قتالهم سلف الأمة وأئمتها لم يتنازعوا في قتالهم كما تنازعوا في القتال يوم الجمل وصفين، فإن الصحابة رضي الله عنهم كانوا في قتال الفتنة ثلاثة أصناف: قومٌ قاتلوا مع علي رضي الله عنه، وقومٌ قاتلوا مع من قاتله، وقومٌ قعدوا عن القتال لم يقاتلوا الواحدة من الطائفتين. وأما الخوارج فلم يكن فيهم أحدٌ من الصحابة رضي الله عنهم، ولا نهى عن قتالهم أحدٌ من الصحابة رضي الله عنهم. اهـ.

قلت: سيأتي عند أثر رقم (٨٧) سبب ابتداء قتال عليٍّ رضي الله عنه للخوارج.

٦ ـ بَاب

ذكر السُّنن والآثار فيما ذكرناه

٤٥ ـ حدثنا أبو بكر بن أبي داود، قال: ثنا عيسى بن حماد ـ زُغْبَة ـ، قال: أنا الليث بن سعد، عن يحيى بن سعيد، عن أبي الزُّبير، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: أتى رجلٌ رسولَ اللهِ ﷺ عند مُنصَرَفِه من حُنين، وفي ثوب رسول الله ﷺ فِضَّة، ورسولُ اللهِ ﷺ يَقْبِضُ منها، فيُعطي منها، فقال: يا محمد، اعدِل.

فقال: «وَيْلَكَ! ومن يعدلُ إذا لم أكن أعدلُ؟ لقد خِبتُ وخَسِرتُ إن لم[1] أكن أعدل».

فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله، دعني فأقتل هذا المنافق[2].

---

(١) كتب فوقها: (إذا لم) خ.

(٢) قال ابن تيمية رحمه الله في «الصارم المسلول» (٢/ ٤٢٥): فهذا الرجل [يعني: ذا الخويصرة] قد نصَّ القرآن أنه من المنافقين بقوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: ٥٨]، أي: يعيبك ويطعن عليك.

وقوله للنبي ﷺ: (اعدل)، و(اتق الله)، بعدما خصّ بالمال أولئك الأربعة؛ نسبة للنبي ﷺ إلى أنه جَارَ ولم يتقِّ الله، ولهذا قال: «أوَلست أحقَّ أهلِ الأرض أن يتقي الله؟ ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء؟».

ومثل هذا الكلام لا ريب أنه يوجب القتل لو قاله اليوم أحدٌ، وإنما لم يقتله النبي ﷺ لأنه كان يُظهر الإسلام وهو (الصلاة) التي يُقاتَل الناس حتى يفعلوها، وإنما كان نفاقه بما يَخُصُّ النبي ﷺ من الأذى، وكان له أن يعفو عنه، وكان يعفو عنهم تأليفًا للقلوب؛ لئلا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل =

فقال: «مَعَاذَ اللهِ! أن يتحدَّثَ الناسُ أني أقتُل أصحابي، إنَّ هذا وأصحابَه يقرؤون القرآنَ، لا يُجاوِزُ حناجرَهم، يمرقون منه كما يمرقُ السَّهمُ من الرَّمِية»(١).

أصحابه، وقد جاء ذلك مفسَّرًا في هذه القصّة أو في مثلها. اهـ.

- وقال في «درء التعارض» (٧/ ١٨١): فهذا المبتدع الجاهل لما ظنَّ أن ما فعله الرسول ﷺ ليس بعدلٍ، كان ظنه كاذبًا، وكان في إنكاره ظالمًا، وهذا حال كل مبتدعٍ نفى ما أثبته الله تعالى، أو أثبت ما نفاه الله، أو اعتقد حُسن ما لم يحُسِّنه الله، أو قُبح ما لم يَكرهه الله، فاعتقادهم خطأ، وكلامهم كذب، وإرادتهم هوى، فهم أهل شبهات في آرائهم، وأهواء في إرادتهم. اهـ.

(١) رواه مسلم (١٠٦٣).

كُتب في هامش (ب): (مَرَقَ السهم من الرمية مُروقًا، أي: خرج من الجانب الآخر، ومنه سُميت الخوارج: (مارقة)، لقوله ﷺ: «يمرقون من الدين كما يمرُق السهم من الرمية». «صحاح».

«يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»: يَجُوزونه ويخرقونه ويتعدونه كما يخرق السهم الشيء المرمي ويخرج منه. «النهاية».

الرمية: الصيد الذي ترميه فتقصده وينفذ فيها سهمك، وقيل: هي كل دابة مرمية). انتهى النقل من هامش (ب).

- قال ابن تيمية رحمه الله في «النبوات» (١/ ٥٧١): ومروقهم منه: خروجهم باستحلالهم دماء المسلمين وأموالهم؛ فإنه قد ثبت عنه في «الصحيح» أنه قال: «المسلم: من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمُهاجر: من هجر ما نهى الله عنه». وهم بسطوا في المسلمين أيديهم وألسنتهم؛ فخرجوا منه. اهـ.

- وفي «مناقب علي بن أبي طالب» لابن المغازلي (٧٧): قال محمد بن القاسم الأنباري: قال اللُّغويون: (المروق): الخروج، و(الرمية): المرمية، يعني: بأن هذا الزائغ يخرج من الإسلام، ولا يعلق منه بشيء كهذا السهم الذي يمرق من الدابة الرمية، فلم يعلق من دمها ولا لحمها بشيء، وقوله: «ينظر في النصل فلا يرى شيئًا»، توكيد؛ لأن السهم لم يعلق بنصله، ولا قدحه ولا ريشه، ولا فُوقِه من دم هذه الدابة شيء، و(الفُوق): الموضع الذي يقع فيه السهم من الوتر. اهـ.

٤٦ - وحدثنا أبو أحمد هارون بن يوسف، قال: ثنا ابن أبي عمر - يعني: محمدًا العدني - قال: ثنا سفيان بن عيينة، عن أبي الزبير، عن جابر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان يَقسِمُ الغنائِمَ بالجِعرانة، غنائِمَ حُنين، والتِّبْر[1] في حِجْر بلال، فقال له رجلٌ: يا رسول الله، اعدِل، فإنك لم تعدِل.

فقال: «ويلكَ! فمن يعدِلُ إذا لم أكُن أعدِل؟».

فقال عمر: دعني يا رسول الله أضرب عنقه.

فقال: «لا، دعه فإن هذا في أصحابٍ له يقرؤون القرآن لا يُجاوزُ تراقيَهم[2]، يمرقون من الدين كما يمرقُ السهم من الرَّمية».

٤٧ - حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، قال: ثنا ابن المُقرئِ، قال: ثنا سفيان بن عيينة، عن أبي الزبير، عن جابر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان يَقسِم الغنائم بالجِعْرَانة، فقام رجل، فقال: اعدِل، فإنك لم تعدل. فقال: «ويحك! فمن يعدل إذا لم أكن أعدل؟».

فقال عمر رضي الله عنه: دعني أضرب عنق هذا المنافق.

فقال: «دعه فإن مع هذا أصحابًا له - أو في أصحاب له - يقرؤون

---

(١) في «الصحاح» (٢/ ٦٠٠): (التِّبْرُ): ما كان من الذهب غير مضروب، فإذا ضرب دنانير فهو عين. ولا يقال: تبرٌ إلَّا للذهب. وبعضهم يقوله للفضة أيضًا. اهـ.

(٢) كتب في هامش (ب): (التراقي): جمع تَرْقُوَة، وهي العظم الذي بين النحر والعاتق. وهما ترقوتان من الجانبين. ووزنها فَعْلُوَة بالفتح.
والمعنى أن قراءتهم لا يرفعها الله ولا يقبلها، فكأنها لم تتجاوز حلوقهم.
وقيل المعنى: أنهم لا يعملون بالقرآن، ولا يثابون على قراءته، فلا يحصل لهم غير القراءة. «النهاية». انتهى من هامش (ب).
قلت: وقع في رواية مسلم: «يقرؤون القرآن رطبًا».
وفي بعض ألفاظ الحديث: «يقرؤون القرآن كأحسن ما يقرؤه الناس».
وفي لفظ: «قومٌ أشِدَّاء أحِدَّاء ذَلِقَةٌ ألسنتهم بالقرآن».

القرآن لا يُجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرقُ السهم من الرمية».

٤٨ ـ حدثنا أبو حفص عمر بن أيوب السقطي، قال: ثنا منصور بن أبي مزاحم، قال: ثنا يزيد بن يوسف، عن الأوزاعي، عن الزُهري، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، والضحاك الهمْداني، عن أبي سعيد الخدري ﷺ، قال: بَيْنَا رسولُ اللهِ ﷺ يَقسِمُ ذاتَ يومٍ قَسْمًا، إذ قال ذو الخُويصرة التميمي: يا رسول الله، اعدل!

فقال رسول الله ﷺ: «وَيْحَكَ! فمن يعدِلُ إذا لم[1] أعدِل».

فقام عمر بن الخطاب ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي أضرب عُنقه؟

قال: «لا، إن له أصحابًا يحقِرُ أحدُكم صلاتَه مع صلاته، وصيامَه مع صيامه[2]، يمرُقون من الدين كما يمرُقُ السهمُ من الرَّمِيَّة، يُنظرُ إلى نَصلِه فلا يُوجدُ فيه شيءٌ، ثم يُنظرُ إلى رِصافِه فلا يوجد فيه شيءٌ، ثم ينظر إلى نَضيِّه فلا يُوجدُ فيه شيءٌ، ثم يُنظر إلى قُذَذِه فلا يُوجد فيه شيءٌ، سَبَقَ الفرْثَ والدمَ[3]، يخرجون على حِين[4] فُرقةٍ من الناس، آيتُهم رَجلٌ أدعج[5]، إحدى يديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البَضْعَة،

(١) كتب في هامش الأصل: (لم أكن)، خ.
(٢) انظر التعليق على أثر رقم (٥٦) في بيان اجتهاد الخوارج في العبادة.
(٣) في «النهاية» (٢/ ٣٣٨): في حديث الخوارج: «سبق الفرث والدم»، أي: مرَّ سريعًا في الرمية وخرج منها لم يعلق منها بشيء من فرثها ودمها لسرعته، شبَّه به خروجهم من الدين ولم يعلقوا بشيء منه.اهـ.
(٤) كذا في الأصل و(ب)، وكتب في هامش الأصل: (خَير) صح خ/ يعني: وفي نسخة صحيحة أيضًا. وكلا اللفظين صحيح جاءت به الروايات في الصحيحين وغيرهما، وله وجهه كما بيَّن ذلك شُرَّاح الحديث.
(٥) سواد الجلد؛ لأنه قد روي في خبرٍ آخر: «آيتهم رجلٌ أسود». «النهاية» (٢/ ١١٩).

تَدَرْدَرُ[١]».

قال أبو سعيد: أشهد لَسَمِعْتُ هذا من رسول الله ﷺ، وأشهد أني كنت مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين قتلهم، والتُمِسَ في القتلى، فأُتي به على النعت الذي نَعَتَ رسولُ اللهِ ﷺ[٢].

٤٩ ـ حدثنا عمر بن أيوب، قال: ثنا منصور بن أبي مُزاحم، قال: ثنا يزيد[٣] بن يوسف، عن الأوزاعي، عن قَتادة بن دِعَامَة، عن أنس بن مالك، وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «سيكونُ في أُمتي اختلاف وفُرقة، ثم قوم يُحسنون القيل، ويسيئُون الفعل، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميَّة، ثم لا يرجعون حتى يرتدَّ على فُوْقِهِ[٤]، هم شرُّ

(١) (البَضعَة): القطعة من اللحم. (تدردر): تمرمَرُ وتضطربُ. «الغريب» للسمعاني (٢/ ٤٧٨).

ـ قال أبو عُبيد رحمه الله في «غريب الحديث» (١/ ٣٣٥): وقوله: «نظر في كذا وكذا فلم يرَ شيئًا»، يعني: أنه أنفذ سهمه منها حتى خرج وندر، فلم يعلق به من دمها شيء من سرعته، فنظر إلى النَّصل فلم ير فيه دمًا، ثم نظر في الرِّصاف، وهي: العقبُ التي فوق الرُّعظ، والرُّعظ مدخل النَّصل في السَّهم فلم ير دمًا. واحدة الرِّصاف: رصفة.

والقُذَذُ: ريش السَّهم، كل واحدة منها قُذَّةٌ، ومنه الحديث الآخر: «..تتبعون آثارهم حذو القُذة بالقُذة..»، فتأويل الحديث المرفوع: أن الخوارج يمرقون من الدِّين مروق ذلك السَّهم من الرَّمية. يعني: أنه دخل فيها ثم خرج منها لم يعلق به منها شيء، فكذلك دخول هؤلاء في الإسلام ثم خروجهم منه لم يتمسَّكوا منه بشيء.اهـ.

(٢) رواه البخاري (٣٦١٠ و٦١٦٣ و٦٩٣٣)، ومسلم (١٠٦٤).

(٣) أضاف في الأصل فوق كلمة: (أبو) خ.

(٤) في «تهذيب اللغة» (٣/ ٢٧٢٣): (الفُوْق): مشق رأس السهم حيث يقع الوتر.

ـ وفي «جمهرة الأمثال» (١/ ٣٧١): قولهم: «حتى يرجع السهم على فُوْقِه»: يقال: لا أفعل ذاك حتى يرجع السهم على فوقه، أي: لا أفعله أبدًا؛ =

الخَلْقِ والخَلِيقة[١]، طوبى لمن قَتَلهم أو قَتلوه، يَدْعُون إلى كتاب الله، وليسوا منه في شيءٍ، من قاتَلَهم[٢] كان أولى بالله منهم».

قالوا: يا رسول الله، ما سيماهم؟

قال: «التحليق»[٣].

٥٠ - حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، قال: ثنا هارون بن عبد الله، قال: ثنا سيّار بن حاتم، قال: ثنا جعفر بن سليمان، قال: ثنا أبو عمران الجَوْني، عن عبد الله بن رباح الأنصاري، عن كعب الأحبار، قال: للشهيد نوران، ولمن قتله الخوارج عشرة أنوار له، ولجهنم سبعة أبواب: باب منها للحرورية[٤] [٦/ب]، ولقد خرجوا على داود نبيِّ الله في زمانه.

قال محمد بن الحسين:

هذه صفة الحرورية، وهم الشُّراة الخوارج، الذين قال الله تعالى:

لأن السهم إذا رُميَ به مضى قُدمًا، ولم يرجع على فُوقه، ونحوه: حتى يرجع الدَّر في الضَّرع.اهـ.

(١) في «النهاية» (٢/ ٧٠): (الخَلق): الناس. و(الخليقة): البهائم. وقيل: هما بمعنى واحد، ويريد بهما: جميع الخلائق.اهـ.

(٢) كتب في هامش الأصل: (قتلهم) خ.

(٣) رواه أحمد (١٣٠٣٦)، وأبو داود (٤٧٦٦)، وابن ماجه (١٧٥).

والمراد بالتحليق: أي حلق رؤوسهم. ولفظ «المسند»: «سِيماهم الحَلقُ وَالتَّسبيتُ». التَّسْبِيتُ يعني: استِئصالَ الشَّعرِ القصيرِ.

- وفي «طبقات الحنابلة» (١/ ٣٣٥) قال جعفر بن محمد: قلت لأحمد: ما التسبيت؟ قال: الحلق الشديد، يشبه النّعال السِّبْتِيَّة.

وانظر التعليق على فقرة (١٨١)، ففيها زيادة بيان.

(٤) قال الأزهري رَحِمَهُ اللهُ في «تهذيب اللغة» (٣/ ٢٧٧): حَروراء: موضع بظاهر الكوفة إليها نسبت الحرورية من الخوارج، وبها كان أول تحكيمهم واجتماعهم حين خالفوا عليًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.اهـ.

﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧] الآية، وقد حذَّر النبي ﷺ أُمَّته ممن هذه صفته[(١)].

٥١ ـ حدثنا أبو أحمد هارون بن يوسف، قال: ثنا ابن أبي عمر، قال: ثنا عبد الوهاب الثقفي، عن أيوب، عن ابن أبي مُليكة، عن عائشة ﵂: أن رسول الله ﷺ قرأ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ الآية.

فقال: «إذا رأيتم الذين يُجادلون فيه، فهم الذين عَنَى الله تعالى؛ فاحذروهم»[(٢)].

٥٢ ـ حدثنا أبو بكر بن أبي داود، قال: ثنا يحيى بن حكيم، قال: ثنا عبد الوهاب بن عبد المجيد[(٣)]، قال: ثنا أيوب، عن ابن أبي مُليكة، عن عائشة ﵂ قالت: إن النبي ﷺ تلا هذه الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾، فقال: «يا عائشة، إذا رأيتم الذين يجادلون فيه، فهم الذين عنى الله تعالى؛ فاحذروهم».

٥٣ ـ حدثنا أبو بكر بن أبي داود، قال: ثنا المثنى بن أحمد، قال: ثنا عمرو بن خالد، قال: ثنا ابن لهيعة، عن عطاء بن دينار، عن سعيد بن جُبير، في قوله تعالى:

---

(١) سيعقد المُصنِّف برقم (١٥) بابًا في التحذير من متشابه القرآن.

(٢) رواه أحمد (٢٤٢١٠).

ورواه البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥) من طريق يزيد بن إبراهيم التستري، عن ابن أبي مُليكة، عن القاسم بن محمد، عن عائشة ﵄، ولفظه: «فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمَّى الله فاحذروهم».

(٣) في هامش الأصل: (الحميد)، والصواب ما في الأصل. ترجمته في «تهذيب الكمال» (١٨/ ٥٠٣).

﴿وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧]، قال: أما (المُتشابهات): فهُنَّ آي في القرآن يتشابهن على الناس إذا قرؤوهنَّ، من أجل ذلك يضلُّ من ضلَّ ممن ادعى هذه الكلمة، كل فرقةٍ يقرؤون آياتٍ من القرآن، ويزعمون أنها لهم، أصابوا بها الهُدى[١].

ومما تتبع الحرورية من المُتشابه قول الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة]، ويقرؤون معها: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام]، فإذا رأوا الإمام يحكم بغير الحقِّ، قالوا: قد كَفَر، ومن كفر عدلَ بربِّه؛ فقد أشرك، فهذه الأُمَّة[٢] مشركون؛ فيخرجون فيفعلون ما رأيت، لأنهم يتأولون هذه الآية[٣].

---

(١) كتب في هامش (أ، ب): في نسخة: (الهوى).

(٢) في (ب): الأئمة.

(٣) في «تفسير عبد الرزاق» (١/ ١١٥): قال قتادة في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ [آل عمران: ٧]، قال: إن لم تكن الحرورية أو السبئية فلا أدري من هم، ولعمري لقد كان في أصحاب بدرٍ والحديبية الذين شهدوا مع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان من المهاجرين والأنصار خبر لمن استخبر، وعبرة لمن اعتبر لمن كان يعقل أو يبصر، إن الخوارج خرجوا وأصحاب رسول الله ﷺ يومئذٍ كثير بالمدينة، وبالشام، وبالعراق، وأزواجه يومئذ أحياء، والله إنْ خرج منهم ذكر ولا أنثى حروريًا قطّ، ولا رضوا الذي هم عليه، ولا مالؤوهم فيه، بل كانوا يحدثون بعيب رسول الله ﷺ إياهم، ونعته الذي نعتهم به، وكانوا يبغضونهم بقلوبهم، ويعادونهم بألسنتهم، وتشتد والله أيديهم عليهم إذا لَقَوْهم، ولعمري لو كان أمر الخوارج هُدى لاجتمع؛ ولكنه كان ضلالة فتفرَّق، وكذلك الأمر إذا كان من عند غير الله وجدت فيه اختلافًا كثيرًا، فقد [أصلوا] هذا الأمر منذ زمان طويل، فهل أفلحوا فيه يومًا قط، أو أنجحوا؟ يا سبحان الله! كيف لا يعتبر آخر هؤلاء القوم بأولهم؟ إنهم لو كانوا على حقٍّ أو هدى قد أظهره الله وأفلجه ونصره؛ ولكنهم كانوا على باطل، فأكذبه الله تعالى، وأدحضه، فهم كما رأيتم كلما خرج منهم قرنٌ أدحض الله حجتهم، وأكذب أحدوثتهم، وأهراق دماءهم، وإن كتموه كان قرحًا في قلوبهم، وغمًّا =

٥٤ ـ وحدثنا أبو بكر بن عبد الحميد، قال: ثنا ابن المُقرئ، قال: ثنا سفيان، عن معمر، عن ابن طاووس، عن أبيه، قال: ذُكِرَ لابن عباس رضي الله عنهما الخوارج وما يُصيبهم عند قراءة القرآن؟

قال: يؤمنون بمُحكمه، ويضلون عن مُتشابهه(١)، وقرأ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧](٢).

٥٥ ـ وحدثنا ابن عبد الحميد ـ أيضًا ـ، قال: ثنا ابن المُقرئ، قال: ثنا سفيان، عن عبيد الله بن أبي يزيد، قال: سمعت ابن عباس رضي الله عنهما وذُكِرَ له الخوارج، واجتهادهم وصلاتهم، قال: ليس هم بأشدَّ اجتهادًا من اليهود والنصارى؛ وهم على ضلالة(٣).

عليهم، وإن أظهروه أهراق الله دماءهم، ذاكم والله دين سوء فاجتنبوه، فوالله إن اليهودية لبدعة، وإن النصرانية لبدعة، وإن الحرورية لبدعة، وإن السبئية لبدعة، ما نزل بهن كتاب، ولا سَنهن نبيٌّ. اهـ.

(١) كذا في (أ، ب)، وفي «تفسير عبد الرزاق» (٢٩٦٠)، والطبري (٥/ ٢١٤)، و«ذم الكلام» (٢٠٠)، وغيرهم: (عند متشابهه)، وهو الصواب فيما يظهر.

(٢) في «الإبانة الكبرى» (٢٧٣٧) سُئِل أنس بن مالك رضي الله عنه عن القومِ يستمعون القرآن فيصعقون؟ قال: أولئك الخوارج.

(٣) قد رأى ذلك عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لما أرسله علي رضي الله عنه لمناصحتهم، فقال: (دخلت عليهم، فلم أرَ قومًا أشدَّ منهم اجتهادًا، جِباهُهم قَرِحةٌ من السجودِ، وأيديهم كأنها ثَفِنُ الإبلِ، وعليهم قُمُصٌ مُرحَّضةٌ مُشمِّرين، مُسْهَمَةٌ وجوهُهم مِنَ السَّهَرِ). «المنتظم» (٥/ ١٢٤).

ـ وفي «المعجم الأوسط» (٤٠٥١) عن جندب الأزدي، قال: لما فارقت الخوارج عليًا، خرج في طلبهم، وخرجنا معه، فانتهينا إلى عسكر القوم، فإذا لهم دوي كدوي النحل من قراءة القرآن، وفيهم أصحاب الثفنات، وأصحاب البرانس.. الأثر، وسيأتي التعليق عليه تحت أثر رقم (٦٥).

ـ وفي «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٩٠٥٨) عن بشر بن شغاف، قال: سألني عبد الله بن سلام رضي الله عنه عن الخوارج؟ فقلت: هم أطول الناس صلاة، وأكثرهم =

٥٦ ـ **وأخبرنا** عبد الله بن صالح البخاري، قال: ثنا مخلد بن الحسن بن أبي زُميل، قال: ثنا أبو المليح الرَّقي، عن سُليمان بن أبي نَشِيط، عن الحسن: وذكر الخوارج، فقال: حَيَارى سُكارى، ليس بيهود ولا نصارى، ولا مجوس فيُعذرون[1].

صومًا، غير أنهم إذا خلفوا الجسر أهراقوا الدماء، وأخذوا الأموال.

ـ قال ابن تيمية رحمه الله في «الاستقامة» (١/ ٢٥٩): ولا ريب أن الخوارج كان فيهم من الاجتهاد في العبادة.. ما لم يكن في الصحابة رضي الله عنهم كما ذكره النبي ﷺ، لكن لما كان على غير الوجه المشروع أفضى بهم إلى المروق من الدين، ولهذا قال عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب رضي الله عنهما: اقتصاد في سُنة، خيرٌ من اجتهاد في بدعة... وكانوا يتشدَّدون في أمر الذنوب والمعاصي حتى كفَّروا المسلمين وأوجبوا لهم الخلود في النار...اهـ.

(١) في «النفاق» للفريابي (٤٩) بأتم من هذا. ولا يفهم منه عذر هؤلاء، كيف وقد قال النبي ﷺ: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار». فالخوارج قد قرءوا القرآن وسمعوا السنة فكيف يُعذرون؟!

ـ قال ابن كثير رحمه الله في «البداية والنهاية» (١٠/ ٥٨٠): هذا الضرب من الناس من أغرب أشكال بني آدم، فسبحان من نوَّع خلقه كما أراد، وسبق في قدره ذلك. وما أحسن ما قال بعض السلف في الخوارج: إنهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝﴾ [الكهف]، والمقصود أن هؤلاء الجهلة الضلال، والأشقياء في الأقوال والأفعال، اجتمع رأيهم على الخروج من بين أظهر المسلمين، وتواطئوا على المسير إلى المدائن؛ ليملكوها، ويتحصَّنوا بها، ثم يبعثوا إلى إخوانهم وأضرابهم ـ ممن هو على ما هم عليه من أهل البصرة وغيرها ـ فيوافوهم إليها، ويكون اجتماعهم عليها. فقال لهم زيد بن حصين الطائي: إن المدائن لا تقدرون عليها، فإن بها جيشًا لا تطيقونه وسيمنعونها منكم، ولكن واعدوا إخوانكم إلى جسر نهر جوخا، ولا تخرجوا من الكوفة جماعات، ولكن اخرجوا وحدانًا لئلا يشعروا بكم. فكتبوا كتابًا عامًّا إلى من هو على مذهبهم ومسلكهم من أهل البصرة وغيرها، وبعثوا به إليهم ليوافوهم إلى النهر، ليكونوا يدًا واحدة على الناس، ثم خرجوا يتسللون وحدانًا لئلا يعلم أحدٌ بهم فيمنعوهم من الخروج، فخرجوا من بين الآباء والأمهات والأعمام والعمات، وفارقوا =

٥٧ - وحدثنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن شاهين، قال: ثنا الصلت بن مسعود، قال: ثنا جعفر بن سليمان، قال: ثنا المُعلَّى بن زياد، قال: قيل للحسن: يا أبا سعيد، خرج خارجي بالخُرَيبة[(١)].

فقال: المسكين، رأى منكرًا فأنكره؛ فوقع فيما هو أنكر منه[(٢)].

سائر القرابات، يعتقدون بجهلهم وقلة علمهم وعقلهم أن هذا الأمر يرضي رب الأرض والسمٰوات، ولم يعلموا أنه من أكبر الكبائر والذنوب الموبقات، والعظائم والخطيئات، وأنه مما يزينه لهم إبليس وأنفسهم التي هي بالسوء أمَّارات. وقد تدارك جماعة منهم بعض أولادهم وقراباتهم وإخوانهم فردوهم ووبخوهم، فمنهم من استمر على الاستقامة، ومنهم من فرَّ بعد ذلك فلحق بالخوارج فخسر إلى يوم القيامة. . . إلخ.

(١) في «معجم البلدان» (٢/ ٣٦٣): (الخُرَيبَةُ): بلفظ تصغير خربة: موضع بالبصرة. . وعندها كانت وقعة الجمل بين عليّ وعائشة ﭭ.

(٢) في «السُّنة» لعبد الله (١٥١٢) عن عاصم بن بَهدَلَة، قال: خرج خارِجيٌّ بالكوفةِ، فقيل: يا أبا وائل، هذا خارجيٌّ خرج فقُتِلَ.

قال: والله ما أعزَّ الله هذا مِن دينٍ، ولا دفعَ عن مَظلوم.

- وفي «السُّنة» للخلال (٩٤) عن ابن يمان، عن سفيان الثوري أنه أتاه رجلٌ في زمن هارون، فقال له: إن هذا الرجل قد خرج، وأظهر ما ترى من العدل، فما ترى في الخروج معه؟

فقال له سفيان: كفيتُك هذا الأمر، ونقَّرتُ لك عنه، اجلس في بيتك.

- وفي «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٧/ ١٤٢) قال حميد بن هلال: أتى مُطرِّفَ بنَ عبد الله بن الشخير زمانَ ابنِ الأشعث ناسٌ يدعونه إلى قتال الحجاج، فلما أكثروا عليه، قال: أرأيتم هذا الذي تدعونني إليه، هل يزيد على أن يكون جهادًا في سبيل الله؟ قالوا: لا.

قال: فإني لا أُخاطر بين هلكة أقع فيها، وبين فضل أصيبه.

- وفيه (٧/ ١٤٣) قال حميد بن هلال: أتى مطرف بن عبد الله الحرورية يدعونه إلى رأيهم، قال: فقال: يا هؤلاء، إنه لو كانت لي نفسان تابعتكم بإحداهما، وأمسكت الأخرى، فإن كان الذي تقولون هدًى اتبعتها بالأخرى، وإن كانت ضلالة هلكت نفسٌ وبقيت لي نفسٌ، ولكنها نفسٌ واحدة، وأنا أكره أن أُغرِّر بها. =

- وفي «الفتن» لنعيم بن حماد (٤٥١٣) قال عمر بن عبد العزيز: إذا كان لك إمام يعمل بكتاب الله ﷻ وسُنة رسول الله ﷺ، فقاتل مع إمامك، وإذا كان عليك إمام لا يعمل بكتاب الله ﷻ ولا سُنة رسول الله ﷺ، فخرج عليه خارجيٌ يدعو إلى كتاب الله، وسُنة رسول الله؛ فاجلس في بيتك.

- قال ابن تيمية رحمه الله في «منهاج السُنة» (٣/ ٣٩١): المشهور من مذهب أهل السُنة أنهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف وإن كان فيهم ظُلم، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة المُستفيضة عن النبي ﷺ؛ لأن الفساد في القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنة، فلا يُدفع أعظم الفسادين بالتزام أدناهما، **ولعلَّه لا يكاد يُعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلَّا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته**. اهـ.

- وقال أيضًا (٤/ ٥٢٧): أهل السُنة يجتهدون في طاعة الله ورسوله بحسب الإمكان، كما قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وقال النبي ﷺ: «**إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**»، ويعلمون أن الله تعالى بعث محمدًا ﷺ بصلاح العباد في المعاش والمعاد، وأنه أمر بالصلاح ونهى عن الفساد، فإذا كان الفعل فيه صلاحٌ وفسادٌ رجحوا الراجح منهما، فإذا كان صلاحه أكثر من فساده؛ رجَّحوا فعله، وإن كان فساده أكثر من صلاحه؛ رجَّحوا تركه.

فإن الله تعالى بعث رسوله ﷺ بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها.

فإذا تولَّى خليفة من الخلفاء، كيزيد، وعبد الملك، والمنصور، وغيرهم، فإما أن يقال: يجب منعه من الولاية وقتاله حتى يولَّى غيره كما يفعله من يرى السيف؛ فهذا رأيٌ فاسد، فإن مفسدة هذا أعظم من مصلحته، **وقلَّ من خرج على إمام ذي سلطان إلَّا كان ما تولَّد على فعله من الشرِّ أعظم مما تولَّد من الخير**؛ كالذين خرجوا على يزيد بالمدينة، وكابن الأشعث الذي خرج على عبد الملك بالعراق، وكابن المُهلَّب الذي خرج على ابنه بخراسان، وكأبي مسلم صاحب الدعوة الذي خرج عليهم بخراسان أيضًا، وكالذين خرجوا على المنصور بالمدينة والبصرة، وأمثال هؤلاء. =

وغاية هؤلاء إما أن يَغلِبوا، وإما أن يُغلَبوا، ثم يزول ملكهم فلا يكون لهم عاقبة؛ فإن عبد الله بن عليٍّ وأبا مسلمٍ هما اللذان قَتلا خلقًا كثيرًا، وكلاهما قتله أبو جعفر المنصور.

وأما أهل الحَرَّة وابن الأشعث وابن المُهلَّب وغيرهم فهُزِموا وهُزِم أصحابهم، فلا أقاموا دينًا، ولا أبقوا دُنيا.

والله تعالى لا يأمر بأمرٍ لا يحصل به صلاح الدين ولا صلاح الدنيا، وإن كان فاعل ذلك من أولياء الله المُتقين، ومن أهل الجنة، فليسوا أفضل من علي وعائشة وطلحة والزبير ﷺ وغيرهم، ومع هذا لم يَحمدوا ما فعلوه من القتال، وهم أعظم قدرًا عند الله، وأحسن نيَّة من غيرهم.

وكذلك أهل الحرَّة كان فيهم من أهل العلم والدين خَلقٌ.

وكذلك أصحاب ابن الأشعث كان فيهم خلقٌ من أهل العلم والدين، والله يغفر لهم كلهم.

وقد قيل للشعبي في فتنة ابن الأشعث: أين كنت يا عامر؟

قال: . . أصابتنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء، ولا فجرة أقوياء.

وكان الحسن البصري يقول: إن الحجاج عذابُ الله، فلا تدفعوا عذاب الله بأيديكم؛ ولكن عليكم بالاستكانة والتضرُّع، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ۝٧٦﴾ [المؤمنون]. . .

وكان أفاضل المسلمين ينهون عن الخروج والقتال في الفتنة، كما كان عبد الله بن عمر ﷺ، وسعيد بن المسيب، وعلي بن الحسين وغيرهم ينهون عام الحَرَّة عن الخروج على يزيد، وكما كان الحسن البصري ومجاهد وغيرهما ينهون عن الخروج في فتنة ابن الأشعث.

ولهذا استقرَّ أمر أهل السُنة على ترك القتال في الفتنة للأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ، وصاروا يذكرون هذا في عقائدهم، ويأمرون بالصبر على جور الأئمة وترك قتالهم، وإن كان قد قاتل في الفتنة خلق كثير من أهل العلم والدين.

وباب قتال أهل البغي والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يشتبه بالقتال في الفتنة، وليس هذا موضع بسطه. ومن تأمل الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ في هذا الباب واعتبر أيضًا اعتبار أولي الأبصار، علم أن الذي =

قال محمد بن الحسين:

٥٨ ـ فلا ينبغي لمن رأى اجتهادَ خارجيٍّ قد خرج على إمام عدلًا كان الإمام أو جائِرًا، فخرج وجَمَعَ جماعةً وسلَّ سيفَه، واستحلَّ قتالَ المسلمين، فلا ينبغي له أن يغترَّ بقراءَته للقرآن، ولا بطولِ قيامه في الصلاة، ولا بدوام صومه، ولا بحُسن ألفاظه في العلم إذا كان مذهبُه مذهبَ الخوارج(١).

جاءت به النصوص النبوية خير الأمور . . .

وهذا كله مما يُبيِّن أن ما أمر به النبي ﷺ من الصبر على جور الأئمة وترك قتالهم والخروج عليهم هو أصلح الأمور للعباد في المعاش والمعاد، وأن من خالف ذلك مُتعمِّدًا أو مُخطئًا لم يحصل بفعله صلاحٍ بل فساد. ولهذا أثنى النبي ﷺ على الحسن رضي الله عنه بقوله: «إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»، ولم يُثنِ على أحدٍ لا بقتال في فتنة، ولا بخروج على الأئمة، ولا نزعِ يد من طاعة، ولا مفارقة للجماعة.

وأحاديث النبي ﷺ الثابتة في الصحيح كلها تدل على هذا. . إلخ.

(١) وهذا كحال الحسن بن صالح بن حي الخارجي، فقد كان صاحب عبادة وطول قيام، ولم ينفعه ذلك عند أئمة السنة.

ـ ففي «الحلية» (٧/ ٣٢٨): كان يقال للحسن: حيّة الوادي ـ يعني: لا ينام بالليل ـ، وكان يقول: إني أستحيي من الله تعالى أن أنام تكلفًا حتى يكون النوم هو الذي يصرعوني، فإذا أنا نمت، ثم استيقظت ثم عدت نائمًا فلا أرقد الله عيني.

ـ وفي «تهذيب الكمال» (٦/ ١٨١) قال أحمد بن يونس: لو لم يولد الحسن بن صالح كان خيرًا له، يترك الجمعة، ويرى السيف، جالسته عشرين سنة وما رأيته رفع رأسه إلى السماء ولا ذكر الدنيا.

قلت: لما خالف السنة في مسألة الخروج على السلطان وترك الجمعة سقط عند أئمة السنة؛ لأن الميزان هو موافقة السنة والاتباع لسلف الأمة كما تقدم بيان ذلك تحت حديث رقم (١).

ـ ففي ترجمته في «تهذيب الكمال» (٦/ ١٨٠) عن زافر بن سُليمان: أردت =

وقد روي عن رسول الله ﷺ فيما قلته أخبارٌ لا يدفعها كثير من علماءِ المسلمين، بل لعلَّه لا يختلف في العلم بها جميع أئمة المسلمين.

٥٩ ـ حدثنا أبو شعيب عبد الله بن [٧/أ] الحسن الحراني، قال: ثنا عاصم بن علي، قال: ثنا أبو مَعْشَر.

الحج، فقال لي الحسن بن صالح: إن لقيت أبا عَبد الله سفيان الثوري بمكة، فأقرئه مني السلام، وقل: أنا على الأمر الأول. قال: فلقيت سفيان في الطواف، قال: قلت: إن أخاك الحسن بن صالح يقرأ عليك السلام، ويقول: أنا على الأمر الأول، قال: فما بال الجمعة؟! فما بال الجمعة؟!.

ـ وفيه أيضًا: عن أبي نعيم: ذُكِرَ الحسَن بن صالح عند الثوري، فقال: ذاك رجل يرى السيف على أمة محمد ﷺ.

ـ وقال أبو نعيم: دخل الثوري يوم الجمعة من الباب القبلي، فإذا الحسن بن صالح يُصلي، قال: نعوذ بالله من خشوع النفاق. وأخذ نعليه، فتحوَّل إلى سارية أُخرى.

ـ وعن أبي سَعِيد الأشج: سمعت عَبد اللَّه بن إدريس، وذكر له صعق الحسن بن صالح، فقال: تبسم سفيان أحبّ إلينا من صعق الحسن بن صالح.

ـ وكان زائدة يجلس في المسجد يحذر الناس من ابن حي وأصحابه، قال: وكانوا يرون السيف.

ـ وقال أبو معمر: كنا عند وكيع، فكان إذا حدَّث عن حسن بن صالح أمسكنا أيدينا فلم نكتب، فقال: مالكم لا تكتبون حديث حسن؟

فقال له أخي بيده هكذا. ـ يعني: أنه كان يرى السيف، فسكت وكيع ـ.

ـ وفي «السُّنة» لعبد الله بن أحمد (٣٦٣) قال ابنُ المبارك: ذكرتُ أبا حنيفة عند الأوزاعي، وذكرتُ عِلمه، وفقهه. فكرِه ذلك الأوزاعيُّ، وظهرَ لي منه الغضب.

وقال: تدرَي ما تكلَّمت به؟! تطري رجلًا يرى السَّيف على أهلِ الإسلام.

ـ وفيه (٢٢٨) قال عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: سمعتُ الأوزاعيَّ يقول: احتملنا عن أبي حنيفة كذا؛ وعقدَ بأصبعه، واحتملنا عنه كذا؛ وعقدَ بأصبعه الثانية، واحتملنا عنه كذا؛ وعقدَ بأصبعه الثالثة العُيوب حتى جاءَ السَّيف على أُمَّةِ محمدٍ ﷺ، فلما جاء السَّيفُ على أُمَةِ محمد ﷺ؛ لم نَقدِر أن نحتَمِلَه.

وقد تقدم برقم (١) بسط الكلام في ضابط المُقتدى بهم في العلم والعمل.

٥٩/أ - وأنا أبو عبد الله أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي، قال: ثنا محمد بن بكَّار، قال: ثنا أبو مَعْشَر، عن يعقوب بن زيد بن طلحة، عن زيد بن أسلم، عن أنس بن مالك ﷺ، قال: ذكر لرسول الله ﷺ رجل ذو نِكَاية[١] للعدو واجتهاد، فقال رسول الله ﷺ: «ما أعرف هذا»[٢].

فقالوا: يا رسول الله، نعته كذا وكذا.

فقال رسول الله ﷺ: «ما أعرفه».

فبينا هم كذلك إذ طلع الرجل، فقالوا: هذا يا رسول الله.

فقال: «ما كنت أعرف هذا، هذا أولُ قرنٍ رأيته في أُمتي، إن به لسَفْعَةً من الشيطان[٣]».

قال: فلما دنا الرجل، سلَّم، فردَّ عليه القوم السلام، قال: فقال له رسول الله ﷺ: «نشدتك بالله، هل حدَّثت نفسَك حين طلعتَ علينا: أنْ ليس في القوم أحدٌ أفضل منك؟».

قال: اللَّهم نعم.

قال: فدخل المسجد يُصلي، قال: فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «قُم فاقتله».

فدخل أبو بكر المسجد، فوجده قائمًا يُصلي، فقال أبو بكر في

---

(١) في «الصحاح» (٦/ ٢٥١٥): نكيت في العدو نكاية، إذا قتلت فيهم وجَرحت. اهـ.

(٢) كتب فوقها: (ما أعرفه) خ.

(٣) قال أبو عبيد رحمه الله في «غريب الحديث» (٤/ ١٠٧) وهو يشرح أثرًا لابن مسعود ﷺ: (سفعة من الشيطان): أصل السفع: الأخذ بالناصية، قال الله تبارك تعالى: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾﴾ [العلق]، فالذي أراد عبد الله ﷺ أن الشيطان قد استحوذ على هذا وأخذ بناصيته، فهو يذهب من العُجب كل مذهب حتى لا يرى أن أحدًا خيرًا منه. اهـ.

نفسه: إن للصلاة لحُرمة وحقًا، ولو استأمرتُ رسول الله ﷺ؟ قال: فجاء إليه، فقال له: «أقتلته ؟».

قال: لا؛ رأيته قائمًا يُصلي، ورأيت للصلاة حقًا وحُرمة، وإن شئتَ أن أقتله قتلته.

قال: «لست بصاحبه»، ثم قال: «اذهب يا عمر فاقتله».

قال: فدخل عمر المسجد، فإذا هو ساجد، قال: فانتظره طويلًا، ثم قال: في نفسه: إن للسجودِ لحقًا، ولو أني استأمرتُ رسول الله ﷺ، فقد استأمره من هو خيرٌ مني، قال: فجاء إلى رسول الله ﷺ.

فقال: «أقتلته؟».

قال: لا، رأيته ساجدًا، ورأيت للسُّجود حقًا، وإن شئتَ يا رسول الله أن أقتله قتلته.

قال: «لست بصاحبه، قُم يا عليّ فاقتله، أنت صاحبه إن وجدته».

قال: فدخل عليٌّ ـ كرَّم الله وجهه ـ المسجد، فلم يجده، قال: فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: رسول الله ﷺ: «لو قُتِلَ اليوم ما اختلفَ رجُلان من أُمَّتي حتى يخرج الدجال»، وذكر باقي الحديث(١).

٦٠ ـ **حدثنا** أبو بكر قاسم بن زكريا المُطرِّز، قال: ثنا فضل بن سهل الأعرج، قال: ثنا زيد بن الحُباب، قال: أخبرني موسى بن عُبيدة، قال: حدثني هُود بن عطاءِ الحنفي، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كان فينا شابٌ ذو عبادة وزُهدٍ، فوصفناه للنبي ﷺ، وسمَّيناه باسمه، فلم يعرفه، فبينا نحن كذلك إذ أقبل، فقلنا: يا رسول الله هُوَ ذا، فقال: «إني لأرى على وجهه سَفعةً من الشيطان»، فجاءَ فسلَّم على القوم، فردوا السلام، فقال له رسول الله ﷺ: «أجعلت

---

(١) إسناده ضعيف، وقد تقدم تخريجه برقم (٣٢).

في نفسك أن ليس في القومِ[١] خيرٌ منك؟».

قال: نعم.

ثم ولَّى، فدخل المسجد، فقال رسول الله ﷺ: «من يقتلُ الرجل؟».

فقال أبو بكر: أنا يا رسول الله.

فدخل المسجد، فوجده يُصلي، [فجاء، فقال له النبي ﷺ: «مهْ يا أبا بكر؟!»].

فقال أبو بكر: وجدته يُصلي، وقد نهيتنا عن ضرب[٢] المُصلِّين.

فقال: «من يقتل الرجل؟».

فقال عمر رضي الله عنه: أنا يا رسول الله، فدخل المسجد فوجده ساجدًا، فقال: أقتلُ رجلًا يُصلي، وقد نهانا عن ضرب المصلين؟!

فجاءَ، فقال له النبي ﷺ: «مهْ يا عمر؟!».

قال: وجدته ساجدًا، وقد نهيتنا عن ضرب المصلين.

ثم قال: «من يقتلُ الرجل؟».

فقال عليٌّ رضي الله عنه: أنا.

فقال: «أنت تقتله إن وجدته».

فذهب عليٌّ فجاءَ، فقال له النبي ﷺ: «مه يا علي؟!».

قال: وجدته قد خرج.

فقال: «أما إنك لو قتلته لكان أولَهم وآخرَهم، وما اختلف من أُمتي اثنان»[٣].

---

(١) كتب في هامش الأصل: (القوم أحد) خ.

(٢) كتب في الأصل: (قتل المصلين)، وكتب في الهامش: (ضرب) صح.

(٣) رواه أبو يعلى (٩٠)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٣٣٠)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٢٩١١).

وفي إسناده: موسى بن عبيدة الربذي، قال أحمد: ليس بشيء.

٧ ـ بَاب

ذكر قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه للخوارج مما أكرمه الله تعالى بقتالهم(١)

= وقال ابن عدي: والضعف على رواياته بيِّنٌ. «تهذيب الكمال» (٢٩/ ١٠٤).

(١) قال ابن تيمية رحمه الله في «منهاج السُّنة» (٦/ ١١٦) وهو يتكلم عن الخوارج: أهل السُّنة ـ ولله الحمد ـ مُتفقون على أنهم مبتدعة ضالون، وأنه يجب قتالهم بالنصوص الصحيحة، وأن أمير المؤمنين عليًا رضي الله عنه كان من أفضل أعماله قتاله الخوارج.

وقد اتفقت الصحابة رضي الله عنهم على قتالهم، ولا خلاف بين علماء السنة أنهم يقاتلون مع أئمة العدل، مثل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ لكن هل يُقَاتلون مع أئمة الجور؟ فنقل عن مالك أنهم لا يُقاتلون، وكذلك قال فيمن نقض العهد من أهل الذمة: لا يُقاتلون مع أئمة الجَوْر. ونقل عنه أنه قال ذلك في الكفار، وهذا منقول عن مالك وبعض أصحابه، ونُقِلَ عنه خلاف ذلك، وهو قول الجمهور، وأكثر أصحابه خالفوه في ذلك، وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي وأحمد، وقالوا: يُغزى مع كل أمير برًّا كان أو فاجرًا إذا كان الغزو الذي يفعله جائزًا، فإذا قاتل الكفار أو المرتدين أو ناقضي العهد أو الخوارج قتالًا مشروعًا قُوتِل معه، وإن قاتل قتالًا غير جائز لم يُقاتل معه، فيُعاون على البرّ والتقوى، ولا يُعاون على الإثم والعدوان، كما أن الرجل يُسافر مع من يحجّ ويعتمر، وإن كان في القافلة من هو ظالم. فالظالم لا يجوز أن يُعاون على الظلم؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢]. وقال موسى: ﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ۝١٧﴾ [القصص]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود: ١١٣]. وقال تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا

٦١ ـ حدثنا الفريابي، قال: ثنا صفوان بن صالح، قال: ثنا الوليد بن مسلم، قال: ثنا ابن لهيعة، قال: حدثني بُكير بن عبد الله بن الأشج، عن بُسْر[1] بن سعيد، عن

﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥]. و(الشفيع): المُعين.

فكل من أعان شخصًا على أمرٍ فقد شفَّعه فيه، فلا يجوز أن يُعان أحد: لا ولي أمرٍ، ولا غيره على ما حرَّمه الله ورسوله، وأما إذا كان للرجل ذنوب، وقد فعل برًّا، فهذا إذا أعين على البرِّ، لم يكن هذا مُحرَّمًا، كما لو أراد مذنب أن يؤدي زكاته، أو يحُجَّ، أو يقضي ديونه، أو يرُدَّ بعض ما عنده من المظالم، أو يوصي على بناته ـ فهذا إذا أُعين عليه فهو إعانة على برٍّ وتقوى، ليس إعانة على إثم وعدوان، فكيف الأمور العامة؟

والجهاد لا يقوم به إلَّا ولاة الأمور، فإن لم يغز معهم، لزم أن أهل الخير الأبرار لا يجاهدون، فتفتر عزمات أهل الدين عن الجهاد، فإما أن يتعطل، وإما أن ينفرد به الفجار، فيلزم من ذلك استيلاء الكفار، أو ظهور الفجار؛ لأن الدين لمن قاتل عليه.

وهذا الرأي من أفسد الآراء، وهو رأي أهل البدع من الرافضة والمعتزلة وغيرهم، حتى قيل لبعض شيوخ الرافضة: إذا جاء الكفار إلى بلادنا فقتلوا النفوس، وسبوا الحريم، وأخذوا الأموال، هل نقاتلهم؟ فقال: لا، المذهب أنا لا نغزو إلَّا مع المعصوم. فقال ذلك المستفتي مع عامِّيته: والله إن هذا لمذهب نجس، فإن هذا المذهب يفضي إلى فساد الدين والدنيا.

وصاحب هذا القول تورَّع فيما يظنه ظلمًا، فوقع في أضعاف ما تورع عنه بهذا الورع الفاسد، وأين ظلم بعض ولاة الأمور من استيلاء الكفار، بل من استيلاء من هو أظلم منه؟ فالأقل ظلمًا ينبغي أن يعاون على الأكثر ظلمًا؛ فإن الشريعة مبناها على تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد، وتقليلها بحسب الإمكان، ومعرفة خير الخيرين وشرّ الشرّين، حتى يقدم عند التزاحم خير الخيرين ويدفع شر الشرين.

ومعلوم أن شرَّ الكفار والمرتدين والخوارج أعظم من شرِّ الظالم، وأما إذا لم يكونوا يظلمون المسلمين، والمقاتل لهم يريد أن يظلمهم، فهذا عدوان منه، فلا يعاون على العدوان. اهـ.

(١) في (ب): (بشر). والصواب ما أثبته كما في «تهذيب الكمال» (٤/ ٧٣)، وله صحبة ﷺ.

عُبيد الله بن أبي رافع مولى أُم سلمة: أن الحرورية لما خرجوا وهم مع علي بن أبي طالب، قالوا: لا حُكم إلَّا لله(١).

---

(١) تقدم الكلام عنها تحت فقرة رقم (٤٤).

- وفي «الحلية» (١/ ٣١٨) عن ابن عباس ﵄ قال: لما اعتزلت الحرورية، قلت لعلي: يا أمير المؤمنين، أبرد عن الصلاة فلعلي آتي هؤلاء القوم فأكلمهم.

قال: إني أتخوفهم عليك. قال: قلت: كلا إن شاء الله.

فلبست أحسن ما أقدر عليه من هذه اليمانية، ثم دخلت عليهم وهم قائلون في نحر الظهيرة، فدخلت على قوم لم أر قومًا أشد اجتهادًا منهم، أيديهم كأنها ثفن الإبل، ووجوههم مُعلّمة من آثار السجود، قال: فدخلت فقالوا: مرحبًا بك يا ابن عباس، ما جاء بك؟ قال: جئت أحدثكم على أصحاب رسول الله ﷺ [عليهم] نزل الوحي، وهم أعلم بتأويله.

فقال بعضهم: لا تحدِّثوه. وقال بعضهم: لنُحدِّثنه.

قال: قلت: أخبروني ما تنقمون على ابن عم رسول الله ﷺ، وخَتَنِه، وأول من آمن به، وأصحاب رسول الله معه؟

قالوا: ننقم عليه ثلاثًا. قلت: ما هن؟

قالوا: أولهن أنه حكَّم الرجال في دين الله، وقد قال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧].

قال: قلت: وماذا؟ قالوا: قاتل ولم يسبِ، ولم يغنم، لئن كانوا كفارًا؛ لقد حلَّت له أموالهم، وإن كانوا مؤمنين؛ فقد حرُمت عليه دماؤهم.

قال: قلت: وماذا؟ قالوا: ومحا نفسه من أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين.

قال: قلت: أرأيتم إن قرأت عليكم كتاب الله المُحكم، وحدثتكم عن سُنة نبيكم ما لا تنكرون أترجعون؟ قالوا: نعم.

قال: قلت: أما قولكم: (إنه حكَّم الرجال في دين الله)، فإن الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة: ٩٥]، وقال: في المرأة وزوجها: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [النساء: ٣٥]، أنشدكم الله، أفحكم الرجال في حقن دمائهم، وأنفسهم، وصلاح ذات =

فقال عليٌّ: أجل، كلمةُ حقٍّ أُريد بها باطل، إن رسول الله ﷺ وصف أُناسًا، إني لأعرِفُ صفتهم، «يقولون الحقَّ لا يجاوز هذا منهم ـ وأشار إلى حَلْقِه ـ، هم أبغض خلق الله إلى الله[1] تعالى، فيهم أسودُ إحدى [٧/ب] يديه طُبْي شاةٍ، أو حَلَمَة ثَدْي[2]».

فلما قتلهم علي ﷺ، قال: انظروا، فنظروا فلم يجدوا شيئًا،

= بينهم أحق أم في أرنب ثمنها ربع درهم؟

قالوا: في حقن دمائهم وصلاح ذات بينهم.

قال: أخرجت من هذه؟ قالوا: اللَّهم نعم.

قال: وأما قولكم: (قاتل ولم يسبِ، ولم يغنم)، أتسبون أُمكم، ثم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها فقد كفرتم، وإن زعمتم أنها ليست أُمّكم فقد كفرتم، وخرجتم من الإسلام، إن الله يقول: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، وأنتم مترددون بين ضلالتين، فاختاروا أيهما شئتم أخرجت من هذه؟ قالوا: اللَّهم نعم.

قال: وأما قولكم: (محا نفسه من أمير المؤمنين)، فإن رسول الله ﷺ دعا قريشًا يوم الحديبية على أن يكتب بينهم وبينه كتابًا، فقال: «اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله». فقالوا: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك؛ ولكن اكتب: محمد بن عبد الله.

فقال: «والله إني لرسول الله، وإن كذبتموني، اكتب يا علي: محمد بن عبد الله»، ورسول الله كان أفضل من علي، أخرجت من هذه؟

قالوا: اللَّهم نعم. فرجع منهم عشرون ألفًا، وبقي منهم أربعة آلاف فقتلوا.

ـ قال ابن تيمية رحمه الله في «المنهاج» (٨/ ٥٣٠): رواها أبو نعيم بإسناد صحيح.

(١) كتب فوقها: (إليه) خ.

(٢) في «النهاية» (٣/ ١١٥): (طُبي): بالضم والكسر. ويقال: لموضع الأخلاف من الخيل والسباع: أطباء. كما يقال في ذوات الخُفِّ والظِّلف: خلف وضرع. اهـ.

و(حلمة الثدي): رأسها. «النهاية» (١/ ٤٣٥).

فقال: ارجعوا، فوالله ما كَذَبْتُ وَلا كُذِبْتُ. مرتين أو ثلاثًا.

قال: ثم وجدوه في خَرِبَة، فأتوا به عليّ بن أبي طالب ﷺ، حتى وضعوه بين يديه.

قال عبيد الله بن أبي رافع: أنا حضرت ذلك من أمرهم[1].

٦٢ ـ **وحدثنا** أبو بكر بن أبي داود، قال: ثنا أحمد بن صالح، قال: ثنا عبد الله بن وهب، قال: أخبرني عمرو ـ يعني: ابن الحارث ـ، عن بُكير ـ يعني: ابن الأشج، عن بُسر بن سعيد، عن عبيد الله بن أبي رافع ـ مولى رسول الله ﷺ ـ: أن الحرورية لما خرجت وهم مع علي بن أبي طالب ﷺ، قالوا: لا حُكم إلَّا لله، فقال عليٌّ ﷺ: كلمةُ حقٍّ أُريد بها باطل؛ إن رسول الله ﷺ وصف ناسًا إني لأعرف صفتهم في هؤلاء، «**يقولون الحقَّ بألسنتهم، لا يجاوز تراقيهم ـ وأشار إلى حلقه ـ هم من أبغض خلق الله إلى الله تعالى**[2]، **منهم أسود، إحدى يديه طُبْي شاةٍ، أو حَلَمَةُ شَاة**».

قال: فلما قتلهم عليٌّ ﷺ، قال: انظروا. فنظروا فلم يجدوا شيئًا، فقال: ارجعوا، فوالله ما كَذَبْتُ، ولا كُذِبْتُ، مرتين أو ثلاثًا.

قال: ثم وجدوه في خَرِبَة، فأتوا به حتى وضعوه بين يديه.

قال عبيد الله: وأنا حاضر ذلك من أمرهم، وقول عليٍّ فيهم.

٦٣ ـ **أخبرنا** أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن ناجية، قال: ثنا محمد بن سليمان لُوَين، قال: ثنا جعفر بن سليمان الضُبَعي، قال: ثنا عوف، وهشام، عن ابن سيرين، عن عَبيدة ـ يعني: السَّلماني ـ قال: شهدت مع علي بن أبي طالب ﷺ النهر، فلما قُتلتِ[3] الخوارج، قال علي بن

---

(١) رواه مسلم (١٠٦٦).

(٢) كتب في الأصل فوق كلمة: (إلى الله تعالى): (إليه).

(٣) كتب فوقها: (قُتل) خ.

أبي طالب رضي الله عنه: «إن فيهم رجلًا مُخْدَجَ اليدِ، أو مُودِن»، قال: فنظروا فلم يقدروا عليه، فقال ذلك ثلاثًا، ثم قال: انظروا، وقَلِّبوا القتلى، فاستخرجوا رجلًا آدم، مُثدنًا يده اليُمنى، كأنها ثدي المرأة، فلما رآه استقبل القبلة، ورفع يديه، فحَمِدَ الله، وأثنى عليه، وشكر الله الذي ولَّاه قتلهم، والذي أكرمه بقتالهم، ثم أقبل علينا بوجهه، فقال: لولا أن تَبْطروا[1] لحدَّثتكم بما سبق على لسان النبي ﷺ من الكرامة لمن قاتل هؤلاءِ القوم.

قال عَبيدة: فقلت: يا أمير المؤمنين، أشيءٌ بلغك عن النبي ﷺ أو شيءٌ سمعته منه؟

قال: بل شيءٌ سمعته منه وربِّ الكعبة.

٦٤ ـ وأخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن صالح البخاري، قال: ثنا عبد الله بن عمر الكوفي، قال: ثنا وكيع، عن جرير بن حازم، وأبي عمرو بن العلاءِ النَّحْوي، عن ابن سيرين، عن عَبيدة السلماني، عن علي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «سيخرجُ قومٌ فيهم رجلٌ مُودَن اليدِ، أو مَثْدُون اليد، أو مُخْدَجُ اليد»، ولولا أن تَبْطروا لأنبأتكم ما وعد الله تعالى الذين يَقتلونهم على لسان نبيه ﷺ.

قال عَبيدة: فقلت لعلي رضي الله عنه: أنت سمعتَه من رسول الله ﷺ؟

قال: نعم، سمعته وربِّ الكعبة، سمعته إي وربِّ الكعبة، سمعته إي وربِّ الكعبة[2].

---

(١) في «تاج العروس» (١٠/ ٢١٢): قيل: أصل (البَطَرِ): الدَّهَشُ والحيرةُ يعتريان المرءَ عند هجوم النِّعمةِ عن القيام بحقِّها.
وفي «تهذيب اللغة» (١٣/ ٢٢٨): (البَطَرُ): الطُّغيان في النعمة. اهـ.

(٢) رواه مسلم (١٠٦٦).
ـ في «السُّنة» لعبد الله (١٤٥٥): قال وكيع: «مُودَن اليدِ»: ناقِصُ اليدِ. =

٦٥ - وأخبرنا أبو محمد عبد الله بن صالح البخاري، قال: ثنا لُوين محمد بن سُليمان، قال: ثنا عبد الله بن الزبير، عن عبد الله بن شريك العامري، عن جُندب، قال: لما كان يوم قَتَلَ عليٌّ رضي الله عنه الخوارجَ نظرت إلى وجوههم وإلى شمائِلهم، فشككت في قتالهم، فتنحَّيت عن العسكر غير بعيدٍ، فنَزَلتُ عن دابتي، ورَكزت رُمحي، ووضعت دِرعي تحتي، وعلقت بُرنسي[1] مُستترًا به من الشمس، وأنا مُعتزلٌ من العسكر ناحية[2]، إذ طلع أمير

و«المُخدَجُ»: ضامِرَة. و«مَثدونُ اليدِ»: فيها شعراتٌ زَائِدة. اهـ.

- قال أبو عُبيد رحمه الله في «غريب الحديث» (٤/ ٣٣٥): قال الكسائي وغيره: «المُودن اليد»: القصير اليد. وقوله: «مُثدن اليد»، قال بعض الناس: نراه أخذه من ثُندُوة الثَّدي، وهي أصلُه، شبَّهَ يده في قِصَرِها واجتماعها بذلك.

قال أبو عُبيد: فإن كان من هذا، فالقياس أن يقال: مُثنَدُ؛ لأن النون قبل الدال في الثندُوة؛ إلّا أن يكون مِن المقلوب، فذلك كثير في الكلام. .

وأما قوله: «مُخدَجُ اليد»: فإنه القصير أيضًا، أُخِذَ من إخداجِ الناقة ولدها، وهو أن تَلِدَه لغير تمامٍ في خلقه. . . وقال بعضهم: يقول: (ذو اليُدية).

قال أبو عبيد: ولا أرى الأصل كان إلّا هذا؛ ولكن الأحاديث كُلّها تتابعت بالثاء: (ذو الثدية). اهـ.

(١) كذا في الأصل و(ب). وكتب في هامش الأصل: (الترس). وسيكرر برقم (١٧٥٣)، وفيه: (التُّرس)، بدون ذكرك اللفظ الآخر.

وفي «النهاية» (١/ ١٢٢): (البُرنس): هو كل ثوب رأسه منه ملتزق به من درعه أو جوبة أو ممطر أو غيره. اهـ. وسيأتي قريبًا زيادة بيان.

و(التُّرس): من السلاح: آلة الحرب، يتوقى بها المقاتل.

(٢) وعند الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٠٥١) قال جندب الأزدي: لما فارقت الخوارج عليًا، خرج في طلبهم، وخرجنا معه، فانتهينا إلى عسكر القوم، فإذا لهم دوي كدوي النحل من قراءة القرآن، وفيهم أصحاب الثفنات، وأصحاب البرانس، فلما رأيتهم دخلني من ذلك شكٌّ. . الأثر.

قلت: وقع في قلبه شكٌّ بسبب اجتهادهم في العبادة، وقراءة القرآن، وزهدهم في الدنيا، وقد تقدم الكلام عن اجتهادهم تحت أثر رقم (٥٥).

المؤمنين رضي الله عنه على بغلة رسول الله ﷺ، فقلت في نفسي: ما لي وله؟ أنا أفرُّ منه، وهو يجيءُ إليَّ.

فقال لي: يا جندب، ما لك في هذا المكان تنحَّيت عن العسكر؟

فقلت: يا أمير المؤمنين، أصابني وعك، فشقَّ عليَّ الغُبار، فلم أستطع الوقوف.

قال: فقال: أما بلغك ما للعبد في غُبار العسكر من الأجر؟ ثم ثنى رجله، فنزل، فأخذت برأسِ دابته، وقعد فقعدت، فأخذت البُرنسَ(١) بيدي فسترته [٨/أ] من الشمس، فقال: فوالله إني لقاعد إذ جاءَ فارس يركض، فقال: يا أمير المؤمنين، إن القوم قد قطعوا الجِسْر ذاهبين، قال: فالتفت إليَّ، فقال: إن مصارَعهم دون النهر، قال: وإن الرجل الذي أخبره عنده واقفٌ، إذ جاءَ رجلٌ آخر، فقال: يا أمير المؤمنين، قد والله عبروا، فما بقي منهم أحدٌ، قال: ويحك! إن مصارعهم دون النهر، قال: فجاءَ فارسٌ آخر يركض، فقال: يا أمير المؤمنين، والذي بعث نبيه محمدًا ﷺ بالحقِّ لقد رجعوا، ثم جاءَ الناس، فقالوا: قد رجعوا، حتى إنهم ليتساقطون في الماء زِحامًا على العبور، قال: ثم إن رجلًا جاءَ، فقال: يا أمير المؤمنين، إن القوم قد صفوا الصفوف، ورَموا فينا، وقد جرحوا فلانًا، فقال عليٌّ رضي الله عنه: هذا حين طابَ القتال، قال: فوثب فقعد

وقوله: (أصحاب الثفنات): الثفنة: هو ما وَلِي الأرضَ من كل ذي أربعٍ إذا بَرَك. وهي: الركبتان والفخِذان والكِركِرة، ولهذا قيل لعبد الله بن وهبٍ الرَّاسبي رئيس الخوارج: ذُو الثَّفِنات؛ لأن طول السُّجود قد كان أثَّر في ثفناته. «غريب الحديث» لأبي عبيد (٤/١٥٣).

وقوله: (وأصحاب البرانس)، (البُرْنُس): قَلنسُوة طويلة، وكان النُّسَّاكُ يلبسونها في صدر الإسلام. «الصحاح» (٣/٩٠٨).

(١) في الأصل: (برنس)، والتصويب من هامش الأصل.

على بغلته، فقمت إلى سلاحي فلبسته، ثم شددته عليَّ، ثم قعدت على فرسي، وأخذت رُمحي، ثم خرجت، فلا والله يا عبد الله بن شَريك، ما صليت العصر - قال أبو جعفر لُوين: أو قال: الظهر - حتى قتلت بيدي سبعين.

٦٦ - وأخبرنا أبو عبد الله أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي، قال: ثنا محمد بن بكار، قال: ثنا إسماعيل بن زكريا، عن يزيد بن أبي زياد، قال: سألتُ سعيد بن جُبير، عن أصحاب النهر؟

فقال: حدثني مسروق، قال سألتني عائشة رحمها الله عنهم، فقالت: هل أبصرت أنت الرجل الذي يذكرون ذا الثُّدَيَّةِ؟

قال: قلت: لم أره؛ ولكن قد شَهِدَ عندي من قد رآه.

قالت: فإذا قدمت الأرض فاكتب إليَّ بشهادة نفرٍ قد رأوه أُمناء.

فجئت والناس أسباع[1]، قال: فكلَّمت من كلِّ سُبعٍ عشرةً ممن قد رآه.

قال: فقلت: كل هؤلاء عدلٌ رضىً.

فقالت: قاتل الله فلانًا، فإنه كتب إليَّ أنه أصابه بمصر.

قال إسماعيل: قال يزيد: وحدثني من سَمِعَ عائشة رضي الله عنها تقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنهم شرارُ أُمَّتي، يقتلهم خيارُ أُمتي».

وما كان بيني وبينه[2]

---

(١) كتب في هامش الأصل: (أشياع) خ. وهو كذلك في (ب).

(٢) في (أ، ب): (بيني وبينهم)، مع احتمال قراءة: (بينه) في الأصل، فقد ضرب على الميم وفصلها عن الكلمة، وما أثبته من أثر رقم (١٧٥٦) فإنه مكرر سندًا ومتنًا.

إلَّا ما كان بين المرأة وأحمائِها[(١)(٢)].

قال محمد بن الحسين رحمه الله:

رضي الله عن علي بن أبي طالب، ورضي عن عائِشة أُم المؤمنين، ونفعنا بحبهما، وحبِّ جميع الصحابة رضي الله عنهم.

قول عائشة رضي الله عنها هذا في علي رضي الله عنه قد جاء في رواية أخرى، ويدل عليه تعليق المُصنِّف.

(١) في «تهذيب اللغة» (٥/ ١٧٦): (الحَمْوُ): أبو الزوج وأخو الزوج، وكلُّ مَن وَلِيَ الزَّوجَ من ذي قرَابَته فهم أحْمَاءُ المرأة. اهـ.

(٢) في إسناده: يزيد بن أبي زياد، قال يحيى بن معين: لا يحتج بحديثه.
وقال أبو زرعة: لين، يُكتب حديثه ولا يحتج به.
وقال ابن عدي: وهو من شيعة أهل الكوفة، ومع ضعفه يُكتب حديثه. «تهذيب الكمال» (٣٢/ ١٣٥).
وقد روى المرفوع:
البزار (كشف الأستار/ ١٨٥٧) من طريق سليمان بن قرم، عن عطاء بن السائب، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عائشة رضي الله عنها أنها ذكرت الخوارج، وسألت من قتلهم؟ - يعني: أصحاب النهر -، فقالوا: علي.
فقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يقتلهم خيار أُمَّتي، وهم شِرارُ أُمَّتي».
وفي سنده ضعف.
وأما الموقوف: فرُوي نحوه في «دلائل النبوة» للبيهقي (٦/ ٤٣٤).

٨ ـ بَاب

ذكر ثواب من قاتل الخوارج فقتلهم أو قتلوه

٦٧ ـ حدثنا موسى بن هارون أبو عمران، قال: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: ثنا أبو بكر بن عياش، عن عاصم، عن زِرٍّ، عن عبد الله ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرجُ في آخر الزمان قومٌ: أحداث الأسنان، سُفهاءُ الأحلام[١]، يقولون من خير قول الناس، يمرقون من الإسلام كما يمرقُ السَّهم من الرَّمية، فمن لقيهم فليقتلهم، فإنَّ قتْلَهم أجرٌ عند الله»[٢].

٦٨ ـ أخبرنا أبو سعيد المُفضَّل بن محمد الجَنَدِيّ بالمسجد الحرام، قال: ثنا علي بن زياد اللَّخجي، قال: ثنا أبو قُرَّة موسى بن طارق، قال: سمعت الأزهر بن صالح يقول: حدثني أبو غالب، أنه سمع أبا أُمامة ﷺ صاحب رسول الله ﷺ يقول:

---

(١) (أحداث الأسنان): كناية عن الشباب وأول العمر.

(سفهاء الأحلام) أي: لا يعقلون. (يقولون بقول خير البرية)، أي: النبي ﷺ، وهو القرآن، وكان ابن عمر ﷺ يرى الخوارج شرار الخلق؛ لأنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوهما على المؤمنين.

«مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار» (١/ ٤٦٥).

(٢) رواه أحمد (٣٨٣١)، والترمذي (٢١٨٨)، وابن ماجه (١٦٨).

قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وقد روي في غير هذا الحديث عن النبي ﷺ حيث وصف هؤلاء القوم الذين يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، إنما هم الخوارج والحرورية وغيرهم من الخوارج. اهـ.

وروى البخاري (٦٩٣٠)، ومسلم (١٠٦٦) نحوه من حديث علي ﷺ.

وخرجت خارجة بالشَّام فقُتِلوا، وأُلقوا في جُبٍّ ـ أو بئرٍ ـ، قال: فأقبل أبو أُمامة وأنا معه، حتى وقف عليهم، ثم بكى، ثم قال: سبحان الله! ما فعل الشيطان بهذه الأُمة؟! كِلابُ النار، كِلابُ النار ـ ثلاثًا ـ، شرُّ قتلى تحت ظلِّ السماءِ، شرُّ قتلى تحت ظلِ السماءِ، خيرُ قتلى تحت ظلِ السماءِ، خيرُ قتلى تحت ظلِّ السماء، خيرُ قتلى تحت ظلِّ السماءِ من قتلوه[(١)].

قال: قلت: يا أبا أُمامة، أشيءٌ تقوله برأيك، أم شيءٌ سمعته من رسول الله ﷺ؟

---

(١) قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في «منهاج السنة» (٥/٢٤٨): وما روي من أنهم «شر قتلى تحت أديم السماء، خير قتيل من قتلوه» في الحديث الذي رواه أبو أمامة، رواه الترمذي وغيره. أي: أنهم شرٌّ على المسلمين من غيرهم، فإنهم لم يكن أحد شرًّا على المسلمين منهم لا اليهود ولا النصارى، فإنهم كانوا مجتهدين في قتل كل مسلم لم يوافقهم، مستحلين لدماء المسلمين وأموالهم وقتل أولادهم، مُكفِّرين لهم، وكانوا متدينين بذلك لعظم جهلهم وبدعتهم المُضلة. ومع هذا فالصحابة رضي الله عنهم والتابعون لهم بإحسان لم يُكفِّروهم، ولا جعلوهم مرتدين، ولا اعتدوا عليهم بقول ولا فعل، بل اتقوا الله فيهم، وساروا فيهم السيرة العادلة. اهـ.

قلت: أكثر الصحابة رضي الله عنهم على عدم تكفيرهم إلا ما جاء عن بعضهم مما يفهم منه تكفيرهم كما سيأتي قريبًا.

وقد قال ابن تيمية قبل هذا النقل: ومما يدل على أن الصحابة رضي الله عنهم لم يكفروا الخوارج أنهم كانوا يصلون خلفهم، وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وغيره من الصحابة يصلون خلف نجدة الحروري، وكانوا أيضًا يُحدِّثونهم ويفتونهم ويخاطبونهم، كما يخاطب المسلم المسلم، كما كان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يجيب نجدة الحروري لما أرسل إليه يسأله عن مسائل، وحديثه في البخاري. وكما أجاب نافع بن الأزرق عن مسائل مشهورة، وكان نافع يناظره في أشياء بالقرآن، كما يتناظر المسلمان. وما زالت سيرة المسلمين على هذا، ما جعلوهم مرتدين كالذين قاتلهم الصديق رضي الله عنه. اهـ.

قال: إني إذن لجريءٌ، إني إذن لجريءٌ - ثلاثًا -، بل سمعته من رسول الله ﷺ غير مرَّةٍ، ولا مرتين، ولا ثلاثٍ، حتى عدَّ عشرًا، سمعت من رسول الله يقول: «سيأتي قومٌ يقرءون القرآن، لا يجاوز تراقيهم، - أو لا يعدو تراقيهم -، يمرقون من الإسلام كما يمرقُ السَّهم من الرمية، لا يعودون في الإسلامِ حتى يعود السهمُ على فُوقه، طوبى لمن قتلوه أو قتلهم»[(١)].

٦٩ - **وحدثنا** أبو بكر [٨/ب] بن أبي داود، قال: ثنا عمي، قال: ثنا عِصمة بن المتوكل، قال: حدثني المُبارك بن فَضالة، عن أبي غالب، قال: كنت بالشام وبها صُدَيُّ بن عجلان أبو أُمامة ﷺ صاحب رسول الله ﷺ، وكان لي صديقًا، قال: فجيءَ برؤوس الحرورية، فأُلقيت بالدَّرَج[(٢)]، فجاءَ أبو أُمامة فصلى ركعتين، ثم توجَّه نحو الرؤوس، قال: فقلت: لأتبعنه حتى أسمع ما يقول، قال: فتبعته حتى وقف عليهم قال فبكى، ثم قال: سبحان الله! ما صنع إبليس بأهل هذه الأُمة؟!

قال ثم قال: كلابُ النار، كلاب النار، كلاب النار[(٣)] - ثلاثًا -، ثم قال: شرُّ قتلى قتلوا تحت ظلِّ السماء، وخيرُ قتلى الذين قتلوهم.

قال: ثم تلا هذه الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧] الآية.

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (٧٥٥٣)، وابن المقرئ في «معجمه» (٨٢٧).
وفي إسناد المُصنِّف الأزهر بن صالح لم أجد له ترجمة.

(٢) أي: الطريق. «الصحاح» (١/ ٣١٤).

(٣) في الأصل: (كلاب أهل النار) في المواضع الثلاثة، ووضع على كلمة (أهل) في جميع المواضع علامة الحذف.

٧٠ ـ وحدثنا أبو بكر بن أبي داود ـ أيضًا ـ، قال: ثنا يعقوب بن سفيان، قال: حدثني بكر بن خلف، قال: ثنا قَطَن بن عبد الله الحُدَّاني[(١)]، قال: حدثني أبي، قال: ثنا أبو غالب، قال: كنت في مسجد دمشق، فجاءُوا بسبعين رأسًا من رؤوس الخوارج، فنُصبت على دَرَجِ المسجد، فجاء أبو أُمامة رضي الله عنه، فنظر إليهم، فقال: كلابُ جهنَّم، شرُّ قتلى قُتلوا تحت ظلِّ السماء، ومن قَتلوا خيرُ قتلى تحت ظلّ السماءِ، وبكى فنظر إليَّ، فقال: يا أبا غالب، إنك ببلدٍ هؤلاءِ به كثير.

قال: قلت: نعم.

قال: أعاذك الله منهم، ثم قال: تقرأ القرآن؟

قلت: نعم.

قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧].

قال: قلت: يا أبا أُمامة: إني رأيتك تَغرغرت لهم عيناك.

قال: رحمة لهم، إنهم كانوا من أهل الإسلام.

قال: فقال له رجلٌ: يا أبا أُمامة، أمن رأيك تقوله، أم شيءٌ سمعته من النبي ﷺ؟

قال: إني إذًا لجريءٌ، سمعته من رسول الله ﷺ غير مرَّة، ولا مرَّتين، ولا ثلاثٍ، ولا أربعٍ، ولا خمسٍ، ولا ستٍّ، ولا سبع[(٢)].

---

(١) في (أ، ب): (الحراني)، والصواب ما أثبته كما في «التاريخ الكبير» (٧/ ١٧٩)، وغيره.

(٢) رواه عبد الرزاق (١٨٦٦٣)، وأحمد (٢٢١٨٣)، والترمذي (٣٠٠٣)، وابن ماجه (١٧٦)، وعبد الله بن أحمد في «السُّنة» (١٥٢٤)، بعضهم يرويه مطولًا وبعضهم مختصرًا، وهو أثر صحيح.

٧١ ـ حدثنا حامد بن شعيب البلخي، قال: ثنا أبو خيثمة زهير بن حرب، قال: ثنا إسحاق بن يوسف الأزرق، عن الأعمش، عن ابن أبي أوفى ﵁، عن النبي ﷺ قال: «الخوارج كلاب النار»(١).

٧٢ ـ قال محمد بن الحسين:

قد ذكرت من التحذير من مذاهب الخوارج ما فيه بلاغٌ لمن عصمه الله تعالى عن مذاهب الخوارج، ولم يرَ رأيهم، وصبر على جور الأئمة، وحيف الأُمراء(٢)، ولم يخرج عليهم بسيفه، وسأل الله تعالى

ورواه كذلك عبد الله في «السُنة» (١٥٢٦)، ولفظه: فقال له رجلٌ: رأيتك دمعت عيناك؟!

فقال: رحمةً رَحِمتُهم، كانوا مؤمنين؛ فكفروا بعد إيمانهم.

وفي لفظٍ (١٥٢٧): قال: فما يُبكيك؟

قال: أبكي لخروجهم مِن الإسلامِ، هؤلاءِ الذين تفرَّقوا واتخذوا دينهم شيعًا.

وعند ابن ماجه (١٧٦): قد كانوا هؤلاء مسلمين فصاروا كفَّارًا.

وهذا الحديث رواه جماعة كثيرة عن أبي غالب، ومنهم الأثبات الثقات كابن عيينة، والحمادين، ومعمر، وقد أخرج الطبراني هذا الخبر في «المعجم الكبير» (٨/٢٦٦) عن أبي غالب من أكثر من عشرين طريقًا.

(١) رواه أحمد (١٩١٣٠ و١٩٤١٥)، وابن ماجه (١٧٣)، وابن أبي عاصم في «السُنة» (٩٣٦).

قال في «مصباح الزجاجة» (١/٢٥): رجاله ثقات، إلّا أنه منقطع؛ الأعمش لم يسمع من ابن أبي أوفى، قاله غير واحد.اهـ.

قلت: الحديث صحيح بشواهده المرفوعة والموقوفة وأقوال السلف، انظر بعضها في «السُنة» لعبد الله بن أحمد: (سُئِل عن الخوارج ومن قال: هم كلاب النار).

(٢) (جور الأئمة)، أي: ميلهم عن القصد.

و(حيف الأُمراء)، أي: ظلمهم وجورهم.

«الصحاح» (٢/٦١٧)، (٤/١٣٤٧).

كشف الظلم عنه، وعن المسلمين، ودعا للولاة بالصلاح[(١)]، وحجَّ معهم، وجاهد معهم كل عدوٍّ للمسلمين، وصلى خلفهم[(٢)] الجمعة

(١) قال البربهاري رَحِمَهُ اللهُ في «شرح السُّنة» (١٣٨): إذا رأيت الرجل يدعو على السلطان؛ فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا رأيت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح؛ فاعلم أنه صاحب سُنة إن شاء الله، لقول فُضيل: لو كانت لي دعوة ما جعلتها إلَّا في السلطان.اهـ.

ـ وفي «الحلية» (١٣٨) قال الفُضيل بن عياض: لو أن لي دعوة مستجابة ما صيّرتها إلَّا في الإمام. قيل له: وكيف ذلك يا أبا عليّ؟

قال: متى ما صيَّرتها في نفسي لم تَجُزني، ومتى صيَّرتها في الإمام؛ فصلاح الإمام صلاح العباد والبلاد.

قيل: وكيف ذلك يا أبا عليّ؟! فسِّر لنا هذا.

قال: أما صلاح البلاد: فإذا أمن الناس ظُلم الإمام عمروا الخرابات، ونزلوا الأرض.

وأما العِباد: فيَنظُرُ إلى قوم من أهل الجهل، فيقول: قد شغلهم طلب المعيشة عن طلب ما ينفعهم من تعلم القرآن وغيره، فيجمعهم في دارٍ خمسين خمسين ـ أقل أو أكثر ـ يقول للرجل: لك ما يُصلحك، وعَلِّم هؤلاء أمر دينهم، وانظر ما أخرج الله ﷻ من فينهم مما يُزكي الأرض فرُدَّه عليهم. قال: فكان صلاح العباد والبلاد.

فقبَّل ابن المبارك جبهته، وقال: يا مُعلم الخير من يُحسن هذا غيرك.

ـ وفي «الجرح والتعديل» (١/ ٩٧) قال سفيان (الثوري): إني لأدعو للسطان ـ يعني: بالصلاح ـ ولكن لا أستطيع أن أذكر إلَّا ما فيهم.

ـ وفي «الزهد» لأحمد (١٣٧٦) قال عمر بن الفضل: سألت أبا العلاء [ابن الشخير]، والحجاج في عباءة، فقلت: يا أبا العلاء، أسب الحجاج؟

فقال: ادع له بالصلاح؛ فإن صلاحه خيرٌ لك.

ـ وفي «السُّنة» للخلال (١٤) عن حنبل أنه نقل عن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ قوله في المتوكل: وإني لأدعو له بالتسديد والتوفيق في الليل والنهار والتأييد، وأرى له ذلك واجبًا عليَّ.

(٢) كتب في الأصل فوقها: (معهم) خ.

والعيدين، فإن أمروه بطاعة فأمكنه؛ أطاعهم، وإن لم يُمكنه؛ اعتذر إليهم، وإن أمروه بمعصية؛ لم يُطعهم، وإذا دارت الفتن بينهم لَزِمَ بيته، وكفَّ لسانه ويده، ولم يَهو ما هم فيه، ولم يُعن على فتنةٍ، فمن كان هذا وصفه كان على الصراط المستقيم إن شاء الله(١).

---

(١) وسيأتي قول المُصنِّف رَحِمَهُ اللهُ (١٣٤٣): قد ولي الخلافة بعد أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم خلق كثير، فمنهم من عدل فأجره على الله، ومنهم من قصَّر فيما يجب لله عز وجل عليه وأسرف، وقد ورد الجميع إلى الله عز وجل وهو أحكم الحاكمين، وقد أُمرنا نحن بالسمع والطاعة لهم في غير معصية، وبالصلاة خلفهم، وبالجهاد معهم، وبالحجِّ معهم، مع البر منهم والفاجر، والعدل منهم والجائر، ولا نخرج عليهم، والصبر حتى يُفرِّج الله عز وجل.

قال رجلٌ للحسن: يا أبا سعيد، ما تقول في أُمرائنا هؤلاء؟

فقال الحسن: ما عسى أن أقول فيهم، هم لحجِّنا، وهم لغزونا، وهم لقسم فيئنا، وهم لإقامة حدودنا، والله إن طاعتهم لغيظ، وإن فرقتهم لكفر، وما يصلح الله بهم أكثر مما يفسد. اهـ. وانظر ففيه زيادة بيان.

وقد عقد المُصنِّف رَحِمَهُ اللهُ بابًا في هذه المسألة العظيمة، فقال: (١٠/باب فضل القعود في الفتنة عن الخوض فيها، وتخوف العقلاء على قلوبهم أن تهوى حالًا يكرهه الله تعالى، ولزوم البيوت والعبادة لله تعالى).

ـ قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في «منهاج السُّنة» (٤/ ٥٢٥): مذهب أهل السُّنة والجماعة أن هؤلاء يُشارَكون فيما يحتاج إليهم فيه من طاعة الله، فتُصلَّى خلفهم الجمعة والعيدان وغيرهما من الصلوات التي يقيمونها هم؛ لأنها لو لم تُصلَّ خلفهم أفضى إلى تعطيلها، ونجاهد معهم الكفار، ونحُجُّ معهم البيت العتيق، ويُستعان بهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الحدود، فإن الإنسان لو قدر أنه حج في رفقة لهم ذنوب وقد جاءوا يحجون، لم يضره هذا شيئًا. وكذلك الغزو وغيره من الأعمال الصالحة، إذا فعلها البر وشاركه في ذلك الفاجر لم يضره ذلك شيئًا، فكيف إذا لم يمكن فعلها إلَّا على هذا الوجه، فكيف إذا كان الوالي الذي يفعلها فيه معصية؟! ويستعان بهم أيضًا في العدل في الحكم والقسم، فإنه لا يمكن عاقلًا أن ينازع في أنهم كثيرًا ما يعدلون في حكمهم وقسمهم، ويعاونون على البر والتقوى، ولا يعاونون على الإثم والعدوان. =

٩ ـ بَاب

في السمع والطاعة لمن ولي أمر المسلمين[١]، والصبر عليهم وإن جاروا، وترك الخروج عليهم ما أقاموا الصلاة[٢]

وللناس نزاع في تفاصيل تتعلق بهذه الجملة ليس هذا موضعها، مثل: إنفاذ حكم الحاكم الفاسق إذا كان الحكم عدلًا، ومثل: الصلاة خلف الفاسق هل تعاد أم لا؟ والصواب الجامع في هذا الباب: أن من حكم بعدلٍ أو قسم بعدلٍ نُفِذَ حُكمه وقسمه، ومن أمر بمعروف أو نهى عن منكر أُعين على ذلك، إذا لم يكن في ذلك مفسدة راجحة، وأنه لا بُد من إقامة الجمعة والجماعة، فإن أمكن تولية إمام برّ لم يجز تولية فاجر ولا مبتدع يظهر بدعته، فإن هؤلاء يجب الإنكار عليهم بحسب الإمكان، ولا يجوز توليتهم، فإن لم يمكن إلّا تولية أحد رجلين كلاهما فيه بدعة وفجور، كان تولية أصلحهما ولاية هو الواجب. وإذا لم يمكن في الغزو إلّا تأمير أحد رجلين: أحدهما فيه دينٌ وضعف عن الجهاد، والآخر فيه منفعة في الجهاد مع ذنوبٍ له، كان تولية هذا الذي ولايته أنفع للمسلمين خيرًا من تولية من ولايته أضرّ على المسلمين. وإذا لم يمكن صلاة الجمعة والجماعة وغيرهما إلّا خلف الفاجر والمبتدع صليت خلفه ولم تُعد، وإن أمكن الصلاة خلف غيره، وكان في ترك الصلاة خلفه هجر له، ليرتدع هو وأمثاله به عن البدعة والفجور، فعل ذلك. وإن لم يكن في ترك الصلاة خلفه مصلحة دينية صلّيَ خلفه، وليس على أحد أن يصلي الصلاة مرتين. اهـ.

(١) قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «منهاج السنة» (١/ ٥٢٧): قال أئمة السلف: من صار له قدرة وسلطان يفعل بهما مقصود الولاية، فهو من أولي الأمر الذين أمر الله بطاعتهم ما لم يأمروا بمعصية الله، فالإمامة مُلكٌ وسلطان، والملك لا يصير =

ملكًا بموافقة واحدٍ ولا اثنين ولا أربعة، إلَّا أن تكون موافقة هؤلاء تقتضي موافقة غيرهم بحيث يصير ملكًا بذلك.

وهكذا كل أمر يفتقر إلى المعاونة عليه لا يحصل إلَّا بحصول من يمكنهم التعاون عليه، ولهذا لما بويع عليٌّ ﷺ وصار معه شوكة صار إمامًا..

وهذا مثل كون الرجل راعيًا للماشية، متى سلمت إليه بحيث يقدر أن يرعاها، كان راعيًا لها وإلَّا فلا، فلا عمل إلَّا بقدرة عليه، فمن لم يحصل له القدرة على العمل لم يكن عاملًا.

والقدرة على سياسة الناس إما بطاعتهم له، وإما بقهره لهم، فمتى صار قادرًا على سياستهم بطاعتهم أو بقهره، فهو ذو سلطان مطاع، إذا أمر بطاعة الله.

ولهذا قال أحمد في رسالة عبدوس بن مالك العطار: أصول السُّنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ - إلى أن قال: ومن ولي الخلافة فأجمع عليه الناس ورضوا به، ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين، فدفع الصدقات إليه جائز برًّا كان أو فاجرًا.

وقال في رواية إسحاق بن منصور، وقد سُئل عن حديث النبي ﷺ: «من مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية»، ما معناه؟ فقال: تدري ما الإمام؟ الإمام الذي يجمع عليه المسلمون، كلهم يقول: هذا إمام؛ فهذا معناه. اهـ.

(٢) روى البخاري (٧٠٦٨) عن الزبير بن عدي، قال: أتينا أنس بن مالك ﷺ، فشكونا إليه ما نلقى من الحجاج، فقال: «اصبروا، فإنه لا يأتي عليكم زمانٌ إلَّا الذي بعده شرٌّ منه، حتى تلقوا ربكم»، سمعته من نبيكم ﷺ.

- وفي «الترغيب والترهيب» لقوام السنة (٢٠٨٩) بإسناده عن أنس بن مالك ﷺ قال: نهانا كبراؤنا من أصحاب رسول الله ﷺ: أن لا تسبوا أمراءكم، ولا تغشوهم، ولا تعصوهم، واتقوا الله ﷻ واصبروا فإن الأمر قريب.

- وعند ابن أبي شيبة (٣٨٤٤٩): قال عبد الله ﷺ: أيها الناس، إن هذا السلطان قد ابتليتم به، فإن عدل؛ كان له الأجر، وعليكم الشُّكر، وإن جار؛ كان عليه الوزر، وعليكم الصبر.

٧٣ - أخبرنا أبو زكريا يحيى بن محمد بن البَخْتَري الحِنَّائي، قال: ثنا محمد بن عُبيد بن حِسَاب، قال: ثنا حماد بن زيد، قال: ثنا عمر بن يزيد - صاحب الطعام -، قال: سمعت الحسن أيام يزيد بن المُهلَّب[1] قال: وأتاه رهطٌ فأمرهم أن يلزموا بيوتهم، ويغلقوا عليهم أبوابهم.

- وعند عبد الرزاق (٣٨٣١٤) قال زيد بن يثيع: قال حذيفة رضي الله عنه: كيف أنتم إذا سئلتم الحق فأعطيتموه، ومُنعتم حقكم؟ قال: إذًا نصبر.

قال: دخلتموها إذًا ورب الكعبة.

- وعنده أيضًا (٣١٢١٦) عن محمد بن المنكدر قال: بلغ ابن عمر رضي الله عنهما أن يزيد بن معاوية بويع له، قال: إن كان خيرًا رضينا، وإن كان شرًّا صبرنا.

- قال حرب الكرماني رحمه الله في «عقيدته» التي حكى فيها إجماع من أدركهم من أهل العلم (٢٦ - ٣٢): والجهاد ماضٍ قائمٌ مع الأئمَّةِ، برُّوا أو فجروا، ولا يُبطِلُه جَورُ جائرٍ، ولا عدلُ عادِلٍ، والجمعةُ، والعيدان، والحجُّ مع السُّلطانِ، وإن لم يكونوا بررَةً عدولًا، ولا أتقياء، ودفعُ الخراجِ، والصدقاتِ، والأعشارِ، والفيءِ، والغنيمة إلى الأُمراءِ، عدلوا فيها أم جارُوا. والانقيادُ لِمن ولَّاه الله أمرك، لا تَنزع يدك مِن طاعة، ولا تخرج عليه بسيفك حتى يجعل اللهُ لك فرجًا ومخرجًا. وأن لا تخرج على السُّلطانِ، وتسمعُ وتُطيع، ولا تنكُثُ بيعةً؛ فمن فعل ذلك فهو مبتدعٌ، مُخارقٌ، مُفارِقٌ للجماعةِ، وإن أمركَ السلطانُ بأمرٍ هو لله مَعصيةٌ؛ فليس لك أن تُطيعَه البتَّةَ، وليس لك أن تَخرجَ عليه، ولا تَمنعَه حقَّه.اهـ.

(١) جاء في «السير» (٤/٥٠٣): ابن أبي صُفرة.. ولي المشرق بعد أبيه، ثم ولي البصرة لسليمان بن عبد الملك، ثم عزله عمر بن عبد العزيز بعدي بن أرطاة، وطلبه عمر، وسجنه.

وكان الحجاج قد عزله وعذَّبه.. ثم هرب من حبسه.. وله أخبار في السخاء والشجاعة.. وكان ذا تيه وكِبر. ثم إن يزيد بن المُهلَّب لما استُخلِفَ يزيد بن عبد الملك غلب على البصرة، وتسمَّى بالقحطاني، فسار لحربه مسلمة بن عبد الملك، فالتقوا فقتل يزيد في صفر سنة (١٠٢هـ).

قال شعبة بن الحجاج: سمعت الحسن البصري يقول في فتنة يزيد بن المُهلَّب: هذا عدوّ الله يزيد بن المهلب، كلما نعق بهم ناعق، اتبعوه.. =

ثم قال: والله لو أن الناس إذا ابتُلوا من قِبَلِ سُلطانهم صبروا ما لبثوا أن يرفع الله ذلك عنهم، وذلك أنهم يفزعون إلى السيف فيُوكلوا إليه، ووالله ما جاءُوا بيوم خيرٍ قطّ، ثم تلا: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ [الأعراف: ١٣٧](١).

قلت: قُتِلَ عن تسع وأربعين سنة، ولقد قاتل قتالًا عظيمًا، وتفللت جموعه، فما زال يحمل بنفسه في الألوف لا لجهاد، بل شجاعة وحمية، حتى ذاق حِمامه، نعوذ بالله من هذه القتلة الجاهلية. اهـ.

ـ وفي «السُّنة» للخلال (٨٤٠) قال مهنا: سألت أحمد بن حنبل عن: يزيد بن المُهلَّب، قال: بصري. قلت: كيف هو؟ قال: كان صاحب فتنة، يقول: هو الذي يقول شعبة: سمعت الحسن يقول: هذا عدوّ الله ابن المُهلَّب.

(١) وفي «الكنى» للدُّولابي (١٨١٧) عن سليمان بن علي الربعي، قال: لما كانت فتنة ابن الأشعث ـ إذ قاتل الحجاج بن يوسف ـ انطلق عقبة بن عبد الغافر، وأبو الجوزاء، وعبد الله بن غالب في نفرٍ من نظرائهم، فدخلوا على الحسن، فقالوا: يا أبا سعيد، ما تقول في قتال هذا الطاغية، الذي سفك الدم الحرام، وأخذ المال الحرام، وترك الصلاة، وفعل ما فعل، وذكروا من أفعال الحجاج؟

فقال الحسن: أرى أن لا تقاتلوه؛ فإنه إن تكن عقوبة من الله؛ فما أنتم برادي عقوبة الله بأسيافكم، وإن يكن بلاء؛ فاصبروا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين.

قال: فخرجوا من عنده يقولون: نطيع هذا العِلج، ونحن قوم عرب.

قال: فخرجوا مع ابن الأشعث فقُتِلوا جميعًا.

قال سليمان: فأخبرني مُرَّة بن ذياب أبو المُعذّل، قال: أتيت على عقبة بن عبد الغافر وهو صريع في الخندق، فقال: يا أبا المعذل، لا دُنيا ولا آخرة.

ـ وفي «السُّنة» للخلال (٨٨) قال حنبل في ولاية الواثق: اجتمع فقهاء بغداد إلى أبي عبد الله [أحمد بن حنبل]: أبو بكر بن عبيد، وإبراهيم بن علي المطبخي، وفضل بن عاصم، فجاءوا إلى أبي عبد الله، فاستأذنت لهم، فقالوا: يا أبا عبد الله، هذا الأمر قد تفاقم وفشا، ـ يعنون: إظهاره لخلق =

القرآن وغير ذلك ـ. فقال لهم أبو عبد الله: فما تريدون؟!
قالوا: أن نشاورك في أنا لسنا نرضى بإمرته، ولا سلطانه.
فناظرهم أبو عبد الله ساعة، وقال لهم: عليكم بالنُّكرة بقلوبكم، ولا تخلعوا يدًا من طاعة، ولا تشقُّوا عصا المسلمين، ولا تسفكوا دماءكم ودماء المسلمين معكم، انظروا في عقبة أمركم، واصبروا حتى يستريح برٌّ، أو يُستراح من فاجر.
ودخلت أنا وأبي على أبي عبد الله بعدما مضوا، فقال أبي لأبي عبد الله: نسأل الله السلامة لنا ولأُمَّةِ محمدٍ، وما أُحِبُّ لأحدٍ أن يفعل هذا.
وقال أبي: يا أبا عبد الله، هذا عندك صواب؟
قال: لا، هذا خلاف الآثار التي أُمرنا فيها بالصبر. ثم ذكر أبو عبد الله قال: قال النبي ﷺ: «إن ضربك فاصبر»، وإن وإن فاصبر، فأمر بالصبر. اهـ.
ـ قال ابن تيمية رحمه الله في «منهاج السُّنة» (٤/ ٥٢٧): ومما ينبغي أن يُعلم أن أسباب هذه الفتن تكون مشتركة، فيرد على القلوب من الواردات ما يمنع القلوب عن معرفة الحقِّ وقصده. ولهذا تكون بمنزلة الجاهلية، والجاهلية ليس فيها معرفة الحق ولا قصده، والإسلام جاء بالعلم النافع والعمل الصالح، بمعرفة الحق وقصده. فيتفق أن بعض الولاة يظلم باستئثار فلا تصبر النفوس على ظُلمه، ولا يمكنها دفع ظُلمه إلَّا بما هو أعظم فسادًا منه؛ ولكن لأجل محبة الإنسان لأخذ حقِّه ودفع الظلم عنه، لا ينظر في الفساد العام الذي يتولَّد عن فعله. ولهذا قال النبي ﷺ: «إنكم ستلقون بعدي أثرة؛ فاصبروا حتى تلقوني على الحوض».
وفي الصحيح من حديث أنس بن مالك وأسيد بن حضير رضي الله عنهما: أن رجلًا من الأنصار قال: يا رسول الله، ألا تستعملني كما استعملت فلانًا؟
قال: «ستلقون بعدي أثرة؛ فاصبروا حتى تلقوني على الحوض».
وفي رواية للبخاري عن يحيى بن سعيد الأنصاري، سمع أنس بن مالك رضي الله عنه حين خرج معه إلى الوليد، قال: دعا النبي ﷺ الأنصار إلى أن يقطع لهم البحرين، فقالوا: لا، إلَّا أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها.
فقال: «أما لا؛ فاصبروا حتى تلقوني على الحوض، فإنه ستصيبكم أثرة بعدي».

٧٤ - أخبرنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الحلواني، قال: ثنا أحمد بن حنبل، قال: حدثني يحيى بن سعيد، عن هشام، قال: ثنا الحسن، عن ضَبَّةَ بْنِ مِحْصَنٍ، عن أُم

وكذلك ثبت عنه في الصحيح أنه قال: «على المرء المسلم السمع والطاعة في يسره وعُسره، ومنشطه ومكرهه، وأثرة عليه».

وفي الصحيح عن عبادة ﷺ قال: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة: في عُسرنا ويُسرنا، ومنشطنا ومكرهنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله..

فقد أمر النبي ﷺ المسلمين بأن يصبروا على الاستئثار عليهم، وأن يطيعوا ولاة أمورهم وإن استأثروا عليهم، وأن لا ينازعوهم الأمر.

وكثير ممن خرج على ولاة الأمور أو أكثرهم إنما خرج لينازعهم مع استئثارهم عليه، ولم يصبروا على الاستئثار. ثم إنه يكون لولي الأمر ذنوب أُخرى، فيبقى بغضه لاستئثاره يُعظِّم تلك السيئات، ويبقى المقاتل له ظانًا أنه يقاتله لئلا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، ومن أعظم ما حركه عليه طلب غرضه: إما ولاية، وإما مال. كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ۝٥٨﴾ [التوبة].

وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «ثلاثةٌ لا يكلمهم الله، ولا ينظر إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم.. ورجلٌ بايع إمامًا لا يبايعه إلَّا لدنيا: إن أعطاه منها رَضِي، وإن منعه سخط..». فإذا اتفق من هذه الجهة شبهة وشهوة، ومن هذه الجهة شهوة وشبهة قامت الفتنة.

والشارع أمر كل إنسانٍ بما هو المصلحة له وللمسلمين؛ فأمر الولاة: بالعدل والنصح لرعيتهم، حتى قال: «ما من راعٍ يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته، إلَّا حرَّم الله عليه رائحةَ الجنة».

وأمر الرعية: بالطاعة والنصح، كما ثبت في الحديث الصحيح: «الدين النصيحة»، ثلاثًا. قالوا: لمن يا رسول الله؟

قال: «لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم».

وأمر بالصبر على استئثارهم، ونهى عن مقاتلتهم ومنازعتهم الأمر مع ظلمهم؛ لأن الفساد الناشئ من القتال في الفتنة أعظم من فساد ظلم ولاة الأمر، فلا يُزال أخفُّ الفسادين بأعظمهما. اهـ.

سلمة ﵂، عن رسول الله ﷺ قال: «يكون عليكم [٩/أ] أُمراءُ تعرفون وتُنكرون، فمن أنكرَ فقد برئَ، ومن كَرِهَ فقد سَلِمَ؛ ولكن من رَضِيَ وتابع»(١).

قالوا: يا رسول الله، ألا نقاتلهم؟

قال: «لا ما صَلَّوْا»(٢).

---

(١) وفي «سنن أبي داود» (٤٧٦١): «فَمَن كَرِه فقد برئ، ومَنْ أنكَرَ فقد سَلِمَ».
قال قتادة: يعني: مَن أنكَرَ بقلبه، ومن كَرِهَ بقلبه.
ـ وفي «تعظيم قدر الصلاة» (٩٥٠) قال الحسن وفسَّره: «فمن أنكر بلسانه فقد برئ»، فقد ذهب زمان هذا.
«ومن كره بقلبه فقد سَلِم»، وقد جاء زمان هذا.
قال: «ولكن من رضي وتابع»، قال الحسن: فأبعده الله. اهـ.

(٢) رواه أحمد (٢٦٦٠٦)، ومسلم (١٨٥٤).
ـ في «معرفة السنن والآثار» (١٦٥١٧) قال الشافعي في كتاب البويطي: وكل إمامٍ ولي الناس باختيار أو بغيره أو مُتغلِّبٍ فجرت أحكامه، وسُلكت به السبل، وأُمِّنت به البلاد لا يُقاتل، ولا يقاتل معه المسلمون، والحُجة في ذلك قول النبي ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا وإن ولي عليكم كذا وكذا»، وقال النبي ﷺ: «إنكم ستلقون من بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني».
ـ فإن قيل: فقد قال النبي ﷺ: «أطيعوهم ما أطاعوا الله، فإن عصوا الله؛ فلا طاعة عليكم» قال: فإنهم ما أقاموا الصلاة مُطيعين لله في إقامتها، فعلينا طاعتهم فيما أطاعوا الله، وما عصوا فيه أمسكنا عنهم، ولم نطعهم في أن نشركهم في المعصية. اهـ.
ـ قال ابن تيمية ﵀ في «منهاج السنة» (٣/ ٣٩٢): فقد نهى رسول الله ﷺ عن قتالهم مع إخباره أنهم يأتون أمورًا مُنكرة، فدلَّ على أنه لا يجوز الإنكار عليهم بالسيف كما يراه من يقاتل ولاة الأمر من الخوارج والزيدية والمعتزلة وطائفة من الفقهاء وغيرهم. اهـ.
ـ وقال أيضًا (٥/ ١٥١) بعد ذكره لهذا الحديث وأمثاله في النهي عن قتال السلطان: فهذا أمره بقتال الخوارج، وهذا نهيه عن قتال الولاة الظلمة.
وهذا مما يُستدلّ به على أنه ليس كل ظالم باغ يجوز قتاله.

ومن أسباب ذلك: أن الظالم الذي يستأثر بالمال والولايات لا يقاتل في العادة إلَّا لأجل الدنيا، يقاتله الناس حتى يعطيهم المال والولايات، وحتى لا يظلمهم، فلم يكن أصل قتالهم ليكون الدين كله لله، ولتكون كلمة الله هي العُليا، ولا كان قتالهم من جنس قتال المحاربين قطاع الطريق، الذين قال فيهم: «**من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون حرمته فهو شهيد**»؛ لأن أولئك معادون لجميع الناس، وجميع الناس يعينون على قتالهم، ولو قُدر أنه ليس كذلك العداوة والحرب، فليسوا ولاة أمر قادرين على الفعل والأخذ، بل هم بالقتال يريدون أن يأخذوا أموال الناس ودماءهم، فهم مبتدئون الناس بالقتال، بخلاف ولاة الأمور فإنهم لا يبتدئون بالقتال للرعية. وفرق بين من تقاتله دفعًا وبين من تقاتله ابتداء.

ولهذا هل يجوز في حال الفتنة قتال الدفع؟

فيه عن أحمد روايتان لتعارض الآثار والمعاني.

وبالجملة العادة المعروفة أن الخروج على ولاة الأمور يكون لطلب ما في أيديهم من المال والإمارة، وهذا قتال على الدنيا.

ولهذا قال أبو برزة الأسلمي ﷺ عن فتنة ابن الزبير ﷺ، وفتنة القراء مع الحجاج، وفتنة مروان بالشام: هؤلاء وهؤلاء وهؤلاء إنما يقاتلون على الدنيا.

وأما أهل البدع كالخوارج فهم يريدون إفساد دين الناس، فقتالهم قتال على الدين.

والمقصود بقتالهم أن تكون كلمة الله هي العُليا، ويكون الدين كله لله. فلهذا أمر النبي ﷺ بهذا، ونهى عن ذلك.

ولهذا كان قتال علي ﷺ للخوارج ثابتًا بالنصوص الصريحة، وبإجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وسائر علماء المسلمين.

وأما قتال الجمل وصفِّين فكان قتال فتنة، كرهه فضلاء الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر العلماء، كما دلت عليه النصوص. حتى الذين حضروه كانوا كارهين له، فكان كارهه في الأمة أكثر وأفضل من حامده. اهـ.

قلت: استدل أهل السُّنة بهذا الحديث على أن تارك الصلاة بالكلية كافر كفرًا بواحًا مخرجًا عن المِلَّة.

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في «شرح العمدة» (٢/ ٨٠): أمر النبي ﷺ بالكفِّ =

٧٥ ـ وحدثنا ـ أيضًا ـ أحمد بن يحيى الحلواني، قال: ثنا هُدبة بن خالد، قال: ثنا همام، قال: ثنا قتادة، عن الحسن، عن ضَبَّةَ بنِ مِحْصَنٍ، عن أم سلمة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «يكون عليكم أُمراءُ تعرفون وتُنكِرون، من[١] عرف برئَ، ومن كَرِهَ سَلِم؛ ولكن من رَضِيَ وتابع».

قالوا: أفلا نقاتلهم؟

قال: «لا، ما صَلَّوْا».

٧٦ ـ حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، قال: ثنا عبيد الله بن عمر القواريري، قال: ثنا يحيى بن سعيد، عن شعبة، قال حدثني أبو التياح، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ «اسمعوا وأطيعوا، وإن استُعمِلَ عليكم حبشيٌّ كأنَّ رأسه زبيبة»[٢].

٧٧ ـ وحدثنا الفريابي، قال: ثنا قُتيبة بن سعيد، عن مالك بن أنس، عن يحيى بن سعيد، قال: أخبرني عُبادة بن الوليد، قال: أخبرني أبي، عن أبيه، قال: بايعنا رسول الله ﷺ: على السمع والطاعة، في اليُسر والعُسر، والمنشط والمكره[٣]، وأن لا نُنازع الأمرَ أهلَه، وأن نقوم ـ أو نقول ـ بالحقِّ حيثما كنا، لا نخاف في الله لومةَ لائم[٤].

عن قتال هؤلاء الأئمة ما صلوا، نعُلِم أنهم لو تركوا الصلاة لَقُوتِلوا، والإمام لا يجوز قتاله حتى يكفُر، وإلَّا فبمجرد الفسق لا يجوز قتاله، ولو جاز قتالُه بذلك لقوتل على تفويتها كما يقاتل على تركها. اهـ.

(١) كتب فوقها: (فمن) خ.

(٢) رواه أحمد (١٢١٢٦)، والبخاري (٦٩٣).

(٣) في «النهاية» (٤/١٦٩): يعني: المحبوب والمكروه، وهما مصدران. اهـ.

(٤) رواه البخاري (٧١٩٩)، ومسلم (١٧٠٩).

ورواه البخاري (٧٠٥٦)، ومسلم (١٧٠٩) عن عُبادة رضي الله عنه، قال: بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعُسرنا ويُسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، قال: «إلَّا أن تروا كُفرًا بواحًا عندكم من الله فيه بُرهان». =

٧٨ ـ حدثنا الفريابي، قال: ثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا عبد الوهاب ـ يعني: الثقفي ـ، قال: سمعت يحيى بن سعيد، يقول: أخبرني عُبادة بن الوليد بن عُبادة بن الصَّامت، أن الوليد بن عُبادة، قال: أخبرني أبي، قال: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العُسر واليُسر، والمَكره والمنشط.. فذكر مثله.

٧٩ ـ حدثنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن شاهين، قال: ثنا محمد بن بكار، قال: ثنا فَرج بن فَضَالة، عن لقمان بن عامر، عن أبي أُمامة الباهلي رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «اسمعوا لهم وأطيعوا في عُسرِكم ويُسركم، ومَنْشَطِكم ومَكْرَهِكم، وأثرةٍ عليكم[(١)]، ولا تنازعوا الأمرَ أهلَه، وإن كان لكم»[(٢)].

٨٠ ـ وأخبرنا أحمد بن يحيى الحلواني، قال: ثنا أحمد بن حنبل، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن سماك بن حرب، عن علقمة بن وائل الحضرمي، عن أبيه، قال: سألَ يزيد بن سلمة[(٣)] الجُعفي رسول الله ﷺ: أرأيت إن قامت علينا أُمراءُ فسألونا حقَّهم، ومنعونا حقَّنا، فما تأمرنا؟

فأعرض عنه، ثم سأله الثانية أو الثالثة، فجبذه الأشعث بن قيس، وقال: «اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حُمِّلوا، وعليكم ما حُمِّلتم»[(٤)].

---

(١) استأثر بالشيء: استبدَّ به وانفرد. واستأثر بالشيء على غيره: خصَّ به نفسه. «تاج العروس» (١٠/ ٢١).
ـ قال ابن تيمية رحمه الله في «المنهاج» (٥/ ١٥٠): قال ﷺ للأنصار: «إنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض»، أي: تلقون من يستأثر عليكم بالمال، ولا ينصفكم، فأمرهم بالصبر، ولم يأذن لهم في قتالهم. اهـ.

(٢) رواه الطبر ني في «مسند الشاميين» (١٥٨٤).

(٣) وعند «صحيح مسلم»: (سلمة بن يزيد الجعفي).
وفي «الإصابة في تمييز الصحابة» (٣/ ١٣١): سلمة بن يزيد... وحكي أنه يقال فيه: يزيد بن سلمة. اهـ.

(٤) رواه مسلم (١٨٤٦).
ولفظه: فجذبه الأشعث بن قيس، فقال رسول الله ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا..».

٨١ ـ حدثنا أبو شعيب عبد الله بن الحسن الحراني، قال: حدثني جدي، قال: ثنا موسى بن أَعْيَن، عن إبراهيم بن عبد الأعلى، عن سُويد بن غَفَلَة، قال: قال لي عمر بن الخطاب ﵁: لعلَّك أن تُخلَّف بعدي؛ فأطعِ الإمام، وإن كان عبدًا حبشيًّا، وإن ضربك فاصبر، وإن حرمك فاصبر، وإن دعاك إلى أمرٍ مَنْقَصَةٍ في دنياك فقل: سمعًا وطاعةً، دمي دون ديني[1].

٨٢ ـ وأخبرنا أبو زكريا يحيى بن محمد الحنائي، قال: ثنا محمد بن عبيد بن حِساب، قال: ثنا حماد بن زيد، قال: ثنا ليث، عن إبراهيم بن عبد الأعلى، عن سويد بن غَفَلة، قال: قال لي عمر بن الخطاب ﵁: لا أدري لعلَّك أن تُخلَّف بعدي؛ فأطع الإمام، وإن أُمِّر عليك عبدٌ حبشي مُجدَّع[2]، فإن ظلمك فاصبر، وإن حرمك فاصبر، وإن دعاك إلى أمرٍ ينقصك في دنياك فقل: سمعًا وطاعة، دمي دون ديني.

قال محمد بن الحسين:

٨٣ ـ فإن قال قائل: أيش[3] الذي يحتمل عندك قول عمر ﵁ فيما قاله؟

قيل له: يَحتملُ ـ والله أعلم ـ أن نقول: من أُمِّر عليك من عربيٍّ أو

ورواه عن أبي بكر بن أبي شيبة، حدثنا شبابة، حدثنا شعبة، عن سماك، بهذا الإسناد مثله، وقال: فجذبه الأشعث بن قيس، فقال رسول الله ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا..».

ـ وفي «الصحيحين» عن ابن مسعود ﵁ قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «إنكم سترون بعدي أثرة وأمورًا تُنكرونها». قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: «تؤدُّون الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم».

(١) رواه ابن أبي شيبة (٣٤٤٠٠)، والخلال في «السُّنة» (٥٣) بتحقيقي.

(٢) أي: مُقَطَّع الأنف، والأذن، والشَّفة. «تهذيب اللغة» (١/ ٥٥٨).

(٣) أصلها: (أيُّ شيء)، ثم خففت اليء وحُذفت الهمزة تخفيفًا وجعلا كلمة واحدة، فقيل: أيش. انظر: «المصباح» (١/ ٣٣٠).

غيره، أسود أو أبيض أو عجمي؛ فأطعه فيما ليس لله فيه معصية، وإن حرمك حقًّا لك، أو ضربك ظُلمًا[١] لك، أو انتهك عرضك[٢]، أو أخذ مالك، فلا يحملْك ذلك على:

١ ـ أن تخرج عليه بسيفكَ حتى تقاتله.

٢ ـ ولا تخرج مع خارجي تقاتله.

٣ ـ ولا تُحرِّض غيرك على الخروج عليه؛ ولكن اصبر عليه.

وقد يحتملُ: أن يدعوك إلى منقصةٍ في دينك من غير هذه الجهة، يحتمل أن يأمُرك بقتل من لا يستحقُّ القتل، أو بقطع عضو من لا يستحقُّ ذلك، أو بضرب من لا يحلُّ ضربه، [٩/ب] أو بأخذ مال من لا يستحقُّ أن تأخذ ماله، أو بظلمِ من لا يحلُّ له ولا لك ظلمه، فلا يسعُك أن تطيعه.

فإن قال لك: إن[٣] لم تفعل ما آمرك به، وإلَّا قتلتُك أو ضربتُك.

فقل: دمي دون ديني؛ لقول النبي ﷺ: **«لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق ﷻ»**[٤].

ولقوله ﷺ: **«إنما الطاعة في المعروف»**[٥].

---

(١) كتب في هامش الأصل: (ظالمًا).

(٢) في «تهذيب اللغة» (٦/ ١٧) قال الأصمعي: النَّهك: أن تُبالِغَ في العمل، فإن شَتَمتَ وبالغتَ في شتم العِرض قيل: انْتَهَكَ عِرْضَه. اهـ.

(٣) كتب فوقها: (لئن) خه.

(٤) رواه أحمد (٣٨٨٩) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، ومن حديث عمران رضي الله عنه (٢٠٦٥٣).

وراه ابنه عبد الله في «زوائد المسند» (١٠٩٥) من حديث علي رضي الله عنه.

(٥) روى البخاري (٧٢٥٧)، ومسلم (١٨٤٠) من حديث علي رضي الله عنه، قال النبي ﷺ: **«لا طاعة في معصيةٍ، إنما الطاعة في المعروف»**.

٨٤ ـ حدثني أبو جعفر محمد[١] بن خالد البرذعي في المسجد الحرام سنة تسع وتسعين[٢] ومائتين، قال: ثنا علي بن سهل الرملي، قال: ثنا الوليد بن مسلم، عن ابن جابر، قال: حدثني رُزَيق مولى بني فَزَارة، قال: سمعت مسلم بن قَرَظَةَ الأشجعي، يقول: سمعت عمِّي عوف بن مالك الأشجعي ﷺ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خيارُ أئمتكم: الذين تُحبونهم ويُحبونكم، وتُصلون عليهم ويُصلون عليكم، وشرار أئمتكم: الذين تُبغضونهم ويُبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم».

قلنا: يا رسول الله: أفلا نُنابذهم[٣] على ذلك؟

قال: «لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، لا ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليكم منهم فرآه يأتي شيئًا من معصية الله، فليُنكر ما يأتي به من معصية الله، ولا ينزعنَّ يدًا من طاعة الله ﷻ».

قلت لرُزيق: آلله يا أبا المِقدام، لسمعت مسلم بن قَرَظَةَ يقول: سمعت عمي عوف بن مالك ﷺ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول ما أخبرتَ به عنه؟

قال ابن جابر: فجثا رُزيق على رُكبتيه، واستقبل القبلة، وحلفَ على ما سألتُه أن يحلفَ عليه.

قال ابن جابر: ولم أستحلفه اتهامًا له؛ ولكني استحلفته استثباتًا[٤].

(١) في الأصل: (أحمد). والصواب ما أثبته كما سيأتي برقم (٢٠١٣)، هو كذلك في كتب التراجم.
(٢) كتب في هامش الأصل: (سبعين) خ.
(٣) أي: نُظهر لهم العزم على قتالهم، ونخبرهم به إخبارًا مكشوفًا. «النهاية» (٥/ ٧).
(٤) رواه أحمد (٢٣٩٨١ و٢٣٩٩٩)، ومسلم (١٨٥٥).

١٠ ـ بَاب

فضل القعود في الفتنة عن الخوض فيها وتخوّف العُقلاءِ على قلوبهم أن تهوى حالًا يكرهه الله تعالى ولزوم البيوت والعبادة لله تعالى(١)

(١) عقد ابن بطة رَحِمَهُ اللهُ في «الإبانة الكبرى» بابًا نحوه، فقال: (١٣/باب إعلام النبي ﷺ أمتَه أمرَ الفتن الجارية، وأمره لهم بلزوم البيوت، وفضل القعود، ولزوم العقلاء بيوتَهم، وتخوفَهم على قلوبهم من اتباع الهوى، وصيانتهم لألسنتهم وأديانهم).
ـ وفي «السُّنة» للخلال (١١) قال أحمد رَحِمَهُ اللهُ: الفتنة: إذا لم يكن إمامٌ يقوم بأمر الناس.
ـ وفي «العزلة» (٢١) عن ميمون بن مهران قال: إن سعدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لما دعوه إلى الخروج معهم أبى عليهم، ثم قال: لا، إلَّا أن تعطوني سيفًا له عينان بصيرتان، ولسان ينطق بالكافر فأقتله، والمؤمن فأكفّ عنه، وضرب لهم مثلًا، فقال: مثَلُنا ومثَلُكم كمثل قوم كانوا على محجة بيضاء، فبينا هم كذلك يسيرون هاجت ريح عَجَاجَة، فضَلوا الطريق، والتبس عليهم، فقال بعضهم: الطريق ذات اليمين، فأخذوا فيها فتاهوا وضلوا. وقال آخرون: الطريق ذات الشمال، فأخذوا فيها؛ فتاهوا وضلوا، وقال آخرون: كنا في الطريق حيث هاجت الريح، فننيخ، فأناخوا، فأصبحوا، فذهب الريح، وتبيَّن الطريق؛ فهؤلاء هم الجماعة. قالوا: نلزم ما فارقنا عليه رسول الله ﷺ حتى نلقاه، ولا ندخل في شيء من الفتن.
قال ميمون: فصار الجماعة والفئة التي تَدَّعِي فيه الإسلام ما كان عليه سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأصحابه الذين اعتزلوا الفتن حتى أذهب الله الفُرقة =

وجمع الألفة، فدخلوا الجماعة، ولزموا الطاعة، وانقادوا، فمن فعل ذلك ولزمه نجا، ومن لم يلزمه وقع في المهالك. اهـ.

- وفي «مصنف» ابن أبي شيبة (٣٨٥٠٠) عن زيد، قال: قال حذيفة ﷺ: إن للفتنة وقفات وبعثات، فإن استطعت أن تموت في وقفاتها فافعل.

وقال: ما الخمر صرفًا بأذهب لعقول الرجال من الفتن.

- وفيه (٣٨٢٩٤) قال زيد بن وهب، قال: قيل لحذيفة: ما وقفات الفتنة، وما بعثاتها؟

قال: بعثاتها: سل السيف، ووقفاتها: إغماده.

- وفيه (٣٨٢٧٤) عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: تكون فتنة، أو فتن تستنظف العرب، قتلاها في النار، اللسان فيها أشد من وقع السيف.

- وفي «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٧/ ١٤٢) قال مُطرف بن عبد الله بن الشخير: لبثت في فتنة ابن الزبير تسعًا أو سبعًا ما أُخبِرتُ فيها بخبرٍ، ولا استَخْبَرتُ فيها عن خبرٍ.

- وفيه: قيل ليزيد بن عبد الله بن الشخير: ما كان مُطرف يصنع إذا هاج في الناس هَيْجُ؟ قال: كان يلزم قعر بيته، ولا يقرب لهم جمعةً ولا جماعة حتى تنجلي لهم عما انجلت.

- وفي «السُّنة» للخلال (٨٧) عن أبي الحارث قال: سألت أبا عبد الله [أحمد بن حنبل] في أمر كان حدث ببغداد، وهمَّ قومٌ بالخروج، فقلت: يا أبا عبد الله، ما تقول في الخروج مع هؤلاء القوم؟ فأنكر ذلك عليهم، وجعل يقول: سبحان الله! الدِّماء، الدِّماء! لا أرى ذلك، ولا آمُر به، الصبر على ما نحن فيه خيرٌ من الفتنة تُسفك فيها الدماء، وتستباحُ فيها الأموال، وتُنتهك فيها المحارم، أما علمت ما كان الناس فيه؟! - يعني: أيام الفتنة -.

قلت: والناس اليوم، أليسَ هم في فتنة يا أبا عبد الله؟

قال: وإن كان، فإنما هي فتنةٌ خاصَّة، فإذا وقع السيفُ عمَّت الفتنة، وانقطعت السُّبل، الصبر على هذا، ويسلم لك دينك خيرٌ لك.

ورأيته ينكر الخروج على الأئمة، وقال: الدِّماء، لا أرى ذلك، ولا آمر به.

- وفيه (١٨٤) عن أيوب بن إسحاق: أن أبا عبد الله قال: وأما الفتنة فلا تمسَّ السِّلاح، ولا تدفع عن نفسك بسلاحٍ، ولا شيء؛ ولكن ادخل بيتك.

٨٥ ـ حدثنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الحلواني، قال: ثنا سعيد بن سليمان، عن إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «تكون فتنةٌ القاعد فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي، من يَسْتَشْرِفْ لها تَسْتَشْرِفْ له[1]، ومن وجد منها ملجأً

ـ قال حرب الكرماني رحمه الله في «اعتقاده» (٣٢): والإمساكُ في الفتنةِ سُنةٌ ماضيةٌ، واجبٌ لزومُها. فإن ابتُليتَ: فقدِّم نفسَك، ومالك دون دينك. ولا تُعِن على الفتنةِ بيدٍ ولا لسانٍ؛ ولكن اكفُفْ يدك ولسانَك وهواك. اهـ.

ـ قال البربهاري رحمه الله في «شرح السُّنة» (١١٧): وإذا وقعت الفتنة؛ فالزم جوف بيتك، وفرَّ من جوار الفتنة، وإياك والعصبية، وكل ما كان من قتال بين المسلمين على الدنيا فهو: فتنة، فاتق الله وحده لا شريك له، ولا تخرج. اهـ.

ـ قال ابن تيمية رحمه الله في «الاستقامة» (١/ ٣٢): نهى النبي ﷺ عن القتال في الفتنة، وكان ذلك من أصول السُّنة، وهذا مذهب أهل السنة والحديث وأئمة أهل المدينة من فقهائهم. اهـ.

ـ وقال في «الفتاوى الكبرى» (٣/ ٥٦١): فالفتن مثل الحروب التي تكون بين ملوك المسلمين وطوائف المسلمين، مع أن كل واحدة من الطائفتين ملتزمة لشرائع الإسلام، مثل ما كان أهل الجمل وصفين، وإنما اقتتلوا لشُبه وأمور عرضت.

وأما قتال الخوارج، ومانعي الزكاة، وأهل الطائف الذين لم يكونوا يحرمون الرِّبا، فهؤلاء يقاتلون حتى يدخلوا في الشرائع الثابتة عن النبي ﷺ. اهـ.

* وانظر: «السُّنة» لحرب الكراماني (ص١٤٨): (باب في الأمر بالإمساك في الفتنة).

و«مصنف ابن أبي شيبة» (١٥/ ٥) (٤٠/ كتاب الفتن) (١/ من كره الخروج في الفتنة وتعوذ منها).

(١) في «مطالع الأنوار على صحاح الآثار» (٦/ ٣٥): قوله: «مَن استَشرَفَ لها استَشرَفَتْه»، قيل: هو من الإشراف، استشرفت الشيء: علوته، وشرفت عليه، وأشرفت، يريد: من انتصب لها انتصبت له وتلَّته وصرعته. وقيل: هو من المخاطرة والتغرير والإشفاء على الهلاك، أي: من خاطر بنفسه فيها أهلكته، =

أو معاذًا فليَعُذ به»[(١)].

٨٦ ـ حدثنا الفريابي، قال: ثنا وهب بن بقية الواسطي، قال: أنا خالد ـ يعني: ابن عبد الله الواسطي ـ، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «تكونُ فتنٌ كرياحِ الصيف[(٢)]، القاعد فيها خيرٌ من القائم، والقائم فيها خيرٌ من الماشي، من استشرفَ لها استَشْرَفَتْه».

يقال: أشرف المريض إذا أشفى على الموت، وهم على شرف، أي: خطر. اهـ.

(١) رواه البخاري (٧٠٨١)، ومسلم (٢٨٨٦).

ـ وروى مسلم (٢٨٨٧) عن عثمان الشحام، قال: انطلقت أنا وفرقد السبخي إلى مسلم بن أبي بكرة وهو في أرضه، فدخلنا عليه، فقلنا: هل سمعت أباك يُحدِّث في الفتن حديثًا؟ قال: نعم، سمعت أبا بكرة يُحدِّث، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنها ستكون فتنٌ، ألا ثُم تكون فتنة، القاعد فيها خير من الماشي... ألا فإذا نزلت ـ أو وقعت ـ، فمن كان له إبلٌ فليلحق بإبله، ومن كانت له غنمٌ فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه».

قال: فقال رجل: يا رسول الله، أرأيت من لم يكن له إبلٌ ولا غنمٌ ولا أرضٌ؟

قال: «يعمد إلى سيفه فيدق على حدِّه بحجر، ثم لينج إن استطاع النجاء، اللَّهم هل بلغت؟ اللَّهم هل بلغت؟ اللَّهم هل بلغت؟».

قال: فقال رجل: يا رسول الله، أرأيت إن أُكرهت حتى ينطلقَ بي إلى أحد الصفين، أو إحدى الفئتين، فضربني رجلٌ بسيفه، أو يجيء سهم فيقتلني؟

قال: «يبوء بإثمه وإثمك، ويكون من أصحاب النار».

ـ قال ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (٢٨/٥٣٨): ففي هذا الحديث أنه نهى عن القتال في الفتنة؛ بل أمر بما يتعذَّر معه القتال من الاعتزال أو إفساد السلاح الذي يقاتل به. اهـ.

(٢) (لعل التشبيه بها في كونها مؤذية؛ لأن رياح الصيف حارَّة في الغالب وتعصف الرمال وتحرق النبات). «الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم» (٢٦/١٠١).

٨٧ ـ حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، قال: ثنا شيبان بن فَرُّوخ، قال: ثنا سُليمان بن المُغيرة، عن حُميد بن هلال، عن رجلٍ كان مع الخوارج ثم فارقهم.

٨٧/أ ـ قال أبو القاسم: وحدثني جدي، وأبو خيثمة، قالا: ثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب، عن حُميد بن هلال، عن رجلٍ من عبد القيس كان مع الخوارج، ثم فارقهم، قال: دخلوا قريةً فخرج عبد الله بن خبَّاب ذَعِرًا، يجُرُّ رداءَه، فقالوا: لم تُرَعْ، لم تُرَعْ[1]. ـ مرتين ـ.

فقال: والله لقد رُعْتُمُوني، قالوا: أنت عبد الله بن خبَّابٍ صاحب رسول الله ﷺ؟ قال: نعم.

قالوا: فهل سمعت من أبيك حديثًا يُحدِّث به عن رسول الله ﷺ تحدثُنَاه؟

قال: سمعته يقول عن رسول الله ﷺ: إنه ذكر فتنةً: «القاعدُ فيها خيرٌ من القائم، والقائم فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي، قال: فإن أدركتَها فكن عبدَ اللهِ المقتولَ».

قال أيوب: ولا أعلمه إلَّا قال: «ولا تكن عبدَ اللهِ القاتلَ».

قالوا: أنت سمعت هذا من أبيك يُحدِّث به عن رسول الله ﷺ؟

قال: نعم. فقدَّموه على ضَفَّةِ النهر، فضربوا عُنقه، فسال دمه كأنه شِراك ما امذقرَّ[2] ـ يعني: ما اختلط بالماءِ الدم ـ وبقروا أُم ولده عما

---

(١) في «الصحاح» (٣/ ١٢٢٣): قولهم: (لا تُرَعْ)، أي: لا تخف، ولا يلحقك خوفٌ. اهـ.

(٢) وفي «المسند»: (شِرَاكُ نَعْلٍ مَا ابْذَقَرَّ).

وفي حاشيته: قوله: (ما ابذقر)، قال السندي: بموحدة، وذال معجمة، وقاف وتشديد راء، مثل: اقشعرَّ. في «القاموس»: (ما ابذقر الدم في الماء)، =

في بطنها[1].

أي: لم يتفرَّق أجزاؤه فيمتزج به؛ ولكن مرَّ فيه مجتمعًا متميزًا عنه. اهـ.

- قال الأزهري رَحِمَهُ اللَّهُ في «تهذيب اللغة» (٩/٣٠٨): سالَ دَمُه في النهر فما امذَقَرَّ وَمَا اختَلَط... ورواه بعضهم: فما ابذَقَرَّ دمُه، وهي لغة، معناه: ما تفرَّق. اهـ.

وقد ذكر الأزهري عن أبي عُبيد أن معناه: أن دمه سال في الماء واختلط وامتزج به، ثم ضعَّفه.

وفي «النهاية» (٤/٣١٢) أي: أنه مرَّ فيه كالطريقة الواحدة لم يختلط به، ولذلك شبهه بالشِّراك الأحمر، وهو سير من سيور النعل. اهـ.

(١) رواه أحمد (٢١٠٦٤)، وابن أبي شيبة (٣٩٠٥١)، وأبو يعلى (٧٢١٥).

- ورواه عبد الرزاق (١٩٨٢٩) عن معمر، قال: أخبرني غير واحدٍ من عبد القيس، عن حُميد بن هلال، عن أبيه، قال: لقد أتيتُ الخوارج، وإنهم لأحب قوم على وجه الأرض إليَّ، فلم أزل فيهم حتى اختلفوا، فقيل لعلي: قاتِلهم. فقال: لا، حتى يَقتلوا، فمرَّ بهم رجل، فاستنكروا هيئته، فساروا إليه، فإذا هو عبد الله بن خبَّاب، فقالوا: حدثنا ما سمعت أباك يُحدِّث عن النبي ﷺ، قال: سمعتُه يقول: إنه سمع النبي ﷺ يقول: «تكن فتنة، القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي، والساعي في النار».

قال: فأخذوه وأم ولده، فذبحوهما جميعًا على شط النهر، قال: ولقد رأيت دماءهما في النهر كأنهما شِراكان. فأُخبر بذلك عليٌّ رضي الله عنه، فقال لهم: أقيدوني من ابن خبَّابٍ، قالوا: كلنا قتلَه، فحينئذ استحلَّ قِتالهم.

- وعند ابن أبي شيبة (٣٩٠٧٨) حدثنا ابن عُليَّة، عن التيمي، عن أبي مجلز، قال: بينما عبد الله بن خباب في يد الخوارج، إذ أتوا على نخلٍ، فتناول رجل منهم تمرة، فأقبل عليه أصحابه، فقالوا له: أخذت تمرةً من تمر أهل العهد.

وأتوا على خنزير فنفحه رجلٌ منهم بالسيف، فأقبل عليه أصحابه، فقالوا له: قتلت خنزيرًا من خنازير أهل العهد!

قال: فقال عبد الله: ألا أخبركم بمن هو أعظم عليكم حقًّا من هذا؟

قالوا: مَن؟

٨٨ - حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد - أيضًا -، قال: ثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، قال: ثنا عبد الواحد بن زياد، قال: أنا عاصم، عن أبي كبشة، قال: سمعت أبا موسى رضي الله عنه يقول على المنبر: قال رسول الله ﷺ: «إن بين أيديكم فتنًا كقطع الليل المُظلم[١]، يُصبح الرجلُ فيها مؤمنًا، ويُمسي كافرًا، ويُمسي مؤمنًا، ويُصبحُ كافرًا، القاعدُ فيها خيرٌ من القائم، والقائمُ فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي».

قالوا: فما تأمُرنا؟ [١٠/أ]

قال: «كونوا أحلاسَ بيوتكم»[٢].

قال: أنا، ما تركت صلاة، ولا تركت كذا، ولا تركت كذا. قال: فقتلوه.

قال: فلما جاءهم عليٌّ رضي الله عنه، قال: أقيدونا بعبد الله بن خباب.

قالوا: كيف نقيدك به وكلنا قد شرك في دمه؟ فاستحلَّ قتالهم.

- قال ابن تيمية رحمه الله في «منهاج السُّنة» (٦/ ٣٣٢) وهو يتكلم عن استباحة عليّ رضي الله عنه لقتال الخوارج ودمائهم: الخوارج بدأوه بذلك، فإنهم قتلوا عبد الله بن خباب لما اجتاز بهم، فسألوه أن يُحدِّثهم عن أبيه خباب بن الأرت رضي الله عنه، فحدَّثهم حديثًا في ترك الفتن، وكان قصده رحمه الله رجوعهم عن الفتنة، فقتلوه، وبقي دمه مثل الشراك في [الماء]. فأرسل إليهم عليٌّ يقول: سلِّموا إلينا قاتل عبد الله بن خباب. فقالوا: كلنا قتله. ثم أغاروا على سرح الناس، وهي الماشية التي أرسلوها تسرح مع الرعاء. فلما رأى عليٌّ أنهم استحلوا دماء المسلمين وأموالهم، ذكر النصوص التي سمعها من النبي ﷺ في صفتهم، وفي الأمر بقتالهم، ورأى تلك الصفة منطبقة عليهم، فقاتلهم، ونصره الله عليهم، وفرح بذلك، وسجد لله شكرًا لما جاءه خبر المُخدَج أنه معهم، فإنه هو كان العلامة التي أخبر بها النبي ﷺ، واتفق الصحابة على قتالهم، فقتاله للخوارج كان بنصٍّ من الرسول ﷺ، وبإجماع الصحابة رضي الله عنهم. اهـ.

(١) في «النهاية» (٤/ ٨٣): وجمع القطعة: قِطَعٌ. أراد فتنة مُظلمة سوداء تعظيمًا لشأنها.

(٢) رواه أحمد (١٩٦٦٢)، وأبو داود (٤٢٦٢)، وهو حديث صحيح.

ورواه ابن أبي شيبة موقوفًا (٣٨٢٧٥) عن أبي موسى رضي الله عنه، قال الدارقطني =

٨٩ ـ وحدثنا أبو بكر بن أبي داود، قال: ثنا عبد الملك بن شعيب، قال: حدثني ابن وهب، قال: حدثني الليث بن سعد، عن يحيى بن سعيد، عن خالد بن أبي عمران: أن الحكم بن مسعود النجراني حدَّثه، أن أنس بن أبي مرثد الأنصاري، حدَّثه: أن رسول الله ﷺ قال: «ستكونُ فتنة بَكماءُ صَمَّاءُ عَمياءُ، المضطجعُ فيها خيرٌ من القاعد، والقاعدُ فيها خيرٌ من القائم، والقائِم فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي، ومن أبى فليمدُد عنقَه»(١).

٩٠ ـ وحدثنا أبو بكر بن أبي داود، قال: ثنا أُسيد بن عاصم الأصبهاني، قال: ثنا إسماعيل بن عَمرو، قال: أنا قيس، عن حُصين بن عبد الرحمٰن، عن شقيق بن سلمة، عن حذيفة رضي الله عنه.

وعن مُجالد، عن عامر، عن مسروق، عن حذيفة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «تتقاربُ الفتن، ولا ينجو منها إلَّا من كَرِهها، ولم يأخذِ المال، فإن أخذ المالَ؛ فهو شريكُهم في الدماءِ وغيرها»(٢).

في «العلل» (٧/ ٢٤٨): فإن كان عبد الواحد بن زياد حفظه مرفوعًا، فالحديث له، لأنه ثقة. اهـ.

ـ وفي «الترغيب والترهيب» (٣/ ٢٩٨): رواه أبو داود، وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة في الصحاح وغيرها.

و(الحِلْسُ): هو الكساء الذي يلي ظهر البعير تحت القَتَب، يعني: الزموا بيوتكم في الفتن كلزوم الحِلسِ لظهر الدابة. اهـ.

(١) رواه ابن قانع في «معجم الصحابة» (١/ ١٧)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٧٩٣).

(٢) إسناده ضعيف، في إسناده الأول: إسماعيل بن عمرو البجلي، ضعَّفه أبو حاتم الرازي، وابن عدي. «الكامل» (١/ ٥٢٣)، و«الجرح والتعديل» (٢/ ١٩٠).

وفي إسناد الآخر: مجالد وهو ابن سعيد ضعفه غير واحد من أهل العلم.

ـ وفي «الفتن» لنعيم بن حماد (٣٦٨) عن ابن لهيعة، عن عبيد الله بن أبي جعفر، قال: قال رسول الله ﷺ: «تكون فتنةٌ لا ينجو منها إلَّا من لم يصب من مالها، ومن أصاب من مالها كمن أصاب من دمها»، وهو مرسل ضعيف.

قال محمد بن الحسين:

٩١ ـ قد ذكرت هذا الباب في «كتاب الفتن»[١] في أحاديث كثيرة، وقد ذكرت هاهنا طرفًا منه؛ ليكون المؤمن العاقل يحتاطُ لدينه، فإن الفتنَ على وجوهٍ كثيرة، وقد[٢] مضى منها فتنٌ عظيمة، نجا منها أقوامٌ، وهلك فيها أقوامٌ باتباعهم الهوى، وإيثارهم للدنيا[٣].

فمن أراد اللهُ به خيرًا: فتح له باب الدعاء، والتجأ إلى مولاه الكريم، وخافَ على دينه؛ وحَفِظَ لسانه، وعرف زمانه، ولزِمَ المحجَّة الواضحة السواد الأعظم، ولم يتلوَّن في دينه، وعبدَ ربه تعالى، فترك الخوض في الفتنة، فإن الفتنة يَفتضحُ عندها خلقٌ كثير، ألم تسمع إلى قول النبي ﷺ وهو يُحذِّر أُمتَه الفتنَ، قال: «يُصبحُ الرجلُ مؤمنًا، ويُمسي كافرًا، ويُمسي مؤمنًا، ويُصبحُ كافرًا»[٤]؟

---

(١) وهو من الكتب المفقودة للمصنف.

(٢) كتب فوق الواو من قوله: (وقد): خه.

(٣) أشار المصنف هنا إلى ضابط الهلاك في الفتن وهو: (اتباع الهوى، وإيثار الدنيا)، نسأل الله يُجيرنا من الفتن.

ـ وفي «السُّنة» للخلال (٢٨) عن معاذ بن جبل ﷺ قال: إنكم لن تروا من الدنيا إلَّا بلاءً وفتنة، ولن يزداد الأمر إلَّا شِدَّة، ولن تروا من الأئمة إلَّا غِلظةً، ولن تروا أمرًا يهولكم ويشتدّ عليكم إلَّا حفزه بعده ما هو أشدّ منه، أكثر أمير، وشرّ تأمير.

قال أحمد: اللَّهم رضًنا.

(٤) قال ابن بطة ﷺ في «الإبانة الكبرى» (٨١٠): فالفتن على وجوه كثيرة، وضروب شتَّى، قد مضى منها في صدرِ هذه الأُمَّة فتن عظيمة، نجا منها خلقٌ كثيرٌ عصمهم الله فيها بالتقوى.

وجميع الفتن المُضلَّة المُهلكة المُضرِّة بالدين والدنيا فقد حلَّت بأهل عصرنا، واجتمع عليهم مع الفتن التي هم فيها التي أضرموا نارها، وتقلَّدوا =

عارها الفتن الماضية والسابقة في القرون السالفة، فقد هلك أكثر من ترى بفتن سالفة، وفتن آنفة، اتبعوا فيها الهوى، وآثروا فيها الدنيا. فعلامة من أراد الله به خيرًا، وكان ممن سبقت له من مولاه الكريم عناية: أن يفتح له باب الدعاء باللجاء، والافتقار إلى الله ﷻ بالسَّلامة والنجا، ويهب له الصَّمت إلَّا بما لله فيه رضى، ولدينه فيه صلاح، وأن يكون حافظًا للسانه، عارفًا بأهل زمانه، مُقبلًا على شأنه، قد ترك الخوض والكلام فيما لا يعنيه، والمسألة والإخبار بما لعله أن يكون فيه هلاكه، لا يُحبُّ إلَّا لله، ولا يُبغضُ إلَّا له، فإن هذه الفتن والأهواء قد فضحت خلقًا كثيرًا، وكشفت أستارهم عن أحوال قبيحة، فإن أصون الناس لنفسه أحفظهم للسانه، وأشغلهم بدينه، وأتركهم لما لا يعنيه. اهـ.

- قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٩/٣٩): وقد كان أهل الحق في الصدر الأول هم أكثر الأمة؛ فكان لا يوجد فيهم مبتدع لا في الأقوال ولا الأفعال، وفي الأعصار المُتأخِّرة فقد يجتمع الجم الغفير على بدعة، وقد يخلو الحق في بعض الأزمان المتأخرة عن عصابة يقومون به، كما قال في حديث حذيفة ﷺ: فإن لم يكن لهم إمام ولا جماعة؟ قال له: «فاعتزل تلك الفِرق كلها ولو أن تعضّ بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك».

وتقدّم الحديث الصحيح: «بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ».

وسيأتي في الحديث: «لا تقوم الساعة على أحد يقول: الله، الله».

والمقصود: أنه إذا ظهرت الفتن، فإنه يسوغ اعتزال الناس حينئذٍ، كما ثبت عن النبي ﷺ: «إذا رأيت شُحًّا مُطاعًا، وهوىً مُتبعًا، وإعجابَ كل ذي رأي برأيه، فعليك بخويصة نفسك، ودع أمر العوام».

وفي رواية: «إذا رأيت شُحًّا مُطاعًا، وهوًى مُتبعًا، ودُنيا مؤثرة فعليك بخاصة نفسك، فإن من بعدكم زمان الصبر، صبر فيهن كقبض على الجمر».

وقد اعتزل جماعة من السلف الناس والجمعة والجماعة وهم أئمة كبار؛ كأبي ذرٍّ، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وسلمة بن الأكوع في جماعة من الصحابة، حتى اعتزلوا مسجد النبي ﷺ الذي الصلاة فيه بألف صلاة. واعتزل مالك الجمعة والجماعة في مسجد النبي ﷺ مع معرفته الحديث في فضل الصلاة فيه، فكان لا يشهد جمعة ولا جماعة، وكان إذا لِيمَ =

٩٢ - حدثنا أبو العباس عبد الله بن الصقر السُّكري، قال: ثنا محمد بن المُصفَّى[١]، قال: ثنا الوليد بن مسلم، قال: ثنا الوليد بن سليمان بن أبي السائب، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أُمامة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «ستكون فتنٌ يُصبحُ الرجل فيها مؤمنًا، ويُمسي كافرًا، إلَّا من أحياه الله بالعلم»[٢].

٩٣ - حدثنا أبو بكر محمد بن هارون بن المُجَدَّر، قال: ثنا أحمد بن الحسن[٣] بن خراش، قال ثنا عَمرو بن عاصم، قال: ثنا مُعتمر[٤]، قال: سمعت أبي يُحدِّث، عن العلاءِ بن عبد الرحمٰن، عن أبيه، عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: «بادروا بالأعمال، ستكون فتنٌ كقِطَعِ الليلِ المظلم، يُصبحُ الرجلُ مؤمنًا، ويُمسي كافرًا، ويُمسي مؤمنًا ويُصبحُ كافرًا، يبيعُ الرجلُ

في ذلك يقول: ما كل ما يُعلم يُقال. وقصَّته معروفة، وكذلك اعتزل سفيان الثوري وخَلْقٌ من التابعين وتابعيهم، لما شاهدوه من الظلم والشرور والفتن خوفًا على إيمانهم أن يسلب منهم، وقد ذكر الخطابي في كتاب «العزلة» وكذلك ابن أبي الدنيا قبله من هذا جانبًا كبيرًا.

وقال البخاري: حدثنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا مالك، عن عبد الرحمٰن بن عبد الله بن أبي صعصعة، عن أبيه، عن أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك أن يكون خيرَ مالِ المسلم غنمٌ يتبع بها شَعَفَ الجبال، ومواقع القطر؛ يفر بدينه من الفتن».

ويجوز حينئذ سؤال الموت وطلبه من الله ﷻ عند ظهور الفتن والظلم وإن كان قد نهي عنه لغير ذلك، كما صح به الحديث.اهـ.

(١) كتب فوقها: (مصفى) خ.

(٢) رواه الدارمي في «المسند» (٣٥٠)، وابن ماجه (٣٩٥٤)، والهروي في «ذم الكلام» (١٤٨٢).

(٣) في الأصل: (الحسين)، والصواب ما أثبته كما في «تهذيب الكمال» (١/ ٢٩٣).

(٤) كتب في هامش الأصل: (معمر) خ، والصواب ما في الأصل.

دينه بعَرَضٍ[١] من الدنيا»[٢].

٩٤ ـ حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، قال: ثنا عبد الوهاب الورّاق، قال: أنا هاشم بن القاسم، عن الأشجعي، عن سفيان ـ يعني: الثوري ـ، عن أبي سِنان الشيباني، عن سعيد بن جبير، قال: قال لي راهب: يا سعيد، في الفتنة يتبيَّنُ لك من يعبد الله، ومن يعبد الطاغوت[٣].

---

(١) قال أبو عبيد رَحِمَهُ اللَّهُ: جميع متاع الدنيا عَرَضٌ، بفتح الرَّاء. يقال: إن الدنيا عَرضٌ حاضر، يَأكل منها البرُّ والفاجر. اهـ. «تهذيب اللغة» (١/ ٢٨٩).

(٢) رواه أحمد (٨٠٣٠)، ومسلم (١١٨).

(٣) قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «منهاج السنة» (٤/ ٣٤٣): والفتنة إذا وقعت عجز العقلاء فيها عن دفع السفهاء، فصار الأكابر عاجزين عن إطفاء الفتنة وكفّ أهلها.

وهذا شأن الفتن كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]. وإذا وقعت الفتنة لم يسلم من التلوث بها إلّا من عصمه الله. اهـ.

ـ وقال (٤/ ٤٠٩): وذلك أن الفتن إنما يُعرف ما فيها من الشر إذا أدبرت. فأما إذا أقبلت فإنها تُزيّن، ويُظن أن فيها خيرًا، فإذا ذاق الناس ما فيها من الشر والمرارة والبلاء، صار ذلك مبينًا لهم مضرتها، وواعظًا لهم أن يعودوا في مثلها. كما أنشد بعضهم:

الحرب أوّلَ ما تكون فُتيةً ... تسعى بزينتِها لكل جَهُول

حتى إذا اشتعلتْ وشب ضِرَامُها ... وَلَّتْ عجوزًا غيرَ ذاتِ حَلِيْلِ

شَمْطَاءَ يُنكَرُ لونُها وتغيّرتْ ... مكروهةً للشمِّ والتَّقبيلِ

والذين دخلوا في الفتنة من الطائفتين لم يعرفوا ما في القتال من الشر، ولا عرفوا مرارة الفتنة حتى وقعت، وصارت عبرة لهم ولغيرهم.

ومن استقرأ أحوال الفتن التي تجري بين المسلمين، تبيّن له أنه ما دخل فيها أحد فحمد عاقبة دخوله، لما يحصل له من الضرر في دينه، ودنياه.

ولهذا كانت من باب المنهي عنه، والإمساك عنها من المأمور به، الذي قال الله فيه: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور]. اهـ.

٩٥ ـ أخبرنا أبو محمد عبد الله بن صالح البخاري، قال: ثنا محمد بن سليمان لُوَين، قال: ثنا حماد بن زيد، عن المُعَلَّى بن زياد، عن معاوية بن قُرَّة، عن مَعْقِل بن يَسَار رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «العبادةُ في الهَرْجِ كالهجرة إليَّ»[1].

٩٦ ـ وحدثنا علي بن إسحاق بن زاطيا، قال: ثنا محمد بن سليمان لُوَين، قال: ثنا حماد بن زيد . . وذكر الحديث مثله إلى آخره.

---

(١) رواه مسلم (٢٩٤٨).

ـ وعند البخاري (٦٠٣٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال النبي ﷺ: «يتقارب الزمان، وينقص العمل، ويُلقى الشح، ويكثر الهرج».

قيل: يا رسول الله وما الهرج؟

قال: «القتل، القتل».

ـ وفي «تاج العروس» (٦/ ٢٧٥): وفي الحديث: «بين يدي السَّاعة هرجٌ»، أي: قِتالٌ، واختلاط. وقال أبو موسى: (الهرج) بلسان الحبشة: القتل. اهـ.

ـ وفي «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (٢/ ٤٢): (الهرج): القتال والاختلاط. وإذا عمت الفتن اشتغلت القلوب، وإذا تعبَّد حينئذ مُتعبِّد دلَّ على قوة اشتغال قلبه بالله عز وجل؛ فيكثر أجره. اهـ.

ـ قال ابن رجب رحمه الله في «لطائف المعارف» (ص١٣٢): خرجه الإمام أحمد ولفظه: «العبادة في الفتنة كالهجرة إليَّ»، وسبب ذلك: أن الناس في زمن الفتن يتبعون أهواءهم ولا يرجعون إلى دين، فيكون حالهم شبيهًا بحال الجاهلية، فإذا انفرد من بينهم من يتمسَّك بدينه، ويعبد ربه، ويتبع مراضيه، ويجتنب مساخطه كان بمنزلة من هاجر من بين أهل الجاهلية إلى رسول الله ﷺ مؤمنًا به متبعًا لأوامره مجتنبًا لنواهيه. اهـ.

١١ - بَاب

الحث على التمسُّكِ بكتابِ الله تعالى، وسُنة رسول الله ﷺ، وسُنة أصحابه ﭫ، وترك البدع، وترك النظر والجدال فيما يُخالف فيه الكتابُ والسُّنةُ وقولُ الصحابة ﭫ

٩٧ - أخبرنا الفِريابي، قال: ثنا حِبان بن موسى، قال: أنا عبد الله بن المبارك، عن سُفيان الثوري، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله ﭭ، قال: كان رسول الله ﷺ يقول في خُطبته: يحمدُ الله بما هو أهله، ثم يقول: «من يهد الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، أصدقُ الحديث كتابُ الله، وأحسنُ الهَدْيِ هَدْيُ محمدٍ ﷺ، وشرُّ الأُمورِ مُحدثاتُها، وكل مُحدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالة في النار»(١).

٩٨ - حدثنا أبو بكر محمد بن الليث الجَوهري، قال، ثنا أبو هشام الرِّفاعي، قال: ثنا أبو بكر بن عياش، قال: ثنا أبو حَصين، عن أبي صالح، عن أبي هريرة ﭬ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحسنَ الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهدي هَدْيُ محمدٍ، وشرَّ الأمور [١٠/أ] مُحدثاتُها، وكلَّ مُحدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة»(٢).

---

(١) رواه النسائي في «الكبرى» (١٧٩٩)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٧٨٥).
ورواه أحمد (١٤٣٣٤)، ومسلم (٨٦٧). دون قوله: «وكل ضلالة في النار».

(٢) رواه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١٨٢).

٩٩ ـ أخبرنا إبراهيم بن موسى الجوزي، قال: ثنا داود بن رُشيد، قال: ثنا الوليد بن مسلم، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن مَعدان، عن عبد الرحمٰن بن عَمرو السُّلمي، وحُجر الكَلَاعي، قالا: دخلنا على العِرباض بن سارية ﷺ، وهو الذي نزلت فيه: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ [التوبة: ٩٢] الآية، وهو مريضٌ، قال: فقلنا له: إنا جئناك زائِرين، وعائِدين، ومُقتبسين.

فقال عِرباض: إن رسول الله ﷺ صلى صلاة الغداة، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظةً بليغة، ذرفتْ منها العيونُ، ووَجِلَتْ منها القلوب، فقال قائِل: يا رسول الله: إن هذه لموعظةُ مُودِّعٍ، فما تعهد إلينا؟

قال: «أُوصيكم بتقوى الله، والسمعِ والطاعةِ، وإن كان عبدًا حبشيًا، فإنه مَن يَعِش[(١)] منكم بعدي سَيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسُنَّتي، وسُنَّة الخُلفاءِ الراشدين المهديين، عَضُوا عليها بالنواجذ[(٢)]، وإياكم ومُحدثاتِ الأُمور، فإن كلَّ مُحدثةٍ بدعةٌ، وكل بدعةٍ ضلالة»[(٣)].

وروى البخاري (٧٢٧٧) عن عبد الله ﷺ قال: إن أحسن الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور مُحدثاتها..

(١) كتب فوقها: (يعيش) خ.

(٢) في «النهاية» (٣/ ٢٥٢): «عضوا عليها بالنواجذ»: هذا مثل في شدَّة الاستمساك بأمر الدين؛ لأن العضَّ بالنواجذ عضٌّ بجميع الفم والأسنان، وهي أواخر الأسنان. اهـ.

(٣) رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وقال: حديث حسن صحيح.

وقد علَّق المُصنِّف على هذا الحديث في كتابه «الأربعين» (الحديث التاسع) بتعليقات حسنة، ومنها: أنه أمرهم بالسمعِ والطاعةِ لكلِّ من ولي عليهم من عبدٍ أسود وغير أسود، ولا تكون الطاعة إلَّا في المعروف؛ لأنه قد أعلمهم في غير موضعٍ، قال لهم: «إنَّما الطاعةُ في المَعروفِ».

ومنها: أنه أعلمهم أنه سيكون اختلافٌ كثيرٌ بين الناس، فأمرهم بلزوم =

سُنته، وسُنة أصحابه الخلفاء الراشدين المهديين، وحثَّهم على أن يتمسَّكوا بها التمسك الشديد، مثل ما يَعَضُّ الإنسان بأضراسه على الشيء يريدُ أن لا يفلتَ منه.

فواجبٌ على كلِّ مسلم أن يتبع سُنن رسول الله ﷺ، ولا يعملوا أشياءَ إلَّا بسُنته، وسُنة الخلفاء الراشدين بعده: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم أجمعين.

وكذا لا يخرج عن قول صحابته رحمة الله عليهم، فإنه يَرْشُد إن شاء الله.

ومنها: أنه حذَّرهم البدع، وأعلمهم أنها ضلالة، فكل من عمل عملًا، أو تكلَّم بكلام لا يوافق كتاب الله ﷻ، وسُنَّة رسوله ﷺ، وسُنَّة الخلفاء الرَّاشدين، وقول صحابته رضي الله عنهم فهو بدعةٌ، وهو ضلالةٌ، وهو مردودٌ على قائله أو فاعله. اهـ.

- قال ابن القيم رحمه الله في «إعلام الموقعين» (٤/٦٠٩): فقرن سُنة خلفائه بسُنَّته، وأمر باتباعها كما أمر باتباع سنته، وبالغ في الأمر بها حتى أمر بأن يُعض عليها بالنواجذ، وهذا يتناول ما أفتوا به وسنوه للأُمة وإن لم يتقدَّم من نبيهم فيه شيء، وإلَّا كان ذلك سُنتَه، ويتناول ما أفتى به جميعُهم أو أكثرُهم أو بعضُهم؛ لأنه علَّق ذلك بما سنَّه الخلفاء الراشدون، ومعلوم أنهم لم يسنوا ذلك وهم خلفاء في آنٍ واحد، فعُلِمَ أن ما سنَّه كل واحدٍ منهم في وقته فهو من سُنة الخلفاء الراشدين. اهـ.

- قال أبو داود رحمه الله في «مسائله» (١٧٩٢): سمعت أحمد غير مرَّة يُسأل: يقال لما كان مِن فِعل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي سُنة؟ قال: نعم.

وقال مرَّة لحديث رسول الله ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين»، فسماها سنة.

قيل لأحمد: فعمر بن عبد العزيز؟ قال: لا. أليس هو إمامٌ؟ قال: بلى.

قيل له: تقول لمثل قول أُبي، ومعاذ، وابن مسعود: سُنة؟

قال: ما أدفعه أن أقول، وما يُعجبني أن أخالف أحدًا منهم.

وقد شرح هذا الحديث ابن رجب رحمه الله في «جامع العلوم والحكم» شرحًا حسنًا نقلت بعضه تحت حديث رقم (١٩٠٠).

١٠٠ - حدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد الصندلي، قال: ثنا الفضل بن زياد، قال: ثنا أبو عبد الله أحمد بن حنبل، قال: ثنا الوليد بن مسلم، قال: ثنا ثور بن يزيد.. وذكر الحديث مثله إلى آخره[١].

١٠١ - حدثنا أبو بكر بن أبي داود، قال: ثنا أحمد بن صالح المصري، قال: ثنا أسد بن موسى، قال: ثنا معاوية بن صالح، قال: ثنا ضمرة بن حبيب، عن عبد الرحمن بن عَمرو السُّلمي، أنه سمع عِرباض بن سارية السُّلمي رضي الله عنه يقول: وعظنا رسول الله ﷺ موعظةً ذَرَفتْ منها العيون، ووَجِلَتْ منها القلوب، قلنا: يا رسول الله، إن هذه موعظة مودِّعٍ، فما تعهد إلينا؟

قال: «قد تركتُكم على البيضاءِ، ليلُها ونهارها، ولا يزيغُ عنها بعدي إلَّا هالك، ومن يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بما عرفتم من سُنتي، وسُنة الخلفاءِ الراشدين المهديين، وعليكم بالطاعة، وإن عبدًا حبشيًّا، عَضُّوا عليها بالنواجذ»[٢].

١٠٢ - حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، قال: ثنا زهير[٣] بن محمد المروزي، قال: أنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد، عن ثور بن يزيد.. وذكر الحديث نحوًا منه إلى آخره.

١٠٣ - وحدثنا ابن عبد الحميد أيضًا، قال: ثنا زُهير، قال: أنا عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن أبي إدريس الخولاني قال: أخبرني يزيد بن عَميرة، أنه سمع معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول في كل مجلس يجلسه: هلك المرتابون[٤]، إن من ورائِكم فتنًا يكثر فيها المال، ويُفتحُ فيها القرآن، حتى يأخذه الرجل

---

(١) رواه أحمد (١٧١٤٢ و١٧١٤٥).
(٢) رواه أحمد (١٧١٤٢)، وابن ماجه (٤٣).
(٣) كتب في الهامش الأصل: (إبراهيم) خ. - يعني: في نسخة -.
(٤) (الريبة): بالكسر: التهمة والشك. «الصحاح» (١/ ١٤١).

والمرأة، والحرُّ والعبد، والصغيرُ والكبير، فيوشك الرجل أن يقرأ القرآن في ذلك الزمان، فيقول: ما بال الناس لا يتبعوني وقد قرأت القرآن؟! فيقول: ما هم بمُتَّبعيَّ حتى أبتدعَ لهم غيرَه، فإياكم وما ابتُدِع؛ فإنَّ ما ابتُدع ضلالة.

١٠٤ ـ وأنبأناه إبراهيم بن موسى الجوزي، قال: ثنا أبو بكر بن زنجويه، قال: ثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن الزُّهري، قال: سمعت أبا إدريس الخولاني، يقول: أدركت أبا الدرداء ﷺ، ووَعَيْتُ عنه، وأدركت عُبادة بن الصامت ﷺ، ووعيت عنه، وأدركت شدَّاد بن أوس ﷺ، ووعيت عنه، وفاتني معاذ بن جبل ﷺ، فأخبرني يزيد بن عَميرة أنه كان يقول في كل مجلسٍ يجلسه: اللهُ حكمٌ عدلٌ قِسطٌ، تبارك اسمُه، هلك المرتابون، إنَّ مِنْ ورائكم فتنًا يكثُر فيها المال، ويُفتحُ القرآن؛ حتى يأخذَه الرجلُ والمرأة، والحرُّ والعبد، والصغير والكبير، فيوشك الرجل أن يقرأ القرآن في ذلك الزمان، فيقول: قد قرأتُ القرآن، فما للناس لا يتَّبعوني وقد قرأت القرآن؟! ثم يقول: ما هم بمُتَّبعيَّ حتى أبتدع لهم غيره، فإياكم وما ابتُدع، فإن ما ابتُدِع ضلالة، اتقوا زَيْغَةَ العالم، فإن الشيطانَ يُلقي على فِي الحكيم كلمة الضلالة، ويُلقي المنافق كلمة الحقِّ.

قال: قلنا: وما يُدرينا ـ رحمك الله ـ أن المنافق يُلقي كلمة الحقِّ، وأن الشيطان يُلقي على فِي الحكيم كلمة الضلالة؟

قال: اجتنبوا من كلمة الحكيم كلَّ مُتشابه، الذي إذا سمعته قلت: ما هذه؟! ولا يُنْئِيَنَّكَ[١] ذلك عنه، فإنه لعلَّه أن يُراجع، ويُلقِي الحقَّ إذا سمعه، فإن على الحقِّ نورًا[٢].

---

(١) وعند أبي داود: (يثنينك).

(٢) رواه عبد الرزاق (٢٠٧٥٠)، وأبو داود (٤٦١١)، وإسناده صحيح.

١٠٥ - أخبرنا الفريابي، قال: ثنا الحسن بن علي الحلواني بطَرَسُوس سنة ثلاث وثلاثين ومائتين، قال: سمعت مُطرِّف بن عبد الله، يقول: سمعت مالك بن أنس إذا ذُكِرَ عنده الزائغون في الدين يقول: قال عمر بن عبد العزيز [١١/أ] رَحِمَهُ اللهُ: سَنَّ رسولُ اللهِ ﷺ ووُلاةُ الأمرِ من بعده سُننًا، الأخذُ بها اتباعٌ لكتاب الله تعالى، واستكمالٌ[(١)] لطاعة الله تعالى، وقوّةٌ على دين الله، ليس لأحدٍ من الخلقِ تغييرُها، ولا تبديلُها، ولا النظرُ في شيءٍ خالفها، من اهتدى بها فهو مُهتدٍ، ومن استنصرَ بها فهو منصورٌ، ومَن تركها اتبعَ غير سبيلِ المؤمنين، وولَّاه اللهُ ما تولَّى، وأصلاه جهنَّم، وساءَت مصيرًا.

١٠٦ - حدثنا أبو محمد الحسن بن عَلُّوَيه[(٢)] القطان، قال: ثنا عاصم بن علي، قال: ثنا الليث بن سعد، عن يزيد بن أبي حبيب، عن بُكير بن عبد الله بن الأشج: أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: إن ناسًا يُجادلونكم بِشبيهِ[(٣)] القرآنِ، فخذوهم بالسُّننِ، فإن أصحابَ السُّننِ أعلمُ بكتابِ الله تعالى[(٤)].

---

(١) كتب في هامش الأصل: (اتباعًا.. واستكمالًا) خ.

(٢) كتب في هامش الأصل: (عَلَويه) خ.

(٣) ولفظ «الإبانة الكبرى» (٩١): (بشُبهاتِ القرآن).

وفي لفظ آخر (٢٤٠): (بمُتشابه القرآن)، وهو المراد كما سيأتي.

(٤) إسناده منقطع.

قال ابن أبي حاتم رَحِمَهُ اللهُ في «الجرح والتعديل» (٦/ ١١٨): عمر بن عبد الله بن الأشج روى عن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرسل.اهـ.

- وعند اللالكائي (١٩٣) عن موسى بن جعفر بن محمد، قال: قال علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: سيأتي قوم يُجادلونكم؛ فخذوهم بالسُّنن، فإن أصحاب السُّنن أعلم بكتاب الله. وإسناد منقطع.

- وروى ابن سعد في «الطبقات» (متم الصحابة) (٩١) من طريق عكرمة، عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أرسله إلى الخوارج، فقال: اذهب إليهم فخاصمهم، ولا تحاجّهم بالقرآن فإنه ذو وجوه؛ ولكن خاصمهم بالسُّنة.

=

١٢ ـ بَاب

التحذير من طوائِف يُعارضون سُنن النبي ﷺ بكتاب الله تعالى وشِدَّة الإنكار على هذه الطبقة(١)

ـ وفيه أيضًا (٩٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما: يا أمير المؤمنين، فأنا أعلم بكتاب الله منهم، في بيوتنا نزل.

فقال علي رضي الله عنه: صدقت، ولكن القرآن حمَّالٌ ذو وجوه، تقول ويقولون، ولكن حاجَّهم بالسُّنن، فإنهم لن يجدوا عنها محيصًا. فخرج ابن عباس إليهم وعليه حُلَّة حَبِرة، فحاجهم بالسُّنن فلم تبق بأيديهم حُجَّة.

ـ وفي «ذم الكلام» (١٨٧) عن حميد الأعرج، قال: سمع أنس بن مالك رضي الله عنه ابنه عبد الله يُخاصم الأشتر، فقال: لا تُخاصم بالقرآن، وخاصم بالسُّنة.

ـ وفي «الإبانة الكُبرى» (٨٦٠) قال ابن أبي الزناد: سمعت هشامًا يُحدِّث عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، قال: لقيني ناسٌ من أهل العراق فخاصموني في القرآن، فوالله ما استطعت بعض الردِّ عليهم، وهِبت المراجعة في القرآن، فشكوت ذلك إلى أبيَ الزبيرِ.

فقال الزبيرُ رضي الله عنه: إن القرآن قد قرأه كل قوم فتأوَّلوه على أهوائهم، وأخطئوا مواضعه، فإن رجعوا إليك فخاصمهم بسُنَنِ أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فإنهم لا يجحدون أنهما أعلم بالقرآن منهم، فرجعوا، فخاصمتهم بسُنن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فوالله ما قاموا معي ولا قعدوا.

قلت: عقد المصنف رحمه الله بابًا في هذه المسألة فقال: (١٥/ تحذير النبي ﷺ أُمَّته الذين يجادلون بمُتشابه القرآن، وعقوبة الإمام لمن يُجادل فيه).

(١) عقد ابن بطة رحمه الله في «الإبانة الكبرى» بابًا نحوه، فقال: (٣/ باب ذكر =

❁ قال محمد بن الحسين:

١٠٧ - ينبغي لأهل العلم والعقل إذا سمعوا قائلًا يقول: قال رسول الله ﷺ في شيءٍ قد ثبت عند العلماءِ، فعارض إنسانٌ جاهلٌ، فقال: لا أقبل إلَّا ما كان في كتاب الله تعالى.

قيل له: أنت رجلُ سوءٍ، وأنت ممن حذّرناك النبيُّ ﷺ، وحذَّر منك العلماءُ.

وقيل له: يا جاهل، إن الله أنزل فرائضَه جُملةً، وأمر نبيَّه ﷺ أن يُبيِّن للناس ما أُنزل إليهم، قال الله ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل].

فأقام الله تعالى نبيَّه ﷺ مقامَ البيانِ عنه، وأمر الخلقَ بطاعته، ونهاهم عن معصيته، وأمرهم بالانتهاءِ عما نهاهم عنه، فقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧][(١)].

ما جاءت به السُّنة من طاعة رسول الله ﷺ، والتحذير من طوائف يُعارضون سنن رسول الله ﷺ بالقرآن)، وقد شرحه شرحًا حسنًا، وأطال وأجاد فيه. فمما قاله رَحِمَهُ اللهُ (١/ ٦٨):

(وليعلم المؤمنون من أهل العقل والعلم أن قومًا يريدون إبطال الشريعة، ودُروسَ آثار العلم والسُّنة، فهم يُموِّهون على من قلَّ علمه، وضَعُفَ قلبُه بأنهم يدعون إلى كتاب الله، ويُسلِّمون له، ويستشهدون به، وهم من كتاب الله يهربون، وعنه يُدبرون، وله يُخالفون، وذلك أنهم إذا سمعوا سُنة رويت عن رسول الله ﷺ رواها الأكابر عن الأكابر، ونقلها أهل العدالةِ والأمانة، ومن كان موضع القدوة والأمانة، وأجمع أئمة المسلمين على صحتها، وحكم فقهاؤهم بها، عارضوا تلك السُّنة بالخلاف عليها، وتلقَّوها بالرَّدِّ لها، وقالوا لمن رواها عندهم: هل تجد هذا في كتاب الله؟ وهل نزل هذا في القرآن؟ وائتوني بآية من كتاب الله حتى أصدق بهذا.. إلخ، ثم أطال في الرد عليهم.

(١) في «السنة» للمروزي (٩٠) قال إسماعيل بن عبيد الله: ينبغي لنا أن نحفظ =

ثم حذَّرهم أن يُخالفوا أمرَ رسول الله ﷺ، فقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور].

• وقال ﷻ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء].

ثم فرض على الخلق طاعتَه في نَيِّفٍ وثلاثين موضعًا من كتابه تعالى(١).

وقيل لهذا المعارض لسُنن رسول الله ﷺ: يا جاهل، قال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، أين تجد في كتاب الله تعالى أن الفجر ركعتان، وأن الظهرَ أربعٌ، والعصرَ أربعٌ، والمغربَ ثلاثٌ، وأن العشاءَ الآخِرَةَ أربعٌ؟

أين تجدُ أحكامَ الصلاةِ ومواقيتَها، وما يصلحُها، وما يبطلُها إلَّا من سُنن النبي ﷺ؟

ومثله الزكاةُ، أين تجد في كتاب الله تعالى من مائتي درهمٍ خمسةُ

ما جاءنا عن رسول الله ﷺ فإن الله يقول: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، فهو عندنا بمنزلة القرآن.

(١) في «الإبانة الكبرى» (١٠٤) قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: نظرت في المُصحفِ فوجدت فيه طاعة رسول الله ﷺ في ثلاثة وثلاثين موضعًا، ثم جعل يتلو: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور]، وجعل يكررُها، ويقول: وما الفتنة؟ الشِّرك، لعله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيزيغ قلبه فيهلكه. وجعل يتلو هذه الآية: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥].

وقال: من ردَّ حديث النبي ﷺ فهو على شفا هَلَكَة.

دراهمَ، ومن عشرين دينارًا نصفُ دينارٍ، ومن أربعين شاةً شاةٌ، ومن خمسٍ من الإبل شاةٌ، ومن جميع أحكام الزكاة، أين تجد هذا في كتاب الله تعالى؟

وكذلك جميعُ فرائض الله، التي فرضها في كتابه، لا يُعلم الحُكمُ فيها إلَّا بسُنن رسول الله ﷺ(١).

هذا قول علماءِ المسلمين، من قال غير هذا خرج عن ملَّةِ الإسلام، ودخل في ملَّةِ المُلحدين، نعوذ بالله من الضلالة بعد الهدى.

وقد رُوي عن النبي ﷺ، وعن صحابته ﷺ مثل ما بيَّنتُ لك، فاعلم ذلك.

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله في «الطرق الحُكمية» (١/١٨٦): والذي يجب على كل مسلم اعتقاده: أنه ليس في سنن رسول الله ﷺ الصحيحة سنة واحدة تخالف كتاب الله، بل السنن مع كتاب الله على ثلاث منازل:

المنزلة الأولى: سُنة موافقة شاهدة بنفس ما شهد به الكتاب المُنزَّل.

المنزلة الثانية: سُنة تُفسِّر الكتابَ، وتُبين مرادَ الله منه، وتقيد مطلقه.

المنزلة الثالثة: سُنة متضمنة لحكم سكت عنه الكتاب، فتبينه بيانًا مبتدأ.

ولا يجوز رد واحدة من هذه الأقسام الثلاثة، وليس للسنة مع كتاب الله منزلة رابعة.

وقد أنكر الإمام أحمد على من قال: (السنة تقضي على الكتاب)، فقال: بل السنة تفسر الكتاب وتبينه.

والذي نُشهد الله ورسوله به: أنه لم تأت سنة صحيحة واحدة عن رسول الله ﷺ تناقض كتاب الله وتخالفه ألبتة، كيف ورسول الله ﷺ هو المبين لكتاب الله، وعليه أنزل، وبه هداه الله، وهو مأمور باتباعه، وهو أعلم الخلق بتأويله ومراده، ولو ساغ رد سنن رسول الله ﷺ لما فهمه الرجل من ظاهر الكتاب لرُدَّتْ بذلك أكثرُ السنن، وبطلت بالكلية، فما من أحدٍ يحتج عليه بسنة صحيحة تخالف مذاهبه ونِحْلَتَه إلَّا ويمكنه أن يتشبث بعموم آية أو إطلاقها، ويقول: هذه السنةُ مخالِفةٌ لهذا العموم والإطلاق فلا تُقْبَل. اهـ.

١٠٨ ـ حدثنا أحمد بن يحيى الحلواني، قال: ثنا يحيى بن عبد الحميد الحِماني، قال: ثنا سفيان بن عيينة، عن سالم أبي [(١)] النضر، عن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا أُلْفِيَنَّ أحدَكم مُتَّكِئًا على أريكَتِه[(٢)]، يبلغه الأمر عني، فيقول: لم أجد هذا في كتاب الله تعالى»[(٣)].

١٠٩ ـ وحدثنا أبو العباس أحمد بن سهل الأشناني، قال: ثنا الحسين بن علي بن الأسود العِجْلي، قال: ثنا يحيى بن آدم، قال: ثنا سفيان بن عيينة، عن محمد بن المُنكدر،

---

(١) في الأصل: (ابن أبي)، وضرب على: (ابن) ووضع فوقها: خ.

(٢) في «النهاية» (٤/ ٣٦٢): ألفيتُ الشيء أُلْفِيه إلفاءً، إذا وجدتَه وصادَفته ولَقِيتَه.

ـ وقال (١/ ١٩٣): المتكئ في العربية: كل من استوى قاعدًا على وطاء مُتمكِّنًا، والعامة لا تعرف المُتكئ إلَّا من مال في قعوده مُعتمدًا على أحد شقيه. اهـ.

ـ وقال (١/ ٤٠): (الأريكة): السرير في الحَجَلَة من دونه ستر، ولا يُسمى منفردًا أريكة. وقيل: هو كل ما اتكئ عليه من سرير، أو فراشٍ، أو مَنَصَّة. اهـ.

(٣) كتب في هامش الأصل: (ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه) خ.

رواه أحمد (٢٣٨٧٦)، ومن طريقه أبو داود (٤٦٠٥)، ولفظهما: «لا أُلفين أحدكم مُتكئًا على أريكته، يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به، ونهيت عنه، فيقول: لا ندري، وما وجدنا في كتاب الله اتبعناه». وهو حديث صحيح.

ورواه الترمذي (٢٦٦٣) موقوفًا، وقال: وبعضهم رفعه. وقال: هذا حديث حسن. وروى بعضهم هذا الحديث عن سفيان، عن ابن المنكدر، عن النبي ﷺ مرسلًا. اهـ.

ـ قال البغوي رحمه الله في «شرح السُّنة» (١/ ٢٠١): (والأريكة): السَّرير.. وأراد بهذه الصِّفة: أصحاب الترفُّه والدَّعَة الذين لزموا البيوت، وقعدوا عن طلب العلم.

وفي الحديث: دليلٌ على أنه لا حاجة بالحديث إلى أن يُعرض على الكتاب، وأنه مهما ثبت عن رسول الله ﷺ كان حُجَّة بنفسه، وقد قال النبي ﷺ: «ألا إني أُوتيتُ الكتابَ ومثلَه معه». اهـ.

عن[١] سالم أبي النضر، عن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لأعرفنَّ[٢] أحدكم مُتَّكئًا على أريكتِه، يأتيه الأمرُ من أمري، مما أَمرتُ به، أو نَهيتُ عنه، فيقول: لا ندري، ما وَجَدْنا[٣] في كتاب الله تعالى اتبعناه»[٤].

١١٠ ـ حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، قال: ثنا زُهير بن محمد المروزي، قال: أنا عاصم بن علي، قال: ثنا أبو مَعْشَر، قال: ثنا سعيد، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لأعرفن أحدًا منكم أتاه عني حديثٌ، وهو مُتَّكِئٌ على أريكته فيقول: اتلُ به قرآنًا»[٥].

---

(١) كذا في الأصل، و(ب).
وعند الترمذي: (عن ابن عيينة، عن محمد بن المنكدر، وسالم أبي النضر).

(٢) في بعض ألفاظ «المسند» (٨٨٠١): (لا أعرفن)، وهو كذلك عند ابن ماجه (٢١).
وفي حاشية «المسند» (١٠٢٦٩) ذكروا الفروق بين النسخ في هذا الموطن، وبكل قد جاء الحديث. قال السندي: (هكذا في نسخ «المسند» على صيغة المضارع للمتكلم، من المعرفة، بلام التأكيد والنون الثقيلة، فالمعنى: إني لأعرف بعضكم على هذه الصفة.
وقال في رواية «لا أعرفن»: على صيغة النهي المؤكد بالنون للمتكلم، أي: لا أجدن ولا أعلمن، وهو من قبيل ما جاء في هذا المعنى «لا ألفين»، وظاهره نَهْيُ النبيِّ ﷺ نفسه عن أن يجد أحدًا على هذه الحالة، والمراد نهيه عن أن يكون على هذه الحالة، فإنه إذا كان عليها يجده ﷺ عليها). اهـ.

(٣) في الأصل: (وجدناه) خ.

(٤) انظر ما قبله.

(٥) رواه أحمد (٨٨٠١ و١٠٢٦٩ و٢٣٨٦١).
وفي إسناده: أبو معشر، نجيج وهو ضعيف.
ورواه ابن ماجه (٢١) من طريق المَقبري عن جده، وزاد فيه: «..ما قيل من قول حسن فأنا قلته»، وإسناده ضعيف جدًا.

١١١ - أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عفير الأنصاري، قال: ثنا نصر بن علي الجهضمي، قال: ثنا أبي، قال: ثنا حَرِيزُ بن عثمان، عن عبد الرحمن بن أبي عوف [١١/ب]، عن المِقدام بن مَعدي كَرِبَ الكندي ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «ألا إني أُوتيتُ الكتابَ ومثلَه، ألا إني أُوتيتُ القرآنَ ومثلَه، ألا إني أُوتيت القرآن ومثله، ألا إنه يُوشِكُ رجلٌ شبعانُ على أريكتِه، يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلالٍ فأحلُّوه، وما وجدتم فيه من حرامٍ فحرِّموه..»، وذكر الحديث[١].

١١٢ - أخبرنا أحمد بن سهل الأُشناني، قال: ثنا الحسين بن علي بن الأسود، قال: ثنا يحيى بن آدم، قال: ثنا ابن المبارك، عن معمر، عن علي بن زيد بن جُدعان، عن أبي نضرة، عن عمران بن حُصين ﷺ أنه قال لرجلٍ: إنك امرؤٌ أحمقُ! تجد في كتاب الله تعالى الظهر أربعًا تُسِرُّ فيها[٢] بالقراءة؟ ثم عدَّد عليه الصلاةَ والزكاةَ ونحوَهما، ثم قال: أتجد هذا في كتاب الله تعالى مُفسَّرًا؟ إن كتابَ اللهِ أحْكَمَ ذلك، وإن السُّنةَ تُفسِّر ذلك[٣].

قال البخاري رحمه الله «التاريخ الكبير» (٥/ ١٠٥): عبد الله بن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن جدِّه. قال يحيى القطان: استبان لي كذبه في مجلس. اهـ.

(١) رواه أحمد (١٧١٧٤ و١٧١٩٤)، وأبو داود (٤٦٠٤)، وهو حديث صحيح.

(٢) في هامش الأصل: (لا تجهر فيها) خ.

(٣) في «الإبانة الكبرى» (٩٥) عن مكحول قال: القرآن أحوج إلى السُّنة من السُّنةِ إلى القرآن.

- ونحوه قال البربهاري رحمه الله في «شرح السُّنة» (٧٥).

- وفي «الإبانة الكبرى» (٩٦) قال يحيى بن أبي كثير: السُّنة قاضية على القرآن، وليس القرآن بقاضٍ على السُّنة.

قال الأوزاعي: وذلك أن السُّنة قاضية على الكتاب، ولم يجئ القرآن قاضيًا على السُّنة.

- وفيه (٢٢١) عن الفضل بن زياد، قال: سمعت أحمد بن حنبل وسُئل عن =

١١٣ ـ حدثنا أحمد بن سهل، قال: ثنا الحسين بن علي، قال: ثنا يحيى بن آدم، قال: ثنا ثوبان، عن حماد بن سلمة، عن يعلى بن حكيم، عن سعيد بن جبير، أنه حدَّث عن النبي ﷺ حديثًا، فقال رجلٌ: إن الله تعالى قال في كتابه: كذا وكذا.

فقال: ألَا أُراكَ تُعارض حديث رسول الله ﷺ بكتاب الله تعالى؟! رسول الله ﷺ أعلم بكتاب الله تعالى[1].

الحديث الذي روي: (أن السُّنة قاضية على القرآن)؟

فقال: ما أجسُرُ على هذا؛ ولكن السُّنة تُفسّر القرآن وتُبينه.

- وفي «الحُجة في بيان المحجة» (٢/ ٣٢١) قال الدارمي في قول يحيى بن أبي كثير: (السُّنة قاضية على القرآن..)، يعني: أن السُّنة تُفسِّر القرآن، والقرآن أصول مُحكمة مُجملة لا تفسر السنة، والسنة تفسرها، وتبين حدودها، ومعانيها، وكيف يأتي الناس بها.

* وانظر: «ذم الكلام» (باب إقامة الدليل على بطلان قول من زعم أن القرآن يُستغنى به عن السُّنة).

(١) وفي «ذم الكلام» (٢٤٦) قال سعيد بن جبير: قلَّ ما بلغني عن رسول الله ﷺ حديث إلَّا وجدت مصداقه من كتاب الله ﷻ.

- وفي «ذم الكلام» (٢٥٤)، و«جامع بيان العلم» (٢٣٤٩) عن أيوب السختياني: أن رجلًا قال لمُطرِّف بن عبد الله بن الشخير: لا تُحدِّثونا إلَّا بالقرآن.

فقال له مُطرِّف: والله ما نريد بالقرآن بدلًا؛ ولكن نريد من هو أعلم بالقرآن منا. يريد بذلك: رسول الله ﷺ.

- وفي «الطبقات الكبرى» (٧/ ١٨٤) عن أيوب، عن أبي قِلابة قال: إذا حدَّثتَ الرجلَ بالسُّنة فقال: (دعنا من هذا، وهاتِ كتابَ الله)؛ فاعلم أنه ضَالٌّ.

- قال البربهاري رحمه الله في «شرح السُّنة» (١٣٥): إذا سمعت الرجل تأتيه بالأثر فلا يريده، ويريد القرآن، فلا تشُكَّ أنه رجلٌ قد احتوى على الزندقةِ، فَقُم من عنده ودَعْه. اهـ.

١١٤ ـ حدثنا أحمد بن سهل، قال: ثنا الحسين بن علي، قال: ثنا يحيى بن آدم، قال: ثنا قُطْبَة بن عبد العزيز، وأبو بكر بن عياش، عن عبد الرحمٰن بن يزيد، أنه رأى مُحرمًا عليه ثيابُه، فنهى المُحرم، فقال: ائتني بآيةٍ من كتاب الله تعالى بنزع ثيابي. فقرأ عليه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧][(١)].

١١٥ ـ حدثنا أبو محمد الحسن بن عَلُّويه القطان، قال: ثنا عاصم بن علي، قال: ثنا الليث بن سعد، عن يزيد بن أبي حبيب، عن بكير بن عبد الله بن الأشج: أن عمر بن الخطاب ﷺ قال: إن ناسًا يُجادلونكم بشبيه القرآن، خذوهم بالسُّنن، فإن أصحاب السُّنن أعلمُ بكتاب الله تعالى.

١١٦ ـ وحدثنا أبو بكر بن أبي داود، قال: ثنا عيسى بن حماد ـ زُغْبَة ـ، قال: ثنا الليث بن سعد، عن يزيد بن أبي حبيب، عن بُكير بن الأشج: أن عمر بن الخطاب ﷺ قال: سيأتي ناسٌ يُجادلونكم بشُبهات القرآن، فخُذوهم بالسُّنن، فإن أصحاب السُّنن أعلمُ بكتاب الله تعالى.

١١٧ ـ وأخبرنا يوسف بن يعقوب القاضي، قال: ثنا أبو الربيع ـ يعني: الزهراني ـ قال: حدثنا جرير ـ يعني: ابن عبد الحميد ـ، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة، قال:

---

(١) وفي «ذم الكلام» (٢٤٦) عن إبراهيم، عن عبد الرحمٰن بن يزيد قال: لقي عبد الله ﷺ رجلًا مُحرمًا عليه ثيابه، فقال: انزع عنك هذا.. فذكر نحوه.
ـ وفيه (٢٥٩) عن عبيد الله بن محمد بن هارون قال: سمعت الشافعي بمكة يقول: سلوني عما شئتم أحدثكم من كتاب الله وسنة نبيه.
فقال له رجل: يا أبا عبد الله، ما تقول في مُحرِم قتل زُنْبورًا؟
فقال الشافعي: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧]؛ حدثنا ابن عُيينة، عن عبد الملك بن عمير، عن ربعي، عن حذيفة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر».
وحدثنا سفيان، عن مسعر، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب، عن عمر ﷺ أنه أمر بقتل الزنبور. اهـ.

قال عبد الله رضي الله عنه: لعن الله الواشمات والمُستوشمات[(١)]، والمُتفلِّجات للحُسن، المُغيِّرات لخلق الله تعالى.

فبلغ ذلك امرأةً من بني أسد يقال لها: أُم يعقوب، كانت تقرأ القرآن، فأتَتْه، فقالت له: ما حديثٌ بلغني عنك أنك لعنتَ الواشمات والمُتوشِّمات، والمُتفلِّجات للحُسن، المُغيِّرات لخلق الله تعالى؟

فقال عبد الله: وما لي لا ألعنُ مَنْ لعنَ رسولُ الله ﷺ، وهو في كتاب الله تعالى.

فقالت: لقد قرأت ما بين لَوْحَيِ المُصحف فما وجدتُ هذا!

قال: فقال عبد الله: لئِن كنت قرأتيه لقد وجدتيه، ثم قال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧][(٢)].

١١٨ ـ وأخبرنا يوسف بن يعقوب، قال: ثنا محمد بن أبي بكر المُقَدَّمي، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله رضي الله عنه، قال: لعن رسول الله ﷺ الواشمات... فذكر نحو الحديثِ قبلَه.

١١٩ ـ حدثنا أحمد بن سهل الأُشناني، قال: ثنا الحسين بن علي، قال: ثنا يحيى بن آدم، قال: ثنا المُفضَّل بن المُهَلْهَل، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله رضي الله عنه، أن امرأة من بني أسد.. وذكر الحديث نحوه.

١٢٠ ـ وحدثنا أحمد بن سهل ـ أيضًا ـ، قال: ثنا الحسين بن علي، قال: ثنا

---

(١) في الأصل: (المتوشمات)، وكتب فوقها: خ.
وفي الهامش: (المستوشمات) صح.

(٢) رواه البخاري (٤٨٨٦ و٥٩٣١ و٥٩٣٩)، ومسلم (٢١٢٥)، ولفظهما: «لعن الله الواشمات والمُوتشمات، والمُتنمصات والمُتفلجات للحسن، المُغيِّرات خلق الله..».

يحيى بن آدم، قال: ثنا ابن المبارك، عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء في قول الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، قال: (إلى الله): إلى كتاب الله، و(إلى الرسول): إلى سُنة رسول الله ﷺ[١].

١٢١ ـ حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، قال: ثنا زهير بن محمد المروزي، قال: أنا الحوطي عبد الوهاب بن نجدة، قال: ثنا بقية بن الوليد، قال: ثنا سوادة بن زياد، وعمرو بن مهاجر، عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى الناس: إنه لا رأيَ لأحدٍ مع سُنةٍ سنَّها رسولُ الله ﷺ[٢].

١٢٢ ـ وأخبرنا أحمد بن عبد الجبار الصوفي، قال: ثنا هاشم[٣] بن القاسم الحراني، قال: ثنا عيسى ـ يعني: ابن يونس ـ، عن الأوزاعي، عن مكحول [١٢/أ] قال: السُّنةُ

(١) عطاء هو ابن أبي رباح رَحِمَهُ اللهُ كما في «الإبانة الكبرى» (٩٣).
وروى الطبري (٥/١٥١)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٦٢)، واللالكائي (٧٦) نحوه عن ميمون بن مهران رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: أجمع الناس على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها. وقال: لا قول لأحدٍ مع سنة رسول الله ﷺ.
«إعلام الموقعين» (٣/١٩٩).
ـ وفي «أنساب الأشراف» للبلاذري (٨/ ١٦٠) كتب عمر بن عبد العزيز: مُروا أهل الصلاح يتذاكروا السُّنن في مجالسهم ومساجدهم وأسواقهم.
ـ وعند اللالكائي (١٦) عن أبي المليح، قال: كتب عمر بن عبد العزيز بإحياء السُّنة، وإماتة البدعة.
ـ وفي «السنة» للمروزي (٨٤) قال الأوزاعي: قال عمر بن عبد العزيز لا عُذر لأحدٍ بعد السُّنة في ضلالة ركبها يحسب أنها هدى.
ـ وفيه (٨٥) عن عبد الله بن دينار، قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى أهل المدينة أن انظروا إلى ما كان من أحاديث رسول الله ﷺ فاكتبوه؛ فإني قد خفت دُرُوس العلم، وذهاب العلماء.

(٣) في الأصل: (هشام)، وفي هامشه: (هاشم) خ. وهو الصواب.

سُنتان: سُنةٌ الأخذُ بها فريضةٌ، وتركُها كفرٌ، وسُنةٌ الأخذُ بها فضيلةٌ، وتركُها إلى غير حَرَجٍ(١).

---

(١) رواه الدارمي في «المسند» (٦٠٩)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١٠٣).

- وفي «الحلية» (٧/ ٣٥) عن مبارك أبي حماد، قال: سمعت سفيان الثوري يقرأ على علي بن الحسن: واعلم أن السُّنة سنتان: سُنة أخذها هدى، وتركها ضلالة، وسنة أخذها هدى، وتركها ليس بضلالة.

- قال ابن بطة رَحِمَهُ اللهُ مُعلِّقًا على أثر مكحول رَحِمَهُ اللهُ الذي ساقه المصنف:

(وأنا أشرح لكم طرفًا من معنى كلام مكحول، يحضكم ويدعوكم إلى طلب السُّنن التي طلبها والعمل بها فرض، والترك لها والتهاون بها كفر. فاعلموا - رحمكم الله - أن السُّنن التي لَزِم الخاصةَ والعامةَ عِلمُها والبحث والمسألة عنها والعمل بها هي: السُّنن التي وردت تفسيرًا لجملة فرض القرآن مما لا يعرف وجه العمل به إلَّا بلفظ ذي بيان وترجمة. .- ثم ذكر آيات الصَّلاة، والحج، والصِّيام، والجهاد، والبيع - ثم قال: فليس أحد يجد السبيل إلى العمل بما اشتملت عليه هذه الجمل من فرائض الله ﷻ دون تفسير رسول الله ﷺ بالتوقيف والتحديد والترتيب، ففرض على الأمة علم السُّنن التي جاءت عن رسول الله ﷺ في تفسير هذه الجمل من فرائض الكتاب فإنها أحد الأصلين اللذين أكمل الله بهما الدِّين للمسلمين، وجمع لهم بهما ما يأتون وما يتقون، فلذلك صار الأخذ بها فرضًا، وتركها كفرًا).اهـ.

- قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في «تحفة المودود» (ص٢٩٧): والسُّنة: هي الطريقة. يقال: سننت له كذا؛ أي: شرعت... هي الطريقة المُتبعة، وجوبًا واستحبابًا لقوله ﷺ: «مَن رَغِبَ عن سنتي فليسَ مِنِّي»، وقوله: «عليكم بسُنتي وسُنة الخلفاء الرَّاشدين من بعدي».

وقال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: من خالف السُّنة كفر.

وتخصيص السُّنة (بما يجوز تركُه)؛ اصطلاح حادث، وإلَّا (فالسُّنة): ما سنه رسول الله ﷺ لأُمَّته مِن واجبٍ، ومُستحب، فالسُّنة هي الطريقة، وهي الشريعة والمنهاج والسبيل.اهـ.

- وقال المروزي رَحِمَهُ اللهُ في «السنة» (ص٢٦٢): فالسنة تتصرف على أوجه: سنة اجتمع العلماء على أنها واجبة، وسنة اجتمعوا على أنها نافلة، وسنة اختلفوا فيها أواجبة هي أم نافلة؟.اهـ.

قال محمد بن الحسين:

١٢٣ ـ فيما ذكرتُ في هذا الجُزءِ من التمسُّكِ بشريعة الحقِّ، والاستقامةِ على ما نَدَبَ اللهُ تعالى إليه أُمةَ محمدٍ ﷺ، وندبهم إليه الرسولُ ﷺ؛ ما إذا تدبَّره العاقلُ علم أنه قد لزمه التمسُّكُ بكتاب الله تعالى، وسُنة رسوله ﷺ، وبسُنة الخلفاءِ الراشدين، وجميع الصحابة ﷺ، وجميع من تبعهم بإحسان، وأئمة المسلمين، وترك الجدال والمراءِ والخصومة[1] في الدين، ولزم مُجانبة أهل البدع، والاتباع وترك الابتداع، **فقد كفانا عِلمُ من مضى من أئِمة المسلمين الذين لا يُستَوْحَشُ من ذكرهم من مذاهب أهل البدع والضَّلالات**، والله الموفق لكلِّ رشاد، والمُعين عليه[2].

تم الجزء الأول من كتاب «الشريعة» بحمد الله ومَنِّه
وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم
يتلوه الجزء الثاني من الكتاب إن شاء الله

---

(١) في هامش الأصل: (والخصومات) خ.

(٢) تقدمت الإشارة أن ابن بطة رحمه الله عقدًا بابًا نحوه في «الإبانة الكبرى» (١/ ٩٤)، وقد ختمه بقوله: (فالذي ذكرته رحمكم الله في هذا الباب من طاعة رسول الله ﷺ، وحَضَضت عليه من اتباع سُنته، واقتفاء أثره موافقٌ كله لكتاب الله ﷻ، وسنةِ رسول الله ﷺ، وهو طريق الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، والصحابة والتابعين، وعليه كان السلف الصالح من فقهاء المسلمين، وهي سبيل المؤمنين التي من اتبع غيرها ولَّاه الله ما تولَّى، وأصلاه جهنم، وساءت مصيرًا.

فإذا سمع أحدكم حديثًا عن رسول الله ﷺ رواه العلماء، واحتجَّ به الأئمة العُقلاء، فلا يُعارضه برأيه، وهوى نفسه؛ فيصيبه ما تَوَعَّدَه الله ﷻ به، فإنه قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور]، وهل تدري ما الفتنة هاهنا؟ هي ـ والله ـ الشرك بالله العظيم، والكفر بعد الإيمان.. إلخ.

الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

قال محمد بن الحسين: الحمد لله على كل حال.

١٣ ـ باب

ذم الجِدال والخُصومات في الدين(١)

(١) عقد ابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ في «الإبانة الكبرى» بابًا نحوه، فقال: (١٠/باب ذم المراء والخُصومات في الدين، والتحذير من أهل الجدال والكلام).

وعقد أبو إسماعيل الهروي رَحِمَهُ اللَّهُ في «ذم الكلام» أبوابًا متتالية في هذه المسألة، فقال: (١/باب البيان أن الأمم السالفة إنما استقاموا على الطريقة ما اعتصموا بالتسليم والاتباع، وأنهم لما تكلفوا وخاصموا؛ ضلوا وهلكوا). و(٤/باب ذم الجدال والتغليظ فيه، وذكر شؤمه).

و(٥/باب فضل ترك المراء وإن كان المماري مُحِقًّا).

ـ قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ في عقيدته التي رواها عبدوس: أصول السُّنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، والاقتداء بهم وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة، وترك الخصومات، والجلوس مع أصحاب الأهواء، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين.

«الجامع في عقائد ورسائل أهل السنة والأثر» (ص٣٤٨).

ـ قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ كما في «مجموع رسائله» (٣/١٩): ومما أنكره أئمة =

١٢٤ ـ حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، قال: ثنا زهير بن محمد المروزي، قال: ثنا يعلى بن عُبيد، قال: ثنا الحجاج بن دينار، عن أبي غالب، عن أبي أُمامة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ضلَّ قومٌ بعد هدًى كانوا عليه إلَّا أُوتوا الجَدَلَ»، ثم قرأ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ

السلف: الجدال، والخصام، والمراء في مسائل الحلال والحرام أيضًا، ولم يكن ذلك طريقة أئمة الإسلام، وإنما أُحدث ذلك بعدهم كما أحدثه فقهاء العراقيين في مسائل الخلاف بين الشافعية والحنفية، وصنفوا كتب الخلاف، ووسعوا البحث والجدال فيها، وكل ذلك مُحدث لا أصل له، وصار ذلك علمهم، حتى شغلهم عن العلم النافع.

وقد أنكر ذلك السلف، وورد الحديث المرفوع في «السُّنن»: «ما ضل قومٌ بعد هُدًى، إلَّا أوتوا الجدلَ. ثم قرأ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝٥٨﴾ [الزخرف]».

وقال بعض السلف: إذا أراد الله بعبد خيرًا فتح له بابَ العمل، وأغلق عنه باب الجدل، وإذا أراد الله بعبد شرًّا أغلق عنه باب العمل، وفتح له باب الجدل.

وقال مالك: أدركت هذه البلدة وإنهم ليكرهون هذا الإكثار الذي فيه الناس اليوم. يريد: المسائل.

وكان يعيب كثرة الكلام والفتيا، ويقول: يتكلم أحدهم كأنه جمل مُغْتِلم، يقول: هو كذا، هو كذا، يَهْدِرُ في كلامه.

وكان يكره الجواب في كثرة المسائل، ويقول: قال الله ﷻ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]، فلم يأته في ذلك جواب.

وقيل له: الرجل يكون عالمًا بالسُّنن يُجادل عنها؟

قال: لا، ولكن يُخبر بالسُّنة، فإن قُبِلَ منه وإلَّا سكت.

وقال: المراء والجدال في العلم يَذهب بنور العلم.

وقال: المراء في العلم يُقسِّي القلبَ، ويورث الضِّغن.

وكان يقول في المسائل التي يسأل عنها كثيرًا: لا أدري.

وكان الإمام أحمد يَسلكُ سبيله في ذلك. اهـ.

خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ [الزخرف][١].

١٢٥ ـ **حدثنا** أبو حفص عمر بن أيوب السقطي، قال: ثنا محفوظ بن أبي توبة، قال: ثنا محمد بن بشر العبدي، قال: ثنا حجاج بن دينار، عن أبي غالب، عن أبي أُمامة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما ضلَّ قومٌ بعد هُدًى كانوا عليه إلَّا أوتوا الجدل**»، ثم تلا هذه الآية: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الزخرف].

١٢٦ ـ **وحدثنا** عمر بن أيوب السقطي ـ أيضًا ـ، قال: ثنا محمد بن الصباح الجَرجرائي[٢]، قال: ثنا كثير[٣] بن مروان الفلسطيني، عن عبد الله بن يزيد الدمشقي، قال: حدثني أبو الدرداءِ، وأبو أُمامة، وواثلة بن الأسقع، وأنس بن

---

(١) رواه أحمد (٢٢١٦٤)، والترمذي (٣٢٥٣)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، إنما نعرفه من حديث حجاج بن دينار، وحجاج ثقة مقارب الحديث، وأبو غالب اسمه: حَزَوَّر.اهـ.

ورواه العُقيلي في «الضعفاء» (١/ ٢٨٦) في ترجمة حجاج بن دينار: لا يُتابع عليه، ولا يُعرف إلَّا به.اهـ.

و(الجدل): مقابلة الحُجَّة بالحجة. والمُجادلة: المُناظرة والمُخاصمة. والمراد به في الحديث: الجدل على الباطل، وطلب المغالبة به. فأما الجدل لإظهار الحقّ فإن ذلك محمود، لقوله تعالى: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]. «النهاية» (١/ ٢٤٨).

ـ قال ابن تيمية رحمه الله في «الرد على المنطقيين» (ص٣٣٢): فإن القوم كلما بعدوا عن اتباع الرسل والكتب المُنزلة كان أعظم في تفرُّقهم واختلافهم فإنهم يكونون أضل، كما في الحديث الذي رواه الترمذي عن أبي أمامة ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما ضلَّ قوم بعد هُدًى كانوا عليه إلَّا أوتوا الجدل**»... إذ لا يحكم بين الناس فيما تنازعوا فيه إلَّا كتاب مُنزل، ونبيٌّ مرسل.اهـ.

(٢) في الأصل: (الجرجراني)، وكتب في هامشه: (الجرجاني) خ، والصواب ما أثبته كما في ترجمته في «السير» (١٠/ ٦٧٢).

(٣) في هامش الأصل: (حكيم) خ، والصواب ما في الأصل.

مالك ﷺ، قالوا: خرج إلينا رسول الله ﷺ ونحن نتمارى[١] في شيءٍ من الدين، فغضب غضبًا شديدًا لم يغضب مثله، ثم انْتَهَرَنا، فقال: «يا أُمةَ محمدٍ، لا تُهَيِّجُوا على أنفسكم وَهْجَ النار[٢]».

ثم قال: «أبهذا أُمرتم؟ أو ليس عن هذا نُهيتم، أو ليس إنما هلك من كان قبلكم بهذا؟».

ثم قال: «ذروا المِراءَ لقلَّة خيره، ذروا المراءَ، فإن نفعه قليل، ويُهَيِّجُ العداوةَ بين الإخوان، ذروا المِراءَ، فإن المِراءَ لا تُؤمَن فتنتُه، ذروا المِراءَ، فإن المِراءَ يُورث الشَّك ويُحبط العمل، ذروا المِراءَ، فإن المؤمن لا يُمارِي، ذروا المِراءَ، فإن المُماريَ قد تمتْ حسراتُه[٣]، ذروا المِراءَ، فكفى بك إثمًا لا تزال ممارِيًا، ذروا المِراءَ فإن المُماري لا أشفعُ له يوم القيامة، ذروا المِراءَ فأنا زعيمٌ بثلاثة أبياتٍ في الجنة: في وسطها، ورَبَاضها[٤]، وأعلاها لمن ترك المِراءَ وهو صادق، ذروا المِراءَ، فإن أول ما نهاني ربي تعالى عنه بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر: المِراءُ، ذروا المِراءَ فإن الشيطان قد أَيِسَ أن يُعبد ولكنه قد رضي منكم بالتحريش، وهو المِراءُ في الدين، ذروا المِراءَ، فإن بني إسرائِيل افترقوا على إحدى وسبعينَ فرقةً، والنصارى على اثنتينِ وسبعينَ

---

(١) في «النهاية» (٤/ ٣٢٢): (المراء): الجدال، والتماري والمُماراة: المجادلة على مذهب الشك والريبة. ويقال للمناظرة: مماراة؛ لأن كل واحد منهما يستخرج ما عند صاحبه ويمتريه، كما يمتري الحالب اللبن من الضرع. اهـ.

(٢) (وهج النار)، أي: شدة حرِّها وتوقدها. «مجمل اللغة» لابن فارس (١/ ٩٣٩).

(٣) في هامش الأصل: (تم خسرانه) خ.

(٤) في «النهاية» (٢/ ١٨٥): هو بفتح الباء: ما حولها خارجًا عنها، تشبيهًا بالأبنية التي تكون حول المدن، وتحت القلاع. اهـ.

فرقة، وإن أُمتي ستفترق على ثلاث وسبعين فرقةً، كلُّها على الضلالة، إلَّا السواد الأعظم».

قالوا: يا رسولَ الله، ما السوادُ الأعظم؟

قال: «من كان على ما أنا عليه وأصحابي، من لم يُمارِ في دينِ الله تعالى، ولم يُكفِّر أحدًا من أهل التوحيد بذنب..»، وذكر الحديث[1].

قال محمد بن الحسين:

لما سَمِعَ هذا أهلُ العلم من التابعين ومَنْ بعدَهم من أئمة المسلمين لم يُماروا في الدين، ولم يجادلوا، وحذَّروا المسلمين المراءَ والجدال، وأمروهم بالأخذ بالسُّنن، وبما كان عليه الصحابة ﷺ، وهذا طريق أهل الحقِّ ممن وفَّقه الله تعالى، وسنذكر عنهم ما دلَّ على ما قلنا إن شاء الله تعالى[2].

---

(١) رواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٧/ ٢٠٧)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٥٥٧)، وهو حديث لا يصح، في إسناده: عبد الله بن يزيد، قال أحمد: أحاديثه موضوعة.

وكثير بن مروان، قال ابن معين: ضعيف. وقال مرَّة: ليس بشيء.

وفي «المجروحين» (٢/ ٢٢٥): وهو صاحب حديث المِراء منكر الحديث جدًّا..اهـ.

قلت: وبعض ألفاظ هذا الحديث مروية في أحاديث صحيحة.

(٢) في «الإبانة الكبرى» (٦٨٤) عن ابن أبي الزِّناد، قال: أدركنا أهل الفضل والفقه من خيار أوّليّة الناس يعيبون أهل الجدل والتنقير والتنقيب والأخذ بالرأي أشد العيب، وينهوننا عن لقائهم ومُجالستهم، ويُحذِّروننا مقاربتهم أشدَّ التحذير، ويُخبروننا أنهم على ضلالٍ وتحريفٍ لتأويل كتاب الله وسُنن رسوله ﷺ.

ـ وفي «الحُجَّة في بيان المحجة» (١٨٦) قال سهل بن مزاحم: مثل الذي يُنازع في الدين مثل الذي يصعد على الشرف إن سقط هلك، وإن نجا لم يُحمد.

١٢٧ ـ حدثنا الفِريابي، قال: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: ثنا يحيى بن آدم، قال: ثنا حماد بن زيد، عن محمد بن واسع، عن مسلم بن يسار: أنه كان يقول: إياكم والمراءَ؛ فإنها ساعةُ جَهْلِ العالم، وبها يبتغي الشيطانُ زلَّتَه.

١٢٨ ـ وحدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي [١٢/ب]، قال: ثنا زهير بن محمد المروزي، قال: ثنا سُريج بن النعمان، قال: ثنا حماد بن زيد، عن محمد بن واسع، عن مسلم بن يسار، قال: كان يقول: إياكم والمراءَ؛ فإنها ساعة جهلِ العالِم، وبها يبتغي الشيطانُ زلَّته.

١٢٩ ـ وحدثنا الفريابي، قال: ثنا قتيبة بن سعيد، قال: ثنا حماد بن زيد، عن أيوب، قال: كان أبو قِلابة يقول: لا تُجالسوا أهل الأهواء، ولا تُجادلوهم، فإني لا آمَنُ أن يَغْمِسُوكم في الضلالة، أو يَلبِسوا عليكم في الدين[١] بعض ما لُبِس عليهم.

١٣٠ ـ حدثنا عمر بن أيوب السقطي، قال: ثنا عثمان بن أبي شيبة، قال: ثنا هُشيم بن بشير، عن العوام بن حوشب، عن معاوية بن قُرَّة، قال: الخُصومات في الدين تُحبطُ العملَ[٢].

١٣١ ـ وحدثنا الفريابي، قال: ثنا قتيبة بن سعيد، قال: ثنا حماد بن زيد، عن يحيى بن سعيد، أن عمر بن عبد العزيز، قال: مَنْ جعَلَ دينَه غرَضًا[٣]

---

(١) كتب في هامش الأصل: (دينكم) خ.
و(اللبْس): الخَلط. يقال: لَبَسْت الأمر بالفتح أَلْبِسُه، إذا خَلطتَ بعضَه ببعضٍ حتى لا يعرف جهته. انظر: «تهذيب اللغة» (١٢/ ٣٠٧).

(٢) في الأصل: (الأعمال)، وكتب في هامش: (العمل) صح.
وصدق رحمه الله، وفي كتاب الله تعالى ما يُصدق ذلك، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ﴿٣٢﴾﴾ [محمد].

(٣) (الغَرَضُ): الهدف الذي يُرمى فيه. «الصحاح» (٣/ ١٠٩٣).

للخُصومات؛ أَكْثَرَ التَّنَقُّلَ(١).

١٣٢ ـ وحدثنا الفريابي ـ أيضًا ـ، قال: حدثني إبراهيم بن المنذر الحِزامي، قال: ثنا مَعْنُ بن عيسى، قال: انصرف مالك بن أنس يومًا من المسجد، وهو متكئٌ على يدي، فلحقه رجلٌ يقال له: أبو الجُويرية ـ كان يُتَّهم بالإرجاءِ ـ، فقال: يا أبا عبد الله، اسمع مني شيئًا أُكلمُك به، وأُحاجُك، وأُخبرُك برأيي.

قال: فإن غلبتني؟

قال: إن غلبتُكَ اتبعتَني.

---

(١) في «الحجة في بيان المحجة» (١٨٤) قال سفيان الثوري: كان يُقال: من جعل دينه.. فذكره.

ـ وفي «الإبانة الكبرى» (٥٩٦) عن عمر بن عبد العزيز قال:.. من كثُرت خُصوماته؛ لم يزل يتنقل من دينٍ إلى دين.

ـ وفيه أيضًا (٦٠١) قال إبراهيم: كانوا يرون التلوُّن في الدين من شكِّ القلوب في الله.

ـ وفيه (٦٠٢) عن يحيى بن بكير قال: قال مالك: (الداءُ العُضالُ): التنقُّلُ في الدِّين.

قال: وقال مالكٌ: قال رجلٌ: ما كنتَ لاعبًا به فلا تَلعبنَّ بدينك.

ـ وفي «الحُجَّة في بيان المحجة» (١٨٧) قال ابن أبي الزناد: إن السُّنن لا تُخاصم، ولا ينبغي لها أن تتبع بالرأي، ولو فعل الناس ذلك لم يمض يوم إلَّا انتقلوا من دينٍ إلى دينٍ، ولكنه ينبغي للسُّنن أن تلزم ويتمسك بها على ما وافق الرأي أو خالفه.

ـ وفي «الإبانة الكبرى» (٥٩٩) دخل أبو مسعودٍ على حذيفة ﷺ وهو مريض، فأسنده إليه، فقال أبو مسعود: أوصنا.

فقال حذيفة: إن الضَّلالة حقَّ الضَّلالة؛ أن تعرفَ ما كنت تُنكرُ، وتُنكر ما كنت تعرفُ، وإياك والتلوُّن في الدِّين.

ـ وفي «الحلية» (٣/ ٢١٤) عن محمد بن كعب القرظي، أنه سُئل: ما علامة الخذلان؟ قال: أن يستقبح الرجل ما كان يستحسن، ويستحسن ما كان قبيحًا.

قال: فإن جاءَ رجلٌ آخر فكلَّمنا فغلَبنا؟

قال: نتَّبعه.

قال مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: يا عبد الله، بعث الله عَزَّوَجَلَّ محمدًا ﷺ بدينٍ واحدٍ، وأراك تنتقل من دينٍ إلى دين، قال عمر بن عبد العزيز: من جعل دينه غرضًا للخصوماتِ أكثر التنقُّل(١).

١٣٣ ـ وحدثنا الفِريابي، قال: ثنا محمد بن داود الفِريابي، قال: ثنا محمد بن عيسى، قال: ثنا مخلد(٢)، عن هشام ـ يعني: ابن حسان ـ قال: جاء رجل إلى

---

(١) في «الإبانة الكبرى» (٦٨٤) عن ابن أبي الزِّناد قال:.. فهل هلك أهل الأهواء وخالفوا الحقَّ إلَّا بأخذهم بالجدل والتفكير في دينهم، فهم كلَّ يوم على دينِ ضلالةٍ، وشبهة جديدة، لا يقيمون على دينٍ، وإنْ أعجبهم إلَّا نقلَهم الجدل والتفكير إلى دينٍ سواه، ولو لزموا السُّنن وأمر المسلمين وتركوا الجدل؛ لقطعوا عنهم الشكَّ، وأخذوا بالأثر الذي حضَّهم عليه رسول الله ﷺ ورضيه لهم، ولكنهم تكلَّفوا ما قد كفوا مُؤنتَه، وحملوا على عقولهم من النظر في أمر الله ما قصرت عنه عقولهم، وحق لها أن تقصر عنه وتحسر دونه، فهنالك تورَّطوا. اهـ.

ـ وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «مجموع الفتاوى» (٤/ ٥٠): إنك تجد أهل الكلام أكثر الناس انتقالًا من قول إلى قول، وجزمًا بالقول في موضع وجزمًا بنقيضه، وتكفير قائله في موضع آخر، وهذا دليل عدم اليقين. فإن الإيمان كما قال فيه قيصر لما سأل أبا سفيان عمن أسلم مع النبي ﷺ: هل يرجع أحدٌ منهم عن دينه سخطة له بعد أن يدخل فيه؟ قال: لا. قال: وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشته القلوب لا يسخطه أحد. ولهذا قال بعض السلف عمر بن عبد العزيز أو غيره: من جعل دينه غرضًا للخصومات أكثر التنقل.

وأما أهل السنة والحديث فما يُعلَم أحدٌ من علمائهم ولا صالح عامتهم رجع قط عن قوله واعتقاده بل هم أعظم الناس صبرًا على ذلك وإن امتُحِنوا بأنواع المحن وفُتِنوا بأنواع الفتن. اهـ.

(٢) كتب في هامش الأصل: (مجالد) خ. والصواب ما في الأصل.

الحسن، فقال: يا أبا سعيد، تعالَ حتى أُخاصمَك في الدين.

فقال الحسن: أمَّا أنا فقد أبصرتُ ديني، فإن كنتَ أضللتَ دينَك فالْتَمِسْه[(١)].

١٣٤ ـ **وحدثنا** أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، قال: ثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا حماد بن مسعدة، قال: كان عمران القصير يقول: إياكم والمنازعة والخصومة، وإياكم وهؤلاء الذين يقولون: أرأيتَ أرأيتَ[(٢)].

---

(١) في «الإبانة الكبرى» (٦٩٦) عن أحمد بن سنان، قال: جاء أبو بكر الأصم إلى عبد الرحمٰن بن مهدي، فقال: جئت أناظرك في الدِّين.

فقال: إن شككتَ في شيءٍ من أمر دينك، فقف حتى أخرج إلى الصلاة، وإلَّا فاذهب إلى عملك. فمضى ولم يثبُت.

- في «جامع بيان العلم» (١٧٨٤) قال الهيثم بن جميل: قلت لمالك بن أنس: يا أبا عبد الله، الرجل يكون عالمًا بالسُّنة أيُجادل عنها؟

قال: لا؛ ولكن يخبر بالسُّنة فإن قبلت منه وإلَّا سكت.

- في «طبقات الحنابلة» (٢/ ١٥٥) قال العباس بن غالب الهمداني الورَّاق: قلتُ لأحمد بن حنبل: يا أبا عبد الله، أكون في المجلس ليس فيه من يعرف السُّنة غيري، فيتكلَّم مبتدعٌ فيه، أردُّ عليه؟ فقال: لا تنصب نفسَكَ لهذا، أخبره بالسُّنَّةِ، ولا تُخاصِمُ، فأعدت عليه القولَ، فقال: ما أراك إلَّا مُخاصِمًا.

(٢) الذين يقولون: (أرأيت أرأيت): هم الذين أخذوا بالرأي وتركوا السُّنن.

- ففي «الإبانة الكبرى» (٦٣٠) عن الزِّبرقان، قال: نهاني أبو وائل أن أجالس أصحاب: أرأيت، أرأيت.

- وفيه (٦٣١) قال الشعبي: ما مِن كلمةٍ أبغض إليَّ من: أرأيتَ، أرأيتَ.

- وفيه (٦٣٢) قال غيلان بن جرير: جعل رجلٌ يقول لابن عمر رضي الله عنهما: أرأيتَ، أرأيتَ. فقال ابنُ عمر رضي الله عنهما: اجعل أرأيت عند الثُّريَّا.

- ورواه البخاري (١٦١١)، ولفظه: أن رجلًا سأل ابنَ عُمرَ رضي الله عنهما عن استلام الحجَرِ. فقال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ يستلِمُه ويُقبِّله.

قال: أرأيت إن زُحِمتُ؟ أرأيت إن غُلِبتُ؟

قال: اجعل أرأيت باليمن.

١٣٥ - وحدثنا الفريابي، قال: ثنا أبو الخطاب، زياد بن يحيى، قال: ثنا[١] سعيد بن عامر، قال: ثنا سلام بن أبي مُطيع: أن رجلًا من أصحاب الأهواء، قال لأيوب السختياني: يا أبا بكر، أسألك عن كلمة؟

قال: فولّى أيوب، وجعل يُشير بإصبعه: ولا نِصفِ كلمة، ولا نِصفِ كلمة[٢].

- قال ابن شهاب: دعوا السُنة تمضي، لا تَعْرِضوا لها بالرأي.
- و«مسند الدارمي» (١٢٢)، و«ذم الكلام» (٦٤) قال عروة بن الزبير: ما زال أمر بني إسرائيل مُعتدلًا حتى نشأ فيهم المُوَلَّدون أبناء سبايا الأمم، فأخذوا فيهم بالرأي، فأضلوهم.
- وذكر ابن وهب، عن ابن شهاب أنه قال وهو يذكر ما وقع فيه الناس من هذا الرأي وتركهم السُنن، فقال: إن اليهود والنصارى إنما انسلخوا من العلم الذي بأيديهم حين اتبعوا الرأي، وأخذوا فيه.

* وانظر: «ذم الكلام» (٩/التغليظ في معارضة الحديث بالرأي).

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في «منهاج السنة» (٨/ ٤١١): معلوم وجوب تقديم النصّ على الرأي، والشرع على الهوى، فالأصل الذي افترق فيه المؤمنون بالرسل والمخالفون لهم: تقديم نصوصهم على الآراء وشرعهم على الأهواء، وأصل الشر من تقديم الرأي على النصّ والهوى على الشرع؛ فمن نور الله قلبه فرأى ما في النص والشرع من الصلاح والخير، وإلَّا فعليه الانقياد لنص رسول الله ﷺ وشرعه، وليس له معارضته برأيه وهواه.اهـ.

(١) في هامش الأصل: (حدثني) خ.

(٢) في «الإبانة الكبرى» (٤٦٤) عن ابن عونٍ، عن محمد: أن رجلًا أتاه فسأله عن القدرِ، فقال محمد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل]، فأعاد عليه الكلام، فوضع محمدٌ يديه في أُذنيه، قال: ليخرجنَّ عني، أو لأخرُجنَّ عنه.

قال: فخرج الرجل. فقال محمد: إن قلبي ليس بيدي، وإني لا آمن من أن يبعث في قلبي شيئًا لا أقدر أن أُخرجَه منه، وكان أَحبَّ إليَّ أن لا أسمع كلامه.

١٣٦ ـ وحدثنا الفريابي، قال: ثنا يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا سعيد بن عامر، قال: سمعت جدي أسماء بن خارجة[(١)] يُحدِّث، قال: دخل رجلان على محمد بن سيرين من أهل الأهواء، فقالا: يا أبا بكر، نُحدِّثك بحديث؟

قال: لا.

قالا: فنقرأ عليك آية من كتاب الله؟

قال: لا، لتقومُنَّ عني، أو لأقومنَّه[(٢)].

---

(١) كذا في الأصل، وفي «المسند» للدارمي: (أسماء بن عُبيد). وعند اللالكائي (٢٤٢): (أسماء).

(٢) زاد الدارمي في «المسند» (٤٣٠): قال: .. فخرجا، فقال بعض القوم: يا أبا بكر، وما كان عليك أن يقرءا عليك آية من كتاب الله؟

قال: إني خشيت أن يقرءا عليَّ آية؛ فيحرفانها فيقرّ ذلك في قلبي.

ـ وفي «الإبانة الكبرى» (٥١١) عن محمد بن سيرين، أنه كان إذا سَمِعَ كلمةً من صاحب بدعةٍ، وضع إصبعيه في أُذنيه، ثم قال: لا يَحلُّ لي أن أُكلِّمه حتى يقومَ من مجلسِه.

ـ وفيه (٥١٢) قال صالح المُرِّي: دخل على ابن سيرين فلانٌ ـ يعني: رجلًا مُبتدعًا ـ، وأنا شاهد، ففتح بابًا من أبواب القدر، فتكلَّمَ فيه، فقال له ابن سيرين: أُحبُّ لك أن تقوم، وإما أن نقوم.

ـ وفي «السير» (٤/ ٦١١) عن شعيب بن الحبحاب: قلت لابن سيرين: ما ترى في السماع من أهل الأهواء؟ قال: لا نسمع منهم ولا كرامة.

ـ وعند اللالكائي (١٨٩) عن مجاهد، قال: قيل لابن عمر رضي الله عنهما: إن نجدة يقول كذا وكذا. فجعل لا يسمع منه كراهية أن يقع في قلبه منه شيء!

ـ وفي «الإبانة الكبرى» (٤٣٤) عن ابن خُثيم: أن طاووسًا، كان جالسًا هو وطلق بن حبيبٍ، فجاءهما رجلٌ من أهل الأهواء، فقال: أتأذن لي أن أجلس، فقال له طاووس: إن جلست قُمنا.

فقال: يغفر الله لك أبا عبد الرحمٰن!

فقال: هو ذاك، إن جلست والله قُمنا. فانصرف الرجل.

ـ وفيه (٤٣١) عن معمر قال: كان ابن طاووس جالسًا، فجاء رجلٌ من =

المعتزلة، فجعل يتكلَّم، قال: فأدخل ابن طاووس إصبعيه في أُذنيه، قال: وقال لابنه: أي بُنيَّ، أدخل إصبعيك في أُذنيك، واشدد، ولا تسمع من كلامه شيئًا.

قال معمر: يعني: أن القلب ضعيف.

ـ وفي (٤٣٢) قال عبد الرزاق قال: قال لي إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى: أرى المُعتزلة عندكم كثيرًا!

قلت: نعم، وهم يزعمون أنك منهم.

قال: أفلا تدخل معي هذا الحانوت حتى أُكلِّمك؟

قلت: لا. قال: لِمَ؟!

قلت: لأن القلب ضعيف، والدين ليس لمن غلب.

قلت: رحم الله أئمة السُّنة مع رسوخهم في العلم إلَّا أنهم كانوا يخافون على أنفسهم وقلوبهم من التأثر بكلام أهل البدع، وخوفًا على قلوبهم من تقلبها، فقد كان من أكثر دعاء النبي ﷺ: «يا مُقلِّب القلوب ثبِّت قلبي على دينك».

ـ وفي «الإبانة الكبرى» (٣٩٩) قال هشام بن حسَّان: قال رجل لابن سيرين إن فلانًا يريد أن يأتيك ولا يتكلم بشيء.

قال: قل لفلان: لا يأتيني، فإن قلب ابن آدم ضعيف، وإني أخاف أن أسمع منه كلمة فلا يرجع قلبي إلى ما كان.

ـ وفيه أيضًا (٣٩٤) قال مُفضل بن مُهلهل: لو كان صاحب بدعة إذا جلست إليه يُحدِّثك ببدعته، حَذِرْتَه، وفررت منه؛ ولكنه يُحدِّثك بأحاديث السُّنة في بدو مجلسه، ثم يدخل عليك بدعته فلعلها تلزم قلبك فمتى تخرج من قلبك.

ـ وعند اللالكائي (١١٨٠) قال أيوب السختياني: قال أبو قِلابة: يا أيوب.. لا تُمكِّن أصحاب الأهواء سمعك؛ فيُغيِّروا قلبك.

ـ وفي «رسالة السجزي في الحرف والصوت» (ص٢٣٤) قال بعض السلف: سمعت من مبتدعٍ قولًا أجتهد في إخراجه من قلبي وسمعي ولا يَتم لي ذلك.

ـ وفي «الإبانة الكبرى» (٤٤٩) قال محمد بن السائب الكلبي: قوموا بنا =

١٣٧ ـ وحدثنا ابن عبد الحميد، قال: ثنا زهير بن محمد، قال: ثنا موسى بن أيوب الأنطاكي، قال: ثنا عتَّاب بن بشير، عن خُصَيف، قال: مكتوب في التوراة: يا موسى، لا تُخاصِمْ أهل الأهواء، يا موسى، لا تُجادلْ أهل الأهواء فيقعَ في قلبك شيءٌ، فيُرديَك فيُدْخلَك النار[1].

١٣٧/أ ـ قال زهير: سمعت أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: سمعت مروان بن شُجاع يقول: سمعت عبد الكريم الجزري يقول: ما خاصم وَرِعٌ قطُّ في الدين.

١٣٨ ـ وحدثنا ابن عبد الحميد، قال: ثنا زهير، قال: أنا أبو خالد، قال: ثنا سفيان،

إلى المرجئة نسمع كلامهم، قال: فما رجع حتى عَلِقَه.

وقد بيَّن ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ سبب ذلك، فقال في «جامع المسائل» (٩/ ١٢١): واعلم أنه ما من عاقلٍ يقول مقالةً إلَّا ولا بدَّ أن تكون مشتملةً على شيءٍ من الحقِّ، حتى يقبلها قلبُه، وتُقْبَل عنه، كما يُقْبَلُ الدرهم الزائفُ بما فيه من الفضة، واللبنُ المَشُوب بما فيه من المَحْض، وإلَّا فلو خَلَصَ الباطلُ وتمحَّض لما خفي على من له أدنى مُسْكةٍ من عقلٍ، ومن هنا سُمِّيت الأباطيل: (شبهات)؛ لمشابهتها الحقَّ ببعض الصفات. اهـ.

(١) قال ابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ في «الإبانة الكبرى» (٥٠١ ـ ٥٠٢): عن عِمران رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من سَمِعَ منكم بخروج الدَّجَّال فلينأ عنه ما استطاع، فإن الرجل يأتيه وهو يَحسبُ أنه مؤمنٌ، فما يزال به حتى يتبعه لما يرى من الشُّبهات».

قال: هذا قول الرسول ﷺ، وهو الصادق المصدوق. فاللهَ اللهَ معشر المسلمين، لا يحملن أحدًا منكم حسنُ ظنِّه بنفسه، وما عهده من معرفته بصحَّة مذهبه على المُخاطرة بدينه في مُجالسة بعض أهل هذه الأهواء، فيقول: أُداخلُه لأناظره، أو لأستخرجَ منه مذهبه؛ فإنهم أشدُّ فتنة من الدَّجَّال، وكلامهم ألصق من الجرب، وأحرقُ للقلوب من اللَّهبِ.

ولقد رأيتُ جماعةً من الناس كانوا يلعنونهم، ويسبُّونهم، فجالسوهم على سبيل الإنكار والرد عليهم، فما زالت بهم المُباسطةُ وخَفِيُّ المَكْرِ، ودَقِيقُ الكفرِ حتى صَبَوا إليهم. اهـ.

عن عَمرو - يعني: ابن قيس - قال: قلت للحكم: ما اضطرَّ الناسَ إلى الأهواء؟ قال: الخُصومات.

١٣٩ - حدثنا عمر بن أيوب السقطي، قال: ثنا محفوظ بن أبي توبة، قال: ثنا محمد بن بشر العبدي، عن زياد بن كُليب، قال: قال أبو حمزة لإبراهيم: يا أبا عمران، أيُّ هذه الأهواءِ أعجب إليك؟ فإني أُحب أن آخذَ برأيك، وأقتدي بك.

قال: ما جعل الله في شيءٍ منها مِثقال ذرَّةٍ من خيرٍ، وما هي إلَّا زينةُ الشيطان، وما الأمرُ إلَّا الأمرُ الأول(١).

١٤٠ - حدثنا عمر بن أيوب، قال: ثنا محفوظ، قال: ثنا إبراهيم بن خالد الصنعاني، قال: ثنا رباح بن زيد، عن معمر، عن ابن طاووس، عن أبيه: أن رجلًا قال لابن عباس: الحمد لله الذي جعل هوانا على هواكم.

قال: فقال ابن عباس ﷺ: الهوى كلُّه ضلالة.

١٤١ - وحدثنا الفريابي، قال: ثنا العباس بن الوليد بن مزيد(٢)، قال: أخبرني أبي، قال: سمعت الأوزاعي يقول: عليك بآثار مَنْ سَلَفَ، وإن رفضك الناسُ، وإياك وآراءَ الرجال، وإن زخرفوا لك بالقول.

١٤٢ - حدثنا أبو زكريا يحيى بن محمد الحنائي، قال: ثنا محمد بن عبيد بن حساب، قال: ثنا حماد بن زيد، قال: ثنا محمد بن واسع، قال: رأيت صفوان بن مُحرِز [١٣/أ]، وأشار بيده إلى ناحية من المسجد، وشَبَبَةٌ قريب منه يتجادلون، فرأيته ينفض ثوبه وقام، وقال: إنما أنتم جَرَبٌ، إنما أنتم

---

(١) عند اللالكائي (٣١٢)، و«جامع بيان العلم» (١٧٥٢) عن مُطرِّف بن عبد الله بن الشخير قال: لو كانت هذه الأهواء كلها هوى واحدًا لقال القائل: [لعلّ] الحق فيه، فلما تشعبت واختلفت؛ عرف كل ذي عقلٍ أن الحقَّ لا يتفرّق.

(٢) كتب في هامش الأصل: (مرثد) خ، والصواب ما في الأصل.

جَرَبٌ[١].

١٤٣ - حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد، قال: ثنا الحسين بن الحسن المروزي، قال: ثنا عبد الله بن المبارك، قال: أنا أبو الحكم، قال: أنا موسى بن أبي كَردم - وقال غيره: ابن أبي دَرم -، عن وهب بن مُنَبِّه، قال: بُلِّغَ ابنُ عباس رضي الله عنهما عن مجلسٍ كان في ناحية باب بني سهمٍ، يجلس فيه ناسٌ من قريشٍ فيختصمون، فترتفعُ أصواتُهم، فقال ابن عباس: انطلقوا[٢] بنا إليهم، فانطلقنا حتى وقفنا، فقال لي ابن عباس: أخبرهم عن كلام الفتى الذي كَلَّمَ به أيوبَ عليه السلام وهو في حاله[٣].

قال وهبٌ: فقلت: قال الفتى: يا أيوبُ، أما كان في عظمة الله وذكر الموت ما يُكِلُّ لسانَك[٤]، ويقطع قلبك، ويكسر حُجَّتك.

يا أيوبُ، أما علمتَ أن لله تعالى عبادًا أسكتتْهم خشية الله من غير عِيٍّ[٥] ولا بَكَم، وإنهم لهم النُبلاءُ، الفصحاءُ، الطلقاءُ، الألِبَّاءُ، العالمون بالله عز وجل وأيامه[٦]، ولكنهم إذا ذكروا عظمة الله تعالى: تقطَّعت قلوبهم، وكَلَّت ألسنتُهم، وطاشت عقولُهم وأحلامُهم فَرَقًا من الله تعالى[٧]، وهيبة له، فإذا استفاقوا من ذلك استَبَقُوا إلى الله بالأعمال الزاكية، لا يستكثرون لله الكثير، ولا يرضون له بالقليل، يَعُدُّون أنفسَهم مع الظالمين الخاطئِين، وإنهم لأنزاهٌ، أبرارٌ، أخيارٌ، ومع المُضيِّعين

---

(١) الجَرَب: داءٌ يعلو جلد الناس والإبل.
(٢) كتب في هامش الأصل: (انطلق) خ.
(٣) كتب في هامش الأصل: (بلائِه) خ.
(٤) أي: يُثقله عن الكلام.
(٥) العِيُّ: خِلاف البيان.
(٦) كتب في هامش الأصل: (وبآياته) خ.
(٧) أي: خشية وخوفًا من الله تعالى.

المُفرِّطين، وإنهم لأكْياس[1] أقوياء، ناحلون ذائِبون، يراهم الجاهل فيقول: مرضى، وليسوا بمرضى، وقد خولطوا، وقد خالطَ القومَ أمرٌ عظيم.

١٤٤ ـ حدثنا أبو عبد الله محمد بن مخلد العطار، قال: ثنا محمد بن حسان بن فيروز الأزرق، قال: ثنا عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي روَّاد، قال: حدثني موسى بن أبي درم، عن يوسف ـ يعني: ابن ماهك ـ، عن ابن عباس ﵁ أنه بلغه عن مجلس في ناحية بني سهمٍ فيه شبابٌ من قريش يختصمون، وترتفعُ أصواتهم، فقال ابن عباسٍ لوهب بن مُنبِّهٍ: انطلق بنا إليهم، قال: فانطلقنا حتى وقفنا عليهم، فقال ابن عباس ﵄ لوهب بن مُنَبِّه: أَخْبِرِ القومَ عن كلام الفتى الذي كلَّم به أيوبَ ﵇، وهو في بلائه.

فقال وهب: قال الفتى: يا أيوبُ، لقد كان في عظمة الله تعالى ـ وذكر الموت ـ ما يُكِلُّ لسانك، ويقطع قلبك، ويكسر حُجَّتك؟

أفلم تعلم يا أيوبُ أن لله عبادًا أسكتَتْهم خشية الله من غير عِي، ولا بَكَم، وإنهم لهم الفُصحاء، الطُّلقاء، العالمون بالله وأيامه، ولكنهم إذا ذكروا عظمة الله تعالى تقطَّعت قلوبهم، وكَلّت ألسنتهم، وكلَّت أحلامهم فَرَقًا من الله تعالى وهيبةً له، حتى إذا استفاقوا من ذلك ابتدروا إلى الله تعالى بالأعمال الزاكية، لا يستكثرون لله الكثير، ولا يرضون له بالقليل، ناحلون ذائبون، يراهم الجاهل فيقول: مرضى، وقد خولطوا، وقد خالط القومَ أمرٌ عظيم.

١٤٥ ـ وحدثنا أبو بكر ابن عبد الحميد، قال: ثنا زهير بن محمد، قال: ثنا أبو حذيفة الصنعاني، قال: حدثني عبد الصمد بن معقل، أنه سمع وهبًا يقول: دعِ المراءَ والجدال عن أمرك، فإنك لا تُعجز أحد رجلين:

---

(١) أي: عقلاء أذكياء، و(الكَيْسُ): خلاف الحُمقِ.

أ ـ رجلٍ هو أعلمُ منك، فكيف تُماري وتُجادل من هو أعلمُ منك؟!

ب ـ ورجلٍ أنت أعلمُ منه، فكيف تُماري وتُجادل من أنت أعلم منه، ولا يُطيعك؟![١] فاقطع ذلك عنك[٢].

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٤٦ ـ من كان له عِلمٌ وعقل، فميَّز جميعَ ما تقدم ذِكْرِي له من

---

(١) في (ب): (ولا يطيقك).

(٢) وفي «الإبانة الكبرى» (٣٨٥) عن مصعب بن سعد قال: لا تجالس مفتونًا فإنه لن يُخطئك منه إحدى اثنتين:
أ ـ إما أن يفتنك فتُتابعه.
ب ـ وإما أن يؤذيك قبل أن تُفارقه.
ـ وفي «مختصر الحُجة» (٣٢٣) قال سُفيان: لا تخاصم أهل البدع؛ فإنهم يُبغِّضون إليك ما أنت فيه، ويُلبِّسون عليك دينك.
ـ وفيه (٦٨١) قال سُفيان: قيل لعبد الله بن حسن: ما لك لا تُماري إذا جلست؟ فقال: ما تصنع بأمرٍ إن بالغتَ فيه أثِمتَ، وإن قَصَّرتَ فيه خُصِمتَ.
ـ وفي «البدع» لابن وضاح (١١٦) عن سفيان الثوري قال: من جالس صاحب بدعة لم يسلم من إحدى ثلاث:
أ ـ إما أن يكون فتنة لغيره.
ب ـ وإما أن يقع في قلبه شيء فيزل به فيدخله الله النار.
ج ـ وإما أن يقول: والله ما أبالي ما تكلموا، وإني واثق بنفسي، فمن أمن الله على دينه طرفة عين؛ سلبه إياه.
ـ قال ابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ في «الإبانة الصُغرى» (٣٣١): إياك والمراءَ والجِدالَ في الدِّينِ؛ فإن ذلك يورثُ الغِلَّ، ويُخرِجُ صاحِبَه ـ وإن كان سُنيًّا ـ إلى البدعةِ؛ لأن أوَّلَ ما يَدخلُ على السُّنيِّ مِن النَّقصِ في دينِه إذا خاصَمَ المُبتدعَ:
أ ـ مُجالستُه للمبتدِعِ، ومُناظرتُه إيَّاه.
ب ـ ثم لا يأمنُ أنْ يُدخِلَ عليه مِن دقيقِ الكلامِ، وخبيثِ القولِ ما يفتنُه.
ج ـ أو لا يفتِنُه؛ فيحتاجُ أن يَتكلَّفَ له مِن رأيه ما يرُدُّ عليه قولَه مما ليس له أصلٌ في التأويلِ، ولا بيانٌ في التَّنزيلِ، ولا أثرٌ مِن أخبارِ الرَّسول ﷺ.اهـ.

أول الكتاب إلى هذا الموضع: عَلِمَ أنه مُحتاجٌ إلى العمل به، فإن أراد الله به خيرًا لَزِم سُنن رسول الله ﷺ، وما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم، ومن تبعهم بإحسانٍ من أئمة المسلمين في كل عصر، وتعلم العلم لنفسه، لينتفي عنه الجهل، وكان مراده أن يتعلَّمه لله تعالى، ولم يكن مراده أن يتعلَّمه للمراءِ والجدال والخصومات ولا للدنيا(١)، ومن كان هذا مراده سَلِمَ إن شاءَ الله تعالى من الأهواءِ والبدع والضلالة، واتبع ما كان عليه من تقدَّم من أئِمة المسلمين الذين لا يُستوحش من ذكرهم، وسأل الله تعالى أن يوفِّقه لذلك(٢).

١٤٧ ـ فإن قال قائل:

فإن كان رجلٌ قد علَّمه الله تعالى عِلمًا، فجاءَه رجلٌ يسأله عن

---

(١) في هامش الأصل: (ولا لدنيا) خ.

(٢) قال المصنف رحمه الله في «فرض العلم» (٨٢/بتحقيقي): ويكون مراده من طلب العلم أنه يريده لنفسه؛ لينتفي عنه الجهل، ويعبد الله عز وجل فيما افترض عليه بعلم. فمن كان هذا مُرادَه في طلب العلم: نفعه الله عز وجل، ونفع به، ووفَّقه، وكثَّرَ له قليل علمه، وبارك له فيه. اهـ.

ـ وفي «أخلاق العلماء» (١٠٨) قال طاووس: ما تعلَّمتَ فتعَلَّم لنفسِك، فإن الأمانةَ والصدق قد ذهبا من الناس.

ـ وفي «السير» (٨/ ٦٦) قال ابن وهب: سمعت مالكًا يقول: ما تعلمت العلم إلَّا لنفسي، وما تعلمت ليحتاج الناس إليَّ، وكذلك كان الناس.

ـ وفي «جامع ابن عبد الحكم» (٨٤) قال مالك: ولقد أدركت رجالًا يقولون: ما طلبنا هذا العلم حين طلبنا لنتحمل أمور الناس، وما طلبناه إلَّا لأنفسنا.

ـ وفي «الآداب الشرعية» (٢/ ٣٧) قال مُهنا: قلت لأحمد: حدثنا ما أفضل الأعمال؟ قال: طلب العلم.

قلت: لمن؟ قال: لمن صحت نيته.

قلت: وأيُّ شيءٍ يصحح النية؟ قال: ينوي يتواضع فيه، وينفي عنه الجهل.

مسألة في الدين، يُنازعه فيها ويُخاصمه، ترى له أن يُناظره، حتى يُثْبِتَ عليه الحُجَّة، ويُردَّ عليه قولُه؟

قيل له: هذا الذي نُهينا عنه، وهو الذي حذَّرَنَاه مَنْ تقدَّم من أئِمة المسلمين.

فإن قال قائل: فماذا نصنع؟

قيل له:

أ ـ إن كان الذي يسألُك مسألتُه مسألةُ مُسترشدٍ إلى طريق [١٣/ب] الحقِّ لا مُناظرٍ[1]؛ فأرشِده بألطف ما يكون من البيان بالعلم من:

١ ـ الكتاب.

٢ ـ والسُّنة.

٣ ـ وقول الصحابة.

٤ ـ وقول أئمة المسلمين ﷺ[2].

---

(١) كتب في الأصل: (مناظرة)، وكتب فوق (ة) خـ، يعني في نسخة: (مناظرة).

(٢) قال ابن بطة رَحِمَهُ اللهُ في «الإبانة الكبرى» (٧٠٥): وليكن ما ترشدُه به، وتوقفه عليه من:

١ ـ الكتاب ٢ ـ والسُّنة ٣ ـ والآثار الصحيحة عن علماء الأُمَّة من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ والتابعين.

وكلُّ ذلك بالحِكمة والموعظة الحسنة.

وإياك والتكلُّف لما لا تعرفه، وتَمَحُّل الرأي، والغوص على دقيق الكلام: فإن ذلك من فعلك بدعة، وإن كنت تريد به السُّنة، فإن إرادتك للحقِّ من غيرِ طريق الحقِّ باطل، وكلامك على السُّنة من غير السُّنة بدعة. فلا تلتمس لصاحبك الشفاء بسُقم نفسِك، ولا تطلب صلاحه بفسادك، فإنه لا ينصح الناسَ مَنْ غشَّ نفسَه، ومن لا خيرَ فيه لنفسه، لا خير فيه لغيره.

فمن أراد الله: وفَّقه وسدده. ومن اتقى الله: أعانه ونصره. اهـ.

ب ـ وإن كان يريد مُناظرتك ومُجادلتك، فهذا الذي كَرِهَ لك العُلماء، فلا تُناظره، واحذره على دينك، كما قال مَنْ تقدم مِنْ أئمة المسلمين إن كنت لهم مُتَّبعًا.

فإن قال: فندعهم يتكلَّمون بالباطل، ونسكتُ عنهم؟

قيل له:

سكوتُك عنهم، وهِجرتك لما تكلَّموا به أشدّ عليهم من مناظرتك لهم، كذا قال من تقدَّم من السلف الصالح من علماء المسلمين[١].

---

(١) ذكر ابن بطة رَحِمَهُ اللهُ في «الإبانة الكبرى» ثلاثة أقسام للمجادلة في أبواب السُّنة والاعتقاد، هذا منها، وزاد عليه باختصار:

٢ ـ ورجلٌ آخر يحضرُ في مجلسٍ أنت فيه حاضرٌ، تأمن فيه على نفسك، ويكثر ناصروك، فيتكلم بكلامٍ فيه فتنةٌ وبليَّة على قلوب مستمعيه ليوقع الشَّكَّ في القلوبِ؛ لأنه هو ممن في قلبه زيغٌ يتبع المُتشابه، وقد حضر معك من إخوانك من يسمع كلامه، إلَّا أنه لا حُجَّة عندهم، ولا علمَ لهم بقبيح ما يأتي به، فإن سكتَّ عنه لم تأمن فتنته، وأن يُفسد قلوبهم، وإدخال الشَّكُ عليهم، فهذا أيضًا ممن تردّ عليه بدعته، وتنشر ما علّمك الله من العلم والحكمة. ولا يكن قصدُكَ في الكلام خصومته ولا مناظرته، وليكن قصدك بكلامك خلاص إخوانك من شبكته، فإن خبثاء الملاحدة إنما يبسطون شِباكَ الشياطين ليصيدوا بها المؤمنين، فليكن إقبالك بكلامك، ونشر علمك على إخوانك، ومن قد حضر معك لا عليه، حتى تقطع أولئك عنه، بل إن قدرت أن تقطع عليه كلامه بنوع من العلم تحوّلُ به وجوه الناس عنه، فافعل.

٣ ـ وثالثٌ مشؤوم، قد زاغ قلبه، واستحكمت للبدعة نصرته، فجُهْدُه أن يُشكِّكَ في اليقين، ويُفسد عليك صحيح الدين، فجميع الذي رويناه، وكل ما حكيناه في هذا الباب لأجله وبسببه، فإنك لن تأتي في باب خصومته، ووضيع مكيدته أبلغ من الإمساك عن جوابه، والإعراض عن خطابه؛ لأن غرضه من مُناظرتك:

أ ـ أن يفتنك؛ فتتبعَه فتهلِك.

ب ـ أو ييأس منك؛ فيشفي غيظه بأن يُسمعك في دينك ما تكرهه.

١٤٨ ـ حدثنا أبو بكر ابن عبد الحميد، قال: ثنا زُهير بن محمد، قال: أنا منصور بن سفير[١]، قال: ثنا حماد بن زيد، عن أيوب أنه قال: لستَ برادٍّ عليهم أشدَّ من السُّكوت[٢].

١٤٩ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا أبو تقي هشام بن عبد الملك الحمصي، قال: ثنا محمد بن حرب، عن أبي سلمة سليمان بن سليم، عن أبي حُصين، عن أبي صالح، عن

= فأخسئه بالإمساك عنه، وأذلِّه بالقطيعة له. اهـ.

(١) وفي هامش الأصل: (سفيان) خـ.
و«الإبانة الكبرى» (٥٠٦): (منصور، عن سفيان).

(٢) في «الإبانة الكبرى» (٥٠٥) قال أحمد بن أبي الحواري: قال لي عبد الله بن السَّري ـ وكان من الخاشعين، ما رأيت قطُّ أخشع منه ـ: ليس السُّنة عندنا أن تردَّ على أهل الأهواء؛ ولكن السُّنة عندنا أن لا تُكلِّم أحدًا منهم.
ـ وفيه (٥٠٨) قال أبو علي حنبل بن إسحاق بن حنبل: كتبَ رجل إلى أبي عبد الله رَحِمَهُ اللهُ كتابًا يستأذنه فيه أن يضعَ كتابًا يشرحُ فيه الردَّ على أهل البدع، وأن يحضُرَ مع أهل الكلام فيُناظرهم، ويحتجَّ عليهم. فكتب إليه أبو عبد الله: (بسم الله الرحمٰن الرحيم).
أحسنَ اللهُ عاقبتك، ودفعَ عنك كلَّ مكروه ومحذور. الذي كنا نسمعُ، وأدركنا عليه من أدركنا من أهل العلم: أنهم كانوا يكرهون الكلام، والجلوسَ مع أهل الزيغ، وإنما الأمر في التسليم، والانتهاء إلى ما كان في كتاب الله، أو سُنَّة رسول الله ﷺ، لا في الجلوس مع أهلِ البدعِ والزيغ لتَرُدَّ عليهم، فإنهم يُلبِّسون عليك، وهم لا يرجعون. فالسَّلامة ـ إن شاء الله ـ في تركِ مُجالستهم، والخوضِ معهم في بدعتهم وضلالتهم.
فليتقِ الله امرؤ، وليَصِر إلى ما يعودُ عليه نفعُه غدًا من عملٍ صالحٍ يُقدِّمُه لنفسِه، ولا يكن ممن يُحدثُ أمرًا، فإذا هو خرجَ منه أراد الحُجَّة، فيحملُ نفسه على المِحالِ فيه، وطلبِ الحُجَّة لما خرجَ منه بحقٍّ أو بباطلٍ، ليُزيِّنَ به بدعته وما أحدث.
وأشدُّ من ذلك أن يكون قد وضعه في كتابٍ قد حُمِلَ عنه، فهو يُريدُ أن يُزيِّن ذلك بالحقِّ والباطلِ، وإن وضح له الحقُّ في غيره.
ونسأل الله التوفيق لنا ولك. والسَّلام عليك.

ابن عباس ﭬ قال: لا تُجالس أهل الأهواءِ؛ فإن مُجالستَهم مُمرضةٌ للقلوب.

١٥٠ ـ حدثنا الفريابي، قال: حدثني محمد بن داود، قال: ثنا مسلم بن إبراهيم، قال: ثنا مهدي بن ميمون، قال: سمعت محمدًا ـ يعني: ابن سيرين ـ: وماراه رجلٌ في شيءٍ، فقال محمد: إني قد أعلم ما تُريد، وأنا أعلم بالمِراءِ منك؛ ولكني لا أُماريك.

قال محمد بن الحسين:

١٥١ ـ ألم تسمع ـ رحمك الله ـ إلى ما تقدم ذكرُنا له من قول أبي قِلابة: لا تجالسوا أهل الأهواءِ ولا تجادلوهم، فإني لا آمن أن يغمسوكم في الضلالة، أو يُلَبِّسوا عليكم في الدين بعض ما لُبِّس عليهم.

• أوَ لم تسمع إلى قول الحسن وقد سأله رجل عن مسألة، فقال: تُناظرني في الدِّين؟ فقال له الحسن: أمَّا أنا فقد أبصرتُ ديني، فإن كنتَ أنت أضللتَ دينَك فالتَمِسْه.

• ألم تسمع إلى قول عمر بن عبد العزيز: من جعل دينه غرضًا للخصومات أكثر التنقُّل.

قال محمد بن الحسين رحمه الله:

فمن اقتدى بهؤلاء الأئمة سَلِمَ له دينه إن شاءَ الله تعالى.

١٥٢ ـ فإن قال قائل:

فإن اضطرني الأمر وقتًا من الأوقات إلى مُناظرتهم، وإثبات الحُجَّة عليهم ألا أُناظرهم؟

قيل له: الاضطرار إنما يكون مع إمامٍ له مذهب سُوء، فيَمتحنُ الناسَ ويدعوهم إلى مذهبه، كفعل من مضى في وقت أحمد بن حنبل:

ثلاثة خُلفاءَ امتحنوا الناس[١]، ودعوهم إلى مذهبهم السُّوء، فلم يجد العلماء بُدًّا من الذبِّ عن الدين، وأرادوا بذلك معرفةَ العامةِ الحقَّ من الباطل، فناظروهم ضرورة لا اختيارًا، فأثبت الله تعالى الحقّ مع أحمد بن حنبل ومن كان على طريقته، وأذلَّ الله تعالى المُعتزلة[٢] وفضحهم، وعرفت العامة أن الحقَّ ما كان عليه أحمد ومن تابعه إلى يوم القيامة.

وأرجو أن يُعيذ الله الكريم أهل العلم من أهل السُّنة والجماعة من محنة تكون أبدًا.

١٥٣ ـ وبلغني عن المُهتدي رَحِمَهُ اللهُ أنه قال: ما قطع أبي ـ يعني: الواثق ـ إلَّا شيخ جيءَ[٣] به من المِصِّيصة[٤]، فمكث في السجن مُدَّة، ثم إن أبي ذكره يومًا، فقال: عليَّ بالشيخ، فأُتي به مُقيَّدًا، فلما أُوقف بين يديه سلَّم، فلم يَرُدّ عليه السلام، فقال له الشيخ: يا أمير المؤمنين، ما استعملتَ معي أدب الله تعالى، ولا أدب رسوله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء: ٨٦]، وأمر النبي ﷺ بردِّ السلام.

---

(١) وهم: المأمون، والمعتصم، والواثق، ثم خلفهم المتوكل رَحِمَهُ اللهُ، فرفع الله تعالى بسببه محنة خلق القرآن، ونصر به السُّنة.

(٢) قال حرب الكرماني رَحِمَهُ اللهُ في «عقيدته» (٩٤): و(المعتزلة): وهم يقولون بقولِ القدريةِ، ويدينون بدينهم، ويُكذِّبون بعذابِ القبرِ، والشفاعةِ، والحوضِ، ولا يرون الصلاةَ خلفَ أحدٍمن أهلِ القبلةِ، ولا الجمعةَ؛ إلَّا مَن كان على مثلِ رأيهم وهواهم، ويزعمون أن أعمالَ العبادِ ليست في اللوحِ المحفوظِ. اهـ.

(٣) في الهامش: (جاء به) خـ.

(٤) في «معجم البلدان» (٥/ ١٤٥): وهي مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم، تقارب طرسوس... وكانت من مشهور ثغور الإسلام، قد رابط بها الصالحون قديمًا. اهـ.

فقال له: وعليك السلام. ثم قال لابن أبي دؤاد[١]: سَله.

فقال يا أمير المؤمنين: أنا محبوسٌ مُقيَّدٌ، أُصلي في الحبس بتيممٍ، مُنعت الماءَ، فمُر بقيودي تُحلّ، ومُر لي بماءٍ أتطهر وأُصلي، ثم سلني.

قال: فأمر، فحُلَّ قيده، وأمر له بماءٍ، فتوضَّأ وصلى، ثم قال: لابن أبي دؤاد: سَله.

فقال الشيخ: المسألة لي، تأمره أن يجيبني.

فقال: سل.

فأقبل الشيخ على ابن أبي دؤاد، فقال: أخبرني عن هذا الذي تدعو الناس إليه، أشيءٌ دعا إليه رسول الله ﷺ؟ قال: لا.

قال: فشيءٌ دعا إليه أبو بكر الصديق بعده؟ قال: لا.

قال: فشيءٌ دعا إليه عمر بن الخطاب بعدهما؟ قال: لا.

قال: فشيءٌ دعا إليه عثمان بن عفان بعدهم؟ قال: لا.

قال: فشيءٌ دعا إليه علي بن أبي طالب بعدهم؟ قال: لا.

قال[٢]: فشيءٌ لم يدع إليه رسول الله ﷺ، ولا أبو بكر، ولا عمر،

---

(١) قاضي الجهمية في عصره، وهو الذي نشر مذهبهم، جالس المأمون، وزيَّن له امتحان الناس بخلق القرآن، وولي القضاء للمعتصم والواثق، وقد أجمع أهل السنة على كفره وخروجه عن دين الإسلام، هلك سنة (٢٤٠هـ).
- جاء في «طبقات الحنابلة» (١/ ٣٥٤) قال الحسن بن ثواب: قلت لأحمد: هؤلاء الذين يقولون: القرآن مخلوق؟ قال: كفارٌ بالله العليِّ العظيم.
قلتُ: فابن أبي دُؤادٍ؟ قال: كافرٌ بالله.
وانظر بعض أخباره في «السُّنة» للخلال (٧٨/ ذكر ابن أبي دؤاد وأصحابه الفُسَّاق).
- وفيه (١٧٤٨) قال أحمد بن حنبل - وذكر ابن أبي دؤاد -، فقال: حشا اللهُ قبره نارًا.

(٢) في الهامش: (الشيخ) خ.

ولا عثمان، ولا علي ﵃، تدعو إليه[١]؟! ليس يخلو أن تقول: علموه أو جهلوه؟

فإن قلت: علموه، وسكتوا عنه، وسعنا [١٤/أ] وإياك[٢].

وإن قلت: جهلوه وعلمته أنا، فيا لُكَعُ بن لُكع[٣]، يجهل النبي ﷺ والخلفاءُ الراشدون ﵃ شيئًا تعلمه أنت وأصحابك؟

قال المهتدي: فرأيت أبي وثب قائمًا ودخل الحِبزّي[٤]، وجعل ثوبه في فِيه، يضحك، ثم جعل يقول: صَدَقَ، ليس يخلو من أن نقول: جهِلوه، أو علموه؟ فإن قلنا: علموه وسكتوا عنه؛ وسعنا من السكوت ما وسِعَ القوم.

وإن قلنا: جهلوه وعلمته أنت، فيا لُكع بن لُكع، يجهل النبي ﷺ وأصحابه شيئًا تعلمه أنت وأصحابك؟

ثم قال: يا أحمد[٥].

قلت: لبيك.

قال: لست أعنيك، إنما أعني ابن أبي دؤاد، فوثب إليه.

---

(١) في الأصل: (تدعو الناس أنت إليه)، ووضع فوق (الناس أنت) علامة الحذف.

(٢) في الأصل: (وسعنا وإياك ما وسع القوم من السكوت)، ووضع فوق: (ما وسع القوم من السكوت) علامة الحذف.

(٣) في «النهاية» (٢٦٨/٤): (اللكع) عند العرب: العبد، ثم استعمل في الحمق والذم.. وأكثر ما يقع في النداء، وهو اللئيم. وقيل: الوسخ، وقد يطلق على الصغير.. فإن أطلق على الكبير أريد به الصغير العلم والعقل.اهـ.

(٤) كتب في الهامش: (الحبري)، وأشار إليها بأنها في نسخة.

(٥) كتب فوقها: (يا محمد) خ.

فقال: أعط هذا الشيخ نفقة، وأخرجه عن بلدنا.

قال محمد بن الحسين:

١٥٤ ـ وبعد هذا فآمُرُ بحفظ السُّنن عن رسول الله ﷺ، وسُنن أصحابه ﵃، والتابعين لهم بإحسان، وقول أئمة المسلمين، مثل: مالك بن أنس، والأوزاعي، وسفيان الثوري، وابن المُبارك وأمثالهم، والشافعي، وأحمد بن حنبل، والقاسم بن سلَّام، ومن كان على طريقة هؤلاءِ من العلماء، وينبذ من سواهم، ولا يُناظر، ولا يُجادل، ولا يُخاصم، وإذا لقي صاحب بدعةٍ في طريق؛ أخذ في غيره، وإن حضر مجلسًا هو فيه؛ قام عنه، هكذا أدَّبنا من مضى من سلفنا[1].

---

(١) قال اللالكائي ﵀ في «اعتقاد أهل السُّنة» (٩/بتحقيقي): فما جني على المسلمين جناية أعظم من مناظرة المبتدعة، ولم يكن لهم قهرٌ ولا ذلٌّ أعظم مما تركهم السلف على تلك الجملة يموتون من الغيظ كمدًا ودَرَدًا، ولا يجدون إلى إظهار بدعتهم سبيلًا، حتى جاء المغرورون ففتحوا لهم إليها طريقًا، وصاروا لهم إلى هلاك الإسلام دليلًا، حتى كثرت بينهم المشاجرة، وظهرت دعوتهم بالمناظرة، وطرقت أسماع من لم يكن عرفها من الخاصة والعامة، حتى تقابلت الشُّبه في الحجج، وبلغوا من التدقيق في اللجج، فصاروا أقرانًا وأخدانًا، وعلى المداهنة خلانًا وإخوانًا، بعد أن كانوا في الله أعداءً وأضدادًا، وفي الهجرة في الله أعوانًا، يكفرونهم في وجوههم عيانًا، ويلعنونهم جهارًا، وشتان ما بين المنزلتين، وهيهات ما بين المقامين. ونسأل الله أن يحفظنا من الفتنة في أدياننا، وأن يمسكنا بالإسلام والسُّنة، ويعصمنا بهما بفضله ورحمته. اهـ.

ـ وفي «رياض النفوس» (١/ ٢٠٤) قال بعض أصحاب البهلول بن راشد: كنت يومًا جالسًا عنده ومعه رجلٌ عليه لباس حسن وهيئة، فقال له البهلول: أحبُ أن تذكر لي ما تحتجّ به القدرية، فسكت الرَّجُلُ حتى تفرَّقَ النّاس، ثم قال له: يا أبا عمرو، إنك سألتني عما تحتج به القدرية، وهو كلام تصحبه الشَّياطين؛ لأنه سلاح من سلاحهم، فتزينه في قلوب العامة، وفي مجلسك من =

١٥٥ - حدثنا الفريابي، قال: ثنا أبو الأصبغ عبد العزيز بن يحيى الحراني، قال: ثنا أبو إسحاق الفزاري، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، قال: إذا لقيتَ صاحبَ بدعةٍ في طريقٍ فخذ في غيره.

١٥٦ - وحدثنا الفريابي، قال: ثنا قتيبة بن سعيد، قال: ثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن أبي قِلابة أنه كان يقول: إنّ أهلَ الأهواءِ أهلُ الضلالةِ، ولا أرى مصيرَهم إلَّا إلى النار.

١٥٧ - وحدثنا الفريابي، قال: ثنا إبراهيم بن عثمان المِصِّيصي، قال: ثنا مخلد بن الحسين، عن هشام بن حسَّان، عن الحسن، قال: صاحب بدعةٍ لا تُقبل له صلاة، ولا صيام، ولا حج، ولا عمرة، ولا جهاد، ولا صرف ولا عدل[1].

لا يفهم ما أتكلّم به من ذلك، فلا آمن أن يحلو بقلبه منه شيء، فيقول: سمعت هذا الكلام في مجلس البهلول.

فقال له: والله لأقبِّلنَّ رأسك، أحييتني أحياك الله.

(١) في «الإبانة الصُغرى» (١٥٠) نحوه، وزاد: إنما مَثَلُ أحدهم كمثلِ رجلٍ أرادَ سفرًا هاهنا، فأخذَ هاهنا فهل يزدادُ مِن وجهِه الذي أرادَه إلَّا بُعدًا؟! فكذلك المبتدعُ إذ لا يزدادُ بما يتقرَّبُ به إلى الله ﷻ إلَّا بُعدًا.

قلت: اتفق أهل السُّنة على عدم قبول أعمال أهل البدع. وأقوالهم في ذلك كثيرة مبسوطة في كتب السُّنة والآثار، وهي مروية عن: الأوزاعي، والفضيل بن عياض، وأسد بن موسى، وأيوب السختياني، وابن عون، وهشام بن حسان، وسفيان الثوري، وغيرهم رحمهم الله.

* انظر: «البدع» لابن وضاح (٦ و٧ و٦٧ و٦٨)، و«شرح اعتقاد أهل السنة» للالكائي (٢٤٨)، و«الحلية» (٨/ ١٠٣)، و«ذم الكلام» (٤٧٧)، و«الإبانة الصغرى» (٤٢).

وقد دلت نصوص الكتاب والسُّنة على صِحَّة هذا القول، من ذلك:

قوله ﷺ في المدينة: «من أحدث فيها حدثًا، أو آوى فيها مُحدثًا؛ فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل». رواه البخاري (٣١٧٢).

١٥٨ ـ وحدثنا الفريابي، قال: ثنا عبد الأعلى بن حماد، قال: ثنا وهيب، قال: حدثني أيوب، عن أبي قِلابة، قال: ما ابتدع رجلٌ بدعة إلَّا استحلَّ السيف[(١)].

ولا يلزم من عدم قبول أعمال أهل البدع تكفيرهم كما يتوهَّمه بعضهم؛ لأن من المُقرَّرِ عند أهل السُّنة أن الأعمال قد تَحْبَط وتُرَدُّ بغير الشرك والكفر.

وقد بيَّن ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب «الصلاة» (ص١٠٩ ـ ١١٣) الأدلة على حبوط الأعمال بغير الردَّة. وقال: فإن قيل: كيف تَحْبَط الأعمال بغير الردَّة.

قيل: نعم، قد دلَّ القرآن، والسُّنة، والمنقول عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أن السيئات تُحبِط الحسنات، كما الحسنات يذهبن السيئات. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢﴾ [الحجرات].

وقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لأم زيد بن أرقم: أخبري زيدًا أنه قد أبطل جهاده مع رسول الله ﷺ إلَّا أن يتوب، لما باع بالعِينة.

وقد نصَّ الإمام أحمد على هذا، فقال: ينبغي للعبد في هذا الزمان أن يستدين ويتزوج؛ لئلا ينظر إلى ما لا يحلُّ؛ فيحبط عمله... إلخ.

- وعن يحيى بن يحيى الليثي رَحِمَهُ اللَّهُ أنه ذكرَ الأعراف وأهله فتوجَّعَ واسترجع، ثم قال: قومٌ أرادوا وجهًا من الخيرِ فلم يصيبوه.

فقيل له: يا أبا محمد، أفيرجى لهم مع ذلك لسعيهم ثواب؟

قال: ليس في خِلافِ السُّنة رَجاء ثواب. «الاعتصام» (١/ ١٩٩).

- قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ في «جامع العلوم والحكم» (١/ ١٥٠):... ارتكاب بعضِ المحرماتِ التي ينقص بها الإيمان تكون مانعةً من قبول بعض الطاعات، ولو كان من بعض أركان الإسلام... كما قال النبي ﷺ: «مَنْ شرِبَ الخمرَ لم يقبل الله له صلاة أربعين يومًا».

وقال: «مَنْ أتى عرَّافًا فصدَّقه بما يقولُ، لم تُقبل له صلاة أربعين يومًا».

وقال: «أيما عبد أبقَ من مواليه، لم تُقْبَلْ له صلاة». اهـ.

(١) تسمية أهل البدع كلهم خوارج مروي عن غير واحدٍ من أئمة السُّنة.

- ففي «القدر» للفريابي (٣٧٥) قال سلام بن أبي مطيع: كان أيوب يسمِّي =

١٥٩ ـ وحدثنا الفريابي، قال: ثنا الحسن بن علي الحلواني بطرسوس سنة ثلاث وثلاثين ومائتين، قال: سمعت مُطرِّف بن عبد الله، يقول: سمعت مالك بن أنس إذا

أصحاب البدع كلهم خوارج، ويقول: إن الخوارج اختلفوا في الاسم، واجتمعوا على السيف.

ـ وفي «القضاء والقدر» (٤٨٢) عن عبد الرحمٰن بن محمد بن القاسم الحسني قال: المعتزلة قعدة الخوارج، عجزوا عن قتال الناس بالسيوف، فقعدوا للناس يقاتلونهم بألسنتهم أو يجاهدونهم.

ـ وفي «السُّنة» لعبد الله (٣٤٥) عن أبي إسحاق الفزاري قال: سمعتُ سُفيان والأوزاعي يقولان: إن قول المرجئةِ يخرجُ إلى السيف.

ـ وسيأتي (٢٢٨٦) قول سفيان الثوري عن المرجئة: وهم يرون السيف على أهل القبلة.

ـ ونحوه قول يوسف بن أسباط رَحِمَهُ اللَّهُ في «السُّنة» لحرب الكرماني (١٩٠).

ـ قال البربهاري رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح السُّنة» (١٣٦): واعلم أن الأهواء كلها رديئة تدعو كلها إلى السيف.

ـ وقد بيَّن ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ سبب كون أهل البدع كلهم يرون السيف، فقال في «المنهاج» (٤/ ٥٣٧): فإنهم يعتقدون رأيًا هو خطأ وبدعة، ويقاتلون الناس عليه، بل يكفِّرون من خالفهم، فيصيرون مخطئين في رأيهم، وفي قتال من خالفهم أو تكفيرهم ولعنهم. وهذه حال عامة أهل الأهواء، كالجهمية الذين يدعون الناس إلى إنكار حقيقة أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، ويقولون: إنه ليس له كلام إلَّا ما خلقه في غيره، وإنه لا يُرى، ونحو ذلك. وامتحنوا الناس لَمَّا مال إليهم بعض ولاة الأمور، فصاروا يعاقبون من خالفهم في رأيهم: إما بالقتل، وإما بالحبس، وإما بالعزل ومنع الرزق.

وكذلك قد فعلت الجهمية ذلك غير مرَّة، والله ينصر عباده المؤمنين عليهم.

والرافضة شرٌّ منهم: إذا تمكَّنوا فإنهم يوالون الكفار وينصرونهم، ويعادون من المسلمين كل من لم يوافقهم على رأيهم. وكذلك من فيه نوع من البدع: إما من بدع الحلولية: حلولية الذات أو الصفات، وإما من بدع النفاة أو الغلو في الإثبات، وإما من بدع القدرية أو الإرجاء أو غير ذلك ـ تجده يعتقد اعتقادات فاسدة، ويكفر من خالفه أو يلعنه. والخوارج المارقون أئمة هؤلاء في تكفير أهل السُّنة والجماعة وفي قتالهم. اهـ.

ذُكِرَ عنده الزائغون في الدين يقول: قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ: سَنَّ رسولُ الله ﷺ وولاةُ الأمرِ مِنْ بعدِه[1] سُننًا، الأخذُ بها اتباعٌ لكتاب الله، واستكمالٌ لطاعة الله، وقوَّةٌ على دين الله، ليس لأحدٍ من الخلق تغييرُها ولا تبديلُها، ولا النظرُ في شيءٍ خالفها، من اهتدى بها فهو مهتدٍ، ومن استنصرَ بها فهو منصور، ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولّاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم وساءَت مصيرًا.

قال محمد بن الحسين:

١٦٠ ـ فإن قال قائل:

هذا الذي ذكرتَه وبيَّنتَه قد عرفناه، فإذا لم تكن مناظرتنا في شيءٍ من الأهواءِ التي ينكرها أهل الحقّ، ونُهينا عن الجدال والمراءِ والخصومة، فإن كانت مسألة من الفقه في الأحكام، مثل: الطهارة، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والنكاح، والطلاق، وما أشبه ذلك من الأحكام، هل لنا مباحٌ أن نُناظر فيه ونُجادل، أم هو محظورٌ علينا؟ عرِّفنا ما يلزم فيه كيف السلامة منه؟

قيل له: هذا الذي ذكرته ما أقلَّ مَنْ يسلمُ من المُناظرة فيه، حتى لا يلحقه فيه فتنةٌ ولا مأثم، ولا يظفر فيه الشيطان.

فإن قال: كيف؟

قيل له: هذا قد كثُرَ في الناسِ جدًّا في أهل العلم والفقه في كل بلدٍ يناظر الرجل الرجل يريد مُغالبته، ويعلو صوته، والاستظهار عليه بالاحتجاج، فيَحْمَرَّ لذلك وجهه، وتنتفخ أوداجه[2]، ويعلو صوته، وكل واحدٍ منهما يُحب أن يُخطِئَ صاحبُه، وهذا المراد من كلِّ واحدٍ منهما

---

(١) وفي هامش الأصل: (وولاة الأمر بعده) خه.

(٢) في «الصحاح» (١/ ٣٤٧): الوَدَج والوِداج: عِرقٌ في العُنُق، وهما وَدَجانِ.

خطأ عظيم، لا تُحمد عواقبه، ولا يحمده العلماء من العقلاء؛ لأن مُرادك أن يُخطئ مناظرك: خطأٌ منك، ومعصيةٌ عظيمة، ومُراده أن تُخطئ: خطأ منه ومعصية، فمتى يسلم الجميع؟!

فإن قال[(١)]: فإنما نُناظر لتخرُجَ لنا الفائدة. [١٤/ب]

قيل له: هذا كلام ظاهر، وفي الباطن غيره.

وقيل له: إذا أردت وجه السلامة في المُناظرة لطلب الفائدة كما ذكرت، فإذا كنت أنت حِجازيًّا، والذي يناظرك عراقيًّا، وبينكما مسألة، تقول أنت: حلالٌ، ويقول هو: بل حرامٌ، فإن كنتما تريدان السلامة، وطلب الفائدة، فقل له: رحمك الله، هذه المسألة قد اختلف فيها من تقدَّم من الشيوخ، فتعال حتى نتناظر فيها مُناصحةً لا مُغالبة، فإن يكن الحقّ فيها معك؛ اتبعتك، وتركتُ قولي، وإن يكن الحق معي؛ اتبعتني، وتركت قولك، لا أُريد أن تخطئ ولا أُغالبك، ولا تريد أن أُخطئ، ولا تُغالبني، فإن جرى الأمر على هذا فهو حسن جميل، وما أعزَّ هذا في الناس.

فإذا قال كل واحدٍ منهما: لا نُطيقُ هذا، وصَدَقا عن أنفسهما.

قيل لكلٍّ واحدٍ منهما: قد عرفت قولك، وقول صاحبك، وأصحابك واحتجاجهم، وأنت فلا ترجع عن قولك، وترى أن خصمك على الخطإ، وقال خصمُك كذلك؛ فما بكما إلى المُجادلة والمراءِ والخصومة حاجة إذا كان كل واحدٍ منكما ليس يريد الرجوع عن مذهبه، وإنما مراد كل واحد منكما أن يخطئ صاحبه، فأنتما آثمان بهذا المراد، أعاذ الله العلماء العقلاءَ عن مثل هذا المراد.

فإذا لم تجرِ المُناظرة على المُناصحة؛ فالسكوت أسلم، قد عرفت

(١) في الهامش: (قائل) خه.

ما عندك وما عنده، وعرف ما عنده وما عندك، والسلام.

ثم لا نأمن أن يقول لك في مُناظرته: قال رسول الله ﷺ.

فتقول: هذا حديثٌ ضعيف، أو تقول: لم يقُله النبي ﷺ.

كل ذلك لتردَّ قوله، وهذا عظيم.

وكذلك يقول لك أيضًا، فكل واحدٍ منكما يردُّ حُجَّة صاحبه بالمُجازفة[١] والمُغالبة، وهذا موجود في كثير ممن رأينا يُناظر ويُجادل، حتى رُبما خَرُقَ بعضُهم على بعض، هذا الذي خافه النبي ﷺ على أُمَّته، وكرهه العلماءُ ممن تقدَّم، والله أعلم[٢].

---

(١) يقال لمن يرسل كلامه إرسالًا من غير قانون: جازف في كلامه. «الصحاح» (١/ ٩٩).

وفي هامش الأصل، و(ب): (بالمُخارقة) خ.

وفي «النهاية» (٢/ ٢٦): الخُرْق بالضم: الجَهلُ والحُمقُ.

(٢) أطال ابن بطة رَحِمَهُ اللهُ في «الإبانة الكبرى» (٧٢٣) الكلام عن الجدال والمناظرة في أبواب الفقه والأحكام، وذكر أنها تُبنى على ثلاثة أصول، فقال:

فالذي يلزم المسلمين في مجالسهم ومناظراتهم في أبواب الفقه والأحكام:

أ ـ تصحيح النية بالنَّصيحة.

ب ـ واستعمال الإنصاف والعدل.

ج ـ ومراد الحق الذي به قامت السموات والأرض.

ثم أطال شرحها، فقال في ذلك (بشيء من الاختصار): فمن النصيحة: أن تكون تُحبُّ صواب مناظِرك، ويسوؤك خَطَؤه، كما تُحِبُّ الصواب من نفسِك، ويسوؤك الخطأ منها. فإنك إن لم تكن هكذا كنت غاشًا لأخيك، ولجماعة المسلمين، وكنت مُحبًا أن يُخطأ في دين الله، وأن يُكذَبَ عليه، ولا يُصاب الحقُّ في الدين ولا يُصدَّق.

فاعلم ـ يا أخي ـ أن من كَرِه الصواب من غيره، ونصر الخطأ من نفسه: لم يؤمن عليه أن يَسلُبَه الله ما علَّمه، ويُنسيَه ما ذكَره، بل يُخاف عليه أن =

١٤ - باب

ذكر النهي عن المِراءِ في القرآن(١)

يَسلُبَه الله إيمانه؛ لأن الحقَّ رسولٌ من الله إليك افترض عليك طاعته، فمن سمع الحقَّ فأنكره بعد علمه له: فهو من المُتكبِّرين على الله، ومن نصر الخطأ: فهو من حزب الشيطان.

والذي يظهر من أهل وقتنا أنهم يُناظرون مُغالبةً لا مُناظرة، ومُكايدةً لا مُناصحةً، ولربما ظهر من أفعالهم ما قد كَثُرَ وانتشر في كثير من البلدان.

فمما يظهر من قبيح أفعالهم وما يبلغ بهم حب الغلبة ونصرة الخطأ: أن تَحْمَرَّ وجوههم، وتَدُرَّ عروقهم، وتنتفخ أوداجهم، ويسيل لعابُهم، ويزحف بعضهم إلى بعض، حتى ربما لعن بعضهم بعضًا، ورُبما بزق بعضهم على بعض، ورُبما مدَّ أحدهم يده إلى لحية صاحبه.

ولقد رأيت المُناظرين في قديم الزمان وحديثه: فما رأيتُ ولا حُدِّثتُ، ولا بلغني أن مُختلِفَينِ تناظرا في شيءٍ ففَلَجَتْ حُجَّةُ أحدِهما وظهر صوابُه، وأخطأ الآخر وظهر خطأه، فرجع المُخطئ عن خطئه، ولا صبَا إلى صواب صاحبه، ولا افترقا إلَّا على الاختلاف والمُباينة، وكل واحدٍ منهما مُتمسِّكٌ بما كان عليه، ولرُبما علم أنه على الخطأ، فاجتهد في نُصرته. وهذه أخلاق كلها تُخالف الكتاب والسُّنة، وما كان عليه السَّلف الصالح من علماء الأُمَّة.

سمعت بعض شيوخنا يقول: المُجالسة للمُناصحةِ فتحُ باب الفائدة، والمُجالسة للمُناظرةِ غلقُ بابِ الفائدة.اهـ.

(١) عقد ابن بطة رحمه الله في «الإبانة الكبرى» بابًا نحوه، فقال: (١٥/باب النهي عن المراء في القرآن)، والهروي في «ذم الكلام» (٦/باب تغليظ المصطفى ﷺ في الجدال في القرآن، وتحذيره أهله). و(٧/باب في تعظيم المُصطفى ﷺ الجدال في القرآن، ونهيه عنه).

١٦١ ـ حدثنا أبو بكر بن أبي داود السجستاني، قال: ثنا أبو الطاهر أحمد بن عمرو، قال: أنا ابن وهب، قال: أخبرني سليمان بن بلال، عن محمد بن عَمرو، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «مِراءٌ في القرآنِ كُفرٌ»(١).

١٦٢ ـ حدثنا أبو حفص عمر بن أيوب السقطي، قال: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: ثنا يحيى بن يعلى التيمي، عن منصور، عن سعد بن إبراهيم، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «المِراءُ في القرآن كفر».

١٦٣ ـ حدثنا الفريابي، قال: ثنا محمد بن عبيد بن حِسَابٍ(٢)، قال: ثنا حماد بن زيد، قال: ثنا أبو عمران الجَوْني، قال: كتب إليَّ عبد الله بن رباح الأنصاري: إني سمعت عبد الله بن عَمرو يقول: هَجَّرْتُ(٣) إلى رسول الله ﷺ يومًا إذ سمع صوتَ رجلين اختلفا في آيةٍ من القرآن، فخرج علينا رسول الله ﷺ يُعرف في وجهه الغضبُ، فقال: «إنما هَلك مَنْ كان قبلَكم باختلافهم في الكتاب»(٤).

١٦٤ ـ حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، قال: ثنا زهير بن محمد المروزي، قال: أنا عبد الرزاق، قال: أنا معمر، عن الزهري، عن عَمرو بن شعيب، عن أبيه، عن عبد الله بن عَمرو رضي الله عنهما، قال: سمع رسول الله ﷺ قومًا يتدارؤون

ـ قال الأزهري رحمه الله في «تهذيب اللغة» (١٥/ ٢٠٤) وهو يتكلم عن المراء: أصله في اللغة: الجدال وأن يستخرج الرجل من مناظره كلامًا ومعاني الخصومة وغيرها، من مريت الشاة، إذا حلبتها واستخرجت لبنها. اهـ.

(١) رواه أحمد (٧٨٤٨ و١٠٥٣٩)، وأبو داود (٤٦٠٣)، وهو حديث صحيح. والحديث وقع فيه خلاف بيَّنه الدارقطني في «علله» (٩/ ٣١٥ و٣١٦).

(٢) في الأصل: (حسَّان)، وفي الهامش: (حِسَابٍ) خ، وهو الصواب.

(٣) في «النهاية» (٢/ ٢٤٦): (التهجير): التبكير إلى كل شيء، والمبادرة إليه.

(٤) رواه مسلم (٢٦٦٦).

في القرآن(١)، فقال: «إنما هلك من كان قبلكم بهذا؛ ضربوا كتابَ الله ﷻ بعضَه ببعضٍ، وإنما كتابُ الله يُصدِّق بعضُه بعضًا، فلا تُكذِّبوا بعضَه ببعض، فما علمتم منه فقولوا به، وما جَهِلْتم فكِلوه إلى عالمِه»(٢).

١٦٥ - حدثنا عمر بن أيوب السقطي، قال: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: ثنا عبد الله بن نُمير، قال: ثنا موسى بن عبيدة، قال: أنا عبد الله بن يزيد، عن عبد الرحمن بن ثوبان، عن عبد الله بن عَمرو رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «دعوا المِراءَ في القرآن، فإن الأُمم قبلكم لم يُلعنوا حتى اختلفوا في القرآن، وإن المِراءَ(٣) في القرآن كفر»(٤).

---

(١) أي: يختلفون فيه ويتدافعون. «النهاية» (٢/ ١٠٩).
(٢) رواه عبد الرزاق (٢٠٣٦٧)، وأحمد (٦٧٤١)، وابن ماجه (٨٥)، وهو حديث صحيح.
- قال البخاري رحمه الله في «خلق أفعال العباد» (٢٣١): وكلُّ من اشتَبه عليه شيءٌ فنَوْله: أن يَكِلَه إلى عالمه، كما قال عبد الله بن عَمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ: «وما أشكل عليكم فكِلوه إلى عالمه»، ولا يدخل في المتشابهات إلَّا ما بُيِّن له. اهـ.
- قال ابن تيمية رحمه الله في «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ١٦٣): هذا حديث محفوظ عن عمرو بن شعيب رواه عنه الناس، ورواه ابن ماجه في «سننه» من حديث أبي معاوية، كما سقناه.
وقد كتب أحمد في رسالته إلى المتوكل هذا الحديث، وجعل يقول لهم في مناظرته يوم الدار: إنا قد نُهينا أن نضرب كتاب الله بعضه ببعض، وهذا لعلمه رحمه الله بما في خلاف هذا الحديث من الفساد العظيم. اهـ.
- قال أبو الفتح المقدسي في «مختصر الحُجة» (٥١٠) مُعلقًا على هذا الحديث: وفي هذا كفاية ومَقْنَع من أمر الرسول ﷺ باتباع ما أمر به الشرع، وترك ما عداه من البدع والضلالات، وتحريم الكلام فيما سوى ذلك لخروجه عن أوامر الشرع ونواهيه. اهـ.
(٣) في الهامش: (وإن مراء) خ.
(٤) رواه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٨٤٠)، والهروي في «ذم الكلام» (٤٨)، =

١٦٦ ـ وحدثنا أبو بكر ابن عبد الحميد، قال: ثنا زُهير بن محمد، قال: ثنا عبد الله بن المبارك، قال: ثنا سويد أبو حاتم، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبي أُمامة رضي الله عنه، قال: بَيْنَا[(١)] نحن نتذاكر عند باب رسول الله ﷺ القرآن، ينزِعُ هذا بآيةٍ[(٢)]، وهذا بآيةٍ، فخرج[(٣)] رسول الله ﷺ وكأنما صُبَّ على وجهه الخلّ، فقال: «يا هؤلاءِ، لا تضربوا كتابَ الله بعضَه [١٥/ب] ببعضٍ، فإنه لم تَضلّ أُمة إلّا أُوتوا الجدلَ»[(٤)].

قال محمد بن الحسين رحمه الله:

١٦٧ ـ فإن قال قائل: عرِّفنا هذا المِراءَ الذي هو كفرٌ، ما هو؟

قيل له:

نزل القرآن على رسول الله ﷺ على سبعة أحرف، ومعناها: على سَبعِ لُغات[(٥)]، فكان رسول الله ﷺ يُلقِّنُ كل قبيلةٍ من العرب القرآن على

وفي إسناده: موسى بن عبيدة؛ ضعيف الحديث كما تقدم برقم (٦٠).

(١) كتب فوقها: (بينما) خ.

(٢) أي: يجذب هذا بآية وهذا بآية، ويستدل هذا بآية وهذا بآية.

(٣) في هامش الأصل: (علينا) خ.

(٤) رواه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٥٥٣ و٨٤٣). وفي إسناده: سويد بن إبراهيم، قال ابن عدي في «الكامل» (٤/ ٤٨٩): هو إلى الضعف أقرب.

(٥) وبهذا التفسير فسَّره أبو عبيد القاسم بن سلَّام رحمه الله في «غريب الحديث» (٢/ ٦٤٢)، فقال: قوله: «سبعة أحرف»، يعني: سبع لغات من لغات العرب، وليس معناه: أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه، هذا لم يسمع به قطُّ؛ ولكن يقول: هذه اللُّغات السبع متفرِّقةٌ في القرآن: فبعضه نزل بلغة قريش، وبعضه بلغة هوازن، وبعضه بلغة هُذيلٍ، وبعضه بلغة أهل اليمن. وكذلك سائر اللُّغات، ومعانيها في هذا كلِّه واحدةٌ.

وممَّا يبيِّن لك ذلك قول ابن مسعود رضي الله عنه. . . : إنِّي قد سمعت القراءة، فوجدتهم مُتقاربين، فاقرؤوا كما علِّمتم، إنما هو كقول أحدكم: هلمَّ، وتعال. وكذلك قال ابن سيرين: إنما هو كقولك: هلمَّ، وتعال، وأقبل. ثمَّ فسَّره =

حسب ما يحتمل من لغتهم، تخفيفًا من الله تعالى بأُمة محمد ﷺ، فكانوا رُبما إذا التقوا يقول بعضهم لبعضٍ: ليس هكذا القرآن، وليس هكذا علمنا رسول الله ﷺ، ويعيب بعضهم قراءة بعض، فنهوا عن هذا وقيل لهم: اقرءوا كما عُلِّمتم، ولا يجحد بعضكم قراءة بعض، واحذروا الجِدال[1] والمراءَ فيما قد تعلمتم.

والحُجَّة فيما قلنا ما:

١٦٨ ـ حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد، قال: ثنا أبو هشام محمد بن يزيد الرِّفاعي، قال: ثنا أبو بكر بن عياش، قال: ثنا عاصم، عن زِر، عن عبد الله ﷺ، قال: قلت لرجل: أقرئني من (الأحقاف) ثلاثين آيةً، فأقرأني خلاف ما أقرأني رسول الله ﷺ، قلت لآخر: أقرئني من (الأحقاف) ثلاثين آية، فأقرأني خلاف ما أقرأني الأول، وأتيت بهما النبي ﷺ فغضب، وعلي بن أبي طالب ﷺ عنده جالس، فقال عليٌّ ﷺ: قال لكم: «اقرؤوا كما عُلِّمتم»[2].

١٦٩ ـ وحدثنا ـ أيضًا ـ، أبو محمد بن صاعد، قال: ثنا أحمد بن سنان

ابن سيرين، فقال: في قراءة ابن مسعود ﷺ: (إن كانت إلَّا زقيةً واحدَة) وفي قراءتنا: (إن كانت إلَّا صيحةً واحدةً). والمعنى فيهما واحد. وعلى هذا سائر اللُّغات. اهـ.

قلت: وفي تحديد معنى الأحرف السبعة خلاف كبير بين العلماء ليس هاهنا مكان بسطه.

(١) وفي نسخة: (الجدل) خه.

(٢) رواه أبو يعلى (٥٣٦)، وعبد الله بن أحمد في «زوائده على المسند» (٨٣٢)، ولفظه: فقال عليٌّ ﷺ: إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تقرؤوا كما عُلِّمتم. وإسناده حسن.

ورواه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٨٥١).

القطان، قال: ثنا يزيد بن هارون، قال: أنا شريك، عن عاصم، عن زِرٍّ، عن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: أقرأني رسول الله ﷺ سورة، فدخلت المسجد فقلت: أفيكم من يقرأ؟ فقال رجل من القوم: أنا أقرأ فقرأ السورة التي أقرأنيها رسول الله ﷺ، فإذا هو يقرأ بخلاف ما أقرأني رسول الله ﷺ، فانطلقنا إلى رسول الله ﷺ أنا والرجل، وإذا عنده عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فقلنا: يا رسول الله، اختلفنا في قراءتنا، فتغيَّر وجه رسول الله ﷺ، فقال عليٌّ رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ يقول: «إنما هَلَكَ مَنْ كان قبلَكم بالاختلاف، فليقرأ كل رجلٍ منكم ما أُقرِئَ»(١).

١٧٠ ـ **وأخبرنا** إبراهيم بن موسى الجَوزي، قال: ثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: أنا مالك بن أنس، عن الزهري، عن عُروة، عن عبد الرحمن بن عبدٍ القَارِيِّ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفُرقان في الصلاة على غير ما أقرؤُها، وكان رسول الله ﷺ أقرأنيها، فأخذت بثوبه، فذهبت به إلى رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأتنيها، فقال: «اقرأ»، فقرأ القراءة التي سمعتها منه، فقال: «هكذا أُنزِلَ، إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرفٍ، فاقرءوا ما تيسَّر منه»(٢).

---

(١) رواه أحمد (٣٩٩٢).

ورواه البخاري (٢٤١٠) من طريق شعبة، عن عبد الملك بن ميسرة، قال: سمعت النزَّال بن سبرة، قال: عن عبد الله رضي الله عنه يقول: سمعت رجلًا قرأ آية، سمعت من النبي ﷺ خلافها، فأخذت بيده، فأتيت به رسول الله ﷺ فقال: «كلاكما مُحسنٌ».

قال شعبة: أظنه قال: «لا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا».

(٢) رواه البخاري (٢٤١٩)، ومسلم (٨١٨).

❁ قال محمد بن الحسين:

١٧١ ـ فصار المِراءُ في القرآن كُفرًا بهذا المعنى؛ يقول هذا: قراءتي أفضل من قراءتك.

ويقول الآخر: بل قراءتي أفضل من قراءتك.

ويُكذِّب بعضهم بعضًا، فقيل لهم: ليقرأْ كل إنسانٍ كما عُلِّم، ولا يعب بعضكم قراءة غيره، واتقوا الله، واعملوا بمُحكمه، وآمنوا بمُتشابهه، واعتبروا بأمثاله، وأحلُّوا حلاله، وحرِّموا حرامه[1].

---

(١) قال أبو عُبيد رَحِمَهُ اللهُ في «غريب الحديث» (٢/ ١١): «لا تماروا في القرآن، فإن مِراء فيه كفر»: ليس وجه الحديث عندنا على الاختِلاف في التأويل؛ ولكنه عندنا على الاختلاف في اللفظ، أن يقرأ الرجل القراءة على حرفٍ، فيقول له الآخر: ليس هو هكذا، ولكنه كذا، على خلافه، وقد أنزلهما الله جميعًا. يُعلمُ ذلك في حديث النبي ﷺ أنه قال: «إن القرآن نزل على سبعة أحرفٍ، كل حرفٍ منها شافٍ كافٍ».

ومنه حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إياكم والاختلاف والتنطع، فإنما هو كقول أحدكم: هَلُمَّ وتعال.

فإذا جحد هذان الرجلان كل واحدٍ منهما ما قرأ صاحبه لم يُؤمَن أن يكون ذلك قد أخرجه إلى الكفر لهذا المعنى. اهـ.

وذكر ابن بطة رَحِمَهُ اللهُ في «الإبانة الكبرى» (٨٤٧) نحوًا مما ذكره المُصنف، فقال:

فالمِراءُ في القرآن المكروهُ الذي نهى عنه رسول الله ﷺ، ويُتخوَّف على صاحبه الكفر والمروق عن الدين ينصرف على وجهين:

١ ـ أحدهما: قد كان وزال وكفى المؤمنين مؤونته، وذلك بفضل الله ورحمته، ثم بجمع عثمان بن عفان رضي الله عنه الناسَ كلَّهم على إمام واحدٍ باللغات المشهورة المعروفة.. فهذا أحد الوجهين من المِراء الذي هو كفرٌ قد ارتفع ذلك والحمد لله، وجَمعَ الله الكريم المسلمين على الإمام الذي أجمع المسلمون من الصحابة والتابعين على صحته وفصاحة لغاته، وهو المصحف =

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٧٢ ـ وقد ذكرت في تأليف كتاب «المصحف»[(١)]، مُصحف عثمان بن عفان ﷺ الذي أجمعت عليه الأُمة والصحابة ﷺ، ومن بعدهم من التابعين، وأئمة المسلمين في كل بلدٍ، وقول السبعة الأئمة في القرآن ما فيه كفاية، ولم أُحبَّ تَردادَه هاهنا، وإنما مُرادي هاهنا ترك الجدل والمراءِ في القرآن، فإنا قد نُهينا عنه، ولا يقول إنسان في القرآن برأيه، ولا يُفسِّر القرآن إلّا ما جاءَ به النبي ﷺ، أو عن أحدٍ من الصحابة، أو عن أحدٍ من التابعين، أو عن إمامٍ من أئمة المسلمين، ولا يُماري ولا يُجادل.

الذي جمع عثمان بن عفان ﷺ المسلمين عليه وترك ما خالفه، وذلك باتفاق من المهاجرين والأنصار. ـ ثم ذكر الأحاديث نحوًا مما ذكره المُصنف ـ.

٢ ـ قال: وقد بقي الذي يحذره المؤمنون، ويتوقاه العاقلون، وهو المِراء الذي بين أصحاب الأهواء وأهل المذاهب والبدع، وهم الذين يخوضون في آيات الله، ويتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله الذي لا يعلمه إلّا الله والراسخون في العلم، يتأولونه بأهوائهم، ويُفسِّرونه بأهوائهم، ويحملونه على ما تحمله عقولهم فيَضِلّون بذلك، ويُضلون من اتبعهم عليه.

ثم أسند عن ابن عباس ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال في القرآن بغيرِ علمٍ؛ فليتبوَّأ مقعده من النار».

ـ وبإسناده عن الحسن قال: من فسَّر آيةً من القرآن برأيه فأصاب لم يُؤجر، وإن أخطأ مُحيَ نور تلك الآية من قلبه.

ـ وبإسناده عن محمد بن علي ابن الحنفية قال: لا تُجالسوا أصحاب الخصومات؛ فإنهم الذين يخوضون في آيات الله.

قال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فالمراء في القرآن، والخصومة فيه، والتعاطي لتأويله بالآراء والأهواء لإقامة دولة البدع، وابتغاء الفتنة بغير علمٍ: كفرٌ وضلال. نسأل الله العِصمة من سَيئ المقال. اهـ.

(١) وهو من الكتب المفقودة للمصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فإن قال قائل:

١٧٣ ـ فإنا قد نرى الفقهاءَ يتناظرون في الفقه، فيقول أحدهم: قال الله تعالى كذا، وقال كذا وكذا، فهل يكون هذا مراءً في القرآن؟

قيل: معاذ الله! ليس هذا مِراءً، فإن الفقيه رُبما ناظره الرجل في مسألة، فيقول له على جهة البيان والنصيحة: حُجَّتُنا فيه قال الله تعالى كذا، وقال النبي ﷺ كذا على جهة النصيحة والبيان، لا على جهة[(١)] المُماراة، فمن كان هكذا[(٢)]، ولم يُرِدِ المُغالبة، ولا أن يُخطِّئَ [١٥/ب] خصمه ويَسْتَظْهِر عليه؛ سَلِمَ، وقُبل إن شاءَ الله تعالى، كما ذكرنا في الباب الذي قبله.

١٧٤ ـ قال الحسن: المؤمن: لا يُداري[(٣)]، ولا يُماري، ينشر حكمة الله، فإن قُبِلت حَمِدَ الله، وإن رُدَّت حَمِدَ الله.

وبعد هذا فأكره الجدال والمِراء ورفع الصوت في المُناظرة في الفقه إلَّا على الوقار والسكينة الحسنة.

١٧٥ ـ وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: تعلَّموا العلم، وتعلَّموا للعلم

(١) كتب في هامش: (وجه) خ.
(٢) كتب في الهامش: (قال هكذا) خ.
(٣) كذا هنا، وذكره المُصنف في «أخلاق العلماء» (٥٤)، ولفظه: (المؤمن: يُداري، ولا يُماري..). وهو كذلك عند من خرَّجه.

وفي «النهاية» (٢/ ١١٠): الحديث الآخر: (كان لا يُداري، ولا يُماري): أي لا يُشاغب، ولا يُخالف، وهو مهموز. وروي في الحديث غير مهموز ليزاوج يماري، فأما المداراة في حسن الخلق والصحبة فغير مهموز، وقد يُهمز. اهـ.

السكينةَ والحِلم، وتواضعوا لمن تتعلمون منه، وليتواضعْ لكم من تُعلِّمونه، ولا تكونوا جبابرةَ العلماء، فلا يقوم عِلمُكم بجهلكم[(١)].

(١) أسند المُصنِّف هذا الأثر في كتاب «فرض العلم» (٥٩) وهو صحيح عنه.

- وفي «العلم» لأبي خيثمة (٨٢) قال عطاء بن يسار: ما أوتي شيء إلى شيءٍ أزين من حلمٍ إلى علم.

- قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في «إعلام الموقعين» (٥/ ٧٦): فليس صاحبُ العلم والفتيا إلى شيء أحوجَ منه إلى الحلم والسكينة والوقار؛ فإنها كسوةُ علمه وجماله، وإذا فقدها كان علمُه كالبدن العاري من اللباس.

قال بعض السلف: ما قُرن شيءٌ إلى شيء أحسنُ من علم إلى حلم.

والناس هاهنا أربعة أقسام: فخيارهم من أوتي الحلم والعلم. وشرارهم من عَدِمهما، الثالث: من أوتي علمًا بلا حلم، الرابع: عكسه.

فالحلم زينة العلم وبهاؤه وجماله. وضدُّه: الطيش والعجلة والحدَّة والتسرُّع وعدم الثبات. فالحليم لا يستفزُّه البَدَوات [يعني: الآراء المختلفة التي تظهر وتبدو له]، ولا يستخفُّه الذين لا يعلمون، ولا يُقلقه أهلُ الطيش والخفة والجهل. بل هو وقور ثابت ذو أناة، يملك نفسه عند ورود أوائل الأمور عليه، ولا تملكه أوائلها. وملاحظته للعواقب تمنعه من أن تستخفَّه دواعي الغضب والشهوة. فبالعلم تنكشف له مواقع الخير والشر، والصلاح والفساد، وبالحلم يتمكَّن من تثبيت نفسه عند الخير فيؤثره ويصبر عليه؛ وعند الشر فيصبر عنه. فالعلم يعرِّفه رشدَه، والحلم يثبِّته عليه.

وإذا شئت أن ترى بصيرًا بالخير والشرِّ لا صبر له على هذا ولا عن هذا رأيته.

وإذا شئت أن ترى صابرًا على المشاقِّ لا بصيرة له رأيته.

وإذا شئت أن ترى من لا صبر له ولا بصيرة رأيته.

وإذا شئت أن ترى بصيرًا صابرًا لم تكد.

فإذا رأيته فقد رأيتَ إمامَ هدًى حقًّا فاستمسك بغرزه. والوقار والسكينة ثمرة الحلم ونتيجته.. إلخ. ثم أطال الكلام عن السكينة وأقسامها.

١٥ ـ بَاب

تحذير النبي ﷺ أُمَّته الذين يجادلون بمُتشابه[(١)] القرآن وعُقوبة الإمام لمن يُجادل فيه[(٢)]

(١) المُتشابه من القرآن: هي الآيات التي تحتمل وجوهًا كثيرة فيُحتاج إلى ردّها إلى المُحكم البين الظاهر من الآيات.

وقد تقدم (٥٣) قول قتادة: أما (المُتشابهات): فهُنَّ آي في القرآن يتشابهن على الناس إذا قرؤوهنَّ، من أجل ذلك يضلُّ من ضلَّ ممن ادعى هذه الكلمة، كل فرقةٍ يقرؤون آياتٍ من القرآن، ويزعمون أنها لهم، أصابوا بها الهُدى. اهـ.

(٢) عقد ابن بطة رَحِمَهُ الله في «الإبانة الكبرى» بابًا نحوه، فقال: (١٤/ باب تحذير النبي ﷺ لأُمته من قوم يتجادلون بمتشابه القرآن، وما يجب على الناس من الحذر منهم).

ـ وفيه (٥٨٧) عن أيوب السختياني قال: لا أعلمُ أحدًا من أهل الأهواء يُخاصم إلَّا بالمُتشابه.

ـ وفيه (١٨٧) قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إنها ستكون أمورٌ مُشتبهاتٌ، فعليكم بالتؤدة، فإنك أن تكون تابعًا في الخير، خيرٌ من أن تكون رأسًا في الشرِّ.

ـ وفيه (١٩٩) عن النزَّال بن سَبرة، قال: سُئِلَ عبد الله رضي الله عنه عن مسألة فيها لَبسٌ، فقال عبد الله: أيها الناس، إن الله قد أنزل أمره وبيّناته، فمن أتى الأمر من قِبَلِ وجهه: فقد بُيِّن له، ومن خالف: فوالله ما نُطيق خلافكم.

ـ وفي «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٨٨٣٦) عن عبد الرحمٰن بن أبزى، قال: لما وقع من أمر عثمان رضي الله عنه ما كان، وتكلم الناس في أمره، أتيت أبي بن كعب رضي الله عنه، فقلت له: أبا المنذر، ما المخرج؟ قال: كتاب الله، ما استبان =

١٧٦ ـ أخبرنا أبو زكريا يحيى بن محمد الحنائي، قال: ثنا محمد بن عبيد بن حساب، قال: ثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن عبد الله بن أبي مُليكة: أن عائشة رضي الله عنها

لك منه؛ فاعمل به، وانتفع به، وما اشتبه عليك؛ فآمن به، وكِلْه إلى عالمه.

ـ وفيه (٣٠٦٥٦) قال عبد الله رضي الله عنه: إن للقرآن منارًا كمنار الطريق، فما عرفتم فتمسكوا به، وما اشتبه عليكم فذروه. [يعني: إلى عالمه]

ـ قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٦/٢): يخبر تعالى أن في القرآن آيات مُحكمات هن أم الكتاب، أي: بينات واضحات الدلالة، لا التباس فيها على أحدٍ من الناس، ومنه آيات أُخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم، فمن ردَّ ما اشتبه عليه إلى الواضح منه، وحكَّم مُحكمه على متشابهه عنده، فقد اهتدى، ومن عكس انعكس؛ ولهذا قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: أصله الذي يرجع إليه عند الاشتباه، ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾، أي: تحتمل دلالتها موافقة المحكم، وقد تحتمل شيئًا آخر من حيث اللفظ والتركيب، لا من حيث المراد.

وقد اختلفوا في المُحكم والمُتشابه، فروي عن السلف عبارات كثيرة... وأحسن ما قيل فيه الذي قدَّمناه: وهو الذي نصَّ عليه محمد بن إسحاق بن يسار حيث قال: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾، فيهن حُجة الرب، وعصمة العباد، ودفع الخصوم والباطل، ليس لهن تصريف ولا تحريف عما وُضِعْنَ عليه.

قال: والمتشابهات في الصدق، لهن تصريف وتحريف وتأويل، ابتلى الله فيهن العباد، كما ابتلاهم في الحلال والحرام ألا يُصرَفْنَ إلى الباطل، ولا يُحَرَّفْن عن الحق.

ولهذا قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾، أي: ضلال وخروج عن الحقِّ إلى الباطل، ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾، أي: إنما يأخذون منه بالمتشابه الذي يمكنهم أن يُحرِّفوه إلى مقاصدهم الفاسدة. وينزلوه عليها، لاحتمال لفظه لما يصرفونه، فأما المُحكم فلا نصيب لهم فيه؛ لأنه دامغ لهم، وحُجَّة عليهم، ولهذا قال: ﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾، أي: الإضلال لأتباعهم، إيهامًا لهم أنهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن، وهذا حُجَّة عليهم لا لهم... وقوله: ﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾، أي: تحريفه على ما يريدون.. إلخ.

ثم أورد طرق حديث عائشة رضي الله عنها التي سيسوقها المُصنف في الباب.

قالت: تلا رسول الله ﷺ يومًا هذه الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧] إلى آخر الآية، فقالت: قال رسول الله ﷺ: «وإذا رأيتم الذين يُجادلون فيه - أو به - فهم الذين عنى الله تعالى فاحذروهم»[(١)].

١٧٧ - حدثنا أبو أحمد هارون بن يوسف، قال: ثنا محمد بن أبي عمر العدني، قال: ثنا عبد الوهاب الثقفي، عن أيوب، عن ابن أبي مُليكة، عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قرأ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧] إلى آخر الآية، فقال: «إذا رأيتم الذين يُجادلون فيه، فهم الذين عنى الله تعالى، فاحذروهم».

١٧٨ - حدثنا أبو بكر بن أبي داود، قال: ثنا يحيى بن حكيم، قال: ثنا عبد الوهاب بن عبد المجيد، قال: ثنا أيوب، عن ابن أبي مُليكة، عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ تلا هذه الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّآ أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾ [آل عمران].

فقال: «يا عائشة، إذا رأيتم الذين يُجادلون فيه؛ فهم الذين عنى الله فاحذروهم». ولهذا الحديث طُرق جماعة.

١٧٩ - حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، قال: ثنا إسماعيل بن أبي الحارث، قال: ثنا مكي بن إبراهيم، قال: ثنا الجُعيد بن عبد الرحمن، عن يزيد بن خُصَيفَة، عن السائب بن يزيد، قال: أُتي عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالوا: يا أمير المؤمنين، إنا لَقِينا رجلًا يسأل عن تأويل القرآن، فقال: اللَّهم أَمْكِنّي منه.

---

(١) رواه أحمد (٢٤٢١٠).

ورواه البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥). ولفظهما: «فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمَّى الله فاحذروهم».

قال: فبَيْنَا عمر ذات يوم يُغدِّي الناس، إذ جاءه رجلٌ عليه ثياب وعمامة فتغدَّى، حتى إذا فرغ، قال: يا أمير المؤمنين، ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۝١ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ۝٢﴾ [الذاريات].

فقال عمر: أنت هو؟ فقام إليه فحَسرَ عن ذراعيه، فلم يزل يجلدُه حتى سقطت عمامتُه، فقال: والذي نفسُ عمرَ بيده لو وجدتُك محلوقًا لضربت رأسك، ألبسوه ثيابه، واحملوه على قتبٍ[١]، ثم أخرجوه حتى تَقْدُموا به بلادَه، ثم لْيَقُم خطيبًا، ثم ليُقل: إن صبيغًا[٢] طلب العلم فأخطأه. فلم يزل وضيعًا في قومه حتى هلك، وكان سيدَ قومه[٣].

١٨٠ - أخبرنا أبو عبيد علي بن الحسين بن حرب القاضي، قال: ثنا أبو الأشعث أحمد بن المِقدام، قال: ثنا حماد بن زيد، عن يزيد بن حازم، عن سُليمان بن يسار: أن رجلًا من بني تميم يقال له: صَبِيغ بن عِسْل، قدم المدينة، وكانت عنده كُتب، فجعل يسأل عن مُتشابه القرآن، فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه، فبعث إليه وقد أعدَّ له عَرَاجِينَ النخل[٤]، فلما دخل عليه جلس، فقال له عمر: مَن أنت؟

فقال: أنا عبد الله: صَبيغ.

---

(١) رَحْلٌ صَغيرٌ على قَدْرِ السَّنَام. «الصحاح» (١/ ١٩٨).

(٢) في «تهذيب اللغة» (٨/ ٦٣): (صبيغ): اسم رجل كان يتعنت الناس بسؤالات مشكلة من القرآن، فأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بتأديبه ونفيه إلى البصرة، وكتب إلى أبي موسى رضي الله عنه أن ينهى الناس عن مُجالسته. اهـ.

(٣) وعند اللالكائي (١٠٥٢)، و«الحُجَّة في بيان المحجة» (٩١) عن قطن بن كعب قال: سمعت رجلًا من بني عِجل يقال له: فلان ابن زُرعة يُحدِّث، عن أبيه، قال: لقد رأيت صبيغ بن عِسل بالبصرة كأنه بعير أجرب، يجيء إلى الحِلق، فكلما جلس إلى حلقة قاموا وتركوه، فإن جلس إلى قومٍ لا يعرفونه ناداهم أهل الحلقة الأخرى: عَزْمَة أمير المؤمنين.

(٤) (عُرْجُون النخل): العِذق الذي يحمل الثمر إذا جفَّ ويبُس.

فقال عمر: وأنا عبد الله: عمر.

ثم أهوى إليه فجعل يضربه بتلك العراجين، فما زال يضربه حتى شجَّه، فجعل الدمُ يسيل على وجهه، فقال: حسبُك يا أمير المؤمنين، فقد والله ذهب الذي كنت أجد في رأسي(١).

قال محمد بن الحسين:

١٨١ ـ **فإن قال قائل:** فمن سأل عن تفسير: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۝١ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ۝٢﴾، استحقَّ الضربَ، والتنكيلَ به، والهجرة؟

قيل له: لم يكن ضَرْبُ عمرَ ﵁ له بسبب هذه المسألة؛ ولكن لما تأدَّى إلى عمر ما كان يسأل عنه من مُتشابه القرآن من قبل أن يراه؛ عَلِمَ أنه مفتون، قد شَغل نفسه بما لا يعود عليه نفعُه، وعَلِمَ أن اشتغاله بطلب علم الواجبات من عِلمِ الحلال والحرام أولى به، وتَطلُّب علم سنن رسول الله ﷺ أولى به، فلما عَلِمَ أنه مُقبلٌ على ما لا ينفعه، سأل عمرُ اللهَ تعالى أن يُمكِّنه منه، حتى يُنكِّل به، وحتى يُحذِّرَ غيره؛ لأنه راعٍ يجب عليه تفقُّد رعيته في هذا وفي غيره، فأمكنه الله تعالى منه(٢).

---

(١) وفي «البدع والنهي عنها» (١٧١) عن عبد الله بن وهب قال: حدثني مالك بن أنس قال: جعل صَبيغ يطوف بكُتبٍ معه، فيقول: من يتفقَّه يُفقِّه الله، ومن يتعلَّم يُعلِّمه الله، فأخذه عمر بن الخطاب ﵁ فضربه بالجريد الرطب، ثم سجنه حتى إذا جفَّ الذي به، ثم أخرجه فضربه، فقال: يا أمير المؤمنين، إن كنت تريد قتلي فأجهز، وإلَّا فقد شفيت شفاك الله. فخلاه عمر بن الخطاب ﵁.

قال مالك بن أنس: وقد ضرب عمر بن الخطاب ﵁ صبيغًا حين بلغه ما يسأل عنه من القرآن وغير ذلك.

(٢) قال ابن قدامة في «ذم التأويل» (ص٣٦): إن الصحابة ﵃ كانوا إذا رأوا من يتّبع المتشابه ويسأل عنه استدلوا على أنه من أهل الزيغ، ولذلك عدَّ عمرُ =

وقد قال عمر رضي الله عنه: سيكون أقوام يجادلونكم بمُتشابه القرآن، فخذوهم بالسُّنن، فإن أصحاب السُّنن أعلم بكتاب الله تعالى[(١)].

١٨٢ ـ حدثنا أبو محمد الحسن بن عَلُّويه القطان، قال: ثنا عاصم بن علي، قال: ثنا الليث بن سعد [١٦/أ]، عن يزيد بن أبي حبيب، عن بُكير بن عبد الله بن الأشج: أن

صبيغًا من الزائغين حتى استحلَّ ضربه وحبسه وأمر الناس بمجانبته، ثم أقرَّ صبيغ بعدُ بصدق عمر رضي الله عنه في فراسته فتاب، وأقلع وانتفع، وعصم بذلك من الخروج مع الخوارج.اهـ.

(١) علق ابن بطة رحمه الله في «الإبانة الكبرى» (٣٥٦) نحو هذا التعليق، وزاد:

فإن قلتَ: فإنه قال: لو وجدتك محلوقًا لضربت الذي فيه عيناك! فمن حلق رأسه يجب عليه ضرب العُنق؟!

فإني أقول لك: من مثل هذا أُتي الزائغون، وبمثل هذا بُليَ المُنقِّرون الذين قصُرت هممهم، وضاقت أعطانهم عن فَهم أفعال الأئمة المهديين، والخلفاء الراشدين، فلم يُحِسُّوا بموضع العجز من أنفسهم، فنسبوا النقص والتقصير إلى غيرهم. وذلك أن عمر رضي الله عنه قد كان سمع النبي ﷺ يقول: «يخرج قومٌ أحداث الأسنان، سُفهاء الأحلام، يقولون من خير قول الناس، يقرؤون القرآن، لا يُجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام كما يمرُقُ السَّهمُ من الرَّمِية، من لقيهم فليقتلهم، فإن قتلهم أجرٌ عند الله».

وقال في حديث آخر: «طُوبى لمن قتلهم، وطوبى لمن قتلوه».

قيل: يا رسول الله، ما علامتهم؟ قال: «سيماهم التحليق».

فلما سَمِعَ عمرُ رضي الله عنه مسائله فيما لا يعنيه؛ كشف رأسه لينظر هل يرى العلامة التي قالها رسول الله ﷺ، والصِّفة التي وصفها، فلما لم يجدها؛ أحسن أدبه لئلا يتغالى به في المسائل إلى ما يضيق صدره عن فهمه، فيصير من أهل العلامة الذين أمر النبي ﷺ بقتلهم، فحقن دمه، وحفظ دينه بأدبه رحمة الله عليه ورضوانه.

ولقد نَفعَ الله صبيغًا بتأديب عمر رضي الله عنه له في بقية عُمره، فلما خرجت الحرورية، قالوا لصبيغ: إنه قد خرج قوم يقولون كذا وكذا.

فقال: هيهات، نفعني الله بموعظة الرجل الصالح.اهـ.

عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إن ناسًا يُجادلونكم بشبيه القرآن[(١)]، فخذوهم بالسُّنن، فإن أصحابَ السُّنن أعلمُ بكتاب الله تعالى[(٢)].

قال محمد بن الحسين رحمه الله:

وهكذا كان من بعد عمر: علي بن أبي طالب رضي الله عنه، إذا سأله إنسانٌ عما لا يعنيه عنَّفه، وردَّه إلى ما هو أولى به.

١٨٣ ـ رُوي أن عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال يومًا: سلوني.

فقام ابن الكَوَّاءِ[(٣)]، فقال: ما السواد الذي في القمر؟

فقال له: قاتلك الله! سل تَفقُّهًا، ولا تسأل تعنُّتًا، ألا سألت عن شيءٍ ينفعك في أمر دنياك أو أمر آخرتك؟ ثم قال: ذلك مَحْوُ الليل[(٤)].

قال محمد بن الحسين:

١٨٤ ـ وقد كان العلماء قديمًا وحديثًا يكرهون عُضَل المسائل[(٥)]، ويردونها، ويأمرون بالسؤال عما يعني؛ خوفًا من المِراء والجِدال الذي

---

(١) أي: بالمتشابه منه.

(٢) تقدم التعليق عليه برقم (١٠٦).

(٣) في «لسان الميزان» (٥٤٩/٤): عبد الله بن الكَوَّاء، من رؤوس الخوارج. (انتهى)... وله أخبار كثيرة مع علي رضي الله عنه، وكان يلزمه ويُعنته في الأسئلة، وقد رجع عن مذهب الخوارج، وعاود صُحبة علي رضي الله عنه. اهـ.

(٤) رواه المصنف في «أخلاق العلماء» (١٢٤) بإسناده.

ورواه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٣٥٩)، وقال: وهكذا كان العلماء والعقلاء إذا سُئلوا عما لا ينفع السائل علمه، ولا يضرُّه جهله، ورُبما كان الجواب أيضًا مما لا يضبطه السائل، ولا يبلغه فهمه؛ منعوه الجواب، ورُبَّما زجروه وعنَّفوه. اهـ.

(٥) في «الصحاح» (١٧١٦/٥): أعْضَلَني فلانٌ، أي: أعياني أمره. وقد أعْضَلَ الأمر، أي: اشتدَّ واستغلق. وأمرٌ مُعضل: لا يُهتدَى لوجهه. اهـ.

نُهُوا عنه[١].

١٨٥ - نهى النبي ﷺ عن قيلَ وقالَ، وكثرةِ السؤال[٢].

١٨٦ - ونهى عن الأُغلوطات[٣].

(١) عقد ابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ في «الإبانة الكبرى» بابًا، فقال: (٨/باب ترك السؤال عما لا يعني، والبحث والتنقير عما لا يضرُّ جهله، والتحذير من قوم يتعمقون في المسائل، ويتعمدون إدخال الشكوك على المسلمين).
وقال: اعلموا إخواني أني فكرت في السَّبب الذي أخرج أقوامًا من السُّنة والجماعة، واضطرَّهم إلى البدعة والشناعة، وفَتَح باب البلية على أفئدتهم، وحَجَبَ نورَ الحقِّ عن بصيرتهم، فوجدت ذلك من وجهين:
أحدهما: البحث والتنقير، وكثرة السُّؤال عما لا يعني، ولا يضرُّ العاقل جهلُه، ولا ينفعُ المؤمن فهمه.
والآخرُ: مُجالسةُ من لا تؤمنُ فتنته، وتُفسِدُ القلوبَ صحبتُه.اهـ.
(٢) رواه البخاري (١٤٧٧)، ومسلم (٥٩٣).
- قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح السُّنة» (١/ ٢٠٣): قيل في قوله: «قيل وقال» وجهان:
أحدهما: حكاية أقاويل الناس وأحاديثهم والبحث عنها فيقول: قال فلان كذا، وقيل لفلان كذا، وهو من باب التجسس المنهي عنه.
وقيل: هو فيما يرجع إلى أمرِ الدِّين وذِكْرِ ما وقع فيه من الاختلاف، يقول: قال فلان كذا، وقال فلان كذا، من غير ثبت ويقين لكي يقلد ما سمعه، ولا يحتاط لموضع اختياره من تلك الأقاويل.
وقوله: «وكثرة السُّؤال»: فإنها مسألةُ الناسِ أموالَهم بالشَّرَهِ، وترك الاقتصار فيه على قدر الحاجة. وقد يكون من السُّؤال عن الأمور، وكثرة البحث عنها، كما قال الله تعالى: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٤]، وقد يكون من المتشابه الذي أُمِر بالإيمان بظاهره في قوله ﷻ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ابْتِغَآءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧].اهـ.
(٣) رواه أحمد (٢٣٦٨٧)، وأبو داود (٣٦٥٦).

١٨٧ ـ وقال النبي ﷺ: «أعظمُ المُسلمين في المُسلمين جُرمًا: من سألَ عن شيءٍ لم يُحرَّم، فحُرِّم من أجلِ مسألتِه»(١).

ـ وفي «الإبانة الكبرى» (٣٢٠) قال عيسى بن يونس: (الأغلوطات): ما لا يُحتاج إليه من: كيف؟ وكيف؟

ـ وفيه أيضًا (٣٢٢) قال الأوزاعي: شِدادُ المسائل وصِعابها.

ـ وفيه (٣٢٥) قال الحسن: إن شِرارَ عبادِ الله: قوم يجيئون بشرارِ المسائل؛ يُعيُون بها عباد الله.

ـ وفي «ذم الكلام» (٥٤٠) عن عَمرو بن مرَّة، عن عون أراه عن أبيه، ـ قال: أو حقًّا إن شاء الله ـ قال: إن كان يقال: اتقوا صعاب الكلام.

ـ قال المُصنف رَحِمَهُ اللَّهُ في «أخلاق العلماء» (١١٨): وأمَّا ما ذكرنا في الأُغلُوطات، وتعقيد المسائل مما ينبغي للعالم أن يُنَزِّه نفسه عن البحث عنها مما لم يكن، ولعلَّها لا تكون أبدًا فيُشغلوا نفوسهم بالنظر والجدل والمِراء فيها حتى يشتغلوا بها عما هو أولى بهم، ويغالطَ بعضُهم بعضًا، ويطلبَ بعضهم زللَ بعض، ويسألَ بعضهم بعضًا. هذا كله مكروهٌ مَنهيٌّ عنه، لا يعود على من أراد هذا منفعةٌ في دينه، وليس هذا طريقَ مَنْ تقدَّم من السلف الصالح، ما كان يَطلب بعضُهم غلطَ بعضٍ، ولا مرادُهم أن يُخطِّئ بعضُهم بعضًا، بل كانوا علماء عقلاءَ، يتكلَّمون في العلم مُناصحةً، قد نفعهم الله بالعلم. اهـ.

* وانظر: «ذم الكلام» (٣/باب كراهية تشقيق الخُطَب، وترقيق الكلام، والتكلم بالأغاليط)، و(١١/باب كراهية التنطع في الدين، والتكلف فيه، والبحث عن الحقائق، وإيجاب التسليم).

(١) رواه البخاري (٧٢٨٩)، ومسلم (٢٣٥٨).

ـ قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: المسألة وجهان: أحدهما: ما كان على وجه التبيُّن والتعلُّم فيما يحتاج إليه من أمر الدين، فهو جائز مأمور به، قال الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٤٣﴾ [النحل].

والوجه الآخر: ما كان على وجه التكلُّف، فهو مكروه، فسكوت صاحب الشرع عن الجواب في مثل هذا زجر وردع للسائل، فإذا وقع الجواب، كان عقوبة وتغليظًا.

كلُّ هذا خوفًا مِن المِراءِ والجِدال.

فاتقوا اللهَ يا أهلَ القرآن، ويا أهلَ الحديث، ويا أهلَ الفقه، ودَعُوا المِراءَ، والجدالَ، والخصومةَ في الدين، واسلكوا طريقَ مَن سلف مِن أئِمتكم؛ يستقمْ لكم الأمرُ الرشيد، وتكونوا على المَحجَّة الواضحة إن شاءَ الله، فقد أثبتُّ في ترك المراءِ والجدال ما فيه كفايةٌ لمَنْ عَقَلَ، والله المُوفِّق لمن أحبَّ[1].

والمراد من الحديث: هذا النوع من السؤال، وقد شدَّد بنو إسرائيل على أنفسهم بالسؤال عن وصف البقرة مع وقوع الغُنية عنه بالبيان المُتقدِّم، فشدَّد الله عليهم. اهـ.

(١) قال أبو الفتح المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ في «مختصر الحجة» (٥٣٢): وهذا التشديد من الصحابة رضي الله عنهم، والمنع من الكلام في هذه المسائل وأشباهها - وإن كانت جواباتها عندهم معلومة، وأحكامها مفهومة - إرادة لحسم الباب وقطع السؤال، لئلا يؤدي إلى ما لا يؤمر به في الشريعة، ويتسع الأمر فيما يخالف ما أمر الله به ورسوله ﷺ، وقد قال: «المراء في القرآن كفر»، فكان ذلك أقطع لما يخاف مما وراءه، وقد وقعنا اليوم فيما خافوه، وصرنا في وسط ما حَذِروه، فإن كثيرًا ممن يتصدى الناس ويتعمق بالرياسة في الدين يتكلم فيما أنكروه، ويسأل عما خافوه وشددوا فيه وحَذِروه، ارتكابًا لما يهوى، وتركًا لما هو أولى، ومخالفة للشريعة، ودخولًا فيما هو إلى الباطل وترك الحق ذريعة، ولقد فاتهم ما يعنيهم باشتغالهم بما لا يعنيهم، فإنا لله وإنا إليه راجعون. اهـ.

١٦ - بَاب

ذكر الإيمان بأن القرآن كلام الله تعالى، وأن كلامه ليس بمخلوق، ومن زعم أن القرآن مخلوقٌ فقد كفر(١)

(١) عقد ابن بطة رَحِمَهُ اللهُ في «الإبانة الكبرى» أبوابًا لبيان هذه المسألة العظيمة والرد على من خالف فيها، ومنها: (٦١/باب اتضاح الحُجَّةِ في أن القرآن كلام الله غير مخلوق من قول التابعين، وفقهاءِ المسلمين والبُدلاءِ والصالحين، رحمةُ الله عليهم أجمعين، وتكفير من قال: إن القرآن مخلوق، وبيان رِدَّتِهِ وزندقته).

وقال: (٦٢/باب بيان كفرهم وضلالهم وخروجهم عن الملَّة وإباحة قتلهم).

وسبب تكفيرهم: أن القرآن من عِلمِ الله تعالى، ومن زعم أن عِلم الله مخلوقٌ فقد وصف الله بالجهل قبل أن يَخلق لنفسه علمًا وهذا هو الكفر الصُّراح، وسيبين ذلك المُصنف رَحِمَهُ اللهُ.

- وفي «السُّنة» للخلال (١٨٦٣) قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: من قال: إنَّ عِلْمَ الله مخلوق؛ فهو كافر، ومن زعم أن عِلمه مخلوقٌ؛ فكأنه لم يكن يعلم حتى خلق العلم.

- قال ابن بطة رَحِمَهُ اللهُ في «الإبانة الكبرى» (٢١٤٤): فزعموا أن القرآن مخلوق، والقرآن من عِلم الله ﷻ، وفيه صفاته العُليا، وأسماؤه الحُسنى.

أ - فمن زعم أن القرآن مخلوقٌ؛ فقد زعم أن الله كان ولا عِلمَ.

ب - ومن زعم أن أسماء الله وصفاته مخلوقة؛ فقد زعم أن الله مخلوقٌ مُحدث، وأنه لم يكن ثُمَّ كان. تعالى الله عما تقوله الجهمية المُلحدة علوًّا كبيرًا. اهـ.

قلت: ولهذا اتفق أئمة السُّنة على كفر من قال بخلق القرآن كفرًا أكبر =

قال محمد بن الحسين:

١٨٨ ـ اعلموا ـ رحمنا الله وإياكم ـ أن قول المسلمين الذين لم تَزِغْ قلوبهم عن الحقِّ، ووُفِّقوا للرشاد قديمًا وحديثًا: أنَّ القرآن كلام الله تعالى ليس بمخلوق؛ لأن القرآن من عِلمِ الله، وعِلمُ الله لا يكون مخلوقًا، تعالى الله عن ذلك.

مخرجًا عن المِلَّة، ومن حكى عنهم خلاف ذلك فقوله مردود عليه غير مقبول.

ـ قال أبو حاتم وأبو زُرعة رحمهما الله في عقيدتهما التي نقلا فيها إجماع أهل السنة في جميع الأمصار، فقالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار: حِجازًا، وعِراقًا، وشامًا، ويَمنًا فكان من مذهبهم: ... من زعم أن القرآن مخلوق؛ فهو كافر بالله العظيم، كفرًا يَنقلُ عن المِلّة، ومن شكَّ في كُفرِهِ ممن يفهم فهو كافر.

انظر: «الجامع في عقائد ورسائل أهل السنة» (ص٥٢٤).

ـ وقال جعفر الفقيه: سألت أبا القاسم الطبراني: ما قولك ـ رحمك الله ـ فيمن يقول: إن أهل التوحيد يخرجون من النار إلَّا من يقول: القرآن مخلوق؟

فكتب في جوابه: من قال القرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم بلا اختلاف بين أهل العلم والسُّنة؛ لأنه زعم أن الله مخلوق؛ لأن القرآن كلام الله ﷻ تكلم به، وكلَّم به جبريل الروح الأمين.. من قال: إنه مخلوق فهو كافر شرّ من اليهود والنصارى وعبدة الأوثان، وليس من أهل التوحيد المُخلصين الذين أدخلهم الله النار عقوبة منه لأعمالٍ استوجبوا بها النار، فيُخرجهم الله من النار برحمته وشفاعة نبيه محمد ﷺ، وشفاعة الشافعين، ومن زعم أن... من يقول: إن القرآن مخلوق يخرج من النار؛ فهو كمن زعم أن اليهود والنصارى يخرجون مِن النار. اهـ. «الحُجَّة على تارك المَحجَّة» (٢/ ٤٨٥)

ـ وقال قوام السُّنة التيمي رَحِمَهُ اللَّهُ في «الحُجَّة في بيان المَحجَّة» (١/ ٢٢٣): .. مَن زعمَ أن القرآن أو بعضه، أو شيئًا منه مخلوق؛ فلا يُشكّ فيه عندنا وعند أهل العلم من أهل السُّنة والفضل والدِّين: أنه كافرٌ كُفرًا انتقل به عن الملّة... ومن شكَّ في كُفرِ من قال القرآن مخلوق بعد عِلمه، وبعد أن سَمِعَ من العلماء المرضيين ذلك فهو مثله. اهـ.

دلَّ على ذلك القرآن والسُّنة، وقول الصحابة ﷺ، وقول أئمة المسلمين لا يُنكر هذا إلَّا جهميٌّ خبيثٌ، **والجهميُّ فعند العلماءِ كافر**[١].

• قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

• وقال تعالى: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ [البقرة: ٧٥].

• وقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وهو القرآن.

• وقال لموسى ﷺ: ﴿إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾ [الأعراف: ١٤٤].

---

(١) قال حرب الكرماني رحمه الله في «عقيدته» (٩٦): (الجهمية): أعداء الله، وهم الذين يزعمون أن القرآن مخلوق، وأن الله لم يكلم موسى، وأن الله لا يتكلم، ولا يُرى، ولا يُعرف لله مكان، وليس لله عرش، ولا كرسي، وكلام كثير أكره حكايته، وهم كُفّار زنادقة، أعداء الله فاحذروهم.اهـ.

ـ وقال البخاري رحمه الله في «خلق أفعال العباد» (٣٤): نظرتُ في كلام اليهودِ والنَّصارى والمجوس؛ فما رأيتُ قومًا أضلَّ في كُفرِهم منهم، وإنّي لأستجهلُ مَن لا يُكفّرهم إلَّا مَن لا يعرف كفرهم. ـ يعني: الجهمية ـ.اهـ.

ـ قال ابن تيمية رحمه الله في «بيان تلبيس الجهمية» (٥/ ٣٩٤): و(الجهمية): هم الذين اتبعوا جهمًا فيما ابتدعه في الإسلام، وكلّ ما ابتدعه ضلالة مخالفة للكتاب والسُّنة، ولهذا كان كلام الجهم كلّه مُنكرًا باتفاق السَّلفِ والأئمة.اهـ.

ـ وقال (٢/ ٤٧٢): مبدأ التجهم في هذه الأمة كان أصله من المشركين، ومبدلة الصَّابئين: مِن الهند، واليونان، وكان من مُبدِّلة أهل الكتاب مِن اليهود، وأن الجعد بن دِرهم، ثم الجهم بن صفوان ومن اتبعهما أخذوا ذلك عنهم.اهـ.

وقد ظهرت الجهمية بعد انقراض أكابر التابعين، وأجمع السَّلف على كفرهم، وإخراجهم من عداد فرق المسلمين، وتسميتهم زنادقة كما سيأتي في كثير من الآثار.

قال محمد بن الحسين:

ومثل هذا في القرآن كثير.

• وقال تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٦١].

• وقال تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [البقرة].

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لم يزل الله عالِمًا، مُتكلِّمًا، سَميعًا، بصيرًا بصفاته قبل خلق الأشياءِ، من قال غير هذا كفر(١).

وسنذكر من السُّنن والآثار وقول العلماء الذين لا يُستوحَش من ذِكرِهم ما إذا سمعها من له علمٌ وعقلٌ، زاده عِلمًا وفهمًا، وإذا سمعها

---

(١) ومن أسباب تكفير من قال بخلق القرآن أيضًا: أنهم يريدون إبطال الشرع والأحكام فإنها مأخوذة من القرآن، والقرآن عندهم مخلوق لا تقوم به حُجة.

- قال عبد الله بن أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «السنة» (٧٦): وذكرَ شيخٌ من أهل خُراسان، قال: لمَّا تكلَّمَ ابن عُليَّة، قلتُ للحجَّاج الأعور: بيِّن لنا، علِّمنا: أيَّ شيءٍ يريدون بمخلوقٍ؟

قال: يُريدون أنه ليس شَيْءٌ.

وقال مرَّةً أُخرى: سألتُ الحجاج عمن قال: القرآنُ مخلوقٌ، أيَّ شيء يريدون؟ قال: التَّعطيل.

- وفي «خلق أفعال العباد» (٦٩) قال وكيع: لا تستخِفُّوا بقولهم: (القرآن مخلوق)، فإنه مِن شرِّ قولهم، وإنما يذهبون إلى التعطيل.

- وفي «السنة» للخلال (١٧٦٣)، و«الإبانة الكبرى» (٢٢٤٤) قال يعقوب الدورقي للإمام أحمد رحمهما الله: إنما يدور هؤلاء على الإبطال والتعطيل؟

قال: نعم. وقال أحمد بن حنبل: عليهم لعنة الله.

وقال: في كلامهم كلام الزنادقة، يدورون على التعطيل، ليس يثبتون شيئًا، وهكذا الزنادقة.

من في قلبه زيغٌ، فإن أراد الله هدايته إلى طريق الحقِّ رجع عن مذهبه، وإن لم يرجع فالبلاءُ عليه أعظم.

١٨٩ ـ **حدثنا** أبو جعفر محمد بن صالح بن ذَريح العُكبري، قال: ثنا محمد بن عبد المجيد التميمي، قال: ثنا أبو إسحاق الفزاري، عن الحسن[1] بن عُبيد الله النخعي، عن سعيد[2] بن عُبيدة، عن أبي عبد الرحمن السُّلمي، قال: سمعت عمر بن الخطاب ﷺ يقول على منبره: أيها الناسُ، إن هذا القرآنَ كلامُ الله، فلا أعرفنَّ ما عطفتموه على أهوائِكم، فإن الإسلامَ قد خضعتْ له رِقابُ الناس، فدخلوه طوعًا وكرهًا، وقد وضُعِت لكم السُّنن، ولم يُترك لأحدٍ مقالًا[3] إلَّا أن يكفُرَ عبدٌ عَمْدَ عينٍ، فاتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كُفيتم، اعملوا بمُحكمه، وآمنوا بمُتشابهه[4].

١٩٠ ـ **وأخبرنا** أبو محمد عبد الله بن صالح البخاري، قال: ثنا عثمان بن أبي شيبة، قال: ثنا جرير، عن ليث بن أبي سُليم، عن سلمة بن كُهيل، عن أبي الزَّعراءِ عبد الله بن هانئ، قال: قال عمر بن الخطاب ﷺ: القرآن كلام الله، فلا تصرفوه على آرائِكم[5].

١٩١ ـ **حدثنا** أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، قال: ثنا داود بن رُشيد، قال: ثنا أبو حفص الأبَّار، عن منصور [١٦/أ]، عن هلال بن يِساف، عن فَروة بن نوفل، قال: أخذ خبَّاب بن الأرت بيدي، فقال: يا هناه[6]،

---

(١) في هامش الأصل: (الحسين) خ.
(٢) كتب فوقها: (سعد) خ.
(٣) في الأصل: (قبالًا)، وفي هامشه: (مقالًا) خ صح. وفي «جامع البيان في القراءات السبع» للداني (١/ ١٣٣): (مقال).
(٤) إسناده صحيح.
(٥) رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٣٣٩٨)، والدارمي في «المسند» (٣٣٩٨)، والدارمي في «الرد على لجهمية» (٣٠٤).
(٦) (يا هَناه): أي: يا رجل، ولَا تُستَعمل إلَّا في النداء. «تاج العروس» (٣٦/ ٢٨٩).

تقرَّب إلى الله تعالى بما استطعت، فإنك لست تتقرَّب إليه بشيءٍ أحبَّ إليه من كلامه.

١٩٢ ـ حدثنا أبو عبد الله أحمد بن أبي عوف البُزُوري، قال: ثنا سويد بن سعيد، قال: ثنا معاوية بن عمار، قال: سُئِل جعفر بن محمد ﷺ عن القرآن، أخالق أو مخلوق؟

قال: ليس بخالقٍ ولا مخلوق؛ ولكنه كلام الله تعالى(١).

---

(١) وفي «الأسماء والصفات» (٥٤٤) عن عثمان بن سعيد الدارمي قال: سمعت عليًّا ـ يعني: ابن المديني ـ يقول في حديث جعفر بن محمد: (ليس القرآن بخالق ولا مخلوق؛ ولكنه كلام الله تعالى).

قال علي: لا أعلم أنه تكلم بهذا الكلام في زمانٍ أقدم من هذا.

قال عليٌّ: هو كفر.

قال: أبو سعيد [الدارمي]: يعني: من قال: القرآن مخلوق، فهو كافر. اهـ.

ـ وفي «الإبانة الكبرى» (٢٢٦٢) قال جعفر بن محمد: من قال: (القرآن مخلوق)؛ قتل ولم يُستَتَبْ.

وجعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الإمام، الصادق، مات سنة (١٤٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ـ قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «منهاج السنة» (٢/ ٢٥٠): الذين تنازعوا في القرآن: هل هو مخلوق أو غير مخلوق؟ كانوا [يُظهِرون] بأن محمدًا رسول الله، وأنه مُبلِّغٌ للقرآن عن الله تعالى لم يَفتره هو؛ ولكن الجهمية والمعتزلة لما كان أصلهم أن الرب لا تقوم به الصفات والأفعال والكلام، لزمهم أن يقولوا: كلامه بائن عنه مخلوق من مخلوقاته.

وكان أول من ظهر عنه هذا الجعد بن درهم، ثم الجهم بن صفوان، ثم صار هذا في المعتزلة.

ولما ظهر هذا سألوا أئمة الإسلام مثل جعفر الصادق وأمثاله، فقالوا لجعفر: القرآن خالق أم مخلوق؟

فقال: ليس بخالق ولا مخلوق، ولكنه كلام الله.

ومعلوم أن قوله: (ليس بخالق ولا مخلوق) لم يرد به أنه ليس بكاذب ولا =

١٩٣ ـ حدثنا أبو عبد الله محمد بن مخلد العطار، قال: ثنا أبو داود السجستاني، قال: ثنا الحسن بن الصباح البزار، قال: ثنا معبد أبو عبد الرحمن[(١)] ـ ثقة ـ، عن معاوية بن عمار، قال: سألت جعفر بن محمد عن القرآن؟

فقال: ليس بخالقٍ ولا مخلوق؛ ولكنه كلام الله تعالى.

قال: وهو معبد بن راشد كوفي، روى عنه: موسى بن داود، ورُويم بن يزيد.

١٩٤ ـ وحدثنا أبو عبد الله جعفر بن إدريس القزويني، قال: ثنا حمويه بن يونس ـ إمام مسجد جامع قزوين ـ، قال: ثنا جعفر بن محمد بن فُضيل الرأسي ـ رأس العين ـ[(٢)]، قال: ثنا عبد الله بن صالح ـ كاتب الليث بن سعد ـ، قال: ثنا معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ [الزمر: ٢٨]، قال: غير مخلوق.

قال حمويه بن يونس: بلغ أحمد بن حنبل هذا الحديث، فكتب إلى جعفر بن محمد بن فُضيل يَكتب إليه بإجازته، فكتب إليه بإجازته؛ فسُرَّ أحمد بهذا الحديث، وقال: كيف فاتني عن عبد الله بن صالح هذا الحديث؟![(٣)].

مكذوب، لكن أراد أنه ليس هو الخالق للمخلوقات، ولا هو من المخلوقات ولكنه كلام الخالق.

وكذلك ما نقل عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما قيل له: حكَّمت مخلوقًا؟! قال: لم أُحكِّم مخلوقًا وإنما حكَّمت القرآن. اهـ.

(١) في الأصل: (ابن عبد الرحمن)، والتصويب من «مسائل أبي داود» (١٧١٢).

(٢) في «معجم البلدان» (١/ ٣٠): وهي مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة بين حرّان ونصيبين ودنيسر... والمشهور في النسبة إليها: الرّسعني، وقد نسب إليها الراسي. اهـ.

(٣) في صحة هذا الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما نظر، فقد ذكر غير واحدٍ من أهل =

١٩٥ ـ حدثنا أبو حفص عمر بن أيوب السقطي، قال: ثنا الحسن بن الصباح البزار، قال: حدثني أخٌ لي من الأنصار، عن أبي زكريا يحيى بن يوسف الزِّمي، قال: سمعت عبد الله بن إدريس: وسأله رجل عمن يقول: القرآن مخلوق، فقال: مِنَ اليهود؟ قال: لا.

قال: مِنَ النصارى؟ قال: لا.

قال: مِنَ المجوس؟ قال: لا.

قال: فمِمن؟!

قال: من أهل التوحيد.

قال: معاذ الله أن يكون هذا من أهل التوحيد! هذا زنديقٌ؛ من زعم أن القرآن مخلوق، فقد زعم أن الله تعالى مخلوق، يقول الله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، فـ(الرحمٰن) لا يكون مخلوقًا،

السنة أن القول في القرآن بأنه (غير مخلوق) لم يتكلم به الصحابة رضي الله عنهم ولا التابعون، وإنما حدث الكلام في هذه المسألة بعد ظهور الجهمية وتصريحهم بأن (القرآن مخلوق)، فلم يسع حينئذٍ أئمة السُّنة السكوت، فصرَّحوا وزادوا في البيان والرد على الجهمية: بأن القرآن كلام الله (غير مخلوق)، وسيأتي قريبًا كلام الإمام الدارمي رحمه الله في ذلك.

وحِرصُ الإمام أحمد رحمه الله ـ والله أعلم ـ على كتابة هذا الأثر هو من باب ذكر كل ما روي في الباب من الحُجج على الجهمية في مسألة القرآن وأنه كلام الله غير مخلوق، ولا يؤخذ من حرصه ذلك تصحيحٌ له، فإن من المقرَّر عند أئمة السنة أن القول بأن القرآن (غير مخلوق) ما نجم إلَّا بعد ظهور الجهمية، ولم يكن السلف الأول قد تكلَّموا فيه بشيء. والله أعلم.

«فائدة»: قال ابن عدي رحمه الله في «الكامل» (٢/ ١٢٤): عن أنس رضي الله عنه أنه قال: القرآن كلام الله وليس كلام الله بمخلوق.

قال ابن عدي: وهذا الحديث وإن كان موقوفًا على أنس رضي الله عنه فهو منكر؛ لأنه لا يُعرف للصحابة رضي الله عنهم الخوض في القرآن. اهـ.

و(الرحيم) لا يكون مخلوقًا، و(الله) لا يكون مخلوقًا، هذا أصل الزندقة[(١)].

قال محمد بن الحسين:

١٩٦ ـ وحدثنا أحمد بن أبي عوف، قال: سألت الحسن بن علي الحلواني، فقلت له: إن الناس قد اختلفوا عندنا في القرآن، فما تقول رحمك الله؟

قال: القرآن كلام الله غير مخلوق، ما نعرف غير هذا.

قال أحمد بن أبي عوف: وسمعت هارون الفَروي[(٢)] يقول: لم أسمع أحدًا من أهل العلم بالمدينة، وأهل السُّنن إلَّا وهم يُنكرون على من قال: القرآن مخلوق، ويُكفِّرونه.

قال هارون: وأنا أقول بهذه السُّنة.

وقال لنا أحمد بن أبي عوف: وأنا أقول بمثل ما قال هارون.

قال ابن أبي عوف، وسمعت هارون يقول: من وقف على القرآن بالشَّكِّ، ولم يقل: غير مخلوق؛ فهو كمن قال هو مخلوق.

---

(١) قال ابن تيمية رحمه الله في «جامع المسائل» (المجموعة الرابعة) (ص١٣٣): لفظ (الزِّنديق) لفظ مُعرَّبٌ لم ينطق به رسول الله ﷺ، ولا أصحابه؛ ولكن نطقت به الفُرسُ، فأخذته العرب فعرَّبته. ومعنى الزِّنديق الذي تنازع الفقهاء في قبول توبته: هو معنى المنافق الذي يُظهِر الإسلام ويُبطن الكفر، ولهذا قال الفقهاء: إن الزِّنديق هو المنافق.. إلخ.

قلت: أجمع أهل السُّنة على أن الجهمية ضلال زنادقة، وأقوالهم في ذلك كثيرة، وسيأتي بعضها تحت أثر رقم (٢٠٤).

(٢) في الأصل: (القزويني)، وفي الهامش: خ (القروي) صح.

وما أثبته من «السنة» لعبد الله (١٩٧)، و«تاريخ بغداد» (١٣/ ٥٦٤) فهي من طريق المصنف، وانظر ترجمته في «تهذيب الكمال» (٣٠/ ١١٣).

١٩٧ ـ وحدثنا أبو عبد الله محمد بن مخلد العطار، قال: ثنا أبو داود السجستاني، قال: ثنا حمزة بن سعيد المروزي ـ وكان ثقة مأمونًا ـ، قال: سألت أبا بكر بن عياش، فقلت: يا أبا بكر، قد بلغك ما كان من أمر ابن عُلَيَّة(١) في القرآن، فما تقول فيه؟

فقال: اسمع إليَّ، ويلك! من زعم لك أن القرآن مخلوقٌ؛ فهو عندنا كافر زنديق، عدوٌّ لله، لا تجالسْه، ولا تُكلِّمْه.

١٩٨ ـ حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، قال: ثنا حسين بن علي العِجلي، قال: ثنا أحمد بن يونس، قال سمعت عبد الله بن المبارك قرأ شيئًا من القرآن، ثم قال: من زعم أن هذا مخلوق؛ فقد كفر بالله العظيم.

١٩٩ ـ أخبرنا أبو محمد عبد الله بن صالح البخاري، قال: ثنا العُمري، قال:

---

(١) قال المِزي في «تهذيب الكمال» (٣٢٨/٧): وابن عُلَيَّة المذكور هنا هو: إبراهيم بن إسماعيل ابن عُلَيَّة المُتكلِّم، وأما أبوه إسماعيل ابن عُلَيَّة فهو من أعيان أهل السُّنة، والله أعلم. اهـ.

قلت: أما (عُلَيَّة) فهي أُمّه، وإسماعيل من المُحدثين الكبار، وكان قد تكلم في القرآن بكلامٍ وافق فيه الجهمية، فأنكر عليه أئمة أهل السُّنة في وقته؛ فرجع وتاب.

ـ قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: ما زال إسماعيل وضيعًا من الكلام الذي تكلَّم به إلى أن مات. فقيل له: أليس قد رجع وتاب على رؤوس الناس؟

فقال: بلى؛ ولكن ما زال مُبغِّضًا لأهل الحديث بعد كلامه ذاك إلى أن مات.

انظر: «مسائل» ابن هانئ (١٨٩٢)، واللالكائي (٤٠١)، و«طبقات الحنابلة» (١/ ٢٦٤).

وأما ابنه إبراهيم فقد كان جهميًا.

ـ ففي «الإبانة الكبرى» (٢٤٥٢) قال الأثرم: ذكرت لأبي عبد الله: إبراهيم بن إسماعيل ابن عُلَيَّة. فقال: ضال مُضِلٌّ.

سمعت إسماعيل بن أبي أويس، يقول: سمعت مالك بن أنس، يقول: القرآنُ كلامُ الله، وكلامُ الله مِنَ الله، وليس مِنَ الله شيءٌ مخلوق.

٢٠٠ ـ وحدثنا عمر بن أيوب السقطي، قال: ثنا الحسن بن الصباح البزار، قال: ثنا سُريج[١] بن النعمان، قال: ثنا عبد الله بن نافع، قال: كان مالك بن أنس يقول: القرآن كلام الله، ويَستَفْظِع قولَ من يقول: القرآن مخلوق، قال مالك: يُوجَع ضربًا، ويُحبس حتى يموت[٢].

٢٠١ ـ وحدثنا عمر بن أيوب، قال: ثنا الحسن بن الصباح، قال: ثنا إبراهيم بن زياد، قال: سألت عبد الرحمٰن بن مهدي، فقلت: ما تقول فيمن يقول: القرآن مخلوق؟

---

(١) في الأصل: (شريح)، وفي هامشه: (سريج) خ. وهو الصواب.

(٢) قال الذهبي في «العرش» (١٥٥): هذا ثابت عن مالك رَحِمَهُ اللهُ، أخرجه عبد الله بن أحمد في كتاب «الرد على الجهمية». ثم ذكره بسنده.

قلت: حكى كثير من السَّلف استتابة من قال بخلق القرآن، فإن تاب وإلّا ضُربتْ عنقه، وقد روي عن الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ القول بقتله، ومن ذلك ما رواه الطبراني، قال: حدثنا الحسين بن إسحاق، حدثنا يحيى بن خلف الطرسوسي ـ وكان من ثقات المسلمين ـ قال: كنت عند مالك فدخل عليه رجل، فقال: يا أبا عبد الله، ما تقول فيمن يقول القرآن مخلوق؟ فقال مالك: زنديق، اقتلوه. فقال: يا أبا عبد الله، إنما أحكي كلامًا سمعته.

قال: إنما سمعتُه منك. وعظَّم هذا القول.

رواه حرب الكرماني في «السُّنة» (٣٧٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٢٥).

ـ وفي «السِّير» (٨/ ١٠٢) قال القاضي عياض: روى ابن نافع، عن مالك: من قال: القرآن مخلوق يجُلد ويحبس.

قال: وفي رواية بشر بن بكر، عن مالك قال: يقتل، ولا تُقبل له توبة. اهـ.

ـ وفي «الإبانة الكبرى» (٢٣٣٥) ثنا ابن مخلد، ثنا المروذي، ثنا أبو مصعب الزهري، قال: سمعت مالك بن أنس رَحِمَهُ اللهُ يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق، فمن زعم أنه مخلوق؛ فقد كفر بما أُنزل على محمد ﷺ، والذي يقف شرٌّ من الذي يقول.

فقال: لو أني على سلطان لقمتُ على الجسر، فكان لا يمرُّ بي رجل إلَّا سألته، فإذا قال: القرآن مخلوق، ضربتُ عنقَه، وألقيتُهُ في الماء.

٢٠٢ ـ وحدثنا ابن مخلد، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا عُبيد الله[(١)] بن عمر القواريري، قال: قال عبد الرحمٰن بن مهدي: لو كان لِيَ الأمرُ لقمتُ على الجسر، فلا يمُرُّ بي أحدٌ [١٧/أ] يقول: القرآن مخلوق، إلَّا ضربتُ عنقَه، وألقيتُه في الماء.

٢٠٣ ـ حدثني عمر بن أيوب، قال: ثنا الحسن بن الصباح، قال: قال يزيد بن هارون: وذكر الجهمية، قال: هم ـ والله الذي لا إلٰه إلَّا هو ـ زنادقة، عليهم لعنة الله[(٢)].

---

(١) في الأصل: (عبد الله)، وهو تصحيف، والصواب ما أثبته.

(٢) وصف الجهمية بأنهم زنادقة ضلال محل إجماع بين أهل السنة.

ـ قال الدارمي رَحِمَهُ اللهُ في «الرد على الجهمية» (٣٨٦): فالجهمية عندنا زنادقة من أخبث الزنادقة، نرى أن يستتابوا من كفرهم، فإن أظهروا التوبة تركوا، وإن لم يظهروها [لم] يتركوا، وإن شهدتْ عليهم بذلك شهود فأنكروا ولم يتوبوا قُتِلوا، كذلك بلغنا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه سَنَّ في الزنادقة. اهـ.

وقال: فرأينا هؤلاء الجهمية أفحشَ زندقةً، وأظهرَ كفرًا، وأقبح تأويلًا لكتاب الله وردِّ صفاته فيما بلغنا عن هؤلاء الزنادقة الذين قتلهم علي رضي الله عنه وحرقهم... فقال لي المناظر الذي ناظرني: أردت إرادة منصوصة في إكفار الجهمية باسمهم، وهذا الذي رَوَيْتَ عن علي رضي الله عنه في الزنادقة.

فقلت: الزنادقة والجهمية أمرهما واحد، ويرجعان إلى معنى واحد، ومراد واحد، وليس قومٌ أشبهَ بقوم منهم بعضهم ببعض، وإنما يُشَبَّه كل صنف وجنس بجنسهم وصنفهم. اهـ.

ـ وقال في «النقض» (١/ ٥٨٠): فالجهمية عندنا أخبث الزنادقة؛ لأن مرجع قولهم إلى التعطيل كمذهب الزنادقة سواء.

وقال: والتجهم عندنا باب كبير من الزندقة، يستتاب أهله، فإن تابوا وإلَّا قتلوا. اهـ.

- وفي «الإبانة الكبرى» (٢٣٨٤/أ) قال عبد الوهاب الورَّاق: الجهميةُ كفارٌ زنادقةٌ مشركون.

- وقال حرب الكرماني رَحِمَهُ اللهُ في «عقيدته» (٩٦): والجهمية: أعداءُ الله وهم الذين يزعمون أن القرآنَ مخلوقٌ، وأن اللهَ ﷻ لم يُكلِّم موسى، وأن اللهَ لا يتكلَّم، ولا يُرى، ولا يُعرفُ لله مكانٌ، وليس لله عرشٌ، ولا كرسيٌّ، وكلام كثيرٌ أكرَه حكايته. وهم كفارٌ زنادِقةٌ أعداءُ الله فاحذروهم. اهـ.

- وقال ابن بطة رَحِمَهُ اللهُ في «الإبانة الكبرى» (٢٤٩٨): فتفكَّروا - رحمكم الله - فيما اعتقدته الجهمية وقالته، وجادلت فيه، ودعت الناس إليه؛ فإن من رزقه الله فهمًا وعقلًا، ووهب له بصرًا نافذًا، وذهنًا ثاقبًا، علم بحسن قريحته، ودقّة فطْنته أن الجهمية تريد: إبطال الرُّبوبية، ودفع الإلهية، واستغنى بما يدله عليه عقله، وتنبُّهه عليه فطنته عن تقليد الأئمة القدماء والعلماء والعقلاءِ الذين قالوا: (إن الجهمية زنادقة، وإنهم يدورون على أن ليس في السماء شيء)، فإن القائِلين لذلك بحمد الله أهل صدق وأمانة، وورع وديانة، فإن من أنعم النظر وجد الأمر كما قالوا. اهـ.

- وفي «الإبانة الكبرى» (٢٣٢٨) قال أحمد بن عسَّال: قلتُ لحمدويه: بأيّ شيء تعرف الزّنادقة؟ قال: الزنادقة ضُروب؛ ولكن من رأيته يقول: إن الله لا يُرى، وأن القرآن مخلوق؛ فهو زنديق.

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٥/ ٣٨٠): وهذا كثير من كلام السَّلف والأئمة وسائر العلماء لا يحصيه إلّا الله، يصفون الجهمية بالزندقة التي هي النفاق وبالتعطيل وبالجحود للقرآن والحديث، وبأنهم إنما يُقرُّون في الظاهر بالإسلام والقرآن خوفًا من السيف. اهـ.

- وقال في «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٣٥٢): ولهذا كان الإمام أحمد وغيره من الأئمة يعلمون مقصودهم وأن غرضهم التّعطيل، وأنهم زنادقة، والزّنديق: المنافق، ولهذا تجد مُصنفات الأئمّة يصفونهم فيها بالزّندقة، كما صنّف الإمام أحمد «الرَّدّ على الزنادقة والجهمية»، وكما ترجم البخاري آخر كتاب الصَّحيح بـ «كتاب التوحيد، والرَّدّ على الزنادقة والجهمية». اهـ.

- وقال أيضًا في «درء التعارض» (٥/ ٣٠٢): وكلّ مَن تدبّرَ كلام السَّلف والأئمة في هذا الباب عَلِمَ أن الجهمية النفاة للصّفات كانوا عند السَّلف

٢٠٤ ـ حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز، قال: ثنا حنبل بن إسحاق، قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل وسأله يعقوب الدورقي عمن قال: القرآن مخلوق؟

فقال: من زعم أن عِلمَ الله وأسماءه مخلوقة فقد كفر، يقول الله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٦١]، أفليس هو القرآن؟

فمن زعم أن عِلمَ الله وأسماءه وصفاته مخلوقة؛ فهو كافر لا شكَّ في ذلك، إذا اعتقد ذلك، وكان رأيَه ومذهبَه، وكان دينًا يتديَّن به، كان عندنا كافرًا.

٢٠٥ ـ أخبرنا أبو القاسم ـ أيضًا ـ، قال: حدثني سعيد بن نُصير أبو عثمان الواسطي في مجلس خلف البزار، قال: سمعت ابن عيينة يقول: ما يقول هذا الدُّويبة؟[(١)] ـ يعني: بِشرًا المريسي ـ[(٢)].

والأئمة مِن جُملة الملاحدة والزَّنادقة. اهـ.

(١) في هامش الأصل: (هذه الدويبة) خ.

و(الدُّويبة): تصغير دابة، وهو من باب التحقير لأهل البدع.

(٢) بشر بن غياث العدوي المريسي الجهمي، هلك سنة (٢١٨هـ).

هو الذي جرَّدَ القول بخلق القرآن، ودعا إليه حتى صار إمام الجهمية في عصره؛ فمقته أهل العلم وكفَّروه، واستبشروا بموته.

ـ فعند اللالكائي (٦١٠/بتحقيقي) قال هشام بن عبيد الله: المريسي عندنا خليفة جهم بن صفوان الضّال، وهو ولي عهده.

ـ وقال سعد الزنجاني رحمه الله في «شرحه لمنظومته في السُّنة» (١٠٩): كان بِشر بن غياث المريسي من الأنبار، وكان أبوه يهوديًا متكلّمًا، أدْخَلَ على اليهود في توراتهم ما أدخل بِشرٌ على المسلمين في قرآنهم، وكان يتفقَّه على مذهب أبي حنيفة، وكان يذهب في القرآن وفي نفي الصفات مذهب جهم، وكان يخالف جهمًا في الإيمان، ويقول: إنه قولٌ وتصديقٌ، وكان يخالفه في =

قالوا: يا أبا محمد، يزعم أن القرآن مخلوق.

فقال: كَذَبَ، قال الله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فـ(الخلق): خلق الله، و(الأمر): القرآن(١).

الجبر، ويوافق المعتزلة في نفي الخلق عن الأفعال، وناظره غير واحد من علماء السُّنة، وألزموه إلزاماتٍ لم ينفصِل عنها، ولا ترك مذهبه عنادًا، فهجره قومٌ من أصاحبه، ومات مهجورًا.اهـ.

* انظر: كتاب «السُّنة» للخلال (٧٧/ ذكر بشر المريسي).

واللالكائي (٦٠٧/ أخبار الجعد بن درهم والمريسي).

(١) في «السنة» لعبد الله بن أحمد (١٨١) قال سَوَّارَ بن عبد الله القاضي: سمعت أخي عبد الرحمٰن بن عبد الله بن سَوَّار، يقول: كنت عند سفيان بن عُيينةَ، فوثبَ الناسُ على بشرِ المريسي حتى ضربوه، وقالوا: جهميٌّ. فقال له سُفيان: يا دُوَيبة، يا دُوَيبة، ألم تسمع الله ﷻ يقول: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فأخبرَ ﷻ أن (الخلق) غير (الأمرِ).

قيل لسوَّارِ: فأيش قال بشرٌ؟ قال: سكت، لم يكن عنده حُجَّة.

ـ قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ في «الرد على الجهمية والزنادقة» (٢٦): وقد فَصَلَ الله بين (قوله) وبين (خلقه)، ولم يسمِّه قولًا، فقال: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾.

فلما قال: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ﴾، لم يبقَ شيء مخلوق إلَّا كان داخلًا في ذلك، ثم ذكر ما ليس بخلق، فقال: ﴿وَالْأَمْرُ ۝﴾، فأمره هو قوله، تبارك الله رب العالمين أن يكون قوله خلقًا.

وقال: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝﴾ [الدخان]، ثم قال في القرآن: هو أمر من عندنا.اهـ.

ـ وقال ابن خزيمة في «كتاب التوحيد» (١/ ٣٣١): ففرَّق الله بين (الخلق) و(الأمر) الذي به يخلق الخلق بواو الاستئناف، وأعلمنا الله جل وعلا في مُحكم تنزيله: أنه يخلق الخلقَ بكلامه وقوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۝﴾ [يس]، فأعلمنا جل وعلا أنه يكون كل مكوَّن من خلقه بقوله: ﴿كُن﴾، وقوله: ﴿كُن﴾: هو كلامُه الذي به يكوّن الخلق، وكلامه ﷻ الذي به يكون الخلق غير الخلق الذي يكون مكوَّنًا بكلامه، فافهمه، ولا =

٢٠٦ ـ **أخبرنا** أبو القاسم، قال: ثنا إسحاق بن إبراهيم البغوي ـ ابن عم أحمد بن منيع ـ(١)، قال: سمعت أحمد بن حنبل: وسُئِل عمن قال: القرآن مخلوق؟ فقال: كافر(٢).

٢٠٧ ـ **قال** أبو القاسم: وأخبرنا وهب بن بقية الواسطي، قال: سمعت وكيعًا يقول: من قال: القرآن مخلوق؛ فهو كافر.

٢٠٨ ـ **حدثنا** أبو بكر محمد بن هارون العسكري الفقيه، قال: ثنا محمد بن يوسف بن الطباع، قال: سمعت رجلًا سأل أحمد بن حنبل، فقال: يا أبا عبد الله، أُصلي خلف من يشرب المُسكر؟

قال: لا.

قال: فأُصلي خلف من يقول: القرآن مخلوق؟

قال: فقال: سبحان الله! أنهاك عن مسلمٍ، وتسألني عن كافر؟!

٢٠٩ ـ **أخبرنا** ابن مخلد، قال: ثنا أبو داود، قال: سمعت أحمد بن حنبل، وذَكر له رجلٌ أن رجلًا قال: إن أسماءَ الله مخلوقة، والقرآن مخلوق.

فقال أحمد: كُفرٌ بيِّن.

قلت لأحمد: من قال: إن القرآن مخلوق فهو كافر؟

تغلط، ولا تغالط. . . إلخ.

(١) في الأصل: (ثنا إسحاق بن إبراهيم البغوي، وثنا ابن عم أحمد بن حنبل)، والصواب ما أثبته. انظر: ترجمته في «طبقات الحنابلة» (٢/ ٣٦٦).
رواه على الصواب أبو طاهر المخلص عن أبي القاسم البغوي كما في «السادس من الفوائد المنتقاة عن الشيوخ العوالي» لأبي الفتح بن أبي الفوارس (١٢٣٧).

(٢) وفي «طبقات الحنابلة» (١/ ١٨٣) قال إسحاق بن إبراهيم البغوي ابن عمّ أحمد بن منيع: سمعت أحمد وسُئِلَ عمن قال: القرآن مخلوق؟ فقال: كَفَرَ. فتح الكاف.

قال: أقول: هو كافر[(١)].

٢١٠ ـ وحدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد الصندلي، قال: ثنا الفضل بن زياد، قال: ثنا أبو طالب، قال: قال لي أحمد: يا أبا طالب، ليس شيءٌ أشد عليهم مما أدخلتُ على من قال: القرآن مخلوق، قلت: عِلمُ الله مخلوق؟ قالوا: لا.

قلت: فإن عِلم الله هو القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٦١]، هذا في القرآن في غير موضع[(٢)].

---

(١) في «السُّنة» للخلال (١٨٦٣) قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: من قال: إن أسماء الله مخلوقة؛ فكأن أسماء الله لم تكن حتى خُلقت، وإن كل مخلوق يبيد، فهذا عندي كافر إذا قال هذا.

(٢) وعند اللالكائي (٣٨٤) قال الحسن بن أيوب: سألت أحمد بن حنبل: ما تقول في القرآن؟

قال: كلام الله غير مخلوق.

قال: قلت: ما تقول فيمن قال: مخلوق؟ قال: كافر.

قلت: بم أكفرته؟ قال: بآيات من كتاب الله: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [البقرة: ١٢٠]، و﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [البقرة: ١٤٥]، فالقرآن: علم الله، فمن زعم أن علم الله مخلوق؛ فقد كفر.

ـ وفي «ذيل السنة» للخلال (٣/٢١٥٤) قال يعقوب بن إبراهيم الدورقي: سألتُ أحمد بن حنبل عمن يقول: القرآن مخلوق؟

فقال: كنتُ لا أكفِّرهم حتى قرأتُ آياتٍ مِن القرآن: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [البقرة: ١٤٥]، وقوله: ﴿بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [البقرة: ١٢٠]، وقوله: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٦]، فالقرآنُ مِن علمِ الله، ومن زعم أن عِلمَ الله مخلوقٌ فهو كافرٌ، ومَن زعم أنه لا يَدري: =

٢١١ ـ حدثنا الحسن بن علي الجصاص، قال: ثنا الربيع بن سليمان، قال: سمعت الشافعي يقول وذكر القرآن وما يقول حفص الفرد[١]، وكان الشافعي رحمه الله يقول: حفص المُنفرد، وناظره بحضرة والٍ كان بمصر، فقال له الشافعي في المُناظرة: كفرتَ واللهِ الذي لا إله إلَّا هو.

ثم قاموا فانصرفوا، فسمعت حفصًا يقول: أشاط[٢] ـ والله الذي لا إله إلَّا هو ـ الشافعي بدمي[٣].

قال الربيع: وسمعت الشافعي يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال: مخلوق فهو كافر.

قال الربيع: القرآن كلام الله غير مخلوق، فمن قال: القرآن مخلوق؛ فهو كافر.

عِلمُ الله مَخلوقٌ أو ليسَ بمخلوقٍ؟ فهو كافر، أشرُّ ممن يقول: القرآنُ مخلوق.

(١) في «السير» (١٠/ ٣٠) قال محمد بن إسحاق بن خزيمة: سمعت الربيع يقول: لما كلم الشافعي حفص الفرد، فقال حفص: القرآن مخلوق.
فقال له الشافعي: كفرت بالله العظيم.
ـ وفيه (١٠/ ٢٨) عن حسين الكرابيسي، قال: سُئل الشافعي عن شيء من الكلام، فغضِبَ، وقال: سل عن هذا حفصًا الفرد وأصحابه أخزاهم الله.
ـ قال يونس بن عبد الأعلى: سمعت الشافعي يوم ناظره حفص الفرد، قال لي: يا أبا موسى، لَأَنْ يلقى اللهَ العبدُ بكلِّ ذنبٍ ما خلا الشِّركَ خيرٌ من أن يلقاه بشيءٍ من الكلام، لقد سمعت من حفصٍ كلامًا لا أقدر أن أحكيه.
«درء التعارض» (٧/ ١٤٦).

(٢) أشاط دمه، وأشاط بدمه: إذا عرَّضه للقتل.
«غريب الحديث» للحربي (٣/ ١١٥٢).

(٣) قول الشافعي رحمه الله لحفص: (كفرتَ بالله العظيم) صريح في كفر المعين خلافًا لمن ادعى أن الشافعي لم يكفره، وقد يصح قول من قال ذلك لو أن الشافعي قال: (كلامك كفر) أو عبارة نحوها تحتمل ذلك، أما هذه العبارة فلا يفهم منها إلا التكفير الأكبر المخرج عن دين الإسلام، نسأل الله السلامة والعافية.

٢١٢ ـ حدثنا علي بن حسنويه القطان، قال: ثنا محمد بن إسحاق الصاغاني، قال: سمعت أبا عُبيد القاسم بن سلَّام يقول: من قال: القرآن مخلوق فقد افترى على الله، وقال على الله ما لم تقله اليهود ولا النصارى[1].

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢١٣ ـ وقد احتجَّ أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ بحديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إن أوَّلَ ما خلقَ اللهُ من شيءٍ القلمُ»، وذكر أنه حُجَّةٌ قويَّةٌ على من يقول: القرآن مخلوق، كأنه يقول: قد كان الكلام قبل خلق القلم، وإذا كان أولُ ما خلقَ اللهُ من شيءٍ القلمَ دلَّ على أن كلامه ليس بمخلوقٍ؛ لأنه قبل خلق الأشياء.

---

(١) وعند اللالكائي (٤١٧) عن أبي عبيد القاسم بن سلام قال: من قال: (القرآن مخلوق)؛ فهو شرّ ممن قال: (إن الله ثالث ثلاثة) جل الله وتعالى؛ لأن أولئك يثبتون شيئًا، وهؤلاء لا يثبتون المعنى.

ـ وعند الخلال (١٩٤٦) قال أبو عُبيد: من قال: (القرآن مخلوق)، فليس شيءٌ مِن الكفر إلّا هو دونه، فقد قال هذا على الله ما لم تقله اليهود والنصارى، وإنما مذهبهم التعطيل.

ـ قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في «خلق أفعال العباد» (٣٤): نظرتُ في كلام اليهودِ والنصارى والمجوس؛ فما رأيتُ قومًا أضلّ في كُفرِهم منهم، وإني لأستَجهلُ مَن لا يُكفرهم إلّا مَن لا يعرف كفرهم. ـ يعني: الجهمية ـ.

ـ وقال عبد الله بن إدريس رَحِمَهُ اللَّهُ: اليهود والنصارى والمجوس هم والله خيرٌ ممن يقول: القرآن مخلوق.

ـ وفي «خلق أفعال العباد» (١٨) قال سعيد بن عامر: الجهمية شرٌّ قولًا من اليهود والنصارى، قد اجتمعت اليهود والنصارى وأهل الأديان: أن الله تبارك وتعالى على العرش، وقالوا هم: ليس على العرش شيء.

ـ وقال ابن خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ في «كتاب التوحيد» (١/ ١٩٢): فالمعطلة الجهمية الذين هم شرٌّ من اليهود والنصارى والمجوس: كالأنعام بل أضل؛ فالمعطلة الجهمية عندهم كالأنعام بل هم أضل.اهـ.

٢١٤ - وحدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد الصندلي، قال: ثنا الفضل بن زياد، قال: سألت أبا عبد الله عن عباس[1] النَّرسي، فقلت: كان صاحب سُنة؟

فقال: رحمه الله.

قلت: بلغني عنه أنه قال: ما قولي: القرآن غير مخلوق إلّا كقولي: لا إله إلّا الله.

فضَحِكَ أبو عبد الله! وسُرَّ بذلك.

قلت: يا أبا عبد الله، أليس هو كما قال؟

قال: بلى، ولكن هذا الشيخ دلَّنا عليه لُوَين على شيءٍ لم نفطن له، قوله: (إنَ أولَ ما خلقَ اللهُ تعالى من شيءٍ: خلق القلم)، والكلام قبل القلم.

قلت: يا أبا عبد الله، أنا سمعته يقوله.

قال: سُبحان الله! ما أحسن ما قال [١٧/ب]، كأنه كَشفَ عن وجهي الغِطاء. ورفع يده إلى وجهه.

قلت: إنه شيخٌ قد نشأ بالكوفة.

فقال أبو عبد الله: إن واحد الكوفة واحد، ثم ذكر حديث ابن عباس رضي الله عنه: (أول[2] ما خلق الله من شيء القلم).

فقال: كم ترى قد كتبناه؟!

ثم قال: نظرتُ فيه، فإذا قد رواه خمسة عن ابن عباس رضي الله عنهما[3].

---

(١) في الأصل: (عياش)، والصواب ما أثبته.
انظر: «تهذيب الكمال» (١٤/ ٢٥٩).

(٢) في هامش الأصل: (إن أول) خ.

(٣) قال الخلال رحمه الله في «السُّنة» (١٨٧٣): أخبرني أحمد بن محمد بن عبد الله بن =

قال محمد بن الحسين:

وقد خرَّجتُ هذا الباب في (كتاب القدر)، وأنا أذكره ههنا لتقوى به حُجَّةُ أهل الحقِّ على أهل الزيغ.

٢١٥ ـ أخبرنا الفريابي، قال: ثنا أبو مروان هشام بن خالد الدمشقي ـ يعني: الأزرق ـ، قال: ثنا الحسن بن يحيى الخُشَني، عن أبي عبد[1] الله مولى بني أُمية، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أولُ شيءٍ خلقَ اللهُ القلمُ، ثم خلق النُّون، وهي الدَّوَاة، ثم قال: اكتب. قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما يكون، وما هو كائن من عملٍ، أو أثرٍ، أو رزقٍ، فكَتَبَ ما يكون، وما هو كائن إلى يوم القيامة، فذلك قوله

صدقة، قال: سمعت لوينًا يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق، ما أنا قلته؛ ولكن ابن عباس رضي الله عنهما قاله؛ حدثنا هشيم، قال: ثنا منصور بن زاذان، عن الحكم، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أول ما خلق الله القلم.

قال لُوين: فأخبر ابن عباس أن أول ما خلق الله القلم.

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل].

فإنما خلق الخلق بـ ﴿كُن﴾، وكلامه قبل الخلق.

قال أبو بكر بن صدقة: قال الفضل بن زياد: فدخلت على أبي عبد الله أحمد بن حنبل، وقد كنت حضرت مجلس لوين، فقال لي: يا أبا العباس، حضرت مجلس هذا الشيخ؟

قلت: نعم.

قال: سمعت ما قال الشيخ في القرآن؟ فقلت: نعم.

قال: سبحان الله! كأنما كان على وجهي غطاء فكشفه عنه، أما سمعت قوله: (أول ما خلق الله القلم)، وإنما خلق القلم بكلامه، وكان كلامه قبل خلقه.

ثم قال لي: تعلم أن واحد الكوفيين واحد ـ يعني: أن لوينًا أصله كوفي ـ.

(١) في الأصل: (عبيد)، والصواب ما أثبته. انظر ترجمته في «تهذيب الكمال» (٢٩/ ٢٦٦)، وسيأتي على الصواب برقم (٢١٥).

تعالى: ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١﴾ [القلم]، ثم ختمَ على القلم، فلم ينطق، ولا ينطق إلى يوم القيامة»(١).

٢١٦ - وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: ثنا زيد بن الحُبَاب، قال: ثنا معاوية بن صالح، قال: حدثني أيوب أبو(٢) زيد الحمصي، عن عبادة بن الوليد بن عُبادة بن الصامت، عن أبيه، أنه دخل على عبادة ﷺ وهو مريض يُرى فيه الموت، فقال: يا أبه، أوصني واجتهد.

قال: اجلس، فقال: إنك لن تجدَ طعمَ الإيمان، ولن تبلغ حقيقةَ الإيمان، حتى تؤمن بالقدر خيره وشرِّه.

قلت: وكيف لي أن أعلمَ خيرَه وشرَّه؟

قال: تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليُصيبَك، وأن ما أصابك لم يكن ليخطئَك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول شيءٍ خلق الله تعالى القلمُ، فقال له: اجْرِ. فجرى تلك الساعةَ إلى يومِ القيامةِ بما هو كائِن، فإن متَّ وأنت على غير ذلك، دخلتَ النار»(٣).

٢١٧ - حدثنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن شاهين، قال: ثنا عبد الله بن عمر الكوفي، قال: ثنا إسحاق بن سليمان، عن(٤) معاوية بن يحيى، عن الزهري، عن محمد بن عُبادة بن الصامت، قال: دخلت على أبي، فقال: أي بُنيَّ(٥)، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول شيءٍ خلقَ اللهُ القلمُ فقال: اكتب.

---

(١) رواه الفريابي في «القدر» (١٨)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١٤٧٧).
قال ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ١٨٦): حديث غريب جدًا .اهـ.
(٢) كتب فوقها: (ابن) خ.
(٣) رواه أحمد (٢٢٧٠٥ و٢٢٧٠٧)، وأبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٢١٥٥)، وهو صحيح.
(٤) كتب فوقها: (عن أبي) خ، وما أثبته هو الصواب.
(٥) في هامش الأصل: (قال أبي: يا بُنيَّ) خ.

قال: وما أكتب؟ قال: اكتبِ القدر. فجرى تلك الساعةَ بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة»، ولهذا الحديث طُرق جماعة.

٢١٨ ـ **وحدثنا** ابن شاهين، قال: ثنا أبو هشام الرفاعي، قال: ثنا محمد بن الفضيل، قال: ثنا عطاءٌ، عن أبي الضحى، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أولُ ما خلق الله تعالى: القلمُ، فقال: اكتبْ. قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائنٌ إلى يوم القيامة، ثم خلق النون[1]، فكبس على ظهره الأرض، فذلك قوله: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١﴾ [القلم].

٢١٩ ـ **وأخبرنا** الفريابي، قال: ثنا مِنْجَاب بن الحارث، قال: أنا ابن مُسْهِر، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن أول ما خلق الله تعالى القلم... وذكر الحديث[2].

٢٢٠ ـ **وأخبرنا** أبو عبيد علي بن الحسين بن حرب القاضي، قال: ثنا أبو الأشعث أحمد بن المِقدَام، قال: ثنا المُعتمر بن سُليمان، قال: ثنا عصمة أبو عاصم، عن عطاءِ بن السائِب، عن مِقْسَم، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إنَّ أولَ ما خلقَ اللهُ تعالى من شيءٍ القلمُ... وذكر الحديث.

ولحديث ابن عباس رضي الله عنهما طُرق جماعة.

قال محمد بن الحسين:

وفي حديث آدم مع موسى حُجَّة قويَّة أن القرآن كلام الله تعالى ليس بمخلوق، وسنذكره إن شاءَ الله تعالى.

٢٢١ ـ **حدثنا** أبو العباس عبد الله بن الصقر السُّكري، قال: ثنا إبراهيم بن المنذر الحِزامي، قال: ثنا عبد الله بن وهب.

---

(١) يعني: الحوت.

(٢) هذه الآثار صحيحة عن تُرجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما.

٢٢١/أ - **وحدثنا** أبو بكر بن أبي داود، قال: ثنا أحمد بن صالح المصري، وأبو الطاهر أحمد بن عمرو، قالا: ثنا ابن وهب.

٢٢١/ب - **وأخبرنا** الفريابي، قال: حدثني أبو مسعود أحمد بن الفُرات، قال: ثنا أصبغ بن الفرج، قال: ثنا عبد الله بن وهب، قال: ثنا هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن موسى ﷺ قال: يا رب، أرِنا آدم الذي أخرجنا من الجنة، فأراه الله تعالى آدم.

فقال: أنت أبونا آدم؟ فقال له آدم: نعم.

قال: أنت الذي نفخ اللهُ فيك من روحه، وعلَّمك الأسماءَ كلَّها، وأمر ملائكته فسجدوا لك؟ قال: نعم.

قال: فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة؟

قال له آدم: ومن أنت؟ قال: أنا موسى.

قال: أنت نبيُّ بني إسرائِيل، أنت الذي كلَّمك الله تعالى من وراءِ حجاب، ولم يجعل بينك وبينه رسولًا من خلقه؟ قال: نعم.

قال: فما وجدتَ في كتاب الله تعالى أن ذلك كان في كتاب الله تعالى قبل أن أُخلق؟ قال: نعم.

قال: فلِمَ تلومُني في شيءٍ سبق من الله تعالى فيه القضاءُ قبلي؟!».

قال النبي ﷺ [١٨/أ] عند ذلك: «فحجَّ آدمُ موسى»(١).

قال محمد بن الحسين:

٢٢٢ - **فإن قال قائل:** أين موضع الحُجَّة فيما قلت؟

قيل له: قول آدم لموسى: «أنت الذي كلَّمك الله مِن وراءِ حِجاب، ولم يجعل بينك وبينه رسولًا من خلقه؟»، وإنما كان بينهما الكلام، فدلَّ

(١) رواه أبو داود (٤٧٠٢)، ويشهد له ما رواه البخاري (٣٤٠٩ و٦٦١٤)، ومسلم (٢٦٥٢).

على أن كلام الله تعالى ليس بمخلوق، إذ قال: «لم يجعل بينك وبينه رسولًا من خلقه». فتفهَّموا هذا تفقهوا إن شاء الله.

٢٢٣ ـ وحدثنا ابن(١) مخلد، قال: ثنا أبو داود، قال: سمعت إسحاق بن راهويه، وهناد بن السَّرِيّ، وعبد الأعلى بن حماد، وعبيد الله بن عمر، وحكيم بن سيف الرَّقي، وأيوب بن محمد، وسوّار بن عبد الله، والربيع بن سليمان صاحب الشافعي، وعبد الوهاب بن عبد الحكم، ومحمد بن الصبَّاح، وعثمان بن أبي شيبة، ومحمد بن بكّار بن الريان، وأحمد بن جواس الحنفي، ووهب بن بقيَّة، ومن لا أُحصيهم من علمائِنا، كل هؤلاء سمعتهم يقولون: القرآن كلام الله ليس بمخلوق، وبعضهم قال: غير مخلوق(٢).

قال محمد بن الحسين:

فيما ذكرتُ من هذا الباب بلاغٌ لمن عقل وسَلِمَ له دينه، والله الموفِّق لكل رشاد.

---

(١) في الأصل: (أبو)، وهو تصحيف، والصواب ما أثبته وقد تكرر مرارًا.

(٢) أوسع من ذكر اعتقاد أهل السُّنة في القرآن وأنه كلام الله غير مخلوق: اللالكائي رَحِمَهُ اللَّهُ في «السُّنة»، فقال (٤٦٠): فهؤلاء خمسمائة نفس وخمسون نفسًا أو أكثر من التابعين، وأتباع التابعين، والأئمة المرضيين، سوى الصحابة الخيّرين على اختلاف الأعصار ومضي السنين والأعوام، وفيهم نحو من مائة إمام ممن أخذ الناس بقولهم، وتديَّنوا بمذاهبهم، ولو اشتغلتُ بنقل قول المُحدِّثين لبلغتْ أسماؤهم ألوفًا كثيرة؛ لكني اختصرت وحذفت الأسانيد للاختصار، فنقلت عن هؤلاء عصرًا بعد عصر، لا يُنكِرُ عليهم مُنكِر، ومن أنكر قولهم استتابوه، أو أمروا بقتله، أو نفيه، أو صلبه. ولا خِلاف بين الأمة أن أول من قال: القرآن مخلوق: جعد بن درهم، في سِني نيف وعشرين، ثم جهم بن صفوان. اهـ.

ـ وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «نونيته» (٦٣٣ ـ ٦٣٤):

ولقد تقلَّد كفرَهُم خمسونَ في ... عشرٍ من العلماءِ في البُلدانِ
واللالكائيُ الإمامُ حكاه عنـ ... ـهم بلْ حكاه قبله الطبراني

١٧ ـ بَاب

ذكر النهي عن مذاهب الواقفة(١)

❁ قال محمد بن الحسين:

٢٢٤ ـ وأما الذين قالوا: (القرآن كلام الله) ووقفوا فيه، وقالوا: لا نقول: (غير مخلوق)؛ فهؤلاء عند كثيرٍ من العلماء ـ ممن ردَّ على من قال بخلق القرآن ـ قالوا: هؤلاء الواقفة مثل من قال: (القرآن مخلوق) وأشرّ؛ لأنهم شكُّوا في دينهم، ونعوذ بالله ممن يشكّ في كلام الرب أنه غير مخلوق(٢).

وأنا أذكر ما تأدّى إلينا منه ممن أنكر على الواقفة من أهل العلم.

---

(١) عقد ابن بطة كَلَلهُ في «الإبانة الكبرى» بابًا نحوه فقال: (٥٨/باب الإيمان بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، خلافًا على الطائفة الواقفة التي وقفت وشكّت، وقالت: لا نقول: مخلوق، ولا غير مخلوق).

وانظر: «السنة» للخلال (٨١/الرد والإنكار على من وقف في القرآن)، واللالكائي (١٤/سياق ما روي في تكفير من وقف في القرآن شاكًّا فيه).

(٢) في «السُّنة» للخلال (١٧٦٦) قال أبو بكر المروذي: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل، يقول: افترقت الجهمية على ثلاث فرق: الذين قالوا: مخلوق، والذين شكُّوا، والذين قالوا: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة.

قال أبو عبد الله: ولا نقول: هؤلاء واقفة، نقول: هؤلاء شَكَّاكة.

ـ وقال الكرماني كَلَلهُ في «السُّنة» (٩٧): (الواقفة): وهم الذين يزعمون أنا نقول: (إن القرآن كلام الله، ولا نقول: غير مخلوق)، وهم شرّ الأصناف وأخبثها. اهـ.

٢٢٥ ـ حدثنا ابن مخلد، قال: ثنا أبو داود السّجستاني، قال: سمعت أحمد يُسألُ: هل لهم رُخصة أن يقول الرجل: القرآن كلام الله ثم يسكت؟

فقال: ولِمَ يسكتُ؟! لولا ما وقع فيه الناس كان يسعه السُّكوت، ولكن حيث تكلَّموا فيما تكلموا، لأيِّ شيءٍ لا يتكلمون؟!

قال محمد بن الحسين:

٢٢٦ ـ معنى قول أحمد بن حنبل في هذا المعنى يقول: لم يختلف أهلُ الإيمان أن القرآن كلام الله تعالى، فلما جاء جَهْمُ بن صفوانَ[1] فأحدث الكفر بقوله: (القرآن مخلوق)، لم يسعِ العلماء إلَّا الردُّ عليه بأن القرآن كلام الله غير مخلوق بلا شكٍّ ولا توقُّف فيه، فمن لم يقل: (غير مخلوق)؛ سُمِّي: واقفيًا شاكًّا في دينه[2].

---

(١) أظهر إنكار الصفات، والقول بخلق القرآن. وقد أجمع أهل السُّنة على كفره وضلاله. قُتِلَ سنة: (١٢٨هـ) على يد سلم بن أحوز المازني، صاحب شرطة بني أمية في خراسان.

ـ روى ابن أبي حاتم: أن سلمًا قال: يا جهم، إني لست أقتلك لأنك قاتلتني، أنت أحقر من ذلك؛ ولكني سمعتك تتكلم بكلام أعطيتُ الله عهدًا أن لا أملكك إلَّا قتلتُك. «الفتح» (١٣/ ٣٤٦).

وقد عقد غير واحد من أهل السُّنة أبوابًا في مصنفاتهم في التحذير من هذا الهالك، ومن ذلك:

١ ـ قال عبد الله بن أحمد رَحِمَهُ اللهُ في «السنة»: (ما حفظتُ في جَهْم وبِشْرٍ).

٢ ـ قال الخلال رَحِمَهُ اللهُ في «السُّنة» (٧٦/ تفريع أبواب الرد على الجهمية والطعن فيهم.. وذِكْرُ جَهْم الخبيث).

٣ ـ قال ابن بطة رَحِمَهُ اللهُ في «الإبانة الكبرى» (٦٤): (باب ما رُوي في جهم وشيعته الضُّلال، وما كانوا عليه مِن قبيح المقال).

(٢) كان القرن الأول على القولِ بأن القرآن كلام الله، ولم يصرِّحوا بأنه (غير مخلوق) حتى نشأت الجهمية وصرَّحوا بخلقِ القرآن، وامتحنوا الناس على ذلك، ولبَّسوا على العامَّة أمر دينهم وعقيدتهم في كلام الله تعالى.

فحينئذٍ لم يسع أئمةَ أهل السُّنة السُّكوتُ أمام هذا الكفر الظاهر والضَّلال البيّن، فصرَّحوا بالقول بأن القرآن كلام الله، وزادوا زيادة بيان وإيضاح بأنه (غير مخلوق)، بل وأنكروا على من توقَّف فيه، وقال: لا أقول: (مخلوق، ولا غير مخلوق).

ـ قال عثمان الدَّارمي رَحِمَهُ اللَّهُ في «النقض» (ص٣١٠ ـ ٣١٢): إنما كَرِهَ مَن كَرِهَ الخوض مِن هؤلاء المشايخ ـ إن صحَّت عنهم روايتك ـ لَمَّا أنه لم يكن يخوض فيه إلَّا شِرذِمَةٌ أذلَّةٌ سِرًّا بمُناجاةٍ بينهم، وإذا العامة مُتمسِّكون منهم بالسنن الأولى، والأمر الأوَّل.

فكَرِهَ القوم الخوض فيه إذ لم يكن يُخاضُ علانيةً، وقد أصابوا في ترك الخوض فيه إذ لم يُعلن، فلما أعلنوه بقوَّة السُّلطان، ودَعَوا العامة إليه بالسّيوف والسّياط، وادَّعوا أن كلام الله مخلوق، أنكر عليهم ذلك مَن غبَرَ مِن العلماء، ومَن بقي من الفقهاء، فكذَّبوهم، وكفَّروهم، وحذَّروا الناس أمرهم، وفسَّروا مرادهم من ذلك، فكان هذا مِن الجهمية: خوضًا فيما نُهوا عنه، ومِن أصحابنا: إنكارًا للكفر البيِّن، ومنافحة عن الله كيلا يُسبَّ وتُعطَّلَ صفاته، وذبًّا عن ضعفاء الناس كيلا يَضلُّوا بمحنتهم هذه، من غير أن يعرفوا ضدّها من الحُجج التي تنقض دعواهم، وتُبطلُ حججَهم.

فقد كتب إليَّ عليُّ بن خَشرم، أنه سمع عيسى بن يونس يقول: لا تُجالسوا الجهمية، وبيِّنوا للناس أمرهم كي يَعرفوهم فيحذروهم.

وقال ابن المبارك: لأن أحكي كلام اليهود والنَّصارى أحبُّ إليَّ من أن أحكي كلام الجهمية.

فحين خاضت الجهمية في شيءٍ منه، وأظهروه، وادّعوا أن كلام الله مخلوق، أنكر ذلك ابن المبارك وزعم أنه غير مخلوق، وأن من قال: ﴿أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ [طه: ١٤] مخلوق؛ فهو كافر.. فكَرِه ابن المبارك حكاية كلامهم قبل أن يُعلنوه، فلما أعلنوه أنكر عليهم، وعابهم على ذلك.

وكذلك قال ابن حنبل: كنا نرى السُّكوت عن هذا قبل أن يخوض فيه هؤلاء، فلما أظهروه لم نَجد بُدًّا مِن مُخالفتهم، والرد عليهم..).اهـ.

ـ وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ في «الرد على الجهمية» (٣٥٨): احتججنا بهذه الحجج وما أشبهها على بعض هؤلاء الواقفة، وكان من أكبر احتجاجهم علينا في ذلك =

أن قالوا: إن ناسًا من مشيخة رواة الحديث الذين عرفناهم عن قِلَّة البصر بمذاهب الجهمية سئلوا عن القرآن، فقالوا: لا نقول فيه بأحد القولين، وأمسكوا عنه إذ لم يتوجهوا لمراد القوم؛ لأنها كانت أغلوطة وقعت في مسامعهم لم يعرفوا تأويلها، ولم يبتلوا بها قبل ذلك، فكفوا عن الجواب فيه وأمسكوا. فحين وقعت في مسامع غيرهم من أهل البصر بهم وبكلامهم ومرادهم ممن جالسوهم وناظروهم وسمعوا قبح كلامهم، مثل من سمينا، مثل: جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، وابن المبارك، وعيسى بن يونس، والقاسم الجزري، وبقية بن الوليد، والمُعافى بن عمران، ونظرائهم من أهل البصر بكلام الجهمية، لم يشكوا أنها كلمة كفر، وأن القرآن نفس كلام الله كما قال الله تبارك وتعالى، وأنه غير مخلوق إذ ردَّ الله على الوحيد قوله: (إنه قول البشر) وأصلاه عليه سقر، فصرَّحوا به على علم ومعرفة أنه غير مخلوق، والحُجَّة بالعارف بالشيء، لا بالغافل عنه القليل البصر به، فتعلَّق هؤلاء فيه بإمساك أهل البصر ولم يلتفتوا إلى قول من استنبطه وعرف أصله، فقلنا لهم: إن يك جبُنَ هؤلاء الذين احتججتم بهم من قلَّة بصر، فقد اجترأ هؤلاء وصرَّحوا ببصر، وكانوا من أعلام الناس وأهل البصر بأصول الدين وفروعه حتى أكفروا من قال: مخلوق، غير شاكين في كفرهم ولا مرتابين فيهم. اهـ.

ـ وعند الخلال (١٧٩٧) قال حنبل: قلت لأبي عبد الله: إن يعقوب بن شيبة، وزكريا الشركي بن عمار إنهما إنما أخذا عنك هذا الأمر الوقف.

فقال أبو عبد الله: كنا نأمر بالسُّكوت، ونترك الخوض في الكلام، وفي القرآن، فلما دُعينا إلى أمرٍ ما كان بدًّا لنا من أن ندفع ذلك، ونُبين من أمره ما ينبغي.

قلت لأبي عبد الله: فمن وقف، فقال: لا أقول مخلوق، ولا غير مخلوق؟

فقال: كلام سوء، هو ذا موضع السُّوء وقوفه، كيف لا يعلم؟ إما حلال، وإما حرام، إما هكذا، وإما هكذا، قد نزَّه الله ﷻ القرآن عن أن يكون مخلوقًا، وإنما يرجع هؤلاء إلى أن يقولوا: إنه مخلوق، فاستحسنوا لأنفسهم فأظهروا الوقف، القرآن كلام الله غير مخلوق، بكل جهة، وعلى كل تصريف.

قلت: رضي الله عنك، لقد بيَّنت من هذا الأمر ما قد كان تلبس على الناس.

قال: لا تجالسوهم، ولا تكلم أحدًا منهم.

٢٢٧ ـ وحدثنا ابن مخلد، قال: ثنا أبو داود، قال: سمعت أحمد وذكر رجلين كانا وقفا في القرآن، ودعوا إليه، فجعل يدعو عليهما، وقال لي: هؤلاء فتنةٌ عظيمة، وجعل يذكرهما بالمكروه(١).

ـ وروى أيضًا (١٨٠٤) قال إبراهيم بن الحارث العبادي: قُمت من عند أبي عبد الله [الإمام أحمد]، فأتيت عباسًا العنبري، فأخبرته بما تكلَّم أبو عبد الله في أمرِ ابن المعذِّل، فسُرَّ به، ولبس ثيابه، ومعه أبو بكر بن هانئ، فدخل على أبي عبد الله، فابتدأ عباس، فقال: يا أبا عبد الله، قوم هاهنا حدَّثوا يقولون: (لا نقول: مخلوق، ولا غير مخلوق).

قال: هؤلاء أضرُّ من الجهمية على الناس، ويلكم! فإن لم تقولوا: ليس بمخلوق، فقولوا: مخلوق. فقال أبو عبد الله: كلام سوء.

* «مسألة»: فرَّق أهل السنة فيمن وقف في القرآن جاهلًا بأصل المسألة وبين العالم بها.

ـ ففي «السُّنة» لعبد الله (٢٠٩) سمعتُ أبي رَحِمَهُ اللَّهُ وسُئِلَ عن الواقفة؟

فقال أبي: مَن كان منهم يُخاصِمُ ويُعرفُ بالكلامِ؛ فهو جهمي.

ومن لم يكن يُعرفُ بالكلام؛ يُجانَب حتى يرجع.

ومَن لم يكن له عِلمٌ؛ يَسألَ ويتعلَّم.

ـ وفي «الحُجَّة في بيان المحجة» (١/ ٤٢٤) قال أحمد بن منيع رَحِمَهُ اللَّهُ: من وقف فيه:

فإن كان ممن لا يعقل مثل: البقَّالين، والنساء، والصِّبيان سُكِت عنه وعُلِّمَ.

وإن كان ممن يفهم، فأَجْرِهِ في وادي الجهمية.

ـ وقال أبو حاتم وأبو زُرعة رحمهما الله في عقيدتهما: أدركنا العلماء في جميع الأمصار: حِجازًا، وعِراقًا، وشَامًا، ويمنًا، فكان من مذهبهم:.. ومن وقفَ في القرآن جاهلًا؛ عُلِّمَ، وبُدِّع ولم يُكفَّر. اهـ.

(١) ومن أنكر عليهم الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ وقفهم في القرآن:

ـ أحمد بن المُعذِّل البصري المتكلم، قال فيه الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ كما سيأتي: قد بلغني عن ذاك الخبيثِ ابن مُعذِّل أنه يقول بهذا القول، وقد فُتنَ به قومٌ كثير مِن أهلِ البصرة. اهـ.

قلت: كان ابن المعذّل صاحب الحافظ يعقوب بن شيبة صاحب «المسند الكبير» وشيخه، وعنه أخذ الوقف في القرآن.

- قال أبو بكر المروذي: أظهر يعقوب بن شيبة الوقف في ذلك الجانب من بغداد، فحذَّر أبو عبد الله منه، وقد كان المتوكل أمر عبد الرحمٰن بن يحيى بن خاقان أن يسأل أحمد بن حنبل عمن يُقلَّد القضاء.

قال عبد الرحمٰن: فسألته عن يعقوب بن شيبة.

فقال: مُبتدع، صاحب هوى.

انظر: «تاريخ بغداد» (١٤/ ٣٥٠)، و«السير» (١٢/ ٤٧٨).

وممن أنكر عليهم كذلك الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ:

إسحاق بن أبي إسرائيل، وكان من أصحاب الحديث.

- ففي «طبقات الحنابلة» (١/ ٤٥٩) قال شاهين بن السميدع: سمعت أبا عبد الله يقول: إسحاق بن أبي إسرائيل واقفي مشؤوم، إلَّا أنه كَيِّسٌ صاحب حديث.

- وفي «تاريخ الإسلام» (٥/ ١٠٨٤) قال ابن هانئ: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل ذكر ابن أبي إسرائيل، فقال: بعد طلبه للحديث، وكثرة سماعه شكَّ، فصار ضالًّا شكاكًا.

- وقال أبو حاتم رَحِمَهُ اللَّهُ: وقف في القرآن، فوقفنا عن حديثه، ولقد تركه الناس حتى كنت أمرُّ بمسجده وهو وحيد لا يقربه أحد بعد أن كان الناس إليه عُنقًا واحدًا.

- وقال زكريا الساجي: كان صدوقًا، تركوه لموضع الوقف.

- وقال إسحاق بن داود: تجهَّم إسحاق بن أبي إسرائيل بعد تسعين سنة.

قلت: ومع ذلك فقد دافع عنه الذهبي في «سيره» (١١/ ٤٧٧) بقوله: (قلت: أدَّاه ورعه وجموده إلى الوقف لا أنه كان يتجهَّم، كلَّا)!!

وقال: (الإنصاف في من هذا حاله أن يكون باقيًا على عدالته، والله أعلم). اهـ.

قلت: بل الإنصاف ما كان عليه أئمة السُّنة وعلماء الأثر، فقد طعنوا فيه وهجروه بسبب وقفه، ولم يقولوا: (سكت تورعًا)!!

وكيف يسعه السكوت والوقف فيه بعدما اتضحت الحُجَّة، وقامت البينة، =

٢٢٧/أ ـ قال أبو داود: ورأيت أحمد سَلَّم عليه رجلٌ من أهل بغداد[١]، ممن وقف فيما بلغني، فقال له: اغرُب، لا أراك تجيءُ إلى بابي، في كلام غليظ، ولم يردّ عليه السلامَ، وقال له: ما أحوجك أن يُصنع بك ما صَنع عمر بن الخطاب رضي الله عنه بصَبيغٍ[٢]، ودخل بيته وردَّ الباب.

٢٢٨ ـ حدثنا ابن[٣] مخلد، قال: ثنا أبو داود، قال: سمعت إسحاق بن راهويه، يقول: من قال: (لا أقول: القرآن غير مخلوق)؛ فهو جهمي.

٢٢٨/أ ـ قال أبو داود: وسمعت قُتيبة بن سعيد: وقيل له: الواقفة. فقال: هؤلاءِ الواقفة شرٌّ منهم. ـ يعني: ممن قال: القرآن مخلوق ـ.

٢٢٨/ب ـ قال أبو داود: وسمعت عثمان بن أبي شيبة يقول: هؤلاءِ الذين يقولون: القرآن كلام الله ويسكتون شرٌّ من هؤلاء. ـ يعني: ممن قال: القرآن مخلوق ـ[٤].

٢٢٨/ج ـ قال أبو داود: وسألت أحمد بن صالح: عمن قال:

وأجمع علماء السُّنة على أنه كلام الله غير مخلوق.

ثم هو لم يسكت كما سكت غيره بل أخذ ينكر على أئمة السنة قولهم: (غير مخلوق).

ـ قال أبو العباس السرَّاج: سمعته يقول: هؤلاء الصبيان يقولون: كلام الله غير مخلوق! ألا قالوا: كلام الله وسكتوا. ويُشير إلى دار الإمام أحمد رحمه الله.

(١) زاد أبو داود رحمه الله في «مسائله» (١٧٠٧): بلغني أنه أبو بكر المغازلي.

(٢) تقدمت قصته برقم (١٧٩ و١٨٠).

(٣) كتب فوقها: (أبو) خه.

(٤) في «السنة» للخلال (١٧٨٨) عن أبي الحارث، قال: سألت أبا عبد الله، قلت: إن بعض الناس يقول: إن هؤلاء الواقفة هم شرٌّ من الجهمية؟

قال: هم أشدُّ على الناس تربيتًا [يعني: تمويها وتحييرًا] من الجهمية، هم يُشكِّكون الناس، وذلك أن الجهمية قد بان أمرهم، وهؤلاء إذا قالوا: (إنا لا نتكلم)؛ استمالوا العامة، إنما هذا يصير إلى قول الجهمية.

القرآن كلام الله، ولا يقول: غير مخلوق، ولا مخلوق؟

فقال: هذا شاكٌّ؛ والشاكُّ كافر(١).

٢٢٩ ـ وحدثنا ابن مخلد، قال: ثنا أبو داود، قال: سمعت أحمد بن إبراهيم، يقول: سمعت محمد بن مقاتل العبَّاداني ـ وكان من خيار المسلمين ـ يقول في الواقفة: هم عندي شرٌّ من الجهمية.

٢٣٠ ـ حدثنا جعفر بن محمد الصندلي، قال: ثنا الفضل بن زياد، قال: ثنا

---

(١) علق الذهبي على هذا القول في «سيره» (١٢/ ١٧٧) بتعليق فاسد يناقض ما أجمع عليه أهل السنة، فقال: (بل هذا ساكت! ومن سكت تورُّعًا لا ينسب إليه قول، ومن سكت شاكًّا مُزريًا على السلف، فهذا مبتدع). اهـ.

قلت: وأي ورعٍ في ترك الجزم في مسألة دلَّ عليها الكتاب والسُّنة، وأجمع على القول بها سلف الأمة.

وتوارد إنكار أئمة السُّنة على من وقف فيها ـ فيما يزعم ـ تورُّعًا.

ـ ففي «طبقات الحنابلة» (١/ ٤٦٠) قال شاهين بن السميدع: سألت أحمد عمن يقول: أنا أقف في القرآن تورُّعًا.

قال: ذاك شاكٌّ في الدِّين، إجماع العلماء والأئمة المتقدِّمين على أن القرآن كلام الله غيرُ مخلوقٍ، هذا الدِّين الذي أدركتُ عليه الشُّيوخ، وأدرك الشُّيوخُ من كان قبلهم على هذا.

ـ وعند الخلال (١٧٨٤) عن المروذي قال: سألت أحمد عمن وقف، لا يقول: غير مخلوق، قال: أنا أقول: كلام الله؟

قال: يقال له: إن العلماء يقولون: غير مخلوق؛ فإن أبى فهو جهمي.

ـ وفي «السُّنة» للكرماني (٣٦٣) قال إبراهيم بن الحارث: سألت أحمد، قلت: يا أبا عبد الله، يكون من أهل السُّنة من قال: (لا أقول القرآن مخلوق، ولا أقول: ليس بمخلوق)؟

قال: لا، ولا كرامة، لا يكون من أهل السُّنة، قد بلغني عن ذاك الخبيث ابن المُعذَّل أنه يقول بهذا القول، وقد فُتن به قوم كثير من أهل البصرة.

قلت: وقوله: (ومن سكت شاكًّا مُزريًا على السلف فهذا مبتدع)، مخالف لما نصَّ عليه أئمة السنة من أن من توقَّف شاكًّا في القرآن أنه كافر.

أبو طالب، قال: سألت أبا عبد الله عمن أمسك فقال: لا أقول: ليس هو مخلوقًا، إذا لقيني في الطريق وسَلَّم عليَّ؛ أُسلم عليه؟

قال: لا تُسلمْ عليه، ولا تُكلِّمْه، كيف يعرفه الناس إذا سلَّمت عليه؟

وكيف يعرف هو أنك مُنكِرٌ عليه؟

فإذا [١٨/ب] لم تسلِّمْ عليه عرفَ الذُّلَّ، وعرف أنك أنكرتَ عليه، وعَرَفَه الناس(١).

٢٣١ ـ حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، قال: ثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن أبي بَزَّة، قال: سمعت المُؤَمَّل بن إسماعيل يقول: القرآن كلام الله، وليس بمخلوق.

قال ابن أبي بَزَّة: من قال: (القرآن مخلوق)،

أو (وقف)،

ومن قال: (لفظي بالقرآن مخلوق)،

أو شيءٌ من هذا،

فهو على غير دينِ الله تعالى ودين رسوله حتى يتوب.

---

(١) وفي «السُّنة» للخلال (١٧٠٤) قال أبو ثابت الخطاب: كنتُ أنا وإسحاق بن أبي عمر جَالسين، فمرَّ بنا رَجلٌ جهمي، وأنا أعلم أنه جهمي، فسلَّم علينا، فرددت عليه السَّلام، ولم يرد عليه إسحاق بن أبي عمر، فقال لي إسحاق: ترد على جهميٍّ السَّلام؟!!

قال: فقلت: أليسَ أرد على اليهودي والنصراني؟

قال: ترضى بأبي عبد الله [يعني: الإمام أحمد]؟ قلت: نعم.

قال: فغدوت إلى أبي عبد الله، فأخبرته بالخبر.

فقال: سُبحان الله، ترد على جهمي؟!

فقلت: أليس أرد على اليهودي والنصراني؟

فقال: اليهودي والنصراني قد تبيّن أمرهما.

١٨ ـ بَاب

ذكر اللفظية، ومن زعم أن هذا القرآن حكاية للقرآن الذي في اللوح المحفوظ، كذبوا(١)

قال محمد بن الحسين:

٢٣٢ ـ احذروا ـ رحمكم الله ـ هؤلاء الذين يقولون: (إن لفظه بالقرآن مخلوق)، وهذا عند أحمد بن حنبل، ومن كان على طريقته مُنكرٌ عظيم، وقائل هذا مبتدعٌ؛ يُجتنب، ولا يُكلم، ولا يُجالس، ويُحذَّر منه الناس، لا يَعرف العلماء غير ما تقدَّم ذِكرُنا له، وهو أن القرآن كلام الله غير مخلوق

أ ـ ومن قال: (مخلوق)؛ فقد كفر.

ب ـ ومن قال: (القرآن كلام الله ووقف)؛ فهو جهمي.

ج ـ ومن قال: (لفظي بالقرآن مخلوق)؛ فهو جهمي.

كذا قال أحمد بن حنبل، وغلَّظ فيه القول جدًّا(٢).

---

(١) عقد ابن بطة رَحِمَهُ اللهُ في «الإبانة الكبرى» بابًا نحوه، فقال: (٣/ذكر اللفظية والتحذير من رأيهم ومقالاتهم).
* وانظر: «السُّنة» لعبد الله بن أحمد (سُئِلَ عَمن قال: لفظي بالقرآن مخلوق).
و«السُّنة» للخلال (٢/الرد على من قال: لفظي بالقرآن مخلوق).
واللالكائي (١٦/سياق ما روي في تكفير من قال: لفظي بالقرآن مخلوق).

(٢) ففي «السُّنة» للخلال (١٧٦٧) قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: الجهمية على ثلاثة ضروب:

د - وكذلك من قال: (لفظي بالقرآن [غير][(١)] مخلوق)؛ فقد ابتدع، وجاء بما لا يعرفه العلماء.

كذلك قال أحمد بن حنبل، وغلَّظ فيه القول جدًا[(٢)].

هـ وكذلك من قال: (إن هذا القرآن الذي يقرؤه الناس، وهو في المصاحف حكاية لما في اللوح المحفوظ)؛ فهذا قول منكرٌ، ينكره العلماء[(٣)].

أ - فرقة قالوا: القرآن مخلوق.
ب - وفرقة قالوا: كلام الله، ونقف.
ج - وفرقة قالوا: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة.
فهم عندي في المقالة واحد.

(١) ما بين [ ] يقتضيها السياق، حتى لا تكون مكررة بما قبلها.

(٢) في «السُّنة» للخلال (٢١٢٢) قال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ:
أ - من قال: (لفظه بالقرآن مخلوق)؛ فهو جهمي.
ب - ومن قال: (لفظه بالقرآن غير مخلوق)؛ فهو مبتدع، لا يُكلَّم.
- وفيه أيضًا (٢١١٧) عن أحمد بن الحسن بن علي البزوري، قال: سمعت أبا عبد الله حين سأله رجل عن اللفظ، فقال له: يا أبا عبد الله، حكوا عنك بالكرخ أنك قلت: لفظي بالقرآن غير مخلوق.
فوقف غضبان، وقال: ما أكثر الكذب عليَّ! ما قلت في هذا شيئًا، ولا أقول، إنما بلغني هذا الكلام، فقلت: هذا كلام سوء أختبره، الله المستعان! ودخل إلى منزله مغضبًا.
قلت: جمع الخلال رَحِمَهُ اللهُ أقوال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ وغيره من الأئمة في النهي عن القول بذلك، فقال: (٨٩/الإنكار على من قال بضد ذلك وما احتجَّ عليهم به أبو عبد الله).

(٣) وهو قول الكُلَّابية، وأما الأشاعرة فخالفوهم في مجرد اللفظ فقط، فقالوا: (القرآن عبارة عن كلام الله)، وهو حقيقة قول الكُلَّابية.
فهؤلاء جميعًا وإن قالوا في الظاهر: (القرآن كلام الله)، فهم يقصدون بذلك الكلام النفسي، وأما الذي في المصاحف فإنما هو (حكاية وعبارة) عن =

كلام الله تعالى، وهو عندهم ليس بحرف ولا صوت، وهذا القول هو عين كلام الجهمية النافين لكلام الله تعالى، وإنما الفرق أن الجهمية صرَّحوا بذلك، والكُلابية والأشاعرة أخفوا ذلك وموَّهوا.

ـ قال السِّجزي رَحِمَهُ اللَّهُ في «رسالته إلى أهل زبيد» (ص١٣٧) وهو يُبيِّن موافقة الأشاعرة للمعتزلة في مسألة القرآن: (وقالت المعتزلة: السور والآي مخلوقة، وهي قرآنٌ معجز.

وقال الأشعري: القرآن كلام الله سبحانه، والسور والآي ليست بكلام الله سبحانه، وإنما هي عبارة عنه، وهي مخلوقة.

فوافقهم في القول بخلقها، وزاد عليهم بأنها ليست قرآنًا، ولا كلام الله سبحانه.

فإن زعموا أنهم يُقرُّون بأنها قرآن، قيل لهم: إنما يُقرُّون بذلك على وجه المجاز، فإن من مذهبهم أن القرآن غير مخلوق، وأن الحروف مخلوقة؛ والسور حروف بالاتفاق، مَن أنكر ذلك لم يخاطب. وإذا كانت حروفًا مخلوقة لم يجز أن يكون قرآنًا غير مخلوق.اهـ.

ـ وقال الهروي رَحِمَهُ اللَّهُ في «ذم الكلام» (١٣٦/٥): وقال أولئك [يعني: الجهمية]: ليس له كلام، إنما خلق كلامًا.

وهؤلاء يقولون: تكلم مرَّة، فهو متكلم به منذ تكلم، لم ينقطع الكلام، ولا يوجد كلامه في موضع ليس هو به... ثم قالوا: ليس له صوت ولا حرف.

وقالوا: هو زاج وورق... وهذا صوت القارئ... فراوغوا، فقالوا: هذا حكاية عبَّر بها عن القرآن، والله تكلم مرَّة، ولا يتكلم بعد ذلك، ثم قالوا: غير مخلوق، ومن قال: مخلوق كافر.

وهذا من فخوخهم يصطادون به قلوب عوام أهل السُّنة، وإنما اعتقادهم القرآن غير موجود، لفظته الجهمية الذكور بمرَّة، والأشعرية الإناث بعشر مرات.اهـ.

ـ قال سعد الزنجاني (٤٧١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرحه لمنظومته» (ص١١٠): وأما عبد الله بن سعيد بن كُلَّاب فكان نصرانيًّا من أهل البصرة، فأسلم وفارق قومه.. وهو الذي يزعم أن ليس لله كلام مسموع منه، وأن جبريل لم يسمع =

من الله شيئًا مما أدَّاه إلى رسله، وأن الذي أُنزل على الأنبياء حكاية كلام الله.. وخالف الأمة كلَّها في كون ما في الأرض كلام الله وكتابه، وكان هو والأشعري وغيرُهم من اللفظية يزعمون أن كلام الله في الحقيقة لا يكون عربيًا ولا عبرانيًّا ولا سريانيًّا، ولا بلغةٍ من اللغات، ولا يجوز أن يكون سورًا ولا آياتٍ، ولا ذا أجزاءٍ ولا أعداد، ولا يجوز نزوله إلى أحدٍ من الأنبياء في الحقيقة، ولا وجوده في محلٍّ لا قلب ولا لسان ولا صحيفة.

وذكر ابن فورك في كتابه: مجرَّد قول الأشعري أنه كان يقول: إن كتاب الله غيرُ كلامه، وإن الأعداد والأجزاء في الكتاب لا في الكلام، وإن التوراة والإنجيل والزبور تسميات العبارات المنزَّلة المختلفة، وكلام الله لا يستحق شيئًا من هذه التسميات، وكلهم يزعمُ أنه يرُد على المعتزلة في خلق القرآن، فليتأمَّل الناظرُ هذا الفصل من كلامهم يتبيَّن له تلاعُبُ القوم ورِقَّةُ دينهم، فلم يقع الخلافُ مع المعتزلة وغيرهم إلَّا فيما في الدنيا من القرآن المحفوظ في الصدور، المقروء بالألسن، المكتوب في المصاحف، ولم يعرفِ الخلقُ بأسرهم قرآنًا غيره. اهـ.

- وقال ابن قدامة رَحِمَهُ اللهُ في «حكاية المناظرة في القرآن» (ص١٧): موضع الخلاف: أننا نعتقد أن القرآن كلام الله، وهو هذه المائة والأربع عشرة سورة... وأنه سور وآيات وحروف وكلمات، متلوٌّ مسموع مكتوب.

وعندهم [يعني: الأشاعرة]: أن هذه السور والآيات ليست بقرآن، وإنما هي عبارة وحكاية، وأنها مخلوقة، وأن القرآن معنى في نفس الباري، وهو شيء واحد، لا يتجزَّأ، ولا يتبعَّض، ولا يتعدد، ولا هو شيء ينزل، ولا يُتلى، ولا يُسمع، ولا يُكتب، وأنه ليس في المصاحف إلَّا الورق والمداد..

- وقال (ص٣٢): هذا القرآن الذي أجمع عليه المسلمون، وكفر به الكافرون، وزعمت المعتزلة أنه مخلوق، وأقرَّ الأشعري أنهم مخطِئون، ثم عاد فقال: هو مخلوق، وليس بقرآن فزاد عليهم. ولا خِلاف بين المسلمين أجمعين أن من جحد آية أو كلمة مُتفقًا عليها، أو حرفًا مُتفقًا عليه أنه كافر.. والأشعري يجحده كله، ويقول: ليس شيء منه قرآنًا، وإنما هو كلام جبريل.. ومدار القوم على القول بخلق القرآن ووفاق المعتزلة؛ ولكن أحبوا أن لا يُعلمَ بهم فارتكبوا مكابرة العيان، وجحد الحقائق، ومخالفة الإجماع، ونبذ الكتاب =

والسُّنة وراء ظهورهم، والقول بشيء لم يقله قبلهم مسلمٌ ولا كافر.اهـ.

ـ وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ وهو يتكلم عن القرآن وأنه كلام الله تعالى: ثم قارن بين قول الأشاعرة والمعتزلة، وأن حقيقة قول الأشاعرة في القرآن الذي بين أيدينا أنه مخلوق: قالوا: المكتوب المحفوظ المتلو هو الحكاية أو العبارة المؤلفة المنطوق بها التي خلقها الله في الهواء أو في اللوح المحفوظ أو في نفس الملك.

فيقال: هذه عندكم ليست كلام الله إلَّا على المجاز، وقد علم بالاضطرار أن هذا الكلام العربي هو القرآن وهو كتاب الله وكلامه.. وعندكم أن القرآن يستحيل أن يقرأ لأنه ليس بحروف ولا أصوات، وإنما هو واحد الذات ليس بسور ولا آيات.. قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وعندهم أن الذي يسمع ليس كلام الله على الحقيقة وإنما هو مخلوق حُكي به كلام الله على أحد قوليهم، وعبارة عُبِّر بها عن كلامه على القول الآخر، وهو مخلوق على القولين، فالمقروء والمسموع والمكتوب والمحفوظ ليس هو كلام الله، وإنما هو عبارة عُبِّر بها عنه كما يُعبَّر عن الذي لا ينطق ولا يتكلم من أخرس أو عاجز.. ويعجب هذا القائل من نصب الخلاف بينهم وبين المعتزلة، وقال: ما نثبته نحن من المعنى القائم بالنفس فهو من جنس العلم والإرادة، والمعتزلة لا تنازعنا في ذلك، وغاية ما في الباب أنا نحن نسميه: (كلامًا)، وهم يسمونه: (علمًا وإرادة)، وأما هذا النظم العربي الذي هو حروف وكلمات وسور وآيات، فنحن وهم مُتفقون على أنه (مخلوق)، لكن هم يسمونه: (قرآنًا)، ونحن نقول: هو (عبارة) عن القرآن أو (حكاية) عنه. فتأمل هذه الأخوة التي بين هؤلاء وبين المعتزلة الذين اتفق السلف على تكفيرهم، وأنهم زادوا على المعتزلة في التعطيل.اهـ. «مختصر الصواعق» (١٣٨٢١/٤ ـ ١٣٨٢).

* وانظر: «اعتقاد أهل السُّنة» للالكائي (١٥/سياق ما دلَّ من الآيات من كتاب الله تعالى، وما روي عن رسول الله ﷺ، والصحابة والتابعين على أن القرآن تكلم الله به على الحقيقة، وأنه أنزله على محمد ﷺ.. وأنه القرآن على الحقيقة متلوٌّ في المحاريب، مكتوبٌ في المصاحف، محفوظٌ في صدور الرجال، ليس بـ(حكاية) ولا (عبارة) عن قرآن، وهو قرآن واحد غير مخلوق، =

يقال لقائِل هذه المقالة: القرآن يُكذِّبك، ويرُدُّ قولك، والسُّنة تُكذِّبك وتردُّ قولك.

• قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، فأخبر الله تعالى: أنه إنما يسمع الناس كلام الله تعالى، ولم يقل: حكاية كلام الله[(١)].

• وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف].

فأخبر أن السامع إنما يسمع القرآن، ولم يقل: حكاية القرآن.

• وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

• وقال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الأحقاف].

• وقال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ [الجن].

ولم يقل: يستمعون حكاية القرآن، ولا قالت الجن: إنا سمعنا

وغير مجعول ومربوب، بل هو صفة من صفات ذاته، لم يزل به متكلمًا، ومن قال غير هذا فهو كافر ضالٌ مُضلٌ مبتدع، مخالفٌ لمذاهب السُّنة والجماعة). اهـ.

(١) قال قوام السنة في «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٥٥٢): دليل أهل السنة: قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾، والمسموع إنما هو الحرف والصوت؛ لأن المعنى لا يُسمع، بل يُفهم. يقال في اللغة: سمعت الكلام، وفهمت المعنى. فلما قال: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ﴾، دلَّ أنه حرف وصوت. اهـ.

حكاية القرآن، كما قال من ابتدع بدعة ضلالة، وأتى بخلاف الكتاب والسُّنة، وبخلاف قول المؤمنين.

• وقال تعالى: ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾.

قال محمد بن الحسين:

وهذا في القرآن كثير لمن تدبَّره.

٢٣٣ ـ وقال ﷺ: «إن الرجل الذي ليس في جوفه من القرآن شيءٌ كالبيت الخَرِب»[(١)].

٢٣٤ ـ وقال ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[(٢)].

٢٣٥ ـ وقال ﷺ: «مثل القرآن مثل الإبل المُعقَّلة[(٣)]، إن تعاهدها صاحبُها أمسكَها، وإن تركها ذهبتْ»[(٤)].

٢٣٦ ـ وقال ﷺ: «لا تُسافروا بالقرآن إلى أرض العدو»[(٥)].

٢٣٧ ـ وفي حديث آخر: «لا تُسافروا بالمُصاحفِ إلى العدوِّ،

---

(١) رواه أحمد (١٩٤٧)، والترمذي (٢٩١٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) أسنده المُصنِّف في «أخلاق حملة القرآن» (٢١) من حديث عثمان رضي الله عنه.
والحديث رواه البخاري (٥٠٢٧).

(٣) في «النهاية» (٣/ ٢٨١): أي: المشدودة بالعقال، والتشديد فيه للتكثير.اهـ.

(٤) رواه أحمد (٤٨٤٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
وروى نحوه البخاري (٥٠٣٣)، ومسلم (٧٩١) من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

(٥) رواه البخاري (٢٩٩٠)، ومسلم (١٨٦٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، ولفظه: أن رسول الله ﷺ نهى أن يُسافر بالقرآن إلى أرض العدو.
ـ قال ابن بطة رحمه الله في «الإبانة الكبرى» (٢١٨٣): ولأجل أنه كلام الله نُهينا عن السَّفرِ به إلى أرض العدوِّ لئلا يمسّه العدو، وإنما عنى بذلك المُصحف خاصَّة.اهـ.

فإني أخاف أن ينالوها»[١].

٢٣٨ ـ وقال ﷺ: «لا حسدَ إلَّا في اثنتين: رجلٌ آتاه الله القرآن، فهو يقوم به آناءَ الليل وآناءَ النهار»[٢].

٢٣٩ ـ وقال ﷺ: «إن الله تعالى: قرأ (طه) و(يس) قبل أن يخلقَ آدم بألفِ عامٍ، فلما سمعت الملائكةُ القرآنَ، قالوا: طوبى لأُمة ينزلُ عليهم هذا، وطوبى لألسنٍ تتكلَّمُ بهذا، وطوبى لأجوافٍ تحمل هذا»[٣].

٢٤٠ ـ وقال ابن مسعود رضي الله عنه: تعلموا القرآن واتلوه، فإن لكم بكلِّ حرفٍ عشرَ حسناتٍ[٤].

وفي السُّنن مما ذكرناه كثيرٌ، والحمد لله.

قال محمد بن الحسين رحمه الله:

٢٤١ ـ فينبغي للمسلمين أن يتقوا الله تعالى، ويتعلموا القرآن، ويتعلموا أحكامه، فيُحلِّوا حلاله، ويُحرِّموا حرامه، ويعملوا بمُحكمه، ويؤمنوا بمُتشابهه، ولا يُماروا فيه، ويعلموا أنه كلام الله تعالى غير مخلوق.

---

(١) رواه مسلم (١٨٦٩) من طريق أيوب، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: «لا تسافروا بالقرآن، فإني لا آمن أن يناله العدو».
قال أيوب: فقد ناله العدو وخاصموكم به.

(٢) رواه البخاري (٧٣)، ومسلم (٨١٦)، من ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) رواه الدارمي في «المُسند» (٣٤٥٧)، وابن عدي في «الكامل» (١/ ٣٥٢)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٢١٧٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهو حديث ضعيف جدًّا.
قال ابن عدي: إبراهيم بن مهاجر لم أجد له حديثًا أنكر من حديث قرأ (طه) و(يس). اهـ.
قال ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ٢٧١): هذا حديث غريب، وفيه نكارة. اهـ.

(٤) أسنده المُصنِّف في «أخلاق حملة القرآن» (١٨)، وهو أثر صحيح عنه.

ـ فإن عارضهم[١] إنسانٌ جهميٌّ فقال: مخلوق.

ـ أو قال: القرآن كلام الله ووقف.

ـ أو قال: لفظي بالقرآن مخلوق.

ـ أو قال: هذا القرآن حكايةٌ لما في اللوح المحفوظ.

فحُكمه: أن يُهجرَ، ولا يُكلَّم، ولا يُصلَّى خلفه، ويُحذَّر منه.

وعليكم بعد ذلك بالسُّنن عن رسول الله ﷺ، وسُنن أصحابه ﷺ، وقول التابعين، وقول أئمة المسلمين، مع ترك المِراءِ والخصومة [١٩/أ] والجدال في الدين.

فمن كان على هذا الطريق: رجوتُ له من الله تعالى كلَّ خير.

وسأذكر بعد ذلك ما لا بُدَّ لمن كان هذا مذهبه وعِلمه، والعمل به من معرفة الإيمان، وشريعة الإسلام، حالًا بعد حال، والله الموفِّق لكل رشادٍ، والمعين عليه إن شاء الله، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله العلي العظيم.

٢٤٢ ـ حدثنا أبو عبد الله جعفر بن إدريس القزويني، قال: ثنا أحمد بن المُمتنع بن عبد الله[٢] القرشي التيمي، قال: أنا أبو الفضل صالح بن علي بن يعقوب بن المنصور الهاشمي ـ وكان من وجوه بني هاشم، وأهل الجلالة والشأن منهم ـ، قال: حضرت المُهتدي بالله أمير المؤمنين، وقد جلس ينظر في أُمور المسلمين في دار العامة، فنظرت إلى قصص الناس تُقرأُ عليه من أوَّلها إلى آخرها، فيأمرُ بالتواقيع فيها، وإنشاء الكتب لأصحابها، ويختم ويدفع إلى صاحبه بين يديه، فسرَّني ذلك، وجعلت أنظر إليه، ففطِن ونظر

(١) في هامش الأصل: (عارضكم) خ.

(٢) في هامش الأصل: (منيع) خ.

وفي الأصل: (عبيد الله). وما أثبته من «الإبانة الكبرى» (٢٥٢٢) من طريق المصنف. وانظر ترجمته في «تاريخ بغداد» (٢٨٨٦).

إليَّ، فغضضت عنه، حتى كان ذلك مني ومنه مرارًا ثلاثًا، إذا نظر إليَّ غضضت، وإذا اشتغل نظرتُ، فقال لي: يا صالح.

قلت: لبيك يا أمير المؤمنين، وقمت قائمًا.

فقال: في نفسك مِنَّا شيءٌ تُحب أن تقوله؟ أو قال: تُريد أن تقوله؟

قلت: نعم، يا سيدي يا أمير المؤمنين.

قال لي: عُد إلى موضعك، فعدتُ، وعاد في النظر، حتى إذا قام قال للحاجِبِ: لا يبرح صالح. فانصرف الناس، ثم أذِنَ لي، وقد أهمتني نفسي، فدخلت فدعوت له.

فقال لي: اجلس، فجلست، فقال: يا صالح، تقول لي ما دار في نفسك، أو أقول أنا ما دار في نفسي أنه دار في نفسك؟

قلت: يا أمير المؤمنين، ما تعزم عليه، وما تأمر به.

فقال: وأقول أنا: كأني بك وقد استحسنتَ ما رأيت منا، فقلت: أيُّ خليفة خليفتنا، إن لم يكن يقول: القرآن مخلوق؟

فورد على قلبي أمرٌ عظيم، وأهمتني نفسي، ثم قلتُ: يا نفس، هل تموتين إلَّا مرَّة؟ وهل تموتين قبل أجلك؟ وهل يجوز الكذب في جِدٍّ أو هَزْل؟ فقلت: والله يا أمير المؤمنين، ما دار في نفسي إلَّا ما قلت.

ثم أطرق مليًّا، ثم قال لي: ويحك! اسمع مني ما أقول، فوالله لتسمعنَّ مني الحقّ.

فسُرِّيَ عني، فقلت: يا سيدي، ومن أولى بقول الحقِّ منك، وأنت خليفة رب العالمين[1]، وابن عم سيد المرسلين، من الأولين والآخرين.

---

(١) في «السُّنة» للخلال (٣١٩)، وسيأتي برقم (١٣٤٩) عن ابن أبي مُليكة، قال: قال رجل لأبي بكر: يا خليفة الله. قال: لست بخليفة الله ﷻ، ولكن خليفة رسول الله، أنا راضٍ بذلك. وسيأتي عند المصنف برقم (١٣٤٩).

فقال لي: ما زلت أقولُ: إن القرآن مخلوق صدرًا من خِلافة الواثق، حتى أَقدَمَ علينا أحمدُ بن أبي دؤاد شيخًا من أهل الشام من أهل أَذَنَة[(١)]، فأُدخِل الشيخ على الواثق مُقيَّدًا، وهو جميل الوجه، تامُّ القامة، حسن الشيبة، فرأيت الواثق قد استحيى منه، ورَّق له، فما زال يُدنيه ويُقرِّبه، حتى قَرُب منه، فسلَّم الشيخ، فأحسن السلام، ودعا فأبلغ الدعاء، وأوجز، فقال له الواثق: اجلس، ثم قال له: يا شيخ، ناظِر ابن أبي دؤاد[(٢)] على ما يُناظِرك عليه.

فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين، ابن أبي دؤاد يَقِلُّ ويصبو[(٣)] ويضعف عن المناظرة.

- وفيه (٣٢٦) عن يزيد بن مُرَّة، عن رجل، عن عمر ﷺ، قال: قال رجل لعمر: يا خليفة الله. قال: خالف الله بك.

- قال ابن القيم كَلَهُ في «زاد المعاد» (٢/ ٤٣٤) ومما يكره من الألفاظ: أن يقول للسلطان: (خليفة الله أو نائب الله في أرضه)، فإن الخليفة والنائب إنما يكون عن غائب، والله ﷻ خليفة الغائب في أهله، ووكيل عبده المؤمن. اهـ.

- وقد ذكر في «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٥٢) الخلاف في إطلاق هذه اللفظة وحجج كل طائفة، ثم قال: إن أريد بالإضافة إلى الله أنه خليفة عنه؛ فالصواب قول الطائفة المانعة منها.

وإن أُريد بالإضافة أن الله استخلَفَه عن غيره ممَّن كان قبله فهذا لا يمتنع فيه الإضافة، وحقيقتها خليفة الله الذي جعله الله خلفًا عن غيره، وبهذا يُخرَّج الجواب عن قول أمير المؤمنين: (أولئك خلفاء الله في أرضه). اهـ.

وانظر: «منهاج السنة» (٧/ ٣٥٢).

(١) في «معجم ما استعجم من أسماء البلاد» (١/ ١٣٣): (أذنة): بفتح أوّله وثانيه بعده نون مفتوحة.. موضع من ثغور الشام. اهـ.

وما أثبته من هامش الأصل، والمثبت في الأصل: (أهل أُذْنَة).

(٢) إمام الجهمية وقاضيهم، تقدمت ترجمته تحت أثر رقم (١٥٣).

(٣) في «الصحاح» (٦/ ٢٣٩٨): صَبا يصبو صبوة وصبوًا، أي: مال إلى الجهل والفتوّة.

فغَضِبَ الواثق، وعاد مكان الرأفة له غضبًا عليه، فقال: أبو عبد الله ابن أبي دؤاد يصبو ويقلّ ويضعف عن مناظرتك أنت؟!

فقال الشيخ: هوِّن عليك يا أمير المؤمنين ما بك، وائذن لي في مناظرته.

فقال الواثق: ما دعوتك إلَّا للمناظرة.

فقال الشيخ: يا أحمد بن أبي دؤاد، إلى ما دعوتَ الناسَ ودعوتني إليه؟

فقال: إلى أن تقول: القرآن مخلوق؛ لأن كل شيءٍ دون الله مخلوق.

فقال الشيخ: إن رأيت يا أمير المؤمنين أن تحفظ عليَّ وعليه ما نقول.

قال: أفعل.

قال الشيخ: أخبرني يا أحمد عن مقالتك هذه، أواجبة داخلة في عقد الدين، فلا يكون الدين كاملًا حتى يُقال فيه ما قلت؟

قال: نعم.

قال الشيخ: يا أحمد، أخبرني عن رسول الله ﷺ حين بعثه الله تعالى إلى عباده، هل سترَ رسول الله ﷺ شيئًا مما أمر الله تعالى به في دينه؟

قال: لا.

قال الشيخ: فدعا رسول الله ﷺ الأُمة إلى مقالتك هذه؟

فسكت ابن أبي دؤاد، فقال الشيخ: تكلَّم. فسكت، فالتفت الشيخ إلى الواثق، فقال: يا أمير المؤمنين، واحِدة.

فقال الواثق: واحِدة.

فقال الشيخ: يا أحمد، أخبرني عن الله تعالى، حين أنزل القرآن على رسوله ﷺ، فقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة: ٣]، [١٩/ب] أكان اللهُ تعالى الصادقُ في إكمال دينه، أم أنت الصادق في نقصانه، فلا يكون الدين كاملًا حتى يقال فيه بمقالتك هذه؟

فسكت ابن أبي دؤاد، فقال الشيخ: أجب يا أحمد، فلم يجبه.

فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين، اثنتان.

فقال الواثق: اثنتان.

فقال الشيخ: يا أحمد، أخبرني عن مقالتك هذه، أعَلِمَها رسول الله ﷺ أم جهلها؟

قال ابن أبي دؤاد: عَلِمها.

قال الشيخ: فدعا الناس إليها؟

فسكت ابن أبي دؤاد، فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين، ثلاث.

فقال الواثق: ثلاث.

فقال الشيخ: يا أحمد، فاتَّسع لرسول الله ﷺ إذ علمها كما زعمت، ولم يُطالب أُمَّته بها؟

قال: نعم.

قال الشيخ: واتسع لأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم؟

فقال ابن أبي دؤاد: نعم.

فأعرض الشيخ عنه، وأقبل على الواثق، فقال: يا أمير المؤمنين، قد قَدَّمتُ القول أن أحمد يصبو ويقل ويضعف عن المناظرة، يا أمير المؤمنين، إن لم يتسع لك من الإمساك عن هذه المقالة ما اتسع لرسول الله ﷺ، ولأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم، فلا وسَّع الله على من لم يتَّسع له ما اتسع لهم من ذلك.

فقال الواثق: نعم، إن لم يتَّسع لنا من الإمساك عن هذه المقالة ما اتسع لرسول الله ﷺ، ولأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم فلا وسَّع الله علينا، اقطعوا قيد الشيخ، فلما قطع ضرب الشيخ بيده إلى القيد ليأخذه، فجاذبه الحداد عليه، فقال الواثق: دع الشيخ ليأخذه، فأخذه الشيخ فوضعه في كُمِّه، فقال الواثق: لم جاذبت عليه؟

قال الشيخ: لأني نويت أن أتقدَّم إلى من أُوصي إليه إذا مُتُّ أن يجعله بيني وبين كفني، حتى أُخاصم به هذا الظالم عند الله تعالى يوم القيامة، فأقول: يا رب، سل عبدك هذا لم قيدني، وروَّع أهلي وولدي وإخواني بلا حقٍّ أوجب ذلك عليَّ؟

وبكى الشيخ، فبكى الواثق، وبكينا، ثم سأله الواثق أن يجعله في حِلٍّ وسعة مما ناله.

فقال الشيخ: والله يا أمير المؤمنين، لقد جعلتك في حِلٍّ وسعة من أول يوم إكرامًا لرسول الله ﷺ، إذ كنت رجلًا من أهله.

فقال الواثق: لي إليك حاجة.

فقال الشيخ: إن كانت ممكنة فعلت.

فقال الواثق: تُقيم قِبَلنا فينتفع بك فتياننا.

فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين، إن ردَّك إيَّايَ إلى الموضع الذي أخرجني منه هذا الظالم أنفع لك من مقامي عليك، وأُخبرك بما في ذلك: أصير إلى أهلي وولدي، وأكفُّ دعاءَهم عليك، فقد خلفتهم على ذلك.

فقال الواثق: فتقبل منا صِلةً تستعين بها على دهرك.

فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين لا تحلُّ لي، أنا عنها غنيٌّ، وذو مِرَّة سَوِيّ[1].

قال: فسل حاجتك.

قال: أو تقضيها يا أمير المؤمنين؟

قال: نعم.

قال: تُخلِّي سبيلي إلى الثغر الساعة، وتأذن لي.

---

(١) في «لسان العرب» (١٦٨/٥): في الحديثِ: «لا تَحلُّ الصَّدقةُ لغنيٍّ ولا لذي مِرَّةَ سَوِيٍ»؛ (المِرَّة): القوَّةُ والشدَّةُ، و(السَّوِيُّ): الصَّحيحُ الأعضاءِ. اهـ.

قال: قد أذنتُ لك. فسلَّمَ عليه الشيخ، وخرج.

قال صالح: قال المُهتدي بالله رحمة الله عليه: فرجعتُ عن هذه المقالة من ذلك اليوم، وأظن الواثق بالله كان رجع عنها من ذلك الوقت.

٢٤٣ ـ وأخبرنا أبو عبد الله القزويني ـ أيضًا ـ، قال: ثنا يحيى بن عبدك القزويني، قال: سمعت يحيى بن يوسف الزِّمِّي، يقول: بَيْنَا أنا قائل في بعض بيوت خانات مروٍ[(١)]، فإذا أنا بهولٍ عظيم، قد دخل عليَّ، فقلت: من أنت؟

قال: ليس تخاف يا أبا زكريا؟

قال: قلت: فنعم، من أنت؟

قال: وقمتُ وتهيأتُ لقتاله.

فقال: أنا أبو مُرَّة[(٢)].

قال: فقلت: لا حيَّاك الله.

فقال: لو علمتُ أنك في هذا البيت لم أدخل، وكنت أنزل بيتًا آخر، وكان هذا منزلي حين آتي خراسان.

قال: فقلت: من أين أتيت؟

قال: من العراق.

قال: وقلت: ما عملتَ بالعراق؟

قال: خلَّفت فيها خليفة.

قلت: ومن هو؟

قال: بشر المِرِّيسِيّ[(٣)].

---

(١) في «المصباح المنير» (١/ ١٨٤): والخَانُ: ما ينزله المسافرون، والجَمعُ: خانَاتٌ. اهـ.
ومرو: من أشهر مدن خراسان وقصبتها.
انظر: «معجم البلدان» (٥/ ١١٢).

(٢) يقال: إنها كنية إبليس الملعون. وعند اللالكائي (٦١٢): قال: أنا إبليس.

(٣) تقدمت ترجمته برقم (٢٠٥).

قلت: وإلى ما يدعو؟

قال: إلى خلق القرآن. قال: وآتي خُراسان فأخلف فيها خليفة أيضًا.

قال: قلت: أيش تقول في القرآن أنت؟

قال: أنا وإن كنت شيطانًا رجيمًا أقول: القرآن كلام الله غير مخلوق. [٢٠/أ].

٣٤٤ ـ حدثنا أبو محمد عبد الله بن العباس الطيالسي، قال: ثنا بُندار محمد بن بشار.

٣٤٤/أ ـ وثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، قال: ثنا أبو موسى محمد بن المثنى، قالا[(١)]: كنا نقرأ على شيخ ضرير بالبصرة، فلما أحدثوا ببغداد القول بخلق القرآن، قال الشيخ: إن لم يكن القرآن مخلوقًا، فمحا الله القرآن من صدري.

قال: فلما سمعنا هذا من قوله تركناه، وانصرفنا عنه، فلما كان بعد مُدَّة لقيناه، فقلنا: يا فلان ما فعل القرآن؟

قال: ما بقي في صدري منه شيء.

قلنا: ولا ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، قال: ولا ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، إلَّا أن أسمعها من غيري يقرؤها[(٢)].

---

(١) في الأصل: (قال).

(٢) وفي «الإبانة الكبرى» (٢٤٣٠) قال أبو حاتم: سألت محمد بن بشر العبدي، فقلت: الحكايةُ التي كنت تحكيها عن جارك، فقال: سمعت جارًا لي كان يُقرئُ القرآن وكان يقول: القرآن مخلوق. فقال له قائل: إن لم يكن القرآن مخلوقًا فمحا الله كل آيةٍ في صدرك من القرآن. قال: نعم. فأصبح وهو يقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾، فإذا أراد أن يقول: ﴿نَعْبُدُ﴾، لم يَجرِ لسانه.

تم الجزء الثاني من كتاب «الشريعة»
بحمد الله ومنّه
وصلى الله على رسوله سيدنا محمد النبي وآله وسلم تسليمًا
يتلوه الجزء الثالث من الكتاب
إن شاء الله وبه الثقة

قال أبو حاتم: هكذا حفظي عنه.

وقال بعض أصحابنا: عن بُندار، عن عثمان بن عمرو، وابن الضحاك أنه أصبح هذا الرجل لا يحفظ من القرآن شيئًا حتى يقال له: قل: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠﴾، فيقول: معروف، معروف، ولا يتكلم. اهـ.

ـ وفيه (٢٤٣٢) قال بُندارٌ: كان لنا جارٌ مؤدِّبٌ، وكان من حُفَّاظ القرآن، فناظره رجلٌ يومًا في القرآن، فقال: إن لم يكن القرآن مخلوقًا فمحا الله ما في قلبه من القرآن.

قال: فرأيته لا يحفظ من كتاب الله شيئًا، يُسأل عن الآيةِ، فيقول: هاه، هاه، معروفٌ، معروفٌ، لا يقدر يُردِّدها.

ـ وفيه (٢٤٣٣) قال أبو حاتم: حدثنا أبو عقيل المعروف: بـ (شاه المَروزي)، وقَدِمَ علينا من البصرةِ يريد خُراسان، فأخبرني أنه رأى بالبصرةِ رجلًا كان يقول: القرآن مخلوق، فالتقى مع رجلٍ من أهل السُّنةِ؛ فابتهلا جميعًا، فقال هذا: إن لم يكن القرآن مخلوقًا؛ فمحا الله القرآن من صدري.

وقال السُّني: إن كان هذا القرآن مخلوقًا؛ فمحا الله القرآن من صدري.

فأصبح الجهمي وهو يقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾، فإذا أراد أن يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، لم يجرِ لسانه، وقال: هيهات هيهات. وأصبح السُّني قارئًا للقرآن كما كان.

الجزء الثالث

١٩ ـ بَاب تفريع معرفة الإيمان والإسلام وشرائع الدين.

٢٠ ـ بَاب معرفة أي يوم نزلت هذه الآية قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ الآية.

٢١ ـ بَاب على كم بُني الإسلام؟

٢٢ ـ بَاب ذكر سؤال جبريل للنبي ﷺ عن الإسلام ما هو؟ وعن الإيمان ما هو؟

٢٣ ـ بَاب ذكر أفضل الإيمان ما هو؟ وأدنى الإيمان ما هو؟

٢٤ ـ بَاب ذكر ما دلَّ على زيادة الإيمان ونقصانه.

٢٥ ـ بَاب القول بأن الإيمان تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح لا يكون مؤمنًا إلا بأن تجتمع فيه هذه الخصال الثلاث.

٢٦ ـ بَاب ذكر كفر من ترك الصلاة.

٢٧ ـ بَاب ذكر الاستثناءِ في الإيمان من غير شك فيه.

٢٨ ـ بَاب فيمن كره من العلماءِ لمن يسأل لغيره، فيقول له: أنت مؤمن؟ هذا عندهم مبتدع رجل سوءٍ.

٢٩ ـ بَاب في المرجئَة، وسوءِ مذاهبهم عند العلماء.

بسم الله الرحمن الرحيم

١٩ ـ بَاب

تفريع معرفة الإيمان والإسلام وشرائِع الدين[(١)]

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللهُ:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والحمد لله على كلِّ حالٍ.

أما بعد،

٢٤٥ ـ فاعلموا ـ رحمنا [الله] وإياكم ـ أن الله تعالى بعث محمدًا ﷺ إلى الناس كافة ليقروا بتوحيده، فيقولوا: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فكان من قال هذا موقنًا من قلبه، وناطقًا بلسانه أجزأه، ومن مات على هذا فإلى الجنة، فلما آمنوا بذلك، وأخلصوا توحيدهم؛ فرضَ عليهم الصلاة بمكةَ، فصدَّقوا بذلك، وآمنوا وصلَّوْا، ثم فرض عليهم الهجرة؛ فهاجروا، وفارقوا الأهل والوطن، ثم فرض عليهم بالمدينة الصيام؛ فآمنوا وصدَّقوا، وصاموا شهر رمضان، ثم فرض عليهم الزكاة؛ فآمنوا وصدَّقوا، وأدَّوا ذلك كما أُمروا، ثم فرض

(١) عقد ابن بطة رَحِمَهُ اللهُ في «الإبانة الكبرى» بابًا نحوه، فقال: (١٥/باب معرفة الإيمان، وكيف نزل به القرآن؟ وترتيب الفرائض، وأن الإيمان قولٌ وعملٌ).

عليهم الجهاد؛ فجاهدوا القريب والبعيد، وصبروا وصدقوا، ثم فرض عليهم الحجّ؛ فحَجُّوا وآمنوا به، فلما آمنوا بهذه الفرائض، وعملوا بها تصديقًا بقلوبهم، وقولًا بألسنتهم، وعَمَلًا بجوارحهم، قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ثم أعلمهم أنه لا يقبل في الآخرة إلَّا دين الإسلام، فقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال النبي ﷺ: «بُنيَ الإسلامُ على خمسٍ: شهادةِ أن لا إلٰه إلَّا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقامِ الصلاة، وإيتاءِ الزكاة، وصومِ شهر رمضان، وحجّ البيت الحرام من استطاع إليه سبيلًا».

ثم بيَّن النبي ﷺ لأُمته شرائِع الإسلام، حالًا بعد حال، وسنذكر ذلك إن شاء الله تعالى.

وهذا ـ رحمكم الله ـ طريق المسلمين.

٢٤٦ ـ فإن احتجَّ محتجٌّ بالأحاديث التي رويت: «من قال: لا إلٰه إلَّا الله دخل الجنة».

قيل له:

هذه كانت قبل نزول الفرائِض، على ما تقدم ذكرنا له، وهذا قول علماء المسلمين، ممن نفعهم الله تعالى بالعلم، وكانوا أئمة يُقتدى بهم، سوى المرجئة الذين خرجوا عن جملة ما عليه الصحابة، والتابعون لهم بإحسان، وقول الأئمة الذين لا يُستَوْحَش مِنْ ذِكْرِهم في كل بلدٍ.

وسنذكر من ذلك ما حضرنا ذكره، والله ﷻ الموفق لكلِّ رشاد،

والمعين عليه، ولا قوة إلَّا بالله[١].

٢٤٧ ـ **حدثنا** أبو بكر عمر بن سعد القراطيسي، قال: ثنا أبو بكر أحمد بن منصور الرمادي، قال: ثنا أبو صالح عبد الله بن صالح، قال: حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

---

(١) يحتجُّ المرجئة على إسقاط ركنية العمل بأحاديث فضل كلمة التوحيد وأن من قالها دخل الجنة، قالوا: فالنبي ﷺ حصر دخول الجنة في القول ولم يذكر العمل، فدلَّ على ركنية القول، وأن العبد ينجو من الخلود في النار بمجرد تلفظه بهذه الكلمة العظيمة وهي كلمة التوحيد، وإن لم يعمل بمقتضاها قط!

وقد أجاب أئمة السُّنة عن هذه الشبهة، وردوا على المرجئة فيما ذهبوا إليه.

فمما أجابوا به لرد هذا الشبهة ما قاله المصنف رحمه الله هاهنا من أن هذه الأحاديث قيلت في أول الإسلام قبل أن تُفرض الفرائض، وتُحدَّ الحدود، ثم أُمر الناس بالفرائض تصديقًا لهذه الكلمة، فمن قالها ولم يعمل بها لم تنفعه، وكان تركه للعمل تكذيبًا لقوله.

وممن سبق المُصنِّف إلى هذا القول: سفيان بن عيينة رحمه الله كما سيأتي قوله قريبًا، والضحاك بن مزاحم رحمه الله كما سيأتي قوله برقم (٣٧٠)، والزهري رحمه الله سيأتي قوله برقم (٣٧٤).

ـ وفي «السُّنة» للخلال (٩٣٩) قال أبو الحارث: سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل، قلت: إذا قال الرجل: لا إله إلَّا الله فهو مؤمن؟

قال: كذا كان بدء الإيمان، ثم نزلت الفرائض: الصلاة، والزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت.

وعلى هذا بوَّب الخلال رحمه الله في «السُّنة»، فقال: (٥٥/ ذكر بدء الإيمان كيف كان؟ والرد على المرجئة؛ لأنه نزلت الفرائض بعد قول: (لا إله إلا الله).

ولأهل السُّنة أجوبة أُخرى ذكرتها في «المدخل إلى الجامع في كتب الإيمان» (١/ ٨٢) (فصل المرجئة يحتجون على إسقاط ركنية العمل بحديث من قال: لا إله إلَّا الله دخل الجنة).

قال: إن الله تعالى بعث نبيه محمدًا ﷺ بشهادة أن لا إله إلّا الله، فلما صدَّق بها المؤمنون زادهم الله الصلاة، فلما صدَّقوا بها زادهم الله الصيام، فلما صدَّقوا به زادهم الزكاة، فلما صدَّقوا بها زادهم الحجّ، فلما صدَّقوا به زادهم الجهاد، ثم أكمل لهم دينهم، فقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: وكان المشركون والمسلمون يحجُّون جميعًا فلما نزلت (براءَة) نُفي المشركون عن البيت الحرام، [٢٠/ب] وحجّ المسلمون لا يشاركهم في البيت الحرام أحد من المشركين، وكان ذلك من تمام النعمة أنزل الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾.

٢٤٨ ـ وحدثنا أبو عبد الله محمد بن مخلد العطار، قال: ثنا أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم الصفار، قال: حدثني محمد بن عبد الملك المصيصي أبو عبد الله، قال: كنا عند سُفيان بن عيينة في سنة سبعين ومائة فسأله رجل عن الإيمان؟

فقال: قول وعمل.

قال: يزيد وينقص؟

قال: يزيد ما شاء الله، وينقص حتى لا يبقى شيءٌ منه مثلُ هذه، وأشار سفيان بيده[1].

قال الرجل: كيف نصنع بقومٍ عندنا يزعمون أن الإيمان قولٌ بلا عمل؟

(١) سيأتي بيان أن الإيمان عند أهل السنة ينقص حتى لا يبقى منه شيء خلافًا لبعض فرق المرجئة الذين يقولون: الإيمان لا ينقص بالكلية حتى لا يبقى منه شيء، بل ينقص ويبقى معه ما ينجو به يوم القيامة من الخلود في النار، انظر أثر رقم (٢٩٨).

قال سفيان: كان القولُ قولَهم قبل أن تنزل أحكام الإيمان وحدوده، ثم إن الله تعالى بعث محمدًا ﷺ إلى الناس كلهم كافة أن يقولوا: لا إله إلَّا الله، وأنه رسول الله، فإذا قالوها، عصموا بها دماءَهم وأموالهم إلَّا بحقِّها، وحسابهم على الله تعالى، فلما عَلِمَ الله تعالى صِدْقَ ذلك من قلوبهم، أمره أن يأمرهم بالصلاة، فأمرهم ففعلوا، فوالله لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول، فلما علم الله صدق ذلك من قلوبهم، أمره أن يأمرهم بالهجرة إلى المدينة، فأمرهم ففعلوا، فوالله لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرارُ الأول ولا صلاتُهم، فلما علم الله صدق ذلك من قلوبهم أمره أن يأمرهم بالرجوع إلى مكة فيقاتلوا آباءَهم وأبناءَهم، حتى يقولوا كقولهم، ويصلوا صلاتَهم، ويهاجروا هجرتَهم، فأمرهم ففعلوا، حتى أتى أحدهم برأس أبيه، فقال: يا رسول الله، هذا رأس الشيخ الكافر. والله لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرارُ الأول، ولا صلاتُهم، ولا مهاجرتُهم(١)، ولا قتالهم، فلما علم الله ﷻ صدق ذلك من قلوبهم، أمره أن يأمرهم بالطواف بالبيت تعبُّدًا، وأن يحلقوا رؤوسهم تذلُّلًا ففعلوا، والله لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول، ولا صلاتُهم، ولا مهاجرتهم(٢)، ولا قَتْلُهم آباءَهم، فلما علم الله صدق ذلك من قلوبهم، أمره أن يأخذ من أموالهم صدقة تطهرهم، فأمرهم ففعلوا، حتى أتوا بها، قليلِها وكثيرِها، والله لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول، ولا صلاتهم، ولا مهاجرتهم، ولا قَتْلُهم آباءَهم، ولا طوافُهم، فلما علم الله الصدق من قلوبهم فيما تتابع عليهم من شرائع الإيمان وحدوده قال الله له: قل لهم: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

---

(١) في هامش الأصل: (هجرتهم) خ.

(٢) في هامش الأصل: (هجرتهم) خ.

قال سفيان: فمن ترك خَلَّة من خِلال(١) الإيمان جاحدًا كان بها عندنا كافرًا، ومن تركها كسلًا أو تهاونًا؛ أدَّبناه، وكان بها عندنا ناقصًا، هكذا السُّنة أبلغها عني من سألك من الناس(٢).

(١) في هامش الأصل: (خُلَلِ) خ.

(٢) في صحة هذا الأثر عن سفيان رَحِمَهُ اللهُ نظر كما قال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (١/ ٢٢٨).

وعلى فرض صحته فإن هذا العموم على ترك تكفير تارك جميع الفرائض تهاونًا وكسلًا مخصوص بالصلاة، كما سيأتي نقل إجماع الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم على تكفير تاركها بالكلية دون التفريق بين تركها جحودًا أو كسلًا وتهاونًا.

والمُصنِّف لم يفهم من هذا الأثر ما فهمته المرجئة بأن تارك جميع الفرائض كسلًا وتهاونًا لا يخرجه من الإسلام، بل قد عقد بابًا في الرد على من قال بذلك، وصرَّح في كثيرٍ من المواطن بركنية العمل، وغلظ القول جدًّا على من لم يقل بذلك كما سيأتي، فتنبه!

ـ قال ابن هانئ رَحِمَهُ اللهُ في «مسائله» (١٨٧٣): حضرت رجلًا يسأل أبا عبد الله، فقال: يا أبا عبد الله، إجماع المسلمين على الإيمان بالقدر خيره وشرّه؟ قال أبو عبد الله: نعم.

قال: ولا نكفِّرُ أحدًا بذنب؟ فقال أبو عبد الله: اسكت، من ترك الصلاة؛ فقد كفر، ومن قال: القرآن مخلوق؛ فهو كافر.

ـ قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في «مجموع الفتاوى» (٧/ ٦٢١): وقد تبين أن الدين لا بُدَّ فيه من قول وعمل، وأنه يمتنع أن يكون الرجل مؤمنًا بالله ورسوله بقلبه، أو بقلبه ولسانه ولم يؤد واجبًا ظاهرًا، ولا صلاة، ولا زكاة، ولا صيامًا، ولا غير ذلك من الواجبات، لا لأجل أن الله أوجبها مثل: أن يؤدِّي الأمانة، أو يُصدِّق الحديث، أو يعدل في قسمه وحُكمه من غير إيمان بالله ورسوله، لم يخرج بذلك من الكفر، فإن المشركين وأهل الكتاب يرون وجوب هذه الأمور، فلا يكون الرجل مؤمنًا بالله ورسوله مع عدم شيء من الواجبات التي يختصّ بإيجابها محمد ﷺ. ومن قال بحصول الإيمان الواجب بدون فعل شيء من الواجبات سواء جعل فعل تلك الواجبات لازمًا له؛ أو جزءًا منه فهذا نزاع لفظي كان مخطئًا خطأً بيِّنًا، وهذه بدعة الإرجاء التي أعْظَمَ السلفُ والأئمةُ الكلامَ في أهلها، وقالوا فيها من المقالات الغليظة ما هو معروف، والصلاة هي أعظمها وأعمها وأولها وأجلّها. اهـ.

٢٠ ـ بَاب

معرفة أي يوم نزلَتْ هذه الآيةُ قولُه تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ الآية[1]

٢٤٩ ـ حدثنا أبو محمد يحيى بن صاعد، قال: ثنا عبد الجبار بن العلاءِ العطار،

(١) عقد ابن بطة رَحِمَهُ اللهُ في «الإبانة الكبرى» بابًا نحوه، فقال: (١٧/باب معرفة اليوم الذي نزلت فيه هذه الآية).

ـ قال أبو عُبيد القاسم بن سلَّام رَحِمَهُ اللهُ: فأخبر الله جَلَّ أنه إنما أكمل الدين الآن في آخر الإسلام في حَجَّة النبي ﷺ، وزعم هؤلاء [يعني: المرجئة] أنه كان كاملًا قبل ذلك بعشرين سنة في أول ما نزل عليه الوحي بمكة حين دعا الناس إلى الإقرار به، ولو كان ذلك كذلك ما كان لذكر الإكمال معنى، وكيف يكمل ما قد استقصي من عند آخره وفرغ منه؟!

هذا قول غير مقبول، حتى لقد اضطر بعضهم حين أُدخلت عليه هذه الحُجة إلى أن قال: إن الإيمان ليس بجميع الدين؛ ولكن الدين ثلاثة أجزاء؛ فالإيمان جزء، والفرائض جزء، والنوافل جزء.

وقال أبو عُبيد: وهذا غير ما نطق به الكتاب، ألم تسمع إلى قول الله جَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فأخبر أن الإسلام هو الدين برمته، وزعم هؤلاء أنه ثلث الدين، فصيروا ما سمى الله دينًا كاملًا ثلث الدين! اهـ.

[نقلًا من كتاب «تعظيم قدر الصلاة» لمحمد بن نصر (١/ ٣٥٤ ـ ٣٥٦)].

ـ وقال النحاس رَحِمَهُ اللهُ في «إعراب القرآن» (١/ ٢٥٧): ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، فدلَّ بهذا على أن الإيمان والإسلام أشياء كثيرة، وهذا خلاف قول المرجئة. اهـ.

قال: ثنا سفيان بن عيينة، عن مسعر وغيره، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب أن رجلًا من اليهود قال لعمر ﷺ: لو علينا أُنزلت هذه الآية: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾؛ لاتخذناها عيدًا.

فقال عمر: أنا أعلم أيَّ يوم أُنزلتْ، أُنزلتْ يومَ عرفةَ، في يوم جمعة.

٢٥٠ ـ أخبرنا أبو محمد عبد الله بن صالح البخاري، قال: ثنا عثمان بن أبي شيبة، وأحمد بن عبد الجبار، قالا: ثنا عبد الله بن إدريس، عن أبيه، عن قيس، عن طارق بن شهاب، قال: قال يهوديٌّ لعمر ﷺ: لو أنا نعلم أي يوم نزلت هذه الآية لاتخذنه عيدًا: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾.

فقال عمر ﷺ: قد علمتُ اليوم الذي أُنزلت فيه، أُنزلت ونحن وقوفٌ بعرفات مع رسول الله ﷺ.

٢٥١ ـ أخبرنا إبراهيم بن موسى الجوزي، قال: ثنا يوسف بن موسى القطان، قال: ثنا وكيع، قال: ثنا حماد بن سلمة، عن عمار مولى بني هاشم، قال: قرأ ابن عباس ﷺ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾، وعنده رجلٌ من أهل الكتاب، فقال: لو عَلِمْنا في أيِّ يومٍ أُنزلتْ هذه الآيةُ جعلناه عيدًا.

فقال: لقد أُنزلت يوم عرفة، يوم الجمعة[1].

---

(١) «فائدة»: احتج الإمام البخاري ﷺ في «صحيحه» بهذه الآية على زيادة الإيمان ونقصانه فقال: (٣٣ ـ باب زيادة الإيمان ونقصانه... وقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، فإذا ترك شيئًا من الكمال فهو ناقص).

ـ قال ابن رجب ﷺ في «الفتح» (١/ ١٦٩): واستدل ـ أيضًا ـ بقول الله ﷻ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، فدل على أن الدين ذو أجزاء يكمل بكمالها، وينقص بفوات بعضها، وهذه الآية نزلت في آخر حياة النبي ﷺ في =

قال محمد بن الحسين:

٢٥٢ ـ هذا بيان لمن عقل، يعلم أنه لا يصحُّ الدين إلَّا بالتصديق بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالجوارح[(١)]، مثل: الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد، وما أشبه ذلك[(٢)]. [٢١/أ]

حجة الوداع، وقد قيل: إنه لم ينزل بعدها حلال ولا حرام ـ كما قال السدي وغيره.

وكذا قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﷺ قال: بعث الله نبيه بشهادة أن لا إله إلا الله، فلما صدَّقَ بها المؤمنون زادهم الصلاة، فلما صدَّقوا بها زادهم الصيام، فلما صدَّقوا به زادهم الزكاة، فلما صدَّقوا بها زادهم الحج، فلما صدَّقوا به زادهم الجهاد، ثم أكمل الله لهم دينهم فقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾.

ومعلوم أن النبي ﷺ وأصحابه لم يحجوا حجة الفرض إلَّا ذلك العام، فلما حجوا حَجَّة الإسلام كمل لهم الدين بتكميلهم أركان الإسلام ـ حينئذ ـ ولم يكن الدين قبل ذلك ناقصًا كنقص من ترك شيئًا من واجبات دينه؛ بل كان الدين في كل زمان كاملًا بالنسبة إلى ذلك الزمان بما فيه من الشرائع والأحكام ما لم يكن قبل ذلك، كما يقال: إن شريعة الإسلام أكمل من شريعة موسى وعيسى، وإن القرآن أكمل من التوراة والإنجيل، وهذا كما سمى النبي ﷺ النساء ناقصات دين وفسر نقصان دينهن بترك الصلاة والصيام في زمن حيضهن مع أنها قائمة في تلك الحال بما وجب عليها من غير الصلاة؛ ولكن نقصان دينها بالنسبة إلى من هي طاهرة تصلي وتصوم. وهذا مبني على أن الدين هو الإسلام بكماله.

فالمرجئة عندهم: الإيمان: التصديق، ولا يدخل فيه الأعمال، وأما (الدين): فأكثرهم أدخل الأعمال في مُسمَّاه، وبعضهم خالف في ذلك ـ أيضًا ـ، والآية نص في رد ذلك، والله أعلم. اهـ.

(١) وهذه أركان الإيمان الثلاثة التي أجمع أهل السُّنة على أنه لا يصح إيمان عبدٍ إلَّا باجتماعها فيه خلافًا للمرجئة كما سيأتي زيادة بيان في تقرير هذه المسألة.

(٢) ختم ابن بطة ﷺ هذا الباب بقوله (٨٧٢): فقد عَلِمَ العقلاء من المؤمنين، ومن شرح الله صدره، فَفَهِمَ هذا الخطاب من نصِّ الكتاب وصحيح الرواية

٢١ ـ بَاب

على كم بُني الإسلام؟[(١)]

٢٥٣ ـ حدثنا أبو أحمد هارون بن يوسف بن زياد، قال: ثنا ابن أبي عمر العدني، قال: ثنا سفيان بن عيينة، عن سُعَيْرُ بن الخِمْس، عن حبيب بن أبي ثابت، عن ابن عمر ﵄، قال: قال رسول الله ﷺ: «بُني الإسلام على خمسٍ: شهادةِ أن لا إله إلَّا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقامِ الصلاة، وإيتاءِ الزكاة، وصومِ رمضان، وحجِّ البيت»[(٢)].

بالسُّنة أن كمال الدين وتمام الإيمان إنما هو: بأداء الفرائض، والعمل بالجوارح، مثل: الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد مع القول باللسان، والتصديق بالقلب.

وعلِموا أيضًا المعنى الذي أُنزلت فيه هذه الآية، ومراد الله تعالى فيها، واليوم الذي أُنزلت فيه على رسول الله ﷺ، فبان لهم كَذِبُ من افترى على الله، وعلى كتابه، وعلى رسوله ﷺ، وعلى صحابته والتابعين والعقلاء من علماء المسلمين، فتأوَّل هذه الآية بغير تأويلها، وصرفها إلى غير معانيها، وزعم أنها نزلت في غير المعنى الذي أراد الله بها، وفي غير اليوم الذي أنزلها فيه، فآثر هواه، وباع آخرته بدنياه.

ويحَ من كان دينه هواه، فقد بارت بضاعته، وخسرت صفقته، خسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخُسران المُبين. اهـ.

(١) عقد ابن بطة ﵀ في «الإبانة الكبرى» بابًا نحوه، فقال: (١٨/باب معرفة الإسلام وعلى كم بُني؟).

(٢) رواه البخاري (٨)، ومسلم (١٦).

ـ قال ابن رجب ﵀ في «جامع العلوم والحكم» (١/ ١٤٥): والمرادُ من هذا الحديث أن الإسلام مبنيٌّ على هذه الخمس، فهي كالأركان والدعائم =

لبُنيانه، وقد خرَّجه محمد بن نصر المروزي في «كتاب الصلاة»، ولفظه: «بُني الإسلام على خمسٍ دعائم» فذكره.

والمقصودُ تمثيلِ الإسلام ببنيانٍ، ودعائم البنيان هذه الخمس، فلا يثبت البُنيانُ بدونها، وبقيةُ خصالِ الإسلام كتتمة البنيان، فإذا فُقِد منها شيء، نقص البنيانُ وهو قائم لا ينتقض بنقص ذلك، بخلاف نقضِ هذه الدعائم الخمس؛ فإن الإسلام يزولُ بفقدها جميعِها بغير إشكالٍ، وكذلك يزولُ بفقدِ الشهادتين، والمراد بالشهادتين الإيمان بالله ورسوله... وأما إقام الصلاة، فقد وردت أحاديثُ متعددةٌ تدلُّ على أنَّ من تركها فقد خرج من الإسلام، ففي «صحيح مسلم» عن جابر ﷺ، عنِ النبي ﷺ، قال: «بَيْنَ الرجل وبَينَ الشِّركِ والكفرِ تركُ الصلاة»، ورُوي مثلُه من حديث بُريدة وثوبان وأنس ﷺ وغيرهم.

وخرَّج محمد بن نصر المروزي من حديث عُبادة بنِ الصامت ﷺ، عَنِ النبي ﷺ قال: «لا تتركِ الصلاةَ متعمدًا، فمن تركها مُتعمِّدًا فقد خرج من المِلَّة».

وفي حديث معاذ ﷺ، عنِ النبي ﷺ: «رأسُ الأمر الإسلام، وعمودُه الصلاة».

فجعل الصلاة كعمود الفسطاط الذي لا يقوم الفسطاطُ ولا يثبتُ إلَّا به، ولو سقط العمودُ لسقط الفسطاط، ولم يثبت بدونه.

وقال عمر ﷺ: لا حظَّ في الإسلام لمن تركَ الصلاة.

وقال سعد وعليُّ بنُ أبي طالب ﷺ: من تركها فقد كفر.

وقال عبد الله بن شقيق: كانَ أصحابُ رسول الله ﷺ لا يَرَون من الأعمال شيئًا تركه كفر غير الصلاة.

وقال أيوب السختياني: تركُ الصلاةِ كفرٌ، لا يُختلفُ فيه.

وذهب إلى هذا القول جماعةٌ من السلف والخلف، وهو قولُ ابنِ المبارك، وأحمد وإسحاق، وحكى إسحاق عليه إجماعَ أهل العلم.

وقال محمد بن نصر المروزي: هو قولُ جمهور أهل الحديث.

وذهبَ طائفةٌ منهم إلى أن من تركَ شيئًا من أركان الإسلام الخمسة عمدًا أنه كافر بذلك، ورُوي ذلك عن سعيد بن جبير، ونافع، والحكم، وهو رواية عن أحمد اختارها طائفةٌ من أصحابه وهو قول ابنِ حبيبٍ من المالكية.. ـ ثم

٢٥٤ ـ **وحدثنا** أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، قال: ثنا محمد بن إسماعيل، قال: ثنا وكيع بن الجراح، قال: ثنا حنظلة بن أبي سفيان الجُمَحي، عن عكرمة بن خالد، عن ابن عمر ﵄، قال: قال رسول الله ﷺ: «بُني الإسلام على خمسٍ: شهادةِ أن لا إلٰه إلَّا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقامِ الصلاة، وإيتاءِ الزكاة، وحجِّ البيت، وصومِ رمضان».

٢٥٥ ـ **وأخبرنا** أبو عبيد علي بن الحسين بن حرب القاضي، قال: ثنا الحسن بن محمد الزعفراني، قال: ثنا شَبابة بن سوَّار، قال: ثنا عاصم، عن أبيه، عن ابن عمر ﵄، عن النبي ﷺ قال: «بُنِيَ الإسلام على خمس: شهادةِ أن لا إلٰه إلَّا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، وإقامِ الصلاة، وإيتاءِ الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت»(١).

ذكر الحجِّ والخلاف فيه ـ.

وقال ابن عيينة: المرجئة سَموا تركَ الفرائض ذنبًا بمنزلة ركوبِ المحارم، وليس سواء؛ لأن ركوب المحارم متعمدًا من غير استحلالٍ معصيةٌ، وترك الفرائض من غير جهلٍ ولا عُذرٍ هو كفر. وبيان ذلك في أمر إبليس وعلماء اليهودِ الذين أقرُّوا ببعث النبي ﷺ بلسانهم، ولم يعملوا بشرائعه.

وقد استدلَّ أحمد وإسحاق على كفرِ تاركِ الصلاةِ بكفر إبليسَ بترك السجودِ لآدمَ، وتركُ السُّجود لله أعظم. اهـ.

(١) قال ابن رجب ﵀ في «جامع العلوم والحكم» (١/ ١٥١): حديثُ ابنِ عمر ﵄ يستدلُّ به على أن الاسمَ إذا شمل أشياءَ متعدِّدةً لم يلزم زوال الاسم بزوال بعضها، فيبطل بذلك قولُ من قال: إن الإيمانَ لو دخلت فيه الأعمال، للزم أن يزولَ بزوالِ عمل مما دخل في مسمَّاه، فإن النبي ﷺ جعل هذه الخمسَ دعائمَ الإسلام ومبانيَه، وفسَّر بها الإسلام في حديث جبريل، وفي حديث طلحة بن عُبيد الله الذي فيه أنَّ أعرابيًا سأل النبي ﷺ عنِ الإسلام، ففسَّره له بهذه الخمس. ومع هذا فالمخالفون في الإيمان يقولون: لو زال من الإسلام خَصلةٌ واحدة، أو أربع خصالٍ سوى الشهادتين، لم يخرج بذلك من الإسلام. اهـ.

٢٥٦ - وحدثنا أبو جعفر محمد بن الحسين الأُشناني الكوفي، قال: ثنا محمد بن علي الشقيقي، قال: سمعت أبي، قال: ثنا أبو حمزة، عن جابر، عن عامر، عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن الإسلام بُنِيَ على خمسٍ: شهادةِ أن لا إله إلَّا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاءِ الزكاة، وحجِّ البيت، وصومِ رمضان»[1].

---

(١) رواه أحمد (١٩٢٢٠ و١٩٢٢٦)، وأبو يعلى (٧٥٠٢)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١١٦٥).

٢٢ ـ بَاب

ذكر سؤال جبريل للنبي ﷺ عن الإسلام ما هو؟ وعن الإيمان ما هو؟(١)

٢٥٧ ـ **حدثنا** أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي، قال: ثنا إسحاق بن راهويه، قال: ثنا النضر بن شُميل، قال: ثنا كَهْمَس بن الحسن، قال: ثنا عبد الله بن بريدة، عن يحيى بن يَعْمَر، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: بَيْنَا نحن عند النبي ﷺ إذ طلع علينا رجلٌ شديدُ بياضِ الثياب، شديدُ سوادِ الشَّعْرِ، لا يعرفه أحد منَّا، حتى جلس إلى نبي الله ﷺ، فأسند رُكبته إلى ركبته، ووضع كفَّيه على فخذيه، ثم قال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام، وما الإسلام؟(٢).

---

(١) عقد ابن بطة رحمه الله في «الإبانة الكبرى» بابًا نحوه، فقال: (١٩/معرفة الإسلام والإيمان، وسؤال جبريلَ النبيَّ ﷺ عن ذلك).

(٢) حاول المرجئة تحريف هذه اللفظة وتبديلها لنصرة مذهبهم في إخراج الأعمال من الإيمان، فروى عبد العزيز بن أبي روَّاد ـ وهو من أئمة المرجئة ـ هذا الحديث، وقال فيه: (.. ثم قال جبريل: فما شرائع الإسلام؟ قال: تقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة..).

ـ قال العُقيلي رحمه الله في «الضعفاء» (٣٣٦٧): هكذا قال: (شرائع الإسلام)، وتابعه على هذه اللفظة: أبو حنيفة، وجراح الضحاك، وهؤلاء من المرجئة. اهـ.

ـ وقال الإمام مسلم ـ في «التمييز» (ص١٩٩): .. فأما رواية أبي سنان، عن علقمة، في متن هذا الحديث إذ قال فيه: إن جبريل عليه السلام قال: (جئت أسألك عن شرائع الإسلام)؛ فهذه زيادة مُختلقة، ليست من الحروف بسبيل، =

وإنما أدخل هذا الحرفَ في رواية هذا الحديث شرذمةٌ زيادةً في الحرف، مثل ضرب: النعمان بن ثابت [يعني: أبا حنيفة]، وسعيد بن سنان، ومن نحا في الإرجاء نحوهما، وإنما أرادوا بذلك تصويبًا في قوله في الإيمان، وتعقيد الإرجاء، ذلك ما لم يزد قولهم إلَّا وهنًا، وعن الحق إلَّا بُعدًا، إذ زادوا في رواية الأخبار ما كفى بأهل العلم. اهـ.

وكذا أنكر عليه هذه اللفظةَ الإمامُ أبو زرعة الرازي رَحِمَهُ اللهُ كما في «سؤالات البرذعي» (٢/ ٧٢١)، فقد أنكر على من أخرج أحاديث أبي حنيفة، فقال: يذكر أحاديث من رواية أبي حنيفة لا أصل لها.. وأنكر عليه حديثًا آخر يرويه، عن علقمة بن مرثد، عن ابن بريدة، حديث عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: جاء جبريل إلى النبي ﷺ، فقال: «ما الإيمان؟».

قال أبو زرعة: فجعل هو وأبو سنان الإيمان: (شرائع الإيمان)، وذكر أحاديث قد أوهم فيها، وأنكرها من رواياته. اهـ.

ـ قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ في «جامع العلوم والحكم» (١/ ١٥١): وقد روى بعضهم: أن جبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سأل النبي ﷺ عن شرائع الإسلام، لا عن الإسلام، وهذه اللفظة لم تصحَّ عندَ أئمَّة الحديث ونُقَّاده، منهم: أبو زُرعة الرازي، ومسلم بن الحجاج، وأبو جعفر العُقيلي وغيرُهم. اهـ.

ومراد المرجئة بقولهم: (الأعمال شرائع)، أي: فرائض فرضها الله، وهي ليست من الإيمان، وإنما هي من شرع الله عَزَّ وَجَلَّ التي شرعها على عباده، ولا علاقة لها بصحة إيمان العبد، فالعبد يكون مؤمنًا عندهم مستكمل الإيمان بمجرد التصديق والقول بدون عمل.

ـ قال حرب الكرماني رَحِمَهُ اللهُ في «عقيدته» (٩٢): و(المرجِئة): وهم الذين يزعمون: أن الإيمان قولٌ بلا عملٍ، وأن الإيمان هو القولُ، والأعمالَ شرائع. اهـ.

ـ وقال قوام السُّنة الأصبهاني رَحِمَهُ اللهُ في «الحُجَّة في بيان المحجة» (١/ ١٤٠): الإيمان في الشرع: عبارة عن جميع الطاعات الباطنة والظاهرة.

وقالت الأشعرية: الإيمان هو التصديق، والأفعال والأقوال (من شرائعه) لا من نفس الإيمان. اهـ.

قال: «أن تشهدَ أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتقيمَ الصلاةَ، وتؤتيَ الزكاةَ، وتصومَ رمضانَ، وتحجَّ البيتَ إن استطعتَ إليه سبيلًا».

قال: صدقت، فعَجِبْنا أنه يسأله ويُصدِّقه.

قال: فأخبرني عن الإيمان؟

قال: «أن تؤمن بالله، وملائِكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره».

قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان؟

قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك».

قال: فأخبرني عن الساعة؟

قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائِل».

قال عمر: فلبثت ثلاثًا، ثم قال لي رسول الله ﷺ: «يا عمر، هل تدري من السائِل؟».

فقلت: الله ورسوله أعلم.

قال: «فإنه جبريل أتاكم يُعلِّمُكم أمرَ دينكم»[(١)].

---

(١) رواه مسلم (١).

ـ قال ابن رجب رحمه الله في «جامع العلوم والحكم» (١/٩٧): وهو حديث عظيم جدًّا، يشتمل على شرح الدين كله، ولهذا قال النبي ﷺ في آخره: «هذا جبريل أتاكم يُعلمكم دينكم»، بعد أن شرح درجة الإسلام، ودرجة الإيمان، ودرجة الإحسان، فجعل ذلك كله دينًا... فأما الإسلام، فقد فسَّره النبي ﷺ بأعمال الجوارح الظاهرة من القول والعمل، وأول ذلك: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وهو عمل اللسان، ثم إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلًا... ـ ثم بيَّن أن =

جميع الواجبات الظاهرة داخلة في مسمى الإسلام، وكذلك ترك المحرمات داخل في مسمى الإسلام أيضًا، ثم قال:

وأما الإيمان، فقد فسَّره النبي ﷺ في هذا الحديث بالاعتقادات الباطنة، فقال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، وتؤمن بالقدر خيره وشره».

وقد ذكر الله ﷻ في كتابه الإيمان بهذه الأصول الخمسة في مواضع..

فإن قيل: فقد فرَّق النبي ﷺ في هذا الحديث بين الإسلام والإيمان، وجعل الأعمال كلها من الإسلام لا من الإيمان، والمشهور عن السلف وأهل الحديث أن الإيمان: قول وعمل ونية، وأن الأعمال كلها داخلة في مُسمَّى الإيمان.

وحكى الشافعي على ذلك إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم.

وأنكر السلف على من أخرج الأعمال من الإيمان إنكارًا شديدًا...

قيل: الأمر على ما ذكره، وقد دلَّ على دخول الأعمال في الإيمان:... عن ابن عباس ﷺ: أن النبي ﷺ قال: لوفد عبد القيس: «آمركم بأربع: الإيمان بالله، وهل تدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلَّا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة..».

وأما وجه الجمع بين هذه النصوص وبين حديث سؤال جبريل ﷺ عن الإسلام والإيمان، وتفريق النبي ﷺ بينهما، وإدخاله الأعمال في مسمى الإسلام دون الإيمان، فإنه يتضح بتقرير أصلٍ: وهو أن من الأسماء ما يكون شاملًا لمسميات متعدِّدة عند إفراده وإطلاقه، فإذا قُرِن ذلك الاسم بغيره، صار دالًّا على بعض تلك المسميات، والاسم المقرون به دالٌّ على باقيها، وهذا كاسم (الفقير) و(المسكين)، فإذا أفرد أحدهما دخل فيه كل من هو محتاج، فإذا قُرن أحدهما بالآخر، دلَّ أحد الاسمين على بعض أنواع ذوي الحاجات، والآخر على باقيها، فهكذا اسم (الإسلام) و(الإيمان): إذا أُفرد أحدهما، دخل فيه الآخر، ودلَّ بانفراده على ما يدل عليه الآخر بانفراده، فإذا قرن بينهما دلَّ أحدهما على بعض ما يدل عليه بانفراده، ودلَّ الآخر على الباقي.

وقد صرَّح بهذا المعنى جماعة من الأئمة... ويدل على صحة: ذلك أن النبي ﷺ فسَّر (الإيمان) عند ذكره مفردًا في حديث وفد عبد القيس بما فسَّر به =

٢٥٨ ـ وأنبونا الفريابي، قال: ثنا محمد بن أبي بكر الْمُقَدَّمي، قال: ثنا معاذ بن معاذ، قال: ثنا كَهْمَس بن الحسن، عن عبد الله بن بريدة، عن يحيى بن يَعْمَر، قال: كان أولُ مَنْ قال بالقدر بالبصرة مَعبَدٌ الجُهَنِيّ، فانطلقتُ أنا وحميدُ بن عبد الرحمٰن، فلقينا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، فقلنا: إنه قد ظهر قِبَلنا أُناس

الإسلام المقرون بالإيمان في حديث جبريل، وفسَّر في حديث آخر (الإسلام) بما فسَّر به الإيمان... وبهذا التفصيل يظهر تحقيق القول في مسألة (الإسلام) و(الإيمان): هل هما واحد، أو مختلفان؟ فإن أهل السنة والحديث مختلفون في ذلك، وصنفوا في ذلك تصانيف متعدّدة، فمنهم من يدعي أن جمهور أهل السنة على أنهما شيء واحد: منهم محمد بن نصر المروزي، وابن عبد البر، وقد روي هذا القول عن سفيان الثوري من رواية أيوب بن سويد الرملي عنه، وأيوب فيه ضعف.

ومنهم من يحكي عن أهل السُّنة التفريق بينهما، كأبي بكر بن السمعاني وغيره، وقد نُقل هذا التفريق بينهما عن كثير من السلف، منهم: قتادة، وداود بن أبي هند، وأبو جعفر الباقر، والزهري، وحماد بن زيد، وابن مهدي، وشريك، وابن أبي ذئب، وأحمد بن حنبل، وأبو خيثمة، ويحيى بن معين، وغيرهم، على اختلاف بينهم في صفة التفريق بينهما.

وكان الحسن وابن سيرين يقولان: مسلم، ويهابان مؤمن.

وبهذا التفصيل الذي ذكرناه يزول الاختلاف، فيقال: إذا أُفرد كل من (الإسلام) و(الإيمان) بالذكر، فلا فرق بينهما حينئذ، وإن قُرِن بين الاسمين كان بينهما فرق.

والتحقيق في الفرق بينهما: أن (الإيمان): هو تصديق القلب، وإقراره، ومعرفته.

و(الإسلام): هو استسلام العبد لله، وخضوعه، وانقياده له، وذلك يكون بالعمل، وهو الدين، كما سمى الله في كتابه الإسلام دينًا، وفي حديث جبريل سمَّى النبي ﷺ الإسلام والإيمان والإحسان دينًا، وهذا أيضًا مما يدل على أن أحد الاسمين إذا أُفرد دخل فيه الآخر، وإنما يُفرَّق بينهما حيث قُرِن أحد الاسمين بالآخر. فيكون حينئذ المراد بالإيمان: جنس تصديق القلب، وبالإسلام جنس العمل. اهـ.

يقرؤون القرآن، ويبتغون العلم، يزعمون أن لا قَدَرَ، وأن الأمر أُنُف[1].

قال: فإذا لقيتَ أولئك، فأخبِرْهم أني منهم بريءٌ، وهم مني بُرءاء، والذي حلف به ابن عمر لو أن لأحدهم أُحدًا ذهبًا فأَنْفَقَه ما قَبِلَه الله تعالى منه حتى يؤمنَ بالقدر، ثم قال: حدثني أبي: عمر ﷺ، قال: بَيْنَا نحن عند النبي ﷺ، إذ طلع علينا رجلٌ، شديدُ بياضِ الثيابِ، شديدُ سوادِ الشعر، لا يُرى عليه أثرُ السفر، حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبته إلى ركبته، فوضع كفيه على فخذيه، فقال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام؟

فقال النبي ﷺ: «أن تشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا».

قال: صدقت.

قال: فعَجِبْنا له أنه يسأله ويُصدِّقه!

قال: فأخبرني عن الإيمان؟

قال: «أن تؤمن بالله، وملائِكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، [٢٢/ب] وتؤمن بالقدر خيره وشره».

قال: صدقتَ، قال: فأخبرني عن الإحسان؟

قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

قال: فأخبرني عن الساعة؟

---

(١) قال ابن رجب رحمه الله في «جامع العلوم والحكم» (١/ ١٠٣): يعني: أنه مستأنف، لم يسبق به سابقُ قدرٍ من الله ﷻ، وقد غلَّظ ابن عمر رضي الله عنهما عليهم وتبرَّأ منهم، وأخبر أنه لا تُقبل منهم أعمالهم بدون الإيمان بالقدر. اهـ.

قال: «ما المسؤول عنها بأعلمَ من السائِل».

قال: فأخبرني عن أماراتِها؟

قال: «أن تَلِدَ الأَمَةُ ربتَّها، وأن يُرى الحُفاةُ العُراةُ رعاءُ الشاءِ يتطاولون في البنيان».

قال: ثم انطلق، فلبثت ثلاثًا، ثم قال لي: «يا عمر، تدري من السائِل؟».

قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: «إنه جبريل أتاكم يُعلمكم أمرَ دينِكم».

٢٥٩ - حدثنا أبو شعيب عبد الله بن الحسن الحراني، قال: ثنا عبد العزيز بن داود[(١)] الحرَّاني، قال: ثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن يحيى بن يَعْمَر، قال: قلت لابن عمر: إن عندنا بالعراق رجالًا يقولون: إن شاءُوا عملوا، وإن شاءُوا لم يعملوا، وإن شاءُوا دخلوا الجنة، وإن شاءُوا دخلوا النار، ويصنعون ما شاءُوا.

فقال ابن عمر: أَخبِرْهم أني منهم بَرِيءٌ، وهم مني بَراء، ثم قال: جاءَ جبريل إلى النبي ﷺ، فقال: يا محمد.

قال: «لبيك».

قال: ما الإسلام؟

قال: «أن تعبدَ الله لا تشرك به شيئًا، وتُصلي الصلاة المكتوبة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصومَ شهر رمضان، وتحج البيت».

قال: فإذا فعلتُ ذلك فأنا مسلم؟

---

(١) في الأصل: (ابن أبي داود)، والصواب ما أثبته كما في «أمالي ابن بشران» (١١٥٧) من طريق المصنف. وهو كذلك في «الجرح والتعديل» (٥/ ٣٨٤).

قال: «نعم».

قال: صدقت.

قال: فما الإحسان؟

قال: «أن تخشى الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

قال: فإذا فعلت ذلك فأنا مُحسنٌ؟

قال: «نعم».

قال: صدقت.

قال: فما الإيمان؟

قال: «تؤمن بالله، وملائِكته، وكتبه، ورسله، والبعث من بعد الموت، والجنة والنار، والقدر كله».

قال: فإذا فعلت ذلك فأنا مؤمن؟

قال: «نعم».

قال صدقت[(١)].

٢٦٠ ـ أخبرنا أبو عبيد علي بن الحسين بن حرب القاضي، قال: ثنا حسن الزعفراني، قال: ثنا يزيد بن هارون، قال: أنا العوام بن حوشب، عن مُحارِبِ بن دِثَار، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: بَيْنَا رسول الله ﷺ جالس في المسجد، إذ أقبل رجلٌ شديد بياضِ الثيابِ، شديدُ سوادِ الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يُعرَف، فأتى رسولَ اللهِ ﷺ حتى جلس بين يديه فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، فقال: يا محمد، أخبِرْني عن الإسلام؟

فقال رسول الله ﷺ: «تشهدُ ألا إله إلَّا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتقيمُ الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصومُ شهر رمضان، وتحجُّ البيت إن استطعت إليه سبيلًا، وتغتسلُ من الجنابة».

---

(١) رواه ابن بشران في «أماليه» (١١٥٧) من طريق المصنف.

فقال: صدقت. فعجبوا منه أنه يسأله ويصدِّقه.

قال: فأخبرني عن الإيمان؟

قال: «أن تؤمن بالله، وملائِكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والجنة والنار، والبعث والحساب، وبالقدر خيره وشرِّه، حلوه ومُرِّه».

قال: صدقت. فعجبوا منه أنه يسأله ويُصدِّقه!

قال: فأخبرني عن الساعة؟

قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائِل».

قال: صدقت.

ثم ذهب، فلما كان بعد ذلك، قال رسول الله ﷺ لعمر: «يا عمر، تدري من الرجل؟».

قال: الله ورسوله أعلم.

قال: «ذلك جبريلُ أتاكم يعلمُكم أمرَ دينِكم، وما أتاني في صورة إلَّا عرفته فيها إلَّا في صورته هذه»[١].

(١) رواه ابن حبان في «صحيحه» (١٧٣)، والدارقطني في «سننه» (٢٧٠٨)، وقال: إسناد ثابت صحيح. أخرجه مسلم بهذا الإسناد.اهـ.

٢٣ ـ بَاب

ذكر أفضل الإيمان ما هو؟ وأدنى الإيمان ما هو؟[١]

٢٦١ ـ حدثنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الحلواني، قال: ثنا يحيى بن عبد الحميد الحِمَّاني، قال: أنا خالد ـ يعني: الواسطي ـ، عن سُهيل بن أبي صالح، عن عبد الله بن دينار، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان: بضعٌ وستون ـ أو بضع وسبعون شعبةً ـ أفضلُها: لا إله إلَّا الله، وأدناها: إماطةُ الأذى عن الطريق، والحياءُ شعبةٌ من الإيمان»[٢].

٢٦٢ ـ حدثنا حامد بن شعيب البلخي، قال: ثنا يحيى بن أيوب العابد، قال: ثنا جرير بن عبد الحميد، عن سُهيل بن أبي صالح، عن عبد الله بن دينار، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمانُ: بضعٌ وستون ـ أو بضع وسبعون ـ شُعبةً، أفضلها: قول لا إله إلَّا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياءُ شُعبةٌ من الإيمان».

٢٦٣ ـ وأخبرنا إبراهيم بن موسى الجوزي، قال: ثنا أحمد بن منيع، ويعقوب الدورقي، ومجاهد بن موسى ـ لفظه ـ، قالوا: ثنا جرير بن عبد الحميد، عن سهيل بن أبي صالح، عن عبد الله بن دينار، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الإيمان بضع وستون شعبةً ـ أو بضع وسبعون ـ

---

(١) عقد ابن بطة رحمه الله في «الإبانة الكبرى» بابًا نحوه، فقال: (٢٠/باب فضائل الإيمان، وعلى كم شُعبة هو؟ وأخلاق المؤمنين وصفاتهم).

(٢) رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥).

وفي الحديث دليل على أن أعمال الجوارح من الإيمان خلافًا للمرجئة.

شعبةً، أفضلُها: قولُ لا إلٰه إلَّا الله، وأدناها: إماطةُ الأذى عن الطريق، والحياءُ شعبةٌ من الإيمان»(١).

(١) قال ابن بطة رَحِمَهُ اللهُ في «الإبانة الكبرى» (٨٩٦): فإن سأل سائل عن معنى هذا الحديث، فقال: كيف يكون الحياء شعبة من الإيمان، والإيمان إنما هو: قول وعمل ونية، والحياء سجيَّةٌ غريزية، يُطبع عليها البرُّ والفاجر، والمؤمن والكافر؟

فنقول في معنى ذلك ـ والله أعلم ـ: إن المؤمن يحول بينه وبين المعاصي والكبائر وارتكاب الفواحش: الإيمان بالله ﷻ، والتصديق له فيما تواعد عليها من العقاب وأليم العذاب، وكذلك يقوده إلى البرِّ واصطناع المعروف: الإيمان بالله ﷻ، والتصديق له فيما وعد، وضَمِن لفاعلها من حسن المآب، وجزيل الثواب، وكذلك تجد المُستحي ينقطع بالحياء عن كثيرٍ من المعاصي، وإن لم تكن له تقيَّة، فصار الحياء يَفعلُ ما يفعله الإيمان من ترك المعاصي.

ومن ذلك حديث النبي ﷺ: «إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت»، يريد: أنه من لم يستحِ لم يُبال ما صنع؛ لأنه ليس له حياءٌ يكُفُّه عن القبيح والمعاصي.

وكذلك أيضًا ربما سُئِلَ الرجل في نوائب المعروف، واصطناع الخير، فأجاب سائله حياءً منه، وإن لم يكُن له هناك نيَّة سبقت فيه.

وقال رجل للحسن: يا أبا سعيد، إن الرجل ليسألني، وأنا أمقته فما أعطيه إلَّا حياء، فهل لي في ذلك من أجر؟

قال: إن ذاك من المعروف، وإن في المعروف لأجرًا.

ومما يشبه هذا: حديث سعيد بن المسيّب، عن النبي ﷺ أنه قال: «قِلَّةُ الحياءِ كفر».

فهذا شبيهٌ بقوله: «الحياءُ شعبة من الإيمان»؛ وذلك أن الرجل إذا قلَّ حياؤه ارتكب الفواحش، واستحسن القبائح، وجاهر بالكبائر، فكأنه على شُعبةٍ من الكفر، فصار هذا تخريجًا على التضادِّ؛ «الحياءُ شعُبة من الإيمان»، و(قلَّةُ الحياء شُعبة من الكفر).

نسأل الله الحياء والتُّقى والعِفَّة والغِنى. اهـ.

٢٤ ـ بَاب

ذكر ما دلَّ على زيادة الإيمان ونقصانه(١) [٢٢/أ]

٢٦٤ ـ حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، قال: ثنا

(١) عقد ابن بطة في «الإبانة الكبرى» بابًا نحوه، فقال: (٢٨/باب زيادة الإيمان ونقصانه، وما دلّ على الفاضل فيه والمفضول).
وزيادة الإيمان ونقصانه من المسائل العظيمة التي وقع فيها خلاف بين أهل السنة والجماعة وخصومهم من طوائف المرجئة والجهمية والخوارج والمعتزلة، فهؤلاء جميعًا أنكروا زيادة الإيمان ونقصانه؛ لأن أصلهم الفاسد واحد وهو أن الإيمان عندهم يزول كله بزوال شيء منه، فهو جزء واحد لا يتبعَّض ولا يتجزّأ.
ـ قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «مجموع الفتاوى» (٧/ ٥١٠): وأصل نزاع هذه الفرق في الإيمان من الخوارج والمرجئة والمعتزلة والجهمية وغيرهم أنهم جعلوا الإيمان شيئًا واحدًا، إذا زال بعضه زال جميعه، وإذا ثبت بعضه ثبت جميعه، فلم يقولوا بذهاب بعضه وبقاء بعضه كما قال النبي ﷺ: «يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبةٍ من الإيمان».
ثم قالت الخوارج والمعتزلة: الطاعات كلها من الإيمان، فإذا ذهب بعضها ذهب بعض الإيمان فذهب سائره، فحكموا بأن صاحب الكبيرة ليس معه شيء من الإيمان.
وقالت المرجئة والجهمية: ليس الإيمان إلّا شيئًا واحدًا لا يتبعَّض، إما مجرد تصديق القلب كقول الجهمية، أو تصديق القلب واللسان كقول المرجئة، قالوا: لأنا إذا أدخلنا فيه الأعمال صارت جزءًا منه، فإذا ذهبت ذهب بعضه، فيلزم إخراج ذي الكبيرة من الإيمان، وهو قول المعتزلة والخوارج.اهـ.
أما أهل السُّنة فقد أجمعوا على زيادة الإيمان ونقصانه كما دلَّ على ذلك الكتاب والسُّنة.

محمد بن المثنى، قال: ثنا صفوان بن عيسى، عن ابن عجلان، عن القعقاع بن حكيم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إن المؤمن إذا أذنب كانت نُكْتَةٌ سوداءُ في قلبِهِ، فإن تابَ ونَزَعَ واستغفر، سُقِلَ[1] منها قلبه، فإن زاد زادت حتى تعلو قلبه، فذلك الرَّان[2] الذي قال الله تعالى:

واعلم أن مذهب جمهور الأشاعرة في هذه المسألة موافق للمرجئة في نفي الزيادة والنقصان، لأن الإيمان عندهم هو التصديق، والتصديق شيء واحد، ولو نقص لعُدَّ شكًّا في الإيمان، والشك فيه كفر.

فهذا موافق لحقيقة مذهبهم في الإيمان الذي وافقوا فيه الجهمية.

والعجب من هؤلاء الأشاعرة أنك تجد بعضهم يقول بزيادة الإيمان ونقصانه! فتظنُّه موافقًا لأهل السنة في هذه المسألة، ولكن عند التفصيل والبيان يفتضحون وينكشف حقيقة أمرهم وأنهم مخالفون لأهل السنة، وإنما سلكوا مسلك التأويل والتمويه والتلبيس كعادتهم في كثير من عقائدهم.

فمنهم من يقول: الزيادة والنقصان في نفس الأعمال التي هي ليست من الإيمان عندهم، وبعضهم يقول: الزيادة والنقصان في ثواب الأعمال، وهَلُمَّ جرًّا من تلك التأويلات الفاسدة.

ـ قال السجزي رحمه الله في «رسالته لأهل زبيد في الحرف والصوت» (ص٢٧٤) في (الفصل السابع: في بيان فعلهم في إثبات الصفات في الظاهر وعدولهم إلى التأويل في الباطن): وعند أهل الأثر أن الإيمان: قول وعمل يزيد وينقص، وعلماء الآفاق المتبعون كلهم على هذا القول.

ومخالفونا هؤلاء [يعني: الأشاعرة] يقولون معنا في الظاهر مثل ذلك، وعندهم أن التصديق لا مدخل للزيادة والنقصان فيه وهو الإيمان. اهـ.

* انظر: «المدخل إلى الجامع في كتب الإيمان والرد على المرجئة» (١/ ٢١٢): (فصل المرجئة تنكر زيادة الإيمان ونقصانه)، و(١/ ٢٢٤) (فصل زيادة الإيمان ونقصانه عند الأشاعرة).

(١) وفي هامش الأصل: (صقل) خ.
و(السقل): لغة في الصقل. والصَّقْل: الجِلاء.

(٢) في «النهاية» (٢/ ٢٩١): وأصل الرين: الطبع والتغطية. ومنه قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾ [المطففين]، أي: طبع وختم.

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝١٤﴾ [المطففين]»[١].

٢٦٥ ـ وحدثنا أحمد بن يحيى الحلواني، قال: ثنا أحمد بن عبد الله بن يونس، قال: ثنا إسماعيل بن عياش، قال حدثني صفوان بن عمرو، عن عبد الله بن ربيعة الحضرمي، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: الإيمان يزداد وينقص.

٢٦٦ ـ وحدثنا أيضًا الحلواني، قال: ثنا أحمد بن عبد الله بن يونس، قال: ثنا إسماعيل بن عياش، عن عبد الوهاب بن مجاهد، عن أبيه، عن ابن عباس، وأبي هريرة رضي الله عنهم قالا: الإيمان يزداد وينقص[٢].

٢٦٧ ـ وأخبرنا أبو بكر بن عبد الحميد، قال: ثنا محمد بن المُثنى، قال: ثنا محمد بن الفضل، قال: ثنا حماد بن سلمة، قال: ثنا أبو جعفر الخَطمِي، عن جده عُمير بن حبيب، قال: الإيمان: يزيد وينقص.

قيل له: ما[٣] زيادته ونقصانه؟

قال: إذا ذكرنا الله عز وجل وحمدناه وخشيناه، فذلك زيادته، وإذا غفلنا وضيعنا، فذلك نُقصانه[٤].

---

(١) رواه النسائي في «الكبرى» (١٠٢٥١)، والترمذي (٣٣٣٤)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) هذا الأثر والذي قبله لا يثبت عن أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهم، ففي إسناده عبد الوهاب بن مجاهد، قال يحيى بن معين وأحمد: ليس بشيء ضعيف.
والذي ثبت عن الصحابة رضي الله عنهم في هذا الباب سيأتي ذكره في الأثر التالي.

(٣) كتب فوقها: (وما) خ.

(٤) عُمير بن حبيب معدود من الصحابة رضي الله عنهم، وهذا ثابت عنه، قال ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (٧/ ٢٢٤): ثبت لفظ الزيادة والنقصان منه عن الصحابة رضي الله عنهم، ولم يعرف فيه مخالف من الصحابة رضي الله عنهم؛ فروى الناس من وجوه كثيرة مشهورة.. إلخ. ثم ذكره.
ـ وقال أيضًا (١٣/ ٥٠):.. والصحابة رضي الله عنهم قد ثبت عنهم أن الإيمان يزيد وينقص، وهو قول أئمة السُّنة.. إلخ.

٢٦٨ ـ حدثنا جعفر بن محمد الصندلي، قال: ثنا الفضل بن زياد، قال: ثنا أبو عبد الله أحمد بن حنبل، قال: ثنا الحسن بن موسى، قال: ثنا حماد بن سلمة، عن أبي جعفر الخَطمِي، عن أبيه، عن جده عُمير بن حبيب، قال: الإيمان يزيد وينقص.

فقيل: وما زيادتُه، وما نقصانُه؟

قال: إذا ذكرنا الله وحمدناه وسبَّحناه، فذلك زيادته، وإذا غفلنا وضيَّعنا ونسينا، فذلك نُقصانه.

٢٦٩ ـ وحدثنا جعفر، قال: ثنا الفضل، قال: ثنا أحمد بن حنبل، قال: ثنا يزيد بن هارون، قال: أنا محمد بن طلحة، عن زُبَيد، عن ذرٍّ[1]، قال كان عمر بن الخطاب ﵁ يقول لأصحابه: هلموا نزداد إيمانًا، فيذكرون الله تعالى.

٢٧٠ ـ وحدثنا جعفر، قال: ثنا الفضل، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا وكيع، عن شريك، عن هلال، عن عبد الله بن عكيم، قال: سمعت عبد الله بن مسعود ﵁، يقول في دعائه: اللَّهم زدني إيمانًا، ويقينًا، وفِقهًا.

٢٧١ ـ وحدثنا الفريابي، قال: ثنا يعقوب بن حميد بن كاسب، قال: ثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردي، عن سُهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة ﵁: أن النبي ﷺ قال للنساء: «ما رأيتُ من ناقصاتِ عقلٍ ودينٍ أغلبَ لألبابِ ذوي الرأي منكنَّ»[2].

---

(١) كذا في الأصل. وفي بعض المصادر: (زر بن حبيش) كما في «المصنف» لابن أبي شيبة (٣١٠٠٣)، و«الإيمان الكبير» لابن تيمية (ص٤٥٧)، و«فتح الباري» لابن رجب (١/ ١٣). فيكون بذلك الإسناد مُتصلًا صحيحًا.

(٢) رواه الترمذي (٢٦١٣)، وقال: حديث حسن.

وروى البخاري (٣٠٤) نحوه حديث أبي سعيد ﵁، ولفظه: «ما رأيتُ مِن ناقِصَاتِ عقلٍ ودينٍ أذهبَ لِلُبِّ الرجلِ الحازِمِ مِنْ إحدَاكنَّ».

وهذا الحديث حُجة لأهل السنة على زيادة الإيمان ونقصانه.

٢٧٢ ـ وحدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، قال: ثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن الفضل، قال: ثنا حماد بن سلمة، قال: ثنا هشام بن عروة، عن عروة، عن عائشة ﵂: أن النبي ﷺ قال: «لا يزني العبد حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرقُ حينَ يسرقُ وهو مؤمن»(١).

٢٧٣ ـ حدثنا أبو شُعيب عبد الله بن الحسن الحراني، قال: ثنا علي بن الجعد، قال: أنا شُعبة(٢)، عن الأعمش، عن ذكوان، عن أبي هريرة ﵁، عن النبي ﷺ قال: «لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يزني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، والتوبةُ معروضةٌ بعد»(٣).

وفيه أيضًا جواز القول بنقصان الإيمان، وجواز إطلاق لفظ (النقصان) فيه لوروده في السُّنة عن النبي ﷺ كما في هذا الحديث، وهو كذلك مروي عن الصحابة ﵃ كما تقدم قريبًا، وفي هذا ردٌّ على من توقف عن إطلاق لفظ (النقصان) في الإيمان.

(١) رواه أحمد (٢٥٠٨٨)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١٢٣٥).
وفي هذا الحديث دليل لأهل السُّنة على أن ترك المحرمات داخل في مُسمَّى الإيمان.
ـ قال ابن رجب ﵀ في «جامع العلوم والحكم» (١/ ١٠٥): فلولا أن ترك هذه الكبائر من مُسمَّى الإيمان، لمَا انتفى اسمُ الإيمان عن مرتكب شيء منها؛ لأن الاسم لا يَنتفى إلَّا بانتفاء بعض أركانِ المسمَّى أو واجباته. اهـ.

(٢) وفي هامش الأصل: (سفيان) خه. والصواب ما في الأصل كما في «الإيمان» لابن منده (٥١٧) من طريق ابن الجعد، عن شعبة به.
ورواه مسلم (٥٧) من طريق عبد الرزاق، عن سفيان، عن الأعمش به.

(٣) رواه أحمد (٨٨٩٥ و١٠٢١٦)، والبخاري (٦٨١٠)، ومسلم (٥٧).
«تنبيه»: في بيان سبب إيراد أهل السنة لهذه الأحاديث في كتب الإيمان.
أهل السُّنة يوردون أحاديث نفي الإيمان ببعض الكبائر، وأحاديث الكفر والشرك الأصغر، والأحاديث التي فيها: «ليس منا»، وأحاديث الشفاعة، وخروج الموحدين من النار، وأحاديث علامات النفاق وغيرها في أبواب =

الإيمان والرد على المرجئة وذلك للرد على المرجئة والخوارج والمعتزلة الذين اتفقوا على أن العبد لا يمكن أن يجتمع فيه طاعة ومعصية، ولا إيمان وكفر أصغر، ولا إسلام ونفاق عملي، وأنه إذا وجد أحدهما انتفى الآخر.

وزعموا كذلك أن الإيمان لا يتجزَّأ، ولا يتبعض، وأنه إذا زال بعضه زال كله، وهذا من أعظم أصولهم التي خالفوا فيها أهل السنة.

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «مجموع الفتاوى» (٧/ ٤٠٤): ومن العجب أن الأصل الذي أوقعهم في هذا: اعتقادهم أنه لا يجتمع في الإنسان بعض الإيمان وبعض الكفر، أو ما هو إيمان وما هو كفر، واعتقدوا أن هذا متفق عليه بين المسلمين كما ذكر ذلك أبو الحسن [الأشعري] وغيره، فلأجل اعتقادهم هذا الإجماع وقعوا فيما هو مخالف للإجماع الحقيقي، إجماع السلف الذي ذكره غير واحدٍ من الأئمة، بل وصرَّح غير واحد منهم بكفر من قال بقول جهم في الإيمان.اهـ.

- وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصلاة» (ص٩٩): وههنا أصل آخر، وهو: أن الرجل قد يجتمع فيه كفرٌ وإيمانٌ، وشركٌ وتوحيد، وتقوى وفجور، ونفاق وإيمان. هذا من أعظم أصول أهل السُّنة، وخالفهم فيه غيرهم من أهل البدع؛ كالخوارج، والمعتزلة، والقدرية.

ومسألة خروج أهل الكبائر من النار، وتخليدهم فيها مبنيةٌ على هذا الأصل.

وقد دلَّ عليه: القرآن، والسنة، والفطرة، وإجماع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وقال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف].

فأثبت لهم إيمانًا به سبحانه مع الشرك.

وقال تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [الحجرات]. فأثبت لهم إسلامًا وطاعة لله ورسوله، مع نفي الإيمان عنهم، وهو الإيمان المطلق الذي يستحقُّ اسمه بمطلقه ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ١٥].

وهؤلاء ليسوا منافقين في أصح القولين؛ بل هم مسلمون بما معهم من =

٢٧٤ ـ حدثنا إسحاق بن أبي حسان الأنماطي، قال: ثنا هشام بن عمار الدمشقي، قال: ثنا حاتم بن إسماعيل، قال: ثنا محمد بن عجلان، عن القعقاع بن حكيم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا يزني الزاني حينَ يزني وهو مؤمن، ولا يشربُ الخمرَ حينَ يشربُها وهو مؤمن»[1].

٢٧٥ ـ وحدثنا ابن عبد الحميد، قال: ثنا محمد بن المُثنى، قال: ثنا أبو داود ـ يعني:

طاعة الله ورسوله. وليسوا بمؤمنين، وإن كان معهم جزءٌ من الإيمان أخرجهم من الكفر.

قال الإمام أحمد: من أتى هذه الأربعة أو مثلهن أو فوقهن ـ يريد: الزنا، والسرقة، وشرب الخمر، والانتهاب ـ فهو مسلم، ولا أسمِّيه مؤمنًا، ومن أتى دون ذلك ـ يريد: دون الكبائر ـ سمَّيتُه مؤمنًا ناقص الإيمان.

وقد دلَّ على هذا قوله ﷺ: «فمن كانت فيه خَصلةٌ منهن كانت فيه خَصلةٌ من النفاق»؛ فدلَّ على أنه يجتمع في الرجل نفاقٌ وإسلام.

وكذلك الرياء شركٌ، فإذا راءى الرجل في شيءٍ من عمله اجتمع فيه الشرك والإسلام، وإذا حكم بغير ما أنزل الله، أو فعل ما سمَّاه رسول الله ﷺ كفرًا ـ وهو ملتزم للإسلام وشرائعه ـ فقد قام به كفرٌ وإسلام. اهـ.

(١) في «تعظيم قدر الصلاة» (٥٢٠) قال الأوزاعي للزهري: ما هذا؟ ـ يعني: حديث: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» ـ.
فقال: على رسول الله البلاغ، وعلينا التسليم.

ـ وقال محمد بن نصر رحمه الله في «تعظيم قدر الصلاة» (٥٣٥): حدثنا إسحاق ـ يعني: ابن راهويه ـ، أخبرني بقية بن الوليد، حدثني الأوزاعي، عن مكحول والزهري قالا: اقرأوا أحاديث رسول الله ﷺ وأَمِرُّوها على ما جاءت.

قال محمد بن نصر: كان إسحاق إذا أملى حديث عبد الرزاق ـ يعني: «لا يزني الزاني. . » ـ، يُملي حديث بقية على إثره.

ـ وقال إسحاق بن راهويه في «مسنده» (٤١٩) أخبرنا سفيان بن عبد الملك، قال: قال ابن المبارك حين ذكر هذا الحديث، وأنكره بعضهم.

فقال: يمنعنا هؤلاء الأنتان أن نترك حديث رسول الله ﷺ فلا نُحدِّث به، كلما جهلنا معنى حديث تركناه؟! لا بل نرويه كما سمعناه، ونُلْزِم الجهلَ أنفسَنا.

الطيالسي ـ، قال: ثنا شعبة، قال: أخبرني فراس، قال: سمعت مُدرِك بن عُمارة، يُحدِّث عن ابن أبي أوفى رضي الله عنه ـ يعني: عبد الله ـ أن النبي ﷺ قال: «لا يزني الزاني حينَ يزني وهو مؤمن، ولا يشربُ الخمر حين يشربُها وهو مؤمن»[1].

٢٧٦ ـ حدثنا ابن عبد الحميد ـ أيضًا ـ، قال: ثنا أبو هشام الرفاعي، قال: ثنا وهب بن جرير، قال: أنا أبي، عن فضيل بن يسار، قال: قيل لأبي جعفر، في قول النبي ﷺ: «لا يسرقُ السارقُ حينَ يسرقُ وهو مؤمن».

قال: فدوَّرَ دَارةً، فقال: هذا الإسلام، ثم دوَّر حولها دارة.

فقال: وهذا الإيمان محظور[2] في الإسلام، فإذا سرق أو زنى خرج من الإيمان إلى الإسلام، ولا يخرجه من الإسلام إلَّا الشرك.

٢٧٧ ـ حدثنا أبو نصر محمد بن كردي [٢٢/ب] القلاس، قال: ثنا أبو بكر المروذي، قال: ثنا أبو عبد الله أحمد بن حنبل، قال: ثنا سليمان بن حرب، قال: ثنا جرير بن حازم، عن الفضيل بن يسار، قال: قال محمد بن علي: هذا الإسلام، ودوَّر دارة في وسطها أُخرى، وهذا الإيمان الذي في وسطها مقصور في الإسلام، قال: وقال النبي ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن»، قال: يخرجُ من الإيمان إلى الإسلام، ولا يخرج من الإسلام، فإذا تاب تاب الله عليه، قال: رجع إلى الإيمان.

قال محمد بن الحسين:

٢٧٨ ـ ما أَحْسَنَ ما قاله محمد بن علي رضي الله عنهما، وذلك

---

(١) رواه أحمد (١٩١٠٢)، وابن أبي شيبة (٤٠)، والبزار في «المسند» (٣٣٥٤)، وقال: وهذا الحديث لا نعلم له طريقًا عن ابن أبي أوفى رضي الله عنه إلَّا هذا الطريق. اهـ.

(٢) في هامش الأصل: (محصور) خه.

أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي.

والإسلام لا يجوز أن يقال: يزيد وينقص(١).

(١) قال ابن بطة رحمه الله في «الإبانة الكبرى» (١٢٣٦): وهذا القول من أبي جعفر محمد بن علي رضي الله عنه من أوضح الدلائل وأفصحها على زيادة الإيمان ونقصانه، وذلك أن الإيمان يزيد بالطاعات فيُحصنه الإيمان، وينقصُ بالمعاصي فيخرق الإيمان، ويكون غير خارج من الإسلام، وذلك أن الإسلام لا يجوز أن يقال فيه: يزيد وينقص. اهـ.

ـ قال ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (٧/ ٢٤٠): الذين قالوا من السَّلف: إنهم خرجوا من الإيمانِ إلى الإسلامِ لم يقولوا: (إنه لم يبق معهم من الإيمان شيء)، بل هذا قول الخوارج والمعتزلة، وأهل السُّنة الذين قالوا هذا، يقولون: الفُسّاق يَخرجون من النار بالشفاعة، وأن معهم إيمانًا يخرجون به من النار؛ لكن لا يطلق عليهم اسم الإيمان؛ لأن الإيمان المُطلق هو الذى يستحقّ صاحبه الثواب ودخول الجنة، وهؤلاء ليسوا من أهله، وهم يدخلون في الخطاب بالإيمان.. وحقيقته أن من لم يكن من المؤمنين حَقًّا يقال فيه: (إنه مسلم)، ومَعه إيمان يمنعه الخلود في النارِ، وهذا مُتّفق عليه بين أهل السُّنة؛ لكن هل يُطلق عليه اسم الإيمان؟ هذا هو الذى تنازعوا فيه..

وأما الخوارج والمعتزلة فيخرجونهم من اسم الإيمان والإسلام، فإن الإيمان والإسلام عندهم واحد، فإذا خرجوا عندهم من الإيمانِ خرجوا من الإسلام؛ لكن الخوارج تقول: هم كُفارٌ، والمعتزلة تقول: لا مسلمون ولا كفار، يَنزلونهم منزلة بين المنزلتين. اهـ.

ـ قال ابن رجب رحمه الله في «جامع العلوم والحكم» (١/ ١١١): قد اختلف أهل السُّنة: هل يسمى مؤمنًا ناقص الإيمان، أو يقال: ليس بمؤمن لكنه مسلم؟ على قولين، وهما روايتان عن أحمد. وأما اسم الإسلام، فلا ينتفي بانتفاء بعض واجباته، أو انتهاك بعض محرماته، وإنما يُنفى بالإتيان بما ينافيه بالكُلية، ولا يعرف في شيء من السُّنة الصحيحة نفي الإسلام عمن ترك شيئًا من واجباته، كما ينفى الإيمان عمن ترك شيئًا من واجباته، وإن كان قد ورد إطلاق الكفر على فعل بعض المحرمات، وإطلاق النفاق أيضًا.

واختلف العلماء: هل يُسمى مرتكب الكبائر كافرًا كفرًا أصغر، أو منافقًا =

وقد روى جماعة ممن تقدَّم أنهم قالوا: إذا زنى نُزِعَ منه الإيمان، فإن تاب ردَّه الله إليه، كل ذلك دليلٌ على أن الإيمان يزيد وينقص، والإسلام ليس كذلك، ألا ترى إلى قول النبي ﷺ: «بينَ العبدِ وبين الكفرِ تركُ الصلاة، فمن ترك الصلاة فقد كفر».

وعن ابن مسعود ﷺ، قال: إن الله تعالى قرن الزكاة في كتابه مع الصلاة، فمن لم يزك؛ فلا صلاة له[1].

النفاق الأصغر؟ ولا أعلم أن أحدًا منهم أجاز إطلاق نفي اسم الإسلام عنه، إلَّا أنه روي عن ابن مسعود ﷺ أنه قال: ما تارك الزكاة بمسلم. ويحتمل أنه كان يراه كافرًا بذلك، خارجًا من الإسلام.

وكذلك روي عن عمر ﷺ فيمن تمكن من الحج، ولم يحج أنهم ليسوا بمسلمين، والظاهر أنه كان يعتقد كفرهم، ولهذا أراد أن يضرب عليهم الجزية، يقول: لم يدخلوا في الإسلام بعد، فهم مستمرون على كتابيتهم.اهـ.

قلت: وقول المُصنِّف رحمه الله: (والإسلام لا يجوز أن يقال: يزيد وينقص)، هذا باعتبار أن الإسلام هاهنا هو الكلمة كما قال الزهري رحمه الله: الإسلام الكلمة، والإيمان العمل.

فعلى هذا القول لا يُستثنى في الإسلام، ولا يُقال فيه: يزيد وينقص.

أما باعتبار أن الإسلام هو الأعمال الظاهرة كاملة كالإيمان؛ فحينئذ يُستثنى فيه، ويقال: إنه يزيد وينقص.

وعلى هذا القول يُحمل قول الإمام أحمد رحمه الله بالاستثناء في الإسلام كالإيمان.

- قال ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (٧/ ٤١٤): وتعليل أحمد وغيره من السلف ما ذكروه في اسم الإيمان يجيء في اسم الإسلام، فإذا أريد بالإسلام الكلمة فلا استثناء فيه كما نصَّ عليه أحمد وغيره، وإذا أريد به من فعل الواجبات الظاهرة كلها فالاستثناء فيه كالاستثناء في الإيمان.اهـ.

(١) قال ابن رجب رحمه الله في «جامع العلوم والحكم» (١/ ١٥٠) مُعلقًا على هذا الأثر: ونفيُ القبولِ هنا لا يُراد به نفيُ الصِّحَّةِ، ولا وجوب الإعادة بتركه، وإنما يُراد بذلك انتفاء الرِّضا به، ومدح عامله، والثناء بذلك عليه في الملإ =

٢٧٩ ـ حدثنا أبو شعيب عبد الله بن الحسن الحراني، قال: حدثني جدي، قال: ثنا موسى بن أعين، عن عبيد الله بن عمرو، عن زيد بن أبي أُنيسة، عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن الرجل إذا زنى نَزَعَ اللهُ عز وجل منه نورَ الإيمان، فإن شاءَ ردَّه إليه، وإن شاءَ تركه.

٢٨٠ ـ وحدثنا عمر بن أيوب السقطي، قال: ثنا أبو معمر القَطيعي، قال: ثنا جرير، عن الأعمش، عن مجاهد، قال: كان ابن عباس رضي الله عنهما يُسمِّي غِلْمانَه تسمية العرب، ويقول: لا تزنوا، فإن الرجل إذا زنى؛ نُزِعَ منه نور الإيمان.

٢٨١ ـ حدثنا أبو نصر محمد بن كردي، قال: ثنا أبو بكر المَرُّوذي، قال: ثنا أحمد بن حنبل، قال: ثنا عبد الرحمٰن بن مهدي، عن سفيان، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لغلمانه: من أراد منكم الباءَة[1] زوَّجناه، لا يزني منكم زانٍ إلَّا نزع الله منه نور الإيمان، فإن شاء أن يردَّه عليه ردَّه، وإن شاء أن يمنعه منه منعه.

٢٨٢ ـ وحدثنا أبو نصر ـ أيضًا ـ، قال: ثنا أبو بكر المَرُّوذي، قال: ثنا أبو عبد الله أحمد بن حنبل، قال: ثنا يزيد ـ يعني: ابن هارون ـ، قال: أنا العوام، قال: حدثني علي بن مُدرك، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: الإيمان نَزِهٌ[2]، فمن زنا فارقه الإيمان، فإن لام نفسه وراجع؛ راجعه الإيمان.

٢٨٣ ـ وحدثنا أبو نصر، قال: ثنا أبو بكر، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا وكيع، عن الفضل بن دَلْهم، عن الحسن، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يشربُ الخمرَ حينَ يشربُها وهو مؤمنٌ، يَنزعُ الله منه نور الإيمان كما يخلعُ أحدُكم

الأعلى، والمباهاة به للملائكة. اهـ.

(١) أي: الجماع. «الصحاح» (٦/٢٢٢٨).

(٢) أي: نزيه وبعيد عن الذنوب.

قميصَه، فإن تاب؛ تاب اللهُ عليه»[١].

٢٨٤ ـ وحدثنا ـ أيضًا ـ أبو نصر، قال: ثنا أبو بكر، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا يحيى بن سعيد، عن أشعث، عن الحسن، عن النبي ﷺ قال: «يُنزَعُ منه نور الإيمان فإن تاب أُعيد إليه الإيمان»[٢].

٢٨٥ ـ قال: وحدثنا[٣] أحمد، قال: ثنا يحيى بن سعيد، عن عوف، قال: قال الحسن: يُجانبه الإيمان ما دام كذلك، فإن رجع راجعه الإيمان.

٢٨٦ ـ وحدثنا الفريابي، قال: ثنا إسحاق بن رهوايه، قال: ثنا عبد الله بن إدريس، قال: ثنا محمد بن عَمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «أَكْملُ المؤمنين إيمانًا: أحسنُهم خُلقًا»[٤].

٢٨٧ ـ وحدثنا أبو بكر بن أبي داود، قال: ثنا أبو الطاهر أحمد بن عمرو، قال: ثنا أنس بن عياض، قال: حدثني محمد بن عجلان، عن القعقاع، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «أكملُ المؤمنين إيمانًا: أحسنهم خلقًا».

٢٨٨ ـ حدثنا الفريابي قال: ثنا قتيبة بن سعيد، عن مالك بن أنس، عن ابن شهاب، عن سالم، عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ مرَّ على رجل من الأنصار، وهو يعظ أخاه في الحياءِ، فقال ﷺ: «دَعْه، فإن الحياءَ من الإيمان»[٥].

---

(١) رواه أحمد في «الإيمان» (١١١)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١٠٣٤)، وهو مرسل.
(٢) رواه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١٠٢٢)، وإسناده منقطع.
(٣) في الأصل: (ثنا أبو بكر)، ووضع عليها علامة الحذف.
(٤) رواه أحمد (٧٤٠٢ و١٠١٠٦ و١٠٨١٧)، والترمذي (١١٦٢)، وقال: وفي الباب عن عائشة، وابن عباس رضي الله عنهما. وقال: حديث أبي هريرة رضي الله عنه هذا حديث حسن صحيح. اهـ.
(٥) رواه أحمد (٤٥٥٤)، والبخاري (٢٤)، ومسلم (٣٦).

٢٨٩ ـ وحدثنا أبو نصر محمد بن كردي، قال: ثنا أبو بكر المروذي، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن الأعمش، عن خيثمة، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: يأتي على الناسِ زمانٌ يجتمعون في المساجدِ ليس فيهم مؤمن(١).

٢٩٠ ـ حدثنا الفريابي، قال: ثنا عثمان بن أبي شيبة، قال: ثنا فُضيل بن عياض، عن الأعمش، عن خيثمة، عن عبد الله بن عَمرو رضي الله عنهما، قال: يأتي على الناسِ زمانٌ يجتمعون في مساجدهِم ليس فيهم مؤمن.

٢٩١ ـ وحدثنا الفريابي، قال: ثنا عبيد الله بن معاذ، قال: ثنا أبي، قال: ثنا شعبة، عن سليمان، عن خيثمة، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: ليأتِيَنَّ على الناسِ زمانٌ يجتمعون في مساجدهم، ما فيهم مؤمن. [٢٣/أ]

قال محمد بن الحسين:

٢٩٢ ـ كل هذه الآثار تدلُّ على زيادة الإيمان ونقصانه.

وسنذكر من القرآن ما يدلُّ على ما قلناه، وهذا طريق من أراد الله به خيرًا.

• قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [التوبة].

• وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

• وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [محمد].

• وقال تعالى فيما أثنى به على أصحاب الكهف: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ

(١) إسناد صحيح إلى عبد الله رضي الله عنه، وهو ينفي أن يكون في المسجد يومئذ مؤمن، ولم ينف أن يكون فيه مسلم، فأهل السنة يُفرِّقون بين المؤمن والمسلم كما هو مشهور عنهم.

ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [الكهف].

• وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال].

• وقال تعالى: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١]، وهذا في القرآن كثير.

• وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران].

٢٩٣ ـ حدثنا أبو حفص عمر بن أيوب السقطي، قال: سمعت أبا جعفر محمد بن سليمان لُوَيْنًا[1]، يقول: سمعت سفيان بن عيينة، يقول غير مرَّة: الإيمانُ قولٌ وعملٌ.

قال ابن عيينة: فأخذناه ممن قَبْلَنا: قول وعمل، وإنه لا يكون قولٌ إلَّا بعمل.

قيل لابن عيينة: يزيد وينقص؟

قال: فأيُّ شيءٍ إذًا؟!

٢٩٤ ـ وحدثنا عمر بن أيوب، قال: ثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي، قال: ثنا أبو الفتح نصر بن المغيرة، قال: قيل لسفيان بن عيينة: الإيمان يزيد وينقص؟

قال: أليس تقرؤون القرآن: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٧٣]، في غير موضع؟

قيل: ينقص؟

قال: ليس شيءٌ يزيد إلَّا وهو ينقص.

---

(١) كتب فوقها: (لوين) خه.

٢٩٥ ـ وحدثنا عمر بن أيوب، قال: ثنا يعقوب الدورقي، قال: ثنا محمد بن القاسم الأسدي، قال: سمعت سفيان الثوري يقول: إن الإيمانَ يزيد وينقص، قال سفيان: وأقول: إن الإيمانَ ما وقرَ في الصدر، وصدَّقه العمل.

٢٩٦ ـ وحدثنا أبو عبد الله محمد بن مخلد العطار، قال: ثنا أبو بكر بن زنجويه، قال: ثنا عبد الرزاق، قال: سمعت سفيان الثوري، وابن جريج، ومعمرًا يقولون: الإيمانُ قولٌ وعملٌ، يزيد وينقص.

٢٩٧ ـ حدثنا أبو بكر بن أبي داود، قال: ثنا سلمة بن شبيب، قال: ثنا عبد الرزاق، قال: سمعت معمرًا، وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، وابن جُريج، وسفيان بن عيينة يقولون: الإيمانُ قولٌ وعملٌ، يزيد وينقص.

٢٩٨ ـ أخبرنا خلف بن عمرو العُكبري، قال: ثنا الحُميدي، قال: سمعت ابن عيينة يقول: الإيمانُ قولٌ وعملٌ، يزيد وينقص.

فقال له أخوه إبراهيم بن عيينة: يا أبا محمد، لا تقولن: يزيد وينقص.

فغَضِب، وقال: اسكت يا صبي، بلى حتى لا يبقى منه شيءٌ[١].

---

(١) مِن فِرَقِ المرجئة من أثبت الزيادة والنقصان في الإيمان، فشابهوا بذلك أهل السُّنة، غير أنهم فارقوهم في أن الإيمان لا ينقص بالكلية حتى لا يبقى منه شيء.

وتحرير الخلاف: أن أئمة السُّنة يرون العمل جزءًا من الإيمان، وركنًا من أركانه، فإذا ذهب العمل ذهب الإيمان بالكلية فلم يبق منه شيء.

أما هؤلاء المرجئة فيقولون: إن العمل كمال في الإيمان وفرع من فروعه إذا ذهب بقي معه أصل الإيمان وهو التصديق والإقرار، ولا يذهب بالكلية بحيث لا يبقى منه شيء، بل يبقى منه ما سموه بـ (الحد الأدنى)، وهو: (مثقال الذرة والحبة) التي يكون بها نجاته من الخلود في النار ودخوله في شفاعة الشافعين.

وقد تضافرت أقوال أئمة السنة على أن الإيمان ينقص حتى لا يبقى منه شيء. =

٢٩٩ ـ أخبرنا أبو العباس أحمد بن موسى بن زنجويه القطان، قال، ثنا إبراهيم بن الوليد القرشي، قال: ثنا فُدَيك ـ يعني: ابن سُليمان[(١)] ـ، قال: سمعت الأوزاعي يقول: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، فمن زعم أن الإيمان يزيد ولا ينقص؛ فاحذروه فإنه مبتدع[(٢)].

ـ فعند اللالكائي (١٥٨٩) سُئل الإمام الأوزاعي عن الإيمان: أيزيد؟

قال: نعم حتى يكون مثل الجبال.

قال: قلت: فينقص؟ قال: نعم حتى لا يبقى منه شيء.

ـ وفي «السُّنة» لحرب (١٤٤) قال أبو عثمان بشار بن موسى الخفاف: الإيمان: قول وعمل ونية، يزيد وينقص حتى يكون أعظم من الجبل، وينقص حتى لا يبقى منه شيء.

ونحو هذا روي كذلك عن علي بن المديني، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، والكوسج، والبربهاري، وابن منده وغيرهم.

※ انظر: «المدخل إلى الجامع في كتب الإيمان والرد على المرجئة» (١/ ٢٢٨) (فصل: في بطلان إنكار المرجئة: أن الإيمان ينقص حتى لا يبقى منه شيء).

(١) في الأصل: (سلمان)، والصواب ما أثبته في كما في ترجمته في «تهذيب الكمال» (٢٣/ ١٤٥). وهو كذلك عند من خرجه.

(٢) مِن فِرَقِ المرجئة: فِرقة وافقت أهل السنة في (زيادة الإيمان)، وخالفتهم في (نقصانه)، فهي تقول: الإيمان يزيد ولا ينقص، وسبب ذلك أنهم كانوا ينفرون من لفظ (النقصان) أعظم من نفورهم من لفظ (الزيادة)، ولهذا كانوا ينبزون أهل السُّنة بـ(النُّقصانية)، كما قال أبو حاتم وأبو زرعة رحمهما الله: وعلامة المرجئة تسميتهم أهل السُّنة: بـ(النقصانية).

وقد عقد الخلال رَحِمَهُ اللهُ في كتابه «السُّنة» بابًا في الرد عليهم، فقال: (الرد على المرجئة قولهم: إن الإيمان يزيد ولا ينقص).

«تنبيه»: توقف بعض أهل السُّنة عن إطلاق لفظة: (النقصان) في الإيمان، لا إنكارًا لنقصان الإيمان إذ من المُسلَّم به أن من أثبت زيادة الإيمان لزمه إثبات نقصانه كما لا يخفى، فما من شيءٍ يزيد إلَّا وينقص، وإنما توقف من توقف منهم بسبب عدم وقوفهم على ورود هذه اللفظة في النصوص.

٣٠٠ ـ وحدثنا ابن مخلد، قال: ثنا أبو داود، قال: سمعت أحمد بن حنبل قال: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص.

٣٠١ ـ وحدثنا ابن مخلد، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا سريج بن النعمان، قال: ثنا عبد الله بن نافع قال: كان مالك يقول: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص(١).

ـ قال ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (٧/ ٥٠٦): وكان بعض الفقهاء من أتباع التابعين لم يوافقوا في إطلاق النقصان عليه؛ لأنهم وجدوا ذكر الزيادة في القرآن، ولم يجدوا ذكر النقص، وهذا إحدى الروايتين عن مالك، والرواية الأخرى عنه؛ وهو المشهور عند أصحابه كقول سائرهم: إنه يزيد وينقص. اهـ.

وسيأتي قريبًا تصريح الإمام مالك رحمه الله بزيادة الإيمان ونقصانه.

وانظر: «المدخل إلى كتاب الجامع في كتب الإيمان والرد على المرجئة» (١/ ٢٢٨) (فصل/من فرق المرجئة من يقول: الإيمان يزيد ولا ينقص).

(١) روي عن الإمام مالك رحمه الله التوقف في مسألة (نقصان الإيمان) لا إنكارها كما ينقله بعضهم؛ ولكن لعدم ثبوت نص النقصان عنده في النصوص توقف.

ـ ففي «الانتقاء» (ص٣٣): قال الدُّولابي: أخبرنا يونس بن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن وهب، قال: سُئل مالك بن أنس عن الإيمان؟

فقال: قول وعمل.

قلت: أيزيد وينقص؟

قال: قد ذكر الله سبحانه في غير آي من القرآن أن الإيمان يزيد.

فقلت له: أينقص؟ قال: دع الكلام في نقصانه، وكفَّ عنه.

فقلت: فبعضه أفضل من بعض؟ قال: نعم. اهـ.

قلت: ولعل هذا من الإمام مالك رحمه الله في أول الأمر، ثم لما تبين له ورود هذه اللفظة في السُّنة قال بها، فقد روي عنه من وجوه كثيرة القول بزيادة الإيمان ونقصانه، كما قال ابن عبد البر في «التمهيد» (٩/ ٢٥٢): وروى عنه عبد الرزاق، ومعمر بن عيسى، وابن نافع، وابن وهب؛ أنه يزيد وينقص، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وعلى هذا مذهب الجماعة من أهل الحديث والحمد لله. اهـ.

٣٠٢ ـ حدثنا جعفر بن محمد الصندلي، قال: ثنا الفضل بن زياد، قال: ثنا أبو عبد الله ـ يعني: أحمد بن حنبل ـ قال: ثنا وكيع، قال: ثنا سفيان، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: ما نقصت أمانة عبدٍ إلَّا نقص إيمانه.

٣٠٢/أ ـ قال الفضل: وسمعت أبا عبد الله وسُئِل عن نقصان الإيمان، فقال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: ما انتقصت أمانة عبدٍ إلَّا انتقص إيمانه.

قال: وقال أحمد: قال وكيع: الإيمان يزيد وينقص.

وهو قول سفيان.

٣٠٣ ـ حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، قال: ثنا يوسف بن موسى القطان، قال: ثنا وكيع، قال: ثنا إسرائيل، عن أبي الهيثم، عن سعيد بن جُبير: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠]، قال: ليزداد إيمانًا.

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ:

فيما ذكرت من هذا الباب مقنعٌ لمن وفَّقه الله تعالى للرشاد، وسلم من الأهواء الضالة[1].

ـ وروى الخلال في «السُّنة» (١٠٢٨) عن أحمد بن القاسم قال: قلت: يا أبا عبد الله، تقول الإيمان يزيد وينقص؟.. فتذاكرنا من قال: الإيمان يزيد وينقص، فعدَّ غير واحد، ثم قال: ومالك بن أنس يقول: يزيد وينقص.

فقلت له: إن مالك يحكون عنه أنه قال: يزيد ولا ينقص.

فقال: بلى قد روي عنه يزيد وينقص، كان ابن نافع يحكيه عن مالك.

فقلت له: ابن نافع حكى عن مالك؟ قال: نعم.

(١) ختم ابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الباب بقوله: ففي بعض هذه الأخبار والسُّنن والآثار، وما قد ذكرته في هذا الباب ما أقنع العقلاء وشفاهم وكفاهم وأعلمهم أن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأعمال الزاكية، والأخلاق الفاضلة: تزيد فيه وتُنمِّيه وتُعليه، وأن الأفعال الخبيثة، والأخلاق الدَّنيَّة، والفواحش: تَمحقُه، وتفنيه، وتسلب الإيمان من فاعلها وتُعريه.

٢٥ ـ بَاب

القول بأن الإيمان تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح لا يكون مؤمنًا إلا بأن تجتمع فيه هذه الخصال الثلاث(١) [٢٣/ب]

وهَبَ اللهُ لنا ولكم صوابًا بتوفيقه، وتسديدًا لمرضاته، وعِصمة من الضلال، إنه رحيمٌ ودود. اهـ.

(١) أجمع أهل السُّنة من السلف الصالح ومن بعدهم على أن للإيمان ثلاثة أركان: تصديق بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح والأركان، لا يصح إيمان العبد إلَّا باجتماعها فيه، ولقد تنوعت عباراتهم في ذلك، منهم من يقول: الإيمان قول وعمل.

ومنهم من يقول: الإيمان قول وعمل ونية.

ومنهم من يقول: الإيمان قول وعمل ونية وموافقة السُّنة.

وكل ذلك صحيح، ومضمونه واحد؛ وهو الرد على المرجئة الذين أخرجوا العمل من الإيمان، وصححوا إيمان العبد بدون عمل مع القدرة عليه.

ـ قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في «مجموع الفتاوى» (٧/ ١٧٠): أقوال السلف وأئمة السنة في تفسير الإيمان: تارة يقولون: (هو قول وعمل)، وتارة يقولون: (هو قول وعمل ونية). وتارة يقولون: (قول وعمل ونية واتباع السُّنة)، وتارة يقولون: (قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح) وكل هذا صحيح... المقصود هنا أن من قال من السلف: (الإيمان قول وعمل)، أراد قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح، ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلَّا القول الظاهر، أو خاف ذلك، فزاد الاعتقاد بالقلب، ومن قال: (قول وعمل ونية) قال: القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأما =

العمل فقد لا يفهم منه النية، فزاد ذلك، ومن زاد (اتباع السنة)؛ فلأن ذلك كله لا يكون محبوبًا لله إلَّا باتباع السُّنة، وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل، إنما أرادوا ما كان مشروعًا من الأقوال والأعمال؛ ولكن كان مقصودهم الرد على (المرجئة) الذين جعلوه قولًا فقط، فقالوا: بل هو قول وعمل، والذين جعلوه أربعة أقسام، فسروا مرادهم، كما سئل سهل بن عبد الله التستري عن الإيمان ما هو؟ فقال: قول وعمل ونية وسُنة؛ لأن الإيمان إذا كان قولًا بلا عمل؛ فهو كفر، وإذا كان قولًا وعملًا بلا نية؛ فهو نفاق، وإذا كان قولًا وعملًا ونيةً بلا سنة؛ فهو بدعة.اهـ.

وأقوال أئمة السنة والأثر في ركنية العمل وأنه لا يقبل إيمان إلَّا بالعمل كثيرة، منها:

ـ قال الزهري رَحِمَهُ اللَّهُ: كنا نقول: الإسلام بالإقرار، والإيمان بالعمل، والإيمان قول وعمل قرينان، لا ينفع أحدهما إلَّا بالآخر.

رواه أبو عَمرو الطلمنكي كم في «مجموع الفتاوى» (٧/ ٢٩٥).

ـ قال الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: لا يستقيمُ الإيمانُ إلَّا بالقول، ولا يَستقيمُ القولُ إلَّا بالعملِ، ولا يستقيمُ الإيمان والقولُ والعملُ إلَّا بالنيةِ موافِقة للسُّنة، وكان مَن مَضى مِن سلفِنا لا يُفرِّقون بين الإيمان والعملَ، العملُ مِن الإيمانِ، والإيمانُ مِن العملِ. «الإبانة الكبرى» (١١٨٣).

ـ قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: وكان الإجماع من الصحابة رضي الله عنهم، والتابعين من بعدهم، ومن أدركناهم يقولون: إن الإيمان: قول، وعمل، ونية، لا يُجزئ واحد من الثلاثةِ إلّا بالآخر.

انظر: اللالكائي (١٤٥٩)، و«الإيمان» لابن تيمية (ص١٩٧).

ـ قال المُزني رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح السُّنة»: والإيمان قول وعمل مع اعتقاده بالجنان، قول باللِّسانِ، وعمل بالجوارح والأركان، وهما سيان ونظامان وقرينان لا نُفرِّق بينهما، لا إيمان إلَّا بعمل، ولا عمل إلَّا بإيمان.. ثم قال: هذه مقالات وأفعال اجتمع عليها الماضون الأولون من أئمة الهدى، وبتوفيق الله اعتصم بها التابعون قدوة ورضى.اهـ.

انظر: «الجامع في عقائد ورسائل أهل السنة والأثر» (ص٥٠٥).

ـ قال ابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ في «الإبانة الكبرى» (١١٣١): اعلموا ـ رحمكم الله ـ =

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللهُ:

٣٠٤ ـ اعلموا ـ رحمنا الله وإياكم ـ أن الذي عليه المسلمون[1]: أن الإيمان واجبٌ على جميع الخلق، وهو تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح.

ثم اعلموا أنه لا تجزئُ المعرفة بالقلب والتصديق إلَّا أن يكون معه الإيمان باللسان نُطقًا.

ولا تجزئُ معرفة بالقلب، ونطق باللسان، حتى يكون عمل بالجوارح.

فإذا كمُلت فيه هذه الخِصال الثلاث: كان مؤمنًا.

دلَّ على ذلك القرآن، والسُّنة، وقول علماء المسلمين.

- فأما ما لزم القلبَ من فرض الإيمان:

أن الله جل ثناؤه، وتقدَّست أسماؤه: فرض على القلب: المعرفة به، والتصديق له ولرسله ولكتبه، وبِكلّ ما جاءت به السُّنة. وعلى الألْسُن: النطق بذلك والإقرار به قولًا، وعلى الأبدان والجوارح: العمل بكلّ ما أمر به وفرضه من الأعمال، لا تُجزئ واحدة من هذه إلَّا بصاحبتها، ولا يكون العبد مؤمنًا إلَّا بأن يجمعها كلها حتى يكون: مؤمنًا بقلبه، مُقرًّا بلسانه، عاملًا مُجتهدًا بجوارحه، ثم لا يكون ـ أيضًا ـ مع ذلك مؤمنًا حتى يكون: موافقًا للسُّنة في كلّ ما يقوله ويعمله، مُتبعًا للكتاب والعلم في جميع أقواله وأعماله.

وبكلّ ما شرحته لك: نزل القرآن، ومضت به السُّنة، وأجمع عليه علماء الأمَّة. اهـ.

قلت: وتتبع من نقل إجماع أهل السنة من أهل العلم على هذا القول يطول، وقد نقلت أقوالهم في «الجامع في كتب الإيمان والرد على المرجئة» (١/ ١٩) (الإيمان في الشرع: ما اشتمل على ثلاثة أركان لا يصح إيمان العبد إلَّا باجتماعها فيه).

(١) في هامش الأصل: (علماء المسلمين) خ.

• فقول الله تعالى في سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾﴾.

• وقال تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [النحل].

• وقال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ الآية [الحجرات: ١٤].

فهذا مما يدلُّك على أن على القلب الإيمانَ؛ وهو: التصديق والمعرفة، لا ينفع القولُ إذا لم يكن القلب مُصدِّقًا بما ينطق به اللسان مع العمل، فاعلموا ذلك.

* وأما فرضُ الإيمان باللسان:

• فقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ الآية.

• وقال تعالى في سورة آل عمران: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ الآية [٨٤].

• وقال النبي ﷺ: «أُمرت أن أُقاتلَ الناسَ حتى يقولوا: لا إلٰه إلَّا الله، وأني رسول الله..»[1]، وذكر الحديث.

فهذا الإيمان باللسان نُطقًا فرضًا واجبًا.

* وأما الإيمان بما فُرض على الجوارح تصديقًا لما آمن به القلب، ونطق به اللسان:

---

(١) رواه البخاري (٣٩٢)، ومسلم (٢١).

• فقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ﴾ إلى: ﴿تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج].

• وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣] في غير موضعٍ من القرآن.

ومثله: فرض الصيام على جميع البدن.

ومثله: فرض الجهاد بالبدن، وبجميع الجوارح.

فالأعمال ـ رحمكم الله ـ بالجوارح: تصديقٌ عن الإيمان بالقلب واللسان، فمن لم يُصدِّق الإيمان بعمله بجوارحه: مثل الطهارة، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد، وأشباهٍ لهذه، ورَضي من نفسه بالمعرفة والقول؛ لم يكن مؤمنًا، ولم ينفعه المعرفة والقول، وكان تركه للعمل تكذيبًا منه لإيمانه، وكان العمل بما ذكرناه تصديقًا منه لإيمانه، وبالله التوفيق.

• وقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل].

فقد بيَّن النبي ﷺ لأُمته شرائِع الإيمان أنها على هذا النعت في أحاديث كثيرة، وقد قال تعالى في كتابه، وبيَّن في غير موضعٍ أن الإيمان لا يكون إلَّا بعمل، وبيَّنه النبي ﷺ خلاف ما قالت المرجئةُ الذين لَعِبَ بهم الشيطان(١).

---

(١) المُصنِّف هاهنا ذكر الكفر في ترك الفرائض ومثَّل على ذلك بالصلاة وغيرها، ولم يذكر ارتكاب المحارم سببًا في الكفر والخروج عن الملة، وذلك لأن أهل السنة يُفرِّقون بين ترك الفرائض وارتكاب المحارم، فترك الفرائض عندهم من غير عذرٍ كفر مخرج من الملة، وارتكاب المحارم من غير استحلالٍ كبيرة من كبائر الذنوب، وخالفهم في ذلك المرجئة فلا فرق عندهم بينهما.

• قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ إلى: ﴿ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [١٧٧].

قال محمد بن الحسين:

سألَ أبو ذر ﷺ النبي ﷺ عن الإيمان، فتلا عليه هذه الآية.

- ففي «السُّنة» لعبد الله (٧٢٢) قال سويد بن سعيد الهروي: سألنا سفيان بن عيينة عن الإرجاءِ، فقال: يقولون: الإيمان قول. ونحن نقول: الإيمان قولٌ وعملٌ.

والمرجئةُ: أوجبوا الجنة لمن شَهِدَ أن لا إله إلَّا الله، مُصرًّا بقلبه على تركِ الفرائض، وسمَّوا تركَ الفرائضِ ذنبًا بمنزلةِ ركوب المحارم!!

وليس بسواءٍ؛ لأن رُكوبَ المحارمِ مِن غير استِحلالٍ: معصِية، وتركَ الفرائضِ مُتعمِّدًا مِن غيرِ جهلٍ، ولا عُذرٍ: هو كفر.

وبيان ذلك في أمرِ آدمَ صلوات الله عليه، وإبليس، وعلماء اليهود:

أما آدمُ فنهاه الله ﷻ عن أكلِ الشجرةِ، وحرَّمها عليه، فأكل منها مُتعمّدًا ليكون مَلَكًا، أو يكون مِن الخالدين، فسُمِّي: عاصيًا مِن غير كُفرٍ.

وأما إبليسُ لعنه الله: فإنه فرضَ عليه سجدة واحدة؛ فجحدها مُتعمِّدًا فسُمِّي: كافرًا.

وأما علماء اليهود: فعرفوا نعت النبي ﷺ، وأنه نبيٌّ رسول كما يعرفون أبناءهم، وأقرُّوا به باللسان، ولم يتَّبعوا شريعتَه؛ فسمَّاهم الله ﷻ: كفارًا.

فركوبُ المحارمِ مِثل ذنبِ آدم ﷺ وغيره من الأنبياء.

وأما تركُ الفرائضِ جُحودًا فهو كفرٌ؛ مثل: كفرِ إبليس لعنه الله.

وتركهم مُتعمدًا على معرفةٍ من غير جحودٍ، فهو كفرٌ، مِثل كفرِ علماءِ اليهود. والله أعلم.

* انظر: «المدخل إلى الجامع في كتاب الإيمان» (٢٤٣) (فصل المرجئة لا يفرِّقون بين ترك الفرائض وارتكاب المحارم).

٣٠٥ ـ أخبرنا أبو بكر بن أبي داود، قال: ثنا سلمة بن شبيب، قال: ثنا عبد الرزاق، قال: أنا معمر، عن عبد الكريم الجزري، عن مجاهد، قال: إن أبا ذر رضي الله عنه سأل النبي ﷺ عن الإيمان؟ فقرأ عليه: ﴿لَيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٧] حتى ختم الآية.

قال محمد بن الحسين:

وبهذا الحديث وغيره يحتجُّ أحمد بن حنبل في «كتاب الإيمان»(١) أنه قول وعمل، وجاءَ به من طُرُق.

٣٠٦ ـ حدثناه أبو نصر القلّاس في «كتاب الإيمان»(٢)، قال: ثنا أبو بكر المروذي، قال: ثنا أبو عبد الله، قال: ثنا عبد الرزاق، وذكر هذا الحديث. [٢٤/أ]

٣٠٧ ـ وحدثناه ابن أبي داود، من غير طريق.

٣٠٨ ـ وأخبرنا أبو بكر بن أبي داود، قال: ثنا محمد بن إسماعيل بن سَمرة(٣)، قال: ثنا جعفر بن عون، قال: أنا عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي، عن القاسم، عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: جاءَ رجلٌ فسأله عن الإيمان؟

فقرأ عليه: ﴿لَيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾، قال ـ يعني: الرجل ـ: ليس عن البرِّ سألتك.

قال له أبو ذر: جاءَ رجل إلى النبي ﷺ فسأله كما سألتني؟ فقرأ عليه كما قرأت عليك، فأبى أن يرضى كما أبيت أن ترضى، فقال: ادن

---

(١) وهو كتاب أَلَّفه الإمام أحمد رحمه الله ردًّا على المرجئة، وقد رواه كاملًا الخلال رحمه الله في «السُّنة»، وقد أفردته بالتحقيق، وهو الكتاب الثالث ضمن «الجامع في كتب الإيمان».

(٢) يريد ـ والله أعلم ـ كتاب «الإيمان» للإمام أحمد، فإن المصنف يرويه من طريق أبي نصر، عن المروذي، عند أحمد.

(٣) في الأصل: (سبرة)، والصواب ما أثبته كما في «تهذيب الكمال» (٢٤/ ٤٧٧).

مني، فدنا منه، فقال: «المؤمنُ الذي يعملُ حسنةً فتسُرُّه ويرجو بها[١]، وإن عمل سيئَة فتسوءُه، ويخاف عاقبتها»[٢].

قال محمد بن الحسين:

٣٠٩ ـ اعلموا ـ رحمنا الله وإياكم ـ يا أهلَ القرآن، ويا أهلَ العلم بالسُّنن والآثار، ويا معشرَ من فقههم الله تعالى في الدين بعلم الحلال والحرام؛ أنكم إن تدبَّرتم القرآن كما أمركم الله تعالى؛ علمتم أن الله تعالى أوجب على المؤمنين بعد إيمانهم به وبرسوله: العملَ، وأنه تعالى لم يُثنِ على المؤمنين بأنه قد رضي عنهم، وأنهم قد رضوا عنه، وأثابهم على ذلك الدخول إلى الجنة، والنجاة من النار إلَّا بالإيمان والعمل الصالح، قرن مع الإيمان العمل الصالح، لم يدخلهم الجنة بالإيمان وحده، حتى ضم إليه العمل الصالح الذي وفقهم له.

فصار الإيمان لا يتمُّ لأحدٍ حتى يكون مُصدِّقًا بقلبه، وناطقًا بلسانه، وعاملًا بجوارحه، لا يخفى على من تدبَّر القرآن وتصفحه وجده كما ذكرت[٣].

٣١٠ ـ واعلموا ـ رحمنا الله وإياكم ـ أني قد تصفَّحت القرآن فوجدت ما ذكرته في شبيهٍ من خمسين موضعًا من كتاب الله تعالى؛ أن الله لم يُدخل المؤمنين الجنة بالإيمان وحده، بل أدخلهم الجنة

---

(١) كتب في هامش الأصل: (ثوابها) خ.

(٢) رواه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١١٤٢). قال ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٤٨٥): رواه ابن مردويه، وهذا أيضًا منقطع، والله أعلم. اهـ.

(٣) وهذا تصريح منه رَحِمَهُ اللَّهُ على ركنية العمل في الإيمان، وأنه لا يقبل إيمان العبد إلَّا بالعمل خلافًا للمرجئة الذين قالوا: العمل شرط كمال فيه، وفرع من فروعه يصح الإيمان بدونه.

برحمته إياهم، وبما وفقَّهم له من الإيمان والعمل الصالح.

وهذا ردٌّ على من قال: الإيمان معرفة(١).

وردٌّ على من قال: المعرفة والقول، وإن لم يعمل(٢).

نعوذ بالله من قائل هذا.

فإن قال: فاذكر هذا الذي تُثبته(٣) من كتاب الله تعالى، ليستغنيَ غيرُك عن التصفُّحِ للقرآن.

قيل له: نعم، والله الموفِّق لذلك، والمُعين عليه.

٣١١ ـ قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

• وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾﴾ [البقرة].

• وقال تعالى في سورة آل عمران: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا

---

(١) وهم الجهمية ومن وافقهم من الأشاعرة وغيرهم، وسيأتي للمُصنِّف زيادة بيان.

(٢) وهم من يُسمَّون بمرجئة الفقهاء، ومن تبعهم من مُرجئة عصرنا.
وقد تتبعتُ كثيرًا من أقوالهم في «الجامع في كتاب الإيمان والرد على المرجئة» (١/ ٣٣) (اتباع كثير من المتأخرين لمذهب المرجئة والجهمية في الإيمن وإسقاط ركنية العمل منه وتصحيحهم إيمان العبد بدون عمل، وقولهم: إن العمل شرط كمال في الإيمان).

(٣) في هامش الأصل: (بينته) خ.

شَدِيدًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾﴾.

• وقال تعالى في سورة النساء: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ﴾ الآية [٥٧].

• وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء].

• وقال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ﴾ إلى قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ الآية [النساء: ١٧٢، ١٧٣].

• وقال تعالى في سورة المائدة: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾﴾.

• وقال تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

• وقال في سورة الأعراف: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ﴾ إلى: ﴿أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

• وقال تعالى في سورة براءة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾ الآية [التوبة: ٢٠].

• وقال تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ الآية [التوبة: ٨٨].

قال محمد بن الحسين:

٣١٢ ـ اعتبروا ـ رحمكم الله ـ ما تسمعون، لم يُعطِهم مولاهم هذا الخيرَ كلَّه بالإيمانِ وحدَه، حتى ذكر هجرَتهم وجهادَهم بأموالهم وأنفسهم. [٢٤/ب]

وقد علمتم أن الله تعالى ذكر قومًا آمنوا بمكة، ولم يُهاجروا معه، ماذا قال فيهم؟ وهو قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ [الأنفال: ٧٢].

ثم ذكر قومًا آمنوا بمكة، وأمكنتهم الهجرة إليه فلم يهاجروا، فقال فيهم قولًا أعظم(١) من هذا، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [النساء].

ثم عذر تعالى من لم يستطع الهجرةَ ولا النهوضَ بعد إيمانه، فقال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾ الآية [النساء: ٩٨، ٩٩].

قال محمد بن الحسين:

٣١٣ ـ كل هذا يدلُّ على أن الإيمان تصديقٌ بالقلب، وقولٌ باللسان، وعملٌ بالجوارح، لا يجوز غير هذا ردًّا(٢) على المرجئة الذين لعب بهم الشيطان، ميِّزوا هذا تَفقهوا إن شاء الله.

---

(١) في هامش الأصل: (قولًا أعظم هو) خه.
(٢) في هامش الأصل: (رادًّا) خ.

• وقال في سورة يونس: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ﴾ [٤].

• وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾ الآية [يونس: ٩].

• وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ﴾ الآية [يونس].

• وقال تعالى في سورة الرعد: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾.

• وقال تعالى في سورة إبراهيم: ﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ الآية [٢٣].

• وقال تعالى في سورة سبحان: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء].

• وقال تعالى في الكهف: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴿١﴾ قَيِّمًا﴾ إلى قوله: ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾﴾ الآية.

• وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾ [الكهف].

• وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾﴾ [الكهف].

• وقال تعالى في سورة مريم: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾﴾.

• وقال تعالى في سورة طه: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾.

• وقال تعالى: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ الآية [طه: ٨٢].

• وقال تعالى في سورة الحج: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾﴾.

• وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا﴾ الآية [الحج: ٢٣].

• وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الحج].

• وقال تعالى: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾﴾ [الحج].

• وقال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾.

• وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [العنكبوت].

• وقال تعالى في سورة الروم: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾﴾.

• وقال تعالى في سورة لقمان: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ﴾ [٨، ٩].

• وقال تعالى في سورة السجدة: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [السجدة].

• وقال تعالى في سورة سبأ: ﴿لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الآية [٤].

• وقال: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟﴾ [سبأ: ٣٧].

• وقال تعالى في سورة فاطر: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾.

• وقال تعالى في سورة الزمر: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ إلى قوله: ﴿أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [٧٣، ٧٤].

• وقال تعالى في سورة حم عسق: ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾﴾.

• وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ﴾ الآية [الشورى: ٢٣].

• وقال تعالى في سورة الزخرف: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ [أ/٢٥] يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾.

• وقال تعالى في سورة الجاثية: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ

كِتَٰبِيَهْ﴾ إلى قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾﴾ [٢٨ ـ ٣٠].

• وقال تعالى في سورة الأحقاف: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

• وقال تعالى في سورة محمد ﷺ: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾﴾.

• وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ إلى قوله: ﴿مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد: ١٢].

• وقال تعالى في سورة التغابن: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾.

• وقال تعالى في سورة الطلاق: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [١١].

• وقال تعالى في سورة (إذا السماءُ انشقت): ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴿٢٥﴾﴾ [الانشقاق].

• وقال تعالى في سورة البروج: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ الآية [١١].

• وقال تعالى في التين: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾.

• وقال تعالى في سورة البينة: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ

الْكِتَٰبِ ﴿١﴾﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾﴾.

• وقال عَزَّ وَجَلَّ في سورة العصر: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾.

قال محمد بن الحسين:

٣١٤ ـ ميِّزوا ـ رحمكم الله ـ قولَ مولاكم الكريم: هل ذكر الإيمانَ في موضعٍ واحدٍ من القرآن إلَّا وقد قرن إليه العمل الصالح؟

• وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

فأخبر تعالى بأن الكلام الطيب حقيقته أن يُرفع إلى الله تعالى بالعمل، فإن لم يكن عَمَلٌ بَطَلَ الكلامُ من قائله، ورُدَّ عليه، ولا كلامَ طيبٌ أجلُّ من التوحيد، ولا عملَ من أعمال الصالحات أجلّ من أداءِ الفرائِض[(١)].

٣١٥ ـ وحدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، قال: ثنا الحسن بن محمد الزعفراني، قال: ثنا عبد الوهاب بن عطاء، قال: أنا أبو عُبيدة الناجي، أنه

---

(١) قال النحاس رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «إعراب القرآن» (٣/ ٣٦٤): (والكلم) جمع كلمة، وأهل التفسير: ابن عباس، ومجاهد، والربيع بن أنس، وشهر بن حوشب وغيرهم، قالوا: والمعنى العمل الصالح يرفع الكلم الطيب، وهذا ردٌّ على المرجئة.اهـ.

ـ قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تفسيره» (٦/ ٥٣٧): عن ابن عباس: ﴿الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾: ذكر الله، يصعد به إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، والعمل الصالح: أداء فرائضه. ومن ذكر الله ولم يؤد فرائضه، رُدَّ كلامه على عمله، فكان أولى به. وكذا قال مجاهد: العمل الصالح يرفع الكلام الطيب. وكذا قال أبو العالية، وعكرمة، وإبراهيم النخعي، والضحاك، والسُّدِّي، والربيع بن أنس، وشهر بن حوشب، وغير واحد من السلف.اهـ.

سمع الحسن يقول: قال قوم على عهد رسول الله ﷺ: إنا لنحبُّ ربنا. فأنزل الله تعالى بذلك قرآنًا: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]، فجعل اتباعَ نبيِّه ﷺ عَلَمًا لحبِّه، وكذَّب من خالفه، ثم جعل على كل قولٍ دليلًا مِنْ عَمَلٍ يُصدِّقه، ومِنْ عمل يُكذِّبه، فإذا قال قولًا حسنًا، وعَمِلَ عملًا حسنًا؛ رفع الله قوله بعمله، وإذا قال قولًا حسنًا، وعَمِلَ عملًا سيئًا؛ ردَّ الله القول على العمل، وذلك في كتابه تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠][(١)].

٣١٦ ـ وحدثنا أبو بكر بن أبي داود، قال: ثنا يزيد بن عبد الصمد، قال: ثنا آدم ـ يعني: ابن أبي إياس ـ، قال: ثنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية: في قول الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ [البقرة: ١٧٧]، يقول: تكلَّموا بكلام الإيمان، وحقَّقوه بالعمل.

قال الربيع بن أنس: وكان الحسن يقول: الإيمان كلامٌ، وحقيقته العمل، فإن لم يُحقِّقِ القولُ بالعمل، لم ينفعْه القول.

قال محمد بن الحسين:

٣١٧ ـ وكذا ذَكرَ الله تعالى المتقين في كتابه في غير موضعٍ منه، ودخولَهم الجنةَ، فقال: ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٣٢﴾ [النحل].

وهذا في القرآن كثير يطول به الكتاب لو جمعتُه، مثل قوله في

---

(١) رواه ابن جرير في «تفسيره» (٣/ ٢٣٢)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١١٥٥)، وهو حديث من مراسيل الحسن البصري رحمه الله وهي ضعيفة.

وفي إسناده كذلك: أبو عبيدة بكر بن الأسود، قال ابن عدي في «الكامل» (٢/ ١٩٥): وأبو عبيدة هذا معروف بمواعظ الحسن، وهو قليل المسند، مقدار ما يرويه من المسند لا يتابع عليه، وما أرى في حديثه من المنكر ما يستحق به الكذب.اهـ.

الزخرف: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾، إلى قوله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾.

• ومثل قوله في سورة (ق)، وفي (الذاريات)، و(الطور)، مثل قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الطور].

• وقال في سورة (المرسلات): ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

قال محمد بن الحسين:

٣١٨ ـ كل هذا يدلُّ العاقلَ على أن الإيمانَ ليس بالتحلِّي ولا بالتمني؛ ولكن ما وقر في القلوب، وصدَّقته الأعمال، كذا قال الحسن وغيره(١).

وأنا بعد هذا أذكر ما رُوي عن النبي ﷺ، وعن جماعة من الصحابه، وعن كثير من التابعين: أن الإيمان تصديقٌ بالقلب، وقولٌ باللسان، وعملٌ بالجوارح، ومن لم يُقل عندهم بهذا فقد كفر(٢).

---

(١) روى ابن أبي شيبة في كتاب «الإيمان» (٩٣) قال الحسن: إن الإيمان ليس بالتحلِّي، ولا بالتمنِّي؛ إنما الإيمان ما وقرَ في القلب، وصدَّقه العمل.
ـ وفي «السُّنة» لعبد الله (٦١٨) قال عُبيد بن عُمير اللَّيثي: ليس الإيمان بالتمنِّي؛ ولكن الإيمان قول يُعقلُ، وعملٌ يُعمل.

(٢) تكفير المصنف هاهنا يحمل على من نفى أركان الإيمان الثلاثة: (التصديق، والقول، والعمل)، وأما الذين أخرجوا العمل من مُسمَّى الإيمان، وهم من يُسمى بـ(مرجئة الفقهاء)، فقد اتفق أهل السنة على أنهم مبتدعة ضلال، ولم يصرحوا بكفرهم.
ولهذا عدَّ غير واحدٍ من أئمة السنة كعبد الله بن المبارك، ويوسف بن أسباط رحمهما الله وغيرهما فرقة المرجئة من فرق المسلمين التي تشعبت منها الاثنتان والسبعون فرقة كما تقدم برقم (٢٧).

٣١٩ ـ حدثنا أبو العباس أحمد بن عيسى بن السكين البلدي، قال: ثنا علي بن حرب الموصلي، قال: ثنا عبد السلام بن صالح الخراساني، قال: حدثني علي بن موسى الرضا، عن أبيه، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمانُ قولٌ باللسان، وعمل بالأركان، ويقين بالقلب»(١).

- وفي «السُّنة» للخلال (٩٧٢) قال إسماعيل بن سعيد: سألت أحمد: هل تخاف أن يدخل الكفر على من قال: الإيمان قولٌ بلا عمل؟

فقال: لا يكفر بذلك.

- وفي «خلق أفعال العباد» للبخاري (٤١) قال وكيع: احذروا هؤلاء المرجئة، وهؤلاء الجهمية، والجهمية كفار، والمريسي جهمي، وعلمتم كيف كفروا؟ قالوا: يكفيك المعرفة، وهذا كفر، والمرجئة يقولون: الإيمان قول بلا فعل، وهذا بدعة.

- ونقل عثمان بن سعيد الدارمي رحمه الله في «نقضه على المريسي» (ص٢٩) اتفاق العلماء على عدم تكفير المرجئة بقولهم هذا في الإيمان.

- ونقل أبو حاتم وأبو زرعة رحمهما الله في عقيدتهما اتفاق أهل العلم ممن أدركوهم على أن المرجئة مبتدعة ضلال.

- وقال ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (١٠/٧٤٨): .. المرجئة من الفقهاء الذين يقولون: هو تصديق القلب واللسان، فإن هؤلاء لم يكفِّرهم أحدٌ من الأئمة وإنما بدعوهم. اهـ.

- وقال أيضًا (٧/٥٠٧): إن السلف والأئمة اشتد إنكارهم على هؤلاء وتبديعهم وتغليظ القول فيهم؛ ولم أعلم أحدًا منهم نطق بتكفيرهم؛ بل هم متفقون على أنهم لا يكفرون في ذلك؛ وقد نص أحمد وغيره من الأئمة: على عدم تكفير هؤلاء المرجئة. ومن نقل عن أحمد أو غيره من الأئمة تكفيرًا لهؤلاء، أو جعل هؤلاء من أهل البدع المتنازع في تكفيرهم فقد غلط غلطًا عظيمًا. اهـ.

وانظر: «المدخل إلى الجامع في كتب الإيمان» (١/٤٠٢).

(١) رواه ابن ماجه (٦٥)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١١٥٨).

قال الدارقطني: حديث موضوع.

انظر: «الرد على المبتدعة» لابن البناء (٢٣٤).

٣٢٠ ـ حدثنا أبو يعقوب إسحاق بن أبي حسان الأنماطي، [٢٥/ب] قال: ثنا هشام بن عمار الدمشقي، قال: ثنا شهاب بن خراش، قال: حدثني عبد الكريم الجزري، عن علي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قالا: لا ينفع قولٌ إلَّا بعمل، ولا عملٌ إلَّا بقولٍ، ولا قولٌ وعملٌ إلَّا بنية، ولا نية إلَّا بموافقة السُّنة(١).

(١) روي نحوه مرفوعًا من حديث أنس وأبي هريرة رضي الله عنهما ولا يصح كما بينته في تحقيق «الإبانة الكبرى» (١٦٣).

وهذا القول وإن لم يصح مرفوعًا عن النبي ﷺ ولا موقوفًا عن الصحابة رضي الله عنهم بهذا اللفظ إلَّا أن معناه صحيح متواتر مشهور عن أئمة السُّنة، وأقوالهم في هذا كثيرة، ومنها:

ـ ما عند اللالكائي (٣٤) قال سعيد بن جبير: لا يقبل قول إلَّا بعمل، ولا يقبل عمل إلَّا بقول، ولا يقبل قول وعمل إلَّا بنية، ولا يقبل قول وعمل ونية إلَّا بنية موافقة للسُّنة.

ـ وفي «الإبانة الكبرى» (٢٠٢) قال سفيان الثوري: كان الفقهاء يقولون: لا يستقيم قولٌ إلَّا بعملٍ، ولا يستقيمُ قولٌ وعملٌ إلَّا بنيةٍ، ولا يستقيمُ قولٌ وعملٌ ونيةٌ إلَّا بموافقة السُّنة.

ـ وفي «ذم الكلام وأهله» (٤٧٢) قال وكيع بن الجراح: قال أهل الإيمان: لا يجزئ قول إلَّا بعمل وبعقد.

ـ وفي «تاريخ الرقة» (٤٤) قال فرات بن سلمان: انتهينا مع ميمون بن مهران إلى دير القائم، فنظر إلى الراهب، فقال لأصحابه: فيكم من بلغ من العبادة ما بلغ هذا الراهب؟ قالوا: لا.

قال: فما ينفعه ذلك ولم يؤمن بمحمد ﷺ؟ قالوا: لا ينفعه شيءٌ.

قال: كذلك لا ينفع قولٌ بلا عملٍ.

ـ وقال الزهري رحمه الله: كنا نقول: الإسلام بالإقرار، والإيمان بالعمل، والإيمان قول وعمل قرينان، لا ينفع أحدهما إلَّا بالآخر.

[رواه أبو عَمرو الطلمنكي كما في «مجموع الفتاوى» (٧/ ٢٩٥)].

ـ وفي «السُّنة» لحرب (١٣٠) قال الأوزاعي: أدركتُ مَن أدركت من صدرِ هذه الأمَّة، ولا يُفرِّقون بين الإيمانِ والعمل... وقال: الإيمانُ والعملُ كهاتين =

٣٢١ ـ وأخبرنا خلف بن عمر[و] العُكبري، قال: ثنا الحُميدي، قال: ثنا يحيى بن سليم، قال: ثنا أبو حيان، قال: سمعت الحسن يقول: الإيمان قولٌ، ولا قولَ إلَّا بعمل، ولا قولَ وعملَ إلَّا بنيَّة، ولا قولَ وعمل ونية إلَّا بسُنة.

٣٢٢ ـ وأخبرنا ـ أيضًا ـ خلف بن عمرو، قال: ثنا الحميدي، قال: ثنا يحيى بن سليم، قال: سألت سفيان الثوري: عن الإيمان؟

فقال: قول وعمل.

وسألت ابن جُريج، فقال: قول وعمل.

وسألت محمد بن عبد الله بن عَمرو بن عثمان، فقال: قول وعمل.

وسألت نافع بن عمر الجُمَحي، فقال: قول وعمل.

وسألت مالك بن أنس، فقال: قول وعمل.

وسألت فُضيل بن عياض، فقال: قول وعمل.

وسألت سفيان بن عيينة، فقال: قول وعمل.

قال الحُميدي: وسمعت وكيعًا يقول: أهل السُّنة يقولون: قول وعمل، والمرجئة يقولون: الإيمان قول، والجهمية يقولون: الإيمان المعرفة.

٣٢٣ ـ حدثنا أبو بكر بن أبي داود، قال: ثنا علي بن خشرم، قال: أنا يحيى بن سُليم الطائِفي، عن هشام، عن الحسن قال: الإيمان قول وعمل.

ـ وقال بإصبعيه ـ لا إيمان إلَّا بعملٍ، ولا عملَ إلَّا بإيمان.

ـ قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في «الاستقامة» (٢/ ٣٠٩): وهذا فيه ردٌّ على المرجئة الذين يجعلون مجرد القول كافيًا، فأخبر أنه لا بد من قول وعمل، إذ الإيمان قول وعمل، لا بد من هذين. اهـ.

قلت: وأقوالهم في هذا الباب ذكرها يطول هاهنا.

* انظر: «المدخل إلى الجامع في كتب الإيمان» (١/ ٥٥) (فصل أقوال أئمة السلف والسنة ومن بعدهم من أهل العلم في أنه لا إيمان إلَّا بعمل، ولا عمل إلَّا بإيمان، وأنه لا يصح أحدهما إلَّا بالآخر).

قال يحيى بن سُليم: فقلت لهشام: فما تقول أنت؟

قال: الإيمان قول وعمل.

وكان محمد الطائفي يقول: الإيمان قول وعمل.

قال يحيى بن سُليم: وكان مالك بن أنس يقول: الإيمان قول وعمل.

قال يحيى: وكان سفيان بن عيينة يقول: الإيمان قول وعمل.

قال: وكان فُضيل بن عياض يقول: الإيمان قول وعمل.

٣٢٤ ـ وحدثنا ابن أبي داود، قال: ثنا سلمة بن شبيب، قال: ثنا عبد الرزاق، قال: سمعت معمرًا، وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، وابن جُريج، وسفيان بن عيينة يقولون: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص.

٣٢٥ ـ حدثنا ابن مخلد، قال: ثنا أبو داود السجستاني، قال: سمعت أحمد بن حنبل قال: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص.

قال أحمد: وبلغني أن مالك بن أنس، وابن جريج، وفُضيل بن عياض، قالوا: الإيمان قول وعمل.

٣٢٦ ـ وحدثنا ابن مخلد، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا إبراهيم بن شمَّاس[1]، قال: سمعت جرير بن عبد الحميد يقول: الإيمان قولٌ وعمل، يزيد وينقص.

قال إبراهيم بن شمَّاس: وسألت بقية بن الوليد وأبا بكر بن عيَّاش، فقالا: الإيمان قول وعمل.

قال إبراهيم: وسألت أبا إسحاق الفزاري فقلت: الإيمان قول وعمل؟ فقال: نعم.

---

(١) في هامش الأصل: (شماس) مخفف، خ.

وسمعت ابن المبارك يقول: الإيمان قول وعمل.

٣٢٧ ـ وحدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، قال: ثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن أبي بزة، قال: سمعت المُؤمَّل بن إسماعيل يقول: الإيمان قولٌ وعمل، يزيد وينقص.

قال محمد بن الحسين:

٣٢٨ ـ فيما ذكرتُه مَقْنَعٌ لمن أراد اللهُ به الخيرَ، فعلم أنه لا يتم له الإيمانُ إلَّا بالعمل، هذا هو الدين الذي قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة][1].

---

(١) وفي «الإبانة الكبرى» (١١٢٥) قال الشافعي للحُميدي: ما تحتج عليهم ـ يعني: أهل الإرجاء ـ بآية أحجّ من قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ الآية.

ـ وقال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإبانة الكبرى» (٢/٢٣٦): هذه الآية جمعت القول والعمل والنية، فإن عبادة الله لا تكون إلّا من بعد الإقرار به، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة لا يكون إلّا بالعمل، والإخلاص لا يكون إلّا بعزمِ القلب والنية. اهـ.

ـ وفي «السنة» لعبد الله بن أحمد (٧٩٣) في أثر الفُضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ الطويل، وفيه:

ووصفَ فُضيل الإيمان بأنه: قولٌ وعملٌ، وقرأ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾، فقد سَمَّى اللهُ ﷻ: دِينًا قَيِّمًا بالقولِ والعملِ؛ (فالقول): الإقرارُ بالتَّوحيدِ، والشَّهادةُ للنَّبي ﷺ بالبلاغ.

و(العملُ): أداءُ الفرائضِ، واجتنابُ المحارِمِ.

٢٦ - بَاب

ذكر كفر من ترك الصلاة(١)

(١) ذكر أئمة السُّنة مسألة تكفير تارك الصلاة من غير تفريق بين تركها تهاونًا وكسلًا وبين تركها جحودًا في أبواب الاعتقاد لتعلقها بمسائل الإيمان والإسلام، فقد تقدم نقل إجماعهم على أن الإيمان قول وعمل لا يصح أحدهما إلَّا بالآخر.

وقد بيَّن أهل السُّنة أن القول الذي يدخل به العبد في الإسلام هو قول مخصوص، وهو (النطق بالشهادتين)، وأن العمل الذي يدخل به في الإسلام هو عمل مخصوص، وهو (الصلاة).

- قال ابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ في «الإبانة الكبرى» (١١٥٧): وإقام الصلاة هو العمل، وهو الدين الذي أرسل به المرسلين، وأمر به المؤمنين... والله ﷻ يقول: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الروم]، فجعل الله من ترك الصلاة مُشركًا خارجًا من الإيمان؛ لأن هذا الخطاب للمؤمنين تحذير لهم أن يتركوا الصلاة، فيخرجوا من الإيمان، ويكونوا كالمشركين. اهـ.

- وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح العمدة» (٨٦/٤): إن الإيمان عند أهل السُّنة والجماعة: قول وعمل كما دل عليه الكتاب والسُّنة، وأجمع عليه السلف.. فالقول: تصديق الرسول. والعمل: تصديق القول، فإذا خلا العبد عن العمل بالكلية لم يكن مؤمنًا، والقول الذي يصير به مؤمنًا: قول مخصوص، وهو: (الشهادتان)، فكذلك العمل: هو (الصلاة). اهـ.

قلت: ولهذا لا تكاد تقف على كتاب من كتب أئمة السُّنة الأوائل المُصنفة في الاعتقاد المطوَّلة منها والمختصرة إلَّا وتجد فيها أبواب تكفير تارك الصلاة تحت أبواب الإيمان والرد على المرجئة، ومن ذلك:

١ - قال أبو داود (٢٧٥هـ) رحمه الله في «السُّنن» (٤/ ٢١٩): (بابٌ في ردِّ الإرجاء)، وذكر فيه حديث جابر رضي الله عنه: «بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة».

٢ - قال الترمذي (٢٧٩هـ) رحمه الله في «السُّنن» (٥/ ١٣) في أبواب الإيمان: (باب ما جاء في ترك الصلاة)، فروى جملة من الأحاديث في تكفير تارك الصلاة، ثم روى عن عبد الله بن شقيق العقيلي رحمه الله قوله: كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة.

ثم قال: سمعت أبا مصعب المدني يقول: من قال: الإيمان قول يُستتاب فإن تاب وإلَّا ضُربت عنقه. اهـ.

٣ - قال عبد الله بن أحمد (٢٩٠هـ) رحمهما الله في «السُّنة» (ص٢٧٣) (سُئل عن الإيمان والرّد على المرجئة)، وأورد تحت هذا الباب الأحاديث والآثار في تكفير تارك الصلاة.

٤ - قال أبو عوانة (٣١٦هـ) رحمه الله في «مستخرجه على صحيح مسلم»: (بيان أفضل الأعمال، والدليل على أن الإيمان قول وعمل، وأن من ترك الصلاة فقد كفر، والدليل على أنها أعلى الأعمال إذ تاركها يصير بتركها كافرًا).

٥ - قال ابن بطة (٣٨٧هـ) رحمه الله في «الإبانة الكبرى» (كفر تارك الصلاة، ومانع الزكاة، وإباحة قتالهم، وقتلهم إذا فعلوا ذلك).

٦ - قال اللالكائي (٤١٨هـ) رحمه الله في «اعتقاد أهل السنة» (٥٤/ سياق ما روي عن النبي ﷺ في أن الصلاة من الإيمان، وروي في ذلك من الصحابة: عن عمر، وعلي، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، وأبي الدرداء، والبراء، وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم، وعنه أنه سئل ما كان يُفرّق بين الكفر والإيمان عندكم من الأعمال في عهد رسول الله ﷺ؟ قال: الصلاة..).

٧ - والمُصنِّفُ في كتابه هذا عقد بابًا في كتاب الإيمان بتكفير تارك الصلاة.

فهذه بعض تبويباتهم لهذه المسألة العظيمة في مُصنفاتهم المُطوَّلة في الاعتقاد، وأما عقائدهم المختصرة فالأمر أعظم من ذلك وأظهر، فلا تكاد تخلو عقيدة من عقائد أئمة السُّنة المختصرة إلَّا ويذكر فيها تكفير تارك الصلاة من بين سائر الأعمال، من ذلك:

---

١ ـ قال الإمام قتيبة بن سعيد (٢٤٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ ـ وهو شيخ الإمام البخاري ـ في عقيدته: (ولا نكفِّرُ أحدًا بذنبٍ إلَّا ترك الصَّلاة، وإن عمل بالكبائر).

٢ ـ قال الإمام أحمد (٢٤١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ في عقيدته التي رواها عبدوس العطار: (وليس من الأعمالِ شيءٌ تركه كفرٌ إلَّا الصَّلاة، من تركها فهو كافِرٌ، وقد أحلَّ اللهُ قتلَه).

٣ ـ قال محمد بن يحيى الذُّهلي (٢٥٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ في «عقيدته» (٢٣): (وإنَّ تركَ الصَّلاةِ كفرٌ للحديثِ المأثور عن رسول الله ﷺ مِن وجوهٍ: «ليس بين العبدِ والكُفر إلَّا ترك الصَّلاة»).

٤ ـ وفي عقيدة القادري (٤٤١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ التي كتبت في القرن الخامس، وأقرَّها أهل العلم في ذلك الوقت، وقُرِئَتْ على المنابر وفي المجامع الكبيرة.. وكتب الفقهاء خطوطهم، وكتبوا عليها: (هذا اعتقاد المسلمين، ومن خالفه فقد فسقَ وكفر)، وفيها:

(ولا يُكفَّر بترك شيء من الفرائض غير الصَّلاة المكتوبة وحدها؛ فإنه مَن تركها من غير عذرٍ وهو صحيح فارغ حتى يخرج وقت الأخرى فهو كافر، وإن لم يجحدها؛ لقول النبي ﷺ: «بين العبد والكفر تركُ الصَّلاة، فمن تركها فقد كفر»، ولا يزال كافرًا حتى يندم ويعيدها، فإن مات قبل أن يندم ويعيد، أو يضمر أن يعيد لم يُصل عليه، وحُشِرَ مع فرعون وهامان وقارون وأُبيِّ بن خلف، وسائر الأعمال لا يُكفَّر بتركها، وإن كان يفسقُ حتى يجحدها. ثم قال: هذا قول أهل السُّنة والجماعة.اهـ.

فبهذا يتبيَّن بجلاء أن مسألة تكفير تارك الصلاة مسألة عقدية عند أئمة أهل السُّنة لا أنها مجرد مسألة فقهية تبحث كسائر مسائل الفقه ثم يُرجِّح الباحث بين القولين وينتهي الأمر على ذلك.

وهذه المسألة العظيمة من أظهر المسائل التي تُبيِّن لك غربة الدين والسنة والتمسك بما كان عليه سلف الأمة، فقد تضافرت النصوص الكثيرة وأقوال الصحابة والتابعين على تكفير تارك الصلاة وإخراجه من الإسلام، ونقل غير واحد ممن يُعتدُّ بإجماعهم: إجماع أصحاب النبي ﷺ على تكفير تارك الصلاة وإخراجه من الإسلام، ومنهم: جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، والحسن البصري، وعبد الله بن شقيق، وإسحاق بن راهويه، وحرب الكرماني، ومحمد بن نصر المروزي، =

٣٢٩ - حدثنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الحلواني، قال: ثنا أبو الربيع الزهراني، قال: ثنا حماد بن زيد، عن عمرو بن دينار، عن جابر بن عبد الله ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «بينَ العبدِ وبينَ الكفرِ تركُ الصلاة»(١).

٣٣٠ - حدثنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن شاهين، قال: ثنا أبو جعفر محمد بن يزيد الأَدَمي، قال: ثنا يحيى بن سليم(٢)، قال: سمعت ابن جريج، سمع أبا الزبير، قال: سمعت جابر بن عبد الله ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس بين العبدِ المسلمِ وبين الشركِ إلّا تركُ الصلاة».

وابن تيمية، وابن القيم رحمهم الله وغيرهم كثير من أهل العلم كما سيأتي.

ثم يأتي بعد ذلك من يدعي أنه لا إجماع على هذه المسألة وأن جمهور أهل العلم على خلافها!!

أو يأتي بعض المرجئة فيدعي أن هذا القول مناقض لأحاديث الشفاعة!!

والأدهى من ذلك والأمرّ من يصف هذا القول بأنه مذهب الخوارج الذين وصفهم النبي ﷺ بالمروق من الدين وأمر بقتلهم!!

فالحمد لله على الإسلام والسُّنة، ونسأل الله الثبات عليها حتى الممات.

* وانظر: «المدخل إلى الجامع في كتب الإيمان» (المبحث الثالث: العمل الذي يصح به إيمان العبد: هو الصلاة). (فصل في سبب إدخال أهل السنة مسألة تارك الصلاة تحت أبواب الاعتقاد والتوحيد والإيمان).

و(فصل في ذكر الأدلة على تكفير تارك الصلاة وإخراجه عن الملة).

و(فصل في ذكر أقوال الصحابة ﷺ والتابعين في تكفير تارك الصلاة وإخراجه عن الملّة)، و(فصل في سياق أقوال من نقل الإجماع على تكفير تارك الصلاة).

و(فصل في بطلان ما نسب للأئمة الثلاثة من ترك تكفير تارك الصلاة كسلًا وتهاونًا).

و(فصل في الرد إجمالًا على من يحتج ببعض النصوص المُشتبهة على ترك تكفير تارك الصلاة).

(١) رواه أحمد (١٥١٨٣)، ومسلم (١٦٠).

(٢) في الأصل: (سليمان)، وفي هامشه: (سليم)، وهو الصواب كما عند اللالكائي (١٥١٦).

٣٣١ - حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد، قال: ثنا الحسن بن عرفة، قال: ثنا أبو حفص الأبَّار عمر بن عبد الرحمٰن، عن ليث، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «بين العبد وبين الكفر أو بين العبد وبين الشرك ترك الصلاة».

٣٣٢ - حدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد الصندلي، قال: ثنا الفضل بن زياد، قال: ثنا أحمد بن حنبل، قال: ثنا زيد بن الحُبَاب، قال: حدثني حسين بن واقد، قال: حدثني عبد الله بن بُريدة، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «بيننا وبينهم تركُ الصلاة، فمن تركها فقد كفر»(١).

---

(١) رواه أحمد (٢٣٠٠٧)، وابنه عبد الله في «السُّنة» (٧٤٦)، وابن أبي شيبة في «الإيمان» (٤٦).

وهذا الكفر والشرك هو الأكبر الذي يخرج صاحبه من دين الإسلام كما بين ذلك ابن تيمية رحمه الله في «شرح العمدة» (٢/ ٧٦) عند ردِّه على من حمل هذه النصوص على الكفر دون الكفر، أو على كفر النعمة، فقد قال:

(الكفر الوارد في الصلاة هو الكفر الأعظم لوجوه:

أحدها: أنَّ الكفر المُطلق هو الكفر الأعظم المُخرج عن الملَّة، فينصرف الإطلاق إليه؛ وإنما صُرِف في تلك المواضع إلى غير ذلك لقرائن وضمائم انضمَّت إلى الكلام، ومن تأمَّل سياق كلِّ حديث وجده معه، وليس هنا شيء يُوجب صرفَه عن ظاهره، بل هنا ما يقرِّره على الظاهر.

الثاني: أنَّ ذلك الكفر منكَّرٌ مبهَم، مثل قوله: «وقتاله كفر»، و«هما بهم كفر»، وقوله: «كفر بالله»، وشبه ذلك، وهنا عُرِّف باللام بقوله: «ليس بين العبد وبين الكفر»، أو قال: «الشرك»، والكفر المعرَّف ينصرف إلى الكفر المعروف، وهو المُخرِج عن الملّة.

الثالث: أن في بعض الأحاديث: «فقد خرج عن الملَّة»، وفي بعضها: «بينه وبين الإيمان»، وفي بعضها: «بينه وبين الكفر»، وهذا كلُّه يقتضي أن الصلاة حدٌّ يُدخله إلى الإيمان إن فعله، ويُخرجه عنه إن تركه.

الرابع: أن قوله: «ليس بين العبد وبين الكفر إلَّا تركُ الصلاة»، وقوله: (كان أصحابُ محمد ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركُه كفرٌ إلَّا الصلاة) =

٣٣٣ ـ حدثنا أبو نصر محمد بن كردي، قال: ثنا أبو بكر المروذي، قال: ثنا أحمد بن حنبل، قال: ثنا يحيى بن سعيد، عن المسعودي، عن القاسم، قال: قال عبد الله ـ يعني: ابن مسعود رضي الله عنه ـ: الكفرُ: ترك الصلاة.

٣٣٤ ـ حدثنا جعفر بن محمد الصندلي، قال: ثنا الفضل بن زياد، قال: ثنا أحمد بن حنبل، قال: ثنا الوليد بن مسلم، قال: سمعت الأوزاعي، عن القاسم بن مُخيمرة في قول الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ

لا يجوز أن يراد به إلَّا الكفر الأعظم.

الخامس: أنه خرج هذا الكلامُ مخرجَ تخصيص الصلاة، وبيان مزيَّتها على غيرها في الجملة، ولو كان ذلك الكفر فسقًا لشاركها في ذلك عامَّةُ الفرائض.

السادس: أنه بيَّن أنها آخر الدين، فإذا ذهب آخره ذهب كلُّه.

السابع: أنه بيَّن أن الصلاة هي العهد الذي بيننا وبين الكفار، وهم الخارجون عن الملَّة، ليسوا داخلين فيها. واقتضى ذلك أنَّ من ترك هذا العهد فقد كفَر، كما أنَّ من أتى به فقد دخل في الدين، ولا يكون هذا إلَّا في الكفر المُخرج عن الملَّة.

الثامن: أنَّ قول عمر رضي الله عنه: (لا حظَّ في الإسلام لمن ترك الصلاة)، أصرحُ شيء في خروجه عن الملّة، وكذلك قول ابن مسعود رضي الله عنه وغيره، مع أنه بيَّن أنَّ إخراجها عن الوقت ليس هو المُكفِّر، وإنما هو الترك بالكلِّية، وهذا لا يكون إلَّا فيما يُخرج عن الملَّة.

التاسع: ما تقدَّم من حديث معاذ رضي الله عنه: فإنَّ فسطاطًا على غير عمود لا يقوم، كذلك الدين لا يقوم إلَّا بالصلاة.

وفي هذه الوجوه ما يُبطِل قول من حملها على من تركها جاحدًا، مثلَ قوله: (كانوا لا يرون شيئًا من الأعمال تركُه كفرٌ)، وقوله: «ليس بين العبد وبين الكفر»، وغير ذلك مما يوجب اختصاص الصلاة بذلك. وتركُ الجحود لا فرق فيه بين الصلاة وغيرها. ولأن الجحود نفسه هو الكفر من غير ترك، حتى لو فعلها مع ذلك لم ينفعه، فكيف يُعلَّق الحكمُ على ما لم يُذكَر. ولأن المذكور هو الترك، وهو عامٌّ في من تركها جحودًا أو تكاسلًا. ولأن هذا عدولٌ عن حقيقة الكلام من غير مُوجِب فلا يلتفت إليه). اهـ.

يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ [مريم]، قال: أضاعوا المواقيت، ولم يتركوها، ولو تركوها؛ صاروا بتركها كفارًا.

٣٣٥ ـ حدثنا الفريابي، قال: ثنا أبو أيوب سليمان بن عبد الرحمن [٢٦/أ] الدمشقي، قال: ثنا أيوب بن سويد، قال: حدثني يونس بن يزيد، قال: حدثني الزهري، قال: أخبرني سُليمان بن يسار: أن المِسْور بن مَخْرَمة: أخبره حين طُعِنَ عمر رضي الله عنه أنه دخل عليه هو وابن عباس، فلما أصبح أفزعوه، فقالوا: الصلاة، الصلاة.

فقال: نعم، ولا حظَّ في الإسلام لمن ترك الصلاة. فصلى والجرح يَثْعَب(١) دمًا.

٣٣٦ ـ أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عُفير الأنصاري، قال: ثنا نصر بن علي الجهضمي، قال: ثنا وهب بن جرير، قال: ثنا قُرَّة بن خالد، عن عبد الملك بن عمير، عن جابر بن سَمُرة، عن المِسور بن مَخرَمة، قال: دخلت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين طُعِنَ، فقالوا: الصلاة يا أمير المؤمنين.

فقال: الصلاة، ها الله إذن، ولاحظَّ في الإسلام لمن ترك الصلاة(٢).

---

(١) أي: يجري. «النهاية» (١/ ٢١٢).

(٢) رواه مالك في «الموطأ» (٨١)، وأحمد في «الإيمان» (٢٠٩ و٢١٩)، وهو صحيح عنه.

ـ قال ابن تيمية رحمه الله في «شرح العمدة» (٤/ ٨٣): أما قول عمر رضي الله عنه ـ ثم ذكره ـ أصرح شيء في خروجه عن الملة. اهـ.

ـ وقال أيضًا (٤/ ٧٤): ولأن هذا إجماع الصحابة، قال عمر رضي الله عنه لما قيل له وقد خرج إلى الصلاة: نعم، ولا حظَّ في الإسلام لمن ترك الصلاة. وقصته في الصحيح، وفي رواية عنه قال: لا إسلام لمن لم يصل. رواه النجاد. وهذا قاله بمحضر من الصحابة رضي الله عنهم. اهـ.

ـ وقال ابن القيم رحمه الله في كتاب «الصلاة» (ص٦٧): فقال هذا بمحضر من =

٣٣٧ - حدثنا ابن مخلد، قال: ثنا أبو داود، قال: سمعت أحمد بن حنبل، يقول: إذا قال: لا أُصلي؛ فهو كافر[(١)].

الصحابة ﷺ ولم ينكروه عليه، وقد تقدم مثل ذلك عن معاذ بن جبل، وعبد الرحمن بن عوف، وأبي هريرة، ولا يعلم عن صحابي خلافهم.اهـ.

قلت: وقد نقل غير واحدٍ من أهل العلم إجماع الصحابة ﷺ والتابعين على تكفير تارك الصلاة من غير تفريق بين من تركها كسلًا وتهاونًا أو تركها جحودًا، من ذلك:

١ - قول جابر بن عبد الله ﷺ لما سئل: ما كان يُفرّق بين الكفر والإيمان عندكم من الأعمال في عهد رسول الله ﷺ؟ فقال: الصَّلاة. وهو أثر صحيح.

٢ - قال عبد الله بن شقيق رحمه الله: لم يكن أصحاب النبي ﷺ يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصَّلاة.

رواه الترمذي (٢٦٢٢)، وهو أثر ثابت صحيح عنه.

٣ - قول الحسن البصري رحمه الله سيأتي قريبًا برقم (٩٣٥).

٤ - قال أيوب السختياني رحمه الله وهو من كبار التابعين: ترك الصَّلاة كفر لا يُختلف فيه.

٥ - قال إسحاق بن راهويه رحمه الله: قد صَحَّ عن رسول الله ﷺ أن تارك الصَّلاة كافر، وكذلك كان رأي أهل العلم مِن لَدُن النبي ﷺ إلى يومنا هذا: أن تارك الصَّلاة عَمدًا مِن غير عُذرٍ حتى يذهب وقتها كافر.

وغيرهم كما في «المدخل إلى الجامع في كتب الإيمان» (١/ ١٤٣).

(١) المتتبع لأقوال الإمام أحمد رحمه الله في مسألة تكفير تارك الصلاة يتبيَّن له بجلاء تكفيره لتاركها عمومًا من غير تفريق بين التارك لها كسلًا أو تهاونًا أو جحودًا واستكبارًا. من ذلك:

- قوله في عقيدته التي رواها عبدوس العطار: وليس من الأعمالِ شيءٌ تركه كُفرٌ إلَّا الصَّلاة، من تركها فهو كافِرٌ، وقد أحلَّ اللهُ قتلَه.

«جامع العقائد ورسائل أهل السنة والأثر» (ص٣٥٢).

- قال ابن هانئ رحمه الله في «مسائله» (١٨٧٣): حضرت رجلًا عند أبي عبد الله، وهو يسأله، فجعل الرجل يقول: يا أبا عبد الله.. وأن لا يكفِّر أحدًا بذنبٍ؟

٣٣٨ ـ أخبرنا إبراهيم بن موسى الجوزي، قال: ثنا زُهير بن محمد المروزي، قال: ثنا عبيد الله بن عبد المجيد[(١)]، قال: ثنا أبو العوام القطان، قال: ثنا قتادة، وأبان بن أبي عياش كلاهما، عن خُليد العصريّ[(٢)]، عن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «خمسٌ من جاءَ بهن يوم القيامة مع إيمان دخل الجنة، من حافظ على الصلوات الخمس على وجُوهِهنّ[(٣)]، وركوعهن، وسجودهن، ومواقيتهن، وأعطى الزكاة من ماله طيب النفس بها». قال: وكان يقول: «وايم الله لا يفعل ذلك إلّا مؤمنٌ، وصام رمضان، وحج البيت إن استطاع إليه سبيلًا، وأدّى الأمانة».

قالوا: يا أبا الدرداء، وما أداءُ الأمانة؟

قال أبو عبد الله: اسكت. من تركَ الصَّلاة فقد كفر.

ـ قال الحسن بن ثواب: سُئل أبو عبد الله، وأنا أسمع عن رجل، قال: أنا مؤمن مقرٌّ بأن الصلاة عليَّ فرض واجب، ولا أُصلي؟

قال: يستتاب ثلاثة أيام؛ فإن صلى، وإلّا قتل.

«أحكام أهل الملل» (١٣٩٨).

ـ وفي «السُّنة» للخلال (١٠٠٠) قال إسماعيل بن سعيد: سألت أحمد عن قول النبي ﷺ: «من غشنا فليس منا، ومن حمل السلاح علينا فليس منا».

قال: على التأكيد والتشديد، ولا أكفر أحدًا إلّا بترك الصلاة.

قلت: فهذه أقوال صريحة صحيحة في تكفير تارك الصلاة عمومًا من غير تفريق، وأما ما يتمسك به بعض المتأخرين من بعض أقواله التي قد يُفهم منها عدم التكفير، فإنها إما ضعيفة لا تثبت، وإما غير صريحة في عدم التكفير.

* وانظر: «المدخل في كتاب الجامع في كتب الإيمان» (١/ ١٥١).

(١) في الأصل: (الحميد)، وفي الهامش: (المجيد) خ، وهو الصواب كما في ترجمته في «تهذيب الكمال» (١٩/ ١٠٤).

(٢) كتب في الهامش: (القصري) خ ع.

(٣) عند أبي داود: (وُضوئهن).

قال: الغُسل من الجنابة؛ فإن الله تعالى لم يأمن ابن آدم على شيءٍ من دينه غيرها[(١)].

٣٣٩ ـ حدثنا جعفر بن محمد الصندلي، قال: ثنا الفضل بن زياد، قال: حدثني أحمد بن حنبل، قال: ثنا عبد الله بن يزيد المُقرئُ أبو عبد الرحمٰن، قال: حدثني سعيد بن أبي أيوب، قال: حدثني كعب بن علقمة، عن عيسى بن هلال الصدفي، عن عبد الله بن عمرو ﵄: أن النبي ﷺ ذكر يومًا الصلاة، فقال: «من حافظ عليها كانت له نورًا وبُرهانًا، وإضاءةً ـ أو قال: نجاة يوم القيامة ـ، ومن لم يحافظْ عليها لم تكن له نورًا، ولا برهانًا، ولا إضاءَة ـ أو قال: نجاة ـ ويأتي يومَ القيامةِ مع قارونَ وفرعونَ وهامانَ وأُبيِّ بنِ خَلَف»[(٢)].

٣٤٠ ـ حدثنا أحمد، قال: ثنا محمد، قال[(٣)]: ثنا أبو عبد الله جعفر بن إدريس القزويني، قال: ثنا يحيى بن عبدك القزويني، قال: ثنا عبد الله بن يزيد المقرئُ.. وذكر الحديث بإسناده إلى آخره مثله.

٣٤١ ـ حدثنا أبو نصر محمد بن كُردي، قال: ثنا أبو بكر المَروذي، قال: ثنا أحمد بن حنبل، قال: ثنا عبد الله بن نُمير، عن محمد بن أبي إسماعيل، عن معقل[(٤)] الخثعمي، قال: أتى رجل عليًّا ﵇ وهو في الرَّحْبَة، فقال: يا أمير المؤمنين، ما ترى في المرأة لا تُصلي؟

---

(١) رواه أبو داود (٤٢٩)، والعُقيلي في «الضعفاء» (٣/ ١٢٣) في ترجمة: عبيد الله بن عبد المجيد أبي علي الحنفي. قال ابن معين: ليس بشيء. وأسند له العُقيلي هذا الحديث، وقال: لا يتابع عليه.اهـ.

(٢) رواه أحمد (٦٥٧٦)، وعبد الله بن أحمد في «السُّنة» (٧٥٩)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٩٥٤)، وهو حديث صحيح.

(٣) كذا في الأصل!! وقد نبه الدميجي على أن (أحمد) هاهنا هو راوي الكتاب، و(محمد) هو الآجري ﵀، وجعفر القزويني هو شيخه، وقد تكررت الرواية عنه هاهنا كثيرًا.

(٤) في هامش الأصل: (بن معقل) خه.

فقال: من لم يُصلِّ فهو كافر.

قال محمد بن الحسين:

٣٤٢ ـ هذه السُّنن والآثار في ترك الصلاة وتضييعها مع ما لم نذكره مما يطول به الكتاب، مثل حديث حذيفة رضي الله عنه، وقوله لرجل لم يتم الصلاة: لو مات هذا، لمات على غير فطرة محمدٍ ﷺ(١).

ومثله: عن بلال رضي الله عنه وغيره، ما يدلُّ على أن الصلاة من الإيمان، ومن لم يصل فلا إيمان له ولا إسلام(٢).

وقد سمَّى اللهُ تعالى الصلاةَ في كتابه: إيمانًا، وذلك أن الناسَ كانوا يُصلون إلى بيت المقدس، إلى أن حُوِّلُوا إلى الكعبة، ومات قوم على ذلك، فلما حُوِّلَت القبلةُ إلى الكعبة قال قوم: يا رسول الله، فكيف بمن مات من إخواننا ممن كان يُصلي إلى بيت المقدس؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣] يعني: صلاتكم إلى بيت المقدس، وبالله التوفيق(٣).

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٢٣٢٥٨)، و«الإيمان» (٢٧٧) عن زيد بن وهب قال: دخل حذيفة رضي الله عنه المسجد فإذا رجل يصلي مما يلي أبواب كندة فجعل لا يتم الركوع ولا السجود، فلما انصرف قال له حذيفة: منذ كم هذه صلاتك؟، قال: منذ أربعين سنة، قال: فقال له حذيفة: ما صليت منذ أربعين سنة، ولو مت وهذه صلاتك لمت على غير الفطرة التي فطر عليها محمد ﷺ، قال: ثم أقبل عليه يعلمه، فقال: إن الرجل ليُخِفُّ في صلاته، وإنه لَيُتِمُّ الركوعَ والسجودَ.

(٢) رواه الإمام أحمد في «الإيمان» (١٥٦) عن قيسِ بن أبي حازمٍ، قال: رأى بلالٌ رجلًا يُصلِّي الصلاة، قال: يا صاحِبَ الصَّلاة لو مُتَّ مُتَّ على غير مِلَّةِ عيسى ابن مريم عليه السلام.

(٣) ختم ابن بطة رحمه الله الباب الذي عقده في «الإبانة الكبرى» (٩٥٥) في تكفير تارك الصلاة بقوله: فهذه الأخبار والآثار والسُّنن عن النبي ﷺ، والصحابة رضي الله عنهم، والتابعين كلها تدلُّ العقلاء ومن كان بقلبه أدنى حياةٍ على تكفير =

٢٧ ـ بَاب

ذكر الاستثناءِ في الإيمان من غير شك فيه(١)

تارك الصَّلاة، وجاحد الفرائض، وإخراجه من المِلَّة، وحسبُك من ذلك ما نزل به الكتاب، قال الله ﷻ: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ [الحج: ٣١]. ثم وصف الحنفاء والذين هم غير مشركين به، فقال ﷻ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة].

فأخبرنا ـ جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ـ أن الحنيف المسلم هو على الدين القيم، وأن الدين القيم هو: بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن التارك لهما هو المُشرك الذي افترض علينا قتاله وقتله حتى يتوب، ولا توبة له إلَّا بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، فقال تعالى: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْۚ﴾ [التوبة: ٥].

وقال تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِۗ﴾ [التوبة: ١١].

فأيُّ بيان ـ رحمكم الله ـ يكون أبين من هذا؟ وأي دليلٍ على أن الإيمان قولٌ وعملٌ، وأن الصلاة والزكاة من الإيمان يكون أدلَّ من كتاب الله، وسُنة رسول الله ﷺ، وإجماع علماء المسلمين وفقهائهم الذين لا تَستَوْحِش القلوبُ من ذكرهم، بل تطمئن إلى اتباعهم، واقتفاء آثارهم، رحمة الله عليهم، وجعلنا من إخوانهم. اهـ.

(١) لما كان الإيمان عند أهل السُّنة: قولًا وعملًا واعتقادًا، يزيد وينقص؛ ترتب على تلك العقيدة: مسألة الاستثناء فيه، وهي قولهم: (مؤمن إن شاء الله)، أو (مؤمن أرجو)، وليس هذا من باب الشكِّ في الإيمان، حاشا أهلَ السنة أن يشكوا في إيمانهم.

ـ قال حرب الكرماني رَحِمَهُ اللَّهُ في عقيدته التي نقل فيها إجماع العلماء: ويُستثنى في الإيمانِ غير أن لا يكون الاستثناءُ شكًّا، إنما هي سُنةٌ ماضيةٌ عن العلماء.

وإذا سُئلَ الرَّجلُ: أمؤمنٌ أنت؟ فإنه يقول:

أ ـ أنا مؤمنٌ إن شاء الله.

ب ـ أو مؤمنٌ أرجو.

ج ـ أو يقولُ: آمنتُ بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله.

ـ وقال ابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ في «الإبانة الكبرى» (١٢٦٠): فمن صفة أهل العقل والعلم: أن يقول الرجل: (أنا مؤمن إن شاء الله)، لا على وجه الشكِّ، ونعوذ بالله من الشكِّ في الإيمان؛ لأن الإيمان: إقرار لله بالربوبية، وخضوعٌ له في العبودية، وتصديقٌ له في كل ما قال وأمر ونهى، فالشَّاكُّ في شيء من هذا كافرٌ لا محالة.

ـ وقال (١٢٧٧): فهذه سبيل المؤمنين، وطريق العقلاء من العلماء لزوم الاستثناء والخوف والرجاء، لا يدرون كيف أحوالهم عند الله؟ ولا كيف أعمالهم أمقبولة هي أم مردودة؟.اهـ.

ولقد تنوعت عبارات السلف في مآخذ الاستثناء حتى ظَنَّ بعضهم أنهم قد اختلفوا فيه، والذي يظهر أن «اختلاف الحكم راجع إلى اختلاف المأخذ والوجه الذي يقع عليه الاستثناء.. فأما الوجوه التي يجوز فيها الاستثناء عند أهل السُّنة فهي:

١ ـ أن يستثني لئلا يُزكِّي نفسه ويمدحها ويشهد لها بما لا يعلم أنه جاء به من الإيمان المطلق المتضمن فعل جميع ما أمر الله به، وترك كل ما نهى الله عنه.

٢ ـ أن يستثني لأنه لا يدري أتقبل الله عَزَّ وَجَلَّ منه ما عمله أم لا؟ فيستثني شكًّا في القبول.

٣ ـ أن يستثني خوفًا من سوء الخاتمة، وعدم علمه بالعاقبة.

٤ ـ أن يستثني فيما يعلم وجوده، ويتيقنه ولا يشك فيه من باب تعليق الأمور بمشيئة الله».

[انظر: «آراء المرجئة في مصنفات شيخ الإسلام عرض ونقد» (ص٤٥٤)].

تنبيه: الأشاعرة قد يوافقون أهل السُّنة في الاستثناء في الظاهر كعادتهم في موافقاتهم في الظاهر لأهل السُّنة في بعض أبواب الاعتقاد؛ ولكن عند البيان والتحقيق يفتضحون ويظهر تلبيسهم. فالإيمان عندهم ما وافى به العبد ربه، وهو أن يبقى العبد متصفًا به إلى آخر حياته، ويتوفاه الله عليه، فهذا الإيمان هو المعتبر عندهم، وعليه يكون الاستثناء عندهم كما قال ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (٧/ ٥٠٧): والاستثناء عندهم يعود إلى ذلك، لا إلى الكمال، والنقصان، والحال. اهـ.

فهم لا يستثنون على الأعمال؛ لأن الإيمان عندهم هو التصديق فقط، والأعمال ليست منه.

- يقول الجويني الأشعري في «الإرشاد» (ص٣٣٦): فإن قيل: قد أُثر عن سلفكم ربط الإيمان بالمشيئة، وكان إذا سُئل الواحد منهم عن إيمانه قال: إنه مؤمن إن شاء الله، فما محصول ذلك؟

قلنا: الإيمان ثابت في الحال قطعًا لا شك فيه؛ ولكن الإيمان الذي هو عَلَمٌ على الفوز وآية النجاة، إيمان الموافاة، فاعتنى السلف به وقرنوه بالمشيئة، ولم يقصدوا التشكيك في الإيمان الناجز. اهـ.

- قال ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (٧/ ٤٣٩): وأما مذهب سلف أصحاب الحديث كابن مسعود رضي الله عنه وأصحابه، والثوري، وابن عيينة، وأكثر علماء الكوفة، ويحيى بن سعيد القطان فيما يرويه عن علماء أهل البصرة، وأحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة؛ فكانوا يستثنون في الإيمان، وهذا متواتر عنهم؛ لكن ليس في هؤلاء من قال: أنا أستثني لأجل الموافاة، وأن الإيمان إنما هو اسم لما يوافي به العبد ربه، بل صرَّح أئمة هؤلاء بأن الاستثناء إنما هو لأن الإيمان يتضمن فعل الواجبات فلا يشهدون لأنفسهم بذلك، كما لا يشهدون لها بالبر والتقوى، فإن ذلك مما لا يعلمونه، وهو تزكية لأنفسهم بلا علم كما سنذكر أقوالهم إن شاء الله في ذلك، وأما الموافاة؛ فما علمتُ أحدًا من السلف علَّل بها الاستثناء؛ ولكن كثير من المتأخرين يُعلل بها من أصحاب الحديث من أصحاب أحمد ومالك والشافعي وغيرهم، كما يعلل بها نظارهم كأبي الحسن الأشعري وأكثر أصحابه، لكن ليس هذا قول سلف أصحاب الحديث. اهـ.

قال محمد بن الحسين:

٣٤٣ ـ من صفة أهل الحقِّ، ممن ذكرنا من أهل العلم: الاستثناءُ في الإيمان، لا على جهة الشَّكِّ، نعوذ بالله من الشَّكِّ في الإيمان؛ ولكن خوفَ التزكيةِ لأنفسهم من الاستكمال للإيمان، لا يدري أهو ممن يستحقُّ حقيقة الإيمان أم لا؟

وذلك أن أهل العلم من أهل الحقِّ إذا سُئِلوا: أمؤمن أنت؟

قال: آمنت بالله، وملائِكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والجنة والنار، وأشباه هذا، فالناطق بهذا، والمُصدِّق بقلبه مؤمن، وإنما الاستثناءُ في الإيمان لا يدري: أهو ممن يستوجب ما نَعَتَ الله ﷻ به المؤمنين من حقيقة الإيمان أم لا؟

هذا طريق الصحابة ﷺ والتابعين لهم بإحسان؛ عندهم أن الاستثناءَ[1] لا يكون في القول والتصديق في القلب، وإنما الاستثناءُ في الأعمال الموجبة لحقيقة الإيمان، والناس عندهم على الظاهر مؤمنون، به يتوارثون، وبه يتناكحون، وبه تجري أحكام مِلَّة الإسلام؛ ولكن الاستثناءَ منهم على حسب ما بيَّناه لك، وبينه العلماء من قبلنا.

روي في هذا سُننٌ كثيرة، وآثارٌ تدلُّ على ما قلنا.

• قال الله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]. وقد عَلِم تعالى أنهم داخلون.

• وقد [٢٦/ب] دخل النبي ﷺ المقبرة، فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاءَ الله بكم لاحقون»[2].

---

(١) في هامش الأصل: (الاستثناء في الأعمال) خه.
(٢) سيأتي تخريجه برقم (٣٥٣).

• وقال ﷺ: «إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله تعالى»(١).

• وروي أن رجلًا قال عند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أنا مؤمن.

فقال ابن مسعود: أفأنت من أهل الجنة؟

قال: أرجو.

قال ابن مسعود: أفلا وكلت الأُولى كما وكلت الأُخرى؟

• وقال رجلٌ لعلقمة: أمؤمن أنت؟ قال: أرجو إن شاءَ الله.

قال محمد بن الحسين:

وهذا مذهبُ كثيرٍ من العلماء، وهو مذهب أحمدَ بنِ حنبل، واحتجَّ أحمدُ بما ذكرنا، واحتجَّ بمساءَلة المَلكين في القبر للمؤمن، ومجاوبتهما له، فيقولان له: «على اليقينِ كنتَ، وعليه مُتَّ، وعليه تبعث يوم القيامة إن شاءَ الله»، ويقال للكافر والمنافق: «على شكٍّ كنت، وعليه مُت، وعليه تبعث إن شاءَ الله»(٢).

٣٤٤ ـ حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، قال: ثنا أبو بكر الأثرم، قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل سُئِل عن الاستثناءِ في الإيمان ما تقول فيه؟

فقال: أمَّا أنا فلا أَعِيبه.

قال أبو عبد الله: إذا كان يقول: الإيمان قول وعمل، فاستثنى مخافةً واحتياطًا، ليس كما يقولون على الشكِّ، إنما يستثني للعمل، قال الله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]، هذا استثناءٌ بغير شكٍّ.

---

(١) رواه مسلم (١١١٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) احتج به الإمام أحمد رحمه الله في «الإيمان» (١٧/ بتحقيقي)، وهو حديث عائشة رضي الله عنها.

وقال ﷺ: «إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله تعالى».

قال: هذا كله تقويةٌ للاستثناء في الإيمان.

٣٤٥ ـ وحدثنا جعفر الصندلي، قال: ثنا الفضل بن زياد، قال: سمعت أبا عبد الله: يُعجبه الاستثناءُ في الإيمان، فقال له رجل: إنما الناسُ رجلانِ: مؤمنٌ وكافر.

فقال أبو عبد الله: فأين: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴿١٠٦﴾﴾ [التوبة][1].

---

(١) لما كان الإيمان عند الخوارج والمرجئة لا يتبعَّض ولا يتجزَّأ، كان الناس عندهم: إما مؤمن، وإما كافر، لا ثالث لهما.

فالمؤمن عند الخوارج: هو من فعل جميع الواجبات، وترك جميع المحرمات، فمن لم يكن كذلك فهو كافر مخلد في النار.

والمؤمن عند المرجئة: هو من قال بلسانه، وصدَّق بقلبه، ولو ترك جميع الفرائض، وارتكب جميع المحارم، فهو مؤمن مستكمل الإيمان.

ولا منزلة عندهم للفاسق، فالخوارج ألحقوه بجملة الكفار، والمرجئة ألحقوه بجملة المؤمنين. وهدى الله ﷻ أهل السُّنة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، فقالوا بموجب النصوص من الكتاب والسُّنة، فقسموا الناس إلى ثلاث طوائف:

١ ـ مؤمن فعل الواجبات والمستحبات، وترك المحرمات والمكروهات.

٢ ـ مسلم ترك شيئًا من الفرائض غير الصلاة، أو ارتكب شيئًا من المحرمات غير الشرك، فخرج بذلك من دائرة الإيمان إلى دائرة الإسلام، وهو تحت مشيئة الله تعالى، إن شاء عذَّبه، وإن شاء غفر له إن مات على ذلك من غير توبة.

٣ ـ كافر بالله العظيم، وهو من لم يؤمن أصلًا أو أتى بما يخرجه من دائرة الإسلام مما دل عليه الكتاب والسُّنة.

* انظر: «المدخل إلى الجامع في كتب الإيمان» (١/٢٤٦) (فصل في قول المرجئة: إنما الناس مؤمن وكافر، وقول أهل السنة: مسلم ومؤمن وكافر).

٣٤٥/ أ ـ قال: وسمعت أبا عبد الله يقول: سمعت يحيى بن سعيد يقول: ما أدركتُ أحدًا إلَّا على الاستثناء.

٣٤٥/ ب ـ قال: وسمعتُ أبا عبد الله ـ مرَّة أُخرى ـ يقول: سمعت يحيى يقول: ما أدركتُ أحدًا من أهل العلم، ولا بلغني إلَّا على الاستثناء.

٣٤٥/ ج ـ قال: وسمعت أبا عبد الله يقول: سمعتُ سفيان بن عيينة إذا سُئِل: أمؤمن أنت؟ إن شاءَ لم يُجبه.

وإن شاءَ قال: سؤالُك إيايَ بدعةٌ، ولا أشكُّ في إيماني.

ولا يُعنِّف من قال: إن الإيمان ينقص،

أو قال: إن شاءَ الله، ليس يكرهه، وليس بداخل في الشَّكِّ.

٣٤٥/ د ـ قال: وسمعتُ أبا عبد الله يقول: إذا قال: أنا مؤمن إن شاءَ الله؛ فليس هو بشاكٌّ.

قيل له: إن شاءَ الله، أليس هو شكًّا؟

قال: معاذَ الله! أليس قد قال الله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الفتح: ٢٧] وفي علمه أنهم يدخلون؟

وصاحب القبر إذا قيل له: «وعليه تُبعثُ إن شاءَ الله»، فأيُّ شكٍّ هاهنا؟!

وقال النبي ﷺ: «وإنّا إن شاءَ الله بكم لاحقون».

٣٤٥/ هـ ـ وسمعت أبا عبد الله يقول: ثنا وكيع، قال: قال سفيان: الناس عندنا مؤمنون في الأحكام والمواريث، ولا ندري كيف هم عند الله تعالى؟ ونرجو أن نكون كذلك(١).

---

(١) رواه الخطيب في «تاريخه» (٣/ ٣٧١) من طريق وكيع، قال: سمعت سفيان =

٣٤٦ ـ وحدثنا ابن مخلد، قال: ثنا أبو داود، قال: سمعت أحمد، قال: سمعت سفيان يقول: إذا سُئِل أمؤمن أنت؟

إن شاءَ لم يُجبه.

أو يقول له: سؤالك إيايَّ بدعة، ولا أشكُّ في إيماني.

الثوري يقول: . . وذكره. ثم قال وكيع: وقال أبو حنيفة: من قال بقول سفيان هذا فهو عندنا شاكٌّ، نحن المؤمنون هنا، وعند الله حقًّا!!

قال وكيع: ونحن نقول بقول سفيان، وقول أبي حنيفة عندنا جُرأة. اهـ.

قلت: أهل السنة يُفرِّقون في الأحكام على الناس بين الحكم في الدنيا، والحكم في الآخرة.

ـ قال ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (٧/ ٦٢٠): وبالجملة فأصل هذه المسائل أن تعلم أن الكفر نوعان: كفر ظاهر، وكفر نفاق، فإذا تُكلم في أحكام الآخرة كان حكم المنافق حكم الكفار، وأما في أحكام الدنيا فقد تجري على المنافق أحكام المسلمين. اهـ.

ـ وقال ابن القيم رحمه الله في «المدارج» (١/ ٥٢٥): ولأن شرائع الإسلام على الأفعال الظاهرة، وأما حقائق الإيمان الباطنة فتلك عليها شرائع الثواب والعقاب، فللّه تعالى حكمان: حكم في الدنيا على الشرائع الظاهرة وأعمال الجوارح، وحُكم في الآخرة على الظواهر والبواطن، ولهذا كان النبي ﷺ يقبل علانية المنافقين، ويكل أسرارهم إلى الله فيُناكحون، ويرثون ويورثون، ويعتد بصلاتهم في أحكام الدنيا، فلا يكون حكمهم حكم تارك الصلاة، إذ قد أتوا بصورتها الظاهرة، وأحكام الثواب والعقاب ليست إلى البشر، بل إلى الله، والله يتولاه في الدار الآخرة. اهـ.

ـ قال أبو عُبيد القاسم بن سلَّام رحمه الله في «الإيمان» (٤٩): وأما على أحكام الدنيا؛ فإنهم يسمُّون أهل الملَّة جميعًا مؤمنين؛ لأن ولايتهم، وذبائحهم، وشهاداتهم، ومناكحتهم، وجميع سُننهم إنما هي على الإيمان. اهـ.

ـ وفي «السنة» للخلال (٩٧١) عن إسماعيل بن سعيد، قال: سألت أحمد: من قال: أنا مؤمن عند نفسي من طريق الأحكام والمواريث، ولا أعلم ما أنا عند الله عز وجل.

قال: ليس هذا بمُرجئ.

وقال: (إن شاءَ الله)؛ ليس يُكره، وليس بداخلٍ في الشَّكِّ.

٣٤٦/ أ ـ قال: وسمعت أحمد، قال: سمعت يحيى بن سعيد، قال: ما أدركت أحدًا من أصحابنا، ولا بلغني إلَّا على الاستثناء.

وقال: قال يحيى: الإيمان: قول وعمل.

٣٤٦/ ب ـ وسمعت أحمد، قال: ثنا وكيع، قال: قال سفيان: الناس عندنا مؤمنون في الأحكام والمواريث، فنرجو أن نكون كذلك، ولا ندري حالنَا عند الله تعالى.

٣٤٦/ د ـ وسمعت أحمد، قال: قال يحيى بن سعيد: كان سفيان يُنكر أن يقول: أنا مؤمن.

٣٤٧ ـ وحدثنا جعفر الصندلي، قال: ثنا الفضل بن زياد، قال: سمعت أبا عبد الله يقول: حدثني مُؤمَّل، قال: ثنا حماد بن زيد، قال: سمعت هشامًا يذكر، قال: كان الحسن ومحمد: يهابانِ أن يقولا: مؤمن، ويقولان: مسلم[1].

٣٤٨ ـ وحدثنا أبو نصر محمد بن كردي، قال: ثنا أبو بكر المروذي، قال: قيل لأبي عبد الله: يقول: نحن المؤمنون؟

قال: يقول: نحن المسلمون، ثم قال أبو عبد الله: الصوم والصلاة والزكاة من الإيمان.

قيل له: فإن استثنيتُ في إيماني أكون شاكًّا؟

قال: لا[2].

---

(١) تقدم الكلام على الفرق بين الإسلام والإيمان تحت الأثر رقم (٢٥٧).

(٢) المرجئة يُحرِّمون الاستثناء في الإيمان باعتبار أنه شك عندهم، وصار بعضهم يلمز أئمة السلف بأنهم (شُكَّاك)، بل عدَّ بعض مُتعصبتهم قول: (مؤمن إن شاء الله) من ألفاظ الكفر والردة، وبنوا عليها بطلان نكاح الحنفي من الشافعية =

٣٤٩ ـ وحدثنا أبو نصر، قال: ثنا أبو بكر المروذي، قال: ثنا أبو عبد الله، قال: حدثني علي بن بحر، قال: سمعت جرير بن عبد الحميد يقول: الإيمان قول وعمل.

لأنهم يرون الاستثناء في الإيمان شكًّا كما هو مشهور في كتبهم، وقد نقلت بعض أقوالهم في «المدخل في كتب الإيمان» (١/ ٢٣١).

- قال ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (٧/ ٦٦٦): وقالت المرجئة والمعتزلة: لا يجوز الاستثناء فيه بل هو شك. اهـ.

- في «السنة» لعبد الله (٧٢٣) قال محمد بن ذكوان: قلت لحماد [ابن أبي سُليمان المرجئ]: كان إبراهيم [النخعي] يقول بقولكم في الإرجاءِ؟

قال: لا، كان شاكًّا مثلك.

- وفي «الضعفاء» للعقيلي (٣٣٨٤)، و«الثقات» لابن حبان (٢/ ١٣٦) قال خويل: قلت لعبد العزيز بن أبي روَّاد: ما تقول في الإيمان؟

قال: هو قولٌ بلا عمل.

قال: قلت: إن أصحابنا لا يقولون هذا. قال: ومن أصحابُكم؟

قلت: أيوب، وابن عون، ويونس.

قال: شكَّاكٌ، لا أكثر الله في المسلمين مثل هؤلاء.

- وفي «السُّنة» لعبد الله (٧٢٠) قال الليث بن خالد البلخي: سمعتُ حماد بن زيد، وسألناه عن رجل مِن بلادنا؛ فعرفناه، فقال: ما كان أجرأه، كان يقول: أنا مؤمنٌ حقًّا البتة. ويُسمُّونا: (الشُّكَّاك)! والله ما شككنا في ديننا قطّ؛ ولكن جاءت أشياء؛ أليس ذُكِرَ أن اليسير مِن الرِّياء شِركٌ؟! فأيُّنا لم يُراء؟!.

- قال حرب بن إسماعيل الكرماني رحمه الله في «عقيدته» التي نقل فيها إجماع من أدركهم من أهل العلم (١١٣): فأما (المُرجئةُ): فإنهم يُسمُّون أهلَ السُّنةِ: (شُكَّاكًا).

وكذبتِ المُرجئةُ؛ بل هم أولى بالشَّكِّ وبالتكذيب. اهـ.

- وقال ابن القيم رحمه الله: وكذلك المرجئة سموا من قال في الإيمان بقول الصحابة والتابعين واستثنى فيه فقال: (أنا مؤمن إن شاء الله): شاكًّا. وهذا شأن كل مبطل ومبتدع، يُلقِّب الحق وأهله بالألقاب الشنيعة المُنفِّرة.. إلخ.

[«مختصر الصواعق المرسلة» (ص١٤٤)].

قال: وكان الأعمش، ومنصور، ومغيرة، وليث، وعطاء بن السائب[١]، وإسماعيل بن أبي خالد، وعمارة بن القعقاع، والعلاء بن المسيب، وابن شُبرمة، وسفيان الثوري، وأبو يحيى صاحب الحسن وحمزة الزيات يقولون: نحن مؤمنون إن شاء الله، ويَعيبون على من لم يستثن.

٣٤٩/أ ـ قال أبو بكر المروذي: سمعت بعض مشيختنا يقول: سمعت عبد الرحمٰن بن مهدي يقول: إذا ترك الاستثناء؛ فهو أصل[٢] الإرجاء[٣].

٣٥٠ ـ حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، قال: ثنا محمد بن المثنى أبو موسى الزَّمِن، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا يونس، عن الحسن، قال: قال رجلٌ عند ابن مسعود رضي الله عنه: إني مؤمن.

---

(١) في الأصل: (عطاء، وابن السائب)، والتصويب من «السُّنة» لعبد الله بن أحمد (٦٧٥)، و«الإبانة الكبرى» (١٢٧٤ و١٢٨٠).

(٢) وفي «السُّنة» للخلال (١٠٤٤): عن أبي عبد الله قال: بلغني عن عبد الرحمٰن بن مهدي أنه قال: أول الإرجاء: ترك الاستثناء.

قلت: وما أثبته موافق لما في «الإبانة الكبرى» (١٢٧٤).

(٣) مخالفتهم لأهل السُّنة في هذه المسألة مبنية على أصل الخلاف في حقيقة الإيمان ما هو؟ وهل يزيد وينقص أم لا؟ وهل له شعب وأجزاء؟ أم هو شيء واحد لا يتبعَّض، ولا يتجزأ، إذا ذهب بعضه ذهب كله؟

فلما خالفوا أهل السنة في هذه المسائل ترتب عليها مخالفتهم في الاستثناء.

ـ في «السُّنة» للخلال (١٠٥٠) قال الإمام أحمد رحمه الله: لو كان القول كما تقول المرجئة: إن الإيمان قول، ثم استثنى بعْدُ على القول؛ لكان هذا قبيحًا أن تقول: (لا إله إلَّا الله) إن شاء الله؛ ولكن الاستثناء على العمل.

* انظر: «المدخل إلى الجامع في كتب الإيمان» (١/ ٢٣١) (فصل المرجئة يحرمون الاستثناء في الإيمان، ويلمزون أهل السنة: بالشكاك).

قال: فقيل له: يا أبا عبد الرحمن، يزعم أنه مؤمن.

قال: فسلوه؛ أهو في الجنة أو في النار؟

فسألوه. فقال: الله أعلم.

فقال: ألا وَكَلْتَ الأولى [٢٧/أ] كما وَكَلْتَ الآخرة.

٣٥١ ـ **وحدثنا** ـ أيضًا ـ أبو بكر، قال: ثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، قال: قيل لعلقمة: أمؤمن أنت؟

قال: أرجو إن شاءَ الله تعالى.

٣٥٢ ـ **حدثنا** أبو بكر ـ أيضًا ـ، قال: ثنا محمد بن المُثنى، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، قال: قال رجلٌ لعلقمة: أمؤمن أنت؟ قال: أرجو.

٣٥٣ ـ **حدثنا** الفريابي، قال: ثنا قتيبة بن سعيد، عن مالك بن أنس، عن العلاءِ بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة ﷺ: أن النبي ﷺ أتى المقبرة، فقال: «السلامُ عليكم دارَ قومٍ مؤمنين، وإنا إن شاءَ الله بكم لاحقون..»[1]. وذكر الحديث.

قال محمد بن الحسين:

فيما ذكرتُ من هذا الباب مَقنعٌ إن شاءَ الله ولا قوة إلَّا به.

---

(١) رواه أحمد (٧٩٩٣ و٨٨٧٨)، ومسلم (٢٤٩).

ـ في «السنة» للخلال (١٠٣٤) قال حرب الكرماني: سمعت أحمد يقول في التسليم على أهل القبور أنه قال: «وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»، قال: هذا حُجَّة في الاستثناء في الإيمان؛ لأنه لا بُدَّ من لحوقهم، ليس فيه شكٌّ، وقال الله ﷻ: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الفتح: ٢٧]، وهذه حُجَّة أيضًا؛ لأنه لا بُدَّ داخلوه.

٢٨ ـ باب

فيمن كره من العلماءِ لمن يسأل لغيره، فيقول له: أنت مؤمن؟ هذا عندهم مبتدع رجل سوءٍ(١)

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللهُ:

٣٥٤ ـ إذا قال لك رجل: أنت مؤمن؟ فقُل:

أ ـ آمنت بالله، وملائِكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والموت، والبعث من بعد الموت، والجنة والنار.

ب ـ وإن أحببت أن لا تُجيبه؛ تقول له: سؤالُك إيَّايَ بدعةٌ، ولا أُجيبُك.

---

(١) عقد ابن بطة رَحِمَهُ اللهُ في «الإبانة الكبرى» بابًا نحوه، فقال: (٣٠/ باب سؤال الرجل لغيره أمؤمن أنت؟ وكيف الجواب له؟ وكراهية العلماء هذا السؤال، وتبديع السَّائل عن ذلك).

قلت: أنكر أئمة السُّنة: سؤال الرجل للرجل: أمؤمن أنت؟ وعدوا هذا السؤال بدعة في الدين. وسبب ذلك أن المرجئة هم الذين أحدثوا هذا السؤال لتشكيك الناس في إيمانهم، والسخرية بأهل السُّنة بأنهم يشكون في إيمانهم.

ـ قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ «مجموع الفتاوى» (٧/ ٤٤٨): وقد كان أحمد وغيره من السَّلف مع هذا يكرهون سؤال الرَّجل لغيره: أمؤمن أنت؟ ويكرهون الجواب؛ لأن هذه بدعة أحدثها المرجئة ليحتَجُوا بها لقولهم؛ فإن الرَّجل يعلم من نفسه أنه ليس بكافرٍ؛ بل يجد قلبه مُصدِّقًا بما جاء به الرسول ﷺ فيقول: (أنا مؤمن)، فيثبت أن الإيمان هو التصديق؛ لأنك تجزم بأنك مؤمن، ولا تجزم بأنك فعلت كلّ ما أُمِرت به؛ فلما عَلِمَ السَّلف مَقصدهم صاروا يكرهون الجواب، أو يُفصِّلون في الجواب. اهـ.

ح - وإن أجبتَه فقل: (أنا مؤمنٌ إن شاءَ الله) على النعت الذي ذكرناه فلا بأس به.

واحذر مُناظرة مثل هذا؛ فإن هذا عند العلماء مذموم، واتبع أثرَ مَنْ مضى من أئمة المسلمين تسلمْ إن شاء الله.

٣٥٥ - حدثني عمر بن أيوب السقطي، قال: ثنا محمد بن سليمان لُوَين، قال: قيل لسفيان بن عيينة: الرجل يقول: مؤمن أنت؟

قال: ما أشكُّ في إيماني، وسؤالُك إيَّايَ بدعةٌ.

وقال: ما أدري أنا عند الله، شقيٌّ أم سعيد؟ أمقبول العمل أم لا؟

٣٥٦ - وحدثني عمر بن أيوب، قال: ثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن الحسن بن عُبيد الله، قال: قال لي إبراهيم: إذا قيل لك: أمؤمن أنت؟ فقل: أرجو.

٣٥٧ - حدثنا أبو نصر، قال: ثنا أبو بكر المروذي، قال: ثنا أحمد بن حنبل، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: حدثني سفيان، عن مُحِلٍّ[1]، قال: قال لي إبراهيم: إذا قيل لك: أمؤمن أنت؟ فقل: آمنت بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله.

٣٥٧/أ - قال: وحدثني أحمد، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: ثنا سفيان، عن معمر، عن ابن طاووس، عن أبيه، مثله.

٣٥٧/ب - وبإسناده قال: ثنا أحمد، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: حدثني حماد بن زيد، عن يحيى بن عتيق، وحبيب بن الشهيد، عن محمد بن سيرين، قال: إذا قيل لك: أمؤمنٌ أنت؟

فقل: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

---

(١) في هامش الأصل: (بن خليفة) خ.

٣٥٧/ج - وبإسناده: عن عبد الرحمٰن بن مهدي، قال: ثنا سفيان، عن الحسن بن عمرو، عن إبراهيم، قال: إذا قيل لك: أمؤمن أنت؟ فقل: لا إله إلَّا الله.

٣٥٨ - حدثنا أبو نصر، قال: ثنا أبو بكر، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا عبد الرحمٰن بن مهدي، قال: حدثني حسن(١) بن عياش، عن مُغيرة، عن إبراهيم، قال: سؤال الرجلِ الرجلَ: أمؤمن أنت؟ بدعة.

٣٥٩ - حدثنا أبو نصر، قال: ثنا أبو بكر، قال: ثنا أبو عبد الله، قال: ثنا أبو معاوية، قال: ثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، قال: تكلم عنده رجلٌ من الخوارج بكلام كرهه، فقال علقمة: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب].

قال له الخارجيُّ: أوَمِنْهم أنت؟ قال: أرجو.

٣٦٠ - حدثنا أبو نصر، قال: ثنا أبو بكر، قال: ثنا أبو عبد الله، قال: ثنا عبد الرازق، قال: أنا معمر، عن ابن طاووس، عن أبيه: أنه كان إذا قيل له: أمؤمن أنت؟

قال: آمنت بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، لا يزيد على هذا.

٣٦٠/أ - وبإسناده: عن أحمد، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن الحسن بن عمرو، عن فضيل، عن إبراهيم قال: إذا سئِلت: أمؤمن أنت؟

فقل: لا إله إلَّا الله؛ فإنهم سَيَدَعونك.

٣٦١ - حدثنا ابن عبد الحميد، قال: ثنا زهير بن محمد، قال: أنا معاوية بن عمرو، عن أبي إسحاق الفزاري، قال: قال الأوزاعي في الرجل يُسأل: أمؤمن أنت؟

---

(١) في الأصل: (حسين)، والصواب ما أثبته كما في «السنة» لعبد الله (٦٣١).
والحسن هو أخو أبي بكر بن عياش، ترجمته في «تهذيب الكمال» (٦/ ٢٩١).

فقال: إن المسألة عما تسأل عنه بدعة، والشهادة به تعمُّقٌ لم نُكلَّفه في ديننا، ولم يشرعه نبينا، ليس لمن يسأل عن ذلك فيه إمامٌ، القول به جدلٌ، والمنازعة فيه حدث.

ولعمري ما شهادتُك لنفسك بالتي تُوجب لك تلك الحقيقةَ إن لم تكن كذلك، ولا تركُكَ الشهادةَ لنفسك بها بالتي تخرجك من الإيمان، إن كنت كذلك.

وإن الذي يسألك عن إيمانك، ليس يشكُّ في ذلك منك؛ ولكنه يريد أن ينازع الله تعالى عِلمه في ذلك حتى يزعُم أن علمه وعلم الله تعالى في ذلك سواءٌ.

فاصبر نفسك على السُّنة، وقف حيث وقف القوم، وقل فيما قالوا، وكفّ عما كفوا، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يَسعك ما وسعهم.

وقد كان أهلُ الشامِ في غفلةٍ من هذه البدعةِ حتى قذفها إليهم بعضُ أهلِ العراق ممن دخل في تلك البدعة، بعد ما ردَّ عليهم فقهاؤهم وعلماؤهم، فأشربتها قلوب طوائِف منهم، واستَحلَتْها ألسنتهم، وأصابهم ما أصاب غيرهم من الاختلاف، ولستُ بآيس أن يدفع الله ﷻ شرَّ هذه البدعة، إلى أن يصيروا إخوانًا في دينهم، ولا قوة إلَّا بالله.

ثم قال الأوزاعي: ولو كان هذا خيرًا ما خُصصتم به دون أسلافكم، فإنه لم يُدَّخر عنهم خير خُبئَ لكم دونهم لفضل عندكم، وهم أصحاب نبينا الذين اختارهم[1] له، وبعثه فيهم، ووصفه بهم، فقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ [الفتح: ٢٩] إلى آخر السورة.

---

(١) في هامش الأصل: (الله) خه.

٢٩ ـ بَاب

في المرجئَة، وسوءِ مذاهبهم عند العلماء(١)

(١) عقد ابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ في «الإبانة الكُبرى» بابًا نحوه، فقال: (٣١/ باب القول في المرجئة، وما روي فيه، وإنكار العلماء لسوء مذاهبهم).

ولا يخلو كتاب من كتب أهل السنة في الاعتقاد إلا وفيه التحذير من فرقة المرجئة، ومن ذلك: «السُّنة» لحرب الكرماني: (٥/ باب الصلاة خلف المرجئ). و«السُّنة» للخلال: (٧٣/ باب الصلاة خلف المرجئة)، و(٧٤/ باب مجانبة المرجئة)، و(٧٥/ باب مناكحة المرجئة)، واللالكائي (سياق ما روي في تضليل المرجئة وهجرانهم، وترك السلام عليهم، والصلاة خلفهم، والاجتماع معهم)، و(سياق ما نقل من مقابح مذاهب المرجئة)، و(سياق ما روي متى حدث الإرجاء في الإسلام وفشا؟).

وقد انعقد إجماع السلف الصالح ومَنْ بعدَهم من علماء السُّنة والآثار على إخراج المرجئة من أهل السنة والجماعة، وعدِّهم من الفرق المبتدعة الهالكة الذين أخبر النبي ﷺ أن أُمته ستفترق عليها وأنها في النار.

وقد نقل أبو عُبيد القاسم بن سلَّام، ويعقوب بن يوسف، والآجري، وابن بطة رحمهم الله وغيرهم اتفاق السلف على ذمهم، وتضليلهم، وإخراجهم من السُّنة والجماعة.

ـ قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «مجموع الفتاوى» (٧/ ٦٢١): بدعة الإرجاء التي أعظم السَّلفُ والأئمةُ الكلامَ في أهلها، وقالوا فيها من المقالات الغليظة ما هو معروف. اهـ.

ـ وقال (٧/ ٥٥٥): والسلف اشتد نكيرهم على المرجئة لَمَّا أخرجوا العمل من الإيمان. اهـ.

ـ وقال (١/ ١٧٦) وهو يتكلم عن مرجئة الفقهاء: فإن هؤلاء لم يكفرهم =

أحدٌ من الأئمة وإنما بدَّعوهم. اهـ.

- وقال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ في «جامع العلوم والحكم» (١/ ١٤٥): وأنكر السلف على من أخرج الأعمال من الإيمان إنكارًا شديدًا، وممن أنكر ذلك على قائله، وجعله قولًا مُحدَثًا.. إلخ. وذكر جُملةً من أسماء أئمة السُّنة والحديث.

قلت: واعلم أن النعت الجامع لجميع فرق المرجئة هو إخراجهم العمل من الإيمان، وتصحيحهم إيمان العبد من غير اعتبار لزوم العمل، فهذا هو لُبُّ المسألة، وأصل الخلاف الذي وقع بين المرجئة وبين أهل السُّنة والحديث، فمن صحَّح إيمان العبد بغير لزوم العمل فهو من المرجئة وإن تسمى بأي اسم من الأسماء.

والخلاف بين أهل السنة والمرجئة وقع في مسائل شتى مما يتعلق بأبواب الإيمان ليست في منزلة واحدة من الحكم، بل بعضها يصل إلى الحكم بالكفر، وبعضها دون ذلك.

وأشهر هذه المسائل التي حدث فيها «الخلاف بين السلف والمرجئة أو (مرجئة الفقهاء):

١ - ظنهم أن الإيمان شيء واحد لا يتعدد، ولا يتبعض، ولا يتفاضل أهله فيه.

٢ - حصرهم الإيمان في تصديق القلب وقول اللسان.

٣ - إخراجهم أعمال القلوب من الإيمان.

٤ - إخراجهم أعمال الجوارح من الإيمان.

٥ - أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص.

٦ - أن الاستثناء في الإيمان لا يجوز.

٧ - أن مرتكب الكبيرة عندهم مؤمن كامل الإيمان.

٨ - زعمهم أن المسلم لا يمكن أن يقع في النفاق الأصغر أو الشرك الأصغر».

هذه أشهر المسائل التي أخذت على المرجئة وتُكُلِّمَ فيهم بسببها.

* انظر: «المدخل إلى الجامع في كتب الإيمان» (١/ ٣٠٩) (المبحث السادس: حقيقة المرجئة عند أهل السنة والحديث).

٣٦٢ ـ حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، قال: ثنا زهير بن محمد المروزي، قال: ثنا محمد بن كثير، عن الأوزاعي، عن الزهري، قال: ما ابتُدِعتْ في الإسلام بدعةٌ أضرُّ على أهله من هذه ـ يعني: الإرجاء ـ.

٣٦٣ ـ حدثنا إسحاق بن أبي حسان الأنماطي، قال: ثنا هشام[(١)] بن عمار الدمشقي، قال: ثنا شهاب بن خِرَاش، عن أبي حمزة التمار[(٢)] الأعور، قال: قلت لإبراهيم: ما ترى في رأي المرجئة؟

فقال: أوَّه[(٣)]، لَفَّقُوا قولًا، فأنا أخافُهم على الأُمة، والشرُّ من أمرهم كثير، فإياك وإياهم[(٤)].

٣٦٤ ـ حدثنا أبو نصر محمد بن كُردي، قال ثنا أبو بكر المروذي، قال: ثنا أبو عبد الله ـ يعني: أحمد بن حنبل ـ قال: ثنا محمد بن بشر، قال: حدثني سعيد بن صالح، عن حكيم بن جبير، قال: قال إبراهيم: المرجئةُ أخوفُ عندي على الإسلام من عِدَّتِهم من الأزارقة[(٥)].

---

(١) في الأصل: (هاشم)، وفي هامشه: (هشام) ح. وهو الصواب.

(٢) في الأصل: (الثمالي). وفي هامشه: (التمار) خ ع. وهو الصواب. وهو كذلك في «الإبانة الكبرى» (١٣٣٠).

(٣) في الهامش: (أُوْه) خ.

(٤) وفي «السُّنة» لابن شاهين (١٣) قال إبراهيم: وما من أهل هذه القبلة أضلّ عندي من المرجئة.

* انظر: «المدخل إلى الجامع في كتب الإيمان» (١/ ٣٧٩) (فصل من قال: مذهب الإرجاء شر المذاهب وأخبثها).

(٥) (الأزارقة): أتباع نافع بن الأزرق، وهم فرقة من فرق الخوارج، وقعت فتنتهم عقب موت يزيد بن معاوية، واستمرت أكثر من عشرين سنة، وهم من أشرّ فرق الخوارج وأقبحها.

ـ وفي «السنة» لعبد الله بن أحمد (٦٨٤) قال إبراهيم: الخوارجُ أعذرُ عندي مِن المُرجئة.

=

٣٦٥ - حدثنا ابن عبد الحميد، قال: ثنا يوسف بن موسى القطان، قال: ثنا الضحاك بن مخلد، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي عمرو السيباني، عن حذيفة رضي الله عنه، قال: إني لأعرف أهل دِيْنَيْنِ، أهل ذلك الدينين في النار،

قومٌ يقولون: الإيمان كلام وإن زنى وقتل.

وقومٌ يقولون: إن أَوَّلِينَا لَضُلَّالٌ، ما بال خمس صلوات، وإنما هما صلاتان: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ [الإسراء: ٧٨].

٣٦٦ - حدثنا أبو نصر، قال: ثنا أبو بكر، قال: ثنا أبو عبد الله، قال: ثنا الوليد بن مسلم، قال: ثنا أبو عَمرو، عن يحيى بن أبي عَمرو السيباني، عن حذيفة رضي الله عنه قال: إني لأعلم أهل دينين هذينك الدينين في النار:

قومٌ يقولون: الإيمان كلام.

وقومٌ يقولون: ما بال الصلوات الخمس؟ وإنما هما صلاتان.

٣٦٧ - وحدثنا أبو نصر، قال: ثنا أبو بكر، قال: ثنا أبو عبد الله، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: حدثني حماد بن سلمة، عن عطاءِ بن السائِب، عن سعيد بن جبير، قال: مَثَلُ المرجئَةِ مَثَلُ الصابئِين[1].

قلت: ذلك لأن الخوارج يُعظِّمون العمل والفرائض، ويُشدِّدون في ارتكاب المحرمات بخلاف المرجئة الذين يتركون العمل، ويجعلون مرتكب المحرمات مؤمنًا مستكمل الإيمان، ولهذا قال إبراهيم رحمه الله: تَرَكَتِ المرجئةُ الدِّينَ أرقَّ مِن ثوب سابِريّ. «الإيمان» لأحمد (١٩٩).

والثوب (السَّابري): هو الثوب الرقيق الذي لابسه بين العاري والمكتسي.

(١) (الصابئ) عند العرب كما قال السَّمعاني في «مجموع غرائب الحديث» (٢/ ٦١٠): هو الخارج من دينٍ إلى دين، ومنه: الصابئون؛ لأنهم فارقوا دين اليهود والنصارى. اهـ.

ووجه تشبيههم بالصابئين، أنهم قالوا بألسنتهم كلمة التوحيد فوافقوا المسلمين في الكلمة، وتركوا العمل وأخرجوه من الإيمان فوافقوا المشركين الكافرين في ترك العمل والانقياد للشريعة، قال تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ =

وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الروم].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٧﴾﴾ [فصلت].

ويزيده بيانًا ما رواه الإمام أحمد في «الإيمان» (١٩٥) عن سعيد بن جبير ـ وهو قائل هذا الأثر ـ، عن عطاء بن السَّائب قال: ذكرَ سعيد بن جُبير المُرجئةَ، قال: فضربَ لهم مثلًا؛ قال: مثلهم مثل الصَّابئين؛ أنهم أتوا اليهودَ، فقالوا: ما دينكم؟ قالوا: اليهودية.

قالوا: فما كتابكم؟ قالوا: التوراة.

قالوا: فمن نبيُّكم؟ قالوا: موسى.

قالوا: فماذا لمن تبِعَكم؟ قالوا: الجنَّة.

ثم أتوا النصارى؛ فقالوا: ما دينكم؟ قالوا: النَّصرانية.

قالوا: فما كتابُكم؟ قالوا: الإنجيلُ.

قالوا: فمن نبيُّكم؟ قالوا: عيسى.

ثم قالوا: فماذا لمن تبعكم؟ قالوا: الجنَّة.

قالوا: فنحن به ندين.

* «فائدة»: ومما روي في هذا الباب كذلك:

ما روي عن سعيد بن جبير رَحِمَهُ اللهُ وغيره من تشبيه المرجئة باليهود.

ـ فروى عبد الله بن أحمد في «السُّنة» (٧٠١) عن سعيد بن جبير قال: المرجئة يهود القبلة.

ووجه تشبيههم باليهود: أن اليهود يرتكبون الكبائر ويقولون: سيغفر لنا.

ويقولون: حسناتنا مقبولة، وسيئاتنا مغفورة.

ـ ففي تفسير عبد الرزاق (٩٥٢) قال سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾، قال: يعملون بالمعاصي، ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾.

ـ وفي «مسند إسحاق» (٣/ ٦٧١) قال عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللهُ: المرجئة تقول: حسناتنا مقبولة، وسيئاتنا مغفورة، ولو علمتُ أني قُبِلَتْ مني حسنةٌ لشهدتُ أني في الجنة.

ـ وفي «السنة» للخلال (١٠٨١) قال محمد بن يحيى بن خالد: سئل =

٣٦٨ ـ وحدثنا أبو نصر، قال: ثنا أبو بكر، قال: ثنا أبو عبد الله، قال: ثنا مؤمَّل، قال: ثنا حماد بن زيد، قال: ثنا أيوب، قال: قال لي سعيد بن جبير: ألم أرك مع طَلْقٍ؟

قلت: بلى، فماله؟

قال: لا تُجالسْه فإنه مرجئٌ.

قال أيوب: وما شاورتُه في ذلك، ويحقُّ للمسلم إذا رأى من أخيه ما يكره أن يأمره وينهاه.

٣٦٨/أ ـ قال: وثنا أبو عبد الله، قال: ثنا عبد الله بن نُمير، قال: سمعت سفيان: وذكر المرجئة، فقال: رأي مُحدثٌ، أدركنا الناس على غيره.

٣٦٨/ب ـ قال: وثنا أبو عبد الله، قال: ثنا معاوية بن عمرو، قال: ثنا أبو إسحاق ـ يعني: الفزاري ـ قال: قال الأوزاعي: قد كان يحيى وقتادة يقولان: ليس من الأهواء شيءٌ أخوفُ عندهم على الأُمة من الإرجاء.

٣٦٨/ج ـ قال: وثنا أبو عبد الله، قال: ثنا عبد الله بن نمير، عن جعفر الأحمر، قال: قال منصور بن المُعتمر في شيء: لا أقول كما قالت المرجئة الضالة المبتدعة[1].

إسحاق بن راهويه عن المرجئة، لِمَ سُمُّوا مرجئةً؟

قال: لأنهم لا يرجئون الذنوب إلى الله ﷻ، ويقولون: المؤمن مغفور له وهو في الجنة، وغيرهم يردون الذنوب إلى الله ﷻ.

※ انظر «المدخل إلى الجامع في كتب الإيمان» (١/ ٣٨٢) (فصل من قال: المرجئة يهود القبلة)، و(١/ ٣٨٥) (فصل في من شبَّه المرجئة بالصابئة).

(١) هذا الأثر صريح في تبديعهم وإخراجهم عن السُّنة، وقد تواترت أقوال أئمة السنة ومن بعدهم على الحكم على المرجئة بالبدعة، ومما روي في ذلك:

- في «السنة» لعبد الله (٦٧٩) قال علي بن الحسن بن شقيق: قال رجلٌ لعبد الله بن المبارك: يا معشر المُرجئة. قال: رميتني بهوًى مِن الأهواء.

- وفي «خلق أفعال العباد» للبخاري (٤١) قال وكيع: المرجئة يقولون: الإيمان قول بلا فعل، وهذا بدعة.

- وفي «طبقات علماء إفريقية» (ص٣٧) قال أبو ربيع اللحياني: إن رجلًا قال ليحيى بن السلام البصري (٢٠٠هـ): يا أبا زكرياء، إنهم يقولون: إنك تقول بالإرجاء، فضرب يده على جدار القبلة، وقال له: وربِّ القبلة ما عبدتُ الله على شيء من الإرجاء قط، كيف وقد حدثتُكم أنه بدعة.

- وفي «السُّنة» للخلال (١١٠١) قال أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ في رسالة له: أما ما ذكرتَ من قول من يقول: (إنما الإيمان قول)؛ هذا قول أهل الإرجاء، قول مُحدَث، لم يكن عليه سلفنا ومن نقتدي به..

وقال: فإيَّاكم أن تُزِلَّكم المرجئةُ عن أمر دينكم... إلى آخر الرسالة.

- وقال أبو حاتم وأبو زرعة رحمهما الله في عقيدتهما التي حكيا فيها إجماع العلماء: أدركنا العلماء في جميع الأمصار: حجازًا، وعراقًا، ومصرَ، وشامًا، ويمنًا، فكان من مذهبهم:.. والمرجئة مبتدعة ضُلَّال.

- قال ابن بطة رَحِمَهُ اللهُ في «الإبانة الكبرى» (٨٦٤): فإني مُبيِّنٌ لكم شرائع الإيمان التي أكمل الله بها الدين، وسماكم بها المؤمنين، وجعلكم إخوة عليها متعاونين، وميَّز المؤمنين بها من المُبتدعين المُرجئة الضَّالين، الذين زعموا أن الإيمان قولٌ بلا عملٍ، ومعرفة من غير حركة.اهـ.

- وسيأتي قول المُصنِّف رَحِمَهُ اللهُ (٢٢٥٦): ينبغي لكل من تمسَّك بما رسمناه في كتابنا هذا وهو كتاب «الشريعة» أن يهجر جميع أهل الأهواء من: الخوارج، والقدرية، والمرجئة، والجهمية... إلخ.

قلت: وهذه الأقوال وما سيأتي في التعليق التالي أبلغ رد على من زعم أن المرجئة فرقة من فرق أهل السُّنة والجماعة، وردٌّ كذلك على من ادعى أن الخلاف بين أهل السنة وبين المرجئة خلاف لفظي لا حقيقة له!

* انظر: «المدخل إلى الجامع في كتب الإيمان» (١/ ٣٩٥) (فصل في بطلان قولهم: إن الخلاف بين أهل السنة والمرجئة صوري لفظي!).

٣٦٨/د - قال: وثنا أبو عبد الله، قال: ثنا حجاج، قال: سمعت شريكًا: وذكر المرجئَة، فقال: هم أخبث قوم، وحسبك بالرافضة خُبثًا؛ ولكن المرجئَة يكذبون على الله تعالى(١).

٣٦٩ - حدثنا جعفر بن محمد الصندلي، قال: ثنا الفضل بن زياد، قال: سمعت أبا عبد الله: وسُئِل عن المرجئِ؟

فقال: من قال: إن الإيمان قول.

٣٧٠ - حدثنا جعفر، قال: ثنا الفضل، قال: ثنا أبو عبد الله، قال: ثنا وكيع، قال: ثنا سلمة بن نُبَيط، عن الضحاك بن مزاحم، قال: ذكروا عنده من قال: لا إله إلَّا الله دخل الجنة، فقال: هذا قبل أن تُحدَّ الحدود، وتنزل الفرائض(٢).

---

(١) وممن روي عنه أنه وصفهم بالخبث بسبب اعتقادهم:

- ففي «ذم الكلام» (٤٧٢) قال محمد بن مقاتل: سألت وكيعًا قلت: إن عندنا قومًا يقولون: إن الإيمان لا يزداد. فقال: هؤلاء المرجئة الخبثاء.

- وفي «السنة» لعبد الله (٥٧) قال إسحاق بن بُهلول: قلت ليزيد بن هارون: أُصلِّي خلفَ الجهمية؟ قال: لا.

قلت: أُصلِّي خلفَ المرجئةِ؟ قال: إنهم لخُبثاء.

- وقال حرب الكرماني رَحِمَهُ اللَّهُ في «عقيدته» (٩٢): . . (المرجئة): وهم الذين يزعمون: أن الإيمان قولٌ بلا عملٍ. . . هذا كلُّه قولُ المُرجئة، وهو أخبثُ الأقاويلِ وأضلّه، وأبعده مِن الهُدى.اهـ.

- وقال المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب «الأربعين» (فقرة/ ٥١ بتحقيقي) بعد أن ذكر أن الإيمان لا يكون إلَّا بالإقرار والقول والعمل، قال: هذا مذهب علماء المسلمين قديمًا وحديثًا، فمن قال غير هذا: فهو مرجئٌ خبيثٌ، احذره على دينك. اهـ.

(٢) تقدم قول المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان هذه المسألة برقم (٢٤٦).

وسيأتي نحوه برقم (٣٧٤) عن الزهري رَحِمَهُ اللَّهُ.

٣٧١ ـ أخبرنا خلف بن عَمرو العُكبري، قال: ثنا الحميدي، قال: سمعت وكيعًا، يقول: أهل السُّنة يقولون: الإيمان قول وعمل.

والمرجئة يقولون: الإيمان قول.

والجهمية يقولون: الإيمان المعرفة.

قال محمد بن الحسين:

٣٧٢ ـ من قال: الإيمانُ قولٌ دونَ العملِ، يقال له: رددت القرآنَ، والسُّنةَ، وما عليه جميعُ العلماء، وخرجتَ من قولِ المسلمين، وكفرتَ بالله العظيم[1].

---

(١) تقدم الكلام عن مسألة تكفير المرجئة تحت فقرة رقم (٣١٨).

وأما ظاهر التكفير في هذا الموطن فقد بيَّن فيما سيأتي مَن المقصود بتكفيرهم هاهنا، وأنهم الذين يقولون: (إن الله افترض على الناس فرائض ولم يُرِدْ من العباد أن يعملوها، ورضي منهم بالقول) فقط، فهؤلاء الذي قصدهم المصنف.

وليس هذا بمذهب المرجئة الأوائل أو مَنْ يسمون بـ(مرجئة الفقهاء)، فإن مذهبهم أن هذه الأعمال شرائع وفرائض شرعها الله لعباده؛ ولكنها ليست من الإيمان، فكان إنكر السلف عليهم بسبب إخراجهم الأعمال من الإيمان.

أما ما ذكره المُصنِّف هاهنا من تكفير من قال بأن الله لم يرد من العباد أن يعملوا بالفرائض فقد نصَّ على تكفير من اعتقد ذلك غير واحد.

ـ فعند اللالكائي (١٤٥٩) قال أبو ثور رَحِمَهُ اللَّهُ: فأما الطائفة التي زعمت أن العمل ليس من الإيمان، فيقال لهم: ما أراد الله ﷻ من العباد إذ قال لهم: أقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة إلَّا إقرارًا بذلك أو الإقرار والعمل؟

فإن قالت: إن الله أراد الإقرار ولم يرد العمل؛ فقد كَفَرَتْ عند أهل العلم، من قال: إن الله لم يرد من العباد أن يصلوا، ولا يؤتوا الزكاة... إلخ.

ـ وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «مجموع الفتاوى» (٧/ ١٨١) وهو يتكلم عن المرجئة: وإن قالوا: إنه لا يضره ترك العمل؛ فهذا كفر صريح. وبعض الناس =

فإن قال: بِمَ ذا؟

قيل له: إن الله تعالى أمر المؤمنين بعد أن صدقوا في إيمانهم: أمرهم بالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد، وفرائِض كثيرة يطول ذكرها، مع شدَّة خوفهم على التفريط فيها: النارَ والعقوبةَ الشديدة.

فمن زعم أن الله تعالى فرض على المؤمنين ما ذكرنا، ولم يُرد منهم العمل، ورَضِي بالقول منهم؛ فقد خالف الله ﷻ، ورسوله ﷺ، قال الله تعالى لما تكامل أمر الإسلام بالأعمال، قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

- وقال النبي ﷺ: «بُني الإسلام على خمس».
- وقال ﷺ: «من ترك الصلاة فقد كفر».

قال محمد بن الحسين:

٣٧٣ ـ ومن قال: الإيمان: المعرفة، دون القول والعمل؛ فقد أتى بأعظمَ مِنْ مقالة من قال: الإيمان قول، ولزمه أن يكون إبليس على قوله مؤمنًا؛ لأنه قد عرف ربه، قال: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر: ٣٩].

وقال: ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ﴾ [الحجر: ٣٦].

ويلزم أن تكون اليهود لمعرفتهم بالله وبرسوله أن يكونوا مؤمنين، قال الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦].

يحكى هذا عنهم وأنهم يقولون: إن الله فرض على العباد فرائض ولم يُرد منهم أن يعملوها، ولا يضرهم تركها، وهذا قد يكون قول الغالية الذين يقولون: لا يَدخل النارَ من أهل التوحيد أحدٌ؛ لكن ما علمتُ مُعينًا أحكي عنه هذا القول، وإنما الناس يحكونه في الكتب ولا يُعَيِّنون قائله، وقد يكون قول من لا خلاق له: فإن كثيرًا من الفساق والمنافقين يقولون: لا يضرُّ مع الإيمان ذنب، أو مع التوحيد، وبعض كلام الرادين على المرجئة وصفهم بهذا. اهـ.

فقد أخبر ﷻ أنهم يعرفون الله ورسوله.

ويقال لهم: أيشٍ(١) الفرق بين الإسلام وبين الكفر؟ وقد عَلِمْنا أن أهل الكفر قد عرفوا بعقولهم أن الله تعالى خلق السموات والأرض وما بينهما ولا ينجيهم في ظلمات البرِّ والبحر إلَّا الله، وإذا أصابتهم الشدائد لا يدعون إلَّا الله.

فعلى قولهم ـ إن الإيمان المعرفة ـ كل هؤلاء مثل من قال: الإيمان المعرفة، على قائل هذه المقالة الوحشة لعنةُ الله(٢).

---

(١) كتب فوقها: (أيشٌ).

(٢) هذا قول مرجئة الجهمية ومن وافقهم من الأشاعرة وغيرهم، فالإيمان عندهم مقصور على المعرفة والتصديق، فمن عرف ربه بقلبه فهو المؤمن، وإن لم يتكلم بلسانه ويعمل بجوارحه، وهذا القول مناقض للكتاب والسُّنة ولما أجمع عليه سلف الأمة.

ـ ففي «السُّنة» لعبد الله بن أحمد (٥٧٩) قال الفُضيل بن عياض رحمه الله: يقول الجهميةُ: الإيمان المعرفةُ بلا قولٍ ولا عملٍ!

ـ وقال حرب الكرماني رحمه الله في «عقيدته» (١٣): ومن زعمَ أن المعرفةَ تنفعُ في القلبِ، وإن لم يَتكلَّم بها؛ فهو جهمي.

ـ قال ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (٧/ ٥٨٣) وهو يتكلم عن فضائح الجهمية في الإيمان: أنهم جعلوا من لا يتكلم بالإيمان قطّ مع قدرته على ذلك ولا أطاع الله طاعة ظاهرة مع وجوب ذلك عليه وقدرته يكون مؤمنًا بالله تام الإيمان سعيدًا في الدار الآخرة، وهذه الفضائح تختص بها الجهمية دون المرجئة من الفقهاء وغيرهم. اهـ.

قلت: وهذا المذهب مع شناعته وقبحه ـ لما يلزم به من اللوزام الفاسدة ـ قد قال به كثير من المتأخرين، وبثوه في شروحاتهم وكتبهم، وقد ذكرت جملة منه في «المدخل إلى الجامع في كتب الإيمان».

وقد نصَّ على تكفير من قال بهذا القول غير واحد من أهل السَّنة:

ـ ففي «السُّنة» لعبد الله (٣٩٩) قال وكيع رحمه الله: قالت الجهمية: المعرفةُ بالقلب بما جاء مِن عندِ الله يجزئُ من القولِ والعملِ؛ وهذا كفر.

ـ وفي «السُّنة» للخلال (٩٦٧) و(١٧٦١) قال حمدان بن علي الورَّاق: سألتُ أحمدَ ـ وذُكِرَ عنده المرجئة ـ فقلت له: إنهم يقولون: إذا عرفَ الرجلُ ربه بقلبه فهو مؤمن؟

فقال: المرجئة لا تقول هذا، بل الجهمية تقول بهذا.

المرجئة تقول: حتى يتكلم بلسانه، [وإن لم] تعمل جوارحه.

والجهمية تقول: إذا عرف ربه بقلبه، وإن لم تعمل جوارحه. وهذا كفر؛ إبليس قد عرف ربه، فقال: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ [الحجر: ٣٩].

ـ وقال أبو عبيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإيمان» (٢٧): ثم حدثتْ فِرقةٌ ثالثةٌ شذَّت عن الطائفتين جميعًا، ليست من أهل العلم ولا الدِّين، فقالوا: الإيمان معرفةٌ بالقلوب بالله وحده، وإن لم يكن هناك قولٌ ولا عملٌ! وهذا مُنسلخ عندنا من قول أهل المِلَّة الحنيفية لمعارضته لكلام الله ورسوله ﷺ بالرَّدِّ والتكذيب. اهـ.

ـ وقال أبو عبد الله المروزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تعظيم قدر الصلاة» (٢/ ٧٠٠): وقد جامَعَتْنا في هذا المرجئةُ كلُّها على أن الإقرار باللسان من الإيمان، إلَّا فرقة من الجهمية كفرتْ عندنا، وعند المرجئة؛ بزعمهم أن الإيمان هو المعرفة فقط بعد شهادة الله على قلوب مَن سماهم كافرين بأنهم عارفون، فضادُّوا خبر الله، وسَموا الجاحد بلسانه، العارف بقلبه مؤمنًا. اهـ.

قلت: والأشاعرة موافقون للجهمية في حقيقة الإيمان بأنه يكون في القلب فقط، وإن كانوا قد خالفوهم في اللفظ، فقالت الجهمية: الإيمان المعرفة. وقالت الأشاعرة: الإيمان التصديق، ولا فرق بينهما عند التحقيق.

ـ قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مجموع الفتاوى» (٧/ ٣٩٨): . . فإن الفرق بين معرفةِ القلب وبين مجردِ تصديقِ القلب الخالي عن الانقياد الذي يُجعَل قولَ القلبِ أمرٌ دقيق، وأكثر العُقلاء ينكرونه. وبتقدير صحته لا يجب على كل أحدٍ أن يوجب شيئين لا يُتَصَوَّرُ الفرقُ بينهما، وأكثر الناس لا يَتصوَّرون الفرق بين (معرفة القلب) و(تصديقه)، ويقولون: إن ما قاله ابن كُلَّاب والأشعري من الفَرق كلامٌ باطل لا حقيقة له، وكثير من أصحابه اعترف بعدم الفرق. اهـ.

ـ قال أبو القاسم الزنجاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شرح منظومته في السُّنة» (ص١٠٦): أما المرجئة: فهم من البدع القديمة، وهم طوائف، وبينهم دقائق اختلاف تكثر:

بل نقول ـ والحمد لله ـ قولًا يوافق الكتاب والسُّنة، وعلماء المسلمين الذين لا يُستوحَش من ذكرهم، وقد تقدم ذكرنا لهم:

١ ـ إن الإيمان معرفة بالقلب تصديقًا يقينًا.

٢ ـ وقول باللسان.

أ ـ فمن قول بعضهم: (إن الإيمان قول وعقد)، وهو قول المريسي.

ب ـ ومن قول بعضهم: إن الإيمان المعرفةُ بالله، وهو العلم بوجوده، وهو قول جهم والأشعري، وهو أخبثُها مقالة. اهـ.

ـ قالَ السجزي رَحِمَهُ اللهُ في «رسالته إلى أهل زبيد في الحرف والصوت» (ص٢٧٤): ويقولون [الأشاعرة]: الإيمان: التصديق.

وعلى أصلهم أن من صدق بقلبه ولم ينطق بلسانه فهو مؤمن، (لأمرين):

أحدهما: أن أصل الإيمان عندهم المعرفة كما قال جهم.

والثاني: أن الكلام معنى في النفس فهو إذا صدَّق بقلبه فقد تكلم ـ على أصلهم ـ به.

وعند أهل الأثر أن الإيمان: قول وعمل، يزيد وينقص، وعلماء الآفاق المُتَّبَعون كلُّهم على هذا القول، ومخالفونا هؤلاء [يعني: الأشاعرة] يقولون معنا في الظاهر مثلَ ذلك، وعندهم أن التصديق لا مدخل للزيادة والنقصان فيه وهو الإيمان. اهـ.

قلت: فهذا قول الأشاعرة، ومع ذلك من نظر في كثير من عقائدهم وجد قولَهم في الإيمان موافقًا في الظاهر لقول أهل السنة، وإذا بينوا وفصلوا ظهر حقيقة قولهم وأنهم موافقون للجهمية وأن الخلاف بينهم في كثير من المسائل لفظيٌّ لا حقيقةَ له كما في أبواب القرآن والصفات وغيرها.

ـ قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في «النبوات» (١/ ٥٨٠): وأما الأشعري فالمعروف عنه وعن أصحابه: أنهم يوافقون جهمًا في قوله في الإيمان، وأنه مجرَّد تصديق القلب، أو معرفة القلب؛ لكن قد يظهرون مع ذلك قول أهل الحديث، ويتأولونه. اهـ.

* انظر: «المدخل إلى الجامع في كتب الإيمان» (١/ ٢٦٨) (فصل في قول مرجئة الجهمية في الإيمان، وموقف السلف الصالح منهم).

و(١/ ٢٧٣) (فصل في موافقة الأشاعرة للجهمية في الإيمان).

٣ ـ وعملٌ بالجوارح.

لا يكون مؤمنًا إلَّا بهذه الثلاثة، لا يجزئُ بعضها عن[١] بعض، والحمد لله على ذلك.

٣٧٤ ـ حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد، قال: ثنا يوسف القطان، قال: ثنا جرير، عن عطاءِ بن السائب، عن الزهري قال: قال لي عبد الملك بن مروان: الحديث الذي جاء عن النبي ﷺ: «من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، وإن زنى وإن سرق»؟

قال: فقلت له: أين يُذهَب بك يا أمير المؤمنين؟ هذا قبل الأمر والنهي، وقبل الفرائض[٢].

قال محمد بن الحسين:

٣٧٥ ـ احذروا ـ رحمكم الله ـ قول من يقول: إن إيمانه كإيمان جبريل وميكائيل.

ومن يقول: أنا مؤمن عند الله.

وأنا مؤمن مستكمل الإيمان.

هذا كله مذهب أهل الإرجاءِ.

٣٧٦ ـ حدثنا إسحاق بن أبي حسان الأنماطي، قال: ثنا هشام بن عمار الدمشقي، قال: ثنا عبد الملك بن محمد، قال: ثنا الأوزاعي، قال: ثلاثٌ هن بدعة:

أ ـ أنا مؤمنٌ مُستكمل الإيمان.

ب ـ وأنا مؤمنٌ حقًّا.

---

(١) كتب في الهامش: (من) خ.

(٢) تقدم الكلام عن هذه المسألة تحت أثر رقم (٢٤٦ و٣٧٠).

ج ـ وأنا مؤمنٌ عند الله[١].

٣٧٧ ـ حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، قال: ثنا يوسف بن موسى القطان، قال: ثنا يحيى بن سليم الطائفي، قال: ثنا نافع بن عمر القرشي، قال: كنا عند ابن أبي مُليكة، فقال له جليس له: يا أبا محمد، إن ناسًا يجالسونك يزعمون أن إيمانهم كإيمان جبريل، وميكائيل؟

فغَضِبَ عبد الله بن أبي مُليكة، وقال: ما رضي الله تعالى لجبريل عليه السلام حتى فضله بالثناءِ على محمد ﷺ، فقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾﴾ [التكوير] ـ يعني: محمدًا ﷺ ـ.

قال ابن أبي مُليكة: أفأجعل إيمان جبريل، وميكائِيل كإيمان فَهْدَانَ؟ لا ولا كرامة، ولا حُبًّا.

قال نافع: قد رأيتُ فهدانَ؛ كان رجلًا لا يصحو من الشراب.

قال محمد بن الحسين:

٣٧٨ ـ من قال هذا؛ فَلَقد أعظَمَ الفريةَ على الله تعالى، وأتى بضدِّ

---

(١) قال أبو حاتم وأبو زرعة رحمهما الله في عقيدتهما التي نقلا فيها إجماع أهل العلم: فمن قال: (إنه مؤمنٌ حَقًّا)؛ فهو مُبتدع.
ومن قال: (إنه مؤمن عندَ الله)؛ فهو مِن الكاذبين.اهـ.
ـ وقال حرب الكرماني رحمه الله في «عقيدته» (١٤): ومَن زعم أنه مؤمنٌ عند الله، مُستكملُ الإيمانِ؛ فهذا مَن أشنع قول المرجئة وأقبحه.
ـ وفي «السُّنة» للخلال (٩٥٨) قال حرب الكرماني: سمعت إسحاق ـ وسأله رجلٌ ـ، قال: الرجل يقول: أنا مؤمنٌ حقًّا؟ قال: هو كافرٌ حقًّا.
ـ وفيه (٩٥٩) قال أحمد بن حنبل: لا يُعجبنا أن نقول: مؤمنٌ حقًّا، ولا نُكفِّر من قاله.

الحقِّ، وبما يُنكره جميع العلماء؛ لأن قائل هذه المقالة يزعم أن من قال: (لا إله إلَّا الله)؛ لم تضرَّه الكبائر أن يعملها، ولا الفواحش أن يرتكبها، وأن عنده أن البارَّ التقيَّ الذي لا يباشر من ذلك شيئًا، والفاجرَ يكونانِ سواءً، هذا مُنكرٌ.

• قال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية].

• وقال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص].

يقال لقائل هذه المقالة المُنكَرة: يا ضالُّ يا مُضلُّ، إن الله تعالى لم يسوِّ بين الطائِفتين من المؤمنين في أعمال الصالحات، حتى فَضَّلَ بعضَهم على بعض درجاتٍ، قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الحديد: ١٠].

فوعدهم ﷻ كلَّهم الحسنى، بعد أن فضَّل بعضَهم على بعض.

• وقال تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ﴾ [النساء: ٩٥]، ثم قال: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [النساء: ٩٥].

فكيف يجوز لهذا المُلحد في الدين أن يُسَوِّيَ بين إيمانه وإيمان جبريل وميكائيل، ويزعم أنه مؤمن حقًّا؟[١].

(١) لما أخرجت المرجئة الأعمال من الإيمان وجعلوه محصورًا إما في القول على قول مرجئة أهل الكوفة، أو التصديق على قول الجهمية والأشاعرة؛ كان لازم ذلك أن يجعلوا الناس في الإيمان سواء، لا فرق بينهم فيه؛ لأن الجميع قد اشتركوا في القول، أو في التصديق، ولا فرق بين قائل وقائل، ولا بين =

مُصدّق ومُصدِّق، وإنما يتفاضلون في الأعمال، والأعمال قد أخرجوها من الإيمان.

ـ ففي «السُّنة» لحرب (١٨٨) قال إسحاق بن راهويه رَحِمَهُ اللَّهُ وهو يتكلم عن فرق المرجئة: وفرقةٌ يقولون: الإيمان قول، وتصديقه العمل، وليس العمل مِن الإيمان؛ ولكن العمل فريضة، والإيمان هو القول، ويقولون: حسناتُنا مُتقبَّلة، ونحن مؤمنون عند الله، وإيمانُنا وإيمان جبريل واحد. فهؤلاء الذين جاء فيهم الحديث: أنهم المُرجئة التي لُعِنت على لسانِ الأنبياء. اهـ.

ـ قال أبو عبد الله الزبيري رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح الإيمان والإسلام وتسمية الفرق والرد عليهم» (٦): وقالت طائفة قلَّت معرفتها، وضعفت دلالتها، ووهنت حُجَّتُها: إن الإيمان قول بلا عمل، لا يزيد ولا ينقص، وأن من آمن وأصلح، وعدل وأحسن، وعامل وأنصف، وقال فصدق، ووعد فوفَّى، وظُلِمَ فعفا، وفعل نوافل الخير وأعمال البر، وأدَّى ما يجب عليه من حقِّ والديه، وحقِّ ولده.. وقام بالخير كله فيما قدر عليه.

وإن من قال: لا إلٰه إلَّا الله قولًا باللسان، ثم تخلَّف عن إقامة الفرائض، وقصَّر في القيام بالشرائع، وتخلَّف عن الإتيان بأعمال الخير والنوافل، وائتُمن فخان، وقال فكذب، ووعد فأخلف... فإن هذين جميعًا في درجة واحدة، ولا فضلَ لهذا على هذا، ولا لهذا على هذا!

فهذا قول يَشْهدُ العقل عند حكايته على إغفال قائله، ويُستغنى بوصفه عن الاحتجاج عليه. ولا بُدَّ أن يُتكلَّف مع هذا من الحُجَّة على هذا القول ما يزيده ضعفًا في قلوب السامعين، لئلا يتَّكِل عليه جاهل، ولا أحد يظن أن قائله ممن ينبغي أن يُقلَّد. ووجدنا الكتاب والسُّنة يدلَّان على خلاف هذا القول. اهـ.

ـ وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «مجموع الفتاوى» (٧/٥٥٦): والسلف اشتد نكيرهم على المرجئة لما أخرجوا العمل من الإيمان، وقالوا: إن الإيمان يتماثل الناس فيه، ولا ريب أن قولهم بتساوي إيمان الناس من أفحش الخطأ، بل لا يتساوى الناس في التصديق، ولا في الحب، ولا في الخشية، ولا في العلم؛ بل يتفاضلون من وجوه كثيرة. اهـ.

قلت: وهم يصرحون بأن الناس في الإيمان سواء، ومن ذلك:

ـ قال أبو إسحاق الفزاري رَحِمَهُ اللَّهُ: كان أبو حنيفة يقول: إيمانُ إبليسَ، =

وإيمانُ أبي بكر الصِّديق ﷺ واحد؛ قال أبو بكر: يا ربِّ. وقال إبليس: يا ربِّ.

قال أبو إسحاق: ومن كان من المرجئة ثم لم يقل هذا؛ انكسر عليه قوله.

رواه عبد الله بن أحمد في «السُّنة» (٣٥٢)، واللالكائي (١٦٨٤)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٥/ ٥٠٩)، بإسناد صحيح.

ـ قال مبارك بن حسان: قلت لسالم الأفطس ـ وهو من المرجئة ـ: رجلٌ أطاع الله فلم يعصه، ورجلٌ عصى الله فلم يُطعه، فصار المُطيع إلى الله فأدخله الجنة، وصار العاصي إلى الله فأدخله النار، هل يتفاضلان في الإيمان؟

قال: لا. [«الإبانة الكبرى» (١٣٤٢)].

ـ وقال الطحاوي في «عقيدته»: والإيمان واحد، وأهله فيه سواء. اهـ.

قلت: وإنكار أهل السنة على من قال ذلك واعتقده كثير جدًّا:

ـ ففي «السُّنة» لحرب الكرماني (١٦٦) قال وكيع بن الجرَّاح رَحِمَهُ اللهُ: مَن قال: إيماني كإيمان جبريل وميكائيل؛ فهو شرٌّ مِن المرجئ.

ـ وفي «السُّنة» لعبد الله بن أحمد (٦٦٥) قال الوليد بن مسلم رَحِمَهُ اللهُ: سمعتُ أبا عَمرو ـ يعني: الأوزاعي ـ، ومالكًا، وسعيد بن عبد العزيز، يقولون: ليس للإيمان منتهى، هو في زيادةٍ أبدًا، ويُنكرون على من يقول: إنه مستكمِلُ الإيمانِ، وأن إيمانه كإيمانِ جبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ـ وفيه (٧٠٩) قال ابن مجاهد: كنت عند عطاء بن أبي رباحٍ فجاءَ ابنه يعقوب، فقال: يا أبتاه، إن أصحابًا لنا يزعمون أن إيمانَهم كإيمان جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فقال: يا بُني كذبوا، ليس إيمان مَن أطاعَ اللهَ ﷻ كإيمان من عصى الله تعالى.

ـ وفي «السُّنة» لحرب (١٦٤) قال الوليد بن مسلم رَحِمَهُ اللهُ: قلت لمالك والليث بن سعد: الرجل يقول: أنا مؤمن كإيمان جبريل وميكائيل؟ قالا: إذا قال تلك المقالة فهو إلى إيمانِ إبليسَ أقرب منه إلى إيمان جبريل وميكائيل.

ـ وقال حرب الكرماني رَحِمَهُ اللهُ في «عقيدته» (١١): ومَن زعم أن إيمانه كإيمان جبريل، أو الملائكة؛ فهو مُرجئ، وأخبثُ مِن المرجئ؛ فهو كاذب.

* انظر: «المدخل إلى الجامع في كتب الإيمان» (١/ ١٩٨) (فصل المرجئة =

٣٧٩ ـ حدثنا أحمد بن يحيى الحلواني، قال: ثنا سويد بن سعيد، قال: ثنا شهاب بن خراش، عن محمد بن زياد، عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «ما بعث الله نبيًّا قَبْلي، واستَجْمَعَتْ له أُمته إلَّا كان فيهم مرجئَة وقدرية يُشوِّشون أمر أُمته من بعده، ألا وإن الله لعن المرجئَة والقدرية على لسان سبعين نبيًّا أنا آخِرُهم»[(١)][(٢)].

يجعلون الناس في الإيمان سواء إيمان الطائع القانت كإيمان العاصي الفاجر).

(١) في هامش الأصل: (أنا أحدهم) خ.

(٢) رواه ابن حبان في «المجروحين» (١/ ٣٦٢)، والهروي في «ذم الكلام» (٥٥)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١٣٠٤). وفي إسناده: شهاب بن خراش، قال ابن حبان: كان رجلًا صالحًا، وكان ممن يُخطىء كثيرًا حتى خرج عن حد الاحتجاج به إلَّا عند الاعتبار. اهـ.

ورُوي نحو هذا الحديث عن: أبي بكر الصديق، وابن عباس، وأنس، وأبي هريرة، ومعاذ، وجابر ﷺ وغيرهم، ولا تخلو أسانيدها من الضعف. انظر: «الرد على المبتدعة» لابن البناء (٨٢).

والمراد بالقدرية في هذه الأحاديث الذين قُرنوا بالمرجئة هم الجبرية الذين يثبتون القدر، ويحتجون به، ويعارضون به أمر الله تعالى، وليس المراد بهم القدرية الأولى الذين هم نفاة علم الله ﷻ الذين ينكرون القدر، ويعظمون الأمر.

ـ قال ابن تيمية كَلَّلَهُ في «منهاج السُّنة» (٣/ ٨٢) حين ذكر الذين يحتجون بالقدر على ترك الفرائض وارتكاب المحارم: والآثار المروية في ذم القدرية تتناول هؤلاء أعظم من تناولها المنكرين للقدر تعظيمًا للأمر وتنزيهًا عن الظلم، ولهذا يقرنون القدرية بالمرجئة؛ لأن المرجئة تضعف أمر الإيمان والوعيد، وكذلك هؤلاء القدرية تضعف أمر الله بالإيمان والتقوى ووعيده، ومن فعل هذا كان ملعونًا في كل شريعة كما روي: «لُعِنَت القدريةُ والمرجئةُ على لسان سبعين نبيًّا».

والخائضون في القدر بالباطل ثلاثة أصناف:

أ ـ المكذِّبون به.

ب ـ والدافعون للأمر والنهي به.

٣٨٠ ـ أخبرنا الفريابي، قال: ثنا عثمان بن أبي شيبة، قال: ثنا أبو أُسامة ومحمد بن بشر، قالا: أخبرنا ابن نزار ـ علي أو محمد ـ، عن أبيه، عن عِكرمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «صِنفانِ من أُمتي ليس لهما في الإسلام نصيب: المرجئَة، والقدريَّة»(١).

٣٨١ ـ حدثنا أبو علي الحسن بن محمد بن شعبة الأنصاري، قال: ثنا علي بن المنذر الطريقي، قال: ثنا ابن فضيل، قال: ثنا أبي، وعلي بن نزار، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «صِنْفانِ من أُمتي ليس لهما في الإسلام نصيب: المرجئة، والقدرية»(٢).

ج - والطاعنون على الرب ﷻ بجمعه بين الأمر والقدر، وهؤلاء شر الطوائف.
وقال: والمقصود هنا أن الخَلَّال وغيره من أهل العلم أدخلوا القائلين بالجبر في مسمى القدرية، وإن كانوا لا يحتجون بالقدر على المعاصي، فكيف بمن يحتج به على المعاصي؟
ومعلوم أنه يدخل في ذمّ من ذمَّ اللهُ من القدرية من يحتج به على إسقاط الأمر والنهي أعظم مما يدخل فيه المنكر له، فإن ضلال هذا أعظم، ولهذا قُرنت القدرية بالمرجئة في كلام غير واحدٍ من السلف، وروي في ذلك حديث مرفوع؛ لأن كلًا من هاتين البدعتين تفسد الأمر والنهي، والوعد والوعيد، فالإرجاء يضعف الإيمان بالوعيد ويهون أمر الفرائض والمحارم، والقدري إن احتجَّ به كان عونًا للمرجئ، وإن كذَّبَ به كان هو والمرجئ قد تقابلا، هذا يُبالغ في التشديد حتى لا يجعل العبد يستعين بالله على فعل ما أمر به وترك ما نهي عنه، وهذا يبالغ في الناحية الأخرى. اهـ.

(١) رواه الفريابي في «القدر» (٤٣٣)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١٣٠٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢٥٤)، وهو ضعيف.

(٢) رواه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١٣٦٤)، وانظر ما قبله.

ومما يُلحق بأبواب الإيمان والرد على المرجئة ما أسنده المُصنِّف رحمه الله برقم (٢٢٨٦) عن سفيان الثوري رحمه الله قوله: اتقوا هذه الأهواء المُضلّة.
قيل له: بيِّن لنا رحمك الله.
قال سفيان: أما المرجئة فيقولون: الإيمان كلام بلا عمل، من قال: أشهد =

تم الجزء الثالث من كتاب «الشريعة» [٢٨/ب]
بحمده ومنِّه
وصلى الله على محمد النبي الأمي وآله وسلم.
يتلوه الجزء الرابع من الكتاب
إن شاء الله

أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله؛ فهو مؤمن مستكمل إيمانَه على إيمان جبريل والملائكة، وإن قتل كذا وكذا مؤمنًا، وإن ترك الغسل من الجنابة، وإن ترك الصلاة، وهم يرون السيف على أهل القبلة.. إلخ.

قلت: من أعجب ما وقفت عليه من آثار السلف رميُهم للمرجئة بالسيف والخروج على الحُكَّام، إذ كيف يجتمع هذا مع إخراجهم للأعمال من الإيمان، ووصفهم لمرتكب الكبائر بكمال الإيمان!!

وسيأتي زيادة بيان تحت أثر رقم (٢٢٨٦) فيمن رماهم بمذهب الخوارج.

وقد جمعت في مقدمات «الجامع في كتب الإيمان والرد على المرجئة» كل ما وقفت عليه من أقوال السلف الصالح ومن بعدهم من أهل العلم في ذم الإرجاء والتحذير من هذا المذهب الخبيث ومن أئمته، فانظره في (المبحث السادس) (١/ ٣٣٧): (بيان أن سائر طوائف المرجئة ليسوا من أهل السنة والجماعة وأنهم من الفرق المبتدعة الهالكة).

الجزء الرابع

أبواب الإيمان بالقدر والرد على القدرية

٣٠ ـ باب الرد على القدرية.

٣١ ـ باب ذكر ما أخبر الله تعالى أنه يَختم على قلوب من أراد من عباده فلا يهتدون إلى الحقِّ، ولا يسمعونه، ولا يُبصرونه: لأنه مقتهم فطبَع على قلوبهم.

٣٢ ـ بَاب ذكر ما أخبر الله تعالى أنه يُضل من يشاءُ، ويهدي من يشاءُ، وأن الأنبياءَ لا يهدون إلَّا من سبقَ في عِلم الله أنه يهديه.

٣٣ ـ باب ذكر ما أخبر الله تعالى أنه أرسل الشياطين على الكافرين يضلونهم ولا يضلون إلَّا من سبقَ في عِلمه أنه لا يؤمن، ولا يضرون أحدًا إلَّا بإذن الله، وكذلك السحرة لا يضرُّون أحدًا إلا بإذن الله.

٣٤ ـ بَاب ذكر ما أخبر الله تعالى أن مشيئة الخلق تبع لمشيئة الله فمن شاءَ أن يهتدي اهتدى، ومن شاءَ أن يضلَّ لم يهتدِ أبدًا.

بسم الله الرحمن الرحيم

وعليه توكلت

٣٠ ـ باب

الرد على القدرية(١)

(١) أشهر فرق القدرية التي تكلم عنها أهل السُّنة فرقتان:

الأولى: القدرية النفاة، وهم قسمان:

١ ـ غُلاة القدرية، وهم نُفاة علم الله تعالى، الذين يقولون: لا قدر، وإن الأمر أُنُفٌ، فمن شاء هدى نفسه، ومن شاء أضلها، كل ذلك مردودٌ إلى مشيئة العبيد، ومُقتَطع من مشيئة العزيز الحميد، فأثبتوا في مُلكه ما لا يشاء، وفي مشيئته ما لا يكون.

وهؤلاء أول فرق القدرية ظهورًا، ظهروا في أواخر عصر الصحابة ﭫ، فأنكروا عليهم، وتبرَّؤوا منهم، وسَمَّوهم: (مجوس هذه الأمة)، وقد أجمع أهل السُّنة على كفرهم وخروجهم عن المِلَّة.

ـ ففي «السُّنة» للخلال (٨٤٩) قال عبد الله بن أحمد، قال: سمعت أبي وسأله عليُّ بن الجهم عمن قال بالقدر؛ يكون كافرًا؟

فقال أبي: إذا جحد العلم، إذا قال: الله ﷻ لم يكن عالمًا حتى خلق =

علمًا فعَلِم، فجحد علم الله ﷻ فهو كافر.

- قال حرب الكرماني رَحِمَهُ اللهُ في «السُّنة» (٩٣): (القدرية): هم الذين يزعمون أن إليهم الاستطاعة والمشيئة والقدرة، وأنهم يملكون لأنفسهم الخير والشرَّ، والضَّرَّ والنفع، والطاعة والمعصية، والهُدى والضَّلال، وأن العباد يعملون بدءًا من أنفسهم من غير أن يكون سَبَقَ لهم ذلك في عِلم الله.

وقولهم يُضارع قول المجوسية والنصرانية، وهو أصل الزَّندقة.اهـ.

وأئمة هؤلاء هم: معبد الجهني، وواصل بن عطاء، وعَمرو بن عبيد، وغيلان وغيرهم من الأنجاس الأرجاس كما قال المُصنِّف (٦٤٢).

٢ - (نفاة خلق أفعال العباد)، وهم الذين يُثبتون علم الله تعالى وكتابته، وينفون عموم مشيئته وخلقه، وهؤلاء جمهور القدرية الذين استقرَّ مذهبهم على هذا، وقد اختلف أهل السُّنة في تكفيرهم.

- ففي «السُّنة» لعبد الله بن أحمد (٨٢٦) عن عكرمة قال: سألنا يحيى بن أبي كثيرٍ عن القدريّة؟

فقال: هم الذين يقولون: إن الله ﷻ لم يُقدِّر الشَّرَّ.

- ولفظ اللالكائي (١٢١٢): الذين يقولون: إن الله لم يُقدِّر المعاصي.

- وعند اللالكائي (٢٩١): سُئل أبو ثور الفقيه: عن القدرِيَّة من هم؟

فقال: إن القدرِيَّةَ مَن قال: إن اللهَ لم يَخلق أفاعيل العبادِ، وإن المعاصِي لم يقدِّرها اللهُ تعالى على العبادِ، ولم يخلقها، فهؤلاء قدريَّة؛ لا يُصلَّى خلفَهم، ولا يُعادُ مريضهم، ولا تُشهدُ جنائزهم، ويُستتابون مِن هذه المقالةِ، فإن تابوا وإلَّا ضُربت أعناقهم.

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في «الإيمان» (ص٣٠٢) (بتصرُّفٍ يسير): أكثر كلام السلف في ذم هؤلاء القدرية [نفاة العلم]؛ ولهذا قال وكيع بن الجرَّاح: القدرية يقولون: الأمر مُستقبلٌ، وأن الله لم يُقدِّر الكتابة والأعمال... قال وكيع: وهو كُله كفر.

ولكن لما اشتهر الكلام في القدر، ودخل فيه كثيرٌ من أهل النظر والعُبَّاد، صار جمهور القدرية يُقرُّون بتقدُّم العلم، وإنما يُنكرون عموم المشيئة والخلق.. وهؤلاء مبتدعون ضالون؛ لكنهم ليسوا بمنزلة أولئك، وفي هؤلاء خلق كثيرٌ من العلماء والعُبَّاد كُتِبَ عنهم العلم. وأخرج البخاري ومسلم =

لجماعة منهم؛ لكن من كان داعية إليه لم يُخرِّجوا له...
قال أحمد: لو تركنا الرواية عن القدرية لتركنا أكثر أهل البصرة.
وهذا لأن مسألة (خلق أفعال العباد)، و(إرادة الكائنات) مسألة مُشكلة.
وكما أن القدرية من المعتزلة وغيرهم أخطؤوا فيها، فقد أخطأ فيها كثيرٌ ممن ردَّ عليهم أو أكثرهم، فإنهم سلكوا في الرد عليهم مسلك جهم بن صفوان وأتباعه، فنفوا حِكمة الله في خلقه وأمره، ونفوا رحمته بعباده، ونفوا ما جعله من الأسباب خلقًا وأمرًا، وجحدوا من الحقائق الموجودة في مخلوقاته وشرائعه ما صار ذلك سببًا لنفور أكثر العقلاء الذين فهموا قولهم عما يظنونه السُّنة، إذ كانوا يزعمون أن قول أهل السنة في القدر هو القول الذي ابتدعه جهم.اهـ.
* وانظر: اللالكائي: (٣٠/سياق ما فسر من الآيات في كتاب الله ﷻ، وما روي من سنة رسول الله ﷺ في إثبات القدر، وما نقل من إجماع الصحابة والتابعين والخالفين لهم من علماء الأمة أن أفعال العباد كلها مخلوقة لله ﷻ طاعاتها ومعاصيها).
الفرقة الثانية: وهم الجبرية، الذين يقولون: إن إرادة الله تعالى هي المُتصرِّفة وحدها، وهو الخالق لأفعال العباد، وهم لا إرادة لهم ولا اختيار، بل هم مجبورون على أعمالهم، وإنما يخلق الله تعالى الأفعال فيهم على حسب ما يخلق في سائر الجمادات، وتنسب إليهم الأفعال (مجازًا)، كما يقال: أثمرت الشجرة، وجرى الماء، وتحرَّك الشجر. فأثبتوا القدر على وجه مُخالف لما جاء به الشرع، فأثبتوا فعل الله تعالى وحده، ونفوا فعل العبد وقُدرته، وهذا مذهب الجهمية والأشاعرة ومن وافقهم.
- قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «منهاج السنة» (١/ ٤٦٣): فإن الأشعرية وبعض المُثبتين للقدر وافقوا الجهم بن صفوان في أصل قوله في (الجبر)، وإن نازعوه في بعض ذلك نزاعًا لفظيًا أتوا بما لا يعقل.اهـ.
قلت: وقد ألزموهم القدرية النفاة لوازم باطلة فاسدة فالتزموها، فقالوا بإبطال (الحِكمة والتعليل)، وأنه سبحانه لا يفعل شيئًا لشيءٍ، ولا يأمر بشيء لحِكمة، ولا جعل شيئًا من الأشياء سببًا لغيره، وما ثَمَّ إلَّا مشيئة محضة، وقدرة ترجّح مِثلًا على مِثْل بلا سببٍ ولا علَّةٍ، وأنه لا يقال في فِعْله: لِمَ؟ =

ولا كيف؟ ولا لأي سبب وحكمة، ولا هو مُعَلَّل بالمصالح.

ـ قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في «شفاء العليل» (٢/ ١٤١): يجوز عندهم أن يأمر بكل ما نهى عنه، وينهى عن جميع ما أمر به، ولا فرق بين هذا وهذا إلّا بمجرد الأمر والنهي.

ويجوز عندهم أن يُعذِّب مَن لم يعصه طرفة عينٍ، بل أفنى عمره في طاعته وشكره وذكره، ويُنعِّم مَن لم يطعه طرفة عينٍ، بل أفنى عمره في الكُفر به والشرك والظلم والفجور، ولا سبيل إلى أن يُعرف خلاف ذلك منه إلّا بخبر الرسول، وإلّا فهو جائز عليه.

وهذا من أقبح الظنِّ وأسوئه بالرب تعالى، وتنزيهه عنه كتنزيهه عن الظلم والجور، بل هذا هو عين الظلم الذي يتعالى الله عنه.

والعجبُ العُجاب أن كثيرًا من أرباب هذا المذهب يُنزِّهونه عما وصف به نفسه من صفات الكمال، ونعوت الجلال، ويزعمون أن إثباتها: تجسيمٌ وتشبيهٌ، ولا يُنزِّهونه عن هذا الظلم والجور، ويزعمون أنه عدلٌ وحقٌّ، وأن التوحيد عندهم لا يتم إلّا به، كما لا يتم إلّا بإنكار استوائه على عرشه، وعلوّه فوق سماواته، وتكلّمه وتكليمه، وصفات كماله، فلا يتم التوحيد عند هذه الطائفة إلّا بهذا النفي وذلك الإثبات، والله ولي التوفيق). اهـ.

قلت: وهؤلاء أحق بالذم من القدرية النفاة، ومذهبهم أشدّ فسادًا وأسوأ لازمًا، إذ إنه مبطلٌ للشرائع، ومُسقطٌ للأمر والنهي.

فكيف إذا اجتمع مع هذا الضلال: الإرجاء الغالي في الإيمان الذي أسقطوا فيه القول والعمل، وحصروه في المعرفة والتصديق؟!

فقد جمعوا بين الشرين، فالمذهبان: (الجبر والإرجاء) كلاهما في تسويغ ترك العمل الصالح، وارتكاب المعاصي، فالاحتجاج بالقدر يوجب التسويغ لأهل المعاصي في الدنيا، والإرجاء يوجد لهم المخرج في الآخرة، ولهذا جاءت الآثار عن السلف بالجمع في الذم بين القدرية والمرجئة، كما تقدم في أبواب الرد على المرجئة برقم (٣٧٩).

* انظر: «شفاء العليل» (١/ ٩ ـ ١٤)، و«جهود ابن تيمية في توضيح الإيمان بالقدر» (١/ ٨٠ ـ ٨٧).

قال محمد بن الحسين:

حسبي الله وكفى ونِعم الوكيل، والحمد لله أهل الحمد والثناء، والعِزَّة والبقاء، والعظمة والكبرياء، أحمده على تواتر نِعمه، وقديم إحسانه وقَسْمه، حمدَ من يعلم أن مولاه الكريمَ يحبُّ الحمدَ، فله الحمدُ على كلِّ حالٍ، وصلواتُه على البشير النذير، السِّراج المُنير، سيد الأولين والآخرين، ذلك محمدٌ رسول ربِّ العالمين، وعلى آله الطيبين، وعلى أصحابه المُنتخبين، وعلى أزواجه أُمهات المؤمنين.

أما بعد:

٣٨٢ ـ فإن سائلًا سأل عن مذهبنا في القدر؟

فالجواب في ذلك قبل أن نُخبره بمذهبنا أنا ننصح للسائل ونُعلمه:

أنه لا يَحسنُ بالمسلمين التنقيرُ والبحث عن القدر؛ لأن القدر سِرٌّ مِن سرِّ الله، بل الإيمان بما جرت به المقادير من خيرٍ أو شرٍّ واجبٌ على العباد أن يؤمنوا به(١).

(١) في «الإبانة الكبرى» (١٣٧٢) عن مسلم بن يسار أنه سُئل عن القدر، فقال: واديان عميقان لا يُدركُ غَوْرُهما، قف عند أدناه، واعمل عمل رجلٍ يعلم أنه يُجزى بعمله، وتوكَّل توكُّلَ رجلٍ يعلم أنه لن يُصيبه إلَّا ما كَتبَ الله له.

ـ وفيه أيضًا (١٣٧٤) قال إبراهيم القرشي: كنت جالسًا عند ابن عمر رضي الله عنهما فسُئِلَ عن القدر، فقال: شيءٌ أرادَ الله ألَّا يُطلعَكم عليه، فلا تُريدوا من الله ما أبى عليكم.

ـ وفيه (١٣٧٦) عن يحيى بن معاذ الرازي، قال: من أحبَّ أن يفرحَ بالله، ويتمتع بعبادة الله؛ فلا يسألنَّ عن سرِّ الله. ـ يعني: القدر ـ.

ـ قال البغوي في «شرح السُّنة» (١/ ١٤٤): القدر سرٌّ من أسرار الله لم يُطلِع عليه ملكًا مُقرَّبًا، ولا نبيًّا مرسلًا، لا يجوز الخوض فيه، والبحث عنه بطريق العقل، بل يعتقد أن الله ﷻ خلق الخلق، فجعلهم فريقين: أهل يمين خلقهم للنعيم فضلًا، وأهل شمال خلقهم للجحيم عدلًا. اهـ. =

ـ قال أبو المُظفر السَّمعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: قد ذُكر أن سبيل معرفة هذا الباب التوقيف من قِبل الكتاب والسُّنة دون محض القياس، ومجرّد المعقول، فمن عدل عن التوقيف في هذا الباب ضلّ وتاه في بحار الحيرة، ولم يبلغ شفاء النفس، ولا وصل إلى ما يطمئن به القلب؛ وذلك لأن القدر سِرٌّ مِن سِرِّ الله، وعِلمٌ من عِلمِه، ضُربت دونه الأستار. واختصّ الله به علّام الغيوب. حَجبه عن عقول البشر ومعارفهم؛ لما عَلِمَ مِن الحكمة، وسبيلنا أن ننتهي إلى ما حدّ لنا فيه، وأن لا نتجاوز إلى ما وراءه، فالبحث عنه تَكلّف، والاقتحام فيه تعمُّق وتهوّر.

قال: وجماع هذا الباب: أن يُعلم أن الله تعالى طوى عن العالم عِلم ما قضاه وقَدّره على عباده، فلم يُطْلِع عليه نبيًّا مُرسلًا، ولا مَلكًا مُقرَّبًا؛ لأنه خلقهم لينعبَّدهم ويمتحنهم، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذرايات].

وقد نقلنا عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه خلقهم ليأمرهم بالعبادة.

فلو كشف لهم عن سِرِّ ما قُضي وقدّر لهم وعليهم في عواقب أمورهم لافتتنوا، وفتروا عن العمل، واتَّكلوا على مصير الأمر في العاقبة، فيكون قُصَاراهم عند ذلك أمنٌ أو قنوط، وفي ذلك بطلان العبادة، وسقوط الخوف والرجاء، فلَطَفَ الله عَزَّوَجَلَّ بعباده، وحجب عنهم عِلم القضاء والقدر، وعلَّقهم بين الخوف والرجاء، والطمع والوجل؛ ليبلوَ سعيهم واجتهادهم، وليُميِّز اللهُ الخبيثَ من الطيب، ولله الحُجّة البالغة.اهـ.

«الحُجَّة في بيان المحجة» (٢/ ٣٠ ـ ٣١).

ـ قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «جامع المسائل» (٩/ ١١٠): ويكفي العاقلَ أن يعلم أن الله عليمٌ حكيمٌ رحيم، بهرت الألبابَ حكمتُه، ووسعت كل شيء رحمتُه، وأحاط بكل شيء علمُه، وأحصاه لوحُه وقلمُه، وأن لله تعالى في قَدَره سرًّا مصونًا، وعلمًا مخزونًا، اختزنه دون جميع خلقه، واستأثر به على جميع بريته، وإنما يصلُ أهل العلم به وأرباب ولايته إلى جُمَلٍ من ذلك، وجوامع وكليَّات، قد يؤذن لبعضهم في إفشاء شيء من جُمَل ذلك، وقد لا يؤذن، وربما كلم الناس في ذلك على قدر عقولهم.

وقد سأل موسى وعيسى وعزير ربنا تبارك وتعالى عن شيء من سرِّ القدر، =

ثم لا يأمن العبد أن يبحث عن القدر فيُكذِّب بمقادير الله الجاريةِ على العباد، فيَضلُّ عن طريق الحقِّ، قال ﷺ: «**ما هلكتْ أُمةٌ قطُّ إلَّا بالشركِ بالله، وما أشركت أُمةٌ حتى يكونَ بُدُوُّ شركها: التكذيبَ بالقدر**»(١)(٢).

وأنه لو شاء أن يُطاع لأطيع، ولو شاء أن لا يُعصى لما عُصي، وأنه قد أمرَ أن يُطاع، وأنه مع ذلك يُعصى، فأخبرهم سبحانه أن هذا سرُّه، وأنه لا يُسأل عن سرِّه.

وفي هذا المقام تاهت عقول كثير من الخلائق.. إلخ.

- وفي «الحلية» (٣/ ٣٣) عن المُعتمر بن سُليمان، قال: قال أبي: أما والله لو كُشِفَ الغطاء لعَلِمَتِ القدريةُ أن الله ليس بظلَّامٍ للعبيد.

- وفيه (٢/ ٣٥٤) قال بلال بن أبي بردة لمحمد بن واسع: ما تقول في القضاء والقدر؟

قال: أيها الأمير، إن الله ﷻ لا يسأل يوم القيامة عباده عن قضائه وقدره، إنما يسألهم عن أعمالهم.

(١) سيأتي مسندًا برقم (٤٦٩).

(٢) أورد ابن بطة رحمه الله في «الإبانة الكبرى» (١٣٨٠) اعتراضًا عن بعضهم؛ وهو كيف الجمع بين النصوص الواردة في النهي عن الكلام في القدر، وبين ما دلَّ على جواز الكلام فيه؟

فأجاب عن ذلك، فقال: القدر على وجهين:

أحدهما: فرضٌ علينا عِلمهُ ومعرفتُهُ، والإيمانُ به، والتصديقُ بجميعه.

والآخر: فحرَامٌ علينا التفكر فيه، والمسألة عنه، والمُناظرة عليه، والخصومة به.

١ - فأما الواجب علينا عِلمه..: أن نعلم أن الخير والشرَّ من الله، وأن الطاعة والمعصية بقضاء الله وقدره، وأن ما أصابنا لم يكن ليُخطئنا، وما أخطأنا لم يكن ليُصيبنا، وأن الله خلق الجنة وخلق لها أهلًا، عَلِمهم بأسمائهم وأسماء آبائهم، ووفقهم لأعمالٍ صالحة رضيها، أمرهم بها، فوفَّقهم لها، وأعانهم عليها، وشكرهم بها، وأثابهم الجنة عليها تفضُّلًا منه ورحمة، وخلق النار وخلق لها أهلًا، أحصاهم عددًا، وعلم ما يكون منهم، وقدَّر عليهم =

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللهُ:

ولولا أن الصحابة رضي الله عنهم لمَّا بلغهم عن قوم ضُلَّالٍ شَرَدوا عن طريق الحقِّ، وكذَّبوا بالقدر، فردُّوا عليهم قولهم، وسبُّوهم، وكفَّروهم، وكذلك التابعون لهم بإحسانٍ سبُّوا من تكلَّمَ في القدرِ، وكذَّب به، ولعنوهم، ونَهوا عن مُجالستِهم، وكذلك أئمة المسلمين ينهون عن مُجالسة القدرية، وعن مُناظرتهم، وبينوا للمسلمين قبيح مذاهبهم، فلولا أن هؤلاء ردُّوا على القدرية لم يَسَع مَنْ بعدهم الكلام في القدر، بل الإيمان في القدر[١]: خيره وشرِّه[٢] واجبٌ، قضا وقدَّرَ، وما قَدَّرَ يكُن، وما لم يُقدِّر

ما كرهه لهم، خذلهم بها، وعذَّبهم لأجلها غير ظالم لهم، ولا هم معذورون فيما حكم عليهم به. فكلُّ هذا وأشباهه من علم القدر الذي لزِمَ الخلقَ علمه، والإيمان به، والتسليم لأمر الله وحكمه وقضائه وقدره، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

٢ ـ وأما الوجه الآخر من عِلم القدر الذي لا يحلُّ النظر فيه، ولا الفكر به، وحرام على الخلق القول فيه كيف؟ ولم؟ وما السبب؟ مما هو سرُّ الله المخزون، وعلمه المكتوم.. وحَجبَ العقول عن تخيّل كُنه علمه، والناظر فيه كالناظر في عين الشمس، كلما ازداد فيه نظرًا ازداد فيه تَحيُّرًا، ومن العلم بكيفيتها بُعدًا: فهو التفكر في الرب عز وجل كيف فعل كذا وكذا؟ ثم يقيس فعل الله عز وجل بفعل عباده، فما رآه من فعل العباد جورًا يَظُنُّ أن ما كان من فعل مثله جور، فينفي ذلك الفعل عن الله، فيصير بين أمرين:

أ ـ إما أن يعترف لله عز وجل بقضائه وقدره، ويرى أنه جَورٌ من فعله.

ب ـ وإما أن يرى أنه ممن يُنَزِّه الله عن الجَور، فينفي عنه قضاءه وقدره؛ فيجعل مع الله آلهة كثيرة يحولون بين الله وبين مشيئته.

فبالفكر في هذا وشبهه، والتفكّر فيه، والبحث والتنقير عنه: هلكت القدرية حتى صاروا زنادقة ومُلحدة ومجوسًا؛ حيث قاسوا فعل الرب بأفعال العباد، وشبَّهوا الله بخلقه، ولم يَعُوا عنه ما خاطبهم به، حيث يقول: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾. اهـ.

(١) كذا في (أ، ب)، وفي المطبوع: (الإيمان بالقدر).

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في «شفاء العليل» (٢/٣٤١): تقدم أن القدر لا شرَّ فيه =

لم يكُن، وإذا عَمِلَ العبد بطاعة الله تعالى، عَلِمَ أنها بتوفيق منه له؛ فشكره على ذاك، وإذا عَمِلَ بمعصيتِه؛ ندِمَ على ذلك، وعَلِمَ أنها بمقدورٍ جرى عليه، فذَمّ نفسه، واستغفر الله تعالى.

هذا مذهب المسلمين، وليس لأحدٍ على الله تعالى حُجَّة، بل لله الحُجَّة على خلقه، قال الله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (١٤٩)﴾ [الأنعام].

ثم اعلموا - رحمنا الله وإياكم - أن مذهبنا في القدر، أنا نقول:

• إن الله تعالى خلقَ الجنة وخلق النار، وخلق لكلٍّ واحدةٍ منهما أهلًا، وأقسم بعزَّته أنه يَملأ جهنم مِن الجنة والناس أجمعين.

• ثم خلق آدم عليه السلام، واستخرج من ظهره كل ذُرِّية هو خالقها إلى يوم القيامة، ثم جعلهم فريقين؛ فريقًا في الجنة، وفريقًا في السعير.

بوجه من الوجوه، فإنه عِلمُ الله، وقدرته، وكتابته، ومشيئته، وذلك خيرٌ محض وكمال من كل وجه.

فالشرُّ ليس إلى الرب تعالى بوجه من الوجوه، لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، وإنما يدخل الشرُّ الجزئي الإضافي في المَقْضِي المُقدَّر، ويكون شرًّا بالنسبة إلى محل، وخيرًا بالنسبة إلى محلٍّ آخر، وقد يكون خيرًا بالنسبة إلى المحلِّ القائم به من وجه، كما هو شرٌّ له من وجه، بل هذا هو الغالب.

وهذا كالقصاص، وإقامة الحدود، وقتل الكفار، فإنه شرٌّ بالنسبة إليهم لا من كل وجه، بل من وجهٍ دون وجه، وخير بالنسبة إلى غيرهم؛ لما فيه من مصلحة الزجر والنكال، ودَفْع الناس بعضهم ببعضٍ، وكذلك الآلام والأمراض - وإن كانت شرورًا من وجه - فهي خيرات من وجوه عديدة.. فالخير والشرُّ من جنس اللذَّة والألم، والنفع والضرر، وذلك في المَقْضي المقدَّر لا في نفس صفة الرب وفعله القائم به، فإن قطع يد السارق شرٌّ مؤلم ضارٌّ له، وأما قضاء الرب ذلك وتقديره عليه فعدلٌ وخيرٌ وحكمة ومصلحة.اهـ.

• وخلق إبليس، وأمره بالسجود لآدم، وقد عَلِمَ أنه لا يَسْجُدُ للمقدور الذي قد جرى عليه من الشِّقوة التي سبقت في العلم من الله عليه، لا معارض لله في حُكمه، يفعل في خلقه ما يُريد عدلًا من ربنا قضاؤه وقدره.

• وخلق آدم وحواءَ عليهما السلام، للأرض خلقهما، أسكنهما الجنة، وأمرهما أن يأكلا منها رغدًا ما شاءَا، ونهاهما عن شجرة واحدةٍ أن لا يقرباها، وقد جرى مقدوره أنهما سيعصيانه بأكلهما من الشجرة، فهو تبارك وتعالى في الظاهر ينهاهما، وفي الباطن من عِلمه قد قدَّر عليهما أنهما يأكلان منها، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ۝٢٣﴾ [الأنبياء](١).

لم يكن لهما بُدٌّ من أكلها، سببًا للمعصية، وسببًا لخروجهما من الجنة، إذ كانا للأرض خُلِقا، وأنه سيغفرُ لهما بعد المعصية، كل ذلك سابقٌ في عِلمه، لا يجوز أن يكون شيءٌ يحدثُ في جميع خلقه إلَّا وقد

(١) قال ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (٨/ ٥١١): .. وهو لا يسأل عما يفعل لكمال حكمته، ورحمته، وعدله، لا لمُجرد قهره وقدرته كما يقوله جهم وأتباعه. اهـ.

قلت: الجبرية الجهمية والأشعرية يستدلون بظاهر هذه الآية وغيرها على أن (الظلم) ممتنع في حقِّ الله تعالى؛ لأن الظلم عندهم هو: (التصرُّف في ملك الغير)، وكل شيءٍ له، وتحت تصرُّفه سبحانه، فيستحيل الظلم في حقِّه، فهم يقولون: إن الله لو عذَّبَ المُطيعين، ونَعَّم العاصين؛ لم يكن ظالمًا.

ولزم على قول هؤلاء أن الله يجوز عليه أن يُعذِّب أنبياءه، ورسله، وملائكته، وأهل طاعته، ويخلِّدهم في العذاب، ويكرم أعداءه من الكفار، والمشركين، والشياطين، ويخصّهم بجنته، فكل ذلك عدلٌ في حقِّه، لأنه يمكن وجوده.

ولا يخفى بطلان هذا القول وفساده ومناقضته للكتاب والسُّنة والعقل، وسيأتي زيادة بيان تحت أثر رقم (٥٦١).

جرى مقدوره به، وأحاط به علمًا قبل كونه أنه سيكون.

• خلق الخلق كما شاء لما شاءَ، فجعلهم شقيًّا وسعيدًا قبل أن يخرجهم إلى الدنيا، وهم في بطون أُمهاتهم، وكتب آجالهم، وكتب أرزاقهم، وكتب أعمالهم، ثم أخرجهم إلى الدنيا، فكلّ إنسانٍ يسعى فيما كُتِبَ له وعليه.

• ثم بعث رُسله، وأنزل عليهم وحْيه، وأمرهم بالبلاغ لخلقه، فبلَّغوا رسالات ربهم، ونصحوا قومهم، فمن جرى في مقدور الله تعالى أن يؤمن آمن، ومن جرى في مقدورِه أن يكفُرَ كَفَرَ، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُمْ مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢﴾ [التغابن].

• أحبَّ من أراد مِن عباده؛ فشرحَ صدرَه للإسلام والإيمان، ومقتَ آخرين؛ فختمَ على قلوبهم، وعلى سمعهم، وعلى أبصارهم، فلن يهتدوا إذًا أبدًا، يضلُّ من يشاء، ويهدي من يشاء، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ۝٢٣﴾ [الأنبياء].

الخلقُ كلهم له، يفعلُ في خلقه ما يُريد غير ظالمٍ لهم، جلَّ ذكره عن أن يُنسبَ ربنا إلى الظلم، إنما يظلم من يأخذ ما ليس له بمُلكٍ، وأما ربنا تعالى فله ما في [٢٩/أ] السموات، وما في الأرض، وما بينهما، وما تحت الثرى، وله الدنيا والآخرة، جلَّ ذكره، وتقدَّست أسماؤه(١).

(أحبَّ) الطاعة من عباده وأمر بها، فجرت ممن أطاعه بتوفيقه لهم، ونهى عن المعاصي، و(أراد كونها) من غير محبةٍ منه لها، ولا للأمر بها، تعالى ﷻ عن أن يأمرَ بالفحشاء أو يُحبها، وجلَّ(٢) وتعالى ربُّنا

(١) سيأتي برقم (٥٦١) معنى (الظلم) المنفي عن الله تعالى.
(٢) في هامش الأصل: (الله) خ.

من أن يجري في مُلكه ما لم يرد أن يجري أو شيءٌ لم يُحط به علمُه قبل كونه[(١)].

(١) تخبطت القدرية في مسألة: (الإرادة) هل تستلزم الرِّضا والمحبة أم لا؟

فذهبت المعتزلة والجهمية والأشعرية إلى أن: (الإرادة) تستلزم الرِّضا والمحبَّة.

ثم اختلفوا فيما يترتب على ذلك من كون ما يقع من الكفر والمعاصي محبوبًا لله لكونه مُرادًا له وتحت مشيئته.

فذهب نفاة خلق أفعال العباد من المعتزلة وغيرهم: إلى القول بأن الكفر والمعاصي ليست مُقدرة من الله تعالى، ولا مقضية منه، فهي خارجة عن مشيئته وخلقه؛ لأن النصوص قد دلَّت على أن الله يُحب الإيمان والعمل الصالح، ولا يُحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر، فإذا كان كذلك فما يقع من ذلك لا يكون بقدر الله وإرادته ومشيئته.

وعاكسهم الجبرية الجهمية والأشعرية فذهبوا: إلى أن ما في الوجود فهو بمشيئته وقُدرته، وهو خالقه. وعلى هذا فما يقع في الكون من طاعةٍ ومعصيةٍ، وخيرٍ وشرٍّ فهو محبوب لله تعالى؛ لأنه خالقٌ له، ومريد له.

وأما أهل السُّنة فهداهم الله تعالى إلى الحقِّ بفضله، فقالوا: إن (الإرادة) لا تستلزم الرِّضا والمحبة، بل بينهما فرق.

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في «مجموع الفتاوى» (٨/ ٤٧٤): وجَهمٌ ومَن وافقه من المعتزلة اشتركوا في أن مشيئة الله ومحبته ورضاه بمعنى واحد، ثم قالت المعتزلة: وهو لا يُحب الكفر والفسوق والعصيان فلا يشاؤه، فقالوا: إنه يكون بلا مشيئة.

وقالت الجهمية: بل هو يشاء ذلك كله فهو يُحبه ويرضاه... إلخ.

- قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في «شفاء العليل» (١/ ١٦٥): ههنا أمرٌ يجب التنبيه عليه، والتنبه له، وبمعرفته تزول إشكالات كثيرة تعرض لمن لم يُحط به علمًا، وهو أن الله سبحانه له الخلق والأمر، وأمره سبحانه نوعان: (أمرٌ كوني قدري)، و(أمرٌ ديني شرعي).

فـ(مشيئته) سبحانه مُتعلِّقة بخلقه وأمره الكوني، وكذلك تتعلق بما يُحبه وبما يكرهه، كله داخل تحت مشيئته، كما خلق إبليس وهو يُبغضه، وخلق الشياطين =

والكفار والأعيان والأفعال المسخوطة له وهو يُبغضها، فمشيئته سبحانه شاملة لذلك كله.

وأما (محبته ورضاه) فمُتعلِّقة بأمره الديني، وشرعه الذي شرعه على ألسنة رسله، فما وُجِد منه تعلقت به المحبة والمشيئة جميعًا، فهو محبوب للرب واقعٌ بمشيئته، كطاعات الملائكة والأنبياء والمؤمنين.

وما لم يوجد منه تعلقت به محبته وأمره الديني، ولم تتعلق به مشيئته.

وما وُجِد من الكفر والفسوق والمعاصي تعلقت به (مشيئته)، ولم تتعلَّق به (محبته، ولا رضاه، ولا أمره الديني). وما لم يوجد منها لم تتعلق به مشيئته ولا محبته.

فلفظ (المشيئة): كوني. ولفظ (المحبة): ديني شرعي.

ولفظ (الإرادة) ينقسم إلى: (إرادة كونية) فتكون هي المشيئة.

و(إرادة دينية) فتكون هي المحبة، إذا عرفت هذا فقوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]، وقوله: ﴿لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [البقرة]، وقوله: ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، لا يناقض نصوص القدر، والمشيئة العامة الدالة على وقوع ذلك بمشيئته وقضائه وقدره، فإن (المحبة) غير (المشيئة)، و(الأمر) غير (الخلق). اهـ.

ـ وقال في «المدارج» (٢/ ٥٠٨): والذي يكشف هذه الغُمَّة، ويُبصِّر من هذه العماية، وينجي من هذه الورطة: إنما هو التفريق بين ما فرَّق الله بينه، وهو (المشيئة) و(المحبة). فليسا واحدًا، ولا هما مُتلازمين، بل قد (يشاء) ما لا (يُحبُّه)، و(يُحبُّ) ما لا (يشاء) كونه.

فالأول: كمشيئته لوجود إبليس وجنوده، ومشيئته العامَّة لجميع ما في الكون مع بُغضه لبعضه.

والثاني: كمحبَّته إيمان الكفار، وطاعاتِ الفجَّار، وعدلَ الظالمين، وتوبة الفاسقين. ولو شاء ذلك لوُجِدَ كلُّه. فإنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

فإذا تقرَّر هذا الأصل، وأنَّ (الفعل) غير (المفعول)، و(القضاء) غير (المقضيّ)، وأنَّ الله سبحانه لم يأمر عباده بالرِّضا بكلِّ ما خلقه وشاءه: زالت الشُّبهات، وانحلَّت الإشكالات ولله الحمد، ولم يبق بين (شرع الربِّ) و(قدره) تناقضٌ، بحيث يُظنُّ إبطال أحدهما للآخر، بل (القدر) ينصر =

• قد عَلِمَ ما الخلق عامِلون قبل أن يَخلقَهم، وبعد أن خلقَهم، قبل أن يعملوا، قضاء وقدرٌ، قد جرى القلمُ بأمره تعالى في اللوح المحفوظ بما يكون من برٍّ أو فجور، يُثني على مَن عَمِلَ بطاعته من عبيده، ويضيف العمل إلى العباد، ويَعِدُهم عليه الجزاءَ[١] العظيم، ولولا توفيقه لهم ما عملوا بما استوجبوا به منه الجزاءَ، ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد].

• وكذا ذمَّ قومًا عمِلوا بمعصيته، وتواعدهم على العمل بها النار، وأضاف العمل إليهم بما عملوا، وذلك بمقدورٍ جرى عليهم، يضلُّ من يشاء، ويهدي من يشاء[٢].

قال محمد بن الحسين:

هذا مذهبُنا في القدر الذي سأل عنه السائِل[٣].

(الشرع)، و(الشرع) يُصدِّق (القدر)، وكلٌّ منهما يُحقِّق الآخر. اهـ.

(١) في هامش الأصل: (الأجر) خ.

(٢) وهذا خلافًا للقدرية الجبرية الذين يزعمون أن فعل العبد يضاف إلى العبد مجازًا، وأن الفاعل له على الحقيقة هو الله تعالى!!

ـ قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في «منهاج السُّنة» (٢/ ٢٩٨): وأما جمهور أهل السُّنة المتبعون للسلف والأئمة فيقولون: إن فعل العبد فعل له حقيقة، ولكنه مخلوقٌ لله، ومفعولٌ لله، لا يقولون: هو نفس فعل الله، ويُفرِّقون بين (الخلق) و(المخلوق)، و(الفعل) و(المفعول).

وهذا الفرق الذي حكاه البخاري في كتاب «خلق أفعال العباد» عن العلماء قاطبة، وهو الذي ذكره غير واحد من السلف والأئمة.. وحكاه البغوي عن أهل السُّنة قاطبة. اهـ.

(٣) في «السُّنة» للخلال (٨٧٢) قال حنبل: وسألت أبا عبد الله عن الإيمان بالقدر؟

قال: نؤمن به، ونعلم أن ما أصابنا لم يكن يُخطئنا، وما أخطأنا لم يكن ليُصيبنا، وأن الله ﷻ قدَّر كل شيء من الخير والشرِّ، فهو سابق في اللوح =

فإن قال قائِل: ما الحُجَّةُ فيما قلتَ؟

قيل له: كتابُ الله تعالى، وسُنةُ رسوله ﷺ، وسُنة أصحابه ﷺ، والتابعين لهم بإحسان، وقولُ أئمة المسلمين.

فإن قال: فاذكر من ذلك ما نزداد به علمًا ويقينًا.

قيل له: نعم إن شاء الله، والله الموفِّق لكلِّ رشاد، والمُعين عليه بمنِّه[1].

المحفوظ، الشقاء والسعادة مكتوبان على ابن آدم قبل أن يُخلق، ونحن في أصلاب الآباء.

- قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ في «جامع العلوم والحكم» (١/١٠٣): والإيمان بالقدر على درجتين: (إحداهما): الإيمان بأن الله تعالى سبق في عِلمه ما يعملُه العباد من خيرٍ وشرٍّ، وطاعة ومعصية قبل خلقهم وإيجادهم، ومَن هو منهم من أهل الجنة، ومن أهل النار..

(والدرجة الثانية): أن الله تعالى خلق أفعال عِباده كلها من الكفر والإيمان، والطاعة والعصيان، وشاءها منهم.

فهذه الدرجة يُثبتها أهل السُّنة والجماعة، ويُنكرها القدرية.

والدرجة الأولى أثبتها كثيرٌ من القدرية، ونفاها غُلاتهم؛ كمعبد الجهني الذي سُئل ابن عمر رضي الله عنهما عن مقالته، وكعَمرو بن عُبيد وغيره.. ثم خلاف السلف في تكفير أهل الدرجة الثانية... إلى أن قال: وأما من أنكر العلم القديم؛ فنصَّ الشافعي وأحمد على تكفيره، وكذلك غيرهما من أئمة الإسلام. اهـ.

- وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في «شفاء العليل» (١/١٠٠): مراتب القضاء والقدر التي من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقضاء والقدر، وهي أربع مراتب:

المرتبة الأولى: عِلم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها.

المرتبة الثانية: كتابته لها قبل كونها.

المرتبة الثالثة: مشيئته لها.

الرابعة: خلقه لها. اهـ.

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في «شفاء العليل» (١/٨) وهو يتكلم عن الإيمان بالقدر: =

٣١ ـ بَاب

ذكر ما أخبر الله تعالى أنه يَختم على قلوب من أراد من عباده فلا يهتدون إلى الحقِّ، ولا يسمعونه، ولا يُبصرونه؛ لأنه مقتهم فطبَع على قلوبهم[١]

ولما كان الكلام في هذا الباب نفيًا وإثباتًا موقوفًا على الخبر عن أسماء الله، وصفاته، وأفعاله، وخلقه وأمره؛ كان أسعدُ الناس بالصواب فيه مَنْ تلقَّى ذلك من مشكاة الوحي المُبين، ورَغِب بعقله وفطرته وإيمانه عن آراء المتهوِّكين، وتشكيكات المُشككين، وتكلُّفات المُتنطِّعين، واستمطر دِيَم الهداية من كلمات أعلم الخلق بربِّ العالمين. . . ثم تلاه أصحابه من بعده على نهجه المستقيم، وطريقه القويم، فجاءت كلماتهم كافية شافية، مُختصرة نافعة، لقرب العهد، ومباشرة التلقي من تلك المشكاة التي هي مظهر كل نور. . . ثم سلك على آثارهم التابعون لهم بإحسان، فاقتفوا طريقهم، وركبوا مناهجهم، واهتدوا بهداهم. . . إلخ.

(١) عقد ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإبانة الكبرى» بابًا نحوه، فقال: (٣٢/ باب ذكر ما أخبرنا الله تعالى في كتابه أنه ختم على قلوب من أراد من عباده، فهم لا يهتدون إلى الحقِّ، ولا يسمعونه، ولا يُبصرونه، وأنه طبع على قلوبهم).

ـ وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شفاء العليل» (١/ ٢٨١) (الباب الخامس عشر: في الطبع، والختم، والقفل، والغل، والسد، والغشاوة، والحائل بين الكافر وبين الإيمان، وأن ذلك مجعول للرب تعالى)، وذكر الآيات التي ذكرها المُصنف هاهنا، ثم قال:

وقد ضلَّ بهذه الآيات ونحوها طائفتا (القدرية) و(الجبرية):

فحرَّفها (القدرية) بأنواعٍ من التحريف المُبطل لمعانيها، وما أريد منها.

٣٨٣ ـ قال الله تعالى في البقرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾﴾.

• وقال تعالى في سورة النساء: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾.

• وقال تعالى في سورة المائدة: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾﴾.

• وقال تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ﴾ الآية [٢٥].

• وقال تعالى في هذه السورة: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام].

• وقال تعالى في سورة التوبة: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ

وزعمت (الجبرية) أن الله أكرهها على ذلك، وقهرها عليه، وأجبرها من غير فعلٍ منها، ولا إرادة، ولا اختيار، ولا كسبٍ البتّة، بل حال بينها وبين الهُدى ابتداء من غير ذنبٍ ولا سببٍ من العبد يقتضي ذلك، بل أمَرَه وحال ـ مع أمره ـ بينه وبين الهُدى، فلم ييسّر له إليه سبيلًا، ولا أعطاه عليه قدرة، ولا مكّنه منه بوجهٍ، وزاد بعضهم: بل أحبَّ له الضلال والكفر والمعاصي، ورضيه منه.

وهدى (أهل السُّنة والحديث وأتباع الرسول) لما اختلف فيه هاتان الطائفتان من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. .إلخ، ثم ذكر أقوالهم وأطال في مناقشتها.

وَهُمْ أَغْنِيَآءُ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

• وقال تعالى في سورة النحل: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ﴾، إلى قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ [١٠٦ ـ ١٠٨].

• وقال تعالى في سورة بني إسرائيل: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ الآية [الإسراء: ٤٥، ٤٦].

• وقال تعالى في سورة الكهف: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾.

• وقال تعالى في سورة الشعراءِ: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾﴾.

• وقال تعالى في سورة يس: ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾﴾.

• وقال تعالى في سورة حم الجاثية: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

• وقال تعالى في سورة محمد ﷺ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾﴾.

• وقال تعالى في سورة المنافقين: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ [٢٩/ب] فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾.

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ:

جميع ما تلوتُه من هذه الآيات يدلُّ العقلاءَ على أن الله تعالى ختم على قلوب قومٍ، وطبع عليها، ولم يُرِدْها لعبادته، وأرادها لمَعصيته، فأعمَاها عن الحقِّ فلم تُبصِرْه، وأصمَّها عن الحقِّ فلم تَسمعْه، وأخزاها ولم يُطهِّرْها، يفعل بخلقه ما يُريد.

لا يجوز لقائِلٍ أن يقول: لِمَ فعل بهم ذلك؟

فمن قال ذلك؛ فقد عارضَ الله تعالى في فعله، وضلَّ عن طريق الحقِّ(١).

---

(١) عند اللالكائي (١١٦٧) عن علي بن حسين أنه قال: إن أصحاب القدر حملوا مقدرة الله ﷻ على ضعف رأيهم، فقالوا لله: لِمَ؟ ولا ينبغي أن يُقال لله: لِمَ؟

ـ قال ابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ في «الإبانة الكبرى» (٢١٢٥): يلزم العقلاءَ الإيمانُ بالقدر والرِّضا والتسليم لقضاءِ الله وقدره، وترك البحث والتنقير، وإسقاط: لِمَ؟ وكيف؟ وليت، ولولا، فإن هذه كلها اعتراضات من العبد على ربه، ومِنَ الجاهلِ على العالم، ومعارضةٌ من المخلوق الضعيف الذليل على الخالق القوي العزيز، والرِّضا والتسليم طريق الهُدى، وسبيل أهل التقوى، ومذهب من شرح الله صدره للإسلام، فهو على نورٍ من ربه، فهو يؤمن بالقدر كله خيره وشرِّه، وأنه واقع بمقدور الله جرى، ومن يعلم أن الله يضلُّ من يشاءُ، ويهدي من يشاءُ، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء]. اهـ.

ـ قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسيره» (٣٩٦/٢١) عند تفسيره لهذه الآية: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: يمن عليك هؤلاء الأعراب يا محمد أن أسلموا، ﴿قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾، يقول: بل الله يمُنّ عليكم أيها القوم أن وفقكم للإيمان به وبرسوله ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾، يقول: إن كنتم صادقين في قولكم: (آمنا)، فإن الله هو الذي مَنَّ عليكم بأن هداكم له، فلا تمنوا عليَّ بإسلامكم، وذُكِر أن هؤلاء الأعراب من =

ثم اختصَّ من عباده من أحبَّ؛ فشرحَ قلوبهم للإيمان، وزيَّنه في قلوبهم، ﴿...وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾ [الحجرات].

قال محمد بن الحسين:

اعقلوا يا مسلمين ما يُخاطبكم الله به، يُعلِمكم: أني مالكٌ للعباد، أختصُّ منهم من أُريد، فأُطهِّر قلبه، وأشرح صدره، وأُزيِّن له طاعتي، وأُكره إليه معصيتي، لا لِيَدٍ تقدَّمتْ منه إليَّ، أنا الغنيُّ عن عبادي، وهم الفقراءُ إليَّ، ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد]، والمِنَّة لله تعالى على من هُدي للإيمان.

ألم تسمعوا ـ رحمكم الله ـ إلى قول مولاكم الكريم حين امتنَّ قومٌ بإسلامهم على النبي ﷺ؟ فأنزل الله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات].

بني أسد، امتنوا على رسول الله ﷺ، فقالوا: آمنا من غير قتال، ولم نُقاتِلك كما قاتلك غيرنا، فأنزل الله فيهم هذه الآيات. اهـ.

ـ وقال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٧/ ٣٨٩): فدل هذا على أن هؤلاء الأعراب المذكورين في هذه الآية ليسوا بمنافقين، وإنما هم مسلمون لم يستحكم الإيمان في قلوبهم، فادعوا لأنفسهم مقامًا أعلى مما وصلوا إليه، فأُدِّبوا في ذلك. وهذا معنى قول ابن عباس وإبراهيم النخعي، وقتادة، واختاره ابن جرير. وإنما قلنا هذا لأن البخاري رحمه الله ذهب إلى أن هؤلاء كانوا منافقين يظهرون الإيمان وليسوا كذلك... والصحيح الأول... ولو كانوا منافقين لعنفوا وفضحوا، كما ذكر المنافقون في سورة براءة. وإنما قيل لهؤلاء تأديبًا: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾، أي: لم تصلوا إلى حقيقة الإيمان بعد. ثم قال: ﴿وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾ أي: لا ينقصكم من أجوركم شيئًا، كقوله: ﴿وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الطور: ٢١]. اهـ.

٣٢ ـ بَاب

ذكر ما أخبر الله تعالى أنه يُضل من يشاءُ، ويهدي من يشاءُ، وأن الأنبياءَ لا يهدون إلَّا من سبقَ في عِلم الله أنه يهديه(١)

(١) عقد ابن بطة رحمه الله في «الإبانة الكبرى» بابًا نحوه، فقال: (٣٣/ باب ذكر ما أعلمنا الله تعالى في كتابه أنه يضلُّ من يشاء، ويهدي من يشاء، وأنه لا يهتدي بالمرسلين والكتب والآيات والبراهين إلَّا من سبق في علم الله أنه يهديه).

ـ وقال ابن القيم رحمه الله في «شفاء العليل» (الباب الرابع عشر: في الهُدى والضلال ومراتبهما والمقدور منهما للخلق، وغير المقدور لهم): هذا المذهب هو قلب أبواب القدر ومسائله، فإن أفضل ما يقدِّر الله لعبده وأجل ما يقسمه له: الهُدى، وأعظم ما يبتليه به ويقدِّره عليه: الضلال، وكل نعمة دون نعمة الهُدى، وكل مُصيبة دون مُصيبة الضلال.

وقد اتفقت رُسلُ الله من أولهم إلى آخرهم وكتبُه المنزَّلة عليهم على أنه سبحانه يضلُّ من يشاء، ويهدي من يشاء، وأنه من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هدي له، وأن الهُدى والإضلال بيده، لا بيد العبد، وأن العبد هو الضالّ أو المهتدي، فالهداية والإضلال: فعله سُبحانه وقَدره. والاهتداء والضلال: فعل العبد وكسبه.

ولا بُدَّ قبل الخوض في تقرير ذلك من ذكر مراتب الهُدى والضلال في القرآن، فأما مراتب الهُدى فأربعة:

(إحداها): الهُدى العام، وهو هداية كل نفسٍ إلى مصالح معاشها، وما يقيمها، وهذا أعم مراتبه.

(المرتبة الثانية): الهُدى بمعنى البيان والدلالة والتعليم والدعوة إلى مصالح =

العبد في معاده، وهذا خاصٌّ بالمُكلفين، وهذه المرتبة أخصّ من المرتبة الأولى، وأعم من الثالثة.

(المرتبة الثالثة): الهداية المستلزمة للاهتداء، وهي هداية التوفيق ومشيئة الله لعبده الهداية، وخلقه دواعي الهُدى وإرادته والقدرة عليه للعبد، وهذه الهداية التي لا يقدر عليها إلَّا الله ﷻ.

(المرتبة الرابعة): الهداية يوم المعاد إلى طريق الجنة والنار.

ثم أطال في شرحها وذِكر الأدلة عليها، ومما ذكره باختصار:

(المرتبة الثانية): هداية الإرشاد والبيان للمُكلفين، وهذه الهداية لا تستلزم حصول التوفيق، واتّباع الحق، وإن كانت شرطًا فيه، أو جُزء سببٍ، وذلك لا يستلزم حصول المشروط والمسبَّب، بل قد يتخلّف عنه المُقتضي إما لعدم كمال السبب، أو لوجود مانع، ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧]، وقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١١٥]، فهداهم هُدى البيان والدلالة، فلم يهتدوا، فأضلهم عقوبة لهم على ترك الاهتداء أولًا بعد أن عرفوا الهُدى فأعرضوا عنه، فأعماهم عنه بعد أن أراهموه.

وهذا شأنه سبحانه في كل من أنعم عليه بنعمة فكفرها، فإنه يَسلبه إياها بعد أن كانت نصيبه وحظّه.

وهذه الهداية هي التي أثبتها لرسوله، حيث قال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾ [الشورى]، ونفى عنه ملك الهداية الموجِبة، وهي هداية التوفيق والإلهام بقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦].

وهذه المرتبة أخصّ من التي قبلها، فإنها هداية تخصُّ المُكلَّفين، وهي حُجَّة الله على خلقه التي لا يُعذِّب أحدًا إلَّا بعد إقامتها عليه، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۝١٥﴾ [الإسراء].

فإن قيل: كيف تقوم حُجَّته عليهم وقد منعهم من الهُدى، وحال بينهم وبينه؟

قيل: حُجَّته قائمة عليهم بتخليته بينهم وبين الهُدى، وبيان الرسل لهم، وإراءتهم الصراط المستقيم حتى كأنهم يشاهدونه عيانًا، وأقام لهم أسباب الهداية ظاهرًا وباطنًا، ولم يَحُل بينهم وبين تلك الأسباب، ومن حال بينه =

وبينها منهم بزوال عقلٍ أو صغر لا تمييزَ معه، أو كونه بناحية من الأرض لم تَبلغه دعوةُ رسلِه: فإنه لا يُعذِّبه حتى يُقيم عليه حُجَّته، فلم يمنعهم من هذا الهُدى، ولم يحُل بينهم وبينه.

نعم، قطع عنهم توفيقه، ولم يُرد من نفسه إعانتهم والإقبال بقلوبهم إليه، فلم يحل بينهم وبين ما هو مقدور لهم، وإن حال بينهم وبين ما لا يقدرون عليه، وهو فعله ومشيئته وتوفيقه، فهذا غير مقدور لهم، وهو الذي مُنِعوه، وحيل بينهم وبينه، فتأمَّل هذا الموضع، واعرف قدره، والله المستعان.

(المرتبة الثالثة): هداية التوفيق والإلهام، وخلق المشيئة المستلزمة للفعل.

وهذه المرتبة أخصُّ من التي قبلها، وهي التي ضلَّ جُهَّال القدرية بإنكارها، وصاح عليهم سلف الأمة وأهل السُّنة منهم من نواحي الأرض عصرًا بعد عصر إلى وقتنا هذا؛ ولكن الجبرية ظلمتهم ولم تُنصفهم، كما ظلموا أنفسهم بإنكار الأسباب والقُوَى، وإنكار فعل العبد وقُدرته، وأن يكون له تأثير في الفعل البتَّة، فلم يهتد القدرية بقول هؤلاء، بل زادهم ضلالًا على ضلالهم، وتمسُّكًا بما هم عليه. وهذا شأن المُبطل إذا دعا مُبطلًا آخرَ إلى ترك مذهبه لقوله ومذهبه الباطل.

وهذه المرتبة تستلزم أمرين:

أحدهما: فعل الرب تعالى وهو الهُدى.

والثاني: فعل العبد وهو الاهتداء، وهو أثر فعله سبحانه، فهو الهادي، والعبد المُهتدي، قال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ [الكهف: ١٧]، ولا سبيل إلى وجود الأثر إلا بمؤثِّره التام، فإن لم يحصل فعله لم يحصل فعل العبد. ولهذا قال تعالى: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾ [النحل: ٣٧].

وهذا صريحٌ في أن هذا الهُدى ليس له ﷺ، ولو حرص عليه، ولا إلى أحدٍ غير الله، وأن الله سبحانه إذا أضلَّ عبدًا لم يكن لأحدٍ سبيلٌ إلى هدايته... فإن الله سبحانه يُخبر أنه قسم هدايته للعبد قسمين: قسمًا لا يقدر عليه غيره، وقسمًا مقدورًا للعباد، فقال في القسم المقدور للغير: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾ [الشورى]، وقال في غير المقدور للغير: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [الشورى: ٥٢]، وقال: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ﴾ =

٣٨٤ ـ قال الله تعالى في سورة النساء: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾﴾.

• وقال الله تعالى في هذه السورة، وقد ذكر المنافقين، فقال: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾ [النساء].

• وقال تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾.

• وقال تعالى في هذه السورة: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الأنعام].

• وقال تعالى في سورة الأعراف: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾﴾.

• وقال تعالى في سورة الرعد: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾﴾.

• وقال تعالى في هذه السورة: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۗ﴾ [الرعد: ٣١].

• وقال تعالى في هذه السورة: ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الرعد].

• وقال تعالى في سورة إبراهيم عليه السلام: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا

[القصص: ٥٦]. ومعلوم قطعًا أن البيان والدلالة قد تحصل له ولا تنفى عنه. اهـ.

وقد أطال في مناقشة القدرية وبيان فساد تأويلهم لهذه النصوص.

وسيأتي تحت أثر (٣٩٤) نقل كلام الكرجي رحمه الله في أنواع الهداية.

بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾.

• وقال تعالى في سورة النحل: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾﴾.

• وقال تعالى في هذه السورة: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

• وقال تعالى في سورة بني إسرائيل: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦۖ﴾ الآية [الإسراء: ٩٧].

• وقال تعالى في سورة الكهف: ﴿...إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًاۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾.

• وقال تعالى في سورة الحج: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾.

• وقال تعالى في سورة النور: ﴿يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ [٣٥]، ثم قال: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾.

• وقال تعالى في هذه السورة: ﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍۚ وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾﴾ [النور].

• وقال تعالى في سورة القصص: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

• وقال تعالى في سورة الروم: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۖ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

• وقال تعالى في سورة السجدة: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَأٓتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾.

• وقال تعالى في سورة الملائكة: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾ [فاطر].

• وقال تعالى في سورة الزمر: ﴿...فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓۚ﴾، إلى قوله [٣٠/أ]: ﴿أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾.

• وقال تعالى في هذه السورة: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر].

• وقال تعالى في هذه السورة لمحمد ﷺ: ﴿...وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الزمر].

• وقال تعالى في سورة حم المؤمن: ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾ [غافر].

• وقال تعالى في سورة المدثر: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُۚ﴾ [٣١][1].

(١) قال الكرجي رَحِمَهُ اللهُ في «نكت القرآن» (٣/ ٩٠) في مثل هذه الآيات التي ساقها =

❁ قال محمد بن الحسين:

اعلموا يا معشرَ المسلمين أن مولاكم الكريمَ يُخبركم أنه يهدي من يشاء، فيوصل إلى قلبه محبَّة الإيمان؛ فيؤمن ويُصدِّق.

ويضلُّ من يشاء، فلا يَقدرُ نبيٌّ ولا غيره على هدايته بعد أن قد أضلَّه الله عن الإيمان(١).

المُصنِّف هاهنا:

حُجَّةٌ على المعتزلة والقدرية شديدةٌ لجمعه بين المشيئة والإضلال، والهُدى والسؤال عن العمل في آيةٍ واحدة، وهو قولنا الذي نقوله: إن الله جلَّ جلاله لو شاء لجعل الناس كلهم مؤمنين، ولكنه لم يفعل، فأضلَّ قومًا فكفروا، وهدى قومًا فآمنوا، فعذَّب الكافر بجنايته، وقد قضاها عليه بعدله، وأثاب المؤمن على إحسانه، وقد هداه إليه بفضله.

وكل هذا حكمٌ منتظمٌ، وعدلٌ شاملٌ، وفضلٌ بَيِّنٌ، عقلته الخليقة بعقولها أم لم تعقله. ولو لم يكن في القرآن من الردِّ عليهم إلَّا هذه الآية وحدها لكفتهم، فكيف وهو مملوء بأمثالها بحمد الله ونعمته.اهـ.

(١) في «السُّنة» للخلال (٨٧٥) قال الحارث: سمعت أبا عبد الله [أحمد بن حنبل] وسُئل عن القدر، قيل له: إنهم يقولون: إن الله ﷻ لا يُضلُّ أحدًا، هو أعدل من أن يُضلَّ أحدًا، ثم يُعذِّبه على ذلك؟!

فقال: أليس قال الله ﷻ: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [فاطر: ٨]؟!

فالله ﷻ قدَّر الطاعة والمعاصي، وقدَّر الخير والشرَّ، ومن كُتِبَ سعيدًا فهو سعيدٌ، ومن كُتِبَ شقيًّا فهو شقيٌّ.

ـ ختم ابن بطة رَحِمَهُ اللهُ في «الإبانة» نحو هذا الباب بقوله (١٣٩١): ففي كلِّ هذه الآيات يُعلمُ الله ﷻ عبادَه المؤمنين أنه هو الهادي المُضلُّ، وأن الرسلَ لا يهتدي بها إلَّا من هداه الله، ولا يأبى الهداية إلَّا من أضلَّه الله، ولو كان من اهتدى بالرسل والأنبياء هدته؛ لكان كل من جاءهم المرسلون مهتدين؛ لأن الرسل بُعِثوا رحمة للعالمين، ونصيحةً لمن أطاعهم من الخليقة أجمعين، فلو كانت الهداية إليهم لما ضلَّ أحدٌ جاءوه. أما سَمِعْتَ... بالذي أخبرنا به عن خِطاب نوح ﷺ لقومه: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ =

٣٣ ـ بَاب

ذكر ما أخبر الله تعالى أنه أرسل الشياطين على الكافرين يضلونهم ولا يضلون إلَّا من سبقَ في عِلمه أنه لا يؤمن، ولا يضرون أحدًا إلَّا بإذن الله، وكذلك السحرة لا يضرُّون أحدًا إلا بإذن الله(١)

٣٨٥ ـ قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ

ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْۚ هُوَ رَبُّكُمْ﴾ [هود: ٣٤].

هذا من أحكام الله وعدله الذي لا يجوز لأحدٍ أن يتفكَّر فيه، ولا يظن فيه بربه غير العدل، وأن يحمل ما جهله من ذلك على نفسه، ولا يقول: كيف بعث الله ﷻ نوحًا إلى قومه، وأمره بنصيحتهم ودلالتهم على عبادته والإيمان به وبطاعته، والله يغويهم، ويحول بينهم وبين قبول ما جاء به نوح إليهم عن ربه حتى كذبوه، وردوا ما جاء به؟

ولقد حَرِصَ نوح في هداية الضَّال من ولده، ودعا الله أن ينجيه من أهله، فما أجيب، وعاتبه الله في ذلك بأغلظ العتاب. . . وذلك أن ابن نوح كان ممن سبقت له من الله الشقوة، وكتب في ديوان الضُّلَّال الأشقياء، فما أغنت عنه نبوة أبيه، ولا شفاعته فيه. فنحمد ربًّا خصَّنا بعنايته، وابتدأنا بهدايته من غير شفاعة شافعٍ، ولا دعوة داعٍ، وإيَّاه نسألُ أن يتمَّ ما به ابتدَأنا، وأن يُمسِّكنا بعُرى الدينِ الذي إليه هدانا، ولا ينزع منا صالحًا أعطانا. اهـ.

(١) عقد ابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ في «الإبانة الكبرى» بابًا نحوه، فقال: (٣٤/ باب ذكر ما أخبرنا الله تبارك وتعالى أنه أرسل المرسلين إلى الناس يدعونهم إلى عبادة رب العالمين، ثم أرسل الشياطين على الكافرين تحرضهم على تكذيب المرسلين، ومن أنكر ذلك فهو من الفرق الهالكة).

مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾، إلى قوله: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [١٠٢](١).

• وقال تعالى في سورة مريم: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾.

• وقال تعالى في سورة والصافات: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾.

٣٨٦ ـ أخبرنا أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي، قال: ثنا محمد بن أبي بكر المُقدَّمي، قال: ثنا حماد بن زيد، عن خالد الحذّاء، عن الحسن في قول الله تعالى: ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾ [الصافات]، قال: الشياطين لا يفتنون بضلالتهم إلَّا من أوجب الله تعالى له أن يصلى الجحيم(٢).

---

(١) قال ابن بطة رَحِمَهُ اللهُ في «الإبانة الكبرى» (١٣٩٣): أما ترى كيف أعلمنا أن السِّحر كُفرٌ، وأنه أنزله على هاروت وماروت، وجعلهما فتنة ليكفُرَ من كتبه كافرًا بفتنتهما، وأن السحرَ الذي يعلمانِه الناسَ كفرٌ، وأنه لا يضرُّ أحدًا إلَّا من قد أذن الله أن يضرَّه السحر، وذلك عدل منه سبحانه. اهـ.

(٢) قال أبو جعفر النحاس رَحِمَهُ اللهُ في «إعراب القرآن» (٣/ ٢٩٩): أهل التفسير مُجمعون فيما علمته على أن المعنى: ما أنتم بمضلين أحدًا إلَّا من قدَّر الله ﷻ عليه أن يَضِلَّ ـ ثم ذكر بعض آثارهم ـ وقال: ففي هذه الآية ردٌّ على القدرية من كتاب الله ﷻ، وفيها من المعاني أن الشياطين لا يصِلون إلى إضلال أحد إلَّا من كتب الله ﷻ عليه أنه لا يهتدي، ولو علم الله ﷻ أنه يهتدي لحال بينه وبينهم. اهـ.

ـ وقال الكرجي رَحِمَهُ اللهُ في «نكت القرآن» (٣/ ٧٤٠): كان الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ يقول: يعني: يا بني إبليس، إنكم لن تستطيعوا أن تُضِلوا أحدًا إلَّا مَن كان في علم الله أن يَصلَى الجحيم.

وهو حَسَن من قوله، وبراءة مما رُمي به من القدر، وحُجَّة على من يحسب أنه منهم. اهـ.

٣٨٧ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: ثنا عبد الله بن إدريس، عن عمر بن ذرٍّ، قال: قال عمر بن عبد العزيز: لو أراد الله تعالى أن لا يُعصى ما خلق إبليس، وهو رأس الخطيئة، وإن في ذلك لعِلْمًا من كتاب الله، جَهِلَه من جَهِلَه، وعَرَفه من عَرَفه، ثم قرأ: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾ [الصافات].

قال محمد بن الحسين:

٣٨٨ ـ وقال الله تعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [فصلت].

• وقال تعالى في سورة الزخرف: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

قال محمد بن الحسين:

قد أخبركم الله تعالى يا مسلمين أنه يُرسل الشياطين على من لم يَجرِ له في مقدوره أنه يؤمنُ، فيُضلُّهم بالشياطين، فيُزينون لهم قبيح ما هم عليه.

• وقد أخبرنا الله تعالى أنه هو الذي فتن قومَ موسى حتى عبدوا العِجلَ بما قبض لهم السَّامريُّ، فأضلهم بما عَمِلَ لهم من العِجلِ، ألم تسمعوا إلى قوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾﴾ [طه].

• وقال تعالى في سورة الأنبياءِ: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

• وقال تعالى في سورة (حم المؤمن): ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ﴾ [غافر: ٣٧][(١)].

---

(١) قال ابن بطة رَحِمَهُ اللهُ في «الإبانة الكبرى» (١/ ٥٩٦) مُعلِّقًا على هذه الآيات: فهذا كلام الله ﷻ وإخباره عن فعله في خلقه، يُعلمهم أن المفتون مَنْ فَتَنَه، والهادي من هداه، والضَّالُّ من أضله وحال بينه وبين الهُدى، وأن الشياطين هو خلقها وسلَّطها، والسحر هو أنزله على السحرة، وأنه لا يضرُّ أحدًا إلَّا بإذنه.

فتعِسَ عبدٌ وانتكس سَمِعَ هذا الكلام الفصيح الذي جاء به الرسول الصادق ﷺ من كتاب ربه الناطق، فيتصامم عنه ويتغافل، ويتمحَّل لآرائه وأهوائه المقاييس بالكلام المزخرف، والقول المُحرَّف ابتغاءَ الفتنةِ وحبُّ الأتباع والأشياع، ﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ٢٥﴾ [النحل]. اهـ.

٣٤ ـ بَاب

ذكر ما أخبر الله تعالى أن مشيئة الخلق تَبَعٌ لمشيئة الله فمن شاءَ أن يهتدي اهتدى، ومن شاءَ أن يضلَّ لم يهتدِ أبدًا(١)

(١) عقد ابن بطة كَلَلهُ في «الإبانة الكبرى» بابًا نحوه، فقال: (٣٥/ باب ذكر ما أعلمنا الله تعالى أن مشيئة الخلق تبع لمشيئته، وأن الخلق لا يشاؤون إلَّا ما شاء الله ﷻ).

ـ فعند اللالكائي (١٢٥٧) قال عبد المجيد بن عبد العزيز: كنا مع إنسان يتكلم في القدر، فأخذ بيضةً، وكنا نأكل بيضًا وخُبزًا، فقال: هذه البيضة إن شئت أكلتها، وإن شئت لم آكلها. قال: فقلنا له: فشأ. قال: فأنا أشاء. قال: فأدخلها في فيه، فوثب إليه رجلان من أصحابنا جلدان ففكًا لحييه حتى رماها، فقالا: زعمت أنك ـ يا عدو الله ـ لو شئت لأكلتها، ولكن المشيئة إلى الله شاء أن لا تأكلها فطرحتها.

ـ قال ابن تيمية كَلَلهُ في «مجموع الفتاوى» (٨/ ٤٦٠): ومما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها مع إيمانهم بالقضاء والقدر: أن الله خالق كل شيء، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وأن العباد لهم مشيئة وقدرة يفعلون بمشيئتهم وقدرتهم ما أقدرهم الله عليه مع قولهم: إن العباد لا يشاءون إلَّا أن يشاء الله. . .

والقرآن قد أخبر بأن العباد يؤمنون ويكفرون، ويفعلون ويعملون، ويكسبون ويطيعون ويعصون، ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة. . ويقتلون ويزنون ويسرقون، ويصدقون ويكذبون، ويأكلون ويشربون. . فلم يكن من السلف والأئمة من يقول: إن العبد ليس بفاعلٍ، ولا مختارٍ، ولا مريدٍ، ولا قادر.

ولا قال أحدٌ منهم: إنه فاعل مجازًا، بل من تكلم منهم بلفظ الحقيقة =

٣٨٩ ـ قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾.

• وقال تعالى فيها: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة].

• وقال تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾.

• وقال تعالى في هذه السورة: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنعام].

• وقال تعالى: ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنعام].

• وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ

والمجاز متفقون على أن العبد فاعل حقيقة، والله تعالى خالق ذاته وصفاته وأفعاله.

وأول من ظهر عنه إنكار ذلك هو الجهم بن صفوان وأتباعه، فحُكِيَ عنهم أنهم قالوا: إن العبد مجبورٌ، وأنه لا فعل له أصلًا، وليس بقادرٍ أصلًا... وكان ظهور جهم ومقالته في تعطيل الصفات وفي الجبر والإرجاء في أواخر دولة بني أُميَّة بعدَ حدوث القدرية والمعتزلة وغيرهم، فإن القدرية حدثوا قبل ذلك في أواخر عصر الصحابة ﷺ، فلما حدثت مقالته المقابلة لمقالة القدرية أنكرها السلف والأئمة كما أنكروا قول القدرية من المعتزلة وغيرهم.. إلخ.

كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ [الأنعام].

• وقال تعالى في سورة هود: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾. [٣٠/ب]

٣٩٠ ـ **أخبرنا** الفِريابي، قال: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: ثنا إسماعيل ابن عُليَّة، عن منصور بن عبد الرحمٰن، قال: قلت للحسن: قوله تعالى: ﴿...وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود]، قال: ومن رَحِمَ ربك غير مختلفين.

قلت: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾؟

قال: نعم، خلق هؤلاء للجنة، وخلق هؤلاء للنار، وخلق هؤلاء للرَّحمة، وخلق هؤلاء للعذاب(١).

٣٩١ ـ **وأخبرنا** الفريابي، قال: ثنا قُتيبة بن سعيد، قال: ثنا حماد بن زيد، عن خالد الحذَّاء، قال: قدِمَ علينا رجلٌ من أهل الكوفة، وكان مُجانبًا للحسن لما كان يبلغه عنه في القدر، حتى لقيه، فسأله الرجل أو سُئِل عن هذه الآية: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾، قال: لا يختلفُ أهل رحمة الله.

قال: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٩]؟

قال: خلق الله تعالى أهل الجنة للجنة، وأهل النار للنار.

---

(١) وعند اللالكائي (٩١٠/بتحقيقي) عن أشهب، قال: سألت مالكًا عن قوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾؟
قال: خلقهم ليكون فريقٌ في الجنة، وفريقٌ في النار.

قال: فكان الرجل بعد ذلك يُكذِّب عن الحسن[(١)].

• وقال الله تعالى في سورة إبراهيم عليه السلام: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾.

• وقال تعالى في سورة النور: ﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾﴾.

• وقال تعالى في سورة القصص لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

• وقال لنبيه ﷺ في سورة الملائكة: ﴿...إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [فاطر].

• وقال تعالى في سورة حم عسق: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ [الشورى: ٨].

• وقال في سورة المدثر: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾.

• وقال تعالى في سورة: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ بعد أن حذَّر من النار، وشوَّق إلى الجنات مما أعدَّ فيها لأوليائه، فقال بعد ذلك: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإنسان]، ثم قال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [المرسلات].

---

(١) أي: يُكذِّب ما قيل عن الحسن البصري رحمه الله من أنه وافق القدرية على مذهبهم الخبيث.

وفي بعض المصادر: (... يَذُبُّ عن الحسن).

• وقال تعالى في سورة ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾.

٣٩٢ ـ أخبرنا الفِريابي، قال: ثنا أبو أنس مالك بن سليمان، قال: ثنا بقية بن الوليد، عن عمر بن محمد، عن زيد بن أسلم، عن أبي هريرة ﵁ قال: لما أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨﴾ [التكوير]، قالوا: الأمر إلينا، إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم.

فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾[(١)].

۞ قال محمد بن الحسين:

اعتبروا يا مسلمين، هل لقدريٍّ في جميع ما تلوتُه حُجَّة إلّا خذلان وشقوة.

٣٩٣ ـ أخبرنا الفِريابي، قال: ثنا محمد بن إسماعيل، قال: ثنا عبد العزيز بن عبد الله الأويسي، قال: قال مالك بن أنس: ما أضلَّ من كذَّب بالقدر، لو لم يكن عليهم فيه حُجَّة إلَّا قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢]؛ لكفى بها حُجَّة.

٣٩٤ ـ وأخبرنا الفِريابي، قال: ثنا أبو أنس مالك بن سليمان، قال: ثنا بقية، ـ يعني: ابن الوليد ـ، عن مُبَشِّر بن عُبيد، عن عطاء بن السائب، عن أبي صالح، عن

---

(١) رواه الفريابي في «القدر» (٤٢٤)، وإسناده منقطع.

ورواه الفريابي (٤٢٣)، وحرب الكرماني في «السُّنة» (٢٢٤)، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن أبي هريرة ﵁، وإسناده لا يصح أيضًا.

ـ وفي «الإبانة الكبرى» (١٩٣٤) عن سعيد بن عبد العزيز، قال: لما نزلت: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨﴾، قال أبو جهل ـ لعنه الله ـ: الأمر إلينا؛ إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم؛ فنزلت: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾ [التكوير].

ابن عباس رضي الله عنهما: في قول الله تعالى: ﴿...كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [الأعراف]، وكذلك خلقهم حين خلقهم، فجعلهم مؤمنًا وكافرًا، وسعيدًا وشقيًا، وكذلك يعودون يوم القيامة مهتدين وضُلالًا[١].

---

(١) في «الإبانة الكبرى» (١٤٠٤) عن أبي العالية: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾﴾، قال: عادوا إلى علمه فيهم، ألم تسمع إلى قول الله عز وجل: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾.

- وفي «معاني القرآن» للنحاس (٣/ ٢٦) قال مجاهد: من بُدئ سَعيدًا عاد سَعيدًا، ومن بُدئ شقيًا عاد شقيًا.

وقال محمد بن كعب: يُختمُ للمرء بما بُدئ به، ألا ترى أن السحرة كانوا كفارًا ثم خُتِم لهم بالسعادة، وأن إبليس كان مع الملائكة مؤمنًا ثم عاد إلى ما بُدئ به. اهـ.

- وقال الكرجي رحمه الله في «نكت القرآن» (١/ ٤١٠) عند تفسيره لهذا الآية: حُجَّة عليهم إذ المهتدي بدأ مهتديًا، والضال حقَّ عليه ما خلق له من الضلالة.

ألا تراه يقول في موضع آخر: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة]، فالحق لا محالة منه يحق، أليس بيِّنا في سياق الكلام أن القول منه جلَّ وعلا حقَّ قبل فعل الجن والإنس أفعالًا استوجبوا بها دخول النار، فلذلك لم تؤت كل نفسٍ هداها.

وهل يقدر من حَقّ عليه الضلالة أن يبطلها عن نفسه أو من هُدي أن يضلّ.

فإن احتجُّوا بقوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٦].

قيل لهم: ويحكم ما تفرون أبدًا من شيءٍ إلَّا وقعتم فيما هو أعظم منه! هل تخلو هدايتُه ثمودَ من أن تكون هداية بيان، أو هداية حُكم وإيجاب إرادة، فإن كانت هداية بيانٍ؛ فلا حُجَّة فيها علينا.

وإن كانت هداية حُكم وإيجاب إرادة، فكيف غلبوا إرادته في إيجاب الهداية، وقهروا حكمه النافذ في كل شيء، فعقروا ناقته، وعتوا عن أمره، وكَفَروا بنبيِّه صالح ﷺ. أما تعلمون أن البيان والدعوة عامان، والهداية خاصّة، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ =

٣٩٥ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: ثنا وكيع، عن سفيان ـ يعني: الثوري ـ، عن سالم بن أبي حفصة، عن محمد بن كعب القُرظي في قول الله تعالى: ﴿...ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر]، قال: نزلت تعييرًا لأهل القدر(١).

٣٩٦ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا قُتيبة بن سعيد، قال: ثنا أنس بن عياض، عن أبي حازم، قال: قال الله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾﴾ [الشمس]، قال: فالتقيُّ ألهمه التقوى، والفاجر ألهمه الفجور(٢).

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [يونس]، فجعل الدعوةَ عامةً، والهدايةَ خاصّةً. اهـ.

قلت: تقدم في التعليق على (باب/ ٣٢) ذكر أنواع الهداية والفرق بينها.

(١) روى مسلم في «صحيحه» (٢٦٥٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: جاء مشركو قريش يُخاصِمون رسول الله ﷺ في القدر، فنزلت: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾.

ـ وفي «تفسير ابن أبي حاتم» (١٨٧١٥) عن عطاء بن أبي رباح، قال: أتيت ابن عباس رضي الله عنهما وهو ينزع من زمزم، وقد ابتلَّتْ أسافل ثيابه، فقلت له: قد تُكلِّمَ في القدر.

فقال: أَوَفَعَلُوها؟! قلت: نعم.

قال: فوالله ما نزلت هذه الآية إلّا فيهم: ﴿...ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ﴾.

ـ قال النحاس رحمه الله في «إعراب القرآن» (٤/ ٣٠١): فدلَّ بهذا على أنهم يُعذَّبون على كفرهم بالقدر. اهـ.

(٢) روى مسلم (٢٦٥٠) عن أبي الأسود الديلي، قال: قال لي عمران بن الحصين رضي الله عنهما: أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه، أشيء قُضِيَ عليهم ومضى عليهم من قدرٍ ما سبق؟ أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم، وثبتت الحُجَّة عليهم؟

فقلت: بل شيء قُضِيَ عليهم، ومضى عليهم.

قال: فقال: أفلا يكون ظُلْمًا؟

قال: ففزعت من ذلك فزعًا شديدًا، وقلت: كل شيء خَلْق الله وملك يده، =

قال محمد بن الحسين:

وقد قال زيد بن أسلم: والله ما قالت القدرية كما قال الله تعالى، ولا كما قالت الملائكة، ولا كما قال النبيون، ولا كما قال أهل الجنة، ولا كما قال أهل النار، ولا كما قال أخوهم إبليس.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

وقالت الملائكة: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة].

فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

فقال لي: يرحمك الله، إني لم أرد بما سألتك إلّا لأُحْزِر عقلك، إن رجلين من مُزينة أتيا رسول الله ﷺ، فقالا: يا رسول الله، أرأيت ما يعمل الناس اليوم، ويكدحون فيه، أشيءٌ قُضي عليهم، ومضى فيهم من قدرٍ قد سبق، أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم، وثبتت الحُجَّة عليهم؟

فقال: «لا، بل شيءٌ قُضِيَ عليهم، ومضى فيهم، وتصديق ذلك في كتاب الله ﷻ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾﴾ [الشمس]».

ـ قال الكرجي القصّاب رحمه الله في «نكت القرآن» (٤/ ٥٢٠): قوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾﴾، حُجَّة على المعتزلة والقدرية شديدة؛ إذ قد أخبر نصًّا أنه ألهم النفسَ فجورَها، كما ألهمها تقواها. ـ ثم ذكر حديث عمران رضي الله عنه هذا ـ، ثم قال: فأجاب رسول الله ﷺ بمثل ما في كتاب الله سواء. فأيُّ شيءٍ بقي لهم؟ لولا بلاؤهم وشقاؤهم. . .

ومن فَسَّرَ: ﴿فَأَلْهَمَهَا ﴿٨﴾﴾ على ألزمها؛ فليس بمُخالفٍ لهذا؛ لأن الإلهام إذا كان منه، فالإلزام غلّ في أعناقهم، لا يستطيعون حَلَّه، فكان الأمر في ذلك واحدًا. اهـ.

ـ قال ابن القيم رحمه الله في «شفاء العليل» (١/ ١٨٧): ومن ذلك إخباره سبحانه بأنه هو الذي يُلْهِم العبد فجورَه وتقواه، و(الإلهام): الإلقاء في القلب، لا مجرد البيان والتعليم، كما قاله طائفة من المفسرين؛ إذ لا يقال لمن بيَّن لغيره شيئًا وعلّمه إيَّاه: إنه قد ألهمه ذلك. هذا لا يُعرف في اللغة البتّة، بل الصواب ما قاله ابن زيد، قال: جعل فيها فجورها وتقواها. وعليه دلّ حديث عمران بن حصين رضي الله عنه. . ثم ذكره.

وقال النبيون منهم شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾ [الأعراف: ٨٩].

وقال أهل الجنة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وقال أهل النار: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ [المؤمنون: ١٠٦].

وقال أخوهم إبليس: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ [الحجر: ٣٩].

٣٩٧ ـ أَنْبونا الفريابي بذلك، قال: ثنا خلف بن محمد الواسطي المعروف بكُرْدُوس، قال: ثنا يعقوب بن محمد، قال: ثنا الزبير بن حَبيب، عن زيد بن أسلم أنه قال هذا(١).

قال محمد بن الحسين:

٣٩٨ ـ وصدق زيد بن أسلم، ونحن نزيد على ما قاله زيد بن أسلم مما قالته الأنبياء مما هو حُجَّة على أهل القدر، ومما قاله أهل النار بعضُهم لبعضٍ مما فيه حُجَّة على القدرية.

فأوَّل ما أبتدئ(٢) بذكره هاهنا بعد ذكرنا لما مضى زيادة على ما قال زيد بن أسلم، ذكرنا عن الله تعالى ما قاله مما يفتضح به أهل القدر، ونذكر ما قالته الأنبياء مما هو ردٌّ على أهل القدر، الذين خُطِئَ بهم عن طريق الحقِّ، الذين قد لَعِبَ بهم الشيطان، واستحوذَ عليهم، وخالفوا سبيل المؤمنين.

• قال الله تعالى في قوم [٣١/أ] أشقاهم وأضلَّهم عن طريق الحقِّ، فقال جل ذكره: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ

(١) وفي «القضاء والقدر» للبيهقي (٤٧١) نحوه عن سفيان بن عيينة رحمه الله.
(٢) في هامش الأصل: (أبدأ) خه ع.

شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوٓا إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ [الأنعام].

❁ قال محمد بن الحسين:

هكذا القدريُّ يُقال له: قال الله كذا، وقال كذا، وقال النبي ﷺ كذا، وقال كذا، وقالت الأنبياء كذا، وقالت صحابة نبينا كذا، وقالت أئمة المسلمين كذا، فلا يسمع ولا يعقل إلَّا ما هو عليه من مذهبه الخبيث، أعاذنا الله وإياكم من سوءِ مذهبهم، ورزقنا وإياكم التمسُّك بالحقِّ، وثبَّت قلوبنا على شريعة الحقِّ، إنه ذو فضل عظيم، وأعاذنا من زيغ القلوب، فإن المؤمنين قد علموا أن قلوبهم بيد الله، يزيغها إذا شاء عن الحقِّ، ويهديها إذا شاء إلى الحقِّ، من لم يؤمن بهذا كفر(١).

---

(١) وأصل ضلالهم في هذا الباب: تركهم سبيل المؤمنين من السابقين الأولين ومن تبعهم بإحسان من الأئمة المرضيين، وابتداعهم أصولًا عقلية عارضوا بها الكتاب المُبين، وسُنة سيد المرسلين، وفارقوا بها جماعة المسلمين.

ـ قال ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٢٢٧): وقد تكون تلك البدعة أعظم عندهم مما أخذوا به من الشرعة، يجعلون تلك هي (الأصول العقلية)، كالقدرية المُجبرة، والنفاة فكلاهما يجعل ما أحدثوه من الكلام في الأصول ـ وهو الذي يسمونه: العقليات ـ أعظم عندهم مما تلقوه من الشرع، فالمعتزلة يجعلون العقليات هي الخبريات والأمريات جميعًا كالواجبات الشرعية، لكن يقولون أيضًا: إن الشرع أوجبها، ولكن لهم فيها تخليط. اهـ.

ـ وقال أيضًا (١٣/ ٣٥٨): والمقصود أن مثل هؤلاء اعتقدوا رأيًا ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه، وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا من أئمة المسلمين، لا في رأيهم، ولا في تفسيرهم. اهـ.

ـ وصدق ابن القيم رحمه الله لما قال في «شفاء العليل» (١/ ٢٧٧): نعم، لو نزل القرآن بلغة القدرية والجهمية وأهل البدع لأمكن حمله على ذلك، وكان الحق تبعًا لأهوائهم، وكانت نصوصه تبعًا لبدع المبتدعين، وآراء المتحيرين.

وأنت تجد جميع هذه الطوائف تُنزِّل القرآن على مذاهبهم وبدعها وآرائها، =

• قال الله تعالى فيما أرشد أنبياءه إليه والمؤمنين من الدعاء، أرشدهم في كتابه أن يقولوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ۝٨﴾ [آل عمران](١).

٣٩٩ - أخبرنا أبو زكريا يحيى بن محمد الحنائي، قال: ثنا محمد بن عبيد بن حساب، قال: ثنا حماد بن زيد، قال: ثنا يونس، وهشام، والمُعلَّى بن زياد، عن الحسن، قال: قالت عائشة رضي الله عنها: دعوةٌ كان النبي ﷺ يكثر أن يدعو بها: «يا مُقلِّبَ القلوبِ، ثبِّت قلبي على دينك».

قالت: قلت: يا رسول الله، ما دعوةٌ أسمعك تُكثرُ أن تَدعو بها؟

فالقرآن عند الجهمية جهمي، وعند المعتزلة معتزلي، وعند القدرية قدري، وعند الرافضة رافضي، وكذلك هو عند جميع أهل الباطل، ﴿وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٤﴾ [الأنفال]. اهـ.

(١) قال ابن جرير الطبري رحمه الله في «تفسيره» (٥/ ٢٢٨): وفي مدح الله جل ثناؤه هؤلاء القومَ بما مدحهم به من رغبتهم إليه في أن لا يزيغ قلوبهم، وأن يُعطيهم رحمة منه معونة لهم للثبات على ما هم عليه من حسن البصيرة بالحقِّ الذي هم عليه مقيمون، ما أبان عن خطأ قول الجهلة من القدرية أن إزاغة الله قلبَ مَنْ أزاغ قلبه من عباده عن طاعته، وإمالته له عنها جور؛ لأن ذلك لو كان كما قالوا لكان الذين قالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ بالذم أولى منهم بالمدح؛ لأن القول لو كان كما قالوا، لكان القوم إنما سألوا ربهم مسألتهم إياه أن لا يزيغ قلوبهم: أن لا يظلمهم، ولا يَجور عليهم، وذلك من السائل جهلٌ؛ لأن الله جل ثناؤه لا يظلم عباده، ولا يجور عليهم، وقد أعلم عباده ذلك، ونفاه عن نفسه بقوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٤٦﴾ [فصلت]، ولا وجه لمسألته أن يكون بالصفة التي قد أخبرهم أنه بها. وفي فساد ما قالوا من ذلك الدليل الواضح على أن عدلًا من الله ﷻ إزاغة مَنْ أزاغ قلبه من عباده عن طاعته، فلذلك استحق المدحَ مَنْ رَغِبَ إليه في أن لا يزيغه لتوجيهه الرغبة إلى أهلها، ووضعه مسألته موضعها، مع تظاهر الأخبار عن رسول الله ﷺ برغبته إلى ربه في ذلك مع محله منه، وكرامته عليه. اهـ.

فقال: «إنه ليس من أحدٍ إلَّا وقلبُه بين إصبعين من أصابع الله تعالى، إن شاءَ أن يُقيمه أقامه، وإن شاءَ أن يزيغه أزاغه»(١).

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٠٠ ـ ثم نذكر ما قالته الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ خلاف ما قالته القدرية.

• قال نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه لما قالوا: ﴿يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [هود](٢).

• وقال شعيب لقومه: قال الله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ الآية [الأعراف: ٨٨، ٨٩].

---

(١) رواه أحمد (٢٤٦٠٤)، والنسائي في «الكبرى» (٧٧٣٧)، وإسناده منقطع.
ويشهد له ما رواه مسلم (٦٨٤٤) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: إنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن قلوبَ بني آدم كلَّها بين إصبعين من أصابع الرحمٰن كقلبٍ واحدٍ يُصرِّفه حيث يشاء». ثم قال ﷺ: «اللَّهم مُصرِّف القلوب صرِّف قلوبنا على طاعتك».

(٢) قال ابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ في «الإبانة الكُبرى» (١٤٢٠): فلو كان الأمر كما تزعم القدرية كانت الحُجَّة قد ظهرت على نوحٍ من قومه، ولقالوا له: إن كان الله هو الذي يريد أن يغوينا؛ فلم أرسلك إلينا؟! ولم تدعونا إلى خلاف مُراد الله لنا؟!
ولو كان الأمر كما تزعم هذه الطائفة بقدر الله ومشيئته في خلقه، وتزعم أنه يكون ما يُريده العبد الضعيف الذليل لنفسه، ولا يكون ما يُريده الرب القويُّ الجليل لعباده، فلم حكى الله عَزَّ وَجَلَّ ما قاله نوحٌ لقومه مُثنيًا عليه، وراضيًا بذلك من قوله؟. اهـ.

• وقال شعيب - أيضًا - لقومه: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [هود].

• وقال تعالى في قصة يوسف عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

• وقال يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾.

• قال الله عز وجل: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾ [يوسف].

• وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾.

• وقال موسى عليه السلام لما دعا على فرعون وقومه، فقال: ﴿...رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا﴾ [يونس: ٨٨، ٨٩].

• وقال تعالى فيما أخبر عن أهل النار: ﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾ [إبراهيم].

قال محمد بن الحسين:

فقد أقرَّ أهل النار أن الهداية من الله لا من أنفسهم.

قال محمد بن الحسين:

٤٠١ ـ اعتبروا ـ رحمكم الله ـ قولَ الأنبياء ﷷ، وقول أهل النار، كلُّ ذلك حُجَّة على القدرية.

ثم اعلموا ـ رحمكم الله ـ أن الله ﷻ بعث رُسُله، وأمرهم بالبلاغ حُجَّة على من أرسلوا إليهم، فلم يجبهم إلى الإيمان إلَّا من سبقت له من الله تعالى الهداية، ومن لم يسبق له من الله الهداية وفي مقدوره أنه شقيٌّ من أهل النار لم يجبهم وثبت على كفره.

وقد أخبركم الله تعالى يا مسلمين بذلك، نعم، وقد حرص نبينا ﷺ، والأنبياء من قبله على هداية أُممهم، فما نفع حرصهم إذ كان في مقدور الله أنهم لا يؤمنون[١].

فإن قال قائل:

بيِّن لهذا الفصل من كتاب الله تعالى، فإنا نحتاجُ إلى معرفته.

قيل له:

● قال الله تعالى في سورة النحل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾، ثم قال لنبيه ﷺ: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

* ثم قال لنبيه ﷺ وقد [٣١/ب] أحبَّ هداية بعض من يُحبه، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص][٢].

---

(١) تقدم الكلام على أنواع الهداية في (باب/ ٣٢)، وأثر رقم (٣٩٤).

(٢) يُشير إلى ما رواه البخاري في «صحيحه» (٤٧٧٢)، ومسلم (٢٤) عن سعيد بن =

المسيب، عن أبيه، قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل، وعبد الله بن أبي أُمية بن المغيرة، فقال: «أي عم قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله». فقال أبو جهل، وعبد الله بن أبي أُمية: أترغب عن مِلَّة عبد المطلب؟! فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعيدانه بتلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: على مِلَّة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك»، فأنزل الله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣]، وأنزل الله في أبي طالب، فقال لرسول الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾.

ـ قال الكرجي القصاب رَحِمَهُ اللهُ في «نكت القرآن» (٣/ ٥٧١) في هذه الآية: حُجَّة على المعتزلة والقدرية خانقة لهم من جهتين:

إحداهما: نسبة الهداية إليه جل وتعالى جملة كما هو في سائر القرآن.

والأُخرى: أن قولهم في تأويل الهداية: إنها البيان لا الاضطرار إليها؛ خطأ لا محالة بهذه الآية من حيث لا ينكرون إن انصفوا واستبصروا.

فإنا لا نشك وَلا هُم أن الله ﷻ قد بيَّن لكل من خاطبه بالإيمان طريق الهداية، ورسول الله ﷺ قد بينها لكل من أرسل إليه، وأحبها له، وأنه لم يحرص على إيمان عمر إلَّا وقد بيَّن له طريق الهداية مرة بعد أُخرى.

فهل تكون الهداية التي لم يقدر عليها محمد ﷺ لعمه إلَّا هداية الاضطرار والإجبار، لا هداية البيان التي قد كان فرغ منها، وأدَّى أمر الله إلى أهله فيها.

ونحن مع هذا البيان الذي لا إشكال فيه نسامحهم في هداية الاضطرار والإجبار في هذا الموضع، لتكون أشد لخزيهم، وأبلغ في كسر قولهم. ونسألهم عنها سؤالًا فنقول: إن كانت الهداية لا تكون عندكم إلَّا بيانًا، والإنسان لا محالة غير مهتدٍ لما لم يبين له، فهل يكون قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾، إلَّا خاصًا في البيان بشاهد العيان، إذ كل من كفر لم يبين له، ولا الله شاء أن يُبين له على دعواهم طريق الهداية، وليس لله على أبي طالب حُجَّة إن كان ابن أخيه لم يُبيّن له، ولا الله شاء أن يُبيِّن هدايته، وهو لا يقدر عليها إلَّا بالبيان أو بالاضطرار والإجبار، فأيُّ قول أوحش وأبين غلطًا من قول يؤدي نفس قَلبه على قائله إلى هذه الفضيحة العظيمة، والقبح الظاهر. نعوذ بالله من غضبه. اهـ.

• وقال لنبيه ﷺ - أيضًا -: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الأعراف].

• وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾ [إبراهيم].

قال محمد بن الحسين:

كل هذا يُبيِّن لكم الرب تعالى أن الأنبياءَ إنما بُعثوا مُبشِّرين ومُنذرين، وحُجَّةً على الخلق، فمن شاءَ الله تعالى له الإيمان آمن، ومن لم يشأ له الإيمانَ لم يؤمن، قد فرغ الله تعالى من كل شيءٍ، قد كتب الطاعة لقوم، وكتب المعصية على قومٍ، ويرحم أقوامًا بعد معصيتهم إياه، ويتوب عليهم، وقومٌ لا يرحمهم، ولا يتوب عليهم، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء].

٤٠٢ - أخبرنا الفريابي، قال: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن عبد العزيز بن رُفيع، عمن سمع عُبيد بن عُمير، قال: قال آدم عليه السلام: يا ربِّ، أرأيتَ ما ابتدعتُه: من قِبَلِ نفسي، أَوَشَيْءٌ قد قدَّرته[1] عليَّ قبل أن تخلقني؟

قال: لا، بل شيءٌ قدَّرتُه عليك قبل أن أخلقك.

قال: فذلك قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة].

٤٠٣ - وحدثني أبو حفص عمر بن محمد بن بكار القافُلاني، قال: ثنا الحسن بن يحيى الجُرجاني، قال: ثنا عبد الرزاق، قال: أنبا الثوري، عن عبد العزيز بن رُفيع، عن عُبيد بن عُمير، قال: قال آدم عليه السلام لربه تعالى وذكر خطيئَته: يا ربِّ،

---

(١) كتب فوق (قد): خ، يعني في نسخة: (شيء قدّرته).

أرأيت معصيتي التي عصيتك، أشيءٌ كتبتَه عليَّ قبل أن تخلقني، أو شيءٌ ابتدعتُه من نفسي؟

قال: بل شيءٌ كتبتُه عليك قبل أن أخلقك.

قال: فكما كتبته عليَّ؛ فاغفر لي.

قال: فذلك قول الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾[1].

قال محمد بن الحسين:

٤٠٤ ـ قد ذكرنا الحُجَّة من كتاب الله تعالى فيما ابتدأْنا بذكره من أمر القدر، ثم نذكر الحُجَّة من سُنن رسول الله ﷺ؛ لأن الحُجَّة إذا كانت من كتاب الله تعالى، ومن سُنة رسول الله ﷺ، فليس لمُخالف حُجَّة.

ونحن نزيد السائل فنقول: ومن سُنة أصحاب رسول الله ﷺ، والتابعين لهم بإحسان، وقول أئمة المسلمين من التابعين وغيرهم[2].

---

(١) ذكر هذا القول ابن جرير في «تفسيره» (١/ ٥٨١) ضمن أحد الأقوال في ذكر أعيان الكلمات التي تلقها آدم عليه السلام من ربه فكانت سببًا في توبته.
وقال: هذه الأقوال التي حكيناها عمن حكيناها عنه وإن كانت مختلفة الألفاظ، فإن معانيها متفقة في أن الله جل ثناؤه لقَّى آدمَ كلمات، فتلقاهن آدم من ربه فقبلهن وعمل بهن... والذي يدل عليه كتاب الله أن الكلمات التي تلقاهن آدم من ربه هن الكلمات التي أخبر الله عنه أنه قالها متنصلًا بقيلها إلى ربه، معترفًا بذنبه وهو قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف] وليس ما قاله مَنْ خالف قولَنا هذا من الأقوال التي حكيناها بمدفوع قولُه...اهـ.

(٢) قال ابن بطة رحمه الله في «الإبانة الكبرى» (١٤٢٥): فاعلموا ـ رحمكم الله ـ أن من كان على مِلّة إبراهيم، وشريعة المصطفى ﷺ، ومن كان دينه دين الإسلام، ومحمد نبيه، فالقرآن إمامه وحُجَّته، وسُنة المُصطفى ﷺ نوره وبصيرته، والصحابة والتابعون أئمته وقادته، وهذا مذهبه وطريقته، وقد ذكرنا الحجة من كتاب الله ﷻ، ففيه شفاء ورحمة للمؤمنين، وغيظ للجاحدين.

قال محمد بن الحسين:

لقد شَقِيَ من خالف هذا الطريق؛ وهم القدرية.

فإن قال قائل: وهم عندك أشقياء؟

قلت: نعم.

فإن قال قائِل: بِمَ ذا؟

قلت: كذا قال رسول الله ﷺ، وسمَّاهم مجوسَ[(١)] هذه الأُمة، وقال: «إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تَشْهَدوهم»[(٢)].

وسنذكر هذا في بابه إن شاء الله.

آخر الجزء الرابع

يتلوه الجزء الخامس من الكتاب

إن شاء الله وبه الثقة

ونحن الآن وبالله التوفيق نذكر الحُجَّة من سنة رسول الله ﷺ ما يعين الله على ذكره، فإن الحُجَّة إذا كانت في كتاب الله ﷻ، وسنة رسول الله ﷺ، فلم يبق لمخالف عليهما حُجَّة إلَّا بالبهت والإصرار على الجحود والإلحاد، وإيثار الهوى، واتباع أهل الزيغ والعمى، وسنتبع السُّنة أيضًا بما روي في ذلك عن الصحابة ! والتابعين، وما قالته فقهاء المسلمين، ليكون زيادة في بصيرة للمستبصرين.

فلقد ضلَّ عبدٌ خالف طريق المصطفى فلم يرض بكتاب الله، وسُنَّة نبيه ﷺ، وإجماع أهل دينه، فقد كُتب عليه الشَّقاء، ولأجل ذلك أخرجهم النبي ﷺ من أُمَّته، وسمَّاهم يهودًا ومجوسًا، وقال: «إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم». اهـ.

(١) سُمُّوا مجوسَ هذه الأمة: لمضاهاة قولهم لقول المجوس، فإن المجوس يثبتون خالِقَيْنِ، خالقًا للخير، وخالقًا للشر، وكذلك القدرية، أثبتوا أن الله خلقهم، وأنهم خَلقوا أفعالَهم استقلالًا.

(٢) سيأتي مسندًا برقم (٤٦٣).

الجزء الخامس

٣٥ ـ بَاب ذكر السُّنن والآثار المُبينة بأن الله تعالى خلق خلقه؛ مَن شاء خلقه للجنة، ومَن شاءَ خلقه للنار في عِلمٍ قد سبق.

٣٦ ـ بَاب الإيمان بأن الله تعالى قدَّر المقادير على العباد قبل أن يخلُقَ السموات والأرض.

٣٧ ـ بَاب الإيمان بما جرى به القلم مما يكون أبدًا.

٣٨ ـ بَاب الإيمان بأن الله تعالى قدَّر على آدم المعصية قبل أن يخلقه.

٣٩ ـ بَاب الإيمان بأن السعيد والشقي من كُتِبَ في بطنِ أُمِّه.

٤٠ ـ بَاب الإيمان بأنه لا يصح لعبد الإيمان، حتى يؤمن بالقدر خيره وشرِّه لا يصحّ له الإيمان إلَّا به.

٤١ ـ بَاب ما ذُكِرَ في المُكذِّبين بالقدر.

٤٢ ـ بَاب الإيمان أن كل مولود يولد على الفطرة.

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه أستعين

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللهُ:

٤٠٥ ـ ويقال لمن خالف هذا المذهبَ الذي بيَّناه في إثبات القدر من كتاب الله تعالى:

اعلم يا شقي، أنا لسنا أصحاب كلام، والكلام على غير أصلٍ لا تثبت به حُجَّة، وحُجَّتنا: كتاب الله تعالى، وسُنة رسول الله ﷺ[1].

---

(١) في «السنة» لعبد الله بن أحمد (٩٠) قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: وهو الذي أذهبُ إليه؛ ولستُ بصاحِبِ كلامٍ، ولا أرى الكلام في شيءٍ مِن هذا؛ إلَّا ما كان في كتاب الله ﷻ، أو في حديثٍ عن النبي ﷺ، أو عن أصحابه، أو عن التَّابعين، فأمَّا غير ذلك فإنَّ الكلام فيه غير محمودٍ.

ـ في «الإبانة الكبرى» (٧٠٢) قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: عليكم بالسُّنة والحديث، وما ينفعُكم الله به، وإياكم والخوض والجدال والمراء، فإنه لا يُفلح من أحبَّ الكلام، وكل من أحدث كلامًا لم يكن آخر أمره إلَّا إلى بدعة؛ لأن الكلام لا يدعو إلى خير، ولا أُحبُّ الكلام، ولا الخوض، ولا الجدال، وعليكم بالسُّنن والآثار والفقه الذي تنتفعون به، ودَعوا الجدال، وكلام أهل الزيغ والمِراء، أدركنا الناس ولا يعرفون هذا، ويُجانبون أهل الكلام، وعاقبة الكلام لا تؤول إلى خيرٍ. أعاذنا الله وإياكم من الفتن، وسلَّمنا وإياكم من كلِّ هلكة. اهـ.

ـ قال أبو المُظفر السَّمعاني رَحِمَهُ اللهُ في «الانتصار لأصحاب الحديث» (ص٢٤ =

وقد ذكرنا ما حضرنا ذكره من كتاب الله تعالى، وقد قال لنبيه ﷺ: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل].

فقد بيَّن ﷺ لأمته ما فرضه الله تعالى عليهم من أداء فرائضه، واجتناب محارمه، ولم يَدعْهم سُدى لا يعلمون، بل بيَّن لهم شرائع دينهم، فكان مما بيَّنه لهم: إثبات القدر على نحو مما تقدَّم ذِكُرنا له، وهي سُننٌ كثيرة سنذكرها أبوابًا، لا تخفى عند العلماء قديمًا ولا حديثًا، ولا يُنكرها عالمٌ، بل إذا نظر فيها العالم زادته إن شاء الله إيمانًا وتصديقًا، وإذ نظر فيها الجاهل بالعلم، أو بعض من قد سمع من قدريٍّ جاهل بكتاب الله، وسُنن رسول الله ﷺ، وسُنن أصحابه، ومن تبعهم بإحسان وسائِر علماءِ المسلمين، فإن أراد الله به خيرًا؛ كان سماعه لها سببًا لرجوعه عن باطله، وإن تكن الأُخرى؛ فأبعدَه الله وأسحقَه[١].

ـ ٢٦): واعلم أن الأئمّة الماضين، وأولي العلمِ مِن المُتقدِّمين؛ لم يتركوا هذا النّمط مِن الكلام، وهذا النوع مِن النَّظرِ عجزًا عنه ولا انقطاعًا دونه، وقد كانوا ذوي عُقولٍ وافِرة، وأفهام ثاقِبة، وقد كانت هذه الفِتنُ قد وقعت في زمانِهم وظهرت؛ وإنّما تركوا هذه الطريقةَ، وأضربوا عنها لما تخوّفوه مِن فتنتِها، وعلموه مِن سُوء عاقبتها.. وقد كانوا على بيّنةٍ مِن أمورهم.. لما هداهم الله بنُوره.. فرأوا أن فيما عندهم مِن علم الكتابِ وحكمتِه، وتوقيف السُّنّة وبيانها، غَناءً ومَندُوحَةً مما سواها، وأن الحُجّة قد وقعت وتمت بهما.. فلمّا تأخّرَ الزّمان بأهله، وفترت عزائمهم في طلبِ حقائق عُلوم الكتاب والسُّنّة، وقلّت عنايتهم بها.. حَسبوا أنهم إن لم يردُّوهم عن أنفسهم بهذا النَّمط مِن الكلام، ودلائل العقلِ لم يقوَوا عليهم، ولم يظهروا في الحُججِ عليهم فكان ذلك ضلّة مِن الرَّأي، وخدعة مِن الشَّيطانِ، فلو سلكوا سَبيل القصدِ، ووقفوا عند ما انتهى بهم التوقيف؛ لوجدوا بَردَ اليقين، وروح القلوب.اهـ.

(١) في «الزهد» لأبي داود (٤٩٦) عن خالد بن معدان، قال: ما من عبدٍ إلَّا وله أربع أعين، عينان في وجهه يُبصر بهما أمر دنياه، وعينان في قلبه يُبصر بهما ما وعد الله بالغيب،

٣٥ ـ بَاب

ذكر السُّنن والآثار المُبينة بأن الله تعالى خلق خلقه؛ مَن شاء خلقه للجنة، ومَن شاءَ خلقه للنار في عِلمٍ قد سبق(١)

٤٠٦ ـ أخبرنا أبو بكر جعفر بن محمد الفِريابي، قال: ثنا قُتيبة بن سعيد، عن مالك بن أنس، عن زيد بن أبي أُنيسة، أن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أخبره، عن مسلم بن يسار الجُهَني: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سُئِل عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف].

فقال عمر رضي الله عنه: سمعتُ رسول الله ﷺ سُئِل عنها، فقال: «إن الله تعالى لما خلق آدمَ، فمسحَ ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذُرِّيَّة، فقال: خلقتُ هؤلاء للجنة، وبعملِ أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهرَه، فاستخرج منه ذُرية، فقال: هؤلاء للنار، وبعمل أهل النار يعملون».

فإذا أراد الله بعبدٍ خيرًا: فتح عينيه اللتين في قلبه فأبصر بهما ما وعد الله بالغيب، وهما غيب، فأبصر الغيب بالغيب.

وإذا أراد الله بعبدٍ سوى ذلك: ترك القلب على ما فيه، وقرأ: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد]، وما من إنسان إلَّا له شيطان متبطن فِقار ظهره، لاوِيَ عنقِه على عاتقه، فاغرٌ فاه على قلبه.

(١) عقد ابن بطة رحمه الله في «الإبانة الكبرى» بابًا نحوه، فقال: (٣٦/باب ما روي أن الله تعالى خلق خلقه كما شاء، لما شاء، فمن شاء خلقه للجنة، ومن شاء خلقه للنار، سبق بذلك علمه، ونفذ فيه حكمه، وجرى به قلمه، ومن جحده فهو من الفرق الهالكة).

[٣٢/أ] فقام رجلٌ، فقال: يا رسول الله، ففيمَ العمل؟

فقال ﷺ: «إن الله تعالى إذا خلق العبدَ للجنة؛ استعمله بعمل أهل الجنة، حتى يموتَ على عملِ أهلِ الجنة، وإذا خلقَ العبدَ للنار؛ استعمله بعمل أهل النار، حتى يموت وهو على عملِ أهل النار فيدخلَه به النار»(١).

٤٠٧ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا هشام بن عمار الدمشقي، قال: ثنا أنس بن عياض، قال: ثنا الأوزاعي، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب: أنه سمع أبا هريرة ﷺ يقول: قال عمر ﷺ: يا رسول الله، أنعمل في شيءٍ نأتنِفُه، أو شيء قد فُرِغَ منه؟

قال: «بل في شيءٍ قد فُرِغَ منه».

قال: ففيمَ العملُ؟

قال: «يا عمر، لا يُدرَكُ ذلك إلَّا بالعملِ».

قال: إذًا نجتهدُ يا رسول الله(٢).

---

(١) رواه الفريابي في «القدر» (٢٧). ورواه مالك (٢/ ٨٩٨ ـ ٨٩٩)، وأحمد (٣١١)، وأبو داود (٤٧٠٣)، والترمذي (٣٠٧٥)، وقال: هذا حديث حسن، ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر ﷺ، وقد ذكر بعضهم في هذا الإسناد بين مسلم بن يسار وبين عمر ﷺ رجلًا. اهـ.
ـ قال ابن عبد البر في «التمهيد» (٦/ ٣): هذا الحديث منقطعٌ بهذا الإسناد؛ لأن مسلم بن يسار هذا لم يلق عمر بن الخطاب ﷺ.. ولكن معنى هذا الحديث قد صحَّ عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة ثابتة يطول ذكرها. اهـ.
وانظر: «علل» الدارقطني (٢/ ٢٢٢).

(٢) رواه الفريابي في «القدر» (٣١)، والبزار في «مسنده» (٧٧٦٠)، وقال: وهذا الحديث قد رواه غير واحد، عن الزهري، عن سعيد: أن عمر ﷺ.. ولا نعلم أحدًا أسنده عن الأوزاعي، عن الزهري، عن سعيد، عن أبي هريرة ﷺ إلَّا أنس بن عياض.

٤٠٨ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: أنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: ثنا شَبابة بن سَوَّار، قال: ثنا شُعبة، عن عاصم بن عبيد الله، عن سالم بن عبد الله، عن أبيه: أن عمر ﷺ قال: يا رسول الله، أرأيت ما نعمل فيه؛ أمرٌ قد فُرِغَ منه، أو في أمرٍ مُبتدعٍ، أو مُبتدإٍ؟

قال: «بل في أمر قد فُرِغَ منه».

فقال عمر: أفلا نتَّكِل؟

فقال «اعملْ يا ابنَ الخطاب، فكلٌّ مُيسَّرٌ، أما مَنْ كان مِنْ أهل السعادة؛ فإنه يعمل للسعادة، وأما من كان من أهل الشقاء؛ فإنه يعمل للشقاء»(١).

ولحديث عمر ﷺ طُرقٌ كثيرة اكتفينا منها بهذه(٢).

ورواه صالح بن أبي الأخضر، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه، أن عمر ﷺ. اهـ.

ورجَّح الدارقطني في «العلل» (١٣٤) رواية الإرسال: عن الأوزاعي، عن عمر ﷺ.

(١) رواه الفريابي في «القدر» (٣٣).

ورواه أحمد (١٩٦ و٥١٤٠)، والترمذي (٢٢٦٩)، ولفظهما: «فِيمَا قَد فُرِغَ منه، فاعمل يا ابن الخطَّاب..».

قال الترمذي: وفي الباب عن علي، وحذيفة بن أسيد، وأنس، وعمران بن حصين ﷺ، وقال: هذا حديث حسن صحيح. اهـ.

قلت: وشواهده كثيرة؛ فهو مروي عن غير واحدٍ من الصحابة ﷺ، وقد خرجتُها في تحقيق «الإبانة الكبرى».

(٢) قال ابن القيم رحمه الله في «شفاء العليل» (١/ ٨٦): فاتفقت هذه الأحاديث ونظائرها على أن القدر السابق لا يمنع العمل، ولا يوجب الاتّكال عليه، بل يوجب الجدّ والاجتهاد. ولهذا لما سَمِعَ بعض الصحابة ذلك، قال: (ما كنت أشدّ اجتهادًا مني الآن)، وهذا مما يدلُّ على جلالة فقه الصحابة، ودقَّة أفهامهم، وصحَّة علومهم؛ فإن النبي ﷺ أخبرهم بالقدر السابق، وجريانه على =

٤٠٩ ـ **وأخبرنا** الفريابي، قال: ثنا عثمان بن أبي شيبة، قال: ثنا جرير ـ يعني: ابن عبد الحميد ـ، عن منصور، عن سعد بن عُبيدة، عن أبي عبد الرحمٰن السُلمي، عن علي رضي الله عنه، قال: كنا في جنازة في بقيع الغَرْقَد، قال: فأتى رسول الله ﷺ فقعد، وقعدنا حوله، ومعه مِخْصَرَة[1]، فنَكَّس رأسه، وجعل ينكُتُ بمخصرته، ثم قال: «ما منكم مِن نفسٍ مَنفوسةٍ إلَّا وقد كُتِبَ مكانُها من الجنة والنار، وإلَّا قد كُتِبتْ شقيةً أو سعيدة».

الخليقة بالأسباب، فإن العبد ينال ما قُدِّر له بالسبب الذي أُقدِر عليه، ومُكِّن منه، وهُيئ له، فإذا أتى بالسبب أوصله إلى القدر الذي سبق له في أم الكتاب، وكلما ازداد اجتهادًا في تحصيل السبب كان حصول المُقَدَّر أدنى إليه.

وهذا كما.. إذا قُدر له أن يُرزق الولد لم ينل ذلك إلَّا بالنكاح أو التسري والوطء.. وهذا شأن أمور المعاش والمعاد، فمن عطَّل العمل اتكالًا على القدر السابق فهو بمنزلة من عطَّل الأكل والشرب والحركة في المعاش وسائر أسبابه اتّكالا على ما قُدِّر له.

وقد فطر الله سبحانه عباده على الحرص على الأسباب التي بها قوام معايشهم ومصالحهم الدنيوية.. فهكذا الأسباب التي بها مصالحهم الأخروية في معادهم، فإنه سبحانه رب الدنيا والآخرة، وهو الحكيم بما نصبه من الأسباب في المعاش والمعاد، وقد يسَّر كلًّا من خلقه لما خَلَقَه له في الدنيا والآخرة، فهو مُهيأ له مُيسَّر له...

فالنبي ﷺ أرشد الأمَّة في القدر إلى أمرين، هما سببا السعادة: الإيمان والإقرار به، فإنه نظام التوحيد، والإتيان بالأسباب التي توصل إلى خيره، وتحجز عن شره، وذلك نظام الشرع، فأرشدهم إلى نظام التوحيد والأمر، فأبى المنحرفون إلَّا القدح بإنكاره في أصل التوحيد، أو القدح بإثباته في أصل الشرع، ولم تتسع عقولهم ـ التي لم يُلقِ الله عليها من نوره ـ للجمع بين ما جمعت الرسل جميعهم بينه، وهو القدر والشرع، والخلق والأمر. اهـ.

(١) في «النهاية» (٢/ ٣٦): (المِخصَرَة): ما يختصِرُه الإنسانُ بيده فيُمسِكه مِن عصًا، أو عُكَّازةٍ، أو مِقْرَعَةٍ، أو قضيب، وقد يتَكئ عليه. اهـ.

فقال رجلٌ: يا رسول الله، أفلا نتَّكل على كتابنا، وندع العمل، فمن كان منا من أهل السعادة؛ فسيصيرُ إلى عمل أهل السعادة، ومن كان منا من أهل الشقاء؛ فسيصيرُ إلى عمل أهل الشقاوة؟

فقال: «اعملوا فكلٌّ مُيسَّرٌ، أما أهلُ السعادة؛ فيُيسَّرون لعمل أهل السعادة، وأما أهلُ الشقاوة، فيُيسَّرون لعمل أهل الشقاوة».

ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [الليل][1].

٤١٠ ـ **وأخبرنا** الفريابي، قال: ثنا مِنجاب بن الحارث، وأبو بكر بن أبي شيبة، ـ قال مِنجاب: أنا، وقال أبو بكر: ثنا ـ أبو الأحوص، عن منصور، عن سعد بن عُبيدة، عن أبي عبد الرحمن، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: خرجنا مع النبي ﷺ في جنازةٍ، فلما انتهينا إلى بقيع الغرقد، قعد رسول الله ﷺ، وقعدنا حوله، فأخذ عودًا فنكت به الأرض، ثم رفع رأسه، فقال: «ما منكم من أحدٍ من نفسٍ منفوسة إلَّا قد عُلِمَ مكانُها من الجنة والنار، شقيةٌ أم سعيدة».

فقال رجلٌ من القوم: يا رسول الله، أفلا ندعُ العمل ونُقبلُ على كتابنا، فمن كان منا من أهل السعادة؛ صار إلى السعادة، ومن كان منا من أهل الشقوة؛ صار إلى الشقوة؟

فقال ﷺ: «اعملوا، فكلٌّ مُيسَّرٌ، فمن كان من أهل الشِّقوة، يُسِّر لعملها، ومن كان من أهل السعادة يُسِّر لعملها»، ثم قرأ النبي ﷺ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ

---

(١) رواه الفريابي في «القدر» (٤٠).

ورواه أحمد (٦٢١ و١٠٦٧)، والبخاري (١٣٦٢)، ومسلم (٢٦٤٧)، ولفظهم: «ما منكم من نفسٍ منفوسة إلَّا وقد كتب مقعدها».

﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾[(١)].

٤١١ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا مِنجاب بن الحارث، قال: ثنا ابن مُسْهِر، عن الأعمش، عن سعد بن عُبيدة، عن أبي عبد الرحمٰن، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: بينا نحن عند النبي ﷺ. . فذكر الحديث نحوًا منه[(٢)].

ولحديث عليٍّ طُرق جماعة، اكتفينا منها بما ذكرناه.

٤١٢ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا عَمرو بن عثمان بن كثير بن دينار الحمصي، قال، ثنا بقية ـ يعني: ابن الوليد ـ، قال: ثنا الزُّبيدي، قال: ثنا راشد بن سعد، عن عبد الرحمٰن بن قتادة النصري، عن هِشام بن حكيم: أن رجلًا أتى رسول الله ﷺ، قال يا رسول الله، أتُبتدأُ الأعمال، أم قُضِيَ القضاءُ؟

فقال النبي ﷺ: «إن الله تعالى أخذ ذرية آدمَ عليه السلام من ظهورهم[(٣)]، وأَشهدَهم على أنفسهم، ثم أفاض بهم في كفِّه، فقال: هؤلاء للجنة، وهؤلاء للنار، فأهلُ الجنة ميَسَّرون لعمل أهل الجنة، وأهلُ النار مُيَسَّرون لعمل أهل النار»[(٤)]. ولهذا الحديث طُرُق.

٤١٣ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا محمد بن مُصفًى، قال: ثنا بقية بن الوليد، قال: حدثني مُبَشِّر بن عُبيد، عن الزهري، عن سعيد بن المُسيب، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلقَ الله آدم عليه السلام ضربَ بيده على شِقِّ

---

(١) رواه الفريابي في «القدر» (٣٩).

(٢) رواه الفريابي في «القدر» (٣٩).

(٣) في هامش الأصل: (ظهره) خ.

(٤) رواه الفريابي في «القدر» (٢٢)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٨/ ١٩١)، والطبري في «التفسير» (٩/ ١١٧)، والطبراني في «الكبير» (٢٢/ ١٦٨/ ٤٣٤).

وقد وقع في إسناد هذا الحديث اضطراب كبير كما قال ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٤/ ١٥٨١)، وابن السكن كما في «الإصابة» (٤/ ٢٩٥).

آدم الأيمن(١)، فأخرج منه ذَرْوًا كالذَّرِّ، فقال: يا آدم، هؤلاء ذُريتك من أهل الجنة، قال: ثم ضربَ بيده على شِقِّ آدمَ الأيسر، فأخرج منه ذَرْوًا كالحُمَم(٢)، ثم قال: هؤلاء ذُريتك من أهل النار»(٣).

٤١٤ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا عبد الأعلى بن حماد، قال: ثنا روح بن المسيب أبو رجاءِ الكلبي، قال: سمعت يزيد الرقاشي، قال: سمعت غُنَيم بن قيس، قال: كان أبو موسى يُعلمُنا القرآن في هذا المسجد، وهو قائم على رجليه، يُعلمنا آيةً آيةً، فقال أبو موسى ﷺ: قال النبي ﷺ: «إن الله تعالى يوم خلق آدم ﷺ [٣٢/ب] قبضَ من صُلبِهِ قبضتين، فرفع(٤) كلَّ طيِّبٍ بيمينه، وكلَّ خبيثٍ بشماله، فقال(٥): هؤلاء أصحاب اليمين ولا أُبالي، وهؤلاء أصحاب الجنة، وهؤلاءِ أصحاب الشمال ولا أُبالي، هؤلاء أصحاب النار، قال: ثم أعادهم في صُلبِ آدم، فهم يتناسلون على ذلك إلى الآن»(٦).

٤١٥ ـ أخبرنا الفريابي، قال: ثنا قُتيبة بن سعيد، قال: ثنا الليث بن سعد، عن

---

(١) في هامش الأصل: (اليمين) خه.
(٢) (الحُمَم): الفحم، ومنه قولهم للرجل الأسود: كأنه الحُمَمَة. «غريب الحديث» لأبي عبيد (١/ ١٩٤).
(٣) رواه الفريابي في «القدر» (٤٢٢)، وابن عدي في «الكامل» (٨/ ١٦٥)، وقال: وهذا عن الزهري يرويه عنه مُبشِّر، ومُبشِّر هذا بيِّنُ الأمر في الضعف، وله غير ما ذكرت من الحديث، وعامة ما يرويه غير محفوظ من حديث الكوفة عن شيوخهم، وشيوخ البصرة وغيرهم. اهـ.
(٤) في هامش الأصل: (فوقع) خ// (فوضع) خه.
(٥) في هامش الأصل: (قال) خ.
(٦) رواه الفريابي في «القدر» (٣٥)، وابن أبي عاصم في «السُّنة» (٢٠٩)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١٤٤٥)، وإسناده ضعيف، وله شواهد دون قوله: (بشماله) فهي لفظة شاذة.

أبي قَبيل، عن شُفَيِّ بن مَاتع، عن عبد الله بن عَمرو بن العاص ﵄، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان، فقال: «أتدرون ما هذان الكتابان؟».

قالوا: لا يا رسول الله، إلَّا أن تُخبرنا.

فقال للذي في يده اليمنى: «هذا كتاب من رب العالمين، فيه أسماءُ أهل الجنة، وأسماءُ آبائِهم، وقبائِلهم، ثم أُجْمِل[(١)] على آخرهم، فلا يُزادُ فيهم ولا يُنقص منهم، وقال للذي في شِماله: هذا كتاب أهل النار بأسمائِهم، وأسماءِ آبائِهم، وقبائِلهم، ثم أُجْمِل على آخرهم، فلا يُزادُ فيهم ولا يُنقص منهم أبدًا».

فقال أصحابه: ففِيمَ العمل يا رسولَ الله، إن كان قد فُرِغَ منه؟

فقال: «سدِّدوا، وقاربوا، فإن صاحبَ الجنةِ يُختمُ له بعمل أهل الجنة، وإن عَمِلَ أيَّ عملٍ، وإن صاحبَ النارِ يُختمُ له بعملِ أهلِ النار، وإن عَمِلَ أيَّ عمل»، ثم قال بيده فنبذها، ثم قال: «فَرَغَ[(٢)] ربكم من العباد، ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ۝٧﴾ [الشورى]»[(٣)].

---

(١) في «النهاية» (١/ ٢٩٧): أجْمَلتُ الحِساب: إذا جمعتَ آحادَه، وكمّلت أفرادَه، أي: أُحصوا وجُمِعوا فلا يُزاد فيهم ولا يُنقص. اهـ.

(٢) في هامش الأصل: (قد فرغ) خ.

(٣) رواه الفريابي في «القدر» (٤٥).

ورواه أحمد (٦٥٦٣)، والترمذي (٢١٤١)، وقال: وفي الباب عن ابن عمر ﵄، وهذا حديث حسن صحيح غريب. وأبو قبيل: اسمه: حُيي بن هانئ. اهـ.

ـ قال الإمام الدارمي ﵀ في «الرد على الجهمية» (٢٦٤): فهؤلاء قد كتبهم الله بأسمائهم التي كان في عِلمه أن يُسميهم بها آباؤهم وأمهاتهم قبل أن يخلقهم، فما قدر الآباءُ لتلك الأسماء تبديلًا، ولا استطاع إبليسُ لمن هدى الله منهم تضليلًا. اهـ.

٤١٦ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا قُتيبة بن سعيد، قال: ثنا بكر بن مُضر، عن أبي قَبِيل، عن شُفَيّ، عن عبد الله بن عَمرو ﷺ، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «هذا كتابٌ كتبه رب العالمين، فيه تسميةُ أهلِ الجنة، وتسميةُ آبائِهم، ثم أُجْمِل على آخرهم، فلا يزاد فيهم ولا يُنقص(١)، وهذا كتابٌ كتبه رب العالمين، فيه تسمية أهل النار، وتسمية آبائِهم، ثم أُجمِل على آخرهم، فلا يُزاد فيهم ولا يُنقص».

قالوا: ففيمَ العملُ يا رسولَ الله؟

قال: «إنَّ عاملَ الجنةِ يُختم له بعمل أهل الجنة، وإنْ عَمِلَ أيَّ عملٍ، وإنَّ عامِلَ أهل النار يُختم له بعمل أهل النار، وإنْ عَمِلَ أيَّ عمل، فرغَ الله تعالى من خلقه»، ثم قرأ: ﴿فَرِيقٌ فِى الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى السَّعِيرِ ۝٧﴾ [الشورى](٢).

٤١٧ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: ثنا علي بن هاشم(٣)، عن ابن أبي ليلى، عن أبي الزُّبير، عن جابر ﷺ، قال: قام سُراقة بن جُعْشم إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، أخبرنا عن أعمالنا كأنا خُلقنا الساعة: أشيءٌ ثبتَ به الكتابُ، وجرتْ به المقاديرُ، أم شيءٌ نستأنِفُه؟

قال: «لا، بل شيءٌ ثَبَتَ به الكتابُ، وجرتْ به المقادير».

قال: يا رسول الله، ففيمَ العمل؟!

قال: «اعملوا فكلٌّ مُيسَّرٌ لعمله»(٤).

---

(١) في هامش الأصل: (منهم) خه.

(٢) رواه الفريابي في «القدر» (٤٦)، والنسائي في «الكبرى» (١١٤٠٩).

(٣) في الأصل: (هشام)، وكتب فوقها: (هاشم)، وهو الصواب.

(٤) رواه الفريابي في «القدر» (٤٨). ورواه مسلم (٢٦٤٨) من طريق زهير، ثنا أبو الزبير. (ح) وحدثنا يحيى بن يحيى، أخبرنا أبو خيثمة، عن أبي الزبير.. نحوه.

٤١٨ ـ أخبرنا الفريابي، قال: ثنا إسحاق بن راهويه، قال: ثنا إسماعيل بن إبراهيم، قال: ثنا يزيد الرِشْكُ، عن مُطرِّف بن عبد الله بن الشخير، عن عمران بن الحُصين رضي الله عنهما: أن رجلًا قال: يا رسول الله، أَعُلِمَ أهل الجنة من أهل النار؟ قال: «نعم».

قال: ففيمَ يعمل العاملون؟

فقال: «اعملوا فكلٌّ مُيسَّرٌ[(١)]»، أو كما قال[(٢)].

٤١٩ ـ أخبرنا الفريابي، قال: ثنا عبد الرحمٰن بن إبراهيم الدمشقي، قال: ثنا الوليد بن مسلم، قال: ثنا الأوزاعي، قال: حدثني ربيعة بن يزيد، عن عبد الله بن الديلمي، عن عبد الله بن عَمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى خلقَ خلقه في ظُلمة، وألقى عليهم من نورِه، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى به، ومن أخطأه ضلَّ».

قال عبد الله بن عَمرو: ولذلك أقول: جفَّ القلمُ بما هو كائن[(٣)].

---

(١) في هامش الأصل: (لعمله) خه.

(٢) رواه الفريابي في «القدر» (٥٠).
ورواه أحمد (١٩٨٦٩)، والبخاري (٦٥٩٧ و٧٥٥١)، ومسلم (٢٦٤٩).

(٣) رواه الفريابي في «القدر» (٦٧). ورواه أحمد (٦٦٤٤ و٦٨٥٤)، والترمذي (٢٦٤٢)، وعبد الله في «السُّنة» (٩٠٩)، وهو حديث صحيح.
قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام].
ـ قال ابن القيم رحمه الله في «إعلام الموقعين» (١/ ٣٢١): فالله سبحانه خلق الخلق في ظُلمة، فمن أراد هدايته جعل له نورًا وجوديًا يُحيي به قلبه وروحه، كما يُحيي بدنه بالروح التي ينفخها فيه. فهما حياتان: حياة البدن (بالروح)، وحياة الروح والقلب (بالنور).
ولهذا سمَّى سبحانه الوحي (روحًا) لتوقُّف الحياة الحقيقية عليه، كما قال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ [النحل: ٢]. . =

٤٢٠ ـ **وأخبرنا** الفريابي، قال: ثنا عثمان بن أبي شيبة، قال: ثنا إسماعيل بن عياش، عن يحيى بن أبي عَمرو السيباني، عن عبد الله بن الديلمي، قال: سمعت عبد الله بن عَمرو رضي الله عنهما، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله خلق خلقه في ظُلمةٍ، فألقى عليهم من نورِه، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى، ومن أخطأه ضلَّ**».

ولذلك أقول: جفَّ القلمُ على علمِ الله تعالى[(١)].

٤٢١ ـ **أخبرنا** أبو محمد عبد الله بن صالح البخاري، قال: ثنا الحسن[(٢)] بن علي

= وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ﴾ [الشورى: ٥٢]، فجعل وحيه (روحًا ونورًا)، فمن لم يُحْيِه بهذا الروح فهو ميِّت، ومن لم يجعل له نورًا منه فهو في الظلمات ما له من نور. اهـ.

ـ وقال رحمه الله في «اجتماع الجيوش» (ص١١): فصاحب السنة: حي القلب، مستنيره، وصاحب البدعة: ميتُ القلب مظلمه.

وقد ذكر الله سبحانه هذين الأصلين في كتابه في غير موضعٍ، وجعلهما صفة أهل الإيمان، وجعل ضدهما صفة من خرج عن الإيمان، فإن القلب الحي المستنير هو الذي عقل عن الله، وفهم عنه، وأذعن، وانقاد لتوحيده، ومتابعة ما بعث به رسول الله ﷺ. والقلب الميت المظلم: الذي لم يعقل عن الله، ولا انقاد لما بعث به رسول الله ﷺ، ولهذا يصف سبحانه هذا الضرب من الناس بأنهم أموات غير أحياء، وبأنهم في الظلمات لا يخرجون منها، ولهذا كانت الظلمة مستولية عليهم في جميع جهاتهم، فقلوبهم مُظلمة ترى الحق في صورة الباطل، والباطل في صورة الحق، وأعمالهم مُظلمة، وأقوالهم مظلمة، وأحوالهم كلها مُظلمة، وقبورهم ممتلئة عليهم ظلمة.

وإذا قُسمت الأنوار دون الجسر للعبور عليه بقوا في الظلمات، ومدخلهم في النار مُظلم، وهذه الظلمة هي التي خُلق فيها الخلق أوَّلًا، فمن أراد الله ﷻ به السعادة أخرجه منها إلى النور، ومن أراد به الشقاوة تركه فيها. اهـ.

(١) رواه الفريابي في «القدر» (٦٧).

(٢) في الأصل: (الحسين)، والصواب ما أثبته كما سيأتي برقم (٨٥٨).

الحُلواني، قال: ثنا أبو توبة الربيع بن نافع، عن بقية بن الوليد، قال: ثنا أرطاة بن المنذر، عن مجاهد، عن ابن عمر ﵄، قال: قال النبي ﷺ: «أول شيءٍ خلقه الله القلم، فأخذه بيمينه، وكِلتا يديه يمينٌ، فكتبَ الدنيا وما يكون فيها مِن عمَلٍ مَعمولٍ، بِرٍّ أو فُجورٍ، رَطبٍ أو يابسٍ، فأمضاه عنده في الذِّكرِ»، ثم قال: «اقرءُوا إن شئتم: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٢٩﴾ [الجاثية]، فهل تكون النُّسخة إلَّا من شيءٍ قد فُرِغَ منه»[(١)].

٤٣٢ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا أبو أنس مالك بن سليمان الألهاني الحمصي، قال: ثنا بقية بن الوليد، عن أرطاة بن المنذر، عن مجاهد بن جبر: أنه بلغه عن ابن عمر ﵄، أن النبي ﷺ قال: «إن أوَّلَ شيءٍ خلقه الله تعالى القلمُ، فأخذه بيمينه، وكِلتا يديه يمين، قال: فكتب الدنيا، وما يكون فيها من عملٍ معمولٍ، بِرٍّ أو فُجورٍ، رطبٍ أو يابسٍ، وأحصاه عنده في الذكر»، ثم قال: «اقرؤوا إن شئتم: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٢٩﴾ [الجاثية]، فهل تكون النُّسخة إلَّا من أمرٍ قد فُرِغَ منه؟»[(٢)].

انظر: ترجمته في «تهذيب الكمال» (٦/ ٢٥٩).

(١) رواه ابن أبي عاصم في «السُّنة» (١١٠)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٦٧٣)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١٤٧٨).

ورواه حرب في «السُّنة» (٢١١) من طريق أرطاة بن المنذر، عن بشير، عن مجاهد به.

وهو حديث حسن بشواهده.

وسيأتي زيادة بيان برقم (٤٣٠) في تفسير هذه الآية.

(٢) رواه الفريابي في «القدر» (٤١٦).

٣٦ ـ بَاب

الإيمان بأن الله تعالى قدَّر المقادير على العباد قبل أن يخلُقَ السموات والأرض(١)

٤٢٣ ـ أخبرنا الفريابي، قال: ثنا عبد الرحمن بن إبراهيم [٣٣/أ] الدمشقي، قال: ثنا عبد الله بن وهب، قال: ثنا أبو هانئ، عن أبي عبد الرحمن الحُبلي عن عبد الله بن عَمرو رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «فرغ اللهُ تعالى من مقادير الخلق قبل أن يخلق السمٰواتِ والأرضَ بخمسين ألفَ سنةٍ، وكان عرشُه على الماء»(٢).

(١) عقد ابن بطة رحمه الله في «الإبانة الكبرى» بابًا نحوه، فقال: (٣٨/ باب الإيمان بأن الله عز وجل قدَّر المقادير قبل أن يخلق السموات والأرضين، ومن خالف ذلك فهو من الفرق الهالكة).

(٢) رواه الفريابي في «القدر» (٨٥). ورواه أحمد (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٦٥٣).

ـ قال ابن تيمية رحمه الله في «الصفدية» (٢/ ٨٢): الصحيح أن العرش خلق أولًا؛ لأن ذلك ثبت في الحديث الصحيح رواه مسلم.. فذكره، فهذا يدل على أنه قدَّر إذ كان عرشه على الماء، فكان العرش موجودًا مخلوقًا عند التقدير لم يوجد بعده.

وكذلك قوله في الحديث «الصحيح» الذي رواه البخاري: «كان الله ولا شيء قبله، وكان عرشه على الماء، وكتبَ في الذكر كل شيء».

وفي رواية: «ثم كتب في الذكر كل شيء».

فهو أيضًا دليل على أن الكتابة في الذكر كانت والعرش على الماء.

وأما الحديث الذي فيه: «أول ما خلق الله القلم، وأنه أمره أن يكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة»، فذلك بيان لخلق العالم الذي خلقه في ستة أيام، وأن =

٤٢٤ ـ حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن زياد النيسابوري، قال: ثنا يونس بن عبد الأعلى، قال: أنا عبد الله بن وهب، قال: أخبرني أبو هانئ الخولاني، عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي، عن عبد الله بن عَمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «كتبَ ربُّكم تعالى مقاديرَ الخلائِق كلها قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة»، قال: «وكان عرشه على الماء».

٤٢٥ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا صفوان بن صالح، قال: ثنا الوليد بن مسلم، قال: ثنا ابن لهيعة، عن أبي هانئ، عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي، عن عبد الله بن عَمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «كتبَ اللهُ تعالى مقاديرَ الخلائِق، وعرشُه على الماءِ، قبل أن يخلقَ السمواتِ والأرضَ بخمسينَ ألفَ سنةٍ»[(١)].

٤٢٦ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا أبو مروان عبد الملك بن حبيب، قال: ثنا أبو إسحاق الفزاري، عن الأعمش، عن جامع بن شداد، عن صفوان بن مُحْرِز، عن عمران بن حصين رضي الله عنهما، قال: أتيت رسول الله ﷺ فجاءَه نفرٌ من أهل اليمن، فقالوا: أتيناك يا رسول الله لنتفقَّه في الدين، نسألُك عن أول هذا الأمر كيف كان؟

فقال: «كان اللهُ تعالى ولم يكن شيءٌ، وكان عرشُه على الماء، ثم كَتَبَ في الذِّكر كل شيءٍ قبل أن يخلقَ السمواتِ والأرضَ»[(٢)].

تقدير هذا العالم كان قبل خلقه، وأنه أول ما خلق من أسباب هذا العالم القلم؛ لأن تقدير المخلوق سابق لخلق المخلوق... إلخ.

ـ ونحوه في «شفاء العليل» (١/ ١٩) لابن القيم.

(١) رواه الفريابي في «القدر» (٨٦).

(٢) رواه الفريابي في «القدر» (٨٢).

ورواه البخاري (٣١٩١) ولفظه: قالوا: جئناك نسألُك عن هذا الأمر؟

قال: «كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في =

٣٧ ـ بَاب

الإيمان بما جرى به القلم مما يكون أبدًا[(١)]

٤٢٧ ـ أخبرنا الفريابي، قال: ثنا أبو مروان هشام بن خالد الأزرق الدمشقي، قال: ثنا الحسن بن يحيى الخُشني، عن[(٢)] أبي عبد الله مولى بني أُمية، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أولُ[(٣)] شيء خلقه الله القلم، ثم خلق (النون)، وهي الدَّواة[(٤)]، ثم قال: اكتب، قال:

الذكر كل شيء، وخلق السموات والأرض».

وفي لفظٍ (٧٤١): جئناك لنتفقَّه في الدين، ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان؟

قال: «كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السموات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء».

(١) عقد ابن بطة رحمه الله في «الإبانة الكبرى» بابًا نحوه، فقال: (٣٩/ باب الإيمان بأن الله عز وجل خلق القلم، فقال له: اكتب، فكتب ما هو كائن، فمن خالفه فهو من الفرق الهالكة).

واعلم أن أهل السُّنة يؤمنون بأن الله تعالى عَلِمَ ما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلًا، وعَلِم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي، والأرزاق والآجال، ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق الأول، وأول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب. فجرى بما هو كائن.

فمرتبتا (العلم) و(الكتاب) من مراتب الإيمان بالقدر مُتلازمتان، ولا ينفيهما أو إحداهما إلَّا غلاة القدرية الذين كفَّرهم الأئمة.

(٢) في هامش الأصل: (عن الحسين) خه.

(٣) في هامش الأصل: (إن أول) خه.

(٤) في «المصباح» (١/ ٢٠٥): الدَّواةُ الّتي يُكتبُ منها.

وما أكتب؟ قال: اكتب ما يكون وما هو كائنٌ من عملٍ أو أثرٍ، أو رِزقٍ أو أجلٍ، فكتب ما يكون وما هو كائِن إلى يوم القيامة، فذلك قوله تعالى: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾ [القلم]، ثم ختم على القلم فلم ينطق، ولا ينطق إلى يوم القيامة»[(١)].

٤٢٨ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: ثنا زيد بن الحُبَاب، قال: ثنا معاوية بن صالح، قال: حدثني أيوب أبو زيد الحِمصي، عن عُبادة بن الوليد بن عُبادة بن الصامت، عن أبيه: أنه دخل على عُبادة وهو مريضٌ يُرى فيه الموت، فقال: يا أَبَه، أوصني واجتهد.

قال: اجلس، ثم قال: إنك لن تجد طعم الإيمان، ولن تبلغ حقيقة الإيمان حتى تؤمنَ بالقدر خيره وشرِّه.

قلت: وكيف لي أن أعلم خيرَه وشرَّه؟

قال: تعلم أن ما أصابك لم يكُن ليُخطئَك، وأن ما أخطأك لم يكُن ليُصيبَك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أولُ شيءٍ خلقه الله تعالى القلمُ، فقال له: اجْرِ، فجرى تلك الساعةَ إلى يوم القيامة بما هو كائِن»، فإن مِتَّ وأنت على غيرِ ذلك؛ دخلت النار[(٢)].

---

(١) تقدم تخريجه برقم (٢١٥).

(٢) رواه الفريابي في «القدر» (٧٢).

ورواه أحمد (٢٢٧٠٥ و٢٢٧٠٧)، وأبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٢١٥٥ و٣٣١٩).

قال الترمذي (٢١٥٥): وهذا حديث غريب من هذا الوجه.اهـ.

وقال أيضًا (٣٣١٩): هذا حديث حسن صحيح غريب.اهـ.

ـ قال الدارمي رَحِمَهُ اللهُ في «النقض» (٢/ ٨٦٠): فهل جرى القلم إلَّا بسابق علم الله في نفسه قبل حدوث الخلق وأعمالهم؟ ـ والله ـ ما جرى القلم بما يجري حتى أجراه الله تعالى بعلمه، وعَلَّمَه ما يكتب مما يكون قبل أن يكون.اهـ.

٤٢٩ ـ حدثنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن شاهين، قال: ثنا عبد الله بن عمر الكوفي، قال: ثنا إسحاق بن سليمان، عن معاوية بن يحيى، عن الزهري، عن محمد بن عُبادة بن الصامت، قال: دخلت على أبي، فقال: أيْ بُنيَّ إني سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «إن أولَ شيءٍ خلقه الله القلمُ، فقال: اكتبْ، قال: وما أكتبُ؟ قال: اكتبِ القدرَ، فجرى تلك الساعةَ بما هو كائنٌ إلى يومِ القيامة».

٤٣٠ ـ أخبرنا أبو عُبيد علي بن الحسين بن حرب القاضي، قال: ثنا أبو الأشعث أحمد بن المِقدَام العِجلي، قال: ثنا المُعتمر بن سُليمان، قال: ثنا عِصمة أبو عاصم، عن عطاءِ بن السائِب، عن مِقْسَم، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: إن أولَ ما خلق الله من شيءٍ القلمُ، فخلقه من هِجاءٍ[(١)]، فقال: قلم، فتصوَّر قلمًا من نورٍ، ظِلّه[(٢)] ما بين السماء والأرض، فقال: اجر في اللوح المحفوظ، قال: يا رب، بمَ ذا؟ قال: بما يكون إلى يوم القيامة، فلما خلق الله الخلق وكَّل بالخلق حَفَظَةً يحفظون عليهم أعمالهم، فإذا كان يومُ القيامة؛ عُرِضتْ عليهم أعمالُهم، فقيل: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٢٩﴾ [الجاثية]، أي: من اللوح المحفوظ. قال: فعُورض بين الكتابين، فإذا هما سواء[(٣)].

---

(١) في «العين» (٤/ ٦٥): (الهجاء) ممدود: تَهْجية الحروف، تقول: تَهَجَّأتُ وتهجيتُ بهمز وتبديل.

(٢) في هامش الأصل: (طوله) خ.

(٣) رواه البيهقي في «القضاء والقدر» (٢١٠)، وهو أثر صحيح.

ـ في «الإبانة الكبرى» (١٤٨٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٢٩﴾ [الجاثية]، قال: ألستم قومًا عربًا؟ هل تكون النسخة إلَّا من أصلِ كتابٍ قد كان قبل.اهـ.

ـ قال الكرجي القصَّاب رحمه الله في «نكت القرآن» (٤/ ١٤٢) عند قوله تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٢٩﴾، قال: حُجَّة =

٤٣١ ـ حدثنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن شاهين، قال: ثنا أبو هشام الرفاعي، قال: ثنا محمد بن الفضيل، قال: ثنا عطاء، عن أبي الضُّحى، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: أول ما خلق الله تعالى القلم، فقال: اكتب، قال: وما أكتب؟ قال: اكتبْ ما هو كائن إلى يوم القيامة. ثم خلق النُّون[1]، فكبس على ظهره الأرض، فذلك قوله تعالى ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١﴾ [القلم].

٤٣٢ ـ أخبرنا الفريابي، قال: ثنا مِنجَاب بن الحارث، قال: أنا ابن مُسْهِر، عن الأعمش، عن أبي ظَبيان، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن أولَ ما خلق الله القلمُ، فقال[2]: اكتب.

قال: ربِّ، وما أكتب؟

قال: اكتب القدرَ. فجرى بما هو يكون في ذلك [٣٣/ب] إلى أن تقوم الساعة، وكان عرشُه على الماء، ثم رفع بخار الماء، ففُتِقَتْ[3] منه السمٰوات، ثم خلق النون، فدُحِيَتْ[4] الأرض على ظهر النون، فتحرَّك النونُ فمادت[5] الأرضُ، فأُثْبِتَتْ بالجبال، فإنها لتفخر عليها[6].

على المعتزلة والقدرية إذ النسخ لا يكون إلَّا مما فُرِغَ منه مرَّة، ولو كانت كتابة ابتداء كان ـ والله أعلم ـ: (إنا كنا نكتب ما كنتم تعملون). اهـ.

ـ قال ابن القيم رحمه الله في «شفاء العليل» (١/ ٨٠): وأكثر المُفسِّرين على أن هذا الاستنساخ من اللوح المحفوظ، فتستنسخ الملائكة ما يكون من أعمال بني آدم قبل أن يعملوها، فيجدون ذلك موافقًا لما يعملونه، فيثبت الله تعالى منه ما فيه ثواب أو عقاب، ويطرح منه اللغو. اهـ.

(١) يعني: الحوت.

(٢) في هامش الأصل: (له) خه.

(٣) في «النهاية» (٣/ ٣٠٩): يقال: أفتق السحاب إذا انفرج. اهـ.

(٤) أي: بسطت.

(٥) أي: اضطربت وتحركت.

(٦) إسناده صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما.

٤٣٣ ـ أخبرنا الفريابي، قال: ثنا أبو مروان عبد الملك بن حبيب المِصِّيصي، قال: ثنا أبو إسحاق الفزاري، عن سُفيان ـ يعني: الثوري ـ، عن أبي هاشم[١]، عن مجاهد، قال: قيل لابن عباس رضي الله عنهما: إن هاهنا قومًا يقولون بالقدر.

فقال: إنهم يُكذِّبون بكتاب الله تعالى، لآخذنَّ بشَعْرِ أحدِهم فلأنْصُوَنّه[٢]، إن الله تعالى كان عرشُه على الماء قبل أن يخلق شيئًا، ثم خلق، فكان أولُ ما خلقَ القلمَ، ثم أمره، فقال: اكتب، فكتب ما هو كائن إلى قيام الساعة، فإنما يجري الناس على أمر قد فُرِغَ منه[٣].

وبالله التوفيق

---

(١) في هامش الأصل: (هشام) خه. وكتب على ما في الأصل: صح.

(٢) أي: لأقبضن على ناصيته.

(٣) في «السُّنة» لعبد الله (٩١٤) عن أبي يحيى ـ مولى ابن عَفرَاءَ ـ، قال: أتيتُ ابن عباس رضي الله عنه ومعي رجلان مِن الذين يَذكرون القدرَ، أو يُنكِرونَه، فقلت: يا ابن عباس، ما تقول في القدَرِ لو أن هؤلاء أتوك يسألونك؟ ـ أو قال إسماعيل مرَّةً: يَسألونَك عن القدَرِ: إن زنا، وإن سرق، أو شَرِبَ الخمر؟ ـ.
فحسَرَ قميصَه حتى أخرجَ مَنْكِبَه، وقال: يا أبا يحيى، لعلَّكَ مِن الذين يُنكرون القدر، ويُكذِّبون به؟! والله لو أني أعلمُ أنك منهم، أو هذين معك؛ لجاهدتُكم، إن زنا فبقدرٍ، وإن سرقَ فبقدَرٍ، وإن شَرِبَ الخمرَ فبقدَر.
ـ قال اللالكائي رحمه الله في «السنة»: (٤١/ما روي من المأثور عن الصحابة وما نقل عن أئمة المسلمين من إقامة حدود الله في القدرية من القتل والنكال والصلب).
وقد مضى عنه: أُدْخِلُ يدي في عينيه فأقلعها ولأنصونَّه.
وهذا كله لا يفعل بالمسلمين وإنما يُفعل بالكُفَّار. اهـ.

٣٨ ـ بَاب

الإيمان بأن الله تعالى قدَّر على آدمَ المعصيةَ قبل أن يخلقَه[١]

٤٣٤ ـ حدثنا أبو العباس عبد الله بن الصقر السكري، قال: ثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي، قال: ثنا عبد الله بن وهب، قال: ثنا هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن موسى عليه السلام قال: يا رب، أرنا أبانا آدمَ الذي أخرجَنا ونفسَه من الجنة، فأراه اللهُ تعالى آدمَ، فقال له: أنت آدمُ؟ فقال: نعم.

فقال: أنت الذي نفخ اللهُ فيك من رُوحه، وعلَّمك الأسماء كلها، ثم أمر ملائِكتَه فسجدوا لك؟ قال: نعم.

قال: فما حملَك على أن أخرجتَنا ونفسَك من الجنة؟!

قال له آدم: ومن أنت؟ قال: أنا موسى.

قال: نبيُّ بني إسرائِيل؟ قال نعم.

قال: أنت الذي كلَّمك الله من وراءِ حِجاب، ولم يجعل بينك وبينه رسولًا من خلقه؟ قال: نعم.

قال: فهل وجدتَ في كتابِ اللهِ عز وجل أن ذلك كائِنٌ قبل أن أُخلق؟

قال: نعم، قال: فلم تلومُني في شيءٍ قد[٢] سبقَ من الله عز وجل فيه القضاءُ قبل أن أُخلق؟».

---

(١) عقد ابن بطة رحمه الله في «الإبانة الكبرى» بابًا نحوه، فقال: (٤٠/ باب الإيمان بأن الله عز وجل كتب على آدم المعصية قبل أن يخلقه، فمن ردَّ ذلك فهو من الفرق الهالكة).

(٢) كتب فوقها: (خ) يعني في نسخة: (في شيء سبق من..).

قال النبي ﷺ: «فحجَّ آدمُ موسى ﷺ»(١).

(١) رواه أبو داود (٤٧٠٢)، وأبو يعلى (٢٤٣)، ويشهد له ما بعده.
- قال ابن عبد البر في «التمهيد» (١٨/ ١٥): وفيه الأصل الجسيم الذي أجمع عليه أهل الحق وهو أن الله ﷻ قد فرغ من أعمال العباد، فكلٌّ يجري فيما قُدِّر له وسبق في علم الله تبارك اسمه.
وأما قوله: «أفتلومني على أمرٍ قد قُدِّرَ عليَّ»، فهذا عندي مخصوصٌ به آدم؛ لأن ذلك إنما كان منه ومن موسى ﷺ بعد أن تِيب على آدم، وبعد أن تلقَّى من ربه كلماتٍ تاب بها عليه، فحَسُنٌ منه أن يقول ذلك لموسى؛ لأنه قد كان تِيب عليه من ذلك الذنب، وهذا غير جائز أن يقوله اليومَ أحدٌ إذا أتى ما نهاه الله عنه، ويَحتجُّ بمثل هذا، فيقول: أتلومني على أن قَتلتُ، أو زنيتُ، أو سرقتُ، وذلك قد سبق في علم الله وقدَّره عليَّ قبل أن أُخلق، هذا ما لا يسوغ لأحدٍ أن يقوله، وقد اجتمعت الأُمَّة أن من أتى ما يستحقُّ الذمّ عليه فلا بأس بذمِّه، ولا حرجَ في لومه، ومن أتى ما يُحمد له فلا بأسَ بمدحه عليه وحمده، وقد حكى مالك عن يحيى بن سعيد معنى ما ذكرنا أن ذلك إنما كان من آدم ﷺ بعد أن تِيب عليه، ذكره ابن وهب عن مالك... ومعنى (حَجَّه): غلبه وظهر عليه في الحُجَّة. اهـ.
قلت: وللحديث توجيهٌ آخر: وهو أن لوم موسى لآدمَ ﷺ إنما كان على المُصيبة التي كان آدمُ سببَها، وهي إنزالُهم من الجنة إلى الأرض، فاحتجَّ آدمُ بأنَّ تلك المُصيبة مُقدَّرة في أمر الله قبل أن يخلق.
ذكر هذا التوجيه ابن القيم رحمه الله في «شفاء العليل» (١/ ٥٨) عن شيخه ابن تيمية رحمه الله؛ لكن الذي تدل عليه ألفاظ كثير من روايات هذا الحديث أن لوم موسى ﷺ كان على الذنب الذي وقع فيه آدم ﷺ، وكان سببًا في خروجه من الجنة.
قال ابن القيم رحمه الله: وقد يتوجّه جوابٌ آخر: وهو أن الاحتجاج بالقدر على الذنب ينفع في موضع، ويضرُّ في موضع، فينفع: إذا احتُجَّ به بعد وقوعه والتوبة منه، وتَرْك معاودته، كما فعل آدم ﷺ، فيكون في ذكر القدر إذ ذاك من التوحيد، ومعرفة أسماء الرب وصفاته وذكرها ما ينتفع به الذاكر والسامع؛ لأنه لا يَدفع بالقدر أمرًا ولا نهيًا، ولا يُبطل به شريعة، بل يُخبر بالحقِّ المحض على وجه التوحيد، والبراءة من الحول والقوة. =

٤٣٥ - حدثنا أبو بكر عبد الله بن أبي داود، قال: ثنا أحمد بن صالح المصري، وأبو الطاهر أحمد بن عمرو، قالا: ثنا عبد الله بن وهب، قال: أخبرني هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه: أن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن موسى ﷺ قال: يا ربِّ، أرِنا آدمَ الذي أخرجَنا من الجنة، فأراه الله تعالى. فقال: أنت أبونا آدم؟ فقال آدم: نعم.

قال: أنت الذي نفخ الله فيك من رُوحه، وعلَّمك الأسماءَ كلها، وأمر ملائِكتَه فسجدوا لك؟ قال: نعم.

قال: فما حملَك على أن أخرجتَنا ونفسَك من الجنة؟

قال له آدم: ومن أنت؟

يوضحه أن آدم ﷺ قال لموسى: «أتلومني على أن عملتُ عملًا كان مكتوبًا عليَّ قبل أن أُخلق؟»، فإذا أذنب الرجل ذنبًا ثم تاب منه توبة نصوحًا، وزال أثره حتى كأن لم يكن، فأنَّبه مؤنِّبٌ عليه ولامه: حَسُن منه أن يحتج بالقدر بعد ذلك، ويقول: هذا أمرٌ كان قد قُدِّر عليَّ قبل أن أُخلق، فإنه لم يَدفع بالقدر حقًّا، ولا ذكره حُجَّة له على الباطل، فلا محذور في الاحتجاج به.

وأما الموضع الذي يضرُّ الاحتجاج به: ففي الحال أو المستقبل؛ بأن يرتكب فعلًا مُحرَّمًا، أو يترك واجبًا فيلومه عليه لائم، فيحتج بالقدر على إقامته عليه وإصراره، فيُبطل بالاحتجاج به حقًّا، ويرتكب باطلًا، كما احتج به المُصِرّون على شركهم وعبادتهم غير الله فقالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]، ﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ [الزخرف: ٢٠]، فاحتجوا به مُصَوِّبين لما هم عليه، وأنهم لم يندموا على فعله، ولم يعزموا على تركه، ولم يقروا بفساده، فهذا ضدّ احتجاج مَنْ تبيّن له خطأ نفسه، وندم وعزم كل العزم على أن لا يعود، فإذا لامه لائمٌ بعد ذلك قال: كان ما كان بقدر الله.

ونكتة المسألة: أن اللوم إذا ارتفع صحَّ الاحتجاج بالقدر، وإذا كان اللوم واقعًا فالاحتجاج بالقدر باطل.اهـ.

قال: أنا موسى.

قال: أنت نبيُّ بني إسرائِيل الذي كلَّمكَ الله من وراءِ حِجاب، ولم يجعل بينك وبينه رسولًا من خلقه؟ قال: نعم.

قال: فما وجدتَ في كتاب الله تعالى أن ذلك كان في كتاب الله قبل أن أُخلق؟ قال: نعم.

قال: فلِمَ تلومُني في شيءٍ قد سبق من الله فيه القضاءُ قبلي؟».

قال النبي ﷺ: «فحجَّ آدمُ موسى».

٤٣٦ ـ حدثنا الفريابي، قال: ثنا أبو مسعود أحمد بن الفرات، قال: أنا موسى بن إسماعيل، قال: ثنا حماد بن سلمة، عن حُميد، عن الحسن، عن جُندب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «احتجَّ آدمُ وموسى عليهما السلام، فقال موسى: يا آدمُ، أنت الذي خلقك اللهُ بيده، ونفخ فيك من رُوحه، وأَسْجَدَ لك ملائِكتَه، وأسكنك جنَّته، وفعلتَ ما فعلتَ فأخرجتَ ولدَك من الجنة؟

فقال آدمُ: أنت موسى الذي بعثك الله تعالى برسالاته، وكلَّمَكَ، وآتاك التوراة، وقرَّبك نَجِيًّا؟ أنا أَقْدَمُ أم الذِّكر؟».

فقال: النبي ﷺ: «فحجَّ آدمُ موسى، فحجَّ آدمُ موسى»(١).

٤٣٧ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا قُتيبة بن سعيد، عن مالك بن أنس، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «تحاجَّ

---

(١) رواه النسائي في «الكبرى» (١١٢٥٦)، وأبو يعلى (١٥٢٨).

ورواه أحمد (٩٩٩٠) من طريق حماد، عن حميد، عن الحسن، عن رجل ـ قال حماد: أظنه ـ جُندب بن عبد الله البجلي، عن النبي ﷺ.

قال ابن أبي حاتم الرازي رحمه الله في «المراسيل» (١٣٨): سمعت أبي رحمه الله يقول: لم يصح للحسن سماعٌ من جندب رضي الله عنه. اهـ.

آدم وموسى، فحجَّ آدم موسى، فقال له موسى: أنت الذي أغويت الناس، وأخرجتهم من الجنة؟

فقال آدم: أنت موسى الذي أعطاك الله علمَ كلِّ شيءٍ، واصطفاك على الناس برسالاته؟

قال: نعم.

قال: فَلِمَ تلومني على أمرٍ قد قُدِّرَ عليَّ قبل أن أُخلق؟»[(١)].

٤٣٨ - وحدثنا أبو بكر بن أبي داود، قال: ثنا أحمد بن صالح، قال: ثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو، عن طاووس، أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «احتجَّ آدمُ وموسى، فقال موسى: أنت آدمُ أبونا، أخرجتَنا من الجنة وأشقيتَنا؟

قال له آدمُ: وأنت موسى، اصطفاك الله بكلامه، وخطَّ لك - يعني: التوراة - بيده، أتلومني على أمرٍ قد قدَّره الله عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فحجَّ آدمُ موسى، فحجَّ آدمُ موسى».

قال عَمرو: قال لنا طاووس: أَخِّروا[(٢)] معبدًا الجُهَني[(٣)]، فإنه كان قدريًّا[(٤)].

---

(١) رواه الفريابي في «القدر» (١١٠).
ورواه مالك (٣٣٣٦)، والبخاري (٣٤٠٩)، ومسلم (٢٦٥٢).

(٢) في هامش الأصل: (اخزوا)، و(احذروا) خه.

(٣) من أئمة القدرية نفاة العلم، وهو أول من تكلَّم في القدر بالبصرة، وستأتي ترجمته برقم (٦٤٢) عند ذكر المُصنِّف لأئمة القدرية الأنجاس الأرجاس.

(٤) وعند اللالكائي (١٠٥٤) قال عمرو: بَيْنَا طاووس يطوف بالبيت لَقِيَه مَعْبَد الجهني، فقال له طاووس: أنت معبد؟ قال: نعم.
قال: فالتفت إليهم طاووس فقال: هذا مَعْبَدٌ فأَهِينوه.

٤٣٩ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا قُتيبة بن سعيد، قال: ثنا عبد العزيز بن محمد، عن عَمرو بن أبي عَمرو، عن الأعرج، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «احتجَّ آدمُ وموسى، فقال له موسى: يا آدمُ، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، ثم أمر الملائِكة فسجدوا لك، وأمرك أن تسكن الجنة، فتأكلَ منها رغدًا حيث شئتَ [٣٤/أ]، ونهاك عن شجرة واحدة، فعصيتَ ربك فأكلت منها؟

فقال: يا موسى، ألم تعلمْ أن الله تعالى قدَّر ذلك عليَّ قبل أن يخلقني؟».

فقال رسول الله ﷺ: «لقد حَجَّ آدمُ موسى، لقد حَجَّ آدمُ موسى»(١).

قال محمد بن الحسين:

ولحديث أبي هريرة ﷺ طُرُقٌ كثيرة، اكتفينا منها بهذا(٢).

---

(١) رواه الفريابي في «القدر» (١١٢).

(٢) ذكر ابن بطة ﷺ تحت هذا الباب ما أورده المُصنِّف هاهنا من حديث مُحاجَّة آدم وموسى ﷺ، وأسند فيه كذلك بعض الآثار، ومنها:
ـ عن سالم بن أبي حفصة، عن من سمع ابن عباس ﷺ، يقول: لقد أخرج الله آدم من الجنة قبل أن يدخلها، ثم قرأ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].
ـ وعن خالد الحَذَّاء قال: قلت للحسن: يا أبا سعيد، آدمُ خُلِقَ للأرض أم للسماء؟
قال: ما هذا يا أبا منازل؟ قال: فقال: خُلِقَ للأرض.
قال: فقلت: أرأيتَ لو استعصم فلم يأكلْ من الشجرة؟
قال: لم يكن له بدٌّ من أن يأكلَ منها؛ لأنه للأرض خُلِقَ.
ـ وقد ختم ابن بطة ﷺ هذا الباب بقوله: فقد عَلِمَ اللهُ ﷻ المعصية من آدم قبل أن يخلقه، ونهاه عن أكل الشجرة، وقد عَلِم أن سيأكلُها، وخلق إبليس لمعصيته ولمخالفته فيما أمره به من السجود لآدم، وأمره بالسجود، وقد عَلِمَ أنه لا يسجد، فكان ما عَلِم، ولم يكن ما أمر، وكذلك خلق فرعونَ وهو =

٣٩ ـ بَاب

الإيمان بأن[(١)] السعيد والشقي من كُتِبَ في بطنِ أُمِّه[(٢)]

٤٤٠ ـ حدثنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الحلواني، قال: ثنا محمد بن الصباح الدولابي، قال: ثنا إسماعيل بن زكريا، عن الأعمش، عن زيد بن وهب، عن عبد الله بن مسعود ﵁، قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المَصدوق: «إن خلقَ أحدكم يجمع في بطن أُمه أربعينَ ليلة، ثم يكون علقةً مثلَ ذلك، ثم يكون مُضغةً[(٣)] مثلَ ذلك، ثم يبعث الله تعالى إليه مَلَكًا فيؤمر بأربع كلمات، فيُكتبُ عملُه، وأجلُه، ورزقُه، وشقيٌّ أم سعيدٌ، ثم ينفخُ فيه الروح، فإن أحدكم لَيعملُ بعملِ أهلِ الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلَّا

يعلمُ أنه يدَّعِي الربوبية، ويُفسد البلاد، ويُهلك العباد، وأرسل إليه موسى ﵇ يأمرُه بالتوحيد لله، والإقرار له بالعبودية، وهو يعلمُ أنه لا يقبلُ، فحالَ علمُه فيه دون أمرِه. اهـ.

(١) في الهامش: (أن) خ.

(٢) عقد ابن بطة ﵀ في «الإبانة الكبرى» بابًا نحوه، فقال: (٤١/ باب الإيمان بأن السعيد والشقي من سَعِدَ أو شَقِي في بطن أُمِّه، ومن ردَّ ذلك فهو من الفرق الهالكة).

ـ وقال ابن القيم ﵀ في «شفاء العليل»: (الباب الرابع: في ذكر التقدير الثالث والجنين في بطن أُمِّه، وهو تقدير شقاوته وسعادته ورزقه، وأجله وعمله، وسائر ما يلقاه، وذكر الجمع بين الأحاديث الواردة في ذلك).

(٣) في «المصباح المنير» (٢/ ٤٢٥): (العَلَقَة): المَنِيُّ ينتقل بعد طوره فيصير دمًا غليظًا مُتجمِّدًا، ثم ينتقل طورًا آخر فيصير لحمًا، وهو المُضغة، سُمِّيت بذلك لأنها مقدار ما يُمضغ. اهـ.

ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار؛ فيدخل النار، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلَّا ذراعٌ، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»(١).

٤٤١ ـ وأخبرنا الفِريابي، قال: أنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: أنا وكيع، قال: ثنا الأعمش، عن زيد بن وهب، عن عبد الله رضي الله عنه، قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المَصدوق: «إن خلق أحدكم يُجمع في بطن أُمه أربعين ليلةً، ثم يكون علقةً مثلَ ذلك، ثم يكون مُضغةً مثلَ ذلك، ثم يبعث الله إليه المَلَك، ويؤمر بأربع كلماتٍ، فيكتب عمله، ورزقه، وأجله، وشقي أم سعيد، ثم ينفخ فيه الروح..». فذكر الحديث إلى آخره(٢).

---

(١) رواه أحمد (٣٦٢٤)، والبخاري (٧٤٥٤)، ومسلم (٢٦٤٣).

ـ قال ابن رجب رحمه الله في «جامع العلوم والحكم» (١/ ١٦٨): فهذه الكتابةُ التي تُكتب للجنين في بطن أُمِّه غيرُ كتابة المقادير السابقة لخلق الخلائق المذكورة في قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢]، كما في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة»، وفي حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة». وقد سبق ذكر ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أن الملك إذا سأل عن حال النطفة، أُمر أن يذهب إلى الكتاب السابق، ويقال له: إنك تجد فيه قصة هذه النطفة، وقد تكاثرت النصوص بذكر الكتاب السابق، بالسعادة والشقاوة، ففي الصحيحين عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة أو النار، وإلّا قد كُتِبتْ شقيةً أو سعيدة..»، ففي هذا الحديث أن السعادة والشقاوة قد سبق الكتاب بهما، وأن ذلك مُقدَّر بحسب الأعمال، وأن كُلًّا مُيسَّرٌ لما خُلِقَ له من الأعمال التي هي سبب للسعادة أو الشقاوة.اهـ.

(٢) رواه الفريابي في «القدر» (١٢٦).

ـ قال ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٢/ ١٤٨): أخرج الشيخان في =

قال محمد بن الحسين:

ولحديث ابن مسعود ﷺ طُرُق جماعة.

٤٤٢ - وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا قتيبة بن سعيد، قال: ثنا سفيان، عن عَمرو - وهو ابن دينار -، عن أبي الطُّفيل، عن حذيفة بن أسيد ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل المَلكُ على النطفة بعد ما تصير في الرحم

«الصحيحين» وفي سائر الكتب الأمهات: حديث الصادق المصدوق وهو من الأحاديث المستفيضة التي تلقاها أهل العلم بالقبول وأجمعوا على تصديقها. اهـ.

- قال الإمام أحمد رحمه الله في «أصول السُّنة» (من رواية عبدوس العطار) (٨): . . ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقلها ويؤمن بها لم يكن من أهلها: الإيمان بالقدر خيره وشره، والتصديق بالأحاديث فيه، والإيمان بها، لا يقال: لم؟ ولا كيف؟ إنما هو التصديق بها، والإيمان بها. ومن لم يعرف تفسير الحديث ويبلغه عقله؛ فقد كُفي ذلك، وأحكم له، فعليه الإيمان به، والتسليم له، مثل: حديث الصادق المصدوق، وما كان مثله في القدر. اهـ. «الجامع في عقائد ورسائل السنة والأثر» (ص٣٤٩).

قلت: وحديث ابن مسعود ﷺ من أشد الأحاديث على القدرية، ولهذا كانوا يُصرِّحون بردِّه وإنكاره وتكذيبه.

- ففي «تاريخ بغداد» (١٤/ ٦٩ - ٧٠) عن عُبيد الله بن معاذ العنبري، قال: سمعت أبي يقول: سمعت عَمرو بن عُبيد يقول - وذكر حديث الصَّادق المصدوق - فقال: لو سمعتُ الأعمش يقول هذا لكذّبتُه، ولو سمعتُ زيد بن وهب يقول هذا ما أجبتُه، ولو سمعتُ عبد الله بن مسعود يقول هذا ما قبلتُه، ولو سمعتُ رسول الله ﷺ يقول هذا لرددتُه، ولو سمعت الله تعالى يقول هذا لقلتُ له: ليس على هذا أخذتَ ميثاقَنا. اهـ.

- وعند اللالكائي (٩٧٨): قال ابن قُتيبة في «تأويل مختلف الحديث»: حكي عن أبي الهذيل العلَّاف أنه لما رُوي له عن عبد الله بن مسعود ﷺ هذا الحديث، فقال: وكذب عبد الله بن مسعود على رسول الله!

قال اللالكائي: وكذب أبو الهذيل الكافر الجاحد لعنه الله. اهـ.

بأربعين، أو بخمسٍ وأربعين ليلة، فيقول: أي ربِّ، ما هذا أشقيٌّ أم سعيد؟ فيقول الله تعالى: اكتب، فيكتب، ثم يقول: أذكرٌ أم أُنثى؟ فيقول الله: اكتب، فيكتب، ثم يكتب رزقه، وعمله، ومُصيبته، ثم تطوى الصُّحف فلا يُزاد فيها ولا يُنقص»[١].

٤٤٣ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا صفوان بن صالح، قال: ثنا الوليد بن مسلم، قال: ثنا ابن جريج، عن أبي الزبير، عن أبي الطُّفيل عامر بن واثلة، قال: سمعت عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: الشقيُّ من شقي في بطنِ أُمِّه، والسعيدُ من وُعِظَ بغيره.

فقلت: خِزيًا للشيطان، يسعدُ الإنسانُ ويشقى من قَبْلِ أن يَعمل؟!

فأتيتُ حذيفة بن أسيد الغِفاري، فحدَّثته بما قال عبد الله بن مسعود، فقال: ألا أُحدثك بما سمعت من رسول الله ﷺ يقول؟

فقلت: بلى.

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا استقرَّتِ النطفةُ في الرَّحم اثنين وأربعين صباحًا، أتى مَلَكُ الأرحام فخَلّق لحمَها وعظمَها وسمعَها وبصرها، ثم يقول: يا ربِّ، أشقيٌّ أم سعيدٌ؟

فيقضي ربك بما يشاءُ فيها، ويكتبُ المَلَكُ.

ثم يقول: يا ربِّ، أذكرٌ أم أُنثى؟

فيقضي ربك ما يشاءُ، ويكتب المَلَكُ.

ثم يذكرُ رزقَه، وأجلَه، وعملَه بمثل هذه القصَّة، ثم يخرج المَلَكُ بصحيفته ما زاد فيها ولا نقص»[٢].

---

(١) رواه الفريابي في «القدر» (١٣٣).
ورواه الحُميدي (٨٤٨)، وأحمد (١٦١٤٢)، ومسلم (٢٦٤٤).

(٢) رواه الفريابي في «القدر» (١٤٠). ورواه مسلم (٢٦٤٥).

٤٤٤ ـ أخبرنا أبو عبيد علي بن الحسين بن حرب، قال: ثنا أبو الأشعث أحمد بن المقدَام، قال: ثنا محمد بن أبي عدي، عن ابن جريج، قال: حدثني أبو الزبير، عن أبي الطُّفيل، قال: سمعت عبد الله بن مسعود ﵁ يقول: الشقيُّ: من شقِيَ في بطنِ أُمِّه، والسعيدُ: من وُعِظَ بغيره.

قال: قلت: خِزيًا للشيطان، أيسعدُ الإنسان ويشقى قَبْل أن يعمل؟

قال: فلقي حُذيفة بن أَسِيد فأخبره بما قال ابن مسعود، قال: أفلا أُخبرك بما سمعت من رسول الله ﷺ؟

قلت: بلى.

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا استقرَّتِ النطفةُ في الرحم اثنين وأربعين صباحًا، نزل مَلَكُ الأرحام، فخَلَّقَ عظمها ولحمها، وسمعها وبصرها.

ثم قال: أي ربِّ، أشقيٌّ أم سعيد؟ فيقضي ربك ما يشاء، ويكتب المَلَك.

أي ربِّ، أذكر أم أُنثى؟ فيقضي ربُّك ما يشاء، ويكتبُ المَلَكُ.

أي ربِّ، أجلُه؟ فيقضي ربُّك ما يشاء، ويكتب المَلَك، فيخرجُ المَلَكُ بالصحيفة ما زاد فيها ولا نقص».

٤٤٥ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا إسحاق بن سيّار النُّصِيبي، قال: ثنا أبو صالح عبد الله بن صالح، قال: حدثني الليث بن سعد، قال: حدثني يونس، عن ابن شهاب، أن عبد الرحمن بن هُنيدة مولى عمر ﵁ أخبره، عن عبد الله بن عمر ﵄ أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا خلقَ اللهُ النَّسَمَة، قال مَلَكُ الأرحام مُعترضًا: أي ربِّ، أذكرٌ أم أُنثى؟

قال: فيقضي الله تعالى إليه أمرَه.

قال: ثم يقول: أي ربِّ، أشقيٌّ أم سعيد؟

قال: فيقضي الله إليه أمرَه، ثم يكتب بين عينيه ما هو لاقٍ حتى النَّكْبَةَ(١) يُنْكَبُها»(٢). [٣٤/ب]

٤٤٦ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: ثنا يحيى بن آدم، عن حماد بن زيد، عن عبيد الله بن أبي بكر، أن أنس بن مالك ﵁ حدَّثه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى قد وكَّل بالرَّحم مَلَكًا، فيقول: أي ربِّ، أنطفة؟ أي ربِّ أعلقة؟ أي ربِّ أمضغة؟ فإذا أراد الله تعالى أن يقضي خلقها قال: يقول الملك: أذكر أم أُنثى؟ أشقيٌّ أم سعيد؟ فما الأجل؟ فما الرِّزق؟ فيُكتبُ ذلك في بطنِ أُمِّه»(٣).

٤٤٧ ـ وأخبرنا أبو عبيد علي بن الحسين بن حرب القاضي، قال: ثنا أبو الأشعث أحمد بن المِقدَام، قال: ثنا أبو عامر العَقَدِيّ، عن الزبير بن عبد الله، قال: حدثني جعفر بن مصعب، قال: سمعت عُروة بن الزبير، يُحدِّث عن عائِشة ﵂، عن النبي ﷺ قال: «إن الله حينَ يريدُ أن يخلقَ الخلقَ بعثَ مَلكًا فيدخل الرَّحِم، فيقول: أي ربِّ، ماذا؟ فيقول: غلامٌ أم جارية؟ أو ما شاءَ الله أن يخلقَ في الرَّحِم.

فيقول: أي ربِّ، أشقي أم سعيد؟ فيقول: شقيٌّ أو سعيد.

فيقول: أي ربِّ ما أجلُه؟ فيقول: كذا وكذا.

فيقول: أي ربِّ، ما رزقُه؟ فيقول: كذا وكذا.

فيقول: ما خلْقُه؟ ما خلائِقه؟

---

(١) في «النهاية» (٥/ ١١٣): (النَّكْبَة): وهي ما يُصيب الإنسانَ مِن الحوادِثِ.

(٢) رواه الفريابي في «القدر» (١٤٠)، وأبو يعلى (٥٧٧٥).

وروواه عبد الرزاق (٥٧٧٥)، والفريابي في «القدر» (١٣٩) عن ابن عمر ﵄ موقوفًا.

(٣) رواه أحمد (١٢١٥٧)، والبخاري (٣١٨)، ومسلم (٢٦٤٦).

فيقول: كذا وكذا، فما شيءٌ إلّا وهو يُخلَقُ معه في الرَّحِم»[١].

٤٤٨ ـ وأخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن ناجية، قال: ثنا وهب بن بقية الواسطي، قال: أنا خالد ـ يعني: ابن عبد الله الواسطي ـ، عن يحيى بن عبيد الله، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «الشقيُّ: من شَقِيَ في بطنِ أُمّه. والسعيدُ: من سَعِدَ في بطنها»[٢].

٤٤٩ ـ حدثنا أبو بكر عبد الله بن زياد النيسابوري، قال: ثنا يونس بن عبد الأعلى في «كتاب القدر»، قال: ثنا عبد الله بن وهب، قال: أخبرني سعيد بن عبد الرحمن، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إن الرجلَ ليعمل عملَ أهل الجنة فيما يبدو للناس، وإنه لَمِنْ أهلِ النار، وإن الرجلَ ليعملُ عمل أهلِ النار، فيما يبدو للناس، وإنه لمِنْ أهلِ الجنة»[٣].

---

(١) رواه ابن عدي في «الكامل» (٤/ ١٩٤)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١٥١٣).

وفي إسناده: الزبير، قال ابن عدي: أحاديث الزبير هذا منكرة المتن والإسناد، لا تروى إلّا من هذا الوجه.اهـ.

(٢) رواه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١٥٢٦)، واللالكائي (٩٨٥).

(٣) رواه أحمد (٢٢٨١٣)، والبخاري (٢٨٩٨)، ومسلم (١١٢).

ـ قال ابن رجب رحمه الله في «جامع العلوم» (١/ ١٧٣): قوله: «فيما يبدو للناس»: إشارةٌ إلى أن باطنَ الأمر يكون بخلاف ذلك، وأن خاتمة السُّوء تكون بسبب دسيسةٍ باطنة للعبد لا يطلع عليها الناس، إما من جهة عمل سيئ ونحو ذلك، فتلك الخصلة الخفية توجب سُوء الخاتمة عند الموت، وكذلك قد يعمل الرجل عمل أهل النار وفي باطنه خصلةٌ خفيةٌ من خصال الخير، فتغلب عليه تلك الخصلةُ في آخر عمره، فتوجب له حُسنَ الخاتمة. . .

وفي الجملة: فالخواتيم ميراث السوابق، فكل ذلك سبق في الكتاب السابق، ومن هنا كان يشتد خوف السلف من سُوء الخواتيم، ومنهم من كان يقلق من ذكر السوابق.

وقد قيل: إن قلوب الأبرار مُعلقةٌ بالخواتيم، يقولون: بماذا يُختم لنا؟

وقلوب المُقرَّبين معلقة بالسوابق، يقولون: ماذا سبق لنا.

وبكى بعض الصحابة عند موته، فسُئل عن ذلك؟

فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تعالى قبضَ خلقه قبضتين، فقال: هؤلاء في الجنة، وهؤلاء في النار»، ولا أدري في أي القبضتين كنت؟

قال بعض السلف: ما أبكى العيون ما أبكاها الكتاب السابق.

وقال سفيان لبعض الصالحين: هل أبكاك قط علمُ الله فيك؟ فقال له ذلك الرجل: تركني لا أفرحُ أبدًا.

وكان سفيان يشتدُّ قلقه من السوابق والخواتيم، فكان يبكي ويقول: أخاف أن أكون في أم الكتاب شقيًّا، ويبكي، ويقول: أخافُ أن أُسلب الإيمان عند الموت.

وكان مالك بن دينار يقوم طول ليله قابضًا على لحيته، ويقول: يا ربِّ، قد علمتَ ساكن الجنة من ساكن النار، ففي أيِّ الدارين منزل مالك؟

وقل حاتم الأصم: من خلا قلبُه من ذكر أربعة أخطار، فهو مغترٌّ، فلا يأمن الشقاء: الأول: خطرُ يوم الميثاق حين قال: «هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي»، فلا يعلم في أيِّ الفريقين كان.

والثاني: حين خُلق في ظلمات ثلاث، فنودي الملك بالسعادة والشقاوة، ولا يدري: أمن الأشقياء هو أم من السُّعداء؟

والثالث: ذكر هول المطلع، ولا يدري أيُبشَّر برضا الله أو بسخطه؟

والرابع: يوم يَصدُرُ الناسُ أشتاتًا، ولا يدري، أيَّ الطريقين يسلك به...

ومن هنا كان الصحابة ومَن بعدهم من السلف الصالح يخافون على أنفسهم النفاق، ويشتدُّ قلقهم وجزَعُهم منه، فالمؤمن يخاف على نفسه النفاق الأصغرَ، ويخاف أن يغلب ذلك عليه عند الخاتمة. فيخرجه إلى النفاق الأكبر، كما تقدم أن دسائس السوء الخفية توجب سُوء الخاتمة.

وقد كان النبي ﷺ يُكثرُ أن يقول في دعائه: «يا مُقلِّب القلوب ثبت قلبي على دينك»، فقيل له: يا نبي الله، آمنا بك، وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ فقال: «نعم، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله ﷻ يقلبها كيف شاء»، خرجه الإمام أحمد والترمذي من حديث أنس ﷺ. اهـ.

٤٥٠ ـ وأخبرنا أبو عبيد علي بن الحسين بن حرب، قال: ثنا الحسن بن محمد الزعفراني، قال: ثنا يزيد بن هارون، قال: أنا حُميد، عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا عليكم أن لا تُعجبوا بأحدٍ حتى تنظروا بِمَ يُختمُ له، فإن العاملَ يعملُ زمانًا من عُمرِه، أو بُرهة[١] من دهره، يعملُ عملًا صالحًا لو مات عليه دخل الجنة، ثم يتحوَّلُ فيعمل بعمل سيئ، وإن العبد ليعمل زمانًا من عُمره بعملٍ سيئٍ لو مات عليه دخل النار، ثم يتحوَّل فيعمل بعمل صالح، وإذا أراد الله بعبد خيرًا استعمله».

قالوا: يا رسول الله، كيف يستعمله؟

قال: «يُوفِّقه لعملٍ صالح، ثم يَقبضه عليه»[٢].

٤٥١ ـ وأخبرنا أبو عبد الله أحمد بن الحسن[٣] بن عبد الجبار الصوفي، قال: ثنا مُحرز بن عون، قال: ثنا حسان بن إبراهيم، عن نصر أبي جُزيّ، عن قتادة، عن أبي حسان، عن ناجية بن كعب، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «خلقَ اللهُ يحيى بن زكريا في بطن أُمِّه مؤمنًا، وخُلِقَ فرعون في بطن أُمِّه كافرًا»[٤].

---

(١) في «المصباح المنير» (١/ ٤٦): (بُرهة من الزمان) بضم الباء وفتحها، أي: مُدَّة، والجمع بُرَهٌ.

(٢) رواه أحمد (١٢٢١٤)، وعبد بن حُميد (١٣٩٤).
ورواه الترمذي (٢١٤٢) مختصرًا، وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) في هامش الأصل: (الحسين) خه. والصواب ما في الأصل.

(٤) رواه ابن عدي في «الكامل» (٨/ ٢٧٧)، وابن بطة في «الكبرى» (١٥٢٨)، واللالكائي (٩٦٠). قال ابن عدي: وهذا يرويه نصر بن طريف، عن قتادة، وهو به معروف. اهـ.
قال ابن معين عن نصر: ليس هو بشيء. وقال مسلم: ذاهب الحديث.
وروى مسلم (٢٦٦١) عن أُبيّ بن كَعبٍ، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ الغُلامَ الذي قَتَلَه الخضِرُ طُبِعَ كافِرًا، ولو عاشَ لأرهَقَ أبويه طُغيانًا وكُفرًا».

٤٥٢ - حدثنا أبو عبد الله محمد بن مخلد العطار، قال: ثنا عبد الله بن أيوب المخرمي، قال: ثنا عبد الرحيم بن هارون الغساني، قال: ثنا نصر بن طريف، عن قتادة، عن أبي حسان، عن ناجية بن كعب، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «خلقَ اللهُ يحيى بن زكريا في بطنِ أُمِّه مؤمنًا، وخلقَ اللهُ عز وجل فرعون في بطن أُمِّه كافرًا».

- قال ابن القيم رحمه الله في «شفاء العليل» (٢/ ٣٩١): فقوله: «طُبع يومَ طُبع» أي: قُدِّر وقُضِيَ في الكتاب أنه يكفر، لا أن كفره كان موجودًا قبل أن يولد، ولا في حال ولادته، فإنه مولود على الفطرة السليمة، وعلى أنه بعد ذلك يتغير ويكفر. اهـ.

- وقال ابن القيم رحمه الله في «أحكام أهل الذمة» (٢/ ١١٢): فإن معناه أنه قضي عليه وقدِّر في أمِّ الكتاب أنه يكون كافرًا، فهي حالٌ مقدرةٌ كقوله: ﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [الزمر: ٦٩]، وقوله: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا﴾ [الصافات: ١١٢]، ونظائر ذلك. وليس المراد: أن كفره كان موجودًا بالفعل معه حين طُبع، كما يقال: وُلِد مَلِكًا، ووُلِد عالمًا، ووُلِد جبَّارًا، ومن ظن أنَّ (الطبع) المذكور في الحديث هو (الطبع) في قوله تعالى: ﴿طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [النحل: ١٠٨]، فقد غَلِط غلطًا ظاهرًا، فإن ذلك لا يقال فيه: «طُبع يومَ طُبع» فإن الطبع على القلب إنما يُوجد بعد كفره. اهـ.

- وقال (١/ ٣١٩): فإن قيل: فالغلام الذي قتله الخضر طُبع يوم طُبع كافرًا. وقال نوح عليه السلام عن قومه: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾ [نوح].

وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد والترمذي مرفوعًا: «**إن بني آدم خلقوا على طبقات شتَّى فمنهم من يولد مؤمنًا، ويحيا مؤمنًا، ويموت مؤمنًا، ومنهم من يولد كافرًا، ويحيا كافرًا، ويموت كافرًا**» الحديث. قيل: هذا لا يناقض كونه مولودًا على الفطرة، فإنه طُبع ووُلِد مقدَّرًا كفرُه إذا عقل، وإلَّا ففي حال ولادته لا يَعرف كفرًا ولا إيمانًا، فهي حال مقدَّرة لا مقارِنة للعامل فهو مولود على الفطرة، ومولود كافرًا باعتبارين صحيحين ثابتين له، هذا بالقبول وإيثار الإسلام لو خُلِّي، وهذا بالفعل والإرادة إذا عقل، فإذا جَمَعتَ بين الفطرة السابقة، والرحمة السابغة الغالبة، والحكمة البالغة، والغنى التام، وقَرَنت بين فطرته ورحمته، وحكمته وغناه: تبيّن لك الأمر. اهـ.

٤٠ ـ بَاب

الإيمان بأنه لا يصح لعبد الإيمان حتى يؤمن بالقدر خيره وشرِّه لا يصحُّ له الإيمان إلَّا به[(١)]

٤٥٣ ـ أخبرنا الفريابي، قال: ثنا عبد الرحمٰن بن إبراهيم الدمشقي، قال: ثنا الوليد بن مسلم، قال: ثنا عثمان بن أبي عاتِكة، قال: ثنا سُليمان بن حبيب، عن الوليد بن عُبادة: أن أباه عُبادة بن الصَّامت رضي الله عنه لما احتُضِرَ سأله ابنه عبد الرحمٰن، فقال: يا أبه، أوصني.

قال: أجلسوني، فلما أجلسوه، قال: يا بُني، اتق الله، ولن تتقيَ اللهَ حتى تؤمنَ بالله، ولن تؤمن بالله حتى تؤمنَ بالقدر خيره وشرِّه، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليُخطئَك، وما أخطأك لم يكن ليُصيبك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**القدرُ على هذا، من مات على غير هذا دخل النار**»[(٢)].

٤٥٤ ـ أخبرنا الفريابي، قال: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: ثنا زيد بن الحُباب، قال: ثنا معاوية بن صالح، قال: حدثني أيوب أبو زيد الحِمصي، عن عُبادة بن الوليد بن

---

(١) عقد ابن بطة رحمه الله في «الإبانة الكبرى» بابًا نحوه، فقال: (٤٣/باب التصديق بأن الإيمان لا يصح لأحد، ولا يكون العبد مؤمنًا حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، وأن المُكذِّبَ بذلك إن مات عليه دخل النار، والمخالف لذلك من الفرق الهالكة).

(٢) الفريابي في «القدر» (٧٥)، وابن أبي عاصم في «السُّنة» (١١١)، وهو حديث صحيح.

عُبادة بن الصامت، عن أبيه أنه دخل على عُبادة وهو مريضٌ، يُرى فيه أثر الموت، فقال: يا أَبَتِ، أوصني واجتهد.

قال: اجلس، إنك لن تجد طعم الإيمان، ولن تبلغ حقيقة الإيمان، حتى تؤمن بالقدر خيره وشرِّه.

قلت: وكيف لي أن أعلم خيره وشرَّه؟

قال: تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليُصيبك، وأن ما أصابك لم يكن ليخطئَك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أولُ شيءٍ خلق الله القلمُ، فقال له: اجْرِ، فجرى تلك الساعةَ إلى يوم القيامة بما هو كائِن، فإن مِتَّ وأنت على غير ذلك دخلت النار»(١).

٤٥٥ ـ وأنْبأنا الفريابي، قال: حدثني ميمون بن الأصبغ النَّصِيبي، قال: ثنا أبو صالح عبد الله بن صالح، قال: حدثني معاوية بن صالح، أن أبا الزاهرية حدَّثه [٣٥/أ]، عن كثير بن مُرَّة، عن ابن الدَّيلمي، أنه لقي زيد بن ثابت ﷺ، فقال له: إني شككتُ في بعض القدر، فحدثني لعلَّ الله أن يجعل لي عندك فرجًا.

قال زيد: نعم يا ابن أخي، إني سمعت النبي ﷺ يقول: «إن الله تعالى لو عذَّبَ أهلَ السماءِ وأهلَ الأرض؛ عذَّبهم وهو غير ظالمٍ لهم، ولو رحمهم كانت رحمتُه إياهم خيرًا لهم من أعمالهم، ولو أنَّ لامرئٍ مثلَ أُحُدٍ ذَهبًا يُنفقه في سبيل الله حتى يُنفِدَه لا يؤمن بالقدرِ خيرِه وشرِّه؛ دخل النار»(٢).

---

(١) تقدم تخريجه برقم (٤٢٨).

(٢) رواه الفريابي في «القدر» (١٩٢).

ورواه أحمد (٢١٦١١)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١٥٥٨)، وهو حديث صحيح.

ـ قال ابن رجب رحمه الله في «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٣٥): قد يُحمل على =

أنه لو أراد تعذيبهم، لقدّر لهم ما يُعذِّبهم عليه، فيكون غير ظالمٍ لهم حينئذٍ. اهـ.

وانظر نحوه في «مجموع الفتاوى» (١٨/ ١٤٤).

وقد أطال وأجاد ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «شفاء العليل» (١/ ٣٦٨ ـ ٣٩٠) عند شرحه لهذا الحديث، وذكر تخبُّط (القدرية) و(الجبرية) في كلامهم على هذا الحديث، فقال:

وهذا الحديث حديث صحيح... وله شأنٌ عظيم، وهو دالٌّ على أن من تكلّم به أعرف الخلق بالله، وأعظمهم له توحيدًا، وأكثرهم له تعظيمًا، وفيه الشفاء التام في باب العدل والتوحيد؛ فإنه لا يزال يجول في نفوس كثير من الناس كيف يجتمع القضاء والقدر، والأمر والنهي؟ وكيف يجتمع العدل والعقاب على المَقْضِي المُقَدَّر الذي لا بُد للعبد من فعله؟ ثم سلك كل طائفة في هذا المقام واديًا وطريقًا.

فسلك (الجبرية) وادي الجبر، وطريق المشيئة المحضة الذي تُرَجِّح مِثْلا على مِثْل من غير اعتبار عِلَّة، ولا غايةٍ ولا حِكمة. قالوا: وكل مُمكنٍ عدلٌ، والظلم هو الممتنع لذاته، فلو عذَّب أهل سماواته وأهل أرضه لكانَ مُتصرِّفًا في مُلكه، والظلم تصرُّف القادر في غير مُلكه، وذلك مُستحيلٌ عليه سبحانه.

قالوا: ولما كان الأمر راجعًا إلى محض المشيئة لم تكن الأعمال سببًا للنجاة، فكانت رحمته للعباد هي المُستقلة بنجاتهم لا أعمالهم، فكانت رحمته خيرًا من أعمالهم، وهؤلاء راعوا جانب المُلْك، وعطّلوا جانب الحمد، والله سبحانه له المُلك وله الحمد.

وسلكت (القدرية) وادي العدل والحِكمة، ولم يوفّوه حقّه، وعطلوا جانب التوحيد والمُلك، وحاروا في هذا الحديث، ولم يدروا ما وجهه، وربما قابله كثيرٌ منهم بالتكذيب والردّ له، وأن الرسول لم يقل ذلك.

قالوا: وأيُّ ظلم يكون أعظم من تعذيب من استنفذ أوقات عمره كلها، واستفرغ قواه في طَاعته، وفعل ما يُحبه، ولم يعصه طرفة عين، وكان يعمل بأمره دائمًا، فكيف يقول الرسول ﷺ: إن تعذيب هذا يكون عدلًا لا ظلمًا؟!...

٤٥٦ ـ أخبرنا الفريابي، قال: ثنا أبو بكر، وعثمان ابنا أبي شيبة، قالا: ثنا أبو الأحوص، عن منصور، عن رِبْعي بن حِرَاش، عن رَجُل من بني أسد، عن علي بن أبي طالب ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «أربعٌ لن يجد رجلٌ طعمَ الإيمان حتى يؤمن بهن: لا إله إلّا الله، وأنّي رسول الله بعثني بالحقِّ، وأنه ميّتٌ، ومبعوثٌ من بعد الموت، ويؤمن بالقدر كُلّه»(١).

٤٥٧ ـ حدثنا عمر بن أيوب، قال: ثنا إبراهيم بن عبد الله الهروي، قال: أنا شريك بن عبد الله، قال: ثنا منصور، عن رِبْعي بن حِراش، عن علي ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن عبدٌ حتى يؤمن بأربعٍ: لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأني رسول الله بعثني بالحقِّ، وحتى يؤمن بالبعث بعد الموت، وحتى يُؤمنَ بالقدر خيره وشرِّه»(٢).

= وهذا كله إنما سببه الأصول الفاسدة، والقواعد الباطلة التي بنوا عليها، ولو جمعوا بين المُلك والحمد، والربوبية والإلهية، والحِكمة والقُدرة، وأثبتوا له الكمال المُطلق، ووصفوه بالقدرة التامة الشاملة، والمشيئة العامة النافذة التي لا يوجد كائن إلّا بعد وجودها، والحكمة البالغة التي ظهرت في كل موجود لعلموا حقيقة الأمر، وزالت عنهم الحيرة، ودخلوا إلى الله سبحانه من بابٍ أوسع من السماوات السبع، وعرفوا أنه لا يليق بكماله المُقدس إلّا ما أُخبر به عن نفسه على ألسنة رسله، وأن ما خالفه ظنون كاذبة، وأوهام باطلة، تولّدت بين أفكار باطلة، وآراء مظلمة.. ثم أخذ يرُدُّ عليهم ويُبين وجه هذا الحديث في كلام طويل.

وسيأتي زيادة بيان عن معنى (الظلم) الذي حرَّمه الله على نفسه تحت أثر رقم (٥٦١).

(١) رواه الفريابي في «القدر» (١٩٤)، وابن أبي شيبة في «الإيمان» (٣)، وأحمد (١١١٢). وانظر ما بعده.

(٢) رواه أحمد (٧٥٨)، والترمذي (٢١٤٥)، وعبد الله بن أحمد في «السُّنة» (٨٢٠)، والحاكم (١/ ٣٣).

وأشار الترمذي والحاكم إلى الاختلاف الواقع في الإسناد عن منصور، =

٤٥٨ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا قُتيبة بن سعيد، قال: ثنا ابن لهيعة، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده: أن النبي ﷺ قال: «لا يؤمن عبدٌ حتى يؤمنَ بالقدر خيره وشرِّه»[١].

٤٥٩ ـ أخبرنا الفريابي، قال: ثنا قُتيبة بن سعيد، قال: ثنا يعقوب بن عبد الرحمٰن، عن أبي حازم، عن عَمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده: أن النبي ﷺ قال: «لن يؤمن عبدٌ حتى يؤمنَ بالقدرِ خيره وشرِّه»[٢].

٤٦٠ ـ أخبرنا الفريابي، قال: ثنا أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المُقَدَّمي، قال: ثنا معاذ بن معاذ، قال: ثنا كَهْمَس بن الحسن، عن عبد الله بن بُريدة، عن يحيى بن يَعْمَر، قال: كان أولَ من تَكلَّم[٣] بالقدر بالبصرة معبدٌ الجُهَني[٤]، فانطلقت أنا وحُميد بن عبد الرحمٰن، فلقِيْنا عبدَ الله بنَ عُمر، فقلنا: إنه قد ظهر قِبَلنا أُناس يقرءون القرآن، ويَتبعون العلم، ويزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أُنُفٌ[٥]، قال: فإذا لقيت أُولئك فأخبرهم أني منهم بَرِئٌ، وهم

ورجَّحا الرواية بدون ذكر الرجل المبهم، ورجَّح الدارقطني رواية الرجل المُبهم. انظر: «العلل» للدارقطني (٣/ ١٩٦)، و«الأحاديث المختارة» (٢/ ٦٨).

(١) رواه الفريابي في «القدر» (٢٠٤)، وانظر ما بعده.

(٢) رواه الفريابي في «القدر» (٢٠٢)، وعبد الله في «السُّنة» (٨٩٣)، وهو حديث حسن، وانظر بقية تخريجه في «السنة».

(٣) في هامش الأصل: (قال) خ.

(٤) تقدمت ترجمته برقم (٦٤٢).

(٥) في «لسان العرب» (٩/ ١٤): (إنما الأمرُ أُنُفٌ): أي: يُستأنَفُ استِئنافًا من غير أن يَسبِقَ به سابقُ قضاءٍ وتقديرٍ، وإنما هو على اختيارِك ودخولك فيه؛ استأنفت الشيء إذا ابتدأته. اهـ.

قلت: فهم يقصدون أن الله تعالى أمر العباد ونهاهم وهو لا يعلم من يُطيعه ممن يعصيه، ولا من يدخل الجنة ممن يدخل النار، أي: أنه مستأنف العلم بالسعيد والشقي، ويبتدئ ذلك من غير أن يكون قد تقدم بذلك علمٌ ولا كتاب.

مني بَرَآء، والذي يحلف به ابن عمر: لو أن لأحدهم أُحُدًا ذهبًا، فأنفقه ما قبِلَه الله تعالى حتى يؤمنَ بالقدرِ خيره وشرِّه.

ثم قال: حدثني أبي عمر ﷺ، قال: بَيْنا نحن عند النبي ﷺ إذ طلع علينا رجلٌ شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند رُكبته إلى رُكبته، ووضع كفيَّه على فخذيه، فقال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام؟

فقال النبي ﷺ: «أن تشهدَ أن لا إله إلَّا الله وأن محمدًا رسول الله، وتُقيمَ الصلاة، وتُؤتي الزكاة، وتصومَ شهر رمضان، وتحجَّ البيت إن استطعت إليه سَبيلًا».

قال: صدقت، فعجبنا أنه يسأله ويُصدِّقه!

قال: فأخبرني عن الإيمان.

قال: «أن تؤمنَ بالله، وملائِكتِه، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمنَ بالقدر خيره وشرِّه».

قال: صدقت. فأخبرني(١) عن الإحسان؟

قال: «أن تعبدَ الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

ثم انطلق، فلبثنا ثلاثًا، ثم قال لي: «يا عمر، تدري من السائِل؟».

قلت: الله ورسوله أعلم.

وهؤلاء هم غلاة القدرية، وهم أولهم ظهورًا، وقد أجمع أهل السُّنة على كفرهم، وقد نص غير واحد من أهل العلم على أن جمهور القدرية اليوم على خلاف هذا المذهب، وأنهم إنما ينكرون عموم المشيئة والخلق.

* انظر: «مجموع الفتاوى» (٧/ ٣٨١ ـ ٣٨٥).

(١) في هامش الأصل: (قال: فأخبرني) خه.

قال: «فإنه جبريلُ أتاكم يُعلِّمُكم أمر دِينِكُم»[(١)].

٤٦١ ـ وحدثنا الفريابي ـ إملاءً ـ، قال: ثنا إسحاق بن راهويه، قال: أنا النضر بن شُميل، قال: ثنا كَهْمَس بن الحسن، قال: ثنا عبد الله بن بريدة، عن يحيى بن يَعْمَر ـ وذكر الحديث بطوله إلى قوله ـ: قال: «أن تؤمن بالله وملائِكته وكُتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشرِّه».

قال: صدقت.. وذكر باقي الحديث[(٢)].

٤٦٢ ـ حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد، قال: ثنا يوسف بن سعيد المِصِّيصي، قال: ثنا خالد بن يزيد القَسري البَجَلي، قال: ثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه، قال: جاءَ جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ في صورة شابٍّ، فقال: يا محمد، ما الإيمان؟

قال: «أن تؤمنَ بالله، وملائِكته، وكُتبِه، ورُسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشرِّه».

قال: صدقت.

قال: فعجِبوا مِن تصديقِه النبيَّ ﷺ!

قال: فأخبرني ما الإسلام؟

قال: «أن تُقيمَ الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتحجَّ البيت، وتصومَ شهر رمضان».

قال: صدقت. فأخبرني[(٣)] عن الإحسان؟

قال: «الإحسان: أن تعبدَ الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

قال: صدقت.. وذكر الحديث إلى قوله: «هذا جبريل أتاكم

---

(١) رواه الفريابي في «القدر» (٢١٠). ورواه أحمد (٣٦٧)، ومسلم (١)،
(٢) رواه الفريابي في «القدر» (٢١١).
(٣) في هامش الأصل: (قال: فأخبرني) خه.

يُعلِّمكم أمرَ(١) دينِكم»(٢).

---

(١) في هامش الأصل: (معالم) خ.

(٢) رواه ابن عدي في «الكامل» (٣/ ٤٣٢)، في ترجمة خالد بن يزيد، وذكر جملة من مروياته ثم قال: له أحاديث غير ما ذكرت وأحاديثه كلها لا يُتَابَع عليها. اهـ.

ـ قال ابن رجب رحمه الله في «جامع العلوم والحكم» (١/ ٩٧): وهو حديث عظيم جدًا، يشتمل على شرح الدين كله، ولهذا قال النبي ﷺ في آخره: «هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»، بعد أن شرح درجة الإسلام، ودرجة الإيمان، ودرجة الإحسان، فجعل ذلك كله دينًا.

قال: وقد أُدخل في الإيمانِ: الإيمانُ بالقدر خيره وشرِّه، ولأجل هذه الكلمةِ روى ابن عمر رضي الله عنه هذا الحديث مُحتجًا به على من أنكرَ القدر، وزعم أن الأمر أنفٌ: يعني: أنه مستأنفٌ لم يسبق به سابقُ قدر من الله عز وجل، وقد غلَّظ ابنُ عمر رضي الله عنهما عليهم، وتبرَّأ منهم، وأخبر أنه لا تُقبل منهم أعمالُهم بدون الإيمانِ بالقدر.

والإيمانُ بالقدر على درجتين:

إحداهما: الإيمان بأن الله تعالى سبق في علمه ما يَعملُه العبادُ من خيرٍ، وشرٍّ، وطاعةٍ، ومعصية، قبل خلقهم وإيجادهم، ومَن هو منهم مِن أهل الجنَّة، ومِن هو منهم من أهل النار، وأعدَّ لهم الثواب والعقاب جزاءً لأعمالهم قبل خلقهم وتكوينهم، وأنه كتب ذلك عنده وأحصاه، وأن أعمالَ العباد تجري على ما سبق في عمله وكتابه.

والدرجة الثانية: أن الله خلق أفعالَ العباد كلَّها من الكفر، والإيمان، والطاعةِ، والعصيانِ، وشاءها منهم، فهذه الدرجةُ يُثبتها أهلُ السنةِ والجماعة، ويُنكرها القدريةُ، والدرجة الأولى أثبتها كثير من القدرية، ونفاها غُلاتهم، كمعبد الجُهني، الذي سُئِل ابن عمر، عن مقالته، وكعمرو بن عبيد وغيره.

وقد قال كثير من أئمة السلف: ناظِروا القدريةَ بالعلم، فإن أقرُّوا به خُصِموا، وإن جحدوه فقد كفروا، يريدون أن مَن أنكر العلم القديم السابق بأفعال العباد، وأن الله تعالى قسمهم قبل خلقهم إلى شقي وسعيد، وكتب ذلك عنده في كتاب حفيظ، فقد كذب بالقرآن، فيكفر بذلك، وإن أقروا بذلك، وأنكروا أن الله خلق أفعال عباده، وشاءها، وأرادها منهم إرادة كونيةً قدريةً، فقد خصموا؛ لأن ما أقروا به حجة عليهم فيما أنكروه. وفي تكفير هؤلاء نزاع مشهور بين العلماء.

وأما من أنكر العلم القديم، فنصَّ الشافعي وأحمد على تكفيره، وكذلك غيرهما من أئمة الإسلام. اهـ.

٤١ ـ بَاب

ما ذُكِرَ في المُكذِّبين بالقدر(١)

٤٦٣ ـ حدثنا أبو شعيب عبد الله بن الحسن الحرَّاني، قال: ثنا إبراهيم بن عبد الله الهروي، قال: ثنا زكريا بن مَنظور، قال: ثنا أبو حازم، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «القدريةُ مجوس هذه الأمة، فإن مَرِضوا فلا تَعودوهم، وإن ماتوا فلا تَشهدوهم»(٢).

---

(١) عقد ابن بطة رحمه الله في «الإبانة الكبرى» بابًا نحوه، فقال: (٤٦/باب ما رُوي في المُكذِّبين بالقدر).

(٢) رواه أحمد (٥٥٨٤ و٦٠٧٧ و٢٣٤٥٦)، وأبو داود (٤٦٩١ و٤٦٩٢)، وعبد الله بن أحمد في «السُّنة» (٨٩٢ و٩٣٦).

قال العُقيلي رحمه الله في «الضعفاء» (١/ ٢٦٠) بعد أن ساق حديث ابن عمر رضي الله عنهما: وهذا المتن له طريق بغير هذا الإسناد عن جماعة مُتقاربة في الضعف. اهـ.

وانظر: «اللآلئ المصنوعة» (١/ ٢٣٧) فقد أطال في جمع طُرقه، ورد على ابن الجوزي إيراده لهذا الحديث في «الموضوعات»، وذَكَرَ مَنْ حسَّنه وقَبِلَه من أهل العلم.

وسيورد المُصنف بعض طرق هذا الحديث، وهذا الحديث قد اختلف نظر أهل العلم في الحكم عليه بين ضعفه وتحسينه لكثرة طُرقة المرفوعة والموقوفة.

ورواه البيهقي في «القضاء والقدر» (٣٣٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لكل أمة مجوس، وإن مجوس هذه الأمة الذين يقولون: لا قدر.

وقال البيهقي: هذا إسناد صحيح إلَّا أنه موقوف.

وقد تقدم برقم (٤٠٤) بيان سبب تسمية القدرية مجوس هذه الأمة.

٤٦٤ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا نصر بن عاصم الأنطاكي، قال: ثنا زكريا بن منظور، قال: حدثني أبو حازم، عن نافع، عن ابن عمر ﵄، قال: قال رسول الله ﷺ: «لكلِّ أُمةٍ مجوس، والقدرية [٣٥/ب] مجوسُ هذه الأُمة، فإن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم»(١).

٤٦٥ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق، قال: حدثني أبو مصعب، قال: ثنا الحكم بن سعيد السعيدي ـ من ولد سعيد بن العاص ـ، عن الجُعيد بن عبد الرحمن، عن نافع، عن ابن عمر ﵄، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنه سيكون في آخر الزمان قومٌ يُكذِّبون بالقدر(٢)، ألا وأُولئك مجوسُ هذه الأُمة، فإن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم»(٣).

٤٦٦ ـ وأخبرنا الفِريابي، قال: ثنا محمد بن مُصفًّى، قال: ثنا بقية بن الوليد، عن الأوزاعي، عن ابن جُريج، عن أبي الزبير، عن جابر ﵁، قال: قال النبي ﷺ: «إن مجوسَ هذه الأُمة المُكذِّبون بالقدر، فإن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم»(٤).

٤٦٧ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا عبد الأعلى بن حماد، قال: ثنا مُعتمر بن سُليمان، قال: سمعت أبي يُحدِّث، عن مكحول، عن أبي هريرة ﵁: أن النبي ﷺ قال: «لكلِّ أُمةٍ مجوس، وإن مجوسَ هذه الأُمةِ القدريةُ، فلا تعودوهم إذا مرضوا، ولا تصلوا عليهم إذا ماتوا»(٥).

٤٦٨ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا عبد الأعلى بن حماد، قال: ثنا المُعتمر بن سُليمان، قال: سمعت أبا الحسن، قال: حدثني جعفر بن الحارث، عن يزيد بن ميسرة

---

(١) رواه الفريابي في «القدر» (٢١٨).
(٢) في الهامش: (بأقدار الله) خ.
(٣) رواه الفريابي في «القدر» (٢٢٠).
(٤) رواه الفريابي في «القدر» (٢١٩).
(٥) رواه الفريابي في «القدر» (٢٣٣).

الشامي، عن عطاءِ الخراساني، عن مكحول، عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال النبي ﷺ: «إن لكلِّ أُمةٍ مجوسًا، وإن مجوسَ هذه الأمةِ القدريةُ، فلا تعودوهم إذا مرضوا، ولا تُصلوا عليهم[(١)] إذا ماتوا»[(٢)].

٤٦٩ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا صفوان بن صالح، قال: ثنا محمد بن شعيب، قال: أنا عمر[(٣)] بن يزيد الدمشقي، قال: أخبرني عمر[(٤)] بن مهاجر، عن عمر بن عبد العزيز، عن يحيى بن القاسم، عن أبيه، عن جدِّه عبد الله بن عَمرو بن العاص ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما هلكتْ أُمةٌ قطُّ إلَّا بالإشراك بالله، وما أشركتْ أُمةٌ قطُّ إلَّا كان بَدْو إشراكها: التكذيبَ بالقدر»[(٥)].

٤٧٠ ـ حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد، قال: ثنا العباس بن الوليد بن مَزْيد ـ ببيروت ـ، قال: أنا محمد بن شعيب بن شابور، قال: أخبرني عمر بن يزيد النصري ـ وهو الدمشقي ـ، عن عَمرو بن مهاجر ـ صاحب حرس عمر بن عبد العزيز ـ، عن عمر بن عبد العزيز، عن يحيى بن القاسم، عن أبيه، عن جدِّه عبد الله بن عَمرو بن العاص السهمي، عن النبي ﷺ أنه قال: «ما هلكتْ أُمةٌ قط إلَّا بالشِّرك بالله، وما أشركتْ أُمَّةٌ حتى يكون بَدْو شركها التكذيب بالقدر».

---

(١) كذا في الهامش وكتب عليه: (صح)، وفي الأصل: (على جنائزهم) وكتب فوقه: خ.

(٢) رواه الفريابي في «القدر» (٢٣٥).

(٣) في هامش الأصل: (عثمان) ع. والمثبت هو الصواب كما في الرواية التالية.

(٤) أثبت في الأصل: (عمرو) ثم شطب على (الواو)، وكتب في الهامش: (عمرو) خ.
وأثبت في الرواية التالية: (عمرو) بالواو، وهو الصواب.

(٥) رواه الفريابي في «القدر» (٢٤١)، وابن أبي عاصم في «السُّنة» (٣٣١)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١٦٤٢).
قال ابن القيم رحمه الله في «حاشية سنن أبي داود» (١٢/٢٩٨): وهذا الإسناد لا يحتجُّ به. اهـ.

٤٧١ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا أبو بكر سعيد بن يعقوب الطالقاني، قال: ثنا المُقرئُ أبو عبد الرحمن، قال: ثنا ابن لهيعة، قال: ثنا عَمرو بن شعيب، قال: كنت جالسًا عند سعيد بن المسيب، فقال بعض القوم: يا أبا محمد، إن قومًا يقولون: قدَّر الله تعالى كل شيءٍ إلَّا الأعمال.

قال: فوالله ما رأيت سعيدًا غَضِبَ قطّ مثل ما غَضِبَ يومئذ حتى همَّ بالقيام، ثم قال: فعلوها؟! وَيْحَهم لو يعلمون! أما والله لقد سمعت فيهم حديثًا كفاهم به شرًّا.

فقلت: وما ذاك يا أبا محمد، رحمك الله؟

قال: حدثني رَافع بن خَدِيج، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يكون في أُمَّتي قومٌ يكفرون بالله، وبالقرآن وهم لا يشعرون».

فقلت: جُعِلتُ فداك يا رسول الله، يقولون كيف؟

قال: «يقولون: الخيرُ من الله، والشرُّ من إبليس، ثم يقرءُون على ذلك كتابَ الله، فيكفرون بالله وبالقرآن بعد الإيمان والمعرفة، فما تَلقى أُمَّتي منهم من العداوة والبغضاءِ والجِدال، وفي زمانهم ظُلم الأئِمة، فنالهم من ظُلمٍ وحَيفٍ وأثرة[1]، فيبعث الله تعالى طاعونًا، فيفني عامَّتهم، ثم يكون الخسفُ، فقلَّ من ينجو منه، والمؤمنُ يومئذٍ قليلٌ فرحُه، شديدٌ غمُّه، ثم يكون المَسخ، فيَمْسَخُ اللهُ تعالى عامةَ أُولئِك قردةً وخنازيرَ».

ثم بكى النبي ﷺ حتى بَكَيْنا لبكائِه، قيل: يا رسول الله، ما هذا البكاءُ؟

---

(١) في «الصحاح» (٤/١٣٤٧): (الحَيْفُ): الجَوْرُ والظلم.

و(الأثرة): أي يستأثرون بالأموال ويخصون بها أنفسهم دونكم. «تاج العروس» (١٠/٢١).

قال: «رحمةٌ لهم الأشقياء؛ لأن فيهم المُتعبِّدَ، وفيهم المُجتهدَ، أَمَا إنهم ليسوا بأولِ من سبق إلى هذا القول، وضاق بحمله ذرعًا، إن عامة مَنْ هلك مِنْ بني إسرائِيل بالتكذيب بالقدر».

قيل: يا رسول الله، فما الإيمان بالقدر؟

قال: «أن تؤمنَ بالله وحده لا شريك له، وتعلمَ أنه لا يملك معه أحدٌ ضرًّا ولا نفعًا، وتؤمنَ بالجنة والنار، وتعلمَ أن الله تعالى خلقهما قبل الخلق، ثم خلق الخلق لهما، وجعل من شاءَ منهم إلى الجنة، ومن شاء منهم إلى النار، عدلًا منه، فكلٌّ يعملُ لما فُرغَ منه، وصائِرٌ إلى ما خُلِقَ له».

فقلت: صدق الله ورسوله[1].

٤٧٢ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: حدثني الحسن بن الصباح ـ يعني: البزار ـ، قال: ثنا عبد الله بن يزيد، قال: ثنا ابن لهيعة، قال: ثنا عَمرو بن شعيب، قال: كنت جالسًا عند سعيد بن المُسيب.. فذكر مثله[2].

٤٧٣ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا سويد بن سعيد، قال: ثنا حسان بن إبراهيم، عن عطية بن عطية، عن عطاءِ بن أبي رباح، قال: سمعت عَمرو بن شعيب، يقول: كنا عند سعيد بن المُسيب... فذكر نحوًا من الحديث إلى آخره[3].

٤٧٤ ـ أخبرنا الفريابي، قال: ثنا عثمان بن أبي شيبة، قال: ثنا أبو أُسامة، ومحمد بن

---

(١) رواه الفريابي في «القدر» (٢٢٣)، وحرب في «السُّنة» (٢١٨)، والعُقيلي في «الضُّعفاء» (٤٥٨٤)، وابن بطة في «الإبانة» (١٦٣٥).
قال أبو حاتم رَحِمَهُ اللهُ: هذا حديث عندي موضوع. «علل الحديث» (٢٨٠٧).

(٢) رواه الفريابي في «القدر» (٢٢٤).

(٣) رواه الفريابي في «القدر» (٢٢٥).

بشر، قالا: أنا ابن نزار علي أو محمد، عن أبيه، عن عكرمة، عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «صِنفان من أُمتي ليس لهما في الإسلام نصيبٌ: المرجئةُ، والقدريةُ»[١].

٤٧٥ - حدثنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الحلواني، قال: ثنا سويد بن سعيد، قال: ثنا شِهاب بن خِرَاش، عن محمد بن زهاد، عن أبي هريرة ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «ما بعثَ الله تعالى نبيًا قبلي، فاستجمعت [٣٦/أ] له أُمّته، إلّا كان فيهم مُرجئةٌ وقدريةٌ، يُشوّشون أمر أُمَّته من بعده، ألا وإن الله تعالى لعن المرجئة والقدرية على لسانِ سبعين نبيًا أنا آخرُهم»[٢].

٤٧٦ - أخبرنا الفريابي، قال: ثنا إسحاق بن راهويه، قال: أنا بشر بن عمر الزهراني، قال: ثنا ابن لهيعة، عن موسى بن وردان، أنه سمع أبا هريرة ﷺ يقول: قال النبي ﷺ: «لعن اللهُ أهلَ القدر؛ الذين يؤمنون بقدر، ويُكذِّبون بقدر»[٣].

٤٧٧ - وأخبرنا الفريابي، قال: حدثني أبو أنس مالك بن سليمان، قال: ثنا بقية بن

---

(١) رواه الفريابي في «القدر» (٢٣١)، وهكذا هو مروي هاهنا عن أبي هريرة ﷺ، والمشهور أنه من رواية ابن عباس ﷺ وهو حديث ضعيف كما بينته في «الرد على المبتدعة» (٨٢).

تقدم سبب الجمع في الذم بين القدرية والمرجئة في الأحاديث والآثار.

انظر: رقم (٣٧٩) و(باب/ ٣٠).

(٢) رواه ابن حبان في «المجروحين» (١/ ٣٦٢)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١٣٠٤ و١٦٤٨)، والهروي في «ذم الكلام» (٥٥)، وفي إسناده: شهاب بن خراش، قال ابن حبان: كان رجلًا صالحًا، وكان ممن يُخطىء كثيرًا حتى خرج عن حدّ الاحتجاج به إلّا عند الاعتبار. اهـ.

(٣) رواه الفريابي في «القدر» (٢٥٦ و٢٥٧)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١٦٦٠).

في إسناده: ابن لهيعة وقد دلّس. وموسى بن وردان، قيل لابن معين: موسى بن وردان كيف حديثه؟ قال: ليس بالقوي. «الكامل» (٨/ ٦٣).

الوليد، عن يحيى بن مسلم، عن بحر السَّقَّاءِ، عن أبي حازم، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «ما كانت زندقة إلَّا كان أصلها: التكذيبُ بالقدر»[1].

---

(١) رواه الفريابي في «القدر» (٤٣٠)، وحرب في «السُّنة» (٢١٦)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١٦٦١)، وإسناده ضعيف من أجل تدليس بقية، وضعف بحر السقاء.

قلت: قد جاء في كثير من الآثار أن التكذيب بالقدر يفتح أبواب الزندقة، ومنها:

- في «الإبانة الكبرى» (١٨١٢) عن موسى بن أبي كثير: الكلام في القدرِ أبو جاد الزَّندقة.

والمراد به: أنّ أول الطُّرق إلى تعلُّم الزَّندقة والكُفر هو الكلام في القدر، كما أن أوّل طُرق تعلم اللغة العربية، تعلم الحروف الأبجدية: (أبجد هوز..).

- وعند اللالكائي (١٢٣٠) قال الزُّهري: القدر رِياض الزَّندقة، فمن دخلَ فيه هَمْلج.

- وفيه أيضًا (١٠٤٩) عن ميمون بن مهران قال: قال لي ابن عباس رضي الله عنهما: احفظ عني ثلاثًا: ... وذكر منها: وإياك والقدر؛ فإنه يدعو إلى الزندقة.

- وفي «الإبانة الكبرى» (١٩٦٨) قال داود بن أبي هند: اشتُق قول القدرية من الزندقة، وهم أسرع الناس رِدَّة.

- وفيه (١٩٧١) عن عبد الله بن جعفر أنه قال في القدرية: هم والله الزنادقة.

- قال ابن بطة في «الإبانة الصُّغرى» (٢٥٤) بعد أن ذكر عقيدة أهل السنة في القدر: فمَن خالفَ ذلك، أو خرجَ عنه، أو طعنَ فيه، ولم يُثبتِ المقاديرَ لله عز وجل، ويُضفها، ويُضِف المشيئة إليه؛ فهو أوَّلُ الزَّندقةِ. اهـ.

وانظر أثر رقم: (٥٠٨).

٤٢ - باب

الإيمان أن كل مولود يولد على الفطرة(١)

(١) عقد ابن بطة رحمه الله في «الإبانة الكبرى» بابًا نحوه فقال: (٤٥/باب الإيمان بأن كل مولود يولد على الفطرة وذراري المشركين).

وقد اختلف أهل السُّنة في المراد بالفطرة في هذا الحديث، والصحيح الذي عليه أكثر أئمة السُّنة أن المراد بالفطرة في هذا الحديث: الإسلام، كما دلَّ على ذلك كثير من الأحاديث والآثار.

وقد حاول بعض مُتأخري الحنابلة من أهل السُّنة وغيرهم أن يجعلوا للإمام أحمد رحمه الله روايتين في هذه المسألة، الأولى: تفسيرها بالإقرار بمعرفة الله تعالى، وهو العهد الذي أخذه الله عليهم في أصلاب آبائهم.

والثانية: أن الفطرة هنا: ابتداء خلقه في بطن أُمِّه.

ذكر ذلك عنه القاضي أبو يعلى، وقد ناقشه ابن تيمية فيما نسبه للإمام أحمد، وبيَّن خطأه فيه، وأن الإمام لم يقل شيئًا من ذلك، فقال: (أحمد لم يذكر العهد الأول، وإنما قال: الفطرة الأولى التي فُطِرَ الناس عليها، وهي الدين.

وقال في غير موضعٍ: إن الكافر إذا مات أبواه أو أحدهما حُكِمَ بإسلامه. واستدلَّ بهذا الحديث، فدلَّ على أنه فسَّرَ الحديث بأنه يولد على فطرة الإسلام، كما جاء ذلك مُصرَّحًا به في الحديث، ولو لم تكن الفطرة عنده الإسلام لما صحَّ استدلاله بالحديث.

وقوله في موضعٍ آخر: (يولد على ما فُطِر عليه من شقاوة وسعادة) لا يُنافي ذلك؛ فإن الله سبحانه قدَّر السعادة والشقاوة وكتبهما، وقدَّر أنها تكون بالأسباب التي تحصل بها، كفعل الأبوين.

فتهويد الأبوين وتنصيرهما وتمجيسهما هو مما قدَّره الله أنه يُفْعل بالمولود، =

٤٧٨ ـ أخبرنا الفريابي، قال، ثنا قتيبة بن سعيد، عن مالك بن أنس، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «كل مولودٍ يولد على الفطرة، فأبواه يُهوِّدانه، ويُنصِّرانه».

قالوا: يا رسول الله، أفرأيت من يموتُ وهو صغير؟

قال: «الله أعلمُ بما كانوا عاملين»(١).

والمولود وُلِد على الفطرة سَليمًا، ووُلِد على أن هذه الفطرة السليمة يُغيّرها الأبوان، كما قدَّر سبحانه ذلك وكتبه. كما مثَّل النبي ﷺ ذلك بقوله: «كما تُنْتَج البهيمة جَمعاء، هل تُحسُّون فيها من جَدعاء؟».

فبيَّن أن البهيمة تُولد سليمة، ثم يجدعها الناس، وذلك بقضاء الله وقدره، فكذلك المولود يولد على الفطرة سَليمًا، ثم يُفسده أبواه، وذلك أيضًا بقضاء الله وقدره.

وإنما قال أحمد وغيره من الأئمة: على ما فُطِرَ عليه من شقاوة أو سعادة؛ لأن القدرية كانوا يحتجُّون بهذا الحديث على أن الكُفر والمعاصي ليس بقضاء الله وقدره، بل مما ابتدأ الناس إحداثه، ولهذا قالوا لمالك بن أنس: إن القدرية يحتجُّون علينا بأول الحديث؟ فقال: احتجوا عليهم بآخره، وهو قوله: «الله أعلم بما كانوا عاملين».

فبيَّن الإمام أحمد وغيره أنه لا حُجَّة فيه للقدرية، فإنهم لا يقولون: إن نفس الأبوين خَلقا تهويده وتَنصيره، بل هو تهوَّدَ وتنصَّرَ باختياره؛ ولكن كانا سببًا في حصول ذلك بالتعليم والتلقين، فإذا أُضيف إليهما هذا الاعتبار فلأَنْ يُضاف إلى الله الذي هو خالق كل شيءٍ بطريق الأولى؛ لأنه سبحانه وإن كان خلقه مولودًا على الفطرة سَليمًا، فقد قَدَّر عليه ما سيكون بعد ذلك من تغييره وعَلِمَ ذلك.. إلخ. انظر: «شفاء العليل» (٢/ ٣٩٠).

* وانظر: التعليق على «الإبانة الكبرى» (٤٥/ باب الإيمان بأن كل مولود يولد على الفطرة)، و«شفاء العليل» لابن القيم (الباب الموفي ثلاثين: في ذكر الفطرة الأولى ومعناها، واختلاف الناس في المراد بها، وأنها لا تنافي القضاء والقدر بالشقاوة والضلال).

(١) رواه الفريابي في «القدر» (١٦١).

٤٧٩ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا إبراهيم بن الحجاج السامي، قال: ثنا حماد بن سلمة، عن قيس بن سعد، عن طاوس، ومجاهد، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ ذكَرَ أطفالَ المشركين، فقال رجلٌ: أين هم يا رسول الله؟

قال: «اللهُ أعلمُ بما كانوا عاملين»(١).

---

(١) رواه الفريابي في «القدر» (١٥٩).

ورواه مالك (٥٢)، والبخاري (٦٥٩٩)، ومسلم (٢٦٥٨).

ـ قال ابن القيم رحمه الله في «شفاء العليل» (٢/ ٤٠٧): ومما ينبغي أن يُعلم أنه إذا قيل: وُلِد على الفطرة أو على الإسلام أو على هذه الملّة أو خُلِق حنيفًا؛ فليس المراد به أنه حين خرج من بطن أُمِّه يعلم هذا الدين ويُريده، فإن الله يقول: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل: ٧٨]؛ ولكن فطرته موجِبة مقتضية لدين الإسلام، لمعرفته ومحبته، فنفس الفطرة تستلزم الإقرار بخالقه ومحبته، وإخلاص الدين له، وموجبات الفطرة ومقتضياتها تحصل شيئًا بعد شيء، بحسب كمال الفطرة إذا سَلمت من المعارض.اهـ.

* ومسألة الحكم على من مات من الأطفال قبل البلوغ على قسمين:

الأول: أولاد المسلمين، فقد دلت النصوص الكثيرة على أنهم مع آبائهم في الجنة.

وقد نقل الإجماع على هذا غير واحد من أهل العلم.

ـ ففي «أحكام أهل الملل» للخلال (١٤) قال الإمام أحمد رحمه الله: ليس فيه خلافٌ أنهم في الجنة.

الثاني: أطفال المشركين، فهذه المسألة محلّ خلافٍ كبير بين أهل العلم لكثرة الأحاديث في هذا الباب التي في ظاهرها التعارض.

وقد كره غير واحد من الأئمة الكلام في هذه المسألة حتى يقطع الطريق على القدرية.

ـ ففي «السنة» لعبد الله (٨٤٦) بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لا يزالُ أمرُ هذه الأمَّةِ مُؤَامًّا ـ أو مُقاربًا ـ ما لم يتكلَّموا في الوِلدانِ والقدرِ.

ـ وفي «أحكام أهل الملل» (٢١) قال أحمد: إذا سأل الرجلِ عن أولاد المشركين مع آبائهم، فإنه أصل كلّ خصومة، ولا يَسأل عنه إلّا رجلٌ الله أعلم به.

٤٨٠ - وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا إسحاق بن راهويه، قال: أنا سفيان، عن الزهري، عن عطاءِ بن يزيد الليثي، عن أبي هريرة ﷺ، قال: سُئِل رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين؟

فقال: «الله أعلمُ بما كانوا عاملين»[1].

٤٨١ - حدثنا أبو بكر قاسم بن زكريا المُطرِّز، قال: ثنا أبو كُريب محمد بن العلاء، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال النبي ﷺ: «ما من مولودٍ يولد إلَّا على الفطرة، حتى يُعَبِّرَ عنه لسانه، فأبواه يهوِّدانه، ويُنصِّرانه، أو يُشَرِّكانِه»[2].

قال: ونحن نُمِرُّ هذه الأحاديث على ما جاءت، ونسكت ولا نقول شيئًا.
- وفيه أيضًا (٢٣)، وفي «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٢/ ٦٩)، قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل: سأل بِشر بن السري، سفيان الثوري عن أطفال المشركين؟ فصاح به، وقال: يا صبي، أنت تسأل عن ذا؟!
- وفيه (٢٢) قال حنبل: سمعت أبا عبد الله وسأله ابن الشَّافعي الذي ولي قضاء حلب، قال: يا أبا عبد الله، ذراري المشركين، أو المسلمين لا أدري أيُّهما سأل عنه؟ فصاح أبو عبد الله، وقال له: هذه مسائل أهل الزيغ؟ ما لك ولهذه المسائل؟!

فسكت وانصرف، ولم يَعُدْ إلى أبي عبد الله بعد ذلك حتى خرج.
- وفي «مُلحق السُّنة» لحرب الكرماني ﷺ (باب في أطفال المشركين) (١٢٢/ ٦٦١)، قال: سألت إسحاق عن أطفال الكافرين؟

فقال: خلِّ أمرهم إلى الله، الله أعلم بما كانوا عاملين.

قال: وأطفال المسلمين هم في الجنة.

(١) رواه الفريابي في «القدر» (١٦٣). ورواه البخاري (١٣٨٤).

(٢) قال ابن القيم ﷺ في «شفاء العليل» (٢/ ٤٣٨): إنما أراد به الإخبار بالحقيقة التي خُلقوا عليها، وعليها الثواب والعقاب في الآخرة إذا عَمِلوا بموجَبها، وسلمت عن المعارِض، ولم يرد به الإخبار بأحكام الدنيا، فإنه قد عُلِم بالاضطرار من شَرع الرسول أن أولاد الكفار تبعٌ لآبائهم في أحكام الدنيا، وأن أولادهم لا يُنْزَعون منهم إذا كانوا ذِمَّة، فإن كانوا محاربين استُرِقُّوا، =

قالوا: يا رسول الله، فكيف بما كان قبل ذلك؟

قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين»(١).

٤٨٢ ـ وحدثنا ـ أيضًا ـ قاسم المُطرِّز، قال: ثنا يوسف بن موسى القطان، وسفيان بن وكيع، قالا: ثنا جرير ـ يعنيان: ابن عبد الحميد ـ، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «ما من مولودٍ إلَّا يولد على هذه الفطرة، فأبواه يهوِّدانه، وينصِّرانه، ويُشَرِّكانِه».

فقال رجل:(٢) أرأيت إن مات قبل ذلك؟

قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين».

ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه طُرق كثيرة.

٤٨٣ ـ حدثنا أبو بكر بن أبي داود، قال: ثنا محمد بن عاصم الثقفي، قال: ثنا مُؤمَّل، قال: ثنا أبو عَوانة، عن عطاءِ بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: سُئِل النبي ﷺ عن أولاد المشركين الكفار، الذين لم يبلغوا الحُلُمَ(٣) ـ يعني: العقل؟ ـ.

قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين إذ خلقهم».

٤٨٤ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا سريج بن يونس، قال: ثنا هشيم بن بشير، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ سُئِل عن ذراري المشركين؟ فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين»(٤).

٤٨٥ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا عبيد الله بن معاذ، قال: ثنا أبي، قال: ثنا شعبة،

ولم يتنازع المسلمون في ذلك. اهـ.

(١) رواه مسلم (٢٦٥٨).

(٢) في هامش الأصل: (يا رسول الله) خ.

(٣) في هامش الأصل: (العلم) خ.

(٤) رواه الفريابي في «القدر» (١٧١).

عن أبي بشر جعفر بن أبي وحشية، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ سُئِل عن أولاد المشركين؟

فقال: «الله أعلم إذ خلقهم ما كانوا عاملين»[١].

٤٨٦ ـ **وأخبرنا** الفريابي، قال: ثنا محمد بن عبد الملك، قال: ثنا أبو عَوانة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ سُئِل عن أولاد المشركين؟ فقال: «الله أعلم بما كانوا يعملون إذ خلقهم»[٢].

٤٨٧ ـ **وأخبرنا** الفريابي، قال: ثنا إسحاق بن راهويه، قال: أنا بقية بن الوليد، قال: حدثني محمد بن زياد الألهاني، قال: ثنا عبد الله بن أبي قيس، قال: حدثتني عائشة زوج النبي ﷺ، وسألتها عن ذراري المشركين؟

فقالت: سألتُ النبي ﷺ عنهم، فقال: «هم مع آبائِهم».

فقلت: يا رسول الله، بلا عملٍ؟

فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين»[٣].

٤٨٨ ـ **وأخبرنا** الفريابي، قال: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: ثنا وكيع، عن طلحة بن يحيى، عن عمَّته عائِشة بنت طلحة، عن عائِشة أُم المؤمنين رضي الله عنها قالت: دُعِي النبي ﷺ إلى جنازة صبي يُصلي عليه[٤]، فقلت: يا رسول الله، طُوبى له، عصفورٌ من عصافير الجنة، ولم يعمل السُّوءَ، ولم يدرِ به.

فقال: «أوَ غيرَ ذلك يا عائِشة، إن الله تعالى خلقَ للجنةِ أهلًا، وخلقهم لها وهم في أصلابِ[٥] آبائِهم، وخلق للنارِ أهلًا، وخلقهم لها

---

(١) رواه الفريابي في «القدر» (١٧٢). ورواه البخاري (١٣٨٣ و٦٥٩٧).
(٢) رواه الفريابي في «القدر» (١٧٤). ورواه مسلم (٢٦٦٠).
(٣) رواه الفريابي في «القدر» (١٧٠). ورواه أحمد (٢٤٥٤٥)، وأبو داود (٤٧١٢).
(٤) في الأصل: (عليها)، وفي هامشه: (عليه) صح.
(٥) في «النهاية» (٣/ ٤٤): جمع صُلْب، وهو الظَّهر.

وهم في أصلابِ آبائِهم»[١].

٤٨٩ - حدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد الصندلي، قال: ثنا الفضل بن زياد، قال: قلت لأحمد بن حنبل: قول النبي ﷺ: «كلُّ مولودٍ يُولدُ على الفطرةِ»، ما يعني به؟

قال: الشقوة والسعادة[٢].

❁ قال محمد بن الحسين:

هذه السُّنن التي ذكرتها عن النبي ﷺ تدلُّ على معنى ما في

---

(١) رواه الفريابي في «القدر» (٤٧). ورواه مسلم (٢٦٦٢).

- قال ابن القيم رحمه الله في «طريق الهجرتين» (٢/ ٨٦٤): فهذا الحديث يدلُّ على أنه لا يشهد لكل طفلٍ من أطفال المؤمنين بالجنة، وإن أُطلق على أطفال المؤمنين في الجملة أنهم في الجنة؛ لكن الشهادة للمعيَّن ممتنعة، كما يشهد للمؤمنين مطلقًا أنهم في الجنة، ولا يشهد لمعيَّنٍ بذلك إلَّا من شهد له النبي ﷺ.

فهذا وجه الحديث الذي أشكل على كثير من الناس، وردَّه الإمام أحمد، وقال: لا يصحُّ، ومن يشكُّ أن أولاد المسلمين في الجنة؟! وتأوَّله قومٌ تأويلات بعيدة. اهـ.

- في «مُلحق السنة» لحرب الكرماني رحمه الله (باب في أطفال المشركين) (١٢٢/ ٦٦١)، قال إسحاق بن راهويه: ولا يشهد أحدكم لصبي يموت: إني أشهد أن هذا في الجنة.

(٢) في «السُّنة» للخلال (٨٦٨) عن عبد الملك بن عبد الحميد: الفطرة الأولى التي فطر الله ﷻ عليها.

قلت له أنا: فما الفطرة الأولى، هي الدين؟ قال: نعم.

- وفيه (٨٦٩) عن محمد بن يحيى الكحَّال: أنه قال لأبي عبد الله: «كل مولودٍ يولد على الفطرة»، ما تفسيرُها؟

قال: هي الفطرة التي فطر الله ﷻ الناس عليها: شقيٌّ أو سعيد.

وقال أبو عبد الله: سألني عن هذه المسألة إنسانٌ بمكة، وكان قدريًا، فلما قلت له؛ كأني ألقمته حَجرًا.

كتاب الله، وتدلُّ كل من عقل عن الله تعالى [٣٦/ب] أن بعضها يُصدِّق بعضًا، كما أن الذي ذكرناه من كتاب الله تعالى يُصدِّق بعضه بعضًا.

يدلُّ الكتاب والسُّنة على معنى ما أعلمناك من مذهبنا في القدر.

وقد كان النبي ﷺ يقول في خُطبته إذا خطب: «من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له»(١).

كذا روى عنه جماعة من أصحابه.

وكذا كان الصحابة يقولون في خُطبهم إيمانًا وتصديقًا ويقينًا، لا يشكُّ في ذلك أهل الإيمان.

٤٩٠ ـ **أخبرنا** الفريابي، قال: ثنا حبان بن موسى، قال: أنا ابن المبارك، عن سفيان الثوري، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله ﵄، قال: كان النبي ﷺ يقول في خطبته ـ يحمدُ الله، ويُثني عليه بما هو أهلُه ـ، ثم يقول: «من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد، وشرّ الأُمور مُحدثاتها، وكل مُحدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالةٌ، وكل ضلالةٍ في النار»(٢).

٤٩١ ـ **وحدثنا** أبو بكر قاسم بن زكريا المُطرِّز، قال: حدثني محمد بن إِشكاب، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، عن سفيان ـ يعني: الثوري ـ، عن أبي إسحاق، عن أبي عَبيدة، عن

---

(١) قال ابن تيمية ﵀ في «درء التعارض» (٩/ ٣٠): .. ولهذا كان النبي ﷺ يقول في خطبته: «من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له».
كما قال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ [الكهف]... ولهذا كان مذهب أهل السُّنة أن ما يحصل بالقلب من العلم، وإن كان بكسب العبد، ونظره، واستدلاله، واستماعه ونحو ذلك، فإن الله تعالى هو الذي أثبت ذلك العلم في قلبه، وهو حاصل في قلبه بفضل الله وإحسانه وفعله. اهـ.

(٢) رواه الفريابي في «القدر» (٤٤٨). ورواه مسلم (٨٦٧).

عبد الله بن مسعود ﵁، قال: علمنا رسول الله ﷺ خُطبة الحاجة: «إن الحمد لله، نستعينه ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرور أنفُسِنا، ومن سيئَات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلَّا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..»، وذكر الحديث(١).

٤٩٢ - وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا قُتيبة بن سعيد، قال: ثنا عَبثر بن القاسم أبو زُبيد، عن الأعمش، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله ﵁، قال: عَلمنا رسول الله ﷺ التشهد في الحاجة: «إن الحمد لله نستعينه ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له..»، وذكر الحديث.

قال محمد بن الحسين:

وقد رُوي عن البراءِ بن عازب ﵁، قال: رأيت النبي ﷺ يوم الخندق وهو يقول:

«اللَّهم لولاك ما اهتدينا ... ولا صُمنا ولا صَلَّيْنا
فأنزِلنْ سكينةً علينا ... وثبِّتِ الأقدامَ إن لَاقَيْنا».

وذكر الحديث.

٤٩٣ - حدثنا أبو بكر قاسم بن زكريا المُطرِّز، قال: ثنا أبو بكر بن زنجويه وأحمد بن سفيان، قالا: ثنا محمد بن يوسف الفريابي، قال: ثنا سفيان بن سعيد الثوري، عن أبي إسحاق، عن البراءِ ﵁، قال: رأيت رسول الله ﷺ وهو يقول... وذكر الحديث(٢).

قلت: وقد ذكر ابن عباس ﵄، عن النبي ﷺ ما أوصاه به، وما وعظه به مما يدلُّ على ما قلناه.

---

(١) رواه أحمد (٣٧٢٠ و٣٧٢١ و٤١١٥)، وأبو داود (٢١١٨). وهو حديث صحيح.

(٢) رواه البخاري (٦٦٢٠)، ومسلم (١٨٠٣).
وللحديث ألفاظ أُخرى في الصحيحين.

٤٩٤ ـ أخبرنا الفريابي، قال: حدثني أبو وهب الوليد بن عبد الملك الحراني، قال: ثنا محمد بن سلمة، عن أبي عبد الرحيم، عن أبي عبد السلام الشامي، عن يزيد بن أبي حبيب، عن حَنَش الصنعاني، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: أهدت فارِسٌ لرسول الله ﷺ بغلةً شهباءَ مُلَمْلَمةً[١]، فكأنها أعجبت النبي ﷺ، فدعا بصوفٍ وليفٍ، فنحلنا لها رَسنًا وعِذارًا[٢]، ثم دعا بعباءَة خَلِق فثناها، ثم رفعها[٣]، ثم وضعها عليها، ثم رَكب، وقال: «اركب يا غُلام» ـ يعني: ابن عباس ـ فركبتُ خلفه، فسِرنا حتى حاذينا بقيع الغرقد، فضرب بيده اليُمنى على مَنْكبِيَ الأيسرِ، وقال: «يا غلام، احفظِ الله يحفظْك، احفظِ الله تجدْه تجاهك، ولا تسأل غيرَ الله، ولا تحلف إلَّا بالله، جفَّتِ الأقلام، وطُويت الصُّحف، فوالذي نفسي بيده، لو أن أهل السماءِ وأهل الأرض اجتمعوا على أن يضرُّوك بغير ما كتبَ الله لك ما استطاعوا، ولو أن أهل السماءِ وأهل الأرض اجتمعوا على أن ينفعوك بغيرِ ما كتبَ الله لك ما استطاعوا ذلك».

قلت: يا رسول الله، كيف لي بمثل هذا من اليقين، حتى أخرج من الدنيا؟

قال: «تعلم أن ما أصابك لم يكُن ليُخطئَك، وما أخطأكَ لم يكُن ليُصيبك»[٤].

---

(١) الشُهْبَةُ في الألوان: البياضُ الذي غلب على السواد. «الصحاح» (١/ ١٥٩).
الإبل المُلَمْلَمة: هي المستديرة سمنًا، من اللَّمِّ: الضم والجمع. «النهاية» (٤/ ٢٧٢).

(٢) (الرسن): الحبل، والرسن: ما كان من الأزمة على الأنف. «لسان العرب» (١٣/ ١٨٠).
العذار من الفرس: كالعارض من وجه الإنسان، ثم سمي السير الذي يكون عليه من اللجام عذارًا باسم موضعه. «النهاية» (٣/ ١٩٨).

(٣) في هامش الأصل: (ربَّعها) خه.

(٤) رواه الفريابي في «القدر» (١٥٧)، والعقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٥٣)، =

٤٩٥ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا إبراهيم بن عبد الله الهروي، قال: ثنا عباد بن العوام، قال: ثنا عبد الواحد بن سليم، عن عطاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنتُ رَديفَ النبي ﷺ قال: فقال لي: «احفظِ اللهَ يحفظْك، احفظ اللهَ تجدْه تجاهك، إذا سألت فاسألِ الله، وإذا استعنتَ فاستعنْ بالله، رُفِعت الأقلامُ، وجَفَّت الصحف، والذي نفسي بيده لو جاءَت الأُمة لتنفعك بغير ما كتب الله لك ما استطاعت ذلك، ولو أرادوا أن يضُرُّوك بغير ما كتب الله لك ما استطاعوا ذلك، أو قال: ما قَدَرَتْ»[1].

٤٩٦ ـ حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد، قال: ثنا محمد بن الوليد الفحام، قال: ثنا يحيى بن ميمون بن عطاء أبو أيوب، عن علي بن زيد بن جُدْعان، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «يا غلام ـ أو يا غُليِّم ـ ألا أُعلمك شيئًا، لعل الله أن ينفعك به؟ احفظِ اللهَ يحفظْك، احفظِ اللهَ يكن أمامَك، إذا سألتَ فاسألِ الله، وإذا

وفي إسناده ضعف.

وأصل الحديث رواه أحمد (٢٧٦٣ و٢٨٠٣)، والترمذي (٢٥١٦)، وقال: حديث حسن صحيح.

ـ قال ابن رجب رحمه الله في «جامع العلوم والحكم» (١/ ٤٥٩) بعد أن ذكر تصحيح الترمذي، وذكر بعض ألفاظ الحديث: وقد روي هذا الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما من طرق كثيرة.. وأصحُ الطرق كلها طريق حنش الصنعاني التي خرَّجها الترمذي، كذا قال ابن منده وغيره.. إلخ.

قلت: لفظه: عن حنش الصنعاني، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يومًا، فقال: «يا غلام، إني أُعلِّمُك كلماتٍ، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلَّا بشيءٍ قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يَضرُّوك بشيءٍ لم يضروك إلَّا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رُفِعت الأقلام، وجفَّتِ الصحف».

(١) رواه الفريابي في «القدر» (١٥٨).

استعنتَ فاستعنْ بالله، تعرَّف إلى الله في الرخاءِ؛ يعرفك عند[(١)] الشِّدَّة، جفَّ القلم بما هو كائِن، ولو أن الناس اجتمعوا جميعًا على أن يُعطوك شيئًا لم يُعطك الله لم يقدروا عليه، ولو أن الناس [٣٧/أ] اجتمعوا جميعًا على أن يمنعوك شيئًا قدَّره الله لك وكتبه ما استطاعوا، واعلم أن لكلِّ شِدَّةٍ رخاءً، وأن مع العُسر يُسرًا، وأن مع العُسر يُسرًا»[(٢)].

وبالله التوفيق
تم الجزء الخامس من كتاب «الشريعة»
بحمد الله ومنّه
وصلى الله على رسوله سيدنا محمد النبي وآله وسلم
يتلوه الجزء السادس من الكتاب
إن شاء الله ربه الثقة

---

(١) في هامش الأصل: (في) خه.

(٢) رواه ابن عدي في «الكامل» (٩/ ٧٧)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١٦٢٠)، وفي إسناده: يحيى بن ميمون، قال عمرو بن علي: كان كذّابًا يُحدِّث عن علي بن زيد بأحاديث موضوعة.

- قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ في «جامع العلوم والحكم» (١/ ٤٦٢): وهذا الحديث يتضمن وصايا عظيمة، وقواعد كلية من أهم أمور الدين، حتى قال بعض العلماء: تدبرت هذا الحديث، فأدهشني وكدت أطيش، فوا أسفا من الجهل بهذا الحديث، وقلة التفهم لمعناه.

ثم أطال في شرحه، وقال في موطن الشاهد منه في أبواب القدر:

قوله ﷺ: «جف القلم بما هو كائن»، وفي رواية أخرى: «رفعت الأقلام، وجفت الصحف»، هو كناية عن تقدم كتابة المقادير كلها، والفراغ منها من أمد بعيد، فإن الكتاب إذا فرغ من كتابته، ورفعت الأقلام عنه، وطال عهده، فقد رفعت عنه الأقلام، وجفت الأقلام التي كتب بها من مدادها، وجفت الصحيفة التي كتب فيها بالمداد المكتوب به فيها، وهذا من أحسن الكنايات وأبلغها.

وقد دلَّ الكتاب والسُّنن الصحيحة الكثيرة على مثل هذا المعنى، قال الله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ =

إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد]. وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة». . والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جدًا يطول ذكرها.

قوله ﷺ: «فلو أن الخلق جميعًا أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يقضه الله، لم يقدروا عليه، وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك، لم يقدروا عليه».

هذه رواية الإمام أحمد، ورواية الترمذي بهذا المعنى أيضًا، والمراد: أن ما يصيب العبد في دنياه مما يضرّه أو ينفعه، فكله مقدر عليه، ولا يصيب العبد إلَّا ما كتب له من مقادير ذلك في الكتاب السابق، ولو اجتهد على ذلك الخلق كلهم جميعًا. وقد دلَّ القرآن على مثل هذا في قوله ﷻ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١].

وخرج الإمام أحمد من حديث أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: «إن لكل شيء حقيقة، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه». . .

واعلم أن مدار جميع هذه الوصية على هذا الأصل، وما ذكر قبله وبعده، فهو مُتفرّع عليه، وراجع إليه، فإن العبد إذا علم أن لن يصيبه إلَّا ما كتب الله له من خير وشر، ونفع وضر، وأن اجتهاد الخلق كلهم على خلاف المقدور غير مفيد البتَّة، علم حينئذ أن الله وحده هو الضار النافع، المُعطي المانع، فأوجب ذلك للعبد توحيد ربه ﷻ، وإفراده بالطاعة، وحفظ حدوده، فإن المعبود إنما يقصد بعبادته جلب المنافع ودفع المضارّ، ولهذا ذم الله من يعبد من لا ينفع ولا يضر ولا يغني عن عابده شيئًا، فمن يعلم أنه لا ينفع ولا يضر، ولا يعطي ولا يمنع غير الله، أوجب له ذلك إفراده بالخوف والرجاء والمحبة والسؤال والتضرع والدعاء، وتقديم طاعته على طاعة الخلق جميعًا، وأن يتقي سخطه، ولو كان فيه سخط الخلق جميعًا، وإفراده بالاستعانة به، والسؤال له، وإخلاص الدعاء له في حال الشدَّة وحال الرخاء، بخلاف ما كان المشركون عليه من إخلاص الدعاء له عند الشدائد، ونسيانه في الرخاء، ودعاء من يرجون نفعه من دونه، قال الله ﷻ: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزمر]. اهـ.

الجزء السادس

٤٣ ـ بَاب ذكر ما تأدى إلينا عن أبي بكر وعمر ﷺ من ردهما على القدرية وإنكارهما عليهم

٤٤ ـ بَاب ما ذُكِر عن التابعين وغيرهم من الرد عليهم.

٤٥ ـ بَاب سيرة عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ في أهل القدر.

٤٦ ـ بَاب ترك البحث والتنقير عن النظر في أمر القدر كيف؟ ولم؟ بل الإيمان به والتسليم.

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه أستعين

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ:

حسبنا الله ونعم الوكيل، والحمد لله على كلِّ حالٍ، قد ذكرنا ما احتججنا به من كتاب الله، ومن سُنة رسول الله ﷺ من الردِّ على القدرية.

وأنا أذكر ما رُوي عن صحابة رسول الله ﷺ، ورضي الله عن الصحابة أجمعين من ردِّهم على القدرية على معنى الكتاب والسُّنة.

ثم أذكر عن التابعين لهم بإحسان.

وعن أئمة المسلمين من ردِّهم على القدرية، وتحذيرهم للمسلمين سوءَ مذاهبهم.

٤٣ ـ بَاب

ذكر ما تأدَّى إلينا عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما مِنْ ردِّهما على القدرية وإنكارهما عليهم[(١)]

٤٩٧ ـ أخبرنا أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي، قال: ثنا قُتيبة بن سعيد، قال: ثنا سفيان بن عيينة، عن عَمرو بن دينار، عمن أخبره، عن عبد الله بن شداد، قال: قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: إن الله تعالى خلق الخلق، فجعلهم نِصفين، فقال لهؤلاء: ادخلوا الجنة[(٢)]، وقال لهؤلاء: ادخلوا النار ولا أُبالي.

٤٩٨ ـ حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، قال: ثنا داود بن رُشيد، قال: ثنا يحيى بن زكريا، عن موسى بن عقبة، عن أبي الزبير، وعن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال لأبي بكر: «يا أبا بكر، إن الله تعالى لو لم يشأ أن يُعصى ما خلق إبليس»[(٣)].

---

(١) لم يقتصر المصنف في هذا الباب على ما روي عن الشيخين بل ذكر عن غيرهما من الصحابة رضي الله عنهم.
وقد عقد ابن بطة رحمه الله في «الإبانة الكبرى» بابًا فيما روي عن الصحابة رضي الله عنهم في القدر، فقال: (٤٧/باب ما روي في ذلك عن الصحابة رضي الله عنهم ومذهبهم في القدر).

(٢) في «القدر» للفريابي (٢١): (ادخلوا الجنة هنيئًا).

(٣) رواه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١٦٧٧).
ـ قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/٢٠٢): هذا حديث موضوع بلا شكٍّ، والمُتَّهم به: يحيى أبو زكريا، قال يحيى بن معين: هو دجال هذه الأمة. قال ابن عدي: كان يضع الحديث، ويسرق الحديث.اهـ.

٤٩٩ - أخبرنا الفريابي، قال: ثنا إبراهيم بن الحجاج الشامي، قال: ثنا عبد العزيز بن المُختار، قال: ثنا خالد الحذَّاء، عن عبد الأعلى بن عبد الله، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل، قال: خطبنا عمر رضي الله عنه بالجابية[١]، والجَاثَلِيق[٢] ماثلٌ بين يديه، والتُّرجمان يُترجِم، فقال عمر: من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له.

فقال الجَاثَلِيق: إن الله لا يُضِلُّ أحدًا[٣].

فقال عمر: ما يقول؟

فقال التُّرجمان: لا شيء.

ثم عاد في خُطبته، فلما بلغ: من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له. فقال الجَاثَلِيق: إن الله لا يُضِلُّ أحدًا.

فقال عمر: ما يقول؟ فأخبره، فقال: كذبتَ يا عدوَّ الله، ولولا عهدُك لضربتُ عُنقَك، بل اللهُ خلقَك، واللهُ أضلَّك، ثم الله يُميتُك، ثم يُدخلك النارَ إن شاء الله، ثم قال: إن الله تعالى لما خلقَ آدم نثر ذُريته، فكتب أهل الجنة وما هم عاملون، وأهل النار وما هم عاملون، ثم قال: هؤلاء لهذه، وهؤلاء لهذه.

وقد كان الناسُ تذاكروا القدرَ، فافترق الناس، وما يذكره أحدٌ[٤].

قلت: صح نحو هذا من قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله كما سيأتي برقم (٦٠٣ - ٦٠٨).

(١) (الجابية): قرية من أعمال دمشق. «معجم البلدان» (٢/ ٩١).

(٢) (الجاثليق): هو رئيس للنَّصارى في بلادِ الإسلام.. «تاج العروس» (٢٥/ ١٢٣).

(٣) زاد في «القضاء والقدر» للبيهقي (٢٨٨): (فقال الجاثليق بقميصه: بركست بركست).

وهي كلمة أعجمية فُسِّرت كما جاء في هذا الأثر: (إن الله لا يضلُّ أحدًا).

(٤) رواه الفريابي في «القدر» (٥٤)، وعبد الله في «السُّنة» (٩٠٦)، وهو أثر صحيح.

٥٠٠ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا وهب بن بقية الواسطي، قال: أنا خالد وهو ابن عبد الله، عن خالد وهو ابن مهران الحذَّاء أبو المُنازل، عن عبد الأعلى بن عبد الله، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل، قال: خطبنا عمر رضي الله عنه بالجابية، والجاثليق بين يديه، والتُّرجمان يُترجِم، فقال عمر: من يهده الله، فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له... وذكر الحديث إلى آخره(١).

قال محمد بن الحسين:

وقد ذكرنا عن عمر وعلي رضي الله عنهما حديثهما عن النبي ﷺ في القدر، وهو أصلٌ كبيرٌ مما يُردُّ به على القدرية الأشقياء(٢).

وقد رُوي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان يُعلِّمُ الناسَ إثبات القدر، وأن الله تعالى خلق الخلق شقيًا وسعيدًا.

٥٠١ ـ حدثنا أبو بكر بن أبي داود، قال: ثنا محمد بن وزير الواسطي، قال: ثنا نوح بن قيس الطاحي، عن سلامة الكِندي، قال: كان علي رضي الله عنه يُعلِّمُ الناس الصلاةَ على النبي ﷺ، فيقول: قولوا: اللّهم داحيَ المدحُوَّات(٣)، وباريَ المَسْمُوكَاتِ(٤)، وجبَّار القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها(٥)،

---

(١) رواه الفريابي في «القدر» (٥٥).
(٢) عقد ابن بطة رحمه الله في «الإبانة الكبرى» بابين خاصين لما روي عن عمر وعلي رضي الله عنهما في القدر، وهما الباب رقم (٤٨ و٤٩).
(٣) في «النهاية» (٢/ ١٠٦): (الدَّحْوُ): البَسطُ، والمَدحُوَّاتُ: الأرضون.
(٤) في «النهاية» (٢/ ٤٠٣): أي: السَّموات السَّبع. والسَّامِكُ: العالي المرتفع.
(٥) في «غريب الحديث» لابن قتيبة (٢/ ١٤٥): من قولك: جبرت العظم فجَبَر، إذا كان مكسورًا فلأمْتَه وأقمْتَه، كأنه أقامَ القلوب وأثبتها على ما فطرها عليه من مَعرفتِه والإقرار به، شقيّها وسعيدها، ولم أجعَل (جَبارًا) هاهنا من: أجبَرت فلانًا على الأمر إذا أدخلتَه فيه كَرْهًا وقسرته، لا يُقال: من (أفعَل فعَّال)، لا أعلم ذلك إلَّا أن بعض القُرَّاء قرأ: ﴿أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۝٣٨﴾: =

اجعل شرائِف صلواتِك، ونواميَ[1] بركاتِك، ورأفةَ تحيَّتِك على محمدٍ عبدِك ورسولِك. . وذكر الحديث بطوله[2].

٥٠٢ ـ وأخبرنا أبو الحسن علي بن إسحاق بن زَاطيا، قال: ثنا محمد بن الوزير الواسطي، قال: ثنا نوح بن قيس.. فذكر الحديث بإسناده مثله.

٥٠٣ ـ وأخبرنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الحُلْوَاني، قال: أنا أحمد بن عبد الله بن يونس، قال: ثنا عبد العزيز وهو ابن أبي سلمة، قال: أنا عُبيد الله بن عبد الرحمٰن بن كعب بن مالك في حديثٍ رفعه إلى علي ﷺ، قال: ذُكِرَ عنده القدر يومًا، قال: فأدخل إصبعيه في فِيه السبابةَ والوُسْطَى، قال: فأخذ بهما

بتشديد الشين، وقال: (الرشَّادُ) اللهُ تبارك وتعالى، فهذا (فعَّالٌ من أفعل)، وهي قراءة شَاذَّة غير مستعملة.

وأما قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ [ق: ٤٥]، فإنه أراد ما أنت عليهم بمَلِك. والجبابرة: الملوك، واعتبار ذلك قوله ﷻ: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الغاشية] أي: بمُسلَّطٍ تسلُّط الملوك. فإن كان يجوز أن يُقال من: أجبرت فلانًا على الأمر وأنا جَبَّار، وكانَ هذا مَحفُوظًا، فقد يجوز أن يجعل قول عليٍّ ﷺ: جَبَّار القلوب، من ذلك وهو أحسن في المعنى. اهـ.

(١) يَنمِي وينمو: إذا زادَ وارتفعَ.

(٢) في «جامع التحصيل» (٢٧٤): سلامة الكندي، عن علي ﷺ كيفية الصلاة على النبي ﷺ. . قال النخشبي: لا يُعرف سماع سلامة عن علي ﷺ، والحديث مرسل. اهـ.

ـ قال ابن كثير ﷺ في «تفسيره» (٦/ ٤٦٢): هذا مشهور من كلام علي ﷺ، وقد تكلم عليه ابن قتيبة في «مُشكل الحديث»، وكذا أبو الحسين أحمد بن فارس اللغوي في جزء جمعه في فضل الصلاة على النبي ﷺ، إلَّا أن في إسناده نظرًا. قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي: سلامة الكندي هذا ليس بمعروف، ولم يدرك عليًّا. كذا قال. اهـ.

قلت: قوله: «مُشكل الحديث»، يريد كتابه «غريب الحديث» كما تقدم النقل عنه قريبًا.

من رِيقه، فرقَمَ بهما في ذِراعه، ثم قال: أشهد أن هاتين الرَّقمتين[(١)] كانتا في أُم الكتاب.

٥٠٤ ـ وحدثنا أبو بكر بن أبي داود، قال: ثنا أيوب ـ شيخٌ لنا ـ، قال: ثنا إسماعيل بن عَمرو[(٢)] البَجلي، قال: ثنا عبد الملك بن[(٣)] هارون بن عَنترة، عن أبيه، عن جده، قال: أتى رجل عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: أخبرني [٣٧/ب] عن القدر؟

قال: طريقٌ مُظلمٌ، فلا تسلُكْه.

قال: أخبرني عن القدر؟

قال: بحرٌ عميقٌ فلا تَلِجْه.

قال: أخبرني عن القدر؟

قال: سِرُّ الله فلا تكلَّفْه.

قال: ثم ولَّى الرجل غير بعيد، ثم رجع، فقال لعليٍّ: في المشيئة الأُولى أقومُ وأقعد، وأقبض وأبسط؟

فقال له علي رضي الله عنه: إني سائلك عن ثلاثِ خِصالٍ، ولن يجعل الله لك ولا لمن ذكر المشيئة مخرجًا:

أخبرني: أَخَلَقَك الله تعالى لما شاء أم لما شئتَ؟

قال: بل لما شاء.

قال: فأخبرني، أفتجيءُ يوم القيامة كما شاء أو كما شئت؟

---

(١) أي: العلامتين.

(٢) كتب في الأصل: (عمرو)، ثم مسح الواو فبقي: (عمر).
والمثبت في كتب التراجم: (عمرو) بالواو. انظر: «تهذيب التهذيب» (١/ ٣٢٠).

(٣) في هامش الأصل: (عن) خ.

قال: لا، بل كما شاء.

قال: فأخبرني، أخلقك[١] كما شاء أو كما شئت؟

قال: لا، بل كما شاء.

قال: فليس لك من المشيئة شيء[٢].

قال محمد بن الحسين:

من خالفَ هؤلاء خُولِف به عن طريق الحقِّ.

٥٠٥ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا إسحاق بن راهويه، قال: أنا أبو عامر العَقدي، قال: ثنا هشام بن سعد، عن سعيد بن أبي هلال، عن أبي الأسود الدِّيلي، قال: قدمت البصرة وبها عمران بن الحُصين رضي الله عنهما صاحب رسول الله ﷺ، فجلست في مجلس، فذكروا القدر، فأمرضوا قلبي[٣]، فأتيت عمران بن

---

(١) في هامش الأصل: (أجعلك) خ.

(٢) في إسناده: عبد الملك بن هارون كذَّبه يحيى، وقال أبو حاتم: متروك ذاهب الحديث. وأبوه ضعيف أيضًا. «الميزان» (٢/٦٦٦).

ـ وفي «الإبانة الكبرى» (٢٠٢٣) عن يحيى بن أبي بُكير الكرماني، قال: حدثني أبي، قال: جاءَ رجل إلى الخليل بن أحمد، فقال له: قد وقع في نفسي شيءٌ من أمر القدر.

فقال له الخليل: أتبصر من مخارج الكلام شيئًا؟ قال: نعم.

قال: فأين مخرج الحاء؟ قال: من أصل اللسان.

قال: فأين مخرج الثاء؟ قال: من طرف اللسان.

قال: فاجعل هذا مكان هذا، وهذا مكان هذا.

قال: لا أستطيع. قال: فأنت مُدَبَّر.

(٣) كما سيأتي برقم (٥٧٠) قول محمد بن كعب القُرظي: لا تخاصموا هذه القدرية، ولا تجالسوهم، والذي نفسي بيده لا يُجالسهم رجلٌ لم يجعل الله له فقهًا في دينه، ولا عِلمًا في كتابه إلَّا أمرضوه.

ـ وفي «الجامع» لابن أبي زيد (ص١٢٠) قال الإمام مالك رحمه الله: كان =

حُصين فقلت: يا أبا نُجيد، إني جلست مجلسًا فذكروا القدر؛ فأمرضوا قلبي، فهل أنت مُحدِّثي عنه؟

فقال: نعم، تعلَّمْ أن الله عز وجل لو عذَّب أهل السماوات وأهل الأرض لعذَّبهم حين يُعذِّبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمتُه أوسعَ لهم[1]، ولو كان لك مثل أُحدٍ ذهبًا فأنفقته ما تُقبِّل منك حتى تؤمن بالقدر كله خيره وشرِّه، وستقدم المدينة فتلقى بها أُبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما.

قال: فقدمت المدينة، فجلست في مجلس فيه عبدُ الله بن مسعود، وأُبيُّ بن كعب، فقلت لأُبَيّ: أصلحك الله، إني قدمت البصرة، فجلست في مجلس فذكروا القدر، فأمرضوا قلبي، فهل أنت مُحدِّثي عنه؟

فقال: نعم؛ تعلّم أن الله تعالى لو عذَّب أهل السماوات وأهل الأرض لعذَّبهم حين يُعذِّبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمتُه أوسعَ لهم، ولو كان لك مثل أُحدٍ ذهبًا فأنفقته ما تُقبِّل منك حتى تؤمن بالقدر خيره وشرِّه.

ثم قال: يا أبا عبد الرحمٰن، حدِّث أخاك.

قال: فحدثني بمثل ما حدثني به أُبي بن كعب رضي الله عنه.

٥٠٦ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: حدثني ميمون بن الأصبغ النَّصِيبي، قال: حدثني أبو صالح عبد الله بن صالح، قال: حدثني معاوية بن صالح، أن أبا الزاهرية، حدَّثه عن

يقال: لا تُمكِّن زائغَ القلب من أذنك؛ فإنّك لا تدري ما يعلقك من ذلك، ولقد سمع رجلٌ من الأنصار من أهل المدينة شيئًا من بعض أهل القدر، فعَلِق قلبه، فكان يأتي إخوانه الذين يستنصحهم، فإذا نهوه، قال: فكيف بما علق قلبي؟ ولو علمت أن الله يرضى أن ألقي بنفسي من فوق هذه المنارة فعلت.

(١) تقدم بيان معناه برقم (٤٥٥).

كثير بن مُرَّة، عن ابن الديلمي - يعني: عبد الله بن الديلمي -، أنه لقي سعد بن أبي وقاص ﵁، فقال له: إني شككت في بعض أمر القدر، فحدِّثني لعلَّ الله تعالى أن يجعل لي عندك فرجًا.

قال: نعم يا ابن أخي، إن الله تعالى لو عذَّب أهل السماء، وأهل الأرض؛ عذَّبهم وهو غير ظالمٍ لهم، ولو رحمهم كانت رحمته إياهم خيرًا لهم من أعمالهم، ولو أنَّ لامرئٍ مثل أُحدٍ ذهبًا ينفقه في سبيل الله حتى يُنفده، لم يؤمن بالقدر خيره وشرِّه، ما تُقبِّل منه، ولا عليك أن تأتي عبد الله بن مسعود.

فذهب ابن الديلمي إلى عبد الله بن مسعود ﵁، فقال له مثلَ مقالته لسعد، فقال له مثلَ ما قال له سعد.

وقال له ابن مسعود: ولا عليك أن تلقى أُبي بن كعب.

فذهب ابن الديلمي إلى أُبي بن كعب ﵁، فقال له: مثل مقالته لابن مسعود، فقال له أُبي مثل مقالة صاحبيه.

وقال له أُبي: ولا عليك أن تلقى زيد بن ثابت ﵁.

فذهب ابن الديلمي إلى زيد بن ثابت، فقال له: إني شككت في بعض القدر فحدِّثني لعلَّ الله أن يجعل لي عندك منه فرجًا.

قال زيد: نعم يا ابْنَ أخي؛ إني سمعت النبي ﷺ يقول: «إن الله تعالى لو عذَّب أهل السماءِ وأهل الأرض عذَّبهم وهو غير ظالمٍ لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم، ولو أن لامرئٍ مثلَ أُحد ذهبًا يُنفقه في سبيل الله حتى ينفده، لا يؤمن بالقدر خيره وشرِّه دخل النار»[1].

---

(١) رواه الفريابي في «القدر» (١٩٢).
وقد تقدم تخريجه والتعلق عليه برقم (٤٥٥).

٥٠٧ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا مِنجاب بن الحارث، قال: أنا أبو الأحوص، عن أبي إسحاق، عن الحارث، قال: قال عبد الله ـ يعني: ابن مسعود رضي الله عنه ـ: لا يذوق عبدٌ طعم الإيمان حتى يؤمنَ بالقدر كله، وبأنه مبعوثٌ من بعد الموت.

٥٠٨ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: ثنا وكيع، عن المسعودي، عن مَعْن، قال: قال عبد الله ـ يعني: ابن مسعود رضي الله عنه ـ: ما كان كفرٌ بعد نُبوَّةٍ إلَّا كان معها التكذيبُ بالقدر.

٥٠٩ ـ وأخبرنا أبو محمد عبد الله بن صالح البخاري، قال: ثنا محمد بن سُليمان لُوين، قال: ثنا حماد بن زيد، عن مطر الورَّاق، قال: حدثني عبد الله بن بُريدة، عن يحيى بن يَعْمَر، قال: لما تكلَّم مَعبدٌ الجُهَني بما تكلَّم فيه في شأن القدر، فأنكرْنا ما جاءَ به، فحججت أنا وحُميد بن عبد الرحمٰن الحِمْيَري حَجَّة، فلما قضينا مناسكنا، قال أحدنا لصاحبه: مِل بنا إلى طريق(١) المدينة ـ أو لو مِلْتَ بنا إلى المدينة ـ، فلقِيْنا بها مَنْ بَقِيَ من أصحاب النبي ﷺ، فسألناهم عما جاءَ به معبد؟ فمِلنا إلى المدينة، فدخلنا المسجد ونحن نؤُم أبا سعيد أو ابن عمر، فإذا ابن عمر قاعد، فاكتنفناه، فقدَّمني حُميدٌ للمسألة، وكنتُ أجرأ على المنطق منه [٣٨/أ]، فقلت: يا أبا عبد الرحمٰن، إن قومًا قد نشأُوا بالعراق، وقرؤوا القرآن، وتفقَّهوا في الدين، يقولون: لا قدر.

قال: فإذا لقيتموهم فقولوا لهم: إن ابن عمر منهم بريءٌ، وهم منه بُرَآءُ، لو أنفقوا ما في الأرض ذهبًا ما تُقبِّل منهم حتى يؤمنوا بالقدر... وذكر الحديث بطوله.

٥١٠ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا محمد بن عبيد بن حِسَاب، قال: ثنا حماد بن

---

(١) كتب فوقها: (خ)

زيد.. وذكر الحديث بطوله مثله(١).

٥١١ ـ وحدثنا الفريابي، قال: ثنا إسحاق بن راهويه، قال: أنا النضر بن شُميل، قال: ثنا كَهْمَس بن الحسن، قال: ثنا عبد الله بن بُريدة، عن يحيى بن يَعْمَر.

٥١١/أ ـ قال الفريابي: وحدثني محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، قال: سمعت كَهْمَسًا، يُحدِّث عن ابن بُريدة، عن يحيى بن يَعْمَر، قالا جميعًا: كان أولُ مَنْ قال في هذا القدر بالبصرة معبدٌ الجُهَني، فانطلقت أنا وحُميد بن عبد الرحمٰن حاجَّين أو مُعتمرين.. وذكر الحديث بطوله، وقد ذكرناه في غير هذا الموضع(٢).

٥١٢ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا عُبيد الله بن معاذ، قال: ثنا أبي، قال: ثنا حماد بن سلمة، عن أبي نَعَامة السَّعْدي، قال: كنا عند أبي عثمان النهدي، فحمِدنا الله تعالى وذَكَرْناه، فقلت: لأنا بأوَّلِ هذا الأمر أشدُّ فرحًا مني بآخره.

فقال: ثبَّتك الله، كنا عند سَلمان رضي الله عنه فحمِدنا الله عز وجل وذَكَرْناه، فقلت: لأنا بأوَّل هذا الأمر أشدُّ فرحًا مني بآخره(٣).

---

(١) رواه الفريابي في «القدر» (٢٠٩).

ـ قال اللالكائي رحمه الله في «شرح اعتقاد أهل السنة»: وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه لعنهم وتبرَّأ منهم، ولا يجوز على ابن عمر أن يتبرأ من المسلمين.اهـ.

(٢) رواه الفريابي في «القدر» (٢١١)، وقد تقدم برقم (٤٦٠ و٥٠٩).

(٣) (بأول هذا الأمر): يريد بما سبق من تقدير الله تعالى له أنه من أهل السعادة.

ـ قال ابن القيم رحمه الله في «شفاء العليل» (١/٨٧) مُعلقًا على هذا الأثر: وذلك لأنه إذا كان قد سبق له من الله سابقة، وهيَّأه ويسَّره للوصول إليها كان فرحه بالسابقة التي سبقت له من الله أعظم من فرحه بالأسباب التي تأتي بها، فإنها سبقت له من الله قبلَ الوسيلةِ منه، وعلِمها الله وشاءها وكتبها وقدَّرها، وهيَّأ له أسبابها؛ لتوصله إليها، فالأمر كله من فضله وجوده السابق، فسبق له من الله سابقة السعادة، ووسيلتها وغايتها، فالمؤمن أشدُّ فرحًا بذلك من كون =

فقال سَلمان: ثبَّتك الله، إن الله تعالى لما خلق آدم مسح على ظهره[١]، فأخرج منه ما هو ذارئٌ[٢] إلى يوم القيامة، فخلق الذكر والأُنثى، والشِّقوة والسعادة، والأرزاق والآجال والألوان، فمِن عِلمِ السعادة: فعلُ الخير، ومجالسُ الخير، ومِن عِلمِ الشقوة: فعلُ الشرِّ، ومجالسُ الشرِّ[٣].

٥١٣ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا عبيد الله بن معاذ، قال: ثنا المُعتمر بن سُليمان، عن أبيه، قال: ثنا أبو عثمان أنه سمع عبد الله رضي الله عنه ـ أو سَلمان رضي الله عنه، ولا أراه إلَّا سَلمان ـ، قال: إن الله خمَّر طينة آدم عليه السلام أربعين ليلة ـ أو أربعين يومًا ـ، ثم ضرب بيديه فيه، فخرج كل طيِّبٍ بيمينه[٤]، وكل خبيثٍ في يده الأُخرى، ثم خلط بينهما، قال: فمن ثم يُخرجُ الحيَّ من الميت، والميتَ من الحي. أو كما قال[٥].

أمره مجعولًا إليه، كما قال بعض السلف: والله ما أُحبُّ أن يجعلَ أمري إليَّ، إنه إذا كان بيد الله خيرًا من أن يكون بيدي.

فالقدر السابق مُعينٌ على الأعمال، وباعثٌ عليها، ومقتضٍ لها، لا أنه منافٍ لها، وصادٌ عنها، وهذا موضع مزلة قدم، من ثبتت قدمه عليه فاز بالنعيم المُقيم، ومن زلَّت قدمه عنه هوى إلى قرارِ الجحيم. اهـ.

(١) في هامش الأصل: (مسح ظهره) خ.

(٢) في «النهاية» (٢/ ١٥٦): ذرأ اللهُ الخلقَ يَذرَؤهم ذرءًا إذا خَلَقَهُم.

(٣) رواه الفريابي في «القدر» (٥١)، وهو أثر صحيح.

(٤) في هامش الأصل: (في يمينه) خ.

(٥) رواه الفريابي في «القدر» (١٠)، والدارمي في «النقض» (٥٢)، والصحيح أنه موقوف كما قال الدارقطني في «العلل» (٥/ ٣٣٨): يرويه سُليمان التيمي، عن أبي عثمان النَّهدي، عن سَلمان، أو ابن مسعود موقوفًا، وهو الصحيح، ومن رفعه فقد وهم. اهـ.

ولا يخفى أن له حكم الرفع.

انظر تحقيق «إثبات الحد لله تعالى» للدشتي (ص١٣٠).

٥١٤ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا أبو مروان عبد الملك بن حبيب المصِّيصي، قال: ثنا أبو إسحاق الفزاري، عن سُليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي، عن سَلمان ﷺ قال: إن الله خمر طينة آدم ﷺ أربعين يومًا ـ أو أربعين ليلة ـ. . . فذكر الحديث، فقال فيه: عن سَلمان ﷺ وحده.

٥١٥ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا أبو كامل الجَحدري، قال: ثنا عبد الواحد، قال: ثنا الأعمش، عن أبي إسحاق، عن أبي الحجاج الأزدِي[1]، قال: قلت لسلمان ﷺ: ما قول الناس: حتى تؤمن بالقدر خيره وشرِّه؟

قال: (حتى تؤمن بالقدر): تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليُصيبَك، وما أصابك لم يكن ليُخطئَك، ولا تقول: لو فعلتُ كذا وكذا؛ لكان كذا وكذا، ولو لم أفعل كذا وكذا؛ لم يكن كذا وكذا.

٥١٦ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا قتيبة بن سعيد، قال: ثنا الليث بن سعد، عن محمد بن عجلان، عن سعيد المَقبُري، عن أبيه، عن عبد الله بن سلام ﷺ أنه قال: خلق الله الأرض يوم الأحد والإثنين، وقدَّر فيها أقواتها، وجعل فيها رواسي من فوقها يوم الثلاثاء والأربعاء، ثم استوى إلى السماء وهي دُخان، فخلقها يوم الخميس ويوم الجمعة، وأوحى في كلِّ سماءٍ أمرها، وخلق آدم في آخر ساعة من يوم الجمعة على عجل[2]، ثم تركه أربعين يومًا ينظرُ إليه، ويقول تبارك وتعالى: (تبارك الله أحسن الخالقين)، ثم نفخ فيه من روحه، فلما دخل في بعضه الروح ذهب ليجلس، قال الله

---

(١) في الأصل: (الأودي)، ولصواب ما أثبته كما في «القدر» للفريابي (١٩٩).
ـ في «العلل ومعرفة الرجال» (٣٨٥٢)، قال أحمد: قلت ليحيى: أبو إسحاق، عن أبي الحجاج، قلت لسلمان ﷺ: أخبرني عن الإيمان بالقدر. فقال: (تعلم أن ما أخطاك لم يكن ليصيبك)، من أبو الحجاج هذا؟ فقال: شيخ روى عنه أبو إسحاق.

(٢) يشير إلى قوله تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧].

تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧]، فلما تتابع فيه الروح عَطَسَ، فقال الله تعالى: قل: الحمد لله. فقال: الحمد لله. فقال الله تعالى: رحمك ربُّك.

ثم قال له: اذهب إلى أهل ذلك المجلس من الملائكة فسلِّم عليهم، ففعل، فقال: هذه تحيَّتُك، وتحية ذريتك.

ثم مسح ظهره بيديه فأخرج فيهما من هو خالق من ذُريته إلى أن تقوم الساعة، ثم قبض يديه، ثم قال: اختر يا آدم، فقال: اخترتُ يمينَك يا ربِّ، وكِلتا يديك يمين، فبسطها فإذا فيها ذُريتُه من أهل الجنة، فقال: مَنْ هؤلاءِ يا ربِّ؟ قال: هم مَنْ قضيتُ أن أخلق من ذُريتك من أهل الجنةِ إلى أن تقوم الساعة، فإذا فيهم من له وبيصٌ[1].

فقال: من هؤلاء يا رب؟ قال: هم الأنبياء.

قال: فمن هذا الذي كان له وبيصٌ؟ قال: هو ابنك داود.

قال: فكم جعلت عمره؟ قال: ستين سنة.

قال: فكم عُمري؟ قال: ألف سنة.

قال: فزده يا ربِّ من عمري أربعين سنة.

قال: إن شئت.

قال: فقد شئت.

قال: إذًا نكتبُ[2] ونختم، ولا يُبدَّل.

ثم رأى في آخر كفِّ الرحمٰن تبارك وتعالى منهم آخر له فضل وبِيصٍ، فقال: فمن هذا يا رب؟

---

(١) قال أبو عبيد رَحِمَهُ الله في «غريب الحديث» (٤/ ٣٣٣): (الوَبِيصُ): البَرِيْق.

(٢) في هامش الأصل: (تكتب) خ.

قال: هذا محمد، هو آخِرُهم، وأولُهم أُدخِلُه الجنة.

فلما أتى ملك الموت ليقبض نفسه، قال: إنه قد بقي من عُمري أربعون سنة. قال: أو لم تكن وهبتَها لابنك داود؟ قال: لا.

قال: فنُسي آدم؛ فنَسيتْ ذُريَّته، وعصى آدم؛ فعصت ذُريته، وجحدَ آدم؛ فجحدت ذُريته، وذلك أول يومٍ أُمر بالشهود[١].

٥١٧ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا إسحاق بن راهويه، قال: أنا [٣٨/ب] حكَّام بن سلم الرازي، قال: ثنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب رضي الله عنه في قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف]، قال: جمعهم له يومئذ جميعًا ما هو كائن إلى يوم القيامة، ثم جعلهم أرواحًا، ثم صوَّرهم واستنطقهم وتكلَّموا، وأخذ عليهم العهد والميثاق: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف]، قال: فإني أُشهد عليكم السماواتِ السبع، والأرضين السبع، وأُشهد عليكم أباكم آدم، أن تقولوا يوم القيامة: (إنا كنا عن هذا غافلين)، فلا تشركوا بي شيئًا، فإني أُرسل إليكم رسلي يُذكِّرونكم عهدي وميثاقي، وأُنزل عليكم كتبي، فقالوا: شهدنا[٢] أنك ربنا وإلهنا، لا ربَّ لنا غيرك، ولا إله لنا غيرك.

ورُفِعَ لهم أبوهم آدمُ، فنظر إليهم، فرأى فيهم الغني والفقير،

---

(١) رواه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١٧١٠)، وهو أثر صحيح، ولأكثره شواهد من الأحاديث المرفوعة.

(٢) كتب فوقها: (نشهد) خ.

وحَسَنَ الصورة ودون ذلك، فقال: يا ربِّ، لو شئتَ سوَّيْتَ بين عبادك.

فقال: إني أُحب أن أشكر.

ورأى فيهم الأنبياء مثل السُّرُج، وخُصُّوا بميثاق آخر في الرسالة والنبوة، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ الآية [الأحزاب: ٧].

وهو قوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠].

وذلك قوله: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ ﴿٥٦﴾﴾ [النجم].

وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأعراف].

وهو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبْلُ﴾ [يونس: ٧٤].

فكان في عِلمه تعالى يوم أقرُّوا به: مَن يُكذِّبُ به، ومَن يُصدِّقُ به، فكان روح عيسى ابن مريم عليه السلام في تلك الأرواح التي أُخِذ عليها العهد والميثاق في زمن آدم عليه السلام، فأرسل ذلك الروح إلى مريم عليها السلام حين انتبذت من أهلها مكانا شرقيًا، ﴿فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿...وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ﴾ [مريم]، قال: فحمَلَتِ التي خاطبها وهو روح عيسى عليه السلام.

قال إسحاق: قال حَكّام: وثنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع، عن أبي العالية، عن أُبي بن كعب رضي الله عنه قال: دخل مِن فِيها[1].

---

(١) رواه الفريابي في «القدر» (٥١)، والطبري في «تفسيره» (٦/٣٦)، وابن بطة في =

٥١٨ ـ أخبرنا الفريابي، قال: ثنا محمد بن مصفى أبو عبد الله الحمصي، قال: ثنا محمد بن حرب، قال: ثنا الزُّبيدي، عن الزُّهري، عن إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن عوف: أنه غُشِيَ على عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه في وجعه غشيةً ظنوا أنه قد فاض منها، حتى قمنا من عنده، وجلَّلوه ثوبًا، وخرجت أُم كلثوم ابنة عُقبة امرأة عبد الرحمٰن إلى المسجد، تستعين بما أُمرت به من الصبر والصلاة[1]، فلبثوا ساعة وعبد الرحمٰن في غشيته، ثم أفاق عبد الرحمٰن، فكان أوَّل ما تكلَّم به أن كبَّر وكبَّر أهل البيت ومن يليهم، فقال لهم عبد الرحمٰن: أُغشي عليَّ آنفًا؟

فقالوا: نعم.

قال: صدقتم، فإنه انْطَلقَ بي في غشيتي رجُلان أجد منهما شِدَّة وغلظة، فقالا: انطلِقْ[2] نُحاكمك إلى العزيز الأمين.

فانطلقا بي، حتى لقِيْنا رجلًا، فقال: أين تذهبان بهذا؟ قالا: نُحاكمه إلى العزيز الأمين.

قال: فارجِعا فإنه ممن كتب الله لهم السعادةَ والمغفرةَ وهم

«الإبانة الكبرى» (١٤٥٠)، والحاكم (٢/ ٤٠٥)، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

ـ قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٥/ ٢١٩): قال مجاهد، والضحاك، وقتادة، وابن جريج، ووهب بن مُنبِّه، والسدي، في قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ [مريم: ١٧]، يعني: جبريل عليه السلام.

وهذا الذي قالوه هو ظاهر القرآن، فإنه تعالى قد قال في الآية الأخرى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء].

ثم ذكر أثر أُبي بن كعب رضي الله عنه واستغربه واستنكره. والله أعلم.

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة].

(٢) في هامش الأصل: (بنا) خ.

في بطون أُمهاتهم، وإنه يستمتع به بَنُوه إلى ما شاءَ الله.

قال: فعاش بعد ذلك شهرًا ثم مات(١).

٥١٩ - وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا محمد بن عُزيز، قال: حدثني سلامة بن رَوح، عن عقيل بن خالد، قال: حدثني ابن شهاب الزهري، قال: حدثني إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن عوف أنه قال: غُشي على عبد الرحمٰن بن عوف ﵁ في وجعه... وذكر نحوًا من هذا الحديث قبله.

٥٢٠ - أخبرنا الفريابي، قال: ثنا عبد الرحمٰن بن إبراهيم الدمشقي، قال: ثنا الوليد بن مسلم، قال: ثنا عثمان بن أبي العاتِكة، قال: حدثني سليمان بن حبيب، عن الوليد بن عُبادة: أن أباه عُبادةَ بنَ الصامت لما احتُضِرَ سأله ابنه، فقال: يا أَبَتِ، أوصني.

قال: أجلسوني، فلما أجلسوه، قال: يا بُني، اتق الله، ولن تتقي الله حتى تؤمن بالله، ولن تؤمن بالله حتى تؤمن بالقدر خيره وشرِّه، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليُخطئَك، وما أخطأك لم يكن ليُصيبك، سمعت النبي ﷺ يقول: «القدر على هذا، من مات على غير هذا دخل النار»(٢).

٥٢١ - وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا محمد بن مصفًّى، قال: ثنا بقية، قال: حدثني معاوية بن سعيد، قال: حدثني عبد الله بن السائِب، عن عطاءِ بن أبي رباح، قال: سألت الوليد بن عُبادة بن الصامت: كيف كانت وصيَّة أبيك إياك، حين [٣٩/أ] حضره الموت؟

قال: دعاني، فقال: يا بُنيَّ، أُوصيك بتقوى الله تعالى، واعلم أنك لن تتقي الله حتى تؤمن بالله، واعلم أنك لن تؤمن بالله، ولن تطعم طعم

---

(١) رواه الفريابي في «القدر» (٤٣٥)، وهو أثر صحيح.

(٢) تقدم تخريجه برقم (٤٢٨ و٤٥٣ و٥٢١).

حقيقة الإيمان، ولن تبلغ العلم، حتى تؤمن بالقدركله خيرِه وشرّه.

قال: قلت: يا أبت، وكيف لي أن أُؤمن بالقدر كله خيره وشرّه؟

قال: تعلم أن ما أصابك لم يكن ليُخطئَك، وما أخطأك لم يكن ليُصيبك.

أي بُنيَّ، إني سمعت النبي ﷺ يقول: «إن أولَ ما خلق اللهُ تعالى القلم قال: اكتب. قال: ما أكتب يا رب؟ قال: اكتب القدر.

قال: فجرى القلم في تلك الساعة بما كان وما هو كائِن إلى الأبد»(١).

٥٢٢ ـ أخبرنا الفريابي، قال: حدثني أبو أنس مالك بن سليمان، قال: ثنا بقية ـ يعني: ابن الوليد ـ عن مُبَشِّر بن عبيد، عن عطاءِ بن السائِب، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى: ﴿...كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [الأعراف]، وكذلك خلقهم حين خلقهم مؤمنًا وكافرًا، وسعيدًا وشقيًا، وكذلك يعودون يوم القيامة مُهتدين وضُلَّالًا(٢).

٥٢٣ ـ أخبرنا الفريابي، قال: ثنا مِنجاب بن الحارث، قال: أنا علي بن مُسْهِر، عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]،

---

(١) رواه الفريابي في «القدر» (٤٢٥).

وروا أحمد (٢٢٧٠٥ و٢٢٧٠٧)، وأبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٢١٥٥)، وهو صحيح.

(٢) في «الإبانة الكبرى» (١٤٠٤) عن أبي العالية: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾﴾، قال: عادوا إلى علمه فيهم، ألم تسمع إلى قول الله ﷻ: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [الأعراف: ٢٩، ٣٠].

قال: لما خلق الله آدم، أخذ ذُريته من ظهره كهيئَةِ[(١)] الذرِّ، ثم سمَّاهم بأسمائِهم، فقال: هذا فلانُ ابن فلانٍ، يعمل كذا وكذا، وهذا فلانُ ابن فلانٍ يعمل كذا وكذا، ثم أخذهم بيده قبضتين، فقال: هؤلاء للجنة، وهؤلاء للنار[(٢)].

٥٢٤ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا أحمد بن إبراهيم، قال: ثنا علي بن الحسن[(٣)] بن شقيق، قال: ثنا عبد الله ـ هو ابن المبارك ـ، قال: حدثني ابن جُريج، عن الزُّبير بن موسى، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن الله تعالى ضرب مَنْكِبَه الأيمنَ ـ يعني: آدمَ عليه السلام ـ فخرجتْ كلُّ نفسٍ مخلوقة للجنة بيضاءَ نقيَّة، فقال: هؤلاء أهل الجنة، ثم ضرب مَنْكِبَه الأيسرَ فخرجت كل نفسٍ مخلوقةٍ للنار سوداءَ، فقال: هؤلاء أهلُ النار، ثم أخذ عهدَهم على الإيمان به، والمعرفة له ولأمره، والتصديق بأمره، بني آدم كلِّهم، وأشهدهم على أنفسهم، فآمنوا وصدَّقوا، وعرفوا وأقرُّوا.

٥٢٥ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا مِنجاب بن الحارث، قال: ثنا علي بن مُسْهِر، عن الأعمش، عن أبي ظَبيان، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن أولَ ما خلقَ اللهُ تعالى القلمُ، فقال له: اكتُب.

قال: يا ربِّ، وما أكتُبُ؟

قال: اكتُبِ القدَر.

فجرى بما هو يكون في ذلك إلى أن تقوم الساعة، وكان عرشُه على الماء، ثم رفع بُخار الماء، ففتُقت منه السماوات، ثم خلق النون[(٤)]، فدُحِيَتْ الأرض على ظهر النون، فتحرَّكت النون، فمادت

---

(١) في هامش الأصل: (كمثل) خ.
(٢) رواه الفريابي في «القدر» (٥٦)، وهو أثر صحيح.
(٣) في الأصل: (الحسين)، والصواب ما أثبته كما سيأتي برقم (٧٥٧).
(٤) أي: الحوت.

الأرض، فأُثبتت بالجبال، فإنها لتفخر عليها[١].

٥٢٦ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: ثنا وكيع بن الجرّاح، عن سفيان الثوري، عن أبي هاشم، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ذُكِرَ له قومٌ يتكلّمون بالقدر، فقال: إن الله تعالى استوى على عرشه قبل أن يخلقَ شيئًا، فكان أول ما خلق القلم، فأمره أن يَكتبَ ما هو كائِن إلى يوم القيامة[٢].

٥٢٧ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا قُتيبة بن سعيد، قال: ثنا الليث بن سعد، عن هشام بن سعد، عن إبراهيم بن محمد بن علي، عن علي بن عبد الله بن عباس، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كل شيءٍ بقدرٍ، حتى وضعُك يَدك على خَدِّك.

٥٢٨ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا أبو الحارث سُريج بن يونس، قال: ثنا مروان بن شُجاع، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما غلا أحدٌ في القدرِ إلّا خرج من الإيمان.

٥٢٩ ـ أخبرنا الفريابي، قال: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: ثنا حفص بن غياث، عن ليث، عن طاووس، قال: العَجزُ والكَيْس من القدر[٣].

٥٣٠ ـ حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن زياد النيسابوري، قال: ثنا محمد بن يحيى وأحمد بن يوسف، قالا: ثنا عبد الرزاق، قال: أنا مَعمر، عن ابن طاووس، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: العجزُ والكَيْسُ بقدر.

---

(١) تقدم برقم (٤٣١ و٤٣٢) الكلام عن الغريب في هذا الأثر، وبيان صحته.

(٢) إسناده صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما.

وفي هذا الأثر دليل على أن العرش أول المخلوقات كما تقدم بيان ذلك برقم (٤٢٣).

(٣) قال البخاري رحمه الله في «خلق أفعال العباد» (١٢٩): وقال الليث، عن طاووس، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ [القمر] حتى العجز والكَيْس. وسيأتي معناه قريبًا.

٥٣١ ـ حدثنا أبو بكر النيسابوري ـ أيضًا ـ، قال: ثنا يونس بن عبد الأعلى، قال: ثنا عبد الله بن وهب، أن مالكًا أخبره، عن زياد بن سعد، عن عمرو بن مسلم، عن طاووس اليماني أنه قال: أدركت ناسًا من أصحاب النبي ﷺ يقولون: كل شيءٍ بقدرٍ[1].

وسمعت عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول: قال النبي ﷺ: «كلُّ شيءٍ بقدرٍ، حتى العَجزُ والكَيْسُ»[2].

٥٣٢ ـ أخبرنا الفريابي، قال: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: ثنا وكيع، عن حنظلة، عن طاووس، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الحذرُ لا يُغني من القدر؛ ولكن الدعاءَ يدفع القدر[3].

---

(١) عند اللالكائي (٣/ ٥٩١) عن طاووس: أدركت ثلاثمائة من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: كل شيء بقدر.

(٢) رواه الفريابي في «القدر» (٢٩٩). ورواه أحمد (٥٨٩٣)، ومسلم (٦٨٤٥).
(العجز): عدم القدرة. «النهاية» (٣/ ١٨٦).
و(الكَيْس): الخِفَّةُ والتَّوقُّدُ، وهو خِلافُ الحُمقِ. «تاج العروس» (١٦/ ٤٦٠).
ـ وفي «القدر» للفريابي (٤١٢) قال علي بن عبد الله: سألت يحيى وعبد الرحمٰن عن هذا الحديث: «كلُّ شيءٍ بقدر»، ما معنى بقدر؟
فقالا: كُتِبَ وعُلِمَ.

(٣) روى البيهقي في «القضاء والقدر» (١٨٤) وزاد فيه: (وهو إذا دفع القدر فهو من القدر).
قوله: (الحذرُ لا يُغني من القدر)، يُبين ذلك:
ـ ما رواه عبد الله بن أحمد في «السُّنة» (٨٥٠) عن عليٍ رضي الله عنه قال: مَا مِن آدميٍّ إلّا ومعه مَلَكٌ يقيه مَا لم يُقدَّرْ له، فإذا جاء القدرُ؛ خلَّاهُ وإيَّاه.
ـ وفيه أيضًا (٨٧٧) عن عِكرمة، قال: سُئل ابن عباس رضي الله عنهما: كيف تفقَّدَ سُليمان عليه السلام الهدهُدَ مِن بين الطَّيرِ؟
قال: إن سُليمان صلوات الله عليه نزلَ مَنزلًا، فلم يدرِ ما بُعدُ الماءِ، وكان =

٥٣٣ ـ حدثنا الفريابي، قال: ثنا أبو مسعود إسماعيل بن مسعود الجَحْدَرِيّ، قال: ثنا مُعتمر بن سُليمان، قال: ثنا أبو عَوانة، عن عطاءِ بن السائِب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﵄ قال: ما في الأرض قومٌ أبغضُ إليَّ من أن يَجيئُوني فيُخاصموني من القدرية، وما ذاك إلَّا أنهم لا يعلمون قُدرة الله تعالى[1]، وإن الله: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

٥٣٤ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: ثنا يزيد بن هارون، قال: أنا يحيى بن سعيد، عن أبي الزبير: أنه كان مع طاووس يطوف بالبيت، فمرَّ معبد الجُهَني[2]، فقال قائِل لطاووس: هذا معبد الجُهَني. فعدل إليه، فقال: أنت [٣٩/ب] المُفتري على الله، القائِل ما لا يعلم؟

الهدهد مُهندسًا. قال: فأراد أن يسأله عن الماءِ، ففقَدَه.

قلتُ: وكيف يكون مُهندِسًا، والصَّبي يَنصِبُ له الحِبالة؛ فيَصيدُه؟!

قال: إذا جاء القدرُ حال دون البصر.

* وقوله: (ولكن الدعاءَ يدفع القدر)، أي يدفع: ما كُتب في صحف الملائكة من أعمال بني آدم، وأما الذي في أم الكتاب في اللوح المحفوظ فلا يمحو منه شيئًا.

- روى الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٦٣) عن عكرمة، عن ابن عباس ﵄، أنه قال في هذه الآية: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾﴾ [الرعد]، قال: كتابان: كتاب يمحو منه ما يشاء ويُثبت، وعنده أم الكتاب.

- وفي «السنة» لعبد الله بن أحمد (٨٧٤) عن ابن عباس: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾، قال: إلَّا الشَّقاء، والسَّعادة، والحياة، والموت.

- وعند اللالكائي (٩١٧) قال مجاهد في هذه الآية: إن الله ﷻ ينزل كل شيءٍ يكون في ليلة القدر فيمحو ما يشاء من المقادير والآجال والأرزاق إلَّا الشَّقاوة والسَّعادة فإنه ثابت.

(١) سيأتي برقم (٥٦٥) قول زيد بن أسلم ﵀: (القدر): قُدرة الله تعالى، فمن كذَّب بالقدر؛ فقد جحد قُدرة الله تعالى.

(٢) ستأتي ترجمته برقم (٦٤٢).

قال: إنه يُكذِّبُ عليَّ.

قال أبو الزبير: فعدل مع طاووس حتى دخلنا على ابن عباس ﷺ، فقال له طاووس: يا أبا عباس، الذين يقولون في القدر؟

قال: أروني بعضهم.

قلنا: صانعٌ ماذا؟

قال: إذًا أضعَ يدي في رأسه فأدقَّ عنقه.

٥٣٥ ـ أخبرنا الفريابي، قال: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عبد الملك بن ميسرة، عن طاووس، قال: كنت جالسًا مع ابن عباس ﷺ في حَلْقة، فذكروا أهل القدر، فقال: منهم هاهنا أحدٌ؟ فآخذَ برأسه فأقرأ عليه: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾﴾ [الإسراء]، ثم أقرأ عليه آية كذا وآية كذا، آيات في القرآن[١].

٥٣٦ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا أحمد بن إبراهيم، قال: ثنا بَهز بن أسد، قال: ثنا شُعبة، قال: ثنا أبو هاشم، عن مجاهد، عن عبد الله بن عباس ﷺ قال: لو رأيتُ أحدَهم لأخذتُ بشعره. ـ يعني: القدرية ـ.

قال شُعبة: فحدَّثتُ به أبا بشر، قال: سمعت مجاهدًا يقول: ذكروا

---

(١) وفي «الإبانة الكبرى» (١٧٤٩) قال طاووس: حتى تمنيت أن يكون كل من تكلَّم في القدر شَهِدَه.

ـ قال ابن جرير الطبري ﷺ في «تفسيره» (١٤/ ٤٥٥) وهو يتكلم عما روي في تفسير هذه الآية: قال آخرون: معنى ذلك: وقضينا على بني إسرائيل في أم الكتاب وسابق علمه.

وأسند عن ابن عباس ﷺ: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، قال: هو قضاء قضي عليهم.

عند ابن عباس فاحْتَفَز[١]، وقال: لو رأيتُ أحدَهم لعضضتُ أنفه.

٥٣٧ ـ **وأخبرنا** الفريابي، قال: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: ثنا شريك، عن ابن خُثَيم، عن مجاهد، قال: قلت لابن عباس ﷺ: إني أردت أن آتيك برجلٍ يتكلَّمُ في القدر.

قال: لو أتيتني به لأسَننتُ[٢] له وجهه، أو لأوجعت رأسه، لا تُجالسْهم، ولا تُكلِّمْهم[٣].

---

(١) في الأصل: (فتحفز)، وفي هامشه: (فاحتفز) صح.
وفي «تاج العروس» (١٥/١١٣): الرجل يَحتفزُ في جلوسِه يريدُ القيامَ والبطشَ بشيءٍ. اهـ.

(٢) في «تهذيب اللغة» (٢١/٢١٠): قال اللحياني: سننت الرجل أسُنُّه سَنًا: إذا طَعَنْته بالسِّنان. وسَنَنْتُ الرجلَ: إذا عضضتَه بأسنانِك، كما تقول: ضرَسْته. اهـ.
قلت: ويشهد له ما في الرواية السابقة.

(٣) في «الإبانة الكبرى» (٢١٣١) عن أبي إدريس الخولاني: أنه رأى رجلًا يتكلَّم في القدر، فقام إليه، فوطِئ بطنه، ثم قال: إن فلانًا لا يؤمن بالقدر؛ فلا تُجالسوه. فخرج الرَّجل من دمشق إلى حمص.
ـ وفي «القدر» للفريابي (٢٩٦) عن سويد بن عبد العزيز قال: رأيت عطاء الخراساني آخذًا برِجل ثور بن يزيد في مسجد بيت المقدس، يجُرُّه، يُخرجه من المسجد، فقام إليه إسماعيل بن عياش، وطلبه إليه حتى تركه؛ لكلامه في القدر.
ـ وعند اللالكائي (١٢٥٣): قال عبد الله بن أحمد، عن أبيه أنه قال: كان ثور بن يزيد الكَلاعي يرى القدر، وكان من أهل حمص، أخرجوه ونفوه؛ لأنه كان يرى القدر.
قال: وبلغني أنه أتى المدينة، فقيل لمالك: قد قدم ثور، فقال: لا تأتوه، فقال: لا يُجتمع عند رجل مبتدع في مسجد رسول الله ﷺ.
ـ وفيه أيضًا (١٢٥٤) عن عبد الله بن سالم، قال: أدركت أهل حمص وقد أخرجوا ثور بن يزيد، وأحرقوا داره لكلامه في القدر.

٥٣٨ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقي، قال: ثنا الوليد ـ يعني: ابن مسلم ـ، قال: ثنا الأوزاعي، عن القاسم بن هزان[1]، عن الزهري، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: القدر: نِظامُ التوحيد، فمن وحَّد الله وآمن بالقدر؛ فهي العُروة الوثقى التي لا انفصامَ لها، ومن وحَّد الله تعالى وكذَّب بالقدر؛ فإن تكذيبه بالقدر نقض للتوحيد[2].

ـ وسيأتي برقم (٥٧٧) عن هشام بن سعد: قيل لنافع: إن هذا الرجل يتكلَّم في القدر. قال: فأخذ كفًّا من حصى، فضربَ بها وجهه.

(١) في الأصل: (هزال)، وما أثبته من الهامش، وقد رمز له: (صح).

(٢) رواه عبد الله بن أحمد في «السُّنة» (٩٠١)، والفريابي في «القدر» (٢٠٥)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١٦٣١).

وروي مرفوعًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه كما في «العلل المتناهية» (٢٣٤)، ولا يصح.

ورواه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١٩٢٣) من قول الزهري رحمه الله.

ـ قال ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٣٣٠): ولهذا كان أهل السنة والجماعة والحديث هم المتبعين كتاب الله، المعتقدين لموجب هذه النصوص، حيث جعلوا كل مُحدَث من الأعيان، والصفات، والأفعال المباشرة والمتولِّدة، وكل حركة طبعية أو إرادية أو قسرية فإن الله خالق كل ذلك جميعه، وربه ومالكه ومليكه، ووكيل عليه، وإنه سبحانه على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم، فآمنوا بعلمه المحيط، وقدرته الكاملة، ومشيئته الشاملة، وربوبيته التامة؛ ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما: الإيمان بالقدر نظام التوحيد.. إلخ.

ـ وقال ابن القيم رحمه الله في «شفاء العليل» (ص٦٥): فكل دليل في القرآن على التوحيد فهو دليل على القدر وخلق أفعال العباد، ولهذا كان إثبات القدر أساس التوحيد، قال ابن عباس رضي الله عنهما.. فذكره.

ـ وقال ابن رجب رحمه الله في «مجموع رسائله» (٢/ ٤٥٩): وحقيقة الكُفء: هو المساوي والمقاوم؛ فلا كُفء له تعالى في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أسمائه، ولا في أفعاله، ولا في ربوبيته، ولا في إلهيته، ولهذا كان الإيمان =

٥٣٩ ـ أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي، قال: ثنا محمد بن بكّار، قال: ثنا إسماعيل بن عياش، عن عمر بن محمد بن زيد[(١)]، وإسماعيل بن رافع، وعبد الرحمن بن عمرو، يرفعونه إلى عبد الله بن عباس ﵄، أنه كان يقول: القدرُ نِظام التوحيد، فمن وحَّد الله سبحانه وكذَّب بالقدر، كان تكذيبه للقدر نقضًا للتوحيد، ومن وحَّد الله وآمن بالقدر؛ كانت العُروةَ الوثقى.

٥٣٩/أ ـ وبهذا الإسناد عن ابن عباس ﵄ أنه كان يقول: بابُ شِرْكٍ فُتِحَ على أهل القبلة؛ التكذيب بالقدر، فلا تُجادِلوهم؛ فيجري شِركهم على أيديكم[(٢)].

❁ قال محمد بن الحسين:

وقد ذكرْنا عن جماعة من الصحابة ما حَضَرَنا ذكرُه بمكةَ من الرد على القدرية، على ما يوافق الكتاب والسُّنة، استغنينا بما ذكرناه عن الكلام.

ونسنذكر عن التابعين والعلماءِ من أئِمة المسلمين مما تأدَّى إلينا من ردِّهم على القدرية على ما يوافق الكتاب والسُّنة، وقول الصحابة ﷺ مما إذا سمعه القدري: فإن كان ممن أُريد به الخير؛ راجع دينه، وتاب إلى الله تعالى وأناب، وإن يكُ غير ذلك؛ فأبعده الله وأقصاه.

بالقدر نظام التوحيد كما قال ابن عباس ﵄؛ لأن القدرية جعلوا له كفوًا في الخلق. اهـ.

(١) في الأصل: (يزيد). انظر: ترجمته في «تهذيب الكمال» (٢١/ ٤٩٩).

(٢) سيأتي برقم (٥٨٣) توجيه قول من قال: إن التكذيب بالقدر شركٌ بالله تعالى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

٤٤ ـ بَاب

ما ذُكِرَ عن التابعين وغيرِهم من الرد عليهم(١)

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٤٠ ـ اعلموا ـ رحمنا الله وإياكم ـ أن من القدرية صِنفًا إذا قيل لبعضهم: مَن إمامكم في مذهبكم هذا؟ فيقولون: الحَسَنُ؛ وكذبوا على الحَسَنِ، وقد أجلَّ اللهُ الكريم الحسنَ عن مذهب القدرية، ونحن نذكرُ عن الحسن خلاف ما ادعوا عليه(٢).

---

(١) عقد ابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ في «الإبانة الكبرى» بابًا نحوه، فقال: (٥٠/باب ما رُوي في الإيمان بالقدر والتصديق به عن جماعة من التابعين).

(٢) قال ابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ في «الإبانة الكبرى» (١/ ٧٦٤): اعلموا رحمكم الله أن القدرية أنكروا قضاء الله وقدره، وجحدوا علمه ومشيئته، وليس لهم فيما ابتدعوه، ولا في عظيم ما اقترفوه كتاب يؤمُّونه، ولا نبيّ يتَّبِعونه، ولا عالم يقتدون به، وإنما يأتون فيما يفترون بأقوال عن أهوائهم مُخترعة، ومن أنفسهم مُبتدعة، فحُجَّتهم داحضة، وعليهم غضبٌ، ولهم عذاب شديد، يُشبِّهون الله بخلقه، ويضربون لله الأمثال، ويقيسون أحكامه بأحكامهم، ومشيئته بمشيئتهم.

ورُبما قيل لبعضهم: من إمامك فيما تنتحِله من هذا المذهب الرِّجس النَّجس؟

٥٤١ ـ أخبرنا الفريابي، قال: ثنا قُتيبة بن سعيد، قال: ثنا حماد بن زيد، عن خالد الحذَّاء، قال: قدِمَ علينا رجلٌ من أهل الكوفة، فكان مُجانبًا للحسن لما كان يَبْلُغُه عنه من القدر، حتى لَقِيَه، فسأله الرجلُ، أو سُئِل عن هذه الآية: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود]، قال: لا يختلف أهل رحمة الله.

قال: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٩]؟

قال: خلق أهل الجنة للجنة، وأهل النار للنار، فكان الرجلُ بعدَ ذلك يُكذِّب عن الحسن[(١)].

٥٤٢ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: ثنا إسماعيل ابن عُليَّة، عن منصور بن عبد الرحمٰن، قال: قلت للحسن: قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾، قال: الناس مختلفون على أديانٍ شتَّى، إلَّا من رَحِمَ ربُّك، ومن رَحِم ربُّك غير مُختلفٍ.

قلت: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾؟

قال: نعم، خلق هؤلاء للجنة، وخلق هؤلاء للنار، وخلق هؤلاء للرحمة، وخلق هؤلاء للعذاب.

٥٤٣ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: حدثني أبو أُمية الواسطي، قال: ثنا يزيد بن هارون، قال: ثنا مبارك، عن الحسن في قوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾،

فيدَّعي أن إمامه في ذلك: الحسن بن أبي الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ.

فيضيف إلى قبيح كُفرِه وزندقته أن يرميَ إمامًا من أئمة المسلمين، وسيدًا من ساداتهم، وعالمًا من علمائهم بالكفر، ويفتري عليه البُهتان، ويرميه بالإثم والعدوان؛ ليُحسِّن بذلك بدعته عند من قد خصمه وأخزاه.

وأنا أذكر من كلام الحسن رَحِمَهُ اللهُ في القدر، وردِّه على القدرية ما يسخن الله به عيونهم، ويظهر للسامعين قبيح كذبهم إن شاء الله تعالى. اهـ.

(١) تقدم بيان معناه برقم (٣٩١).

قال: على الهُدى، ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود]، قال: أهلُ رحمةِ الله لا يختلفون، ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾، قال: للاختلاف خَلَقَهم.

٥٤٤ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا عَمرو بن عثمان، قال: ثنا بقية بن الوليد، عن ثور بن يزيد، عن الحسن بن أبي الحسن، قال: جفَّ القلمُ، وقُضِيَ القضاءُ، وتمَّ القدرُ بتحقيقِ الكتاب، وتصديقِ الرُّسل، وسعادةِ من عَمِلَ واتقى، وشقاوةِ من ظلمَ واعتدى، وبالولاية من الله للمؤمنين، وبالتبرئة من الله للمشركين. [٤٠/أ]

٥٤٥ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا قُتيبة بن سعيد، قال: ثنا حماد بن زيد، عن عوف، قال: سمعت الحسن يقول: من كفرَ بالقدر؛ فقد كفرَ بالإسلام، ثم قال: إن الله تعالى خلقَ خلقًا، فخلقهم بقدرٍ، وقسم الآجال بقدرٍ، وقسم أرزاقهم بقدرٍ، والبلاء والعافية بقدر[١].

٥٤٦ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا محمد بن أبي بكر المُقَدَّمي، قال: ثنا حماد بن زيد، عن خالد الحذاءِ، عن الحسن قال: ﴿مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ۝ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ۝﴾ [الصافات]، قال: الشياطينُ لا يفتنون بضلالتهم إلَّا من قد أوجبَ الله له أن يَصلَى الجحيمَ.

٥٤٧ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا إبراهيم بن عبد الله الهروي، قال: ثنا إسماعيل بن إبراهيم، قال: ثنا خالد الحذَّاء، عن الحسن، قال: قلت له: أرأيت قوله تعالى: ﴿مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ۝ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ۝﴾ [الصافات]؟

قال: إلَّا من كُتِبَ عليه أن يَصْلى الجحيم[٢].

---

(١) في «القضاء والقدر» (٢١٢) عن ابن نجيح، قال: سمعت الحسن وأتاه رجل، فأخذ بعنان دابته، فقال: تزعم أنه من قتل مظلومًا فقد قتل في غير أجله.
قال: فمن يأكل بقية رزقه يا لُكع، خلِّ الدابة بل قُتِلَ في أجله.
فقال: والله ما أحب أن لي بما سمعتُ منك اليومَ ما طلعت عليه الشمس.

(٢) كُرِّر هذا الأثر في الأصل سندًا ومتنًا.

٥٤٨ - وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا إبراهيم بن عبد الله، قال: أنا هشيم، قال: أنا منصور، عن الحسن في قوله تعالى: ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ١٦٢ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ١٦٣﴾، يقول: لستم عليه بمضلِّين، ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ١٦٣﴾، من سبَقَ له في علمِ الله تعالى أنه يَصلى الجحيم.

٥٤٩ - وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا عبيد الله بن عمر القواريري، قال: ثنا حماد بن زيد، قال: ثنا خالد الحذَّاء، قال: خرجتُ - أو غِبتُ غَيبة لي - والحسنُ لا يتكلّم في القدر، فقدمتُ وإذا هم يقولون: قال الحسن، وقال الحسن. فأتيتُه، ودخلت عليه منزله، قال: فقلت: يا أبا سعيد، أخبرني عن آدم، أللسماءِ خُلِقَ، أو للأرض خُلِقَ؟

قال: ما هذا يا أبا مُنازل؟!

قال حماد: يقول لي خالد: ولم تكن هذه من مسائِلنا.

قال: قلت: يا أبا سعيد، إني أُحب أن أعلم.

قال: بل للأرض خُلِقَ.

قال: قلت: أرأيت لو اعتصمَ فلم يأكل من الشجرة؟

قال: لم يكن له بُدٌّ من أن يأكل منها؛ لأنه للأرض خُلِق[1].

- قال الكرجي القصاب رَحِمَهُ اللهُ في «نكت القرآن» (٣/ ٧٤٠): كان الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ يقول: يعني: يا بني إبليس، إنكم لن تستطيعوا أن تُضلوا أحدًا إلَّا من كان في علم الله أن يَصلى الجحيم. وهو حَسَن من قوله وبراءة مما رُمي به من القدر، وحُجَّة على من يحسب أنه منهم.اهـ.

(١) في «القضاء والقدر» للبيهقي (٤٢٢) عن مروان مولى هند بنت المُهلَّب قال: دعا معبدٌ إلى القدر علانية، فما كان أحدٌ أشدّ عليه في التفسير والرواية والكلام من الحسن، فغِبتُ في وجهِ خرجتُ فيه، ثم قدمت فلقيت معبدًا، فقال لي: أما شعرت أن الشيخ قد وافقني، فاصنعوا ما شئتم بعد. - يعني: الحسن البصري -.

فقلت في نفسي: أما واللهِ على ذلك أبداً بأول منه آتيه. فذهبت حتى أتيته، =

٥٥٠ - وأخبرنا أبو زكريا يحيى بن محمد الحنائي، قال: ثنا محمد بن عبيد بن حِساب، قال: ثنا حماد بن زيد، عن خالد الحذاء، قال: خرجتُ خَرْجَةً لي ثم قدمتُ، فقيل: إن الحسن قد تكلَّم في القدر فأتيتُه، فقلت: يا أبا سعيد، آدم خُلِقَ للأرض أم للسماءِ؟

قال: ما هذا يا أبا مُنازل؟!

فقلت: إني أحبُّ أن أعلمه.

قال: للأرض.

قلت: فلو اعتصم فلم يأكل من الشجرة؟

قال: لم يكن له بُدٌّ من أن يأكلَ منها؛ لأنه للأرضِ خُلِقَ.

٥٥١ - وأخبرنا أبو عبد الله أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي، قال: ثنا محمد بن بكار، قال: ثنا إسماعيل بن زكريا، عن عاصم الأحول، قال: سمعت الحسن يقول: من كذَّب بالقدر؛ فقد كذَّب بالحقِّ مرتين؛ إن الله قدَّرَ خلقًا، وقدَّرَ أجلًا، وقدَّرَ بلاءً، وقدَّرَ مُصيبة، وقدَّرَ مُعافاة، فمن كذَّب بالقدر فقد كذَّب بالقرآن.

❁ قال محمد بن الحسين:

بَطَلَتْ دعوى القدريةِ على الحسن، إذ زعموا أنه إمامُهم، يُموِّهون

فاستأذنت عليه، فلما دخلت قلت: يا أبا سعيد، قول الله تبارك وتعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [المسد]، كان في أُمِّ الكتاب قبل أن يخلق الله ﷻ أبا لهبٍ؟

فقال: سبحان الله! ما شأنك؟! نعم والله، وقبل أن يَخلق أبا أبيه.

قال: فقلت: فهل كان أبو لهبٍ يستطيع أن يؤمن حتى لا يَصلى هذه النار؟

قال: لا والله ما كان يستطيع.

قال: أحمد الله، هذا الذي كنت عهدتك عليه، إن الذي دعاني إلى ما سألتك أن معبدًا الجهني أخبرني أنك قد وافقته.

قال: كذَبَ لُكَعُ، كذَبَ لُكع.

على الناس، ويكذبون على الحسن، لقد ضلوا ضلالًا بعيدًا، وخسِروا خسرانًا مبينًا[١].

---

(١) في «زوائد الزهد» لعبد الله (ص٢٨٥)، و«المعرفة والتاريخ» للفسوي (٢/ ٤٤)، بإسناد صحيح عن الحسن أنه قال: مَن كذَّبَ بالقدرِ فقد كَفَرَ.

- وعند أبي داود في «السُّنن» (٤٦٢١) عن ابن عون قال: كنتُ أسير بالشَّام فناداني رجل مِن خلفي، فالتفتُّ؛ فإذا رجاء بن حيوة، فقال: يا أبا عون، ما هذا الذي يذكرون عن الحسن؟! قلت: إنهم يكذبون على الحسن كثيرًا.

- وعنده كذلك (٤٦٢٢) قال أيوب: كَذَبَ على الحسن ضربان مِن الناسِ، قومٌ القدرُ رأيُهم، وهم يُريدون أن يُنَفِّقوا بذلك رأيهم، وقومٌ له في قلوبهم شنآنٌ وبغض، يقولون: أليس من قوله كذا؟ أليس من قوله كذا؟

قلت: والذي يظهر من مجموع ما ذُكر من الآثار في هذا الباب عن الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قد تكلم بشيءٍ في القدر أُخِذَ عليه فيه.

- ففي «العلل ومعرفة الرجال» (٢١٢٣) قال أبو معاوية: حدثنا هشام وسألته عن الذي ذُكِرَ من أمر الحسن في القدر، فقال: كذبوا، إنما تغفَّلوا الشيخ بكلمة؛ فقالوا عليها.

- وفي «سُنن أبي داود» (٤٦٢٤) قال ابن عون: لو علمنا أن كلمة الحسن تبلغ ما بلغت لكتبنا برجوعه كتابًا، وأشهدنا عليه شهودًا؛ ولكنا قلنا: كلمة خرجت لا تُحمل.

- وفيه (٤٦٢٥) عن أيوب قال: قال لي الحسن: ما أنا بعائد إلى شيء منه أبدًا.

- وفي «الإبانة الكبرى» (١٦٩٢) عن العلاء بن عبد الله قال: دخلت على الحسن وهو جالس على سرير هندي، فقلت: ودِدتُ أنك لم تتكلم في القدر بشيء.

فقال: وأنا وددتُ أني لم أكن تكلمت فيه بشيء.

- وفيه (١٨٠٧) عن حمزة بن دينار، قال: عُوتب الحسن في شيءٍ من القدر، فقال: كانت مَوعظة فجعلوها دينًا.

- وفي «الضعفاء» للعقيلي (٤٧٤٩) قال حماد بن زيد: كان عطاء بن أبي ميمونة ممن ألقى إلى الحسن ذلك الرأي. - يعني: القدر -.

- وفي «القدر» للفريابي (٣٥٤) عن أيوب، قال: نازلت الحسن في القدر وما عندي وعنده أحدٌ إلَّا حميد الطويل، فقال: أولستما تريان ذلك؟

ابن سيرين[(١)]

٥٥٢ ـ أخبرنا الفريابي، قال: ثنا أبو عثمان أحمد بن محمد الْمَقدَمي، قال: ثنا سُليمان بن حرب، قال: ثنا عُبيد الله بن شُميط، عن عثمان البتِّي[(٢)]، قال: دخلت على ابن سيرين، فقال لي: ما يقول الناس في القدر؟

قال: فلم أدرِ ما رددتُ عليه.

قال: فرفع شيئًا من الأرض، فقال: ما يزيد على ما أقول لك مثل هذا: إن الله تعالى إذا أراد بعبدٍ خيرًا؛ وفَّقه لمَحَابِّه وطاعته، وما يرضى به

قال: فما زلت حتى خوَّفته بالسلطان، فقال: ما أنا بعائد إليه.

ـ وفيه (٤٧٥٠) قال حماد بن زيد: كان معبد الجهني أول من تكلم في القدر بالبصرة، وكان عطاء بن أبي ميمونة فكأنَّ لسانه سِحر، قال: وقد رأيتُه وكان يرى القدر.

قال: وكانا يأتيان الحسن فيقولان: يا أبا سعيد، إن هؤلاء الملوك يسفكون دِماء المسلمين، ويأخذون الأموال، ويفعلون ويقولون: إنما تجري أعمالنا على قدر الله.

قال: فقال: كذب أعداء الله.

قال: فيتعلَّقون بمثل هذا وشبهه عليه، فيقولون: يرى رأي القدر.

ـ وفي «السُّنة» للخلال (٨٩٨) قال حنبل بن إسحاق: قال أبو عبد الله: ونؤمن بالقدر خيره وشرِّه. قال: ومن قال بالقدر وعظَّم المعاصي فهو أقرب، مثل الحسن وأصحابه.

ـ وفي «السير» (٤/ ٥٨٢) عن ابن سيرين رَحِمَهُ اللهُ وقيل له في الحسن: وما كان ينحل إليه أهل القدر؟ قال: كانوا يأتون الشيخ بكلام مجمل لو فسروه له لساءهم.

ـ وفي «السنة» لعبد الله (٩٢١) قال حُميد: قرأتُ على الحسن في بيت أبي خليفة القرآن أجمَعَ، مِن أوَّلِه إلى آخرِه، فكان يُفسِّرُه على الإثبات.

(١) محمد بن سيرين مولى أنس بن مالك رضي الله عنه، أدرك ثلاثين صحابيًا، توفي سنة (١١٠هـ) رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) في هامش الأصل: (التيمي) خ.

عنه، ومن أراد به غير ذلك؛ اتخذ عليه الحُجَّة، ثم عذَّبه غير ظالمٍ له.

٥٥٣ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا عُبيد الله بن معاذ، قال: ثنا أبي، قال: ثنا ابن عون، عن محمد بن سيرين أنه قال: ما يُنكر قومٌ أن الله عَلِمَ شيئًا فكتبه؟!

٥٥٤ ـ أخبرنا الفريابي، قال: ثنا قُتيبة بن سعيد، قال: ثنا معاذ بن معاذ، عن ابن عون، قال: لم يكن أبغضَ ـ أو قال: أكْرهَ ـ إلى محمد بن سيرين من هؤلاء القدرية[1].

٥٥٥ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا عبيد الله بن معاذ، قال: ثنا أبي، قال: ثنا ابن عون، قال: لم يكن قومٌ أبغضَ إلى محمد بن سيرين من قومٍ أحدثوا في هذا القدر ما أحدثوا.

٥٥٦ ـ أخبرنا الفريابي، قال: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: ثنا معاذ، قال: أخبرني ابن عون، قال: أخبرَ رجلٌ محمد بن سيرين، عن رجلين اختصما في القدر، فقال: أحدهما لصاحبه: أرأيت الزنا بقدرٍ هو؟

قال الآخر: نعم.

قال محمد: وافق رجلًا حيًا.

٥٥٧ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: ثنا معاذ بن معاذ، قال: أنا ابن عون، عن محمد ـ يعني: ابن سيرين ـ أنه كان يرى أن أسرعَ الناس ردَّةً: أهلُ الأهواء.

---

(١) في «الإبانة الكبرى» (١٨٤٨) عن ابن عون قال: عطست شاةٌ عند ابن سيرين، فقال: يرحمكِ الله أن لم تكوني قدرية.

ـ وفي «القضاء والقدر» (٤٤٢) عن صالح المري قال: جاء سلم بن قتيبة إلى محمد بن سيرين، فسأله عن شيء من القدر.

فقال محمد: اختر؛ إما أن تقوم عني، وإما أن أقوم عنك.

مُطرِّف بن عبد الله(١)

٥٥٨ ـ حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، قال: ثنا عبيد الله بن عمر القواريري، قال: ثنا جعفر بن سليمان، قال: ثنا ثابت، عن مُطرِّف أنه قال: نظرتُ فإذا ابنُ آدم مُلقًى بين يدي ربه تعالى، وبين يدي إبليس، فإن شاءَ الله تعالى أن يعصمه عصمه، وإن تركه ذهب به إبليس.

٥٥٩ ـ أخبرنا أبو زكريا يحيى بن محمد الحنائي، قال: ثنا محمد بن عبيد بن حساب، قال: ثنا حماد بن زيد، قال: ثنا داود بن أبي هند، [٤٠/أ] قال: قال مُطرِّف: لم نُوكل إلى القدر، وإليه نصير(٢).

---

(١) ابن الشخير الصحابي الحرشي العامري الإمام القدوة، توفي سنة (٩٥هـ) رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) ولفظ عبد الله بن أحمد في «السُّنة» (٨٧٦): لم نوكَلْ في القرآنِ إلى القدرِ، وقد أُخبرنا في القرآنِ أنا إليه نصير.

ـ وفي «تفسير ابن أبي حاتم» (٥٦٤٨) عن مطرف بن عبد الله قال: ما تريدون من القدر؟ أما تكفيكم الآية التي في سورة النساء: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ﴾ [النساء: ٧٨]، أي: من نفسك، والله ما وكلوا إلى القدر وقد أمروا، وإليه يصيرون.

ـ قال ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٣٦٣): وهذا كلام متينٌ قويٌّ في الرد على القدرية والجبرية أيضًا. اهـ.

ـ وفي «السُّنة» للخلال (٩٠٨/أ) قال مهنا: سمعت ضمرة ـ يعني: ابن ربيعة ـ يقول: قال مالك بن أنس: لم نؤمر أن نتَّكل على القدر، وإليه نصير.

وفي هذه الأقوال عن السلف ردٌّ على الجبرية الذين يتَّكلون على القدر ويتركون العمل والاجتهاد فيه.

ـ ففي «السُّنة» للخلال (٩٠٥) قال إسحاق: كنت يومًا عند أبي عبد الله [أحمد بن حنبل] فجاء رجلٌ، فقال له: إن فلانًا قال: إن الله جبرَ العبادَ على الطاعة.

قال: بئس ما قال.

ـ وفيه (٩١٦) عن بقية قال: سألت الزبيدي والأوزاعي عن الجبر؟

فقال الزبيدي: أمْرُ الله أعظم، وقدرته أعظم من أن يُجْبِر أو يُعْضِل؛ ولكن =

٥٦٠ ـ أخبرنا الفريابي، قال: ثنا أبو كامل الجحدري، قال: ثنا بشر بن المُفضَّل، قال: ثنا داود بن أبي هند، قال: ذكر القدر، فقال مُطرِّف: لم نُوكل إليه؛ ووجدنا إليه نصير(١).

إياس بن معاوية

٥٦١ ـ أخبرنا الفريابي، قال: ثنا محمد بن عبيد بن حساب، قال: ثنا حماد بن زيد، قال: ثنا حبيب بن الشهيد، قال: سمعت إياس بن معاوية يقول: لم أُخاصمْ بعقلي كلِّه من أصحابِ الأهواءِ غيرَ أصحابِ القَدَر، قال:

قلت: أخبروني عن الظُّلم في كلام العرب: ما هو؟

قالوا: أن يأخذ الرجل ما ليس له.

قال: قلت: فإن لله ﷻ كلَّ شيءٍ(٢).

يقضي ويُقدِّر، ويخلقُ ويَجبل عبده على ما أحبه.

وقال الأوزاعي: ما أعرف للجبر أصلًا من القرآن ولا السُّنة، فأهابُ أن أقول ذلك؛ ولكن: (القضاء)، و(القدر)، و(الخلق)، و(الجبل)، فهذا يعرف في القرآن والحديث عن رسول الله ﷺ، وإنما وصفت هذا مخافة أن يرتاب رجلٌ من الجماعة والتصديق.

* وانظر: كلام ابن تيمية رحمه الله في «درء التعارض» (١/ ٦٥) على هذا الأثر. وقد نقلته في تحقيق «السنة» للخلال تحت رقم (٩١٦).

(١) ومن أقواله رحمه الله في القدر:

ـ في «الإبانة الكبرى» (١٨٢٥) عن مُطرِّف قال: ليس لأحدٍ أن يصعد فوق بيتٍ فيُلقِيَ نفسه، ثم يقول: قُدِّرَ لي، ولكنا نتقي ونحذر، فإن أصابنا شيء علمنا أنه لن يُصيبنا إلَّا ما كَتَبَ الله لنا.

ـ وفيه (١٨٣٦) أنه كان يقول: لو كان الخير في كفِّ أحدنا ما استطاع أن يُفرغه في قلبه حتى يكون الله هو الذي يُفرغه في قلبه.

(٢) (هذا الذي قاله إياس رحمه الله صحيحٌ ومما لا نزاع فيه بين أهل الإثبات، فإنهم متفقون مع أهل الإيمان بالقدر على أن كل ما فعله الله هو عدلٌ. =

وهذه العبارة خرجت على سبيل المُناظرة، كما صرَّح هو نفسه، وهذه المُناظرة من إياس كمناظرة ربيعة بن أبي عبد الرحمٰن لغيلان حين قال له غيلان: نشدتك الله، أترى الله يُحبُّ أن يُعصى؟

فقال: نشدتك الله، أترى يُعصى قسرًا؟ - يعني: قهرًا - فكأنما ألقمه حجرًا.

فإن قوله: (يُعصى قسرًا) لفظ فيه إجمالٌ، وقد لا يتأتى في المناظرة تفسير المُجملات خوفًا من لَدَد الخصم، فيؤتى بالواضحات، فقال: (أفتراه يُعصى قسرًا؟)، فإن هذا إلزام له بالعجز الذي هو لازمٌ للقدرية ولمن هو شرٌّ منهم من الدهرية الفلاسفة وغيرهم، وكذلك إياس رأى أن هذا الجواب المطابق لحدِّهم خاصمٌ لهم، ولم يدخل معهم في التفصيل الذي يطول).

[انظر: «الفتاوى الكبرى» (١/ ٧٨)، و«جهود ابن تيمية في توضيح الإيمان بالقدر» (١/ ٦٠٥)]

* «تنبيه»: من المعلوم عند جميع المسلمين وسائر أهل الملل أن الله تعالى عادلٌ، قائم بالقسط، لا يظلم شيئًا، بل هو مُنزَّهٌ عن الظلم.

ولكن لما تنازعوا في القدر تنازعوا في معنى (العدل)، وفي معنى (الظلم) الذي هو مُنزَّهٌ عنه.

* فـ (العدل) عند القدرية: يقتضي إخراج أفعال العباد عن قُدرة الله وخلقه، لأنه لو خلق أعمالهم، وخصَّ بعضهم بهُدًى، وبعضهم بضلالةٍ، ثم عذَّبهم على خلقه وإضلاله، كان ذلك (ظُلمًا) وهو قبيحٌ، والله تعالى لا يفعل القبيح.

فـ(العدل) من الله تعالى عند القدرية المُعتزلة: هو نظير عدل الآدميين.

و(الظلم) منه: هو نظير الظلم من الآدميين بعضهم لبعضٍ.

وشبَّهوا الله تعالى ومثَّلوه في أفعاله بأفعال العباد.

فهم مُشبِّهة الأفعال؛ لأنهم يقيسون أفعال الله تعالى بأفعال عباده.

* وزعمت الجبرية الجهمية والأشعرية أن (العدل): هو كل مقدورٍ، وهو ما للفاعل أن يفعله.

و(الظلم): هو التصرُّف في مُلك الغير بغير إذنه.

فـ(الظلم) لا يتصوّر في حقِّ الله تعالى، وهو ممتنع في حقِّه؛ لأنه مالك كل =

شيء، ولا يَقبح منه شيء.

فلما كان الله تعالى مالكًا لكل شيء، وليس فوقه شيء، فـ(الظلم) غير متصوَّرٍ ولا مُمكن، وكل ما تُصوِّر وقدِّرَ وجوده فهو عدلٌ.

فهم يجوّزون على الله تعالى كل شيء مُمكن، ولا يُنزّهونه عن فعلٍ لكونه قبيحًا أو نقصًا، حتى تعذيب الأطفال وغير الأطفال بلا ذنبٍ، وأن يخلُقَ خلقًا يُعذّبهم بالنار أبدًا لا لحِكمة أصلًا، وأن يُعذّب الموحّدين المُخلصين من غير ذنبٍ، ويرون أنه خلق في العبدِ الذنوبَ، ولا قُدرة للعبد على تركها، ثم عذَّبه بالنار لا لحِكمة، ولا لرعاية عدلٍ في حقّه تعالى. فـ(الظلم) لا يوجد في أفعال الله تعالى؛ لأن الظلم هو الممتنع، وكل ما وقع فعلًا له تعالى فليس ظُلمًا؛ لأنه تصرُّفٌ في مُلكه.

* أما (العدل) و(الظلم) عند أهل السُّنة؛ فقد توسطوا أهل البدع في تعريفه، فقالوا: إن (العدل): وضع كل شيء في موضعه. و(الظلم): وضع الشيء في غير موضعه.

مثل: أن يترك حسناتِ المُحسن فلا يجزيَه بها، ويُعاقبَ البريء على ما لم يفعل من السيئات، ويُعاقبَ هذا بذنب غيره، أو يحكمَ بين الناس بغير القسط، ونحوِ ذلك من الأفعال التي يتنزَّه الرب عنها لقسطه وعدله، وهو قادرٌ عليها، وإنما استحقّ الحمدَ والثناءَ لأنه ترك هذا الظلم وهو قادرٌ عليه، وكما أن الله مُنزَّهٌ عن صفات النقص والعيب فهو أيضًا مُنزَّهٌ عن أفعال النقص والعيب، وهذا هو الظلم الذي حرَّمه الله على نفسه.

ـ قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتاوى الكبرى» (١/ ٧٧) وهو يتكلم عن (الظلم) المنفي في حق الله تعالى: وهذا الموضع زلَّت فيه أقدام، وضلَّت فيه أفهام، فعارض هؤلاء آخرون من أهل الكلام المثبتين للقدر، فقالوا: ليس للظلم منه حقيقة يمكن وجودها، بل هو من الأمور المُمتنعة لذاتها، فلا يجوز أن يكون مقدورًا، ولا يقال: إنه هو تارك له باختياره ومشيئته، وإنما هو من باب الجمع بين الضدين... وإلَّا فمهما قُدِّرَ في الذهن، وكان وجوده مُمكنًا، والله قادرٌ عليه فليس بظلم منه سواء فعله أو لم يفعله، وتلقَّى هذا القولَ عن هؤلاء: طوائفُ من أهل الإثبات من الفقهاء، وأهل الحديث من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم.. وفسَّروا هذا الحديث [«يا عبادي إن حرَّمت =

الظلم على نفسي»] بما ينبني على هذا القول، وربما تعلَّقوا بظاهر من أقوال مأثورة، كما رويناه عن إياس بن معاوية أنه قال: ما ناظرتُ بعقلي كله أحدًا إلَّا القدرية، قلت لهم: ما الظلم؟ قالوا: أن تأخذ ما ليس لك، أو أن تتصرَّف فيما ليس لك. قلت: فللّه كل شيء.

وليس هذا من إياس إلَّا ليُبين أن التصرُّفاتِ الواقعةَ هي في مُلكه، فلا يكون ظُلمًا بموجب حدِّهم، وهذا مما لا نزاع بين أهل الإثبات فيه، فإنهم مُتفقون مع أهل الإيمان بالقدر على أن كل ما فعله الله هو عدل.. وإياس رأى أن هذا الجواب المُطابق لحدِّهم خاصِمٌ لهم، ولم يدخل معهم في التفصيل الذي يطول.

وبالجملة فقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾ [طه]، قال أهل التفسير من السلف: لا يخاف أن (يُظلم) فيُحمل عليه سيئات غيره، ولا (يُهضم) فينقص من حسناته.

وبهذا يتبيَّن القول المتوسط: وهو أن (الظلم) الذي حرَّمه الله على نفسه: مثل أن يترك حسنات المُحسن فلا يجزيه بها، ويُعاقب البريء على ما لم يفعل من السيئات، ويعاقب هذا بذنب غيره، أو يحكم بين الناس بغير القسط، ونحو ذلك من الأفعال التي يَتنزَّه الرب عنها لقسطه وعدله، وهو قادرٌ عليها، وإنما استحقَّ الحمد والثناء؛ لأنه ترك هذا (الظلم) وهو قادرٌ عليه، وكما أن الله مُنزَّهٌ عن صفات النقص والعيب، فهو أيضًا مُنزَّهٌ عن أفعال النقص والعيب.

وعلى قول الفريق الثاني [الجبرية الجهمية والأشعرية]: ما ثَمَّ فعل يجب تنزيه الله عنه أصلًا. والكتاب والسُّنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها يدلُّ على خلاف ذلك، ولكنْ مُتكلِّمو الإثبات لما ناظروا مُتكلِّمة النفي ألزموهم لوازم لم ينفصلوا عنها إلَّا بمقابلة الباطل بالباطل.اهـ.

* «فائدة» قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» (٣/ ٩٣٤ ـ ٩٣٦): ويقولون ـ يعني: الجهمية ـ: نحن نُنَزِّه الله تعالى عن: (الأعراض)، و(الأغراض)، و(الأبعاض)، و(الحدّود)، و(الجهات)، و(حلول الحوادث)، فيَسمع الغِرُّ المخدوع هذه الألفاظ فيتوهّم منها أنهم ينزِّهون الله عمّا يفهم من معانيها عند الإطلاق من العيوب والنقائص =

٥٦٢ - حدثنا أبو بكر محمد بن إسماعيل البُندار، قال: ثنا بُندار محمد بن بشار، قال: ثنا صفوان بن عيسى، قال: ثنا حبيب بن الشهيد، قال: جاءوا برجلٍ إلى إياس بن معاوية، فقالوا: هذا يتكلَّم في القدر، فقال إياس: ما تقول؟

قال: أقول: إن الله تعالى قد أمر العباد ونهاهم، وإن الله لا يظلم العبادَ شيئًا.

قال له إياس: أخبِرْني عن الظُّلم، تعرفه أو لا تعرفه؟

قال: بلى، أعرفه.

قال: ما الظلم؟

قال: أن يأخذ الرجل ما ليس له.

قال: فمن أخذ ما له ظَلَمَ؟

قال: لا.

قال إياس: الآن عرفت الظلم[1].

والحاجة، فلا يشكُّ أنهم يُمجِّدونه، ويُعظِّمونه، ويكشف الناقد البصير ما تحت هذه الألفاظ فيرى تحتها الإلحاد، وتكذيب الرُّسل، وتعطيل الرَّبِّ تعالى عما يستحقّه من كماله.

فتنزيههم عن (الأعراض): هو جحد صفاته: كسمعه، وبصره، وحياته، وعلمه، وكلامه، وإرادته، فإن هذه (الأعراض) له عندهم لا تقوم إلَّا بجسم، فلو كان مُتصفًا بها لكان جسمًا، وكانت أعراضًا له، وهو مُنزّه عن الأعراض.

وأما (الأغراض): فهي الغاية والحكمة التي لأجلها يخلق ويفعل، ويأمر وينهى، ويثيب ويُعاقب، وهي الغايات المحمودة المطلوبة من أمره ونهيه وفعله، ويسمونها أغراضًا منه، وعللًا ينزهونه عنها... إلخ.

(١) في «الإبانة الكبرى» (٢٠٣٥) عن عبد الله بن نُمير، قال: كتب أبو داود الدؤلي إلى سفيان الثوري: أما بعد؛ فما تقول في ربٍّ قدَّر عليَّ هُداي، وعصمتي، وإرشادي، فخذلني وأضلني، وحرمني الصواب، وأوجب عليَّ العِقاب، وأنزلني دار العذاب؛ أعَدَلَ عليَّ هذا الرب أم جار؟

زيد بن أسلم(١)

قال: فكتب إليه سفيان: أما بعد؛ فإن كنت تزعمُ أن العِصمةَ والتوفيق والإرشاد وجب لك على الله فمنعك ذلك؛ فقد ظلمك، ومُحالٌ أن يظلم الله ﷻ أحدًا.

وإن كنت تزعم أن ذلك من فضل الله؛ فإن فضل الله يؤتيه من يشاء، والله واسعٌ عليم.

- وفيه أيضًا (٢٠٣٧) عن أبي صالح قال: قال رجل من القدرية لأبي عصام العسقلاني: يا أبا عصام، أرأيت مَنْ منعني الهُدى، وأوردني الضلالةَ والرَّدى، ثم عذبني، يكون لي مُنصِفًا؟

قال: فقال له أبو عصام: إن يكن الهُدى شيئًا لك عنده فمنعك إياه؛ فما أنصفك.

وإن يكن الهُدى شيئًا هو له؛ فله أن يُعطي من يشاءُ، ويمنع من يشاء.

- قال ابن تيمية رحمه الله في «درء التعارض» (٨/ ٤٧٥): وهو سبحانه مُحسنٌ متفضِّلٌ إلى مَنْ أمرهم ونهاهم بقَدْرٍ زائد لا يَقدِر عليه ولا يفعله غيرُه، وهو أنْ جعلهم مؤمنين مُسلمين مُطيعين، وهذا لا يقدر عليه غيره من الآمرين الناهين، وهو في ذلك محسنٌ إليهم، مُنعِمٌ عليهم نعمة ثانية، غير نعمته بالإرسال والبيان والإنذار، فهذه نعمة يختصون بها غير النعمة المشتركة. وأما الكفار فلم يُنعم عليهم بمثل ما أنعم به على المؤمنين، ومن لم ينعم ويحسن بمثل ذلك، لم يكن قد أساء وظلم مع الإقدار والتمكين وإزاحة العلل، إذا كان له في ترك ذلك حِكمة بالغة، لو فعل بهم مثلما فعل بالأولين بطلت تلك الحِكمة التي هي أعظم من طاعتهم، وحصلت مفسدة أعظم من مفسدة معصيتهم.

فمِنْ وجهٍ ليس ذلك بواجب عليه لهم، ومِنْ وجهٍ له في ذلك حِكمة بالغة لا تجتمع هي ومساواتهم بأولئك، فتقتضي الحِكمة ترجيح خير الخَيرين بتفويت أدناهما، ودفع شرِّ الشرَّين بالتزام أدناهما. اهـ.

(١) أبو عبد الله العدوي العمري الإمام المدني الفقيه، والده: أسلم مولى عمر رضي الله عنه.

قال البخاري رحمه الله: كان علي بن الحسين رحمه الله يجلس إلى زيد بن أسلم، =

٥٦٣ ـ أخبرنا الفريابي، قال: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: ثنا أبو أسامة، عن سفيان، عن ابن جُريج، عن زيد بن أسلم: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات]، قال: مما جُبِلوا عليه من شِقوةٍ أو سعادةٍ(١).

فكُلِّم في ذلك. فقال: إنما يجلس الرجل إلى من ينفعه في دينه. توفي سنة: (١٣٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ.

(١) قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسيره» (٢١/ ٥٥٣) عند هذه الآية:

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾.

فقال بعضهم: معنى ذلك: وما خلقتُ السعداء من الجن والإنس إلَّا لعبادتي، والأشقياء منهم لمعصيتي. ـ ثم أسند هذا القول إلى زيد بن أسلم كما عند المُصنف ـ.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وما خلقت الجن والإنس إلَّا ليذعنوا لي بالعبودة.

وأسند عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قوله: إلَّا لِيُقِرُّوا بالعبودة طوعًا وكرهًا.

قال ابن جرير: وأولى القولين في ذلك بالصواب القول الذي ذكرنا عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهو: ما خلقت الجن والإنس إلَّا لعبادتنا، والتذلُّل لأمرنا.

فإن قال قائل: فكيف كفروا وقد خلقهم للتذلُّلِ لأمره؟

قيل: إنهم قد تذللوا لقضائه الذي قضاه عليهم؛ لأن قضاءه جارٍ عليهم، لا يقدرون من الامتناع منه إذا نزل بهم، وإنما خالفه من كفر به في العمل بما أمره به، فأما التذلُّل لقضائه فإنه غير ممتنع منه. اهـ.

ـ وقد بيَّن ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «جامع المسائل» (٦/ ٦١) أن اللام في قوله: ﴿لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ لام إرادة المحبة والرِّضا والأمر، لا أنها لام الإرادة العامة الشاملة للكائنات، كاللام في قوله تعالى: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٩]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، فهذه (اللام) لام الإرادة العامة الشاملة الكونية، وتلك (اللام) لام الإرادة الدينية، ويجب الفرق بين اللامين والعلتين والغايتين، كما فرَّق بين الأمرين والإرادتين والحكمتين والبعثين والإرسالين، وليس كلُّ ما يحبه ويرضاه ويفرح به لخلقه يكون، وإنما كل ما شاء يكون.

٥٦٤ ـ أخبرنا الفريابي، قال: ثنا سويد بن سعيد، قال: ثنا حفص بن ميسرة، عن زيد بن أسلم في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧﴾ [طه]، قال: عَلِمَ أسرارَ العباد، وأخفى سرَّه فلم يُعلم(١).

٥٦٥ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا سويد بن سعيد، قال: ثنا المُعتمر بن سُليمان، عن محمد بن جعفر، عن زيد بن أسلم، قال: (القدر): قُدرة الله تعالى، فمن كذَّب بالقدر؛ فقد جحد قُدرة الله تعالى(٢).

---

(١) ذكر ابن جرير في «تفسيره» (١٦/ ١٧) خلاف السلف في تفسير قوله: (وأخفى)، فذكر تفسير زيد بن أسلم رَحِمَهُ اللهُ أحد معاني تفسير هذه الآية، وذكر غيرَه فقال:

قال بعضهم: معناه: وأخفى من السرِّ، قال: والذي هو أخفى من السرِّ ما حدَّث به المرء نفسه ولم يعمله. وأسند هذا القول عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وغيره.

وقال آخرون: بل معناه: وأخفى من السرِّ ما لم تُحدِّث به نفسك، وأسند هذا القول عن مجاهد، وقتادة، والضحاك.

قال: والصواب من القول في ذلك، قول من قال: معناه: يعلم السرَّ وأخفى من السرِّ؛ لأن ذلك هو الظاهر من الكلام... ثم ضعَّف قول زيد بن أسلم في تفسير هذه الآية.

(٢) روى ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١٦٨٠) عن زيد بن أسلم عن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ نحوه.

وتقدم برقم (٥٣٣) قول ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: ما في الأرض قومٌ أبغضُ إليَّ من أن يجيئُوني فيُخاصموني من القدرية، وما ذاك إلَّا أنهم لا يعلمون قُدرة الله تعالى.

ـ قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في «منهاج السُّنة» (٣/ ٢٥٤): القدر يتعلَّقُ بقُدرة الله تعالى، ولهذا قال الإمام أحمد: (القدر: قُدرة الله تعالى). يُشير إلى أن من أنكر القدر، فقد أنكر قُدرة الله تعالى، وأنه يتضمن إثبات قدرة الله تعالى على كل شيء. اهـ.

ـ وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في «شفاء العليل» (١/ ٩٨): فإن إنكار القدر إنكار =

٥٦٦ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا عَمرو بن عثمان[(١)]، قال: ثنا أبي، قال: ثنا أبو غسّان، قال: سمعت زيد بن أسلم يقول: ما أعلمُ قومًا أبعد من الله تعالى من قومٍ يخرجونه من مشيئته، ويُنكرونه من قُدرته.

٥٦٧ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا خلف بن محمد الواسطي المعروف بكُرْدُوس، قال: ثنا يعقوب بن محمد، قال: ثنا الزبير بن حَبيب، عن زيد بن أسلم، قال: واللهِ ما قالت القدريةُ كما قال الله تعالى، ولا كما قالت الملائِكة، ولا كما قال النبيون، ولا كما قال أهل الجنة، ولا كما قال أهل النار، ولا كما قال أخوهم إبليس.. وذكر الحديث[(٢)].

محمد بن كعب القُرظي[(٣)]

٥٦٨ ـ أخبرنا الفريابي، قال: ثنا عبد الأعلى بن حماد، قال: ثنا مُعتمر بن سُليمان،

لقدرة الرب على خلق أعمال العباد وكتابها وتقديرها.اهـ.

ـ وقال (١/١٧٨): والقدر عندهم [يعني: أهل السنة] قُدرة الله تعالى، وعِلمه، ومشيئته، وخلقه، فلا تتحرَّك ذرَّةٌ فما فوقَها إلَّا بمشيئته وعلمه وقدرته. اهـ.

ـ وفي «السُّنة» لعبد الله (٨٨٥) قال جعفر: حدثنا مولًى لابن أبي رَوَّاد، قال: كان طاووس بمكةَ يُصلي، ورجلان خلفه يتجادلانِ في القدرِ، فانصرفَ إليهما، فقال: يرحمُكما الله، تُجادلان في حُكمِ الله ﷻ؟!

قلت: ومن هذا الباب ما رواه الخلال في «السُّنة» (٩١٩) عن محمد بن كعب رَحِمَهُ اللهُ أنه قال: إنما تسمَّى الجَبَّارَ؛ لأنه يُجبر الخلق على ما أراد.

(١) في الأصل: (عمرو بن علي)، وهو تصحيف، والتصويب من «القدر» للفريابي (٢٠٨)، فهو من طريقه. وهو كذلك في «الإبانة الكبرى» (١٩٢٧): (عثمان).

وهو عمرو بن عثمان بن كثير بن دينار الحمصي من شيوخ الفريابي، وقد تكرّر ذكره هاهنا مرارًا. وهو يروي عن أبيه كما في «تهذيب الكمال» (١٩/ ٣٧٧).

(٢) تقدم ذكره برقم (٣٩٧).

(٣) المدني، من حلفاء الأوس، الإمام القدوة، توفي سنة: (١١٧هـ) رَحِمَهُ اللهُ.

عن محمد بن أبي حُميد، عن محمد بن كعب القُرظي سمعته يقول: لقد سمَّى الله تعالى المُكذِّبين بالقدر باسم نَسَبَهم إليه في القرآن، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر]، قال: فهم المُجرمون[١].

٥٦٩ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن سالم بن أبي حفصة، عن محمد بن كعب القُرظي في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر]، قال: نزلت تعييرًا لأهل القدر.

٥٧٠ ـ أخبرنا الفريابي، قال: ثنا إسحاق بن موسى الأنصاري، قال: ثنا الحسن بن موسى البزاز، قال: ثنا أبو مودود: أن محمد بن كعب القُرظي قال لهم: لا تخاصموا هذه القدرية، ولا تُجالسوهم، والذي نفسي بيده لا يُجالسُهم رجلٌ لم يجعلِ اللهُ له فقهًا في دينه، ولا عِلمًا في كتابه إلَّا أمرضوه[٢].

---

(١) تقدم تفسير هذه الآية برقم (٣٩٥).

ـ في «تفسير عبد الرزاق» (٣٠٧٢) عن داود بن قيس، قال: سمعت محمد بن كعب القرظي، قال: كنت أقرأ هذه الآية فلا أدري ما عني بها حتى سقطت عليها: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾﴾، فإذا هم المُكذِّبون بالقدر.

ـ وفي «الصفات» لابن المُحبّ (٧٤٨) عن محمد بن كعب قال: قد قرأت القرآن فما خفي عليَّ من معانيه شيء حتى مررت على هؤلاء الآيات: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ الآية، فقال: وما يؤنب الله منهم وهم في النار. قال: فما دريت ما وجهها حتى أدركتها في وجهها، فعرفت أنها لهم.

ـ وفيه (٧٥٠) عن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر، عن أمه، ـ وكانت أمه لبابة بنت عبد الله بن عباس ـ قالت: كنت أزور جدي ابن عباس في كل يوم جمعة قبل أن كفّ بصره، فسمعته يقرأ في المصحف، فلما أتى على هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾﴾ الآية، قال: يا بنتي، ما أعرف أصحاب هذه الآية ما كانوا بعد وليَكُونُنَّ.

(٢) يشهد لذلك ما تقدم برقم (٥٠٥).

والذي نفسُ محمدٍ بيده لوددتُ أنَّ يميني هذه تُقطع على كِبَرِ سِنِّي وأنهم أتموا آيةً من كتاب الله تعالى؛ ولكنهم يأخذون بأوَّلها ويتركون آخرَها، ويأخذون بآخرها ويتركون أولَّها(١).

والذي نفسي بيده لَإبليسُ أعلمُ بالله تعالى منهم؛ يعلمُ من أغواه، وهم يزعمون أنهم يُغْوُون أنفسهم ويرشدونها(٢).

٥٧١ ـ أنْبونا الفريابي، قال: ثنا محمد بن مُصفًى، قال: ثنا بقية بن الوليد، قال: ثنا عمر بن عبد الله مولى غُفرة، عن محمد بن كعب القُرظي، قال: لو أن الله تعالى مانعٌ أحدًا لمنع إبليسَ مسألتَه حين عصاه، ودحره(٣) عن(٤) جنَّته، وآيسَه من رحمته، وجعله داعيًا إلى الغيِّ، فسألَه النَّظِرَة؛ أن يُنظِره إلى يوم يبعثون، فأنظره(٥).

ولو كان الله مُشَفِّعًا أحدًا في شيءٍ ليس في أُم الكتاب، لشفَّع إبراهيم عليه السلام في أبيه حين اتخذه خليلًا، وشَفَّع محمدًا ﷺ في عمِّه.

---

(١) صدق رحمه الله، وسيأتي مثال ذلك في مناظرة عمر بن عبد العزيز رحمه الله لغيلان القدري.

(٢) يشير إلى قوله تعالى حكاية عن إبليس: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [الحجر].

- وفي «تفسير الطبري» (١٠/ ٩٣) قال محمد بن كعب: قاتل الله القدرية، لَإبليسُ أعلمُ بالله منهم.

(٣) «النهاية» (٢/ ١٠٣): (الدَّحْرُ): الدفعُ بعُنفٍ على سبيل الإهانةِ والإذلال.

(٤) في هامش الأصل: (من) خه.

(٥) يشير إلى قوله تعالى حكاية عن إبليس: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحجر].

إبراهيم النخعي[(١)]

٥٧٢ ـ أخبرنا الفريابي، قال: ثنا محمد بن أبي بكر المُقَدَّمي، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم في قول الله تعالى: ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ۝١٦٢ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ۝١٦٣﴾ [الصافات]، قال: بفاتنين إلَّا من قُدِّر له أن يصلى الجحيم.

٥٧٣ ـ أخبرنا الفريابي، قال: ثنا عثمان بن أبي شيبة، قال: ثنا أبو أُسامة، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم في قوله: ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ۝١٦٢﴾ [الصافات]، قال: بمُضلِّين إلَّا من قُدِّر له، وقُضِيَ له أن يصلى الجحيم.

٥٧٤ ـ أخبرنا الفريابي، قال: ثنا عبد الأعلى بن حماد، قال: ثنا محمد بن عبد الله، قال: ثنا يعلى بن [٤١/أ] الحارث المُحاربي، عن وائل بن داود، قال: سمعت إبراهيم يقول: إن آفة كلِّ دِينٍ القدر.

القاسم وسالم[(٢)] وغيرهما

٥٧٥ ـ حدثنا الفريابي، قال: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: ثنا أحمد بن إسحاق، عن عكرمة بن عمَّار، قال: سمعت القاسم وسالمًا يلعنان القدرية[(٣)].

---

(١) أبو عمران، الإمام فقيه العراق، اليماني ثم الكوفي، وقد رأى أم المؤمنين عائشة ﵂ ولم يصح له سماع منها. توفي سنة (٩٦هـ) ﵀.

(٢) القاسم هو: ابن محمد بن أبي بكر الصديق ﵄، أبو محمد القرشي، توفي (١٠٦هـ) ﵀.

قال أبو الزناد: ما رأيت أحدًا أعلمَ بالسُّنة من القاسم بن محمد.

وقال ابن عيينة: كان القاسم بن محمد أفضلَ أهل زمانه.

وسالم هو: ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي، تابعي كبير، وهو أحد الفقهاء السبعة، توفي سنة (١٠٦هـ) ﵀.

(٣) وزاد في «الإبانة الكبرى» (١٦٧١) قال عكرمة: فقلت لهما: من القدرية يرحمكما الله؟

٥٧٦ ـ أخبرنا الفريابي، قال: حدثني إسحاق بن سيار، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثنا معاوية بن صالح، عن ضَمرة بن حبيب، عن جُبير بن نُفير أنه قال: إن الله تعالى كان عرشُه على الماء، وإنه خلق القلم، فكتب ما هو خالق، وما هو كائنٌ إلى يوم القيامة، ثم إن ذلك الكتاب سبَّح الله ومجَّده ألف عامٍ قبل أن يبدأ الله تعالى خلق شيءٍ من الأشياء.

٥٧٧ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: ثنا معاوية بن هشام، عن هشام بن سعد، قال: قيل لنافع: إن هذا الرجل يتكلَّم في القدر. قال: فأخذ كفًّا من حصى؛ فضربَ به وجهه(١).

٥٧٨ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: حدثني إبراهيم بن عبد الرحيم، قال: ثنا عفان بن مسلم، قال: حدثني حرب بن سُريج أبو سفيان البزاز، قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي، فقال: أشاميٌّ أنت؟

فقالوا له: إنه مولاك.

فقال: مرحبًا، وألقى لي وِسادةً من أَدَمٍ، قال: قلت: إن منهم من يقول: لا قدر.

ومنهم من يقول: قدَّر اللهُ الخيَر، ولم يُقدِّر الشرَّ.

ومنهم من يقول: ليس شيءٌ كائنًا، ولا شيءٌ كان إلَّا جرى به القلم.

فقال: بلغني أن قِبَلَكم أئِمةً يُصلُّون بالناس، مقالتهم المقالتان

قالا: الذين يقولون: الزِّنا ليس بقدر.

قلت: وممن كان يجهر بلعن القدرية: أبو حازم سلمة بن دينار (١٤٤هـ) رَحِمَهُ اللهُ.

ـ ففي «السنة» لعبد الله بن أحمد (٨٩٣) قال أبو حازِم: لعنَ اللهُ دينًا أنا أكبرُ منه. ـ يعني: التكذيبَ بالقدر ـ.

(١) تقدم ما يشهد لذلك برقم (٥٣٧) من فعل السلف رحمهم الله بالقدرية.

الأولتان، فمن رأيتم منهم إمامًا يُصلي بالناس فلا تُصلوا وراءه.

ثم سكت هُنَيْهَةً، فقال: من مات منهم فلا تُصلُّوا عليه، قاتلهم الله، إخوان اليهود.

قلت: قد صليتُ خلفهم.

قال: من صلَّى خلف أولئك؛ فليُعِد الصلاة[١].

مُجاهد[٢]

٥٧٩ ـ أخبرنا الفريابي، قال: ثنا إبراهيم بن عبد الله الهروي، قال: أنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد في قول الله تعالى: ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾ [الصافات]، قال: إلَّا من كُتِبَ عليه أن يصلى الجحيم.

٥٨٠ ـ أخبرنا الفريابي، قال: ثنا سويد بن سعيد، قال: ثنا مروان بن معاوية، عن رجاءٍ المكي، قال: سمعت مجاهدًا يقول: القدريةُ مجوسُ هذه الأُمةِ ويهودُها، فإن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم[٣].

٥٨١ ـ أخبرنا أبو القاسم إبراهيم بن الهيثم الناقد، قال: ثنا محمد بن بكَّار، قال: ثنا إسماعيل بن عياش، عن عبد الوهاب بن مجاهد، عن أبيه، قال: في قراءة عبد الله رضي الله عنه: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩]، وأنا كتبتُها عليك[٤].

---

(١) انظر أثر رقم (٦٤٨).

(٢) ابن جبر أبو الحجاج المكي الأسود، إمام القراء والمفسرين، أخذ القرآن والتفسير والفقه عن ابن عباس رضي الله عنهما، توفي سنة (١٠٣هـ) رحمه الله.

(٣) تقدم برقم (٤٠٤) سبب تشبيههم بالمجوس.

(٤) سيأتي الكلام عن هذه الآية تحت أثر رقم (٦٥٨).

جماعة من التابعين وغيرهم من العلماء

٥٨٢ ـ أخبرنا الفريابي، قال: ثنا عبد الأعلى بن حماد، قال: ثنا مُعتمر بن سُليمان، قال: ثنا أبو مخزوم، عن سيَّار أبي الحكم، قال: بلغنا أن وفد نجران قالوا: أما الأرزاقُ والآجالُ بقدرٍ، وأما الأعمال فليست بقدر.

فأنزل الله فيهم هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر][(١)].

٥٨٣ ـ أخبرنا الفريابي، قال: ثنا الهيثم بن أيوب الطالقاني، قال: ثنا المُعتمر بن سُليمان، قال: سمعت أبا مخزوم يُحدِّث عن سيَّار، وأبي هاشم الرُّماني كانا يقولان: التكذيب بالقدر شِركٌ[(٢)].

(١) تقدم تفسير هذه الآية برقم (٣٩٥).

(٢) رُويتْ آثار كثيرة في أن التكذيب بالقدر شركٌ، وتسمية القدرية: مشركين، ومن ذلك:

ـ ما تقدم برقم (٥٣٩/أ) عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: بابُ شِركٍ فُتِحَ على أهل القبلة؛ التكذيب بالقدر.

ـ وفي «السُّنة» لحرب (٢٤٧) عن أبي غياث، قال: سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: المُكذِّبون بالقدرِ المُشركون. وإسناده ضعيف.

ـ وفي «السنة» لعبد الله (٨٢٩) عن عُمارة بن زاذان قال: بلغني أن القدرية يُحشرون يوم القيامة مع المشركين، فيقولون: والله ما كنا مشركين، والله ما كنا مُشركين.

فيقال لهم: إنكم أشركتُم مِن حيث لا تعلمون.

ـ وفي «الإبانة الكبرى» (١٩١٨) عن يونس بن ميسرة بن حلبس قال: اللَّهم إني أشهدك وكفى بك شهيدًا، أشهدك شهادة توقفني عليها، ثم تسألني عنها: أن النصارى أشركتِ المسيحَ، وأن اليهودَ أشركت عُزيرًا، وأن القدرية أشركت أنفسَها والشيطانَ، ولو كان دماؤها في كأسٍ لكفأتها.

ـ وفيه (١٧٦٧) عن رجاء بن حيوة، أن محمود بن الربيع أخبره، عن =

شداد بن أوس، قال: طفت معه يومًا في السوق، ثم دخل بيته، فاستلقى على فراشه، ثم سجَّى ثوبه على وجهه، ثم بكى حتى سمعت نشيجًا، ثم قال: ليبك الغريب، لا يبعد الإسلام من أهله.

قلت: وماذا تخوَّف عليهم؟ قال: أتخوَّف عليهم الشِّركَ، وشهوةً خفيةً.

قال: قلت: أتخافُ عليهم الشِّرك وقد عرفوا الله، ودخلوا في الإسلام؟!

قال: فدفع بكفِّه في صدري، ثم قال: ثكِلَتك أُمّك محمود! ما ترى الشرك إلَّا أن تجعل مع الله إلهًا آخر؟! وما يعني بذلك إلَّا أهل القدر.

- وقد تقدم (٥٤٥) قول الحسن رَحِمَهُ اللهُ: من كفر بما قدَّر الله؛ فقد كفر بالإسلام.

- وعند الخلال (٩٣٩) قال المروذي: سمعت أبا عبد الله يُسأل عمن قال: إن من الأشياء شيئًا لم يخلقه الله، هذا يكون مشركًا؟

قال: إذا جحد العلم فهو مُشرك، يستتاب فإن تاب وإلَّا قُتِل، إذا قال: إن الله عز وجل لا يعلم الشيء حتى يكون.

- وفي «الإبانة الكبرى» (١٥٧) سُئِلَ مالكٌ عن تزويجِ القدريِّ؟

فقال: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ﴾ [البقرة: ٢٢١].

- وقال حرب الكرماني رَحِمَهُ اللهُ في «عقيدته» (١٩): ومَن زعمَ أن الزنا ليس بقدرٍ، قيل له: أرأيتَ هذه المرأة التي حملت مِن الزِّنا، وجاءت بولدٍ، هل شاء الله عز وجل أن يُخلُقَ هذا الولد؟ وهل مضى هذا في سابقِ علمِه؟ فإن قال: لا. فقد زعم أن مع الله خالقًا؛ وهذا قولٌ يُضارع الشِّرك، بل هو الشِّرك.اهـ.

- ونحوه قال ابن بطة رَحِمَهُ اللهُ في «الإبانة الكبرى» (١٥٤٨)، وقال: وهذا قول يُضارع الشِّركَ، بل هو الشِّرك الصُّراح، تعالى الله عما تقول المُلحدة القدرية علوًّا كبيرًا.اهـ.

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في «منهاج السُّنة» (٣/ ٢٧٦) وهو يتكلم عن وجه تسمية القدرية بالمشركين: فيقال: إذا كانت الحوادث حادثة بغير فعل الله ولا قدرته فهذه مشاركة لله صريحة، ولهذا شُبِّه هؤلاء بالمجوس الذين يجعلون فاعل الشرِّ غير فاعل الخير، فيجعلون لله شَريكًا آخر. فمن جعل أفعال العباد مع الله بمنزلة أفعال نوّاب السُّلطان معه فهذا صريح الشِّرك الذي لم يكن يرتضيه عُبَّاد الأصنام؛ لأنه شرك في الربوبية لا في الألوهية، فإن عُبَّاد =

٥٨٤ ـ أخبرنا الفريابي، قال: ثنا إبراهيم بن عبد الله الهروي، قال: أنا هشيم، قال: أنا جُويبر، عن الضحاك في قوله تعالى: ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ۝١٦٢ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ۝١٦٣﴾ [الصافات]، يقول: من سبقَ له في عِلمِ الله تعالى أنه يَصلى الجحيم.

٥٨٥ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا قُتيبة بن سعيد، قال: ثنا أنس بن عياض، عن أبي حازم[(١)]، قال: قال الله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ [الشمس]، فالتَّقيُّ ألهمه التقوى، والفاجرُ ألهمه الفجور[(٢)].

الأصنام كانوا يعترفون بأنها مملوكة لله فيقولون: (لبيك لا شريك لك إلَّا شريكًا هو لك تملكه وما ملك)، وهؤلاء لا يجعلون ما يملكه العبد من أفعاله مُلكًا لله. ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما: الإيمان بالقدر نِظام التوحيد، فمن وحَّدَ الله وآمن بالقدر؛ تَمّ توحيده، ومن وحَّد الله وكذَّب بالقدر؛ نقض تكذيبه توحيده.

وقول القدرية يتضمن الإشراك والتعطيل، فإنه يتضمن إخراج بعض الحوادث عن أن يكون لها فاعل، ويتضمن إثبات فاعل مستقل غير الله.

وهاتان شعبتان من شعب الكفر، فإن أصل كلّ كفرٍ: التعطيل أو الشِّرك.. إلخ.

ثم أطال في بيان ذلك.

* وانظر: اللالكائي (٣٦/سياق ما روي عن النبي ﷺ في أن أول شرك يظهر في الإسلام القدر).

(١) هو سلمة بن دينار، المتوفى سنة (١٤٤هـ) رحمه الله.

(٢) قال ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٢٤٣): فإذا كان الضلال في القدر حصل تارة بالتكذيب بالقدر والخلق، وتارة بالتكذيب بالشرع والوعيد، وتارة بتظليم الرب، كان في هذه السورة ردًّا على هذه الطوائف كلها.

فقوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾: إثبات للقدر بقوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾.

وإثبات لفعل العبد بإضافة الفجور والتقوى إلى نفسه ليعلم أنها هي الفاجرة والمُتقية.

وإثبات للتفريق بين الحسن والقبيح، والأمر والنهي بقوله: ﴿فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾. =

٥٨٦ ـ أخبرنا الفريابي، قال: ثنا عَمرو بن عثمان الحمصي، قال: ثنا بقية بن الوليد، عن أرطاة بن المنذر، قال: ذكرتُ لأبي[(١)] عون شيئًا من قول أهل التكذيب بالقدر، فقال: أما تقرؤون كتاب الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [القصص][(٢)].

٥٨٧ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا محمد بن المُصفَّى، قال: حدثني بقية بن الوليد،

وقوله بعد ذلك: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾، إثبات لفعل العبد، والوعد والوعيد بفلاح من زكَّى نفسه، وخيبة من دسَّاها.

وهذا صريح في الرد على القدرية المجوسية، وعلى الجبرية للشرع أو لفعل العبد وهم المُكذبون بالحقِّ. اهـ.

(١) في الأصل: (لابن).

والتصويب من «القدر» للفريابي (٣٢٨)، و«الإبانة الكبرى» (١٩٢٦ و٢٠٢٥).

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في «شفاء العليل» (١/ ١٠٩): أي: سبحانه المتفرِّد بالخلق والاختيار مما خلق، وهو الاصطفاء والاجتباء، ولهذا كان الوقف التام عند قوله: ﴿وَيَخْتَارُ﴾.

ثم نفى عنهم الاختيار الذي اقترحوه بإرادتهم، وأن ذلك ليس إليهم، بل إلى الخلَّاق العليم، الذي هو أعلم بمحالِّ الاختيار ومواضعه، لا من قال: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف].

فأخبر سبحانه أنه لا يبعث الرسل باختيارهم، وأن البشر ليس لهم أن يختاروا على الله، بل هو الذي يخلق ما يشاء ويختار، ثم نفى سبحانه أن تكون لهم الخِيَرة كما ليس لهم الخلق.

وقال: وكذلك لم يفهم معنى الآية مَن قال: إنَّ (الاختيار) ههنا هو (الإرادة)، كما يقوله المتكلمون: إنه سبحانه فاعل بالاختيار، فإن هذا الاصطلاح حادث منهم، لا يُحمل عليه كلام الله، بل لفظ الاختيار في القرآن مطابق لمعناه في اللغة، وهو اختيار الشيء على غيره، وهو يقتضي ترجيح ذلك المختار وتخصيصه وتقديمه على غيره، وهذا أمر أخص من مطلق الإرادة والمشيئة. اهـ.

قال: سألتُ أرطاة بن المنذر، قال: قلت: أرأيتَ من كذَّبَ بالقدر؟

قال: هذا لم يؤمن بالقرآن.

قلت: أرأيتَ إن فسَّره على الجُذام والبرص، والطويل والقصير، وأشباه هذا؟[(١)].

قال: هذا لم يؤمن بالقرآن.

قلت فشهادته؟

قال: إذا استُيْقِنَ أنه كذلك: لم تجُز شهادته؛ لأنه عدوٌّ، ولا تجوز شهادة عدوٍّ.

٥٨٨ ـ أنبونا الفريابي، قل: ثنا إبراهيم بن الحجاج السامي، قال: ثنا جُويرية بن أسماء، قال: سمعت علي بن زيد تلا هذه الآية: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الأنعام]، فنادى بأعلى صوته: انقطع والله هاهنا كلام القدرية[(٢)].

---

(١) يعني: أن هذه الأمور بقدر، وأما غيرها من الأعمال فليست بقدر على ما مرَّ من قول وفد نجران برقم (٥٨٢).

(٢) هذه الآية جاءت عقب استدلال الكفار بالقدر على ما هم عليه من الشرك، قال الله تعالى عنهم: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾ [الأنعام].

ـ قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «شفاء العليل» (١/ ٥٠): فإن قيل: قد عُلِمَ بالنصوص والمعقول صحة قولهم: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾، ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾.. فإنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١١٢] وقال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السجدة: ١٣] فكيف أكْذَبَهم ونفى عنهم العلم، وأثبت لهم الخَرْص فيما هم فيه صادقون؟ وأهل السنة =

جميعًا يقولون: لو شاء الله ما أشرك به مشرك، ولا كفر به كافر، ولا عصاه أحدٌ من خلقه، فكيف يُنكر عليهم ما هم فيه صادقون؟!

قيل: أنكر سبحانه عليهم ما هم فيه أكذب الكاذبين، وأفجر الفاجرين، ولم ينكر عليهم صدقًا ولا حقًّا، بل أنكر عليهم أبطل الباطل؛ فإنهم لم يذكروا ما ذكروه إثباتًا لقدره، وربوبيته، ووحدانيته، وافتقارًا إليه، وتوكلًا عليه، واستعانة به، ولو قالوا كذلك لكانوا مُصيبين، وإنما قالوه معارضين به لشرعه، ودافعين به لأمره، فعارضوا شرعه وأمره، ودفعوه بقضائه وقدره، ووافقهم على ذلك كل من عارض الأمر ودفعه بالقدر. [كالجهمية والأشعرية].

وأيضًا فإنهم احتجُّوا بمشيئته العامة، وقدره على محبته لما شاءه ورضاه به، وإذنه فيه، فجمعوا بين أنواع من الضلال: معارضة الأمر بالقدر، ودفعه به، والإخبار عن الله أنه يحب ذلك منهم، ويرضاه حيث شاءه وقضاه، وأن لهم الحُجَّة على الرسل بالقضاء والقدر.

وقد ورثهم في هذا الضلال وتبعهم عليه طوائف من الناس ممن يدّعي التحقيق والمعرفة، أو يُدَّعى فيه ذلك، وقالوا: العارف إذا شاهد الحُكم سقط عنه اللوم.

وعُبَّاد هؤلاء الكفرة يشهدون أفعالَهم كلَّها طاعاتٍ؛ لموافقتها المشيئة السابقة، ولو أغضبهم غيرُهم وقصَّر في حقوقهم لم يشهدوا فعله طاعة، مع أنه وافق فيه المشيئة، فما احتج بالقدر على إبطال الأمر والنهي إلا مَن هو من أجهل الناس وأظلمهم وأتبعهم لهواه.

وتأمّل قوله سبحانه بعد حكايته عن أعدائه واحتجاجِهم بمشيئته وقدره على إبطال ما أمرهم به رسوله، وأنه لولا محبته ورضاه به لما شاءه منهم: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾، فأخبر سبحانه أن الحُجة له عليهم برسله وكتبه، وبيان ما ينفعهم ويضرهم، وتمكّنهم من الإيمان بمعرفة أدلته وبراهينه، وأعطاهم الأسماع والأبصار والعقول، فثبتت حُجّته البالغة عليهم بذلك، واضمحلّت حجتهم الباطلة عليه بمشيئته وقضائه.

ثم قرَّر تمام الحُجَّة بقوله: ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾، فإن هذا يتضمن أنه المتفرد بالربوبية والملك والتصرُّف في خلقه، وأنه لا رب غيره، =

٥٨٩ ـ أخبرنا الفريابي، قال: سمعت عمرو بن علي، يقول: سمعت أبا محمد الغنوي، يقول: سألت حماد بن سلمة، وحماد بن زيد، ويزيد بن زُريع، وبشر بن المُفضَّل، والمُعتمر بن سُليمان عن رجلٍ زعم أنه يستطيع أن يشاءَ في مُلك الله تعالى ما لا يشاء؟ فكلُّهم قال: كافرٌ مُشركٌ، حلال الدم، إلَّا مُعتمرًا فإنه قال: الأحسن [٤١/ب] بالسُّلطان استتابته(١).

٥٩٠ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: سمعت نصر بن علي، قال: سمعت الأصمعي يقول: من قال: إن الله تعالى لا يرزق الحرام؛ فهو كافر(٢).

ولا إله سواه، فكيف يعبدون معه إلهًا غيره، فإثبات القدر والمشيئة من تمام حجته البالغة عليهم، وأن الأمر كله لله، وأن كل شيء ما خلا الله باطل، فالقضاء والقدر والمشيئة النافذة من أعظم أدلة التوحيد، فَجَعَلها الظالمون الجاحدون حُجّة لهم على الشرك، فكانت حُجَّة الله هي البالغة، وحجتهم هي الداحضة، وبالله التوفيق. اهـ.

(١) قال ابن بطة رَحِمَهُ اللهُ في «الإبانة الكبرى» (١٥٤٨): فمن زَعَمَ أن الله ﷻ شاء لعباده الذين جَحدوه وكفروا به وعصوه الخيرَ والإيمانَ به والطاعة له، وأن العباد شاءوا لأنفسهم الشرَّ والكفر والمعصية، فعمِلوا على مشيئتهم في أنفسهم واختيارهم لها خلافًا لمشيئته فيهم، فكان ما شاءوا ولم يكن ما شاء الله؛ فقد زعم أن مشيئة العباد أغلب من مشيئة الله، وأنهم أقدر على ما يريدون منه على ما يريد، فأيُّ افتراء على الله يكون أكثر من هذا؟! اهـ.

(٢) روى ابن عدي في «الضعفاء» (٥/ ١٨٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا، قال: «إذا سأل اللهَ أحدُكم الرزقَ فليسأل الحلال، فإن الله يرزق الحلال والحرام»، وهو حديث ضعيف.

ـ قال ابن بطة رَحِمَهُ اللهُ في «الإبانة الكبرى» (١٥٤٨): من زعم أن السَّرقةَ، وشُربَ الخمرِ، وأكلَ مالِ الحرام ليس بقضاءٍ وقدرٍ من الله؛ فقد زعم أن هذا الإنسان قادرٌ على أن يأكلَ رزق غيره، وأن ما أخذه وأكله ومَلَكه وتصرَّف فيه من أحوال الدنيا وأموالها كان إليه وبقُدرته، يأخذ منها ما يشاء، ويدع ما يشاء، ويُعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، إن شاء أغنى نفسه أغناها، وإن شاء أن يُفقرها أفقرها، وإن أحبَّ أن يكون ملِكًا كان، وإن أحبَّ غير ذلك =

٥٩١ ـ أخبرنا الفريابي، قال: ثنا محمد بن إسماعيل، قال: ثنا عبد العزيز بن عبد الله الأويسي، قال: قال مالك بن أنس: ما أضلَّ من كذَّب بالقدر، لو لم يكن عليهم[(١)] إلَّا قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢]؛ لكفى به حُجَّة.

٥٩٢ ـ حدثنا أبو بكر بن أبي داود، قال: ثنا عبد الملك بن شعيب بن[(٢)] الليث بن سعد، قال: حدثني عبد الله بن وهب، قال: سمعت الليث بن سعد يقول في

كان، وهذا قول يُضارع قول المجوسيَّة، بل ما كانت تقوله الجاهلية؛ لكنه أكل رزقه، وقضى الله له أن يأكله من الوجه الذي أكله.اهـ.

قلت: هذا بناء على أصول القدرية نفاة خلق أفعال العباد، فإنه يقتضي أن الأرزاق بيد العباد، وإن كان الله تعالى يخلق أعيانها، ولكنه لا يقسمها، بل العباد هم الذين يتولَّون ذلك، والعباد هم الذين يرزقون أنفسهم كسائر أعمالهم، والله تعالى لا يرزق الحرام، ولا يُملِّكه لأحدٍ؛ لأنه لا يريد الحرام، ولا يأمر به، بل يكون الحرام ويقع وهو لا يُريده، والشيء الوحيد الذي قسمه الله على العباد هو الميراث الشرعي.

فهذا قول القدرية نفاة خلق أفعال العباد، أما أهل السُّنة فإن الرزق عندهم منه ما هو قدري، وهو الذي سبق به علم الله، وهو ما قدَّره الله تعالى لعبده، ودخل في مشيئة الله وخلقه، وكتبته الملائكة، وهو كل ما حصل للعبد من أيِّ طريق صحيحٍ أو غير صحيح، ويشمل الحلال والحرام. وهذ الرزق مُحرَّم أكله، ومحاسَب عليه الإنسان.

ورزق آخر عند أهل السُّنة وهو رزقٌ شرعي، وهو ما ملكه العبد بطريق شرعي، وهو ما تقبل منه نفقته، وهو الحلال دون الحرام.

* انظر: «جهود ابن اتيمية في توضيح الإيمان بالقدر» (١/ ٣٩٨).

(١) في الأصل: (حجة فيه)، وضع عليها علامة الحذف.

(٢) في الأصل: (عن)، والصواب ما أثبته.

انظر ترجمته في «تهذيب الكمال» (١٨/ ٣٢٩).

ـ وفي «الإبانة الكبرى» (١٩٧٨) من طريق بحر بن نصر الخولاني، قال: حدثنا شعيب بن الليث، قال: حدثني ابن وهب به.

المُكذِّب بالقدر: ما هو بأهلٍ أن يُعادَ في مرضه، ولا يُرغَبُ في شهود جنازته، ولا تُجابُ دعوته.

٥٩٣ ـ أخبرنا الفريابي، قال: سمعت أبا حفص عمرو بن علي، قال: سمعت معاذ بن معاذ، وذكر قصَّة عَمرو بن عُبيد(١): إن كانت ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ [المسد] في اللوحِ المحفوظ، فما على أبي لهبٍ من لومٍ.

قال أبو حفص: فذكرته لوكيع بن الجراح فقال: من قال بهذا يُستتاب، فإن تاب؛ وإلَّا ضُرِبتْ عُنقه(٢).

---

(١) ستأتي ترجمته برقم (٦٤٢).

(٢) في «السُّنة» لعبد الله بن أحمد (٩٥٢) عن أبي بحرٍ البكراوي قال: قال رجلٌ لِعَمرو ـ يعني: ابن عُبيد ـ وقرأ عنده هذه الآية: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج].

فقال له: أخبرني عن: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ كانت في اللوحِ المحفوظ؟

قال: ليست هكذا كانت.

قال: وكيف كانت؟

قال: تبّت يدا من عمِلَ بِمثلِ ما عمِلَ أبو لهبٍ.

فقال له الرجلُ: هكذا ينبغي لنا أن نقرأ إذا قُمنا إلى الصلاةِ؟!

فغضب عَمرو، فتركه حتى سكن، ثم قال له: يا أبا عثمان، أخبرني عن ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾، كانت في اللوح المحفوظ؟

فقال: ليس هكذا كانت. قال: فكيف كانت؟

قال: تبت يدا من عمِلَ بمثلِ عمَلِ أبي لهبٍ. قال: فرددت عليه.

ـ وفي «القدر» للفريابي (٣٦١) عن عبيد الله بن معاذ، حدثنا أبي، قال: كنا عند عَمرو بن عُبيد فجاء عثمان بن خاش، فقال: يا أبا عثمان، سمعتُ قِبلي الكفر!

قال: ما هو؟ لا تعجل بالكفر.

قال: سمعت هاشمًا الأوقص يقول: إن ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾، وأمر الوحيد [يعني: الوليد بن المغيرة الذي قال الله فيه: ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾ [المدثر]، ليس في أم الكتاب؛ والله يقول: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا =

٤٥ ـ باب

سيرة عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ في أهل القدر(١)

٥٩٤ ـ **أخبرنا** الفِريابي، قال: ثنا قُتيبة بن سعيد، قال: ثنا مالك بن أنس، عن عمِّه أبي سُهيل بن مالك، قال: كنتُ أسيرُ مع عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ، فاستشارني في القدرية، قلت: أرى أن تستتيبهم، فإن تابوا وإلَّا عرضتهم على السيف.

فقال: أمَا إن ذاك رأيي.

قال مالك: وذلك رأيي(٢).

لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الزخرف].

فنكَّسَ عَمرو رأسه هُنيهةً، ثم رفع رأسه، وقال: والله لئن كانت ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾، وأمر الوحيد في أُمِّ الكتاب ما على أبي لهب من لومٍ، ولا على الوحيد من لوم!

قال: هذا والله يا أبا عثمان الدِّين.

قال أبي: فجاء به يحملُه الكفرَ، ثم رجع به في الدِّين.

(١) عقد ابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ في «الإبانة الكبرى» بابًا نحوه، فقال: (٥١/مذهب عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ في القدر، وسيرته في القدرية).

(٢) المراد بالقدرية هاهنا هم نفاة علم الله تعالى، وهم الذين أجمع أهل السُّنة على كفرهم.

ـ ففي «السُّنة» لعبد الله (٨١٣) عن أبي جعفر الخَطمي، قال: قيل لعُمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ: إن غيلان يقول في القدرِ كذا وكذا. فمَرَّ به، فقال: أخبرني عن العلم.

فقال: سُبحان الله، فقد عَلِمَ الله عَزَّ وَجَلَّ كلَّ نفسٍ ما هي عاملةٌ، وإلى ما هي صائرة.

=

٥٩٥ ـ أخبرنا الفريابي، قال: ثنا قُتيبة بن سعيد، قال: ثنا عبد الله بن جعفر والد علي بن المديني، قال: حدثني أبو سُهيل نافع بن مالك، قال: سايرت عمر بن عبد العزيز، فاستشارني في القدرية، فقلت: أرى أن تستتيبهم، فإن تابوا وإلَّا ضربت أعناقهم.

فقال عمر: أمَا إنَّ تلك سِيرةُ الحقِّ فيهم.

٥٩٦ ـ أخبرنا الفريابي، قال: ثنا إسحاق بن موسى، قال: ثنا أبو ضَمْرة أنس بن عياض، قال: حدثني أبو سُهيل نافع بن مالك بن أبي عامر أنه قال: قال لي عمر بن عبد العزيز مِن فِيه إلى أذني: ما تقول في الذين يقولون: لا قدر؟

قلت: أرى أن يستتابوا، فإن تابوا وإلَّا ضُرِبتْ أعناقُهم.

فقال عمر: ذاك الرأي فيهم، والله لو لم يكن إلَّا هذه الآيةُ الواحدةُ لكفَتْ: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾ [الصافات].

٥٩٧ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا عبد الله بن عبد الجبار الحمصي، قال: ثنا محمد

فقال عُمر بن عبد العزيز: والذي نفسي بيده، لو قلتَ غير هذا لضربتُ عنقك، اذهب الآن فاجْهَدْ جَهْدَك.

ـ وفي «السُّنة» لحرب (٢٤٤) عن مروان بن محمد، قال: سُئل مالك عن القدريِّ الذي يُستتاب؟

قال: الذي يقول: إن الله لا يعلمُ ما العبادُ عامِلون حتى يعملوا.

قال أبو عبد الله [الإمام أحمد]: هؤلاء الذين أخرجوا الله من عِلمِه.

ـ وفي «السُّنة» للخلال (٨٦٢) عن بكر بن محمد، عن أبيه: أنه سأل أبا عبد الله عن القدري يُستتاب؟ وقلت: إن مالكًا وعمر بن عبد العزيز يرون أن يستتيبوه، فإن تاب وإلَّا ضُربت عنقه. قال: أرى أن أستتيبه إذا جحد علم الله.

قلت: وكيف يجحد علم الله؟

قال: إذا لم يكن هذا في علم الله أستتيبه، فإن تاب وإلَّا ضربت عنقه، قال: إن منهم من يقول: كان في علمه؛ ولكن لم يأمرك بالمعصية.

بن جمير، عن محمد بن مُهاجر، عن أخيه عَمرو بن مُهاجر، قال: بلغ عمرَ بنَ عبد العزيز أن غيلان[١] يقول في القدر، فبعث إليه فحجبه أيامًا، ثم أدخله عليه، فقال يا غيلان: ما هذا الذي بلغني عنك؟

قال: عَمرو بن مُهاجر: فأشرتُ إليه أن لا يقول شيئًا.

قال: فقال: نعم يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢﴾ [الإنسان].

قال: اقرأ آخر السورة: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٣٠ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ۝٣١﴾.

---

(١) قال الهروي في «ذم الكلام» (٥/ ١١١): غيلان هو ابن أبي غيلان، أبو مروان، من موالي عثمان بن عفان رضي الله عنه، كان عنده حظٌّ من العلم، تكلَّم به أيام عبد الملك بن مروان، واستتابه عمر بن عبد العزيز، ثم ظهر منه تكذيب التوبة، فصُلبَ على باب الشَّام بأخزى حالة لِقِيَها بَشَرٌ، قصته قد تَقَصَّيْتُها في كتاب «تكفير الجهمية». اهـ.
- وفي «الإبانة الكبرى» (١٩٠٨) قال أبو داود السجستاني: وغيلان كان نصرانيًّا.
قلت: قُتل وصُلب سنة (١٠٥هـ)، واستجاب الله عز وجل دعوة الإمام الصالح عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ فيه.
- وفي «لسان الميزان» (٤/ ٤٢٤) قال ابن المبارك: كان من أصحاب الحارث الكذَّاب، وممن آمن بنبوته، فلما قُتِلَ الحارث قام غيلان إلى مقامه.
- وفي «تاريخ دمشق» (٤٨/ ١٩٢) عن خالد بن اللجلاج قال: ويلك يا غيلان، ألم تكن زفانًا [أي: رقاصًا]؟! ويلك يا غيلان، ألم تكن قبطيًّا وأسلمت؟! ويلك يا غيلان، ألم أجدك في شبيبتك وأنت ترامي النساء بالتفاح في شهر رمضان، ثم صرت حارسًا تخدم امرأة حارث الكذاب وتزعم أنها أم المؤمنين؟! ثم تحوَّلت من ذلك فصرت قدريًّا زنديقًا.

ثم قال: ما تقول يا غيلان؟

قال: أقول: قد كنت أعمى فبصَّرْتَني، وأصمَّ فأسمعتَني، وضالًّا فهديتني.

فقال عمر: اللَّهم إن كان عبدُك غيلانُ صادقًا، وإلَّا فاصْلُبْه.

فأمسك عن الكلام في القدر، فولَّاه عمرُ بن عبد العزيز دار الضرب بدمشق، فلما مات عمر بن عبد العزيز، وأفضت الخلافة إلى هشام، تكلَّم في القدر، فبعث إليه هشام فقطع يده، فمرَّ به رجلٌ والذُّباب على يده، فقال له: يا غيلان: هذا قضاءٌ وقدر.

فقال: كذبتَ، لعَمْرُ الله ما هذا قضاء ولا قدر.

فبعث إليه هشامٌ فصلبه(١).

٥٩٨ ـ أخبرنا الفريابي، قال: ثنا عبيد الله بن معاذ، قال: ثنا أبي، قال: ثنا محمد بن عَمرو الليثي، أن الزهري حدَّثه، قال: دعا عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ غيلان، فقال: يا غيلان، بلغني أنك تتكلَّم بالقدر.

فقال: يا أمير المؤمنين، إنهم يكذبون عليَّ!.

فقال: يا غيلان، اقرأ أول ﴿يسٓ﴾، فقرأ: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾، حتى أتى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَـٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠﴾.

فقال غيلان: والله يا أمير المؤمنين لكأني لم أقرأها قطّ قبل اليوم،

---

(١) في «القدر» للفريابي (٢٨١) قال ابن عون: أنا رأيته مصلوبًا على باب دمشق.

أُشهدك يا أمير المؤمنين أني تائِبٌ مما كنت أقول[١].

فقال عمر: اللَّهم إن كان صادقًا فثبِّته، وإن كان كاذِبًا فاجعله آيةً للمؤمنين[٢].

---

(١) سيأتي قريبًا قول المُصنِّف رَحِمَهُ اللهُ: كان غيلان مُصرًّا على الكفر بقوله في القدر، فإذا حضر عند عمر رَحِمَهُ اللهُ نافق، وأنكر أن يقول بالقدر، فدعا عليه عمر بأن يجعله الله تعالى آيةً للمؤمنين إن كان كاذبًا، فأجاب الله عَزَّ وَجَلَّ فيه دعوةَ عمر.. إلخ.

- وفي «مختصر الحُجّة» (١٤٩) عن حميد الأعرج، قال: قدِمَ غيلان مكة فجاور بها، فأتى غيلان مجاهدًا، وقال: يا أبا الحجاج، بلغني أنك تنهى الناس عني وتذكرني، أبلغك عني شيء أقوله؟ إنما أقول كذا، إنما أقول كذا. فجاء بشيءٍ لا ينكره، فلما قام، قال مجاهد: لا تجالسوه؛ فإنه قدري.

قال حُميد: فإني يومًا في الطواف فلحقني غيلان من خلفي، فجبذ ردائي، فالتفتُّ، فقال: كيف يقرأ مجاهد حرف كذا وكذا؟ فأخبرته فمشى معي، قال: فبصُر بي مجاهد معه، فأتيته فجعلت أكلمه فلا يردّ عليَّ، وأسأله فلا يُجيبني، قال: فغدوت إليه فوجدته على تلك الحال، فقلت: يا أبا الحجاج ما لك؟! أبلغك عني شيء؟ أو أحدثتُ حَدَثًا؟ ما لي؟! فقال: ألم أرك مع غيلان، وقد نهيتُكم أن تُكلِّموه أو تجالسوه؟

قال: قلت: والله يا أبا الحجاج ما ذكرت قولك وما بدأته، هو بدأني.

قال: فقال: والله يا حُميد لولا أنك عندي مُصَدَّقٌ ما نظرتَ لي في وجهٍ مُنبسطٍ ما عشتُ، ولئن عدت لا تنظر لي في وجهٍ مُنبسطٍ ما عشتُ.

(٢) روى هذه القصة عبد الله بن أحمد في «السنة» (٩٢٥) وفيها زيادة حسنة.

- عن أبي جعفر الخَطمي، قال: شَهِدتُ عُمرَ بن عبد العزيز وقد دعا غيلانَ لشيءٍ بلغَه في القدرِ.

فقال له: ويحكَ يا غيلان! ما هذا الذي بلغني عنك؟!

قال: يُكذَبُ عليَّ يا أمير المؤمنين، ويقال عليَّ ما لم أقل.

قال: ما تقول في العِلمِ؟

قال: نفذَ العِلمُ.

قال: فأنت مَخصُومٌ، اذهبِ الآن فقل ما شئت.

٥٩٩ - أخبرنا الفريابي، قال: ثنا هشام بن خالد الأزرق، قال: ثنا أبو مُسْهِر، قال: حدثني عون بن حكيم، قال: حدثني الوليد بن سُليمان مولى ابن أبي السائِب: أن رجاءَ بن حيوة كتب إلى هشام بن عبد الملك: بلغني يا أمير المؤمنين أنه وقع في نفسك شيءٌ من قتل غيلان وصالح، فوالله لَقَتْلُهما أفضلُ من ألفين من الروم والتُّرك[1].

قال هشام: صالح مولى ثقيف. [٤٢/أ]

٦٠٠ - وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا عبد الله بن أبي سعد[2]، قال: ثنا الهيثم بن خارجة، قال: ثنا عبد الله بن سالم الأشعري حِمصي، عن إبراهيم بن أبي عَبلة[3]، قال: كنت عند عُبادة بن نُسَيٍّ، فأتاه رجل فأخبره أن أمير المؤمنين هِشامًا قطعَ يد غيلان ولسانَه وصَلَبَه، فقال له: حقًّا ما تقول؟!

قال: نعم.

قال: أصاب واللهِ السُّنةَ والقَضِيَّة، ولأكتُبنَّ إلى أمير المؤمنين فلأُحسِّننَّ له ما صَنَع.

ويحكَ يا غيلان! إنك إن أقررت بالعلم خُصِمتَ، وإن جحدته كَفرتَ، وإنك إن تُقِرَّ به فتُخصَم؛ خيرٌ لك مِن أن تَجحَدَه فتكفر.. ثم ذكر بقية الأثر.

(١) في «القدر» للفريابي (٢٨٥) عن عمر بن يزيد النَّصْرِيِّ كاتب لنمير بن أوس قاضي دمشق، قال: بلغ نميرًا أنه وقرَ في صدر هشام بن عبد الملكِ من قتله غيلانَ شيءٌ، فكتب إليه نُمير: لا تفعل يا أمير المؤمنين؛ فإن قتل غيلان من فتوح الله العظام على هذه الأمة.
قال الهيثم: وبلغني أن عُبادة بن نُسَيٍّ الكندي كتب إلى هشام بمثل كتاب نُمير.

(٢) في هامش الأصل: (سعيد) خ، والصواب ما في الأصل.
انظر: «السير» (١٤/١٠٣).

(٣) في الأصل: (علية)، وفي هامشه: (عبلة) صح.
انظر: ترجمته في «تاريخ الإسلام» (٤/٢١).

٦٠١ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: حدثني إسحاق بن سيار النَّصِيبي، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: حدثني معاوية ـ يعني: ابن صالح ـ، عن حكيم بن عمير، قال: قيل لعمر بن عبد العزيز: إن قومًا يُنكرون من القدر شيئًا.

فقال عمرُ: بيِّنوا لهم، وارْفُقوا بهم؛ حتى يرجعوا.

فقال قائلٌ: هيهت! هيهات يا أمير المؤمنين! لقد اتخذوه دينًا يدعون إليه الناس.

ففَزِعَ لها عمر، فقال: أُولئِك أهلٌ أن تُسلَّ ألسنتهم من أقفيتهم سلًّا، هل طارَ ذُبابٌ بين السماءِ والأرض إلَّا بمقدار؟

٦٠٢ ـ أخبرنا الفريابي، قال: ثنا محمد بن مُصفًّى، قال: ثنا بقية بن الوليد، قال: حدثني أرطاة بن المنذر، قال: حدثني حكيم بن عمير، قال: قيل لعمر بن عبد العزيز... فذكر الحديث نحوًا منه.

٦٠٣ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: ثنا عبد الله بن إدريس، عن عمر بن ذرٍّ، قال: قال عمر بن عبد العزيز: لو أراد اللهُ تعالى أن لا يُعصى ما خلق إبليسَ، وهو رأسُ الخطيئة.

٦٠٤ ـ أخبرنا الفريابي، قال: ثنا محمد بن أبي بكر المُقَدَّمي، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن عمر بن ذرٍّ، قال: سمعت عمر بن عبد العزيز يقول: لو أراد الله أن لا يُعصى ما خلقَ إبليسَ، وقد فسَّر ذلك في آية من كتاب الله تعالى، عَقَلَها من عَقَلَها، وجَهِلَها من جَهِلَها: ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾ [الصافات].

٦٠٥ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: ثنا عبد الله بن إدريس، عن عمر بن ذرٍّ، قال: قال عمر بن عبد العزيز: لو أراد الله تعالى أن لا يُعصى ما خلق إبليس، وهو رأسُ الخطيئة، وإن في ذلك لعلمًا من كتاب الله تعالى جَهِله من جَهِله، وعرفه من عرفه، ثم قرأ: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ

أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾ [الصافات].

٦٠٦ - حدثنا أبو شعيب عبد الله بن الحسن الحرّاني، قال: أنا إبراهيم بن عبد الله الهروي، قال: ثنا عبد الله بن أبي الوليد، قال: خرج عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ يومَ الجمعة، فخطب كما كان يخطب، ثم قال: أيها الناس، من عَمِلَ منكم خيرًا فليحمدِ الله تعالى، ومن أساءَ فليستغفر الله، ومن عاد فليستغفر الله، ثم إن عاد فليستغفر الله؛ فإنه لا بُدَّ لأقوامٍ أن يعملوا أعمالًا وضعها الله تعالى في رِقابهم، وكتبها عليهم.

٦٠٧ - أخبرنا الفريابي، قال: ثنا عبد الرحمن بن إبراهيم، قال: ثنا الوليد، قال: سمعتُ ابن جريج يقول: قال عمر بن عبد العزيز: لو أراد الله أن لا يُعصى ما خَلَقَ إبليسَ.

٦٠٨ - أخبرنا الفريابي، قال: ثنا محمد بن العلاء، قال: ثنا ابن إدريس، عن عمر بن ذرٍّ، قال: قدمنا على عمر بن عبد العزيز خمسة؛ موسى بن أبي كثير، ودثارٌ النهدي، ويزيدُ الفقير، والصلتُ بن بَهْرَام، وعمرُ بن ذر، فقال: إن كان أمْرُكم واحدًا فليتكلَّم مُتكلِّمُكم.

فتكلَّم موسى بن أبي كثير، وكان أخوفَ ما يتخوّف عليه أن يكون عرَّض بشيءٍ من أمر القدر.

قال: فعرض له عمر، فحَمِدَ الله تعالى، وأثنى عليه، ثم قال: لو أراد تعالى أن لا يُعصى ما خلق إبليس، وهو رأس الخطيئة، وإن في ذلك لعلمًا من كتاب الله، عَلِمه مَن عَلِمَه، وجَهِله مَن جَهِله.

ثم تلا هذه الآية: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾ [الصافات].

ثم قال: لو أراد الله تعالى حَمْلَ خَلْقِه من حقِّه على قدر عظمته لم يُطق ذلك أرضٌ ولا سماءٌ، ولا ماءٌ ولا جبل، ولكنَّه رَضِي من عباده بالتخفيف.

٦٠٩ - **أخبرنا** الفريابي، قال: ثنا إبراهيم بن عبد الله، قال: أنا علي بن ثابت، عن عمر بن ذرٍّ، قال: جلسنا إلى عمر بن عبد العزيز فتكلَّمَ منَّا مُتكلِّمٌ، فعظَّم اللهَ تعالى، وذكَّر بآياته، فلما فرغ تكلَّمَ عمر بن عبد العزيز، فحمِدَ الله، وأثنى عليه، وشهد شهادة الحق، وقال للمُتكلِّم: إن الله تعالى كما ذكرتَ وعظَّمتَ، ولكنَّ الله تعالى لو أراد أن لا يُعصى ما خلق إبليس، وقد بيَّن ذلك في آيةٍ من القرآن عَلِمها مَن عَلِمها، وجَهِلها من جَهِلها، ثم قرأ: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾ [الصافات].

قال: ومعنا رجلٌ يرى رأي القدرية، فنفعه الله تعالى بقول عمر بن عبد العزيز، ورجع عمَّا كان يقول، فكان أشدَّ الناس بعد ذلك على القدرية.

٦١٠ - **وأخبرنا** الفريابي، قال: ثنا أبو كامل الجَحدري، قال: ثنا بشر بن المُفضَّل، قال: ثنا التيمي، قال: سأل رجل عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ عن القدر؟

فقال: ما جرى ذُبابٌ بين اثنين إلَّا بقدرٍ.

ثم قال للسائِل: لا تعودنَّ تسألني عن مثل هذا.

٦١١ - **أخبرنا** الفريابي، قال: ثنا هشام بن عمَّار، قال: ثنا الهيثم بن عمران، قال سمعت عَمرو بن مُهاجِر، قال: أقبل غيلان وهو مولى لآل عثمان، وصالح بن سويد إلى عمر بن عبد العزيز، فبلغه أنهما ينطقان في القدر، فدعاهما، فقال: أعِلْمُ الله تعالى في عباده نافذٌ أم مُنتقض؟

قالا: بل نافذٌ يا أمير المؤمنين. [٤٢/ب]

قال: ففيمَ الكلام؟![١].

---

(١) قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ في «جامع العلوم والحكم» (١/ ١٠٣): قد قال كثير من أئمة السلف: ناظروا القدرية بالعلم، فإن أقرُّوا به خُصموا، وإن جحدوه فقد =

فخرجا، فلما كان عند مرضه بلغه أنهما قد أسرفا، فأرسل إليهما وهو مُغضبٌ، فقال: ألم يكُ في سابق عِلمه حين أمر إبليس بالسجود أنه لا يسجد؟

قال عَمرو: فأومأتُ إليهما برأسي؛ قولا: نعم.

فقالا: نعم.

فأمر بإخراجهما، وبالكتاب إلى الأجناد بخلاف ما قالا، فمات عمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ قبل أن تَنْفُذَ تلك الكتب.

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٦١٢ ـ كان غيلان مُصرًّا على الكفر بقوله في القدر[1]، فإذا حضر عند عمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ نافق، وأنكر أن يقول بالقدر، فدعا عليه عمر بأن يجعله الله تعالى آيةً للمؤمنين إن كان كاذبًا، فأجاب الله عَزَّوَجَلَّ فيه دعوةَ عمر، فتكلَّم غيلان في وقت هشام هو وصالح مولى ثقيف، فقتلهما وصلبهما، وقَبلَ ذلك قطع يدَ غيلان ولسانه، ثم قتله وصلبه، فاستحسن العلماء في وقته ما فعل بهما.

فهكذا ينبغي لأئمة المسلمين وأُمرائِهم إذا صحَّ عندهم أن إنسانًا

كفروا، يريدون أن من أنكر العلم القديم السابق بأفعال العباد، وأن الله تعالى قسمهم قبل خلقهم إلى شقي وسعيد، وكتب ذلك عنده في كتاب حفيظ، فقد كذَّب بالقرآن، فيكفر بذلك، وإن أقروا بذلك، وأنكروا أن الله خلق أفعال عباده وشاءها وأرادها منهم إرادة كونية قدرية، فقد خصموا؛ لأن ما أقروا به حُجَّة عليهم فيما أنكروه. اهـ.

ـ قال حرب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «عقيدته» (٢٢): ومن أقرَّ بالعلمِ؛ لزِمَه الإقرارُ بالقدرِ والمشيئة على الصِّغَر والقَمَاءَةِ. اهـ.

(١) هذا تصريح من المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتكفير غيلان؛ لأنه كان من نفاة علم الله تعالى، وإنما كان يَكذب ويُلبِّس على من سأله، وقد تقدمت ترجمته برقم (٥٩٧).

يتكلَّم فِي القدر بخلاف ما عليه من تقدَّم: أن يُعاقبَه بمثل هذه العُقوبة، ولا تأخذَهم في الله لومةُ لائِم.

٦١٣ - وحدثني أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، قال: ثنا أبو موسى محمد بن المُثنى، قال: ثنا مُؤمَّل بن إسماعيل، قال: ثنا سفيان الثوري، قال: حدثني شيخ - قال مُؤمَّل: زعموا أنه أبو رجاء الخُراساني - أن عدي بن أرطاة، كتب إلى عمر بن عبد العزيز:

إن قِبَلَنا قومًا يقولون: لا قدرَ، فاكتُبْ إليَّ برأيك، واكتب إليَّ بالحُكم فيهم.

فكتب إليه:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

من عبد الله: عمر أمير المؤمنين إلى عدي بن أرطاة، أما بعد؛

فإني أحمد إليك اللهَ الذي لا إلٰه إلَّا هو، أما بعد؛

فإني أُوصيك بتقوى الله، والاقتصاد في أمره، واتباع سُنة نبيه ﷺ، وتركِ ما أحدثَ المُحدِثون مما قد جرت سُنته، وكفوا مُؤنتَه، فعليكم بلزوم السُّنة، فإن السُّنة إنما سنَّها من قد عَرَف ما في خلافها من الخطإ والزلل، والحُمق والتعمُّق، فارض لنفسك ما رَضِيَ به القوم لأنفسهم، فإنهم عن علمٍ وقفوا، وببصرٍ نافذ قد كَفُّوا، ولهم كانوا على كشف الأمور أقوى، وبفضلٍ لو كان فيه أحرى.

فلئِن قُلتم: (أمرٌ حَدَثَ بَعْدَهم)؛ ما أحدثه بعدهم إلَّا من اتبع غير سُنتِهم، ورَغِبَ بنفسه عنهم، إنهم لهم السابقون، فقد تكلموا منه بما يكفي، ووصفوا منه ما يَشفي، فما دونهم مَقْصَرٌ، وما فوقهم مخسرٌ[1]،

(١) كذا في الأصل. وفي «سُنن أبي داود» (٤٦١٢): (مَحْسَرٍ).

لقد قَصَّرَ عنهم آخرون فغلوا، وإنهم بين ذلك لعلى هُدًى مستقيم[(١)].

كتبت: تسألُني عن القدر؟

على الخبير - بإذن الله تعالى - سقطتَّ، ما أحدث المسلمون مُحدَثة، ولا ابتدعوا بدعةً هي أبينُ أمرًا، ولا أثبتُ من أمر القدر، ولقد كان ذكرُه في الجاهلية الجَهْلاء يتكلمون به في كلامهم، ويقولون به في أشعارهم، يُعزُّون به أنفسهم عن مصائِبهم[(٢)]، ثم جاءَ الإسلام فلم يزده إلَّا شدَّة وقوَّة، ثم ذكره النبي ﷺ في غير حديث، ولا حديثين، ولا ثلاثة، فسمعه المسلمون من رسول الله ﷺ، فتكلَّموا في حياة رسول الله ﷺ، وبعد وفاته يقينًا وتصديقًا وتسليمًا لربهم، وتضعيفًا لأنفسهم أن يكون شيءٌ من الأشياء لم يُحط به علمُه، ولم يُحصِه كتابه، ولم ينفذ فيه قدره.

فلئِن قلتم: قد قال الله تعالى في كتابه كذا وكذا، ولِمَ أنزل الله تعالى أنه كذا وكذا؟

لقد قرءُوا منه ما قد قرأتم، وعَلموا من تأويله ما جهلتم، ثم قالوا

---

(١) عند أبي داود في «سننه» (٤٦١٢): (فما دونهم مِن مَقْصَرٍ، وما فوقهم مِن مَحْسَرٍ، وقد قَصَّرَ قوم دونهم فجَفَوْا، وطَمَحَ عنهم أقوام فغَلَوْا، وإنهم بين ذلك لعلى هدًى مستقيم).

(٢) روى اللالكائي رَحِمَهُ اللَّهُ في «السنة» (١٢٢٢) عن ثعلب رَحِمَهُ اللَّهُ أن العرب قبل الإسلام كانوا على الإيمان بالقدر.

- عن أحمد بن يحيى ثعلب: لا أعلم عربيًّا قدريًّا.

قيل له: يقع في قلوب العرب القول بالقدر؟

قال: معاذ الله، ما في العرب إلَّا مثبت القدر خيره وشرّه، أهل الجاهلية والإسلام، ذلك في أشعارهم وكلامهم كثير. اهـ.

- وفي «خلق أفعال العباد» (٣٢٧) قال قتادة: كانت العرب تُثبت القدر في الجاهلية والإسلام.

بعد ذلك كلِّه: كتابٌ وقدر، وكتَبَ الشِّقْوةَ، وما يُقدَّرْ يَكُنْ، وما شاءَ كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا نملك لأنفسنا ضرًّا ولا نفعًا، ثم رَغِبوا بعد ذلك ورَهَبُوا. والسلام عليك[1].

كتبتَ إليَّ تسألني عن الحُكمِ فيهم؟

فمن أُتيت به منهم: فأَوْجِعْه ضربًا، واستودِعْه الحبسَ، فإن تاب من رأيه السُّوءِ، وإلَّا فاضرب عنقه.

٦١٤ ـ أخبرنا الفريابي، قال: ثنا أبو المنذر عنبسة بن يحيى المروزي ـ بالشاش سنة ثمان وعشرين ومائتين ـ، قال: ثنا أبو داود الحَفَري، عن أبي رجَاءٍ، قال: كتبَ عاملٌ لعمر بن عبد العزيز إليه يسأله عن القدر؟

فكتب إليه: أما بعد،

فإني أُوصيك بتقوى الله تعالى، واتباع سُنة رسوله ﷺ، والاجتهاد في أمره، وترك ما أحدث المُحدِثون بعده... وذكر الحديث نحوًا من الحديث الذي قبله.

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ:

٦١٥ ـ هذه حُجتنا على القدرية: كتاب الله تعالى، وسُنة رسوله ﷺ، وسُنة أصحابه، والتابعين لهم بإحسان، وقول أئمة المسلمين، مع تركنا للجدل والمِراءِ، والبحث عن القدر؛ فإنا قد نُهينا عنه، وأُمرنا بترك مُجالسة القدرية، وأن لا نُناظرهم، ولا نُفاتحهم على سبيل الجدل، بل يُهجرون، ويُهانون، ويُذَلُّون، ولا يُصلى خلف واحدٍ منهم، ولا تُقبل شهادته، ولا يزوَّج، وإن مرض لم يُعَدْ، وإن مات لم تُحضرْ جنازته، ولم تُجَبْ دعوتُه في وليمةٍ إن كانت له.

---

(١) سيأتي تعليق المُصنِّف على هذه العبارة تحت رقم (٦١٨).

فإن جاءَ مُسترشدًا؛ أُرشد على معنى النصيحة له، فإن رجع فالحمد لله، وإن عاد إلى باب الجدل والمِراءِ؛ لم يُلتفتْ عليه، وطُرِدَ، وحُذِر [٤٣/أ] منه، ولم يُكلَّم، ولم يُسلَّم عليه(١).

---

(١) ساق المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعض آثار السلف في معاملة القدرية، وهذا باب كبير جدًا لو جُمِعَ لخرج في كتابٍ، ومن الآثار المهمة في هذا الباب كذلك:

ـ في «السنة» لعبد الله (٩٤٢) عن حماد بن زيد، قال: كنت مع: أيوب، ويونس، وابن عونٍ وغيرهم، فمرَّ بهم عَمرو بن عُبيدٍ، فسلَّم عليهم، ووقفَ وقفةً، فما ردُّوا عليه السَّلام، ثم جاز، فما ذكروه.

ـ وفي «تاريخ أبي زرعة» (١٢١٠) قال عيسى بن يونس: سَلَّم عمرو بن عُبيد على ابن عون فلم يَرُدَّ عليه، وجلس إليه فقام عنه.

ـ وفي «البدع والنهي عنها» لابن وضاح (١٤١): عن إسماعيل بن سعيد البصري، عن رجل أخبره، قال: كنتُ أمشي مع عمرو بن عُبيد فرآني ابن عون فأعرض عني شهرين.

ـ وفي «الضعفاء» للعقيلي (٨٥١) قال الربيع بن نافع أبو توبة: حدثنا أصحابُنا قالوا: لَقِيَ ثورٌ الأوزاعيَ، فمدَّ إليه ثور يده، فأبى الأوزاعي أن يَمُدَّ يده إليه، وقال: يا ثور، إنه لو كانت الدنيا كانت المُقاربة؛ ولكنه الدِّين. يقول: لأنه كان قدريًا.

ـ وفي «القضاء والقدر» (٤٥٧) عن ابن أبي السائب قال: قال لي رجاء بن حيوة: إذا أتيت بلال بن سعد فقل له: إن رجاء بعثني إليك، وقد كَرِهَ أن يقرأ عليك السلام، ويقول: اللَّهم إنه بلغني أنك تتكلم بكلام من كلام المكذبين بمقادير الله ﷻ، فإن كان وقع ذلك في نفسك [فقد وقع في نفسك] شرٌّ، وإن يك ذلك زيغًا أو خطأً فراجع من قريب؛ حتى يعلم المُكذِّبون بمقادير الله أن قد فارقتَهم وتركتَ ما هم عليه.

ـ وفيه (٤٦٥) عن السيباني، قال: قال لي الأوزاعي: يا أبا زرعة، هلك عُبّادنا وخيارنا في هذا الرأي. ـ يعني: القدر ـ.

ـ وفيه (٤٦٦) قال مالك: كان عدّة من أهل الفضل والصلاح قد ضللهم غيلان بن عبد الله.

ـ وفي «الحلية» (٧/ ٢٦) قال أحمد بن عبد الله بن يونس: سمعت رجلًا =

يقول لسفيان: رجلٌ يُكذِّب بالقدر، أأصلي وراءه؟ قال: لا تقدِّموه.

قال: هو إمام القرية، ليس لهم إمامٌ غيره.

قال: لا تقدِّموه، لا تُقدِّموه، وجعل يصيح.

- وفي «السنة» لحرب (٢٩٠) عن مروان قال: سألتُ مالكًا: هل يُصلَّى خلفَ القدري؟ قال: لا.

- وعند اللالكائي (١٢٦٥) عن صدقة بن يزيد، قال: مررت مع أيوب وهو آخذ بيدي إلى المسجد لنصلي فيه، فمررنا بمسجد قد أقيمت الصلاة فيه فذهبت لأدخل، فنتر يده من يدي نترةً، فقال: أما علمتَ أن إمامهم قدريّ؟!.

- وفي «السُّنة» للخلال (٩٣٣) عن إبراهيم بن الحارث، قال: قيل لأبي عبد الله: القدري أُصلي عليه؟

فلم يُجب أبو عبد الله، فقلت أنا له - وأبو عبد الله يسمع -: إذا كان صاحب بدعةٍ فلا يُكلَّم، ولا يُسلَّم عليه، ولا يُصلَّى خلفه، ولا عليه.

فقال أبو عبد الله: عافاك الله يا أبا إسحاق، وجزاك خيرًا. كالمُعجب بقولي.

- وفيه (٩٣١) عن إبراهيم بن الحارث، قال: قيل لأبي عبد الله: قدري أعوده؟

قال: إن كان داعيةً يدعو فلا.

- وفي «الإبانة الكبرى» (١٨٩١) قال شُعيب بن حرب: قلت لسُفيان: يا أبا عبد الله تسبَّب لي قدري، أُزوِّجه؟ قال: لا، ولا كرامة.

- وفي «مُلحق السنة» لحرب (٦٤٩/١١٠) قال: قلت لأبي بكر محمد بن بشّار: أزوِّج القدرية، وأتزوج إليهم؟ قال: معاذ الله.

- وفي «الإبانة الكبرى» (١٩٨٢) عن ابن وهب، قال: سُئِل مالك عن أهل القدر: أيكفُّ عن كلامهم وخصومتهم أفضل؟

قال: نعم، إذا كان عارفًا بما هو عليه، قال: ويأمره بالمعروف، وينهاه عن المنكر، ويخبرهم بخلافهم، ولا يُواضعوا القولَ، ولا يُصلَّى خلفَهم.

قال مالك: ولا أرى أن يُنكحوا.

- وفي «الجامع» لابن عبد الحكم (١٦٧) قال أشهب: سألت مالكًا عن مجالسة القدرية وكلامهم؟ فقال: لا تُجالسوهم، ولا تكلّموهم، إلّا أن تجلس =

إليهم تغلظ عليهم.

فقيل: إن لنا جيرانًا أجالسهم، ولا أكلمهم، ولا أُخاصمهم.

قال: لا تُجالسهم، عادِهم في الله، فإن الله يقول: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة: ٢٢]، فلا توادوهم، ولا تزوروهم.

ـ وفي «الإبانة الكبرى» (٤٢٦) عن يحيى القطان قال: لما قَدِم سفيان الثوري البصرة جعل ينظر إلى الربيع ـ يعني: ابن صُبيح ـ وقدره عند الناس، فسأل: أيُّ شيء هو؟ قالوا: ما مذهبه إلّا السُّنة.

قال: من بطانته؟ قالوا: أهل القدر.

قال: هو قدري.

ـ وفي «القدر» للفريابي (٣٣١) عن النضر بن شُميل قال: كان ابن عون لا يقبض ما بين عينيه لأحدٍ، فإذا حاجَّه القدري أو المرجئ، صرف وجهه، أو قال: حوَّل وجهه عنه.

ـ وفيه (٤٠٤) عن الحسن بن مسلم، قال: كنا جلوسًا عند طاووس، فجاء قتادة يُريد الجلوس إليه، فقال: إن هذا أعمى القلب، والله لئن جلس لأقومنَّ عنه. فقام بعضنا إليه فقال له: يا أبا فلان لقتادة ـ إن هذا قال: لئن جلس لأقومنَّ، وإنا نُحبُّ أن تعتزله، فاعتزله قتادة.

ـ وفي «العلل ومعرفة الرجال» (٢٢٩١) قال أبو جعفر الحذَّاء: قلتُ لسفيان بن عُيينة: إن هذا يتكلَّم في القدر ـ أعني: إبراهيم بن أبي يحيى ـ قال: عرِّفوا الناس بدعته، وسلوا ربكم العافية.

ـ وفي «السنة» لحرب (٢٣٦) قال ابن سيرين: لا تأكلوا ذبائحَ القدريَّة

ـ وفيه (٢٣٨) عن عُمر بن عبد العزيز قال: لا تَغزوا مع القدريَّة؛ فإنَّهم لا يُنصرون.

ـ وفيه (٢٤٦) عن محمد بن كعب القُرظي قال: لُعنتِ القدريَّة على لسانِ سبعين نبيًّا، منهم نبينا هذا، فإذا كان يوم القيامةِ نادى مُنادٍ: ليَقُم خُصماءُ الله. فيقوم القدرية.

* وانظر: اللالكائي (٤٣/سياق ما روي في منع الصلاة خلف القدرية، والتزويج إليهم، وأكل ذبائحهم، وردِّ شهادتهم).

٤٦ ـ باب

ترك البحث والتنقير عن النظر في أمر القدر كيف؟ ولم؟ بل الإيمان به والتسليم[١]

٦١٦ ـ حدثنا أبو العباس سهل بن أبي سهل الواسطي، قال: ثنا أبو حفص عمرو[٢] بن علي، قال: ثنا يحيى بن عثمان القرشي سنة ثمانين ومائة سمعته منه، قال: ثنا يحيى بن عبد الله بن أبي مُليكة، عن أبيه، عن عائشة ﵂، قالت: قال رسول الله ﷺ: «من تكلَّم في القدر سُئِل عنه، ومن لم يتكلَّم فيه لم يُسأل عنه»[٣].

٦١٧ ـ حدثنا سهل بن أبي سهل ـ أيضًا ـ، قال: ثنا عَمرو[٤] بن علي، قال: ثنا حماد بن مسعدة، قال: حدثني زياد أبو عمر، قال: ثنا محمد بن إبراهيم القرشي، عن أبيه، قال: كنت جالسًا عند ابن عمر ﵄ فسُئِل عن القدر؟

فقال: شيءٌ أراد الله تعالى ألا يُطلعكم عليه، فلا تريدوا من الله تعالى ما أبى عليكم[٥].

---

(١) عقد ابن بطة في «الإبانة الكبرى» بابًا نحوه، فقال: (٥٥/باب ما أُمر الناس به من ترك البحث والتنقير عن القدر والخوض والجدال فيه).

(٢) في الأصل: (عمر)، والصواب ما أثبته، وقد تكرر كثيرًا.

(٣) رواه ابن ماجه (٨٤)، والعقيلي في «الضعفاء» (٤/٤١٩)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١٣٧٣). وفي إسناده: يحيى بن عثمان، قال البخاري: منكر الحديث. وقال العقيلي: لا يتابع على حديثه.

(٤) في الأصل: (عمر)، والصواب ما أثبته، كما تقدم في الأثر الذي قبله.

(٥) تقدم الكلام برقم (٣٨٢) عن أن القدر سرُّ الله تعالى استأثر الله ﷻ بعلمه.

قال محمد بن الحسين رحمه الله:

٦١٨ - هذا معنى ما قال عمر بن عبد العزيز في رسالته لأهل القدر، قوله: (فلئِن قُلتم: قد قال الله في كتابه كذا وكذا، يقال لهم: لقد قرءُوا منه - يعني: الصحابة - ما قد قرأتم، وعلموا من تأويله ما جهلتم، ثم قالوا بعد ذلك كله: كتابٌ وقدرٌ، وكُتبت الشِّقْوَةُ، وما قُدِّر يكن، وما شاءَ كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا نملك لأنفسنا ضرًّا ولا نفعًا، ثم رغبوا بعد ذلك ورهبوا، والسلام).

٦١٩ - أخبرنا الفريابي، قال: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: ثنا وكيع، عن سفيان الثوري، عن داود بن أبي هند: أن عُزيرًا سأل ربَّه تعالى عن القدر؟

فقال: سألتني عن عِلمي، عُقوبتك: أن لا أُسميَك في الأنبياء[1].

٦٢٠ - قال: أخبرنا الفريابي، قال: ثنا قُتيبة بن سعيد، قال: ثنا جعفر بن سُليمان، عن أبي عمران الجَوني، عن نوف، قال: قال عُزير فيما يُناجي به ربه تعالى: يا ربِّ، تخلقُ خلقًا فتُضلُّ من تشاء، وتهدي من تشاء؟!

قال: قيل له: يا عُزير، أعرض عن هذا.

قال: فعاد، فقال: يا ربِّ، تخلق خلقًا، فتُضلُّ من تشاءُ، وتهدي من تشاء؟!

قال: قيل له: يا عُزير، أعرض عن هذا، ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ۝٥٤﴾ [الكهف].

---

(١) قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٨٩): المشهور أن عُزيرًا نبي من أنبياء بني إسرائيل، وأنه كان فيما بين داود وسليمان، وبين زكريا ويحيى، وأنه لما لم يبق في بني إسرائيل من يحفظ التوراة ألهمه الله حفظها، فسردها على بني إسرائيل. اهـ.

فعاد، فقال: يا عُزير، لتُعرِضنَّ عن هذا أو لأمحونَّك من النبوة، إني لا أُسأل عما أفعل وهم يُسألون[١].

٦٢١ ـ حدثني أبو عبد الله جعفر بن إدريس القزويني، قال: ثنا أبو يوسف يعقوب بن إسحاق القزويني الصوَّاف، قال: ثنا سهل بن عثمان العسكري، قال: حدثني سعيد بن النعمان، عن نَهشل، عن الضحاك بن عثمان، قال: وافيتُ المَوْسِم، فلقِيتُ في مسجد الخِيف ـ ذَكَرَ جماعةً ـ، قال: ورأيت طاووسًا اليماني، فسمعته يقول لرجل: إن القدرَ سِرُّ الله تعالى، فلا تدخلنَّ فيه، ولقد سمعت أبا الدرداء يُحدِّثُ عن نبيكم ﷺ: أن موسى عليه السلام لما خرج من عند فرعون مُتغيِّرَ الوجه، إذ استقبله مَلَكٌ من خُزَّان النار، وهو يُقلِّب كفَّيه مُتعجِّبًا لما قال له الروح الأمين: «إن ربك عز وجل أرسلك إلى فرعون، مع أنه قد طُبع على قلبه فلن يؤمن، قال: يا جبريل، فدُعائِي ما هو؟ قال: امْضِ لما أُمِرْتَ، قال: صدقتَ، ثم قال: يا موسى، نحن اثنا عشر مَلكًا من خُزَّان النار، قد جَهِدْنا على أن نسأل في هذا الأمر، فأُوحِيَ إلينا: أن القدر سرُّ الله، فلا تدخلوا فيه»[٢].

٦٢٢ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا عبد الأعلى بن حماد، قال: ثنا حماد بن سلمة، قال: أنا كلثوم بن جبر، عن وهب بن مُنبِّه أنه قال: أجد في التوراة، أو في الكتاب: أنا الله لا إله إلَّا أنا، أنا خالق الخلق، خلقت الخير والشرَّ،

---

(١) رواه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٢١٢٢) بأطول من هذا عن موسى وعيسى والعزير عليهم السلام.

وقد شرحه ابن تيمية في «جامع المسائل» (٦/ ٦١) وبين المراد منه.

(٢) رواه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٢١٢١).

وفي إسناده: نهشل، والذي يظهر أنه ابن سعيد، فإن يكن هو فقد قال إسحاق بن راهويه: كان كذابًا. وقال أبو حاتم والنسائي: متروك. «الميزان» (٤/ ٢٧٥).

وخلقت من يكون الخير على يديه، فطُوبى لمن خلقته ليكون الخير على يديه، وويلٌ لمن خلقته ليكون الشرُّ على يديه.

٦٢٣ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا قُتيبة بن سعيد، قال: ثنا الليث بن سعد، عن عُقيل، عن الزهري، عن مُسافع الحاجب أنه قال: وجدوا حَجَرًا حين نقضوا البيت فيه ثلاثة صفوح[1]، فيها كتابٌ من كُتب الأُوَل، فدُعِي لها رجلٌ فقرأها، فإذا في صَفحٍ منها:

أنا الله ذو بكَّة، صُغتها يوم صُغت الشمس والقمر، حَففتُها بسبعة أملاك، وباركت لأهلها في اللحم والماء.

وفي الصفحِ الآخر: أنا الله ذو بكَّة، خلقت الرَّحم، واشتققت لها مِن اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها بتُّه[2].

وفي الصَّفح الثالث: أنا الله ذو بكَّة، خلقت الخيرَ والشرَّ، فطوبى لمن كان الخير على يديه، وويلٌ لمن كان الشرُّ على يديه.

٦٢٤ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا سويد بن سعيد، قال: ثنا يوسف بن سهل الواسطي، قال: حججتُ فسمعت رجلًا يُلبي يقول في تلبيته: (لبَّيك لبَّيك، والشرُّ ليس إليك)، فلما دخلت مكةَ لقيتُ سُفيان، فأخبرته بالذي سمعت، فما زادني على أن قال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ [الفلق].

٦٢٥ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا قَطَنُ بن نُسَيْر، قال: ثنا جعفر بن سليمان، قال: ثنا أبو سِنان، قال: اجتمع وهب بن مُنبِّه، وعطاء الخُراساني بمكة، فقال عطاءٌ: يا أبا عبد الله [٤٣/ب]، ما كُتبٌ بلغني أنها كتبت عنك في القدر؟

فقال وهبٌ: ما كتبتُ كُتبًا، ولا تكلَّمتُ في القدر.

---

(١) في «النهاية» (٣/ ٣٤): صَفْحُ كلِّ شيءٍ: وجهُه وناحيتُه.

(٢) في «النهاية» (١/ ٩٣): (البت): القطع.

ثم قال وهبٌ: قرأت نيفًا وسبعين من كُتبِ الله تعالى، منها نيّفٌ وأربعون ظاهرة في الكنائِس، ومنها نيّفٌ وعشرون لا يعلمها إلَّا قليل من الناس، فوجدت فيها كلِّها: أن مَن وَكَلَ إلى نفسِه شيئًا من المشيئَة فقد كفر(١).

---

(١) لوهب بن مُنبِّه رحمه الله كتاب في القدر سمَّاه: «كتاب الحِكمة»، ذكر فيه المعاصي ونزَّه الله عنها، وهذا الكتاب يحتجُّ به القدرية على مذهبهم الباطل، وقد أُنكر على وهب تأليفه له، فرجع عن ذلك وندم عليه.

- ففي «العُزلة» للخطابي (ص٢٣) قال الحارث بن أبي أسامة: ذكر عند محمد بن عمر الواقدي رجلٌ هجرَ رجلًا حتى مات، فقال: هذا شيء قد تقدم فيه قوم: . . كان طاووسٌ مُهاجرًا لوهب بن مُنبِّه حتى مات.

قال: وإنما كان هِجران طاووس وهبًا لأن وهبًا مال في آخر أمره إلى رأي القدرية، وأظهره للناس، فعاتبه طاووس على ذلك، فلما لم ينته عنه نابذه وهجره. اهـ.

- وفي «الصفات» لابن المُحب (٧٤٩) عن زمعة بن صالح، عن ابن طاووس: أن أباه قال لوهب بن مُنبه فيما يذكر منه في القدر: يا وهب، إني لا أعلَمُك إلَّا قد أفْرَيت على الله فيما تقول! ما أدركت من أصحاب النبي ﷺ أحدًا يقول ما تقول، ولقد سمعت ابن عباس رضي الله عنه يقول: كل شيء بقدر، حتى العجز والكَيْس بقدر، وحتى التواني والكسل.

قال وهب بن منبه: أستغفر الله.

قال زمعة: قال لنا ابن طاووس: وهب يرى ذلك الرأيَ اليوم.

قلت: الظاهر أنه رجع عن ذلك ففي «السير» (٥٤٨/٤): قال أحمد: اتهم بشيء منه، ورجع. وقال العجلي: رجع. اهـ.

- وفي «السُّنة» للخلال (٨٩٨/ أ) عن سفيان، عن عَمرو، قال: قلت لابن مُنبِّه، ودخلت عليه، فأطعمني من جوزة في داره، فقلت له: وددت أنك لم تكن كتبت في القدر كتابًا قطّ. قال: وأنا وددت أني لم أفعل.

قال حنبل: سألت أبا عبد الله عن ذلك، فقال: يريد كتاب وهب كتاب «الحكمة»، ويذكر فيه المعاصي، وينزِّه الربَّ جلَّ وعزَّ ويُعظِّمه.

قال أبو عبد الله: وهؤلاء يحتجُّون به. - يعني: القدرية -.

- وفي «الإبانة الكُبرى» (١٨٩٤) عن يزيد الخراساني، قال: بَيْنَا أنا =

٦٢٦ ـ **وأنبونا** الفريابي، قال: حدثني أبو حفص عمرو بن عثمان الحمصي، قال: ثنا بقية بن الوليد، قال: ثنا أبو عَمرو ـ يعني: الأوزاعي ـ قال: ثنا العلاءُ بن الحجاج[(١)]، عن محمد بن عبيد المكي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قيل له: إن رجلًا قدم علينا يُكذِّب بالقدر.

فقال: دلوني عليه. وهو يومئذٍ أعمى.

فقالوا: وما تصنع به؟!

قال: والذي نفسي بيده لئِن استمكنتُ منه لأعَضنَّ أنفه حتى أقطعه، ولئِن وقعتْ رقبتُه في يدي لأدُقَّنَّها.

ومكحول، إذ قال: يا وهب بن مُنبِّه أي شيءٍ بلغني عنك في القدر؟

قال: عني؟! قال: نعم.

فقال: والذي كرَّمَ محمدًا ﷺ بالنبوة، لقد اقترأت من الله ﷻ اثنين وسبعين كتابًا، منه ما يُسَرُّ ومنه ما يعلن، ما منه كتابٌ إلَّا وجدت فيه: من أضاف إلى نفسه شيئًا من قدر الله، فهو كافر بالله. فقال مكحول: الله أكبر.

ـ وفي «تاريخ دمشق» (٦٣/٣٨٦) قال وهب: كنت أقول بالقدر، حتى قرأت بضعة وسبعين كتابًا من كتب الأنبياء، في كلها: (من جعل إلى نفسه شيئًا من المشيئة فقد كفر) فتركت قولي.

ـ وفي «الإبانة الكبرى» (١٨٩٥) عن أبي سنان قال: عُرِضَ على وهب ابن مُنبِّه كلام من التفويض، زعموا أنه من كلامه في ورقة. فقال: اقطع هذا، ليس هذا من كلامي.

«فائدة»: يُقال لفرقة من فرق القدرية: (المفوِّضة).

ـ قال الملطي رحمه الله في «التنبيه والرد» (ص١٧٤): ومن القدرية صنف يقال لهم: (المُفوِّضة) زعموا أنهم مُوكَّلون إلى أنفسهم، وأنهم يقدرون على الخير كله بالتفويض الذي يذكرون دون توفيق الله وهداه، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا. اهـ.

قلت: فالتفويض في أبواب القدر غير التفويض في أبواب صفات الله تعالى، فتنبه.

(١) في «الإبانة الكبرى» (١٧٤٤): (بن اللجلاج).

والذي نفسي بيده لا ينتهي بهم سُوء رأيهم حتى يُخرِجوا الله تعالى من أن يكون قدَّر الخير، كما أخرجوه من أن يُقدِّر الشرَّ.

٦٢٧ ـ **وأخبرنا** الفريابي، قال: ثنا عَمرو بن عثمان الحمصي، قال: ثنا بقية، قال: ثنا أبو عَمرو الأوزاعي، عن عَبدة بن أبي لُبابة، قال: عَلِمَ الله تعالى ما هو خالق، وما الخلق عاملون، ثم كتبه، ثم قال لنبيه ﷺ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧٠﴾ [الحج].

٦٢٨ ـ **وأخبرنا** الفريابي، قال: ثنا أبو أنس مالك بن سليمان الألهاني الحمصي، قال: ثنا بقية بن الوليد، عن أرطاة بن المنذر، عن مجاهد بن جبر، أنه بلغه عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «إن أوَّل شيءٍ خلقه الله القلم، فأخذه بيمينه وكِلتا يديه يمين، قال: فكتب الدنيا، وما يكون فيها من عملٍ معمولٍ، بِرٍّ أو فجورٍ، رطبٍ أو يابسٍ، فأحصاه عنده في الذكر».

ثم قال: «اقرءوا إن شئتم: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٢٩﴾ [الجاثية]، فهل تكون النُّسخة إلَّا من أمر قد فُرِغَ منه»(١).

❁ قال محمد بن الحسين رحمه الله:

٦٢٩ ـ فهذا طريق أهل العلم:

الإيمان بالقدر خيره وشرِّه، واقعٌ من الله بمقدورٍ جرى، يُضلُّ من يشاء، ويهدي من يشاءُ، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ۝٢٣﴾ [الأنبياء].

وأما الحُجَّة في تركِ مُجالسة القدرية، ولا يُفاتحون بكلام، ولا بمُناظرةٍ إلَّا عند الضرورة وإثبات الحُجَّة عليهم وتبكيتهم، أو يسترشِد

---

(١) تقدم تخريجه برقم (٤٢١).

منهم مُسترشِدٌ للاسترشاد فيُرشد، ويُوقَف على طريق الحقِّ، ويُحذَّر طريقَ الباطل، فلا بأس بالبيان على هذا النعت، وسأذكر في ذلك ما يدلُّ على ما قلت إن شاءَ الله، والله الموفق لكلِّ رشاد[1].

٦٣٠ ـ أخبرنا الفريابي، قال: ثنا إسحاق بن راهويه، قال: أنا المُقرئُ عبد الله بن يزيد، قال: ثنا سعيد بن أبي أيوب، عن عطاءِ بن دينار، عن حكيم بن شريك الهذلي، عن يحيى بن ميمون الحضرمي، عن ربيعة الجُرَشي، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا تُجالسوا أهلَ القدر، ولا تُفاتحوهم»[2].

٦٣١ ـ حدثنا أبو العباس سهل بن أبي سهل الواسطي، قال: ثنا أبو حفص عمرو بن علي، قال: ثنا عبد الله بن يزيد المُقرئُ، قال: ثنا سعيد بن أبي أيوب. . . وذكر الحديث مثله سواء.

---

(١) قال ابن بطة رحمه الله في «الإبانة الكبرى» (٢١٢٥): فإن المُجالسةَ لهم ومناظرتهم: تَعرُّ، وتغرُّ، وتضرُّ، وتُمرِضُ القلوب، وتُدنِّسُ الأديان، وتُفسد الإيمان، وتُرضي الشيطان، وتُسخط الرحمٰن:

أ ـ إلَّا على سبيل الضرورةِ عند الحاجةِ من الرجل العالم العارف الذي كثُر علمه، وعَلَت فيه رُتبته، وغزُرت معرفته، ودَقت فطنته، فذاك الذي لا بأس بكلامه لهم عند الحاجةِ إلى إقامةِ الحُجَّةِ عليهم؛ لتقريعهم، وتبكيتهم، وتهجينهم، وتعريفهم وحشةَ ما هم فيه من قبيح الضلال، وسيئِ المقال، وظلمةِ المذهب، وفساد الاعتقاد.

ب ـ أو لمُسترشدٍ مُجدٍّ مُشمّر في طلب الحقِّ، حريص عليه، قد ألقى المقاليد من نفسه، وأعطى أزمّةَ قِيادِها، وبذل الطاعةَ منها، يلتمس الرشاد، وسبل السَّداد، ويرجو النجاةَ، فذلك لا بأس بإرشاده وتوفيقه، والصبر على تَبَصُّرِه؛ حتى يكشف الأغطيةَ عن قلبه، ويَخرج عن أكنته، ويلزم طريق الاستقامةِ إلى ربه، وكل ذلك برحمةِ الله وتوفيقه.اهـ.

(٢) رواه أحمد (٢٠٦)، وأبو داود (٤٧١٠)، وعبد الله بن أحمد في «السُّنة» (٣٣٩). وفي إسناده: حكيم بن شريك. قال في «الميزان» (١/ ٥٨٦): قوّاه ابن حبان، وقال أبو حاتم: مجهول.

٦٣٢ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا محمد بن داود، قال: ثنا أحمد بن صالح، قال: ثنا عبد الله بن وهب، قال: ثنا الليث بن سعد، عن عبيد الله بن عمر، قال: كنا نُجالس يحيى بن سعيد[1] فيسرُد علينا مثل اللؤلؤ، فإذا طلع ربيعةُ قطع يحيى الحديثَ إعظامًا لربيعة، فبَيْنا نحن يومًا يُحدِّثنا تلا هذه الآية: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر]، فقال له جميل بن نُباتة العراقي وهو جالسٌ معنا: يا أبا محمد، أرأيت السِّحرَ من تلك الخزائِن؟

فقال يحيى: سُبحان الله! ما هذا من مسائِل المسلمين.

فقال عبد الله بن أبي حبيبة: إن أبا محمد ليس بصاحب خصومة؛ ولكن عَلَيَّ فأَقْبِلْ، أما أنا فأقول: إن السِّحرَ لا يضرُّ إلَّا بإذن الله، أفتقول أنت ذلك؟ فسكت، فكأنما سَقَطَ عنَّا جبل[2].

٦٣٣ ـ أخبرنا إبراهيم بن الهيثم الناقد، قال: ثنا محمد بن بكَّار، قال: ثنا إسماعيل بن عياش، عن عمر بن محمد العمري، قال: جاءَ رجل إلى سالم بن عبد الله، فقال: رجلٌ زنى.

فقال سالم: يستغفر الله ويتوب إليه.

فقال له الرجل: الله قدَّره عليه؟!

فقال سالم: نعم.

---

(١) الأنصاري توفي سنة (١٤٣هـ) رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) في «الإبانة الكبرى» (٤٩١) قال عون بن عبد الله: لا تُجالسوا أهل القدر، ولا تُخاصموهم؛ فإنهم يضربون القرآن بعضه ببعضٍ.

ـ وفي «القدر» للفريابي (٣٧٧) عن ابن عون، قال: كان محمد يرى أن هذه الآية نزلت في أهل الأهواء: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الأنعام: ٦٨]، وقرأ ابن عون حتى ختم الآية.

قال: ثم أخذ قبضةً من الحَصْباء؛ فضَرَبَ بها وجهَ الرجل، وقال: قُم[١].

٦٣٤ ـ **حدثنا** أبو بكر بن أبي داود، قال: ثنا أيوب شيخ لنا، قال: ثنا إسماعيل بن عَمرو البجلي، قال: ثنا عبد الملك بن هارون بن عنترة، عن أبيه، عن جده، قال: أتى رجلٌ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: أخبرني عن القدر؟

فقال: طريقٌ مُظلمٌ فلا تسلكه.

قال: أخبرني عن القدر؟

قال: بحرٌ عميقٌ فلا تَلِجْه.

قال: أخبرني عن القدر؟

قال: سرُّ الله فلا تكلَّفْه.

ثم ولَّى الرجل غيرَ بعيد، ثم رجع، فقال لعليٍّ: في المشيئَة الأُولى أقوم وأقعد، وأقبضُ وأبسط؟

فقال له علي رضي الله عنه: إني سائِلك عن ثلاث خِصال، ولن يجعل الله تعالى لك ولا لمن ذكر المشيئَة مخرجًا:

---

(١) رواه عبد الله في «السُّنة» (٩١٠) وفيه زيادة بيان عن سبب ضربه بالحصى.

قال: كتبه عَلَيَّ، ويُعذِّبني عليه؟! قال: نعم. قال: فأخذ له الحصى.

ـ وفيه أيضًا (٩٣٩) عن محمد بن كعب القُرظي، أن الفَضل الرَّقاشي قعدَ إليه، فذاكرَه شيئًا مِن القدرِ، فقال له محمد: تشهَّد. فلما بلغَ: (مِن يهدِهِ الله فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضلِل فلا هادي له)؛ رفع محمدٌ عصًا معه، فضربَ بها رأسه، وقال: قم، فلما قام فذهبَ، قال: لا يرجعُ هذا عن رأيه أبدًا.

ـ وفي «العلل ومعرفة الرجال» (٢٩١٤) عن محمد بن عبد الله الأنصاري قال: رأيت داود بن أبي هند يضرب عوفًا الأعرابي ويقول: ويلك يا قدري، ويلك يا قدري.

وانظر التعليق على أثر رقم (٥٣٧ و٥٧٧) ففيه زيادة بيان.

أخبرني أخلقك الله لما شاءَ أو لما شئتَ؟

قال: بل لما شاءَ. [٤٤/أ]

قال: أخبرني أفتجيءُ يوم القيامة كما شاءَ أو كما شئت؟

قال: لا بل كما شاءَ.

قال: أخبرني أخلقك الله كما شاءَ أو كما شئت؟

قال: لا بل كما شاء.

قال: فليس لك من المَشيئَة شيء(١).

٦٣٥ ـ حدثنا أبو بكر بن أبي داود، قال: ثنا أحمد بن صالح، قال: ثنا سفيان بن عيينة، عن عَمرو بن دينار، قال: قال لنا طاووس: أَخِّروا(٢) معبدًا الجُهَني فإنه كان قدريًّا(٣).

٦٣٦ ـ أخبرنا الفريابي، قال: ثنا قُتيبة بن سعيد، قال: ثنا سفيان، عن عمرو، قال: قال لنا طاووس: أخِّروا معبدًا الجُهَني فإنه كان يتكلَّم بالقدر.

٦٣٧ ـ أخبرنا الفريابي، قال: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: ثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرني يحيى بن سعيد، عن أبي الزبير أنه كان مع طاووس يطوف بالبيت، فمرَّ معبد الجُهَني، فقال قائل لطاووس: هذا معبد الجُهَني.

فعدل إليه، فقال: أنت المُفتري على الله، القائلُ ما لا تعلم؟!

قال: إنه يُكذب عليَّ.

قال أبو الزبير: فعدلت مع طاووس، حتى دخلنا على ابن عباس رضي الله عنهما، فقال له طاووس: يا أبا عباس، الذين يقولون في القدر.

---

(١) تقدم برقم (٥٠٤).

(٢) تقدم ذكر الخلاف في ضبط هذه الكلمة برقم (٤٣٨).

(٣) سيأتي الكلام عن معبد الجهني إمام القدرية تحت رقم (٦٤٢).

قال: أروني بعضهم.

قلنا: صانعٌ ماذا؟

قال: إذًا أضعَ يدي في رأسه فأدقَّ عنقه.

٦٣٨ - حدثنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن شاهين، قال: ثنا عمار بن خالد الواسطي، قال: ثنا مرحوم بن عبد العزيز العطار، قال: سمعت أبي وعمي يقولان: سمعنا الحسن ينهى عن مُجالسة معبد الجُهَني، ويقول: لا تجالسوه.

قال: وقال أبي: لا أعلم يومئذٍ أحدًا يتكلم في القدر غير معبدٍ، ورجلٍ من الأساورة يُقال له: سسنوه[1].

٦٣٩ - أخبرنا الفريابي، قال: ثنا محمد بن مُصفًى، قال: ثنا بقية، قال: حدثني محمد بن نافع الثقفي، عن محمد بن عبيد بن أبي عامر المكي، قال: لقيت غيلان بدِمَشْقَ مع نفرٍ من قريش، فسألوني أن أُكلمه، فقلت له: اجعل لي عهدَ الله وميثاقه ألا تغضب، ولا تجحد، ولا تكتُم.

قال: فقال: ذلك لك.

فقلت: نشدتك الله، هل في السموات والأرض شيءٌ قطُّ من خيرٍ أو شرٍّ لم يشأه الله، ولم يَعلمْه حتى كان؟

قال غيلان: اللَّهم لا.

قلت: فعِلْمُ الله تعالى بالعباد كان قَبْلُ، أو أعمالُهم؟

قال غيلان: بل عِلمُه كان قبلَ أعمالِهم.

قلت: فمن أين كان عِلمُه بهم؟ من دارٍ كانوا فيها قبله، جَبَلهم في

(١) في هامش الأصل: (سيسنويه) خ.
وسيأتي برقم (٦٤٣) ضبط اسمه، وأنه أول من تكلم في البصرة بالقدر.

تلك الدار غيره، وأخبره الذي جبلهم هو في الدار عنهم غيره؟ أم من دارٍ جبلهم هو فيها، وخلق لهم القلوب التي يَهْوَوْنَ بها المعاصي؟

قال غيلان: بل من دارٍ جبلهم هو فيها، وخلق لهم القلوب التي يهوون بها المعاصي.

قلت: وهل كان الله يُحبُّ أن يُطيعه جميعُ خلقِه؟

قال غيلان: نعم.

قلت: انظر ما تقول؟!

قال: هل معها غيرها؟

قلت: نعم.

قلت: فهل كان إبليس يُحبُّ أن يَعصي اللهَ جميعُ خلقه؟

قال: فلما عَرفَ الذي أُريد سكت، فلم يردَّ عليَّ شيئًا(١).

٦٤٠ ـ أخبرنا الفريابي، قال: ثنا نصر بن عاصم، قال: ثنا الوليد بن مسلم، عن سعيد بن عبد العزيز، عن مكحول أنه قال: حسيبُ غيلانَ اللهُ، لقد ترك هذه الأمة في مثل لُجَج البحار(٢).

٦٤١ ـ وأخبرنا الفريابي، قال: ثنا نصر، قال: ثنا الوليد، عن ابن جابر، قال: سمعت مكحولًا يقول: ويحك يا غيلان! لا تموت إلَّا مفتونًا(٣).

---

(١) قد فهم غيلان المراد من هذا الكلام وأنه يلزمه أن إرادة إبليس أقوى من إرادة الله تعالى، إذ إن الله أراد من الإنسان الطاعة فلم يطع، وأراد إبليس من الإنسان المعصية فعصى، فكان ما أراده إبليس. وانظر نحوه (٦٤٩) ففيه زيادة بيان.

(٢) وفي «الإبانة الكبرى» (٢٠٩٠) عن مكحول قال: ويحك يا غيلان! ركِبتَ بهذه الأمةِ مِضمار الحرورية، غير أنك لا تخرج عليهم بالسيف، والله لأنا على هذه الأمةِ منك أخوف من المُزقِّقين أصحاب الخمر.

(٣) اتُّهم مكحول رَحِمَهُ الله بالقدر، ولعل ذلك بسبب مجالسته لغيلان ومدحه له قبل أن يطعن فيه.

ـ ففي «تهذيب الكمال» (١٠/ ٢٩٣) قال أبو داود: سألت أحمد هل أنكر أهل النظر على مكحول شيئًا؟

قال: أنكروا عليه مجالسة غيلان، ورموه به، فبرًأ نفسه بأن نحَّاه.

ـ وفي «تهذيبه» (١٠/ ٢٩٣) قال الجوزجاني: كان ممن يتوهم عليه القدر.

وقال يحيى بن معين: كان قدريًا ثم رجع. اهـ.

ـ وفي «ذم الكلام» (٨٥٩)، وتاريخ دمشق (٤٨/ ٢٠١) عن علي بن أبي حملة قال: كان غيلان يجلس إلى مكحول، فقيل له: إنّ هذا يُجالسك، فقال: يأتيني ويجلس إليَّ، فما أصنع به، أطرده؟!

قال ابن عساكر: لعل مكحولًا قال هذا قبل أن يدعو غيلانُ إلى بدعته، فلمَّا أظهرها ودعا إليها نهى مكحول عن مجامعته.

ـ وفي «العلل ومعرفة الرجال» (٥٢٤٧) قال ليث: كان مكحول يُعجبه كلام غيلان! فكان إذا ذكره قال: كل كليله، يريد: قل قليله. ـ يعني: ما أقلَّ في الناسَ مثلَه، يعني: غيلان، وكانت فيه لكنة. ـ يعني: مكحولًا ـ.

وبسبب هذه المخالطة والمجالسة هجره رجاء بن حيوة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ـ ففي «ذم الكلام» (٨٥٩) قال ضمرة بن ربيعة: سمعت عبد الله بن حسان يذكر عن أُسيد بن عبد الرحمٰن قال: رأيت مكحولًا سَلّم على رجاء بن حيوة فلم يرُدّ عليه رجاء.

قلت: ثم بعد ذلك هجر غيلان وحذَّر منه.

ـ ففي «تاريخ دمشق» (٤٨/ ٢٠٢) عن محمد بن عبد الله الشعيثي، عن مكحول قال: أتاه رجل، فقال: يا أبا عبد الله، أتيت صديقًا لك اليوم أعوده. فدفع في صدري دونه، قال: من هو؟ فكأنه كره أن يخبره، فما زال به حتى قال: هو غيلان. قال: غيلان؟! قال: نعم. قال: إن دعاك غيلان فلا تجبه، وإن مرض فلا تَعُدْه، وإن مات فلا تُشيعْ جنازته.

ـ وفي «القضاء والقدر» (٤٥٤) عن رجاء بن حيوة، قال: قال عمر بن عبد العزيز لمكحول: إياك أن تقول في القدر ما يقول هؤلاء ـ يعني: غيلان وأصحابه ـ.

ـ وفي «الإبانة الكبرى» (١٩٠٧) عن إبراهيم بن عبد الله الكناني، قال: حلف مكحولٌ لا يجمعه وغيلانَ سقفُ بيتٍ إلَّا سقفُ المسجد، وإن كان ليراه =

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ:

٦٤٢ ـ فإن قال قائل: مَنْ أئمةُ القدرية في مذاهبهم؟

قيل له: قد أجلَّ الله تعالى المسلمين عن مذاهبهم، وأئمتُهم في مذاهبهم القَذِرة:

أ ـ مَعْبَدٌ الجُهَني بالبصرة، وقد ردَّ عليه الصحابة رضي الله عنهم والتابعون ما قد تقدم ذكرنا له[1].

في أُسطوان من أسطوانات السوق، فيخرج منه.

ـ وفيه (١٧٩٩) قال الأوزاعي: لم يبلغنا أن أحدًا من التابعين تكلَّمَ في القدرِ إلَّا هذين الرَّجُلين: الحسنَ ومكحولًا، فكشفنا عن ذلك؛ فإذا هو باطل.

ـ وفي «السُّنة» لعبد الله (٨٧٠) عن إبراهيم بن أبي عَبلَةَ، قال: وقفَ رجاءُ بن حَيوة على مكحول ـ وأنا معه ـ، فقال: يا مكحولُ، بلغني أنك تكلَّمتَ في شيءٍ مِن القدرِ؛ ووالله لو أعلم ذلك لكنتُ صاحبك مِن بين الناس.

فقال مكحول: لا والله ـ أصلحك الله ـ، ما ذاك مِن شأني، ولا من قولي.

(١) وهو من أئمة القدرية نفاة العلم، وهو أول من تكلَّم في القدر بالبصرة، أخذ مذهبه من نصراني أسلم، ثم تنصَّر، وقد هلك معبدٌ سنة (٨٠هـ).

ـ قال ابن أبي حاتم رَحِمَهُ اللَّهُ في «الجرح والتعديل» (٨/ ٢٨٠) بعد ذِكره الخلاف في اسمه: . . الصحيح أن لا يُنسب، وكان أول من تكلم في القدر بالبصرة. . سمعت أبي يقول: كان صدوقًا في الحديث، وكان رأسًا في القدر، قَدِم المدينة فأفسد بها ناسًا .اهـ.

ـ قال الهروي رَحِمَهُ اللَّهُ في «ذم الكلام» (٥/ ١١١): فأما فتنة القدر؛ فأول من تكلَّمَ بها معبد الجهني، رجل من أهل البصرة، كان عنده حظٌّ من العلم، يقال له: معبد بن خالد. . مات بعد الهزيمة، وكان يومئذ مع ابن الأشعث، وأصابته جراحة، وهو أول من تكلم بالقدر، وهو الذي تبرَّأ منه عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، فتكلَّم به عَمرو بن عُبيد، وجادل به غيلان. . إلى آخر كلامه، وسيأتي بقيته في ترجمة عَمرو بن عبيد وغيلان.

ـ قال ابن حبان في «المجروحين» (٣/ ٣٦): كان يُجالس الحسن، وهو =

ب - وقبله رجلٌ من أهل العراق كان نصرانيا فأسلم، ثم تنصَّر، فأخذ عنه معبد الجُهَني القدر، كذا قال الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

ج - وأخذ غيلان عن مَعبدٍ، وقد تقدَّم ذكرنا لقِصَّة غيلان، وما عجَّل الله له من الخزي في الدنيا، وما له في الآخرة أعظم[(١)].

د - وعَمرو بن عُبيد، وما ذَمَّه العلماء، وهجروه، وكفَّروه[(٢)].

أول من تكلم بالبصرة في القدر، فسلك أهل البصرة بعده مسلكه فيها لمَّا رأوا عَمرو بن عُبيد ينتحله.. قتله الحجَّاج بن يوسف صبرًا. اهـ.

- وفي «تهذيب الكمال» (٢٨/ ٢٤٨): قال صدقة بن يزيد: كان الحجاج يُعذِّب معبدًا الجهني بأصناف العذاب، فلا يجزع، ولا يستغيث.

قال: وكان إذا تُرِكَ من العذاب يرى الذباب مقبلة تقع عليه، فيصيح ويضج.

قال: فيقال له. قال: أما إن هذا من عذاب بني آدم، فأنا أصبر عليه، والذباب من عذاب الله، فلست أصبر عليه، فقتله.

- وفيه: وقال عبيد الله بن سعيد بن كثير بن عفير: حدثني أبي، قال: في سنة ثمانين قتل عبدُ الملك معبدًا الجهني وصلبه بدمشق.

- قال الذهبي في «السير» (٤/ ١٨٧): يكون صلبه، ثم أطلقه. اهـ.

- قال ابن العماد الحنبلي في «شذرات الذهب» (١/ ٣٢٧): وفيها (أي: سنة ٨٠) صَلب عبد الملك معبدًا الجهني في القدر، وقيل: بل عذّبه الحجّاج بأنواع العذاب، وقتله. اهـ.

قلت: ذكر المُصنف كثيرًا من آثار السلف في بيان حاله، والتحذير منه.

(١) تقدمت ترجمة غيلان تحت أثر (٥٩٧).

(٢) وهو إمام المعتزلة القدرية، أبو عثمان البصري، توفي سنة (١٤٣هـ).

كان أول الأمر يظهر التزهد والتعبد، حتى اغتر به الناس وأَحَبُّوه، وكان ممن اغترَّ به أبو جعفر المنصور، فكان يقول فيه:

كلكم يمشي رويد... كلكم يطلبُ صيد... غير عَمرو بن عُبيد.

قوله: (كلكم) أي: ممن يدخل عليه ويُجالسه ممن ينتسب إلى العلم والزهد، وإلَّا فهناك كثيرٌ من علماء السلف والسنة في زمانة لم يكونوا يُجالسونه، ولا يدخلون عليه، أمثال الثوري، وابن المبارك والأوزاعي =

رحمهم الله وغيرهم من أهل العلم والزهد، بل كانوا ينهون عن مُجالسة السُّلطان، ويحذِّرون من الدخول عليهم لما فيها من فتنة الدين والدنيا فتنبه.

ومما يُبيّن كذب عَمرو بن عُبيد في تخشّعه وعبادته:

ـ ما رواه العقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٢٨٦) بإسناده عن نوح بن قيس: كان بين عمرو بن عُبيد وبين أخي خالد بن قيس إخاء فكان يزورنا، فكان إذا صلّى في المسجد يقوم كأنه عود، قال: فقلت لخالد: أما ترى عمرًا ما أخشعه وأعبده؟ فقال: ما تراه إذا صلى في البيت كيف يصلي؟

قال: فنظرت إليه إذا صلى في البيت يلتفت يمينًا وشمالًا.

ـ قال زكريا بن يحيى الساجي: عَمرو بن عُبيد بن باب، مات بطريق مكة سنة ثلاث وأربعين ومائة، وكان قدريًّا، وكان داعية، تركه أهل النقل ومن كان يُميّز الأثر من أهل البصرة. وروى عنه الغُرباء، وكان له سَمتٌ، وإظهارُ زُهدٍ، فرووا عنه، وظنُّوا به خيرًا، وقد روى عنه شُعبة حديثين ثُم تركه.

«تاريخ بغداد» (١٤/ ٨٣ و٨٧).

ومع كذبه في التخشع والعبادة فهو كذاب في حديث النبي ﷺ.

ـ ففي «تاريخ بغداد» (١٤/ ٨٢) قال يونس: كان عَمرو يكذب في الحديث.

قال نُعيم: وسمعت ابن عُيينة مرارًا يقول: حدثني عَمرو وكان كذّابًا.

ـ قال الهروي في «ذم الكلام» (٥/ ١١١): وأما عَمرو بن عُبيد، وهو عَمرو بن عبيد بن كيسان بن باب أبو عثمان، مولى بني تميم البصري، مات سنة ثلاث وأربعين ومئة في طريق مكة، فإنه أول من بسط أساسه، فأصبح رأسه، ونظم له كلامًا، ونصبه إمامًا، ودعا إليه، فصار مذهبًا يسلك، وهو إمام الكلام، وداعية الزندقة الأولى، ورأس المعتزلة، سُموا به: لاعتزاله حلقة الحسن البصري، وهو الذي لعنه إمام أهل الأثر مالك بن أنس الأصبحي، وإمام أهل الرأي النعمان بن ثابت القفيلي أبو حنيفة، وحذَّر منه إمام أهل المشرق عبد الله بن المبارك الحنظلي،.. فسلط الله ﷻ عليه وعلى من استتبع واخترع سيفًا من سيوف الإسلام، وهو أبو بكر أيوب بن أبي تميمة السختياني، واسم أبيه كيسان، من أهل البصرة، فهتك أستاره، وأظهر عواره، ووسمه باللعنة، وألحق به بلاء تلك الفتنة. اهـ.

وقد تقدم تكذيبه لحديث ابن مسعود ؓ وقوله ـ أخزاه الله ـ: (ولو سمعت =

ابن مسعود يقول هذا ما قبلته، ولو سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا لرددته، ولو سمعت الله تعالى يقول هذا لقلت له: ليس على هذا أخذت ميثاقنا).

- وفي «السنة» للخلال (٨٥٠) عن أبي بكر المروذي قال: سألت أبا عبد الله عن عَمرو بن عُبيد؟ قال: كان لا يُقِرُّ بالعلم، وهذا الكفر بالله ﷻ.

- وفي «ذم الكلام» (٨٦٠) عن عبد الرحمٰن بن مهدي قال: دخلت على مالك، وعنده رجل يسأله عن القرآن، فقال: لعلك من أصحاب عَمرو بن عُبيد؟ لعن الله عَمرًا، فإنه ابتدع هذه البدع من الكلام، ولو كان الكلام علمًا لتكلم فيه الصحابة والتابعون كما تكلموا في الأحكام والشرائع، ولكنه باطل يدل على باطل.

- وفي «مسائل» ابن هانئ (١٩٠٣) قال: سمعت أبا عبد الله يقول: كان عَمرو بن عُبيد، رأس المعتزلة، وأولهم في الاعتزال.

- وفي «السنة» لعبد الله (٩٤٣) عن علي بن الحسن بن شَقيق، قال: قلت لعبد الله - يعني: ابن المبارك -، سمعتَ مِن عَمرو بن عُبيد؟

قال هكذا بيده، أي: كثيرًا.

قلت: فلم لا تُسمِّيه، وأنت تُسمِّي غيرَه مِن القدرية؟

قال: لأن هذا كان رأسًا.

- وفي «الجرح والتعديل» (١/ ٢٧٣) قال نعيم بن حماد: قلت لابن المبارك: لأي شيء تركوا عَمرو بْن عُبَيد؟

قال: إن عمرًا كان يدعو إلى القدر.

- وفي «المجروحين» (٢/ ٦٩): .. كان يشتم الصَّحابة، ويكذِبُ في الحديث. اهـ.

- قال عَمرو بن عُبيد في عبد الله بن عمر ﵄: كان حَشْويًّا.

- وفي «تاريخ بغداد» (١٤/ ٦٣) قال معاذ بن معاذ: قلت لعَمرو بن عُبيد: كيف حديث الحسن أن عثمان ﵁ ورث امرأة عبد الرحمٰن بعد انقضاء العدة؟

فقال: إن عثمان لم يكن صاحب سُنة!

- وفيه: قال يحيى: قلت لعمرو بن عبيد: كيف حديث الحسن عن سمرة ﵁؟ - يعني: في السكتتين في التكبير -.

فقال: ما نصنع بسمرة، قبَّح الله سمرة.

هؤلاء أئمتهم الأنجاس الأرجاس(١).

٦٤٣ - **أخبرنا** الفريابي، قال: ثنا صفوان بن صالح، قال: ثنا محمد بن شعيب، قال: سمعت الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: أول من نطق بالقدر: رجلٌ من أهل العراق يقال له: سوسن، وكان نصرانيًّا فأسلم، ثم تنصَّر، ثم أخذ عنه معبد الجُهَني، وأخذ غيلان عن مَعْبد(٢).

- قال عبد الله بن مسلمة الحضرمي: سمعت عَمرو بن عُبيد يقول: لو شَهِدَ عندي عليٌّ وطلحة والزبير وعثمان على شِراك نعلٍ ما أجزت شهادتهم.

- وعن عمرو بن النضر، قال: سُئل عَمرو بن عُبيد يومًا عن شيء وأنا عنده، فأجاب فيه، فقلت: ليس هكذا يقول أصحابنا.

فقال: ومن أصحابك لا أبا لك؟

قلت: أيوب، ويونس، وابن عون، والتيمي.

قال: أولئك أرجاسٌ أنجاسٌ، أمواتٌ غير أحياء.

* انظر: «السُّنة» لعبد الله (باب ما قالته العلماء في عَمرو بن عُبيد).

وقد أفرد الدارقطني رَحِمَهُ اللَّهُ مصنفًا في «أخبار عَمرو بن عُبيد»، وهو منشور.

وانظر ما تقدم من التعليق على أثر رقم (١) ففيه زيادة بيان عن هذا الهالك.

(١) عقد لهم ابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ في «الإبانة الكبرى» بابًا جمع فيه كلام أئمة السنة في أئمة القدرية، فقال: (٥٤/باب ذكر الأئِمةِ المُضلين الذين أحدثوا الكلام في القدر، وأول من ابتدعه وأنشأه، ودعا إليه).

- وقال في «الإبانة الصُغرى» (٥٤٨): ومِن رُؤسائهم أيضًا - وهم أصحابُ القدرِ -:

مَعبدٌ الجُهنيّ، وغَيلانُ القدريُّ، وثُمامةُ بنُ أشرَسَ، وعَمرو بن عُبيدٍ، وأبو الهُذيلِ العَلَّافُ، وإبراهيمُ النَّظّام، وبِشرُ بن المُعتمر، في جماعةٍ سواهم أهلُ كفرٍ وضَلالٍ يَعُم.

ومنهم: [محمد] بنُ عبدِ الوهَّابِ الجُبَّائي، وأبو العنبسِ الصَّيمريّ. اهـ.

(٢) في «السُّنة» لعبد الله (٨٢٥): (سسويه).

وفي «القدر» للفريابي (٣٤٧): (سنسويه).

- وفي «الإبانة الكبرى» (٢٠٨٢) عن ابن عون قال: أمران أدركتهما وليس =

٦٤٤ ـ أخبرنا الفريابي، قال: ثنا إسحاق بن موسى الأنصاري، قال: ثنا أنس بن عياض، قال: أرسل إليَّ عبد الله بن يزيد بن هُرمز، فقال: لقد أدركت وما بالمدينة أحدٌ يُتَّهم بالقدر إلَّا رجل من جُهينة يقال له: مَعْبد الجُهَني، فعليكم بدين العواتق(١) اللاتي لا يَعرفن إلَّا الله تعالى(٢).

بهذا المِصر منهما شيء: الكلام في القدر؛ إن أوَّل من تكلم فيه رجل من الأساورةِ، يقال له: سَيْسُوْيَه، وكان دحيقًا، ـ قال: وما سمعته قال لأحدٍ: دحيقًا غيره ـ، قال: فإذا ليس له عليه تَبَعٌ إلَّا الملّاحون، ثم تكلم فيه بعده رجل كانت له مجالسةٌ يقال له: معبد الجهني، فإذا له عليه تَبَعٌ، ثم قال: وهؤلاءِ الذين يُدْعَوْن: المُعتزلة.

ـ وفي «السُّنة» للخلال (٨٤٦) قال أحمد: أول من تكلَّمَ في القدر بالبصرة: معبد الجهني، و(سسلوا) رجلٌ من الأساورة.

(١) (جارية عاتِقٌ): شابة أوَّلَ ما أدرَكت. «العين» (١/ ١٩٠).

(٢) أي: اللاتي نشأن على الفطرة الصحيحة على الإسلام والسُّنة التي جاء بها النبي ﷺ، ولم يُغيرن، ولم يُبدلن، ولم تدخل عليهن البدع المُحدثة، والأهواء المُضلة.

ـ وهذا الأثر يبينه ما سيأتي (٩٦٧) عن أنس بن مالك ﷺ لما بلغه عن أناس غيَّروا وبدلوا وأنكروا حوضِ نبينا ﷺ يوم القيامة، فقال: والله ما شعرت أني أعيش حتى أرى أمثالكم تشكُّون في الحوضِ، لقد تركت عجائِز بالمدينة، ما تُصلي واحدة منهنَّ صلاة إلَّا سألت ربها ﷻ أن يوردها حوضَ محمد ﷺ.

ـ وفي «الإبانة الكبرى» (٢٠٦) عن جعفر بن بُرقان: أن عمر بن عبد العزيز قال لرجلٍ وسأله عن الأهواء، فقال: عليك بدينِ الصَّبي الذي كان في الكُتَّاب والأعرابيّ، والْهَ عمَّا سِواهما.

ـ قال في «جماع الأصول» (١/ ٢٩٢) أراد بقوله: (دين الأعراب، والغلمان، والصبيان): الوقوف عند قبول ظاهر الشريعة، واتباعها من غير تفتيش عن الشُّبه، وتنقير عن أقوال أهل الزيغ والأهواء، ومثله قوله: (عليكم بدين العجائز).

ـ وفي «الحلية» (٧/ ٣٠) قال سفيان الثوري: عليكم بما عليه الحمَّالون، والنساء في البيوت، والصبيان في الكُتَّاب من الإقرار والعمل.

٦٤٥ ـ **وأخبرنا** الفريابي، قال: ثنا محمد[(١)] بن خالد، قال: ثنا معاذ بن معاذ، قال: سمعت ابن عون يقول: أول ما تكلَّمَ الناس في القدر بالبصرة: معبد الجُهَني، وأبو يونس الأُسواري[(٢)].

٦٤٦ ـ **وأخبرنا** الفريابي، قال: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: ثنا مَرحوم بن عبد العزيز، عن أبيه، وعمه سمعهما يقولان: سمعنا الحسن وهو ينهى عن مجالسةِ معبد الجُهَني، يقول: لا تُجالِسوه فإنه ضَالٌّ مُضِلٌّ.

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ:

٦٤٧ ـ ثم اعلموا ـ رحمنا الله وإياكم ـ أن القدري لا يقول: (اللَّهم وفقني)، ولا يقول: (اللَّهم اعصمني)، ولا يقول: (لا حول [٤٤/ب] ولا قوة إلَّا بالله)؛ لأن عنده أن المشيئة إليه، إن شاءَ أطاع، وإن شاءَ

وهذا كله إذا وجدوا من يعلمهم التوحيد والسنة الصحيحة، فنشؤوا على ذلك، وأما إذا نشؤوا على البدع وترك السُّنة فلا يقال حينئذ: (عليكم بدين العجائز والصبيان).

ـ ففي «الحلية» (٢/ ٣٨٣) قال فُضيل بن عياض: رأى مالك بن دينار رجلًا يُسيء صلاته، فقال: ما أرحمني بعياله. فقيل له: يا أبا يحيى، يُسيء هذا صلاته، وترحم عياله؟! قال: إنه كبيرهم ومنه يتعلمون.

ـ وعند ابن أبي شيبة (٢٩٢٩) عن عبد الله بن بريدة قال: رأى أبي ناسًا يَمرُّ بعضهم بين يدي بعض في الصلاة.

فقال: ترى أبناء هؤلاء إذا أدركوا يقولون: إنا وجدنا آباءنا كذلك يفعلون.

(١) في الأصل: (أحمد)، والصواب ما أثبته كما تقدم (٨٤).

(٢) في «الإبانة الكبرى» (٢٠٨٥) عن ابن عون، قال: أدركت البصرةَ وما بها أحدٌ يقول هذا القول إلَّا رجُلان ما لهما ثالث: معبد الجهني، وسَنْسُوَيْه.

قال ابن عون: وكان محقورًا ذليلًا، وهذه القدريةُ والمعتزلةُ كذبوا على الحسن ونحلوه ما لم يكن من قوله، قد قاعدْنا الحسنَ، وسمعنا مقالته، ولو علمنا أن أمرهم يصير إلى هذا لواثبناهم عند الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ، وليكونن لأمرهم هذا غبٌّ، وإني لأظن عامة من أهل البصرةِ إنما يُصرف عنهم النصرُ لما فيهم من القدرية.

عصى، فاحذروا مذاهبهم لا يفتنونكم عن دينكم[١].

---

(١) عبادة الدعاء عند جميع الفرق المخالفة لأهل السُّنة في القدر ـ النفاة والجبرية ـ هي عبادة محضة أو علامة محضة، وليس له فائدةٌ حقيقيةٌ، ولا تعلق له بالدنيا أو بالدين.

فالقدرية النفاة لا يجوز عندهم سؤال الله تعالى الهداية؛ لأنها ليست بيده، وهو قد فعل ما يقدر عليه منها، وهو إرسال الرسل.

ـ قال ابن بطة رَحِمَهُ اللهُ في «الإبانة الكبرى» (٢٠٥٣): احذروا مذاهب المشائيم القدرية، الذين أزاغ الله قلوبهم، فأصمهم وأعمى أبصارهم، وجعل على قلوبهم أكِنَّةً أن يفقهوه، وفي آذانهم وقرًا، حتى زعموا أن المشيئة إليهم، وأن الخير والشرَّ بأيديهم، وأنهم إن شاءوا أصلحوا أنفسهم، وإن شاءُوا أفسدوها، وأن الطاعةَ والمعصيةَ إليهم، فإن شاءُوا عصوا الله وخالفوه فيما لا يشاؤه ولا يريده، حتى ما شاءُوا هم كان، وما شاءَ الله لا يكون؛ وما لا يشاؤه لا يكون، وما لا يشاءُه الله يكون.

فإن القدري الملعون لا يقول: (اللّٰهم اعصمني)، ولا: (اللّٰهم وفقني)، ولا يقول: (اللّٰهم ألهمني رشدي)، ولا يقول: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨]، ويقول: إن الله لا يزيغ القلوب ولا يضلُّ أحدًا، ويجحد القرآن، ويعاند الرسول ﷺ، ويخالف إجماع المسلمين، ولا يقول: (لا حول ولا قوَّةَ إلَّا بالله)، ولا يقول: (ما شاء الله كان، وما لا يشاءُ لا يكون)، ويُنكر ذلك على من قاله، ويزعم أن المشيئة إليه والحول والقوَّة بيديه، وأنه إن شاءَ أطاع الله، وإن شاءَ عصى، وإن شاءَ أخذ، وإن شاءَ أعطى، وإن شاءَ افتقر، وإن شاءَ استغنى.

وينكر أن يكون الله ﷻ خالق الشرِّ، وأن الله شاءَ أن يكون في الأرض شيءٌ من الشرِّ، وهو يعلم أن الله خلق إبليس وهو رأس كل شرٍّ، وأن الله علم ذلك منه قبل أن يخلقه، والله تعالى يقول: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ [الفلق]، والله يقول: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصافات]، ويقول: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢].

فالقدري يجحد هذا كله، ويزعم أنه يعصي الله قسرًا، ويخالفه شاء أم أبى. اهـ.

٦٤٨ ـ أخبرنا الفريابي، قال، ثنا عَمرو بن علي، قال، سمعت معاذ بن معاذ، يقول: صليت أنا وعمر بن الهيثم الرقاشي، خَلْفَ الربيع بن بُرَّة، قال معاذ: أخبرني عمر بن الهيثم أنه حضرته الصلاة مَرَّة أُخرى، فصلى خلفه، قال: فقعدت أدعو، فقال: لعلَّك ممن يقول: اللَّهم اعصمني؟!

قال معاذٌ: فأعدت تلك الصلاة بعد عشرين سنة.

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللهُ:

وكان الربيع بن بُرَّة هذا قدريًّا، وكان من المُتعبِّدين عندهم[(١)].

٦٤٩ ـ أخبرنا الفريابي، قال، ثنا عَمرو بن علي، قال، سمعت معاذ بن معاذ يقول: أخبرني عمر بن الهيثم، قال: خرجت في سفينة إلى الأَيْلَة[(٢)] أنا وقاضيها هُبيرة بن العُديس، قال: وصَحِبَنا في السفينة مَجوسيٌّ وقدريٌّ.

قال: فقال القدريُّ للمجوسيِّ: أَسْلِم.

قال: فقال المجوسيُّ: حتى يُريد الله.

فقال: فقال القدريُّ: الله يُريد، والشيطان لا يَدَعُك.

---

(١) قال العقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٥٣): الربيع بن بُرَّة بصري، كان يرى القدر، ويدعو إليه.. وليس يعلم للربيع مسندٌ، وإنما يُروى عنه مقطعاتٌ عن الحسن، وكلامٌ له في القصص. اهـ.

ـ قال ابن بطة رَحِمَهُ اللهُ في «الإبانة الكبرى» (٢٠٥٤): والربيع بن برَّةَ هذا من كبار مشائِيم القدريةِ بالبصرة، وكان من العباد المُجتهدين في هذا الخذلان، عصمنا الله وإياكم منه، ومِن كلِّ بدعة. اهـ.

قلت: وقع تصحيف في «الإبانة الكبرى» بتحقيقي في اسم (بُرَّة) فكُتِبت: (بَزَّة) بالمعجمة، والصواب ما أثبته هاهنا كما في كتب التراجم، فلتُصوَّب.

(٢) في هامش الأصل: (الأبُلَّة) خ.

وفي «معجم البلدان» (١/ ٢٩٢) والأيلة: بالفتح: مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام، وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام.

قال: يقول المجوسيُّ: أراد الله، وأراد الشيطان، فكان ما أراد الشيطان، هذا شيطان قويٌّ![1].

قال محمد بن الحسين:

هذا الكلام ذكره الفريابي بالفارسيَّةِ عن القدريِّ والمجوسيِّ، ثم فسَّره لنا الفريابي هذا المعنى ونحوه.

٦٥٠ - حدثنا أبو الفضل العباس بن يوسف الشَّكلي، قال: قال بعض العلماء: مسألةٌ يُقطَعُ بها القدري:

يقال له: أخبرنا أراد الله تعالى مِن العباد أن يؤمنوا فلم يَقدِر، أو قَدَر فلم يُرد؟

فإن قال: قَدَر، ولم يُرد.

قيل له: فمن يهدي من لم يُرد الله هدايته؟

---

(١) انظر أثر رقم (٦٣٩) نحوه.

- وفي «الإبانة الكبرى» (٢٠٣٧) قال أبو صالح: وقف رجلٌ على حلقةٍ فيها عَمرو بن عُبيد، فقال: إني قدمت بلدكم هذا، وإن ناقتي سُرقت، فادع الله أن يَرُدَّها عليَّ.

فقال عَمرو: يا هؤلاءِ، ادعوا الله لهذا الذي لم يُرِدِ الله أن تُسرق ناقته فسُرِقت أن تُرَدَّ عليه.

فقال الأعرابي: لا حاجةَ لي بدعائِك.

قال: ولِمَ؟!

قال: أخاف كما أراد أن لا تُسرق فسُرِقت، أن يُريد أن تُردَّ عليَّ فلا تُردَّ عليَّ.

قلت: فهؤلاء القدرية يزعمون أن الله ﷻ شاء الإيمان والطاعة من الكافر وأرادها منه، فلم يستطع إلى ذلك سبيلًا، والشيطان شاء منه الكفر والعصيان فقدر على ذلك، فكان ما شاء وأراد، فغلبت مشيئته مشيئة الله ﷻ، تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا.

وإن قال: أراد، فلم يَقدِر.

قيل له: لا يشكُّ جميع الخلق أنك قد كفرت يا عدوَّ الله.

٦٥١ - **أخبرنا** الفريابي، قال: حدثني أبو تقي هشام بن عبد الملك، قال: ثنا بقية بن الوليد، قال: حدثني أبو عتاب[1]، قال: بينا أنا أُغسِّل رجلًا من أهل القدر، قال: فتفرَّقوا عني، فبقيت وحدي، فقلت: ويلٌ للمُكذِّبين بأقدار الله تعالى.

قال: فانتفض حتى سقط عن دَفِّه[2]، قال: فلما دفنَّاه عند باب الشرقي، فرأيته في ليلتي تلك في منامي كأني مُنصرفٌ من المسجد، إذ الجنازة في السوق يحملها حبشيَّان رجلاها بين يديها، فقلت: ما هذا؟!

فقالوا: فلان.

فقلتُ: سبحان الله! أليس قد دفناه عند باب الشرقي؟!

قال: دفنتموه في غير موضعه.

فقلت: والله لأتبعنَّه حتى أنظر ما يُصنع به، فلما أن خرجوا به من باب اليهود مالوا به إلى نواويس النصارى[3]، فأتوا قَبرًا منها فدفنوه فيه، فبدت لي رجلاه، فإذا هو أشدّ سوادًا من الليل[4].

---

(١) في هامش الأصل: (غياث) خ.

(٢) في «لسان العرب» (٩/ ١٠٤): الدَّفُ والدَّفَّةُ: الجَنبُ مِن كلِّ شيء، بالفتحِ لا غير.

(٣) أي: مقابر النصارى.

(٤) وذلك لأن أصل القدر من جهة النصارى كما تقدم في قصة الجاثليق مع عمر ﷺ، وقصة سنسويه النصراني الذي أضل معبدًا الجهني.

- وفي «الإبانة الكبرى» (٢٠٨٧) عن داود بن أبي هند، قال: ما فشت القدريةُ بالبصرةِ حتى فشا من أسلم من النصارى.

- وفي «السنة» للخلال (٨٤٧) قال أصحاب مسلم بن يسار: كان مسلم =

٦٥٢ ـ أخبرنا الفريابي، قال، ثنا أحمد بن أبي الحواري إملاءً عليَّ، قال: قلت لأبي سُليمان الداراني: من أراد الحُظْوَة[1] فليتواضع في الطاعة.

فقال لي: ويحك! وأيُّ شيءٍ التواضع؟ إنما التواضع أن لا تُعجب بعملك، وكيف يُعجبُ عاقلٌ بعمله؟ وإنما نعد العمل نعمة من الله تعالى، ينبغي أن نشكر الله تعالى ونتواضع، إنما يُعجب بعمله القدريُّ الذي يزعم أنه يعمل، فأما من زعمَ أنه يُستعملُ، فكيف يُعجب؟!

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ:

٦٥٣ ـ يُقال للقدري: يا من قد لَعِبَ به الشيطان، يا من يُنكر أن الله خلق الشرَّ، أليس إبليسُ أصلَ كلِّ شرٍّ؟

أليس الله خلقه؟

أليس الله تعالى خلق الشياطين وأرسلهم على من أراد ليضلوهم عن طريق الرُّشد؟

فأيُّ حُجَّة لك يا قدريُّ؟

يا من قد حُرِمَ التوفيق، أليس الله تعالى قال: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، إلى قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [فصلت]؟

وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾

= يقعد إلى هذه السارية، فقال: إن معبدًا يقول بقول النصارى. ـ يعني: معبدًا الجهني ـ.

ـ وفي «الإبانة الكبرى» (١٩٠٨) قال أبو داود السجستاني: وغيلان كان نصرانيًا.

(١) في «لسان العرب» (١٤/ ١٨٥): الحُظْوَة والحِظوة والحِظَة: المَكانة والمَنزِلة للرجلِ مِن ذي سُلطان ونحوه.اهـ.

﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ [الزخرف].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾ [مريم]؟

٦٥٤ ـ حدثنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الحلواني، قال: ثنا خلف بن هشام البزار، قال: ثنا أبو شهاب ـ يعني: الحناط ـ، عن الأعمش، عن خيثمة، وعمارة بن عمير، عن مسروق، قال: دخلت أنا وأبو عطية على عائشة رضي الله عنها فقلنا لها: يا أُم المؤمنين، إن أبا عبد الرحمٰن ـ يعني: ابن مسعود رضي الله عنه ـ يقول: من أحبَّ لقاءَ الله أحبَّ الله لقاءه، ومن كَرِهَ لقاءَ الله كَرِهَ الله لقاءَه، فأيُّنا يُحبُ الموت؟

فقالت: يرحمُ اللهُ ابن أم عَبدٍ، حدَّثَ أولَ الحديث، وأمسكَ عن آخره، ثم أنشأتْ تُحدِّث، فقالت: إذا أراد الله بعبدٍ خيرًا بعث إليه ملكًا قبل موته بعامٍ يُسدِّده، ويوفّقه حتى يموت على خير أحايينه، فيقول الناس: مات فلانٌ على خير أحايينه، فإذا حُضر ورأى ما أُعد له، جعل يتهوَّع[١] نفسَه من الحرص على أن تخرج، هناك أحبَّ لقاءَ الله، وأحبَّ الله لقاءَه.

وإذا أراد الله بعبدٍ غير ذلك، قيَّضَ له شيطانًا قبل موته[٢] يغويه، ويَصده حتى يموت على شرِّ أحايينه، فيقول الناس: مات فلان على شرِّ أحايينه، فإذا حُضر ورأى ما أُعدَّ له جعل يبتلع نفسه كراهية أن تخرج، هناك: كره لقاءَ الله، وكره الله لقاءَه[٣].

---

(١) في «لسان العرب» (٨/ ٣٧٧): تَهَوَّع وقَاء.. وإذا تكلَّفَ ذلك قيل: تَهَوَّعَ.

(٢) في هامش الأصل: (بعام) خ.

(٣) رواه عبد الرزاق (٦٧٤٩)، وإسحاق بن راهويه في «مسنده» (١٥٩١).

وروى البخاري في «صحيحه» (٦٥٠٧) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، عن =

٦٥٥ ـ أخبرنا الفريابي، قال: أنا عثمان بن أبي شيبة، قال: ثنا جرير بن عبد الحميد، عن الأعمش، عن خيثمة، عن أبي عطية، قال: دخلت أنا ومسروق، على عائشة ﵂، فذكرنا لها قول عبد الله بن مسعود ﵁: من أحبَّ لقاءَ الله أحبَّ الله لقاءَه، ومن كَرِهَ لقاءَ الله كَرِهَ الله لقاءَه.

فقالت عائشة ﵂: يرحم الله أبا عبد الرحمٰن، [٤٥/أ] حدَّثكم أول الحديث، ولم تسألوه عن آخره، وسأُحدثكم عن ذلك:

إن الله تعالى إذا أراد بعبدٍ خيرًا قيَّض له قبل موته ملكًا يُسدِّده ويُبشِّره، حتى يموت وهو خير ما كان، ويقول الناس: مات فلانٌ على خير ما كان، فإذا حُضر ورأى ثوابه من الجنة، فجعل يتهوَّع نفسه، ودَّ لو خرجت نفسه، فذلك حين أحبَّ لقاءَ الله، وأحبَّ الله لقاءَه.

وإذا أراد الله بعبدٍ شرًّا قيَّض له شيطانًا قبل موته بعامٍ، فجعل يفتنه ويضله حتى يموت شرَّ ما كان، ويقول الناس: مات فلانٌ شرَّ ما كان، فإذا حُضر ورأى منزله من النار، فجعل يبتلع نفسه أن تخرج، هناك حين كَرِهَ لقاءَ الله، وكَرِهَ الله لقاءه.

٦٥٦ ـ حدثنا أبو محمد جعفر بن أحمد بن عاصم الدمشقي، قال: ثنا أحمد بن أبي الحواري، قال: ثنا عبد الله بن حُجر، قال: قال عبد الله بن المبارك ـ يعني لرجل سمعه يقول: ما أجرأَ فلانًا على الله ـ.

النبي ﷺ قال: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه».

قالت عائشة أو بعض أزواجه: إنا لنكره الموت.

قال: «ليس ذاك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بُشِّرَ برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حُضِرَ بُشِّر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه، كره لقاء الله وكره الله لقاءه».

فقال: لا تقل: (ما أجرأ فلانًا على الله)؛ فإن الله تعالى أكرم من أن يُجتَرأ عليه؛ ولكن قل: ما أغرَّ فلانًا بالله.

قال: فحدَّثت به أبا سُليمان الداراني، فقال: صدق ابن المبارك، الله تعالى أكرم من أن يُجترأ عليه؛ ولكنهم هانوا عليه فتركهم ومعاصيَه، ولو كَرُموا عليه لمنعهم منها[1].

٦٥٧ ـ وحدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد، قال: ثنا الحسين بن الحسن المروزي، قال: أنا ابن المبارك، قال: أنا شريك، عن سالم، عن سعيد بن جبير في قول الله تعالى: ﴿أُوْلِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصَٰرِ ۝٤٥﴾ [ص] قال: (الأيدي): القوة في العمل، و(الأبصار): بصَرهم[2] ما هم فيه من دينهم.

قال محمد بن الحسين:

٦٥٨ ـ فإن اعترض بعض هؤلاء القدرية بتأويله الخطأ، فقال:

قال الله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩]، فيزعم أن السيئة مِن نفسه، دون أن يكون الله تعالى قضاها وقدَّرها عليه.

قيل له: ي جاهل، إن الذي أُنزلت عليه هذه الآية هو أعلم بتأويلها منك، هو الذي بيَّن لنا جميع ما تقدَّم ذكرنا له من إثبات القدر، وكذلك الصحابة الذين شاهدوا التنزيل ﷺ، هم الذين بيَّنوا لنا ولك إثبات المقادير لكلِّ ما هو كائنٌ من خيرٍ أو شرٍّ.

---

(١) كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ۝٢٣﴾ [الأنفال].

(٢) في الأصل: (بصرهم) بتخفيف من غير شدة، وفي هامش الأصل: (بصَّرهم) خ.

وقيل له: لو عَقَلْتَ تأويلَها لم تُعارضْ بها، ولعلمتَ أن الحُجَّة عليك لا لك.

فإن قال: كيف؟

قيل له: قوله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩]، أليس الله تعالى أصابه بها: خيرًا كان أو شرًّا؟

فاعقل يا جاهل، أليس قال الله تعالى: ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ﴾ [يوسف: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد][1].

وهذا في القرآن كثيرٌ، ألا ترى أن الله تعالى يُخبرنا أن كل مصيبةٍ تكون بالعباد من خيرٍ أو شرٍّ فالله يُصيبهم بها، وقد كتب مصائبهم في علمٍ قد سبق، وجرى به القلم على حسب ما تقدَّم ذكرنا له.

فاعقلوه يا مسلمين، فإن القَدريَّ محرومٌ مِن التوفيق.

---

(١) قال الكرجي رَحِمَهُ اللَّهُ في «نكت القرآن» (٤/ ٢٦٣): حُجَّة على القدرية والمعتزلة واضحة ـ إذ قد أخبر نصًّا بإيداع المصائب كتابه السابق قبل وقوعها، والهاء في ﴿نَّبْرَأَهَآ﴾ لا تخلو من أن تكون راجعة على الأنفس، أو على الأرض، فإن كانت على الأرض فالأنفس مخلوقة بعدها، وإن كانت على الأنفس فمصائبها مكتوبةٌ علمها قبل خلقها، وهي على كل الأحوال قبل الأنفس، ولا يتمانع ذو الحِجا ـ من أهل اللغة ـ أن المعاصي أكبر المصائب والجنايات من جانبها، في المجني عليه مصيبة واصلة إليه، مَنْ كُتِبَ إليه فِعل يفعلُه أو يُفعلُ به، فلا بُدَّ من كونه. اهـ.

وقد رُوي أن هذه الآية التي يحتجُّ بها القدريُّ في قراءة عبد الله بن مسعود وأُبي بن كعب رضي الله عنهما: (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأنا كتبتها عليك).

٦٥٩ - أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي، قال: ثنا محمد بن بكار، قال: ثنا إسماعيل بن عياش، عن عبد الوهاب بن مجاهد، عن أبيه، قال: في قراءة عبد الله وأُبي رضي الله عنهما: (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأنا كتبتها عليك)[1].

---

(١) في «السُّنة» للخلال (٨٩٥) قال حنبل: قلت لأبي عبد الله: إن قومًا يحتجُّون بهذه الآية: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩].
فقال أبو عبد الله: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ والله قضاها.
- قال السمعاني رحمه الله في «تفسيره» (١/ ٤٥١): ومعنى الآية الثانية: ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ أي: مَا أصابَك من سيِّئَة من الله، فبذنب نَفسك عُقوبَة لك.
واعلَم أنه ليس في الآيَة مُتعَلَّق لأهل القدر أصلًا؛ فإن الآية فيما يُصِيب الناس من النعم والمحن، لا في الطاعات والمعاصي؛ إذ لو كان المُراد مَا توهموا، لقال: (مَا أَصَبتَ من حسَنَة فمن الله، وما أصبتَ من سيِّئَة)؛ فلما قال: (ما أصَابَك من حَسَنَة وَمَا أَصَابَك من سَيِّئَة)؛ دلّ أنه أرادَ: مَا يُصِيب العباد من النِّعم والمِحن، لا في الطاعات والمعاصي. . - ثم ذكر ما روي عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما -، وقال: وهو يُؤيِّد قولنا: إن المراد: بذنب نفسك. اهـ.
- وقال ابن القيم رحمه الله في «شفاء العليل» (٢/ ٢٤) (باختصار):
قال القدري: قال الله سبحانه: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾.
وعند الجبري: أن الكلَّ فعل الله، وليس من العبد شيء!
قال الجبري: في الكلام استفهام مقدَّر، تقديره: أفمن نفسك؟ فهو إنكار لا إثبات، وقرأها بعضهم: (فَمَنْ نَفسُكَ)؟ بفتح الميم، ورفع نفسك، أي: من أنت حتى تفعلها؟

٦٦٠ - أخبرنا الفريابي، قال: ثنا قتيبة بن سعيد، وعبد الأعلى بن حماد، قالا: ثنا المعتمر بن سليمان، عن حميد الطويل، عن ثابت، عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: قُضِيَ القضاءُ، وجفَّ القلم، وأُمور تُقضى في كتاب قد خلا.

٦٦١ - أخبرنا الفريابي، قال: حدثني أبو بكر محمد بن إسحاق، قال: أخبرنا أصبغ بن الفرج، قال: أخبرني ابن وهب، قال: أخبرني يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: إني رجلٌ شابٌّ، وأنا أخاف على نفسي العَنَتَ[1]، ولا أجد ما أتزوَّج به النساء، فائذَن لي أختصي، قال: فسكت عني، قال: ثم قلت مثل ذلك، فسكت

قال السُّني: أخطأتما جميعًا في فهم الآية أقبحَ الخطأ، ومنشأُ غلطكما أن الحسنات والسيئات في الآية المراد بها (الطاعات والمعاصي) التي هي فعل العبد الاختياري، وهذا وهم محض في الآية، وإنما المراد بها النعم والمصائب.

ولفظ (الحسنات والسيئات) في كتاب الله يراد به هذا تارة، وهذا تارة، فقوله تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا﴾ [آل عمران: ١٢٠]، المراد في هذا النعم والمصائب.

وأما قوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، المراد به في هذا الأعمال المأمور بها، والمنهي عنها.

وهو سبحانه إنما قال: ﴿مَّآ أَصَابَكَ﴾، ولم يقل: (ما أصبت) (وما كسبت)، فما يفعله العبد يقال فيه: (ما أصبت وكسبت وعملت)، كقوله: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾.

وما يُفعَل به بغير اختياره يقال فيه: (أصابك)، كقوله: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠].

فقوله: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ﴾، هو من هذا القسم الذي يصيبُ العبدَ لا باختياره، وهذا إجماع من السلف في تفسير هذه الآية.

وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقرأها: (وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ، وأنا قدرتها عليك)، وهذه القراءة زيادة بيان، وإلَّا فقد دلَّ قوله قبل ذلك: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، على القضاء السابق، والقدر النافذ. اهـ.

(١) يعني: الفجور والزنا. «الصحاح» (١/ ٢٥٨).

عني، ثم قلت مثل ذلك فسكت عني، ثم قلت مثل ذلك، فقال النبي ﷺ: «يا أبا هريرة، قد جفَّ القلمُ بما أنت لاقٍ، فاختصِ على ذلك أو ذَرْ»(١).

قال معمر بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ:

٦٦٢ ـ اعلموا ـ رحمنا الله وإياكم ـ أن الله تعالى ذِكره أمر العباد باتباع صراطه المُستقيم، وأن لا يُعْرَج عنه يمينًا ولا شمالًا، فقال تعالى ذِكره: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام].

ثم قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾ [التكوير].

ففي الظاهر أنه جَلَّ ذكره أمرهم بالاستقامة واتباع سبيله، وجعل في الظاهر إليهم المشيئة، ثم أعلمهم بعد ذلك: إنكم لن تشاءُوا إلَّا أن أشاءَ

---

(١) رواه الفريابي في «القدر» (٤٣٧). ورواه البخاري (٥٠٧٦).

ـ ورواه مسلم (١٤٣٩) عن جابر رضي الله عنهما: أن رجلًا أتى رسول الله ﷺ، فقال: إن لي جارية، هي خادمُنا وسانِيَتُنا، وأنا أطوف عليها، وأنا أكره أن تحمل، فقال: «اعزلْ عنها إن شئت، فإنه سيأتيها ما قُدِّر لها»، فلبث الرجل، ثم أتاه، فقال: إن الجارية قد حَبِلَت، فقال: «قد أخبرتُك أنه سيأتيها ما قُدِّرَ لها».

ـ وفي «الإبانة الكبرى» (١٥٥٦) عن إبراهيم، قال: كانوا يقولون: النطفةُ التي قُدِّرَ منها الولد لو أُلقيت على صخرة لخرجت تلك النَّسَمَةُ منها.

قلت: ولا يُفهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه جواز الاختصاء، بل قد ثَبت النهي عنه.

ـ ففي صحيح البخاري (٥٠٧٣) (بابُ ما يُكره مِن التبتُّلِ والخِصَاءِ):

ـ عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما: ردَّ رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل، ولو أذن له لاختصينا.

ـ وفيه أيضًا (٥٠٧٥) عن عبد الله رضي الله عنه: كنا نغزو مع رسول الله ﷺ، وليس لنا شيء، فقلنا: ألا نستخصي؟ فنهانا عن ذلك.

أنا لكم ما فيه هدايتُكم، [٤٥/ب] وإن مشيئتكم تبع لمشيئتي، فقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير].

فأعلمهم أن مشيئتهم تبعٌ لمشيئته عز وجل.

• وقال عز وجل: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾﴾ [البقرة].

• وقال عز وجل: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ﴾، إلى قوله: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ [البقرة].

قال محمد بن الحسين رحمه الله:

انقطعت حُجَّة كلِّ قدريٍّ قد لَعِبَ به الشيطان فهو في غيِّه يتردَّد، والحمد لله الذي عافانا عما(١) ابتلاهم به.

وبعد؛ فقد اجتهدت وبيَّنتُ في إثبات القدر بما قال الله عز وجل، وبما قال رسول الله ﷺ المُبيِّن عن الله عز وجل ما أنزله في كتابه، وذكرتُ قول أصحابه رضي الله عنهم، وقول التابعين، وكثير من أئمة المسلمين على معنى الكتاب والسُّنة، فمن لم يؤمن بهذا فهو ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ [الأنعام].

تم الجزء السادس من كتاب «الشريعة»

بحمد الله ومنّه

وصلى الله على رسوله سيدنا محمد النبي وآله وسلم

يتلوه الجزء السابع من الكتاب ان شاء الله وبه الثقة

---

(١) في الهامش: (مما) خ.

فهرس الكتاب

الجزء الرابع والخامس

الجزء الخامس